بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القــرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : محمد صنقد بن محمود السقار ...... كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : ..... العقيدة ....

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : ..... الدكتوراه .... في تخصص : ..... العقيدة ....

عنوان الأطروحة : ((جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى في القرن الرابع عشر الهجري (عرض ودراسة)))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢٧ / ٨ / ١٤٢١هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ،وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم : د/ محمود حسان كسه	الاسم : د/ علي نفيع العلياني	الاسم : د/ علي حسن الألمعي
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد

رئيس قسم العقيدة

الاسم : عبدالله الحرشي

التوقيع :

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى في القرن الرابع عشر الهجري

(عرض و دراسة)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب : محمد منقذ محمود السقار

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد حسان كسبه

الجزء: الأول

العام الدراسي ١٤٢٠ هـ

العنوان: جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى في القرن الرابع عشر الهجري (عرض ودراسة)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم ، وبعد :

فلما كانت النصرانية أكثر الأديان انتشاراً وأكثرها نفوذاً وسلطاناً ، وأكثرها حرصاً على التبشير بباطلها والنيل من ديننا ومعتقداتنا كان من الطبيعي أن يتوجه العلماء المسلمون للرد على النصارى وبيان باطلهم.

والقرن الهجري الأخير أهم القرون لأنه حوى خلاصة الحوار والجدال بين المسلمين والنصارى.لذا خصصته بدراستي

وقد جعلت هذه الدراسة على مقدمة وأبواب ثلاثة وخاتمة .

في المقدمة تحدثت عن أهمية البحث ودوافعي إلى اختياره ومنهجي فيه ، ثم موضوعاته .

في الباب الأول عرضت لجهود علماء القرون الثلاثة عشر السابقة في فصلين عرفت في أولهما بالعلماء الذين ردوا على النصارى والموضوعات التي طرقوها ، وبينت ملامح المنهج الذي ساروا عليه في الرد على النصارى.

وفي الفصل الثاني بينت ما انتهى إليه علماؤنا المسلمون في موضوعات الجدل الرئيسة بين المسلمين والنصارى .

وفي الباب الثاني تحدثت عن دوافع العلماء المسلمين التي دفعتهم في هذا القرن للرد على النصارى ، وأهمها وجود الاستعمار والتبشير ، وتحدثت عن اتجاهات هذه الردود وتوزعها إلى كتب ومناظرات .

وفي الباب الثالث أبرزت جهود العلماء المسلمين في الرد على النصارى ، والتي تمثلت في ست موضوعات رئيسة (ألوهية المسيح والتثليث – الصلب والفداء – نقد التوراة – نقد العهد الجديد – نبوة النبي صلى الله عليه وسلم – شبهات النصارى حول الإسلام) ، وخصصت لكل منها فصلاً مستقلاً .

وأتبعت ذلك بذكر أهم نتائج البحث ، ثم بالفهارس العلمية ثم قائمة المصادر والمراجع .

وقد خلصت من دراستي إلى نتائج هامة أهمها :

– المسيحية بعقائدها وكتبها دين نحله بولس ومن بعده عن الوثنيات القديمة .

– النصرانية الحقة دين الله الذي أنزله على نبيه عيسى عليه السلام ، وهو دين التوحيد الخالص الذي نؤمن به كما نؤمن بالتوراة والإنجيل اللذين أنزلهما الله عز وجل ، وملؤهما الهدى والنور ، وهذا الهدي لم تندرس آثاره إلى اليوم من الكتب المقدسة عند النصارى.

– الأسفار التي يقدسها النصارى اليوم كتب لا يعلم على وجه التحديد من كاتبها ، وهي كتب سيرة وتاريخ لم يزعم كتابها المجهولون أنهم يقدمون من خلالها كلمة الله ، وإن التأمل في هذه الكتب يكشف زيف هذه الدعوى ، ويثبت بشرية هذه الكتب وخلوها عن الوحي وهدي النبوات .

– هذه الأسفار كتبها البشر ثم منحوها في مجامعهم صفة القدسية والعلوية .

– صلب المسيح أمر زعم النصارى وقوعه ، وقد أثبت علماؤنا وبعشرات النصوص المستمدة من كتب النصارى بطلان هذه القصة ونجاة المسيح من الصلب المزعوم.

– عقيدة الفداء والخلاص وهم آخر تعلق به النصارى من غير مادليل صريح عن المسيح عليه السلام ، وقد أثبت علماؤنا بطلان هذا المعتقد بالأدلة الكتابية والعقلية .

– شبهات النصارى عن ديننا تنبع من الكذب الفاضح أو التلبيس الخادع أو الجهل المطبق بأصول هذا الدين .

الطالب: محمد منقذ بن محمود السقار

المشرف: د/محمد حسان كسبه

عميد كلية الدعوة وأصول الدين
د/ عبد الله بن عمر الدميجي

شكر وتقدير

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد :
لما كان الشكر واجبا لأهل الفضل عرفانا بالجميل فإن كثيرين يستحقون الشكر مني ، وهو أقل القليل الذي أستطيع أن أقدمه لهم .

لذا أتقدم بوافر الشكر والدعاء لوالدي اللذين كان لهما الفضل الأول علي صغيرا وكبيرا ، فهما صاحبا الفضل بعد الله في تربيتي وتوجيهي لدراسة العلم الشرعي ، كما كان لوالدي حفظه الله الدور الأول في توجهي لدراسة النصرانية .

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى أختي أم خالد وزوجها الشهم الأستاذ أحمد سعود الذين صبرا طوال سنين دراستي وكانا خير عون لي في إتمام هذا الجهد .

وأتقدم بالشكر المكلل بالدعاء الخالص لأستاذي المشرف على الرسالة الدكتور محمد حسان كسبه الذي أفاض علي بنصحه وعلمه وتوجيهه ، وجاد علي بالكثير من وقته فجزاه الله عني خير الجزاء وجعل الله عملي هذا في ميزان حسناته .

وكثيرون آخرون لم يتسن لي ذكرهم في هذا المقام ، لكني أسأل الله أن يعلي ذكرهم في الآخرة ، وأن يجعل توجيههم ونصحهم في ميزان حسناتهم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المتقين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم . وبعد :

فقد سطع فجر الإسلام على الدنيا قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ، فآذن بميلاد الدين الأوحد الذي أتمه الله ورضيه للبشرية ديناً إلى قيام الساعة .

ومنذ اللحظات الأولى لبعثة محمد ﷺبدأت جولة جديدة من جولات الصراع الأبدي بين الحق والباطل، بيد أن هذه الجولة كانت بين مشركي مكة ودعوة الإسلام الناشئة .

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى المدينة وجد مذاهب متعددة للشرك والوثنية ، فقام بدعوة هؤلاء جميعاً رجاء هدايتهم إلى دين الله القويم ، وبغية تبليغ دعوة الله وإقامة حجته على خلقه ، وهكذا كان ، فقد جادل النبي صلى الله عليه وسلم بالتي هي أحسن مذاهب الوثنية المختلفة ، ومن هؤلاء أهل الكتاب من يهود ونصارى .

ولحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى ، فقام ورثته من علماء أمته بحمل الأمانة وتبليغ الرسالة ونشر الدعوة ، واتجهوا بدعوتهم أيضاً إلى اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الشرك ، يحدوهم في ذلك كله قول الله عز وجل ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ (١) وقد أمرهم الله بمجادلة أهل الكتاب ودعوتهم ﴿ ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ (٢) وقوله ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (٣).

وهكذا تواصل الجدل بالتي هي أحسن بين المسلمين والنصارى طوال قرون عديدة من تاريخ الإسلام ، وما يزال ، وسيبقى ما بقي الليل والنهار .

ومع دخول الجدال قرنه الرابع عشر وصل إلى منعطف هام ، تأتي أهميته وتبرز عند النظر إلى أمور منها وقوع العالم الإسلامي في براثن الاستعمار النصراني الذي استعان بجيوش المبشرين والمستشرقين ، فكان هؤلاء معاول هدم أريد منها إبعاد المؤمنين عن الإسلام وتجهيلهم بهذا الدين ثم إدخالهم في النصرانية .

وقام المستشرقون برصد حركة الأمة الإسلامية للوقوف على مكامن الضعف فيها واستغلالها ، والوقوف على مصادر القوة وتجفيفها وتحجيمها ، ويحرس زحفهم الهادئ جيوش المستعمرين التي كان في طليعتها رهبان الكنيسة يبشرون بما يسمونه رسالة المسيح .

ومما يعطي هذا القرن أهمية خاصة أيضا انتشار الطباعة مما سهل التواصل بين الأمم ، وكذا وسائل الإعلام التي أحالت الأرض إلى قرية صغيرة يسهل فيها تناقل الأخبار وتلاقي الأعداء ، ويجلو فيها صراع الحضارات والأديان .

---

(١) انظر : سورة النحل ، من آية : ١٦٥ .

(٢) انظر: سورة العنكبوت ، من آية : ٤٦ .

(٣) انظر : سورة آل عمران ، آية : ٦٤ .

وفي هذا الخضم المتلاطم قام أصحاب الردود الإسلامية من جديد يذودون عن دين الإسلام شبهات المبطلين ، ويبينون زيف المبطلين من أتباع كل دين ، ومن هؤلاء النصارى من أهل الكتاب والذين يبلغون ثلث سكان المعمورة ، ويتحكمون في ثرواتها ويبسطون سلطانهم على بلاد المسلمين ، فكان لابد من دعوتهم والعمل على هدايتهم وكشف عوار دينهم ، ورد شبهاتهم ، فكان فصل جديد من فصول هذا الصراع .

وقد رأيت أن أتقدم – في أطروحتي لنيل درجة الدكتوراه في قسم العقيدة – بدراسة جهود العلماء المسلمين المباركة في هذا القرن الهجري في الرد على النصارى ، وجعلتها بعنوان " جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى في القرن الرابع عشر الهجري " (عرض ودراسة) ومقصودي عرض ودراسة جهود أبرز من تصدى للرد على النصارى من أهل العلم في القرن الرابع عشر الهجري سواء كان ذلك كتابة أو مناظرة ، وكل من علم مسألة فهو بها عالم .

والذي دفعني لاختيار هذا الموضوع أمور منها :

١ – إيماني بأهمية الجدل بين الأديان وخاصة أهل الكتاب في وقت انحسر فيه صراع القوميات والمذاهب الفكرية ، وعاد الصراع بقوة من جديد إلى صراع بين الأديان ، ومثل هذا لايخفى على من تأمل الحروب التي تجري هنا وهناك ، وتمحور الصراع حول أكبر دينين على وجه الأرض وهما الإسلام والنصرانية فيما تظافر اليهود والنصارى ، وتمادن هؤلاء مع أهل سائر الأديان بل اتحدوا معهم وتعاونوا وتداعوا على ملة التوحيد والإسلام .

٢ – أن أهم مجالات الصراع هو الصراع الديني إذ هو الأساس الذي عنه يصدر الصراع الاقتصادي والعسكري والسياسي ، فهو المحرك لكل ذاك .

٣ – أن جهود علماء هذا القرن تمثل أهم فصل من فصول الجدال بين المسلمين والنصارى إذ كثرت هذه الجهود المباركة وتنوعت موضوعاتها ، ونضجت بتتابع الجهود طوال ثلاثة عشر قرناً فكانت هذه الحلقة المباركة التي وعت جهود السابقين ،وأضافت إليهم ما أثرى موضوعات الجدل الإسلامي النصراني .

وقد جهدت في رسالتي هذه في جمع كل ما تناهى إلى مسامعي من كتب تتحدث في هذا الموضوع ، وفي سبيل ذلك قمت برحلتين علميتين إلى مصر والأردن ، جمعت خلالها ما قدرت عليه من كتب ومخطوطات تتعلق بهذا الموضوع .

لكن ذلك جعلني أمام عدد هائل من المصادر والمراجع والجهود العظيمة التي تستحق الدراسة والعرض ، فاستعنت بالله ، فأعان إلى إخراج هذه الرسالة التي أرجو أن تسد فراغا في المكتبة الإسلامية وأن تكون عدة وعتادا لكل مسلم توجه لدعوة النصارى إلى الإسلام ، وأراد أن يبين فساد النصرانية وبطلان كتبها ومعتقداتها.

وقد درجت في هذا البحث على نقد النصرانية والتوراة والإنجيل ، ومقصودي من ذلك كله ليس ما أنزله الله من هدي ونور ، وإنما ما غيره البشر وابتدعوه ، ثم أضافوه إلى تلكم التسميات القديمة .

وعندما أضيف قولا إلى التوراة أو الإنجيل فإنما أضيفه إلى ما يسمى بذلك عند اليهود والنصارى ، وعندما أضيف نصا إلى الله – في غير المنقولات الإسلامية – أو إلى المسيح أو أحد حوارييه فلا يعني ذلك يقيني بصحة هذا القول ونسبته ، بل هو نوع من التنزل مع النصارى والتسليم لهم من هذا الباب فقط رجاء الوصول إلى الحقيقة التي نسعى لإثباتها .

ومثله ينطبق على ما نورده من شواهد توراتية أو إنجيلية مختلفة نوردها رداً على بعض ما يقوله النصارى مع أنه قد يكون ذلك النص مما ثبت لدينا بطلانه ، لكنا نرد على الخصم بما يعتقده ونبطل قوله بشيء من باطلة .

وقد أسندت جميع نصوص التوراتية والإنجيلية التي ساقها أصحاب الردود الإسلامية أو استشهدت بها إلى أماكن وجودها في الكتاب المقدس معتمداً في ذلك على النسخة التي بين يدي والمطبوعة بدار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، وقد أثبت النصوص التي نقلها أصحاب الردود الإسلامية عن الكتاب المقدس بنصها المثبت عندهم ، ثم أتبعت كل نص بتوثيقه ، فما وافق النسخة التي بين يدي أو قاربها - أي كان مرد عدم الاتفاق بين الألفاظ إلى الترجمة وعبارة المترجم - ما كان على هذا النحو أوثقه بقولي مثلاً :(يوحنا ٤/٢٠) ومقصودي أن العبارة أو مرادفها موجود في إنجيل يوحنا في الإصحاح الرابع في العدد ٢٠ حسب ترقيم الكتاب المقدس .

فإن كان في النص بعض تخالف مع ما بين يدي مع بقاء موضع الدلالة والاستشهاد قلت انظر يوحنا ٤/٢٠) ومثله إن اكتفيت عن النقل بذكر فكرة النص ، فإن اختفى موضع الدلالة والاستشهاد في النص الذي أنقله عن العلماء المسلمين في نسختي قلت (قارن يوحنا ٤/٢٠) .

كما نقلت عشرات الاقتباسات التي نسبها أصحاب الردود الإسلامية لقسس نصارى أو غيرهم من مفكري الغرب ، لكن الأسماء التي نقلوا عنها بقيت مجهولة ، لا نعلم عن بعضها سوى الأسماء ، وقد نقلت عن العلماء المسلمين ما أثبتوا في تعريف هذه الشخصيات كذكر مرتبته الكنسية أو اسم كتابه أو لقبه العلمي .... ولعل في ذلك ما يلقي بالضوء على أهمية هذه المنقولات ، وينبه إلى أهمية قائليها .

كما ذكرت في هامش التوثيق أسماء الجهود العلمية التي أفدت منها ، وذكرتها مرتبة حسب الأقدم إلا أن أجد ما يدعوني إلى تقديم متأخر منها لسبب نقل عبارته أو زيادة في وضوح الفكرة عنده ... و لم أهتم بترتيب المراجع التي تعود لعلماء القرن الرابع عشر لصعوبة تمييز السابق فيها من اللاحق ،لتقارب الزمن بينها .

وقد جعلت هذه الدراسة على مقدمة وأبواب ثلاثة وخاتمة .

في المقدمة تحدثت عن أهمية البحث ودوافعي إلى اختياره ومنهجي فيه ، ثم موضوعاته .

في الباب الأول عرضت لجهود علماء القرون الثلاثة عشر السابقة ، وذلك في فصلين عرفت في أولهما بالعلماء المسلمين الذين ردوا على النصارى والموضوعات التي طرقوها وبينت ملامح المنهج الذي ساروا عليه في الرد على النصارى .

وفي الفصل الثاني بينت ما انتهى إليه أصحاب الردود الإسلامية في موضوعات الجدل بين المسلمين والنصارى الرئيسة من إثبات لبشرية المسيح وإبطال للتثليث ولصلب المسيح ، وأبرزت نقدهم للتوراة والإنجيل ، وما ذكروه في نبوة نبينا ﷺ .

وفي الباب الثاني تحدثت عن دوافع العلماء المسلمين التي دفعتهم في هذا القرن للرد على النصارى ، وعن اتجاهات هذه الردود .

ففي أول فصول هذا الباب تحدثت عن الحركتين الاستعمارية والتبشيرية لما لهما من أثر في تنبيه العلماء المسلمين إلى خطر النصارى ، وضرورة الرد عليهم .

وفي الفصل الثاني تحدثت عن اتجاهات العلماء المسلمين في الرد على النصارى حيث لجأ بعضهم إلى التأليف في هذا الفن فيما لجأ آخرون إلى أسلوب المناظرة المباشرة مع النصارى .

وفي الباب الثالث أبرزت جهود العلماء المسلمين في الرد على النصارى والتي تمثلت في ست موضوعات رئيسة خصصت لكل منها فصلاً مستقلاً .

وأول هذه الفصول كان موضوعه عقائد النصارى (ألوهية المسيح والتثليث) .

وفي الفصل الثاني عرضت لما ذكره أصحاب الردود الإسلامية في إبطال صلب المسيح ،ثم إبطالهم لعقيدة الفداء والخلاص.

وفي الفصل الثالث عرضت لجهود العلماء المسلمين في نقد التوراة ، وإثبات ضياع توراة موسى ، وأن التوراة الحالية محرفة بشرية المنشأ والمضمون .

وفي الفصل الرابع عرضت لجهود العلماء المسلمين في نقد الأناجيل ورسائل العهد الجديد .

وفي الفصل الخامس عرضت لما ساقه أصحاب الردود الإسلامية في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم من أدلة كتابية ، توراتية أو إنجيلية .

وفي الفصل السادس كان موضوعه الشبهات التي أثارها النصارى حول الإسلام .

قائمة الاختصارات المستخدمة في الإحالة إلى النصوص التوراتية والإنجيلية

سفر التكوين	التكوين
سفر الخروج	الخروج
سفر اللاويين	اللاويين
سفر العدد	العدد
سفر التثنية	التثنية
سفر يشوع	يشوع
سفر القضاة	القضاة
سفر راعوث	راعوث
سفر صموئيل الأول	صموئيل (١)
سفر صموئيل الثاني	صموئيل (٢)
سفر الملوك الأول	ملوك (١)
سفر الملوك الثاني	ملوك (٢)
سفر أخبار الأيام الأول	أيام (١)
سفر أخبار الأيام الثاني	أيام (٢)
سفر عزرا	عزرا
سفر نحميا	نحميا
سفر أستير	أستير
سفر أيوب	أيوب
سفر حجي	حجي
سفر ملاخي	ملاخي
سفر المزامير	المزمور
سفر الأمثال	الأمثال
سفر الجامعة	الجامعة
سفر نشيد الإنشاد	نشيد
سفر إشعيا	إشعيا
سفر إرميا	إرميا
سفر مراثي إرميا	مراثي
سفر حزقيال	حزقيال
سفر دانيال	دانيال
سفر هوشع	هوشع

سفر يؤئيل	يؤئيل
سفر عاموس	عاموس
سفر عوبديا	عوبديا
سفر يونان	يونان
سفر ميخا	ميخا
سفر ناحوم	ناحوم
سفر حبقوق	حبقوق
سفر صفينا	صفينا
سفر زكريا	زكريا
إنجيل متى	متى
إنجيل مرقس	مرقس
إنجيل لوقا	لوقا
إنجيل يوحنا	يوحنا
سفر أعمال الرسل	أعمال
رسالة بولس إلى أهل رومية	رومية
رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى	كورنثوس (١)
رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الثانية	كورنثوس (٢)
رسالة بولس إلى أهل غلاطية	غلاطية
رسالة بولس إلى أهل أفسس	أفسس
رسالة بولس إلى فيلبس	فيلبس
رسالة بولس إلى أهل كولوسي	كولوسي
رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي الأولى	تسالونيكي (١)
رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي الثانية	تسالونيكي (٢)
رسالة بولس إلى تيموثاوس الأولى	تيموثاوس (١)
رسالة بولس إلى تيموثاوس الثانية	تيموثاوس (٢)
رسالة بولس إلى تيطس	تيطس
رسالة بولس إلى فليمون	فليمون
رسالة بولس إلى العبرانيين	العبرانيين
رسالة يعقوب	يعقوب
رسالة بطرس الأولى	بطرس (١)
رسالة بطرس الثانية	بطرس (٢)

رسالة يوحنا الأولى	يوحنا (١)
رسالة يوحنا الثانية	يوحنا (٢)
رسالة يوحنا الثالثة	يوحنا (٣)
سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي	الرؤيا
رسالة يهوذا	يهوذا
إنجيل برنابا	برنابا

الباب الأول:

جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى خلال ثلاثة عشر قرناً هجرياً

الفصل الأول:

عرض جهود علماء المسلمين
في الرد على النصارى
خلال ثلاثة عشر قرناً هجرياً.

تمهيد

قبل أربعة عشر قرناً نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم نورا وهداية للعالمين ،ومنه آيات بينات تأمر بنشر الخير والنور ، ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [١]،وقال ﴿ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾[٢]،﴿ يا أيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾[٣].وامتثل النبي لأمر ربه ،فبلغ الدعوة وأقام الحجة وكشف الظلمة وأنار السبيل .

ثم قام ورثته من بعده يحملون مشعل الهداية إلى أمم قد اجتالها الشيطان وأجلب عليها بخيله ورجله ،فحادت عن الصراط المستقيم ،وتوالى المخلصون يتناقلون الأمانة جيلاً بعد جيل ،فأشغلوا أنفسهم بنصرة دين الحق ،فذادوا عن حياضه،وبينوا ضلال من خالفه ،وأقاموا حجة الله على خلقه،فسطرت كلماتهم بأحرف من نور يهدي من قصد سواء السبيل،فأنعم به من جهد ،وأحسن به من عمل.

وفي هذا الفصل نعرض بالذكر لهذه الجهود،ونبرز ملامح المنهج الذي اختطه أصحابها والموضوعات التي تناولوها في ردودهم على النصارى خلال ثلاثة عشر قرناً.

و لعله من لوازم القول أن أذكر بوجود الكثير من الجهود العلمية القيمة التي ردت على النصارى و التي ضاعت فيما ضاع من جواهر آبائنا العظام.و هذه الجهود من الكثرة بمكان، فهاهو الطبري و كتبه من أوائل الكتب التي وصلتنا يتحدث عن كثيرين كتبوا قبله فيقول: "و أسلك في ذلك سبيلاً أسدى و أجدى مما سلك غيري من مؤلفي الكتب في هذا الفن فإن منهم من قصر و بتر،و أدغم حجته و لم يفسر، و منهم من احتج على أهل الكتاب بالشعر و بما لم يعرفوه من كتبهم،و منهم من حشى دفتي كتابه بمخاطبة المسلمين دون المشركين ثم ترجم حججه بأوعر كلام و أبعده عن الأفهام " .[٤]

و قد نقلت إلينا بطون الكتب المختلفة أسماء كثير من الجهود التي ضاعت ،فقد أورد الشرفي أسماء ثلاثين جهداً علمياً كتبت في القرون الأربعة الأولى وصل إلينا أسماؤها و غاب عن ناظرنا مكنونها.

وعلاوة على ذلك فهناك كثير من الجهود المتقدمة أو المتأخرة التي غابت و ذكرها العلماء في ثنايا كتبهم منها : "رد النصارى " لعوف بن عوض، و" رد النصارى " لأبي العباس السرخسي (ت ٢٨٦هـ)،ورد النصارى "لخلف الدمياطي،و" رد النصارى " لأبي بكر الطرطوسي (ت ٥٤٠هـ)، و " إفحام النصارى "ليحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي (ت ٤٩٣هـ)،و " رد النصارى " لأبي محمد عبد القادر الرهاوي (ت ٦١٢هـ)،و" الرسالة الناصرية " لمختار بن محمود الزاهدي (ت٦٥٨ هـ) ، و " مفتاح الدين والمجادلة بين النصارى والمسلمين "لمحمد القيسي (ت ٧٠٦هـ) و" صولة الضيغم على أعداء ابن مريم " لعلي الجاجموي ،ثم اختصره في " خلاصة الضيغم " و " خلاصة سيف المسلمين "لحيدر

---

(١) سورة النحل ، من آية : ١٢٥.

(٢) سورة العنكبوت ، من آية : ٤٦ .

(٣) سورة المائدة ، من آية : ٦٧.

(٤) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، تحقيق: عادل نويهض ، ط١ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ص ٣٥ .

القرشي ،و" الأنوار الإلهية في دحض خطأ النصرانية " لأحمد زين العابدين الأصفهاني "و " الرسالة الهادية " للحبر المهتدي عبد السلام الدفتري.[1] وغير ذلك من الجهود المباركة التي ضاعت من تراث أجدادنا العظيم .

ويضاف إلى ذلك ما بقي مخطوطاً حبيس الرفوف،ومنها ما ذكره محمود بن شريف حيث ذكر أسماء بعض المخطوطات وأماكن وجودها،مثل:" الرسالة الصمصامية في الرد على الطائفة النصرانية "لعبد الله دستان مصطفى،محفوظة بدار الكتب المصرية،برقم:١٢٤(عقائد)،و" البراهين الساباطية في الرد على النصرانية "لجواد بن ساباط (ت ١٢٥٠هـ)،برقم :٢٤٦،و" تقليب المطاعن " و " معدل اعوجاج الميزان"،وكلاهما لرحمة الله الهندي ،وغير ذلك من الجهود القيمة التي نأمل أن ترى النور قريباً.[2]

كما ثمة الكثير من الكتابات المباركة والتي كتبت بغير العربية فلم يتيسر لنا الاطلاع عليها ،وقد كتب كثير منها بلغات مسلمي الهند ، منها " تاريخ الصحف السماوية " لسيد نواب علي،و" المسيحية في ضوء القرآن والإنجيل " لعبد الوحيد خان ، و" اليهودية والمسيحية "لإحسان الحق رانا ،و " اليهودية والنصرانية " للمودودي ،كما كتب ثناء الله الأمر تستري كتباً ، منها :" الإسلام و المسيحية "و" تقابل ثلاثة ".[3] ، وكتب ديدات كتابه " الاختيار ".

و لعله من نافلة القول أن أذكر بأن ما أسوقه خلال دراستي من أسبقية و أولوية في بعض المباحث، فإنما أعني به ما وصل إلي من كتب علمائنا الكرام .

و قبل أن نستعرض هذه الجهود المباركة لعلمائنا رأيت أن أقدم بالحديث عن الجدل النصراني في القرآن و السنة، إذ هما الأساس في دفع علمائنا إلى مجادلة النصارى كما قال الله تعالى ﴿ و لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾.[4]

---

(١) انظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى حاجي خليفة ، دار العلوم الحديثة ، بيروت ، ٨٣٨/١ ، ٨٩٥ ، إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، تحقيق : محمد أحمد ملكاوي ،ط١ ، دار الحديث ، القاهرة ،١٤٠٤هـ ، ٣/ ٧٤٣،٤/١٣٧٩-١٣٨٠. وقد بحثت عن الكتب التي ذكرها الشرقي على أنها مفقودة فلم أجدها، كما لم أجد الكتب التي استدركناها [illegible] أثناءه ولم أستطع الحصول على المخطوطات الموجودة في مصر رغم سفري إليها

(٢) انظر: الأديان في القرآن ، محمود بن شريف ، ط٥ ، شركة عكاظ ، جدة ، ص٢٢١-٢٢٣ .

(٣) انظر : اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الدين الأعظمي ، ط١ ،مكتبة الدار ، المدينة ،١٤٠٩هـ ،ص٢٩-٣٠، ٤٤٥-٤٤٧ .

(٤) سورة العنكبوت ، آية : ٤٦ .

رغم قلة النصارى في المجتمع الإسلامي الأول في مكة و المدينة و الطائف إلا أن الموضوعات النصرانية شغلت ما نسبته ٣,٥% من عدد آي القرآن الكريم حسب ما ذكر الشرفي ،و هذه النسبة و لا ريب كبيرة قياساً بحجم تواجدهم في مهد الإسلام و مبعث الرسالة ،فقد انحصر وجودهم في أفراد قلائل كان عندهم شيء من علم أهل الكتاب كورقة بن نوفل و أمية بن أبي الصلت و آخرين تركوا دين الجاهلية و رفضوا عبادة الأصنام، و رأوا أن النصرانية خير لهم من ذلك منهم زوج سودة بنت زمعة الأول :السكران بن عمرو.و بنت أبي فكيهة وغيرهما.

ولا يمنع هذا من وجود أفراد من الإماء و العبيد النصارى، و يفترض بهؤلاء أن لا يكونوا من أصحاب الثقافة العالية منهم جبر غلام الفاكه بن المغيرة، و نسطاس عبد لصفوان بن أمية، ويوحنا وميناس عبدان لصهيب الرومي، و آخر يدعى أبو ميسرة [١].

ولا يفوتنا أن نذكر بأن العرب كانت لهم صلات بأهل الكتاب من خلال التجارة القائمة بين المجتمعات العربية و الشام الذي يغلب عليه النصارى .

لذا يمكننا الجزم بتسرب شيء من الثقافة الكتابية –و منها النصرانية–إلى هذه المجتمعات العربية وظهر ذلك جلياً في سماع العرب لبعض النبوءات الكتابية و انتظارهم لنبي آخر الزمان، بل و تشوق بعضهم لأن يكون هو النبي الموعود .[٢]

لكن أثر هذه العلاقة و الصلات بقي محدوداً إلى حد كبير في المهد الأول للدعوة الإسلامية ، و نراه يتسع كلما اتجهنا شمالاً أو جنوباً في أطراف الجزيرة ، فاليمن و الشام كانت بلاداً نصرانية ، أو على الأقل تواجد فيها النصارى بشكل مؤثر.[٣]

لذلك لا نكاد نجد أثراً للفكر النصراني في قبائل الجزيرة العربية و خاصة في مهد الدعوة الإسلامية، و نرى ذلك واضحاً من خلال خلو عقائد العرب من أي ذكر لمعاني التثليث الذي لم تعرفه مخيلة العربي الذي كان يعتقد بتعدد الآلهة ،ويعجب من حصرها ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾[٤]كما نلحظ استغراب العرب من إرسال الله لأحد من البشر و خصه بالرسالة ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾[٥].

كما نرى غياب عقيدة البعث بعد الموت والحساب كما الفداء عن الفكر العربي، بينما تمثل عقيدة الخلاص و الفداء أبرز قضايا الفكر النصراني،و الأمر الوحيد الذي قد يخالف في الحكم هو عبادة الأصنام

---

(١) انظر : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع (هجري)/ العاشر (ميلادي) ، عبد المجيد الشرفي ، الدار التونسية للنشر.تونس ، ص١٧٢ ، المفصل في تاريخ العرب، جواد علي، ٦٠٣/٦ .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار الكتب العربية ، بيروت ، ١٤١٣هـ، ١١٧/١٠.

(٣) انظر : المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، تحقيق: د.محمد الشرقاوي ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٤٠٥ هـ ، ص٨٤-٨٥ .

(٤) سورة ص ، آية : ٥ .

(٥) سورة الإسراء ، من آية : ٩٤ .

والصور فقد كانت موجودة عند النصارى، وهي عند اليهود قبل ميلاد المسيح بقرون عدة.

وعندما أدخلها عمرو بن لحي إلى العرب قيل أنه أخذها من عماليق الشام[1]. أما من الناحية الاجتماعية و الأخلاقية فقد كان البون كبيراً بين شرائع العرب من طلاق و نكاح و محارم و ظهار و إيلاء مقارنة مع التشريعات اليهودية و النصرانية.

وكذا أخلاق العرب كانت منسجمة مع طبيعتهم و طبيعة البيئة المحيطة بهم، و لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالنصارى أو غيرهم.

و قد سجل الجاحظ المنزلة المتميزة للنصارى عند العرب بسبب تنصر بعض ملوكهم، وتجارتهم مع الشام وكان يغلب عليها النصارى، ومنه أيضاً المدنية التي غلبت عليهم، و يظهر ذلك جلياً في المهن التي مارسوها كالكتابة و الطب والعصارة و الصرافة إلى غير ذلك من الأسباب[2].

بل إن هذه المنـــزلة لتعم حتى اليهود الذين كانت العرب تجلهم ،لأنها تعتبرهم أهل كتاب ،لذا أوفدت قريش إلى المدينة من يسأل يهودها عن أهدى الفريقين : محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه أم قريش،فكان جوابهم ماذكره القرآن:﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾[3]

وكان أهم اتصال بالنصرانية – سوى هجرة المسلمين إلى الحبشة ومراسلة النبي صلى الله عليه و سلم للملوك النصارى في الشام و عمان و مضر – قدوم وفد نصارى نجران إلى المدينة و بقاؤهم فيها أياماً يناظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم و يصلون في مسجده [4]،و نزل في هذه الزيارة بضعاً و ثمانين آية في صدر سورة آل عمران عالجت أكثر الموضوعات النصرانية ،و من خلالها نستطيع أن نعرف الموضوعات التي دار حولها النقاش و المناظرة بين الرسول صلى الله عليه و سلم و أهل نجران .

و قد ذكرت السورة الكريمة في طياتها أغلب أغراض الجدل النصراني، كما ذكرت بعضاً مما يخص اليهود و غيرهم.

ومما ذكرته السورة مما يتعلق بنصارى نجران –و إن وردت في صيغة الحديث عن أهل الكتاب للعموم الوارد أن الآيات نزلت في نصارى نجران – قول الله تعالى﴿ وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل هدى للناس ﴾[5]، و توعد الله الكافرين بما أنزله فقال﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ﴾[6]،و ذكرت الآيات أن مما أنزله الله محكم و متشابه و ذكرت أصناف الناس في اتباع المحكم

---

(١) انظر: البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرين ، ط١ ، دار الريان للتراث ، بيروت ، ١٤٠٨ هـــ ، ١٧٤/٢ .

(٢) انظر: المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص٨٠-٨٦.

(٣) سورة النساء ، من آية : ٥١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ٥/٤ وقد نقله عن ابن إسحاق في سيرته ، كما ذكر مثله ابن القيم في زاد المعاد عن أبي أمامة ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن القيم ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، ط١٥ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧هـــ ، ٦٣٠/٣-٦٣١ . والسماح للنصارى بالصلاة في مسجد النبي لايجوز ولايصح أن يكون دليلاً على جواز ذلك بإطلاق ، فهذا من خصوصية الوفد والسفارة.

(٥) سورة آل عمران ، من آية : ٢-٣ .

(٦) سورة آل عمران ، من آية : ٤ .

والمتشابه ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله ﴾[(١)] و الصنف الآخر هم الراسخون في العلم ، و هؤلاء يقولون ﴿ آمنا به كل من عند ربنا ﴾[(٢)] و ذكرت الآيات ما فعله أهل الكتاب بكتاب ربهم ﴿ و إن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب و ما هو من الكتاب و يقولون هو من عند الله و ما هو من عند الله و يقولون على الله الكذب و هم يعلمون ﴾[(٣)].

كما تحدثت الآيات عن عيسى عليه السلام فذكرت أنه مخلوق مصور في الأرحام كسائر الناس ﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ﴾[(٤)] ،و أن الله صوره في رحم مريم التي اصطفاها الله و طهرها ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك و طهرك و اصطفاك على نساء العالمين ﴾[(٥)] و أكرمها الله بالكرامات و منها﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ﴾[(٦)] و حكى القرآن عن كفالة زكريا لها بعد نذر أمها بأن يكون حملها محرراً لله، وقد أمرها الله عز و جل بعبادته ﴿ يا مريم اقنتي لربك و اسجدي و اركعي مع الراكعين ﴾.[(٧)]

و قد حملت مريم بمولودها بعد أن بشرها الله به عن طريق الملائكة، و سماه لها ﴿ إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾[(٨)] ،وذكرت الآيات أنه كلمة منه، و أن الله خلقه من غير أب، و أن ليس في ذلك ما يقتضي ألوهيته، فقد خلق الله آدم أيضاً على غيرالصورة المألوفة﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾.[(٩)]

و تحدثت الآيات عن معجزات هذا المولود المبارك ﴿ و يكلم الناس في المهد و كهلاً و من الصالحين﴾[(١٠)]،و أنه كما حكى الله على لسانه﴿ أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله و أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله و أنبئكم بما تأكلون و ما تدخرون في بيوتكم ﴾[(١١)]،و كل ذلك من عند الله و بإذنه جل وعلا.

و أشارت الآيات أيضاً إلى نزوله في آخر الزمان، فذكرت في سياق معجزاته أنه ﴿ يكلم الناس في المهد و كهلاً﴾[(١٢)]، و ليس في كلام الكهل إعجاز إلا إذا كان صاحبه قد رفع إلى السماء و لما يبلغ بعد سن الكهولة، أي أنه سيعود مرة أخرى، و يكلم الناس حال كهولته.

---

(١) سورة آل عمران ، من آية : ٧ .

(٢) سورة آل عمران ، من آية : ٧ .

(٣) سورة آل عمران ، من آية : ٧٨ .

(٤) سورة آل عمران ، من آية : ٦ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ٤٢ .

(٦) سورة آل عمران ، من آية : ٣٧ .

(٧) سورة آل عمران ، آية : ٤٣ .

(٨) سورة آل عمران ، من آية : ٤٥ .

(٩) سورة آل عمران ، من آية : ٥٩ .

(١٠) سورة آل عمران ، آية : ٤٦ .

(١١) سورة آل عمران ، من آية : ٤٩ .

(١٢) سورة آل عمران ، من آية : ٤٦ .

و ذكرت الآيات وفاة عيسى عليه السلام[1]، و رفعه إليه ﴿ إني متوفيك و رافعك إلي﴾[2]،و أشارت الآيات إلى نجاته من الصلب في قوله ﴿ و مطهرك من الذين كفروا ﴾ [3]،وقوله﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾[4]

ونعت الآيات الكريمات على أهل الكتاب اتخاذهم لبعضهم أرباباً من دون الله و عبادتهم للمسيح و زعمهم أنه أمرهم بذلك﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله و لكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون ﴾[5]،فدعوة الأنبياء هي التوحيد الخالص لله ﴿ قل آمنا بالله و ما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط و ما أوتي موسى و عيسى و النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[6].

و أوضحت الآيات عقيدة التوحيد، ثم أمرت الرسول الكريم بمباهلتهم إذا لم يذعنوا لهذا الحق﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[7].

و تحدثت الآيات عن الحواريين الذين آمنوا بعيسى عليه السلام فقالوا ﴿ نحن أنصار الله آمنا بالله و اشهد بأنا مسلمون ﴾[8].

و تحدثت عن يحيى عليه السلام ، فوصفته بأنه نبي وسيد ممتنع عن النساء ، و أنه من الصالحين ﴿إن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله و سيداً و حصوراً و نبياً من الصالحين﴾[9].

و هذه الأخبار التي أخبر بها نبينا عليه السلام عن زكريا و يحيى و مريم و ابنها كل ذلك من الغيب الذي اطلع الله عليه محمداً صلى الله عليه و سلم، فدل ذلك على صدق نبوته﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك و ما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم و ما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ [10].

---

(١) انظر خلاف العلماء في وفاة عيسى بين قائل بأنها بعد نزوله من السماء فيكون المعنى: إني رافعك إلي و مطهرك من الذين كفروا و متوفيك بعد أن تنزل من السماء ، و الواو في الآية لا توجب تأخراً في الزمن.

و قال آخرون متوفيك يعني: قابضك إلى السماء من غير موت ، و قال وهب بن منبه " توفى الله عيسى عليه السلام ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه " ، والصحيح كما صح عن ابن عباس و اختاره الطبري و غيره: أن الله رفعه إلى السماء من غير وفاة و لا نوم. الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ٦٤/٤-٦٥.

(٢) سورة آل عمران ، من آية : ٥٥ .

(٣) سورة آل عمران ، من آية : ٥٥ .

(٤) سورة آل عمران ، من آية : ٥٤ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ٧٩ .

(٦) سورة آل عمران ، آية : ٨٤ .

(٧) سورة آل عمران ، آية : ٦١ .

(٨) سورة آل عمران ، من آية : ٥٢ .

(٩) سورة آل عمران ، من آية : ٣٩ .

(١٠) سورة آل عمران ، من آية : ٤٤ .

و الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه و سلم هو الوفاء بالميثاق الذي أخذه الله على سائر أنبيائه ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما ءاتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه قال أأقررتم و أخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا و أنا معكم من الشاهدين * فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾[1]،لأن الله لا يقبل من الناس إلا ديناً واحداً ﴿ إن الدين عند الله الإسلام﴾ [2]، ﴿أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات و الأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون ﴾[3].

و قد سبق هذه الآيات الحديث عن دعوة إبراهيم الحنيفية، فإبراهيم ما كان يهودياً كما لم يكن نصرانياً ﴿ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾[4]،وأما ما يقوله هؤلاء و هؤلاء عن إبراهيم فذلك قول بغير علم و لا دليل و لا بينة .

و تبين الآيات أن أهل الكتاب حادوا عن الحق بعدما عرفوه ﴿ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل و تكتمون الحق و أنتم تعلمون ﴾[5]، و لم تبين الآيات المقصود بالحق هل هو نبوة النبي صلى الله عليه و سلم أم بشرية عيسى و رسالته ؟

كما ورد الحديث عن النصارى في ضربين من النصوص القرآنية الأخرى أولهما :ما جاء في الحديث عن عموم أهل الكتاب. و الثاني: ما جاء في النصارى خصوصاً.

فمما جاء في الحديث عن عموم أهل الكتاب -و إن كان سبب نزول كثير منه اليهود-أن أهل الكتاب قد عرفوا الحق و أعرضوا عنه حسداً لرسولنا صلى الله عليه و سلم﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾[6]،و لذلك فهم يكرهون كل خير للمسلمين﴿ قل يأهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله و ما أنزل إلينا و ما أنزل من قبل و أن أكثركم فاسقون﴾ [7]،و لذلك لن يؤمنوا بهذا النبي و لن يرضوا بدينه ديناً ﴿و لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾[8].

كيف لا و هم يزعمون لأنفسهم مرتبة عظيمة فقد قالوا ﴿ نحن أبناء الله و أحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء﴾ [9]،فأحلامهم بالخلاص المزعوم باطلة،وليست إلا ضرباً من الأماني﴿ ليس بأمانيكم و لا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءً يجز به و لا يجد

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٨٢ .

(٢) سورة آل عمران ، من آية : ٩١ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ٨٣ .

(٤) سورة آل عمران ، من آية : ٦٧ .

(٥) سورة آل عمران ، آية : ٧١ .

(٦) سورة البقرة ، من آية : ١٠٩ .

(٧) سورة المائدة ، آية : ٥٩ .

(٨) سورة البقرة ، من آية : ١٢٠ .

(٩) سورة المائدة ، آية : ١٨ .

له من دون الله ولياً و لا نصيراً ﴾[1]

و دعتهم الآيات القرآنية إلى الالتزام بدين عيسى عليه السلام و هو توحيد الله عز و جل بعد أن بينت في مواضع كثيرة وحدة النبوات في الدعوة إلى التوحيد ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً و الذي أوحينا إليك و ما وصينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه﴾[2] ، ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا و ما أنزل إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب﴾[3].

ووعدت الآيات المؤمنين من النصارى بالجنة ﴿ إن الذين آمنوا و الذين هادوا و النصارى و الصابئين من آمن بالله واليوم الآخر و عمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون ﴾[4].

كما فرقت الآيات بينهم و بين اليهود، و ذكرت قربهم النسبي للمسلمين ﴿و لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾[5]

و قد ذكرت الآيات كافة الموضوعات الجدلية النصرانية :

ففيما يخص ألوهية المسيح حذرت الآيات من الغلو في عيسى ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم و لا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه ﴾[6]،فهذه هي حقيقة المسيح ،فهو لم يدع ألوهية نفسه قط﴿ أأنت قلت للناس اتخذوني و أمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي و لا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب *ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي و ربكم ﴾[7] ،فعيسى بشر رسول ، و أما مذاهب النصارى فيه فهي افتراء ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾[8]،و من افترائهم قولهم:﴿ المسيح ابن الله﴾[9]،و قول آخرين :﴿ إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم و أمه و من في الأرض جميعاً ﴾[10].

و عيسى رسول أرسله الله كما أرسل رسلاً قبله ﴿ و قفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ﴾[11] ، و رسالة عيسى تصديق وتتمة لرسالة موسى الكليم ﴿ و مصدقاً لما بين يدي من التوراة و لأحل لكم بعض

---

(١) سورة النساء ، آية : ١٢٣ .

(٢) سورة الشورى ، من آية : ١٣ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ١٣٦ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ٦٥ ، و قد تكرر المعنى في مواضع منها المائدة : ٦٥ .

(٥) سورة المائدة ، من آية : ٨٢ .

(٦) سورة النساء ، من آية : ١٧١ .

(٧) سورة المائدة ، ١١٦-١١٧ .

(٨) سورة مريم ، من آية : ٣٤ .

(٩) سورة التوبة ، من آية : ٣٠ .

(١٠) سورة المائدة ، من آية : ١٧.

(١١) سورة المائدة ، من آية : ٤١ .

الذي حرم عليكم ﴾[1]، لذا آتاه الله العلم بالتوراة ﴿ و إذ علمتك الكتاب و الحكمة و التوراة و الإنجيل ﴾[2]، و أنزل الله عليه الإنجيل ﴿ و آتيناه الإنجيل فيه هدى و نور ﴾[3]،و قد أيده الله بالمعجزات وجعل ميلاده من غير أب أول معجزاته عليه السلام ﴿ و جعلنا ابن مريم و أمه آية ﴾[4]،و آتاه من الآيات ما ينبغي أن يؤمن له قومه الذين أرسل إليهم ﴿و إذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني و تبرئ الأكمه والأبرص بإذني و إذ تخرج الموتى بإذني﴾ [5]،و من آياته أيضاً علمه ببعض الغيوب ﴿و أنبئكم بما تأكلون و ماتدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾[6]،و من آياته عليه السلام المائدة التي أنزلها الله عليه ﴿ قال الله إني مترلها عليكم ﴾[7]

و كما أيده الله بالبينات أيده بروح القدس جبريل عليه السلام ﴿و آتينا عيسى ابن مريم البينات و أيدناه بروح القدس ﴾[8]

و كانت رسالته عليه السلام إلى بني إسرائيل خاصة ﴿و رسولاً إلى بني إسرائيل ﴾ [9] ،فدعاهم ﴿ يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ﴾ [10] ،و قد انقسم بنو إسرائيل حيال دعوته إلى مؤمن به و كافر ﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل و كفرت طائفة ﴾[11].

و المؤمنون به هم حواريوه عليه السلام الذين قالوا ﴿نحن أنصار الله ﴾[12]،و سجل عليهم القرآن قولهم ﴿هل يستطيع ربك أن يترل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾[13].

و أما غيرهم من اليهود فكادوا عيسى ابن مريم و لم يؤمنوا به، فاستحقوا اللعنة و الغضب ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود و عيسى ابن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾[14] ،و تحدثت الآيات أيضاً بوضوح عن نجاة عيسى من الصلب الذي لم تنف الآيات وقوعه، لكنها أكدت على أن المصلوب غيره عليه السلام ﴿و ما قتلوه و ما

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٥٠ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ١١٠ .

(٣) سورة المائدة ، من آية : ٤١ .

(٤) سورة المؤمنون ، من آية : ٥٠ .

(٥) سورة المائدة ، آية : ١١٠ .

(٦) سورة آل عمران ، من آية : ٤٩ .

(٧) سورة المائدة ، من آية : ١٤٤ .

(٨) سورة البقرة ، آية : ٨٧ .

(٩) سورة آل عمران ، آية : ٤٩ .

(١٠) سورة الصف ، من آية : ٦ .

(١١) سورة الصف ، من آية : ١٤ .

(١٢) سورة الصف ، من آية : ١٤ .

(١٣) سورة المائدة ، من آية : ١١٢ .

(١٤) سورة المائدة ، ٧٨-٧٩ .

صلبوه و لكن شبه لهم ﴾[1] ،و أكدت الآيات قلة علم أهل الكتاب في هذا الموضوع و عدم تيقنهم منه ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن و ما قتلوه يقيناً ﴾[2]،و تذكر الآيات مصير عيسى عليه السلام ﴿بل رفعه الله إليه ﴾[3]،و تذكر الآيات أيضاً نزوله آخر الزمان وإيمان أهل الكتاب به﴿ و إن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾[4].

و من الموضوعات التي ذكرتها الآيات أيضاً عقيدة التثليث التي يعتقدها النصارى،فكفرت قائلها ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة و ما من إله إلا إله واحد و إن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾[5]،و أما القول ببنوة المسيح فلقد كان إفكاً كبيراً ﴿ تكاد السماوات يتفطرن منه و تنشق الأرض و تخر الجبال هداً * أن دعوا للرحمن ولداً * و ما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ﴾[6].

و كانت حقيقة وقدسية الكتب التي يتداولها النصارى أحد الموضوعات التي تعرض لها القرآن، فقد ذكر عنهم أنهم ﴿يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ﴾[7]، ثم بعد ذلك ﴿ يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب و ما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾[8]

ثم مما يطعن في هذه الكتب ما اعتراها من النقص و النسيان ﴿و من الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكّروا به ﴾[9] .

كما ذكرت الآيات أنهم كانوا يخفون شيئاً من كتبهم التي ائتمنهم الله عليها ﴿قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾[10]،ونعت حالهم بتركهم التحاكم إلى الإنجيل الذي أنزله الله، و أمرهم بالتحاكم إليه إذ هو يوصلهم إلى الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾[11]،ووصفت الآيات حالهم فبينت أنهم يعبدون الأحبار الذين يشرعون لهم كيفما شاءوا ،فيتبعوهم ﴿ اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله ﴾[12].

وكان من أهم الموضوعات الجدلية التي ذكرها القرآن البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه و سلم،

---

(١) سورة النساء ، من آية : ١٥٧ .

(٢) سورة النساء ، من آية : ١٥٧ .

(٣) سورة النساء ، من آية : ١٥٨ .

(٤) سورة النساء ، من آية : ١٥٩ .

(٥) سورة المائدة ، آية : ٧٣ .

(٦) سورة مريم ، آية : ٩٠-٩١ .

(٧) سورة البقرة ، آية : ٧٩ .

(٨) سورة آل عمران ، من آية : ٧٨ .

(٩) سورة المائدة ، من آية : ١٤ .

(١٠) سورة الأنعام ، آية : ٩٥ .

(١١) سورة المائدة ، من آية: ٤٧ .

(١٢) سورة التوبة ، من آية : ٣١ .

فقد ذكرت الآيات بشارة عيسى به ﴿ و مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾[1]،و هو النبي الذي بشرت به النبوات ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة و الإنجيل يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التي كانت عليهم ﴾[2].

و لم تذكر الآيات تفاصيل كثيرة عن صفات هذا النبي المذكورة في التوراة و الإنجيل، ولكنها ذكرت نتيجة هامة هي ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم و إن فريقاً منهم ليكتمون الحق و هم يعلمون ﴾[3].

وقد ذكرت التوراة و الإنجيل أصحاب نبينا صلى الله عليه و سلم ، ووصفتهم ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله و رضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة و مثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾[4].

و أكدت الآيات على بعثة هذا النبي لليهود و النصارى كما هو لسائر الناس ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير و لا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير﴾[5].

و نلحظ مما سبق أن القرآن الذي جاءت آياته في مواضع كثيرة منه تدعو للتوحيد و تدل عليه اكتفى في غالب الآيات بعرض معتقد النصارى حيث يظهر قبحه بمجرد عرضه، و خلت هذه النصوص من المناقشات و الردود، و السبب في ذلك أن القرآن هو كتاب هداية و نور، و ليس بكتاب من شأنه الرد على كل مبطل و ناعق.

ولكن مع ذلك نقول:إن القران الكريم طلب من المسلمين مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن ﴿ و لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ﴾[6]،وبين القرآن الكريم للمسلمين أصولاً للجدل و منهجاً فيه ،فأرشد إلى دليل فساد كتب النصارى و بشريتها بتناقضها ﴿ أفلا يتدبرون القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ [7] ،فكان ذلك مرشداً للعلماء المسلمين في سبر الكتاب المقدس ودراسة نصوصه والوقوف على ما فيه من تناقض وتحريف.

و من ذلك أنه فند قولهم بألوهية المسيح بلفت النظر إلى أحواله البشرية من طعام و شراب ،و ما يلزم على ذلك عند البشر و سائر الحيوانات ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل

---

(١) سورة الصف ، من آية : ٦ .

(٢) سورة الأعراف ، من آية : ١٥٧ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ١٤٦ .

(٤) سورة الفتح ، من آية : ٢٩ .

(٥)سورة المائدة ، آية : ١٩ .

(٦) سورة العنكبوت ، آية : ٤٦ .

(٧) سورة النساء ، آية : ٨٢ .

و أمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ﴾ [1].فقام العلماء المسلمون بدراسة كافة أحوال المسيح البشرية واستدلوا بها على عبوديته لله عز وجل.

و من ذلك أيضاً إبطال استدلالهم بميلاده المعجز على ألوهيته ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [2] ،.وكذلك فإن سائر معجزاته عليه السلام تشبه بشكل أو بآخر ما أتى به إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

و القرآن نبه المسلمين إلى خلو دعاوى النصارى عن الدليل،وطالبهم به ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ [3] وفحص العلماء المسلمون دعاوى النصارى المختلفة ، فوجدوها مخافة ومناقضة لما بين أيديهم من الكتب والأسفار.

و نبه إلى دور أحبار النصرانية بإفساد العقيدة و الشريعة ﴿اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ [4]،و نبه أيضاً إلى ضعف أقوالهم و أنها لا تقوم على علم يقيني مؤكداً أنه ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن و ما قتلوه يقيناً ﴾[5].فتنبه العلماء المسلمون إلى المصدر الحقيقي لكافة مزاعم النصارى ومعتقداتهم الباطلة.

و قد أفاد المسلمون من هذه الخطوط العريضة التي أرستها الآيات في أسس مجادلة أهل الكتاب كما سنرى خلال استعراضنا لهذه الجهود .

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٧٥ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٥٩ .

(٣) سورة آل عمران ، من آية : ٩٣ .

(٤) سورة التوبة ، آية: ٣١ .

(٥) سورة النساء ، من آية: ١٥٧ .

الحوار مع النصارى في السنة النبوية

لم تنقل إلينا كتب السنة الكثير من موضوعات الجدال للنصارى،ويعود ذلك لغياب الصلة المباشرة بين المجتمع الإسلامي و المجتمعات النصرانية آنذاك.

وكان أكبر لقاء بين المجتمعين في الحبشة ،ونقلت كتب السنة وقوف جعفر بين يدي النجاشي وبيانه لقول المسلمين ومعتقدهم في عيسى[1] ، كما كانت زيارة وفد نجران للمدينة حدثاً مهماً في هذا الصدد ،فقد أقام الوفد في المدينة بضعة أيام يناظرون رسول الله ويجادلونه ونزل بسبب زيارتهم ما قارب المائة آية .

لكن كتب السنة لم تنقل لنا الكثير عما دار بينهم وبين رسول الله ﷺ ، ومما نقل في ذلك ما ذكره ابن جرير في تفسيره في حديث الربيع « أن النصارى أتوا رسول الله ﷺ ، فخاصموه في عيسى بن مريم ، وقالوا : من أبوه ؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان لا إله إلا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولداً .

فقال لهم النبي : ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه ؟ قالوا : بلى . قال : ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت ، وأن عيسى يأتي عليه الفناء ؟

قال : ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه ؟ قالوا : بلى .

قال : فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً ؟ قالوا : لا .

قال : أفلستم تعلمون أن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؟قالوا : بلى .

قال : فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً إلا ما علم ؟ قالوا : لا .

قال : فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء . فهل تعلمون ذلك ؟ قالوا : بلى .

قال : ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث ؟قالوا : بلى.

قال : ألستم تعلمون أن عيسى حملته امرأة كما تحمل المرأة ، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ، ثم غذي كما يغذى الصبي ، ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث ؟ قالوا : بلى .

قال : كيف هذا كما زعمتم ؟ قال : فعرفوا وأبوا إلا جحوداً ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ ألم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ »[2]

وجاء في رواية أخرى بعضاً مما جرى بين الوفد والنبي ﷺ فقد جاءه بعض الأحبار فقالوا : « أتريد منا أن نعبد كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال : معاذ الله أن أعبد غير الله ، أو آمر بعبادة غيره . ما بذلك بعثني ولا أمرني »[3] .

وفي حديث آخر أنه « جاء راهبا نجران إلى النبي ﷺ ، فعرض عليهما الإسلام ، فقال أحدهما : إنا قد أسلمنا قبلك . فقال : كذبتما . إنه يمنعكما عن الإسلام ثلاثة : عبادتكم الصليب ، وأكلكم الخنزير

---

(١) ذكره ابن خزيمة في صحيحه برقم: ٢٢٦٠ في٤/١٣ ، والحاكم في المستدرك برقم: ٣٢٠٨ في ٢/٣٣٨ ،ووافقه الذهبي على تصحيحه .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١، ٢ ، والحديث في جامع البيان في تفسير القرآن ، ابن جرير الطبري ، ط٢ ، مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٧٣هـ ، ٣ /١٦٣ .

(٣) رواه ابن هشام في سيرته ٢/١٨٠-١٨١ ، والطبري في تفسيره ، ٣/٣٢٥ ، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/٣٨٤ .

، وقولكم لله ولد . قال : من أبو عيسى ؟ وكان لا يعجل حتى يأتي أمر ربه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾[1] » .

وفي حديث آخر أن وفد نجران : « قالوا مالك تشتم صاحبنا ؟ قال : وما أقول ؟ قالوا : تقول : إنه عبد قال : أجل . إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول .

فغضبوا ، وقال : هل رأيت إنساناً قط من غير أب فإن كنت صادقاً فأرنا مثله »[2].فنزلت الآية .

وذكر الطبري بإسناده أن نصارى نجران قالوا:" ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه ؟ قال:بلى.قالوا:فحسبنا.فأنزل الله عز وجل ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ (٣) .

وروى الطبري في تفسيره بإسناده إلى ابن عباس أنه"اجتمعت نصارى نجران وأحبار اليهود عند رسول الله فتنازعوا عنده ،فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً. وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً.فأنـــزل الله ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ﴾ [4] "

كما ذكر المحدثون خروج النبي ﷺ لمباهلتهم ، ونكصهم عنها[5] ،وذكروا أيضاً خبر الكتاب الذي كتبه النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجران في صلحه لهم[6].

ومما جاء في الجدال بين المسلمين والنصارى ما جرى للمغيرة بن شعبة وقد بعثه رسول الله إلى أهل نجران ، فقالوا له « ألستم تقرءون ﴿ يا أخت هارون ﴾[7] ، وقد علمتم ما بين موسى وعيسى ؟ فلم أدر ما أجيبهم ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : أفلا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء الأنبياء والصالحين قبلهم » [8].

ومما جاء في إرساء قواعد الجدل مع النصارى في السنة قول النبي ﷺ "ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم،وقولوا آمنا بالله ورسله،فإن كان باطلاً لم تصدقوه،وإن كان حقاً لم تكذبوه".[9]

وأخبر النبي ﷺ عن تحريف القوم لكتبه كما جاء في حديث ابن عباس الموقوف عليه "يا معشر

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٥٩.والحديث رواه ابن جرير في تفسيره ١٦٣/٣ ، و أبو نعيم في دلائل النبوة ، ط١ ، عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ ، ٢٥٨/٢.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره ، ٢٩٦/٣ .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ١٧٧/٣ ، و الآية من سورة آل عمران ، من آية : ٧ .

(٤) الآية من سورة آل عمران ، من آية : ٦٧ ، والحديث رواه الطبري في تفسيره ٣٠٥/٣ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب : المغازي ، باب: قصة أهل نجران ، برقم: ٤١١٩ .

(٦)أخرجه أبو داود في كتاب: الخراج ، باب: في أخذ الجزية ، برقم : ٣٠٤١ في ٦٧/١/٣،وضعفه الألباني في ضعيفة أبي داود .

(٧) سورة مريم ، آية : ٢٨ .

(٨)رواه مسلم في صحيحه ، كتاب : الآداب ، باب: النهي عن التكني بأبي القاسم ، برقم: ٢١٣٥ ، والترمذي في جامعه في كتاب : التفسير ، باب : ومن سورة مريم ، برقم : ٣١٥٥ .

(٩) رواه أبو داود في سننه ، كتاب: أول العلم ، باب: رواية حديث أهل الكتاب ، برقم: ٣٦٤٤، وضعفه الألباني في ضعيفة أبي داود.

المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله محضاً لم يشب ؟وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتاب الله وغيروا،فكتبوا بأيديهم ،قالوا :هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ".[١]

وأما ما سوى ذلك فلا نكاد نجد لموضوعات الجدل النصراني في السنة ذكراً .

وقد جاء ذكر النصارى في السنة في نصوص كثيرة يجمعها محاور :

أولاً : أحاديث حذرت من فعل النصارى وبدعهم وغلوهم والتشبه بهم في الافتراق أو اتخاذ القبور مساجد.

ومن ذلك قول النبي ﷺ محذراً « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم.قلنا:يا رسول الله آليهود والنصارى؟قال :فمن؟»[٢] .

ويقول :" افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة،وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة".[٣] ،وفي حديث آخر أنه قال:"واختلف من كان قبلنا على اثنتين وسبعين فرقة ،نجا منها ثلاث،وهلك سائرها،فرقة وازت الملوك وقاتلتهم على دين الله ودين عيسى ابن مريم حتى قتلوا،وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك فأقاموا بين ظهراني قومهم فدعوهم إلى دين ودين عيسى ابن مريم فقتلتهم الملوك ونشرتهم بالمناشير ،وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بالمقام بين ظهراني قومهم ،فدعوهم إلى الله وإلى دين عيسى ابن مريم ،فساحوا في الحال وترهبوا"[٤]

ويقول محذراً من صنيعهم « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[٥].

ثانياً : أحاديث تحدثت عن عيسى عليه السلام وصفاته الخلقية وكلامه في المهد ونزوله آخر الزمان وكسره للصليب وإحرامه بالحج ...

ثالثاً : ما جاء في السنة من قصص بعض النصارى السابقين للإسلام كقصة أصحاب الأخدود[٦] ، وقصة جريج الراهب[٧].

رابعاً : ما جاء في السنة من أخبار الوفود النصرانية التي قدمت على النبي كوفود تغلب ووفد الحبشة ووفود عدي بن حاتم الطائي و لم تحمل لنا هذه الأحاديث ذكراً لأي من أغراض الجدل النصراني .[٨]

---

(١)رواه البخاري في صحيحه ، كتاب: التوحيد ، باب: قول الله ﴿كل يوم هو في شأن﴾ برقم: ٧٠٨٥ في ٢٧٣٥/٦ .

(٢) رواه البخاري في كتاب : الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم "لتتبعن سنن من كان قبلكم" ، برقم : ٦٨٨٩ومسلم في كتاب: العلم ، باب: اتباع سنن اليهود والنصارى ، برقم : ٢٦٦٩ .

(٣) رواه أبو داود في سننه ، كتاب: السنة ، باب: شرح السنة ، برقم: ٤٥٩٦ ، والترمذي في سننه ، كتاب: الإيمان ، باب: ما جاء في افتراق الأمة ، برقم: ٢٦٤٠ ، وابن ماجة في سننه برقم: ٣٩٩٣، وصححه الألباني في صحيحة أبي داود برقم:٣٨٤٢ .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك برقم: ٣٧٩٠ في ٥٢٢/٢ ، ولم يوافقه الذهبي ، وأعله بعقيل بن يحيى، وهو منكر الحديث.

(٥) رواه البخاري في صحيحه ، برقم : ٤٢٥ ، ومسلم في صحيحه ، برقم : ٥٢٩ .

(٦) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب: الزهد والرقائق ، باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ، برقم : ٣٠٠٥ ، وابن حبان في صحيحه ، كتاب: الرقائق ، باب الأدعية ، برقم : ٨٧٣ .

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: أبواب العمل في الصلاة ، باب: إذا دعت الأم ولدها في الصلاة،برقم : ١١٤٨ .

(٨) وفي قصة عدي بن حاتم ورد الجدل ٢٥ في قوله "ما نعبدهم" فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "أما كانوا يأمرونكم بالحرام فتلك عبادتهم"

خامساً : ما جاء في السنة من حديث عن كتب رسول الله ﷺ لملوك النصارى كهرقل والمقوقس وغيرهما وفي ذلك كله دعوة لهم للإسلام وإتباع الدين الحق .

المؤلفين

عرض لجهود ... المكتوبة خلال ثلاثة عشر قرناً

وفيما يلي تعريف بالجهود الإسلامية التي تيسر لي الإطلاع عليها مباشرة أو عبر بعض الكتب الإسلامية، لنقف على موضوعاتها ومنهج أصحابها في جدال النصارى و تفنيد باطلهم .

وتنتمي هذه الردود إلى ثلاثة مناهج متباينة، ولسوف نعرضها حسب انتماءات أصحابها العقدية، فنبدأ بأئمة أهل السنة والجماعة وعلماء السلف الذين ردوا على النصارى ، وسوف أجعل منهم أولئك الذين لم أجد في ترجمتهم من ألحقهم بالمذاهب المختلفة، كما لم يتبين لي أي انحراف في معتقدهم عن عقيدة السلف الصالح، والذي يدفعني لذلك إحسان الظن بالمسلمين وأن الأصل فيهم البراءة من الدخن .

ثم أتبع التعريف بردود الأشاعرة ثم المعتزلة. وننبه هنا إلى أن ذكرنا لهؤلاء لا يعني موافقتهم في كل مايذكرونه حتى في باب الرد على النصارى، فقد صدرهؤلاء في ردودهم عن مدارسهم الكلامية، لكنا نثبت ذلك عرضاً لهذه الجهود مراعاة للأمانة العلمية، ونحاول التنبيه على هذه المواضع ولو على سبيل الإختصار.

أولاً: الردود الإسلامية التي يعتقد أصحابها عقيدة السلف.

*علي بن ربن الطبري.

و الطبري نصراني أسلم على يد المعتصم، و عمره سبعون سنة، وكان قد قربه المتوكل و جعله من ندمائه، وكانت وفاته بعد سنة مائتين و أربعين هجرية . [١]

وله كتابان :الأول : " الرد على النصارى "،وقد ذكره في كتابه الثاني " الدين و الدولة في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه و سلم ". [٢]

الكتاب الأول " الرد على النصارى "،وهو أول كتابيه ،فقد ذكر هذا المؤلف في كتابه الثاني " الدين و الدولة " مرتين ، واطلع عليه الشرفي، وذكر بأن فيه بياناً وجيزاً لعقيدة الإسلام .أتبعه الطبري بذكر سبعة أسئلة تتعلق بالتثليث وألوهية المسيح والأمانة التي أصدرها مجمع نيقية.

وفي هذه الأسئلة كان الطبري يسأل ويجيب ناقداً عقائدها مستخدماً النصوص الكتابية،وقد فهمها وفق مقتضى أصحاب العقول الرشيدة .

ثم تحدث عن اثني عشر وجهاً تتعلق بصفات الله لا يختلف فيها اليهود و النصارى.

والكتاب الثاني : " الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم "، وقد ضمنه المؤلف مقدمة تحدث فيها عن وجوه الخبر و الإجماع، فجعل الأخبار على ضربين :حق و باطل. و بحسب أوقاتها ثلاثة : ماض و قائم و خبر منتظر قد يصدق وقد يكذب.

---

(١) انظر ترجمته في تاريخ الأمم والملوك ، الطبري ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار المعارف ، مصر ، ص ٩/٩٠-٩٦ ، الفهرست ، ابن النديم ، ص٣٥٤.

(٢) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، تحقيق: عادل نويهض .ط١ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٣٩٣ .

و تحدث عن مراتب الإجماع العامي ، فذكر أن ما أجمعت عليه الأمم من حيث الكثرة خمس مراتب، ذكرها ،ثم توصل إلى نتيجة " أن قبول كل إجماع فتنة،ورد كل إجماع ضلالة،و أن الإجماع وحده ليس بكاف في تثبت النبوة دون شاهدات الحق و أماراته التي جمعها الله للنبي صلى الله عليه و سلم ،فمن أراد حقائق مثل هذه الأخبار و تعديلها،احتاج إلى أن يفهم الخبر الوارد عليه،ويتدبر غرضه و عواره، فإن وجد مكذبه فيه و مبطله معه لم يحتج إلى برهان غيره،و ذلك كخبر مسيلمة......"

فأكد الطبري على أن الخبر قد يحمل في ذاته دلائل كذبه و مثل له بأمثلة ، منها أن رجلاً سأل معاوية ألفي جذع لبناء داره " فقال له معاوية : على كم دارك؟قال: على فرسخين في فرسخين قال: هي في البصرة أو البصرة فيها ؟ قال: بل هي في البصرة. قال معاوية : فالبصرة كلها أقل من فرسخين فكان في نفس خبره ما يشهد ببطلانه ...فهكذا فليفعل من أحب تصفية أخبار الأنبياء و تميزها ،فليبحث عن شهادات الحق ومقاييس العبر " .

وقد و جد الطبري في نبوة النبي صلى الله عليه و سلم ما يشهد لصدقه، وذلك من خلال عشرة معاني وزعها على أبواب كتابه العشرة، ثم يختم مقدمته بسؤال النصارى عن علة تكذيبهم للنبي صلى الله عليه و سلم ،ويجيب عنهم بأن "ذلك لثلاث خصال **أولاهن** : أنا لم نجد أحداً من الأنبياء تنبأ عليه قبل مجيئه. و **الثانية** : أنا لم نجد في القرآن ذكر آية و لا نبوة لمن جاء به. **والثالثة** :أن المسيح أنبأنا أن لا نبي بعده"،وقد فند هذه الخصال الثلاث مستشهداً بكتب الأنبياء وما ورد فيها من بشارات.

وقد كانت موضوعات أبواب الكتاب كالتالي:

الباب الأول: في توحيده عليه السلام مع دعائه إلى ما دعا إليه إبراهيم و جميع الأنبياء ،و استدل لذلك بآيات كثيرة من القرآن الكريم تذكر توافق الأنبياء في الدعوة إلى التوحيد.

الباب الثاني:في فضائل سننه و شرائعه، فذكر بعضاً من شرائع الإسلام كالزهد في الدنيا و الورع و الوفاء و..... و غيرها التي سبق إليها رسول الله صلى الله عليه و سلم وطبقها بعمله،واستدل بكثير من آيات القرآن و أفعال رسول الله صلى الله عليه و سلم .

الباب الثالث:في آيات النبي صلى الله عليه و سلم التي ردها و جحدها أهل الكتاب وذكر فيه بعض معجزات النبي صلى الله عليه و سلم متفرقة كالإسراء،وكلام الذئب،و بركة طعامه صلى الله عليه و سلم.

الباب الرابع:في أنه عليه السلام حكى أموراً غائبة عنه تمت في أيامه كدخول المسجد الحرام،و إخباره خالداً ابن الوليد بمكان الأكيدر و حاله، وكذا إخباره بموت النجاشي في يومه.

الباب الخامس:في نبوءات النبي صلى الله عليه و سلم التي تمت بعد وفاته كما في ظهور دينه على سائر الأديان،و إخباره بشهادة عمر و عثمان وما جرى بين أصحابه الكرام و غير ذلك كثير.

الباب السادس: في أمية النبي صلى الله عليه و سلم، و أن الكتاب الذي أنزله عليه و أنطقه به آية للنبوة ،فذكر أن بلاغة النبي صلى الله عليه و سلم و عجائب كتبه اجتمعت مع أميته صلى الله عليه و سلم ،فدلت على نبوته، و قارن بين الأديان و ما في كتب النصارى و اليهود من حيث المحتوى ،فوجد أنه لو جاء بالقرآن أديب خطيب لكان ذلك آية من آيات الله ،كيف و قد اجتمع إليه ذلك عليه الصلاة و السلام وهو أمي، فإن ذلك يشهد بصدق نبوته و رسالته.

الباب السابع:في أن غلبة النبي صلى الله عليه و سلم آية من آيات النبوة. وذكر فيه غلبته و أمته على الدنيا و على الرغم من " أن الغلبة أمر مشترك في الأمم، و ما كان مشتركاً فليس بآية من آيات النبوة ،لكن غلبته كانت باسم الله، فنصره على عدوه إما أن يكون من الله أو من الشيطان، و لا يجوز عقلاً أن ينصر الشيطان من حاربه و أذله " .

الباب الثامن:في أن الداعين لدينه و الشاهدين بحقيقة أمره كانوا خيار الناس و أبرارهم ،فذكر فيه زهد أبي بكر و عمر و عثمان و علي و عمر بن عبد العزيز ،و غيرهم من السابقين إلى الخيرات .

الباب التاسع:في أنه لو لم يظهر النبي صلى الله عليه و سلم لبطلت نبوة الأنبياء ،و ذلك أنه وردت نبوءات عن هؤلاء الأنبياء تحققت في بعثة نبينا الكريم، فمن أنكر نبوته فقد منع تحقق هذه النبوءات ،و منها نبوءة لإبراهيم و اثنتان ألحقت بها لهاجر أم إسماعيل، و هذه البشارات خاصة بولده إسماعيل و ذريته، ثم ذكر بشارتان أخريان يدخل فيهما سائر أبناء إبراهيم .

الباب العاشر:و هو أطول أبواب الكتاب في نبوات الأنبياء عليهم و على نبينا أفضل الصلاة و السلام، و قد تابع في هذا الفصل ما قد بدأه في الفصل السابق من ذكر نبوءات الأنبياء عن الرسول صلى الله عليه و سلم، فوفاهنّ ستين نبوءة موزعة على كتب الأنبياء و المزامير و الأناجيل و ملحقاتها، و ختم هذا الفصل بالرد على بعض ما يثيره النصارى ،فرد على:

- من ذكر أن المهاجرين و الأنصار دخلوا في الدين من غير آية.
- من عاب الإسلام سنة من سننه و شريعة من شرائعه.
- من أنكر مخالفة النبي صلى الله عليه و سلم موسى و المسيح في تغير سنن التوراة و الإنجيل.
- من زعم أن القيامة لم يذكرها أحد غير المسيح عليه السلام، ثم ختم بالدعوة إلى الإسلام و مقارنة الإسلام بغيره من الديانات السابقة.

و الطبري في كتابه هذا يظهر معرفة كبيرة بالنصوص الكتابية إضافة إلى قدرته على توجيه هذه النصوص ،و بيان مواضع الدلالة فيها،هذا و أنبه إلى وجود اختلاف كبير في كثير مما نقله الطبري من نصوص كتابية عما ورد في الترجمات الحديثة للكتاب المقدس،ومرد ذلك ولا ريب يرجع إلى ما تعرض له الكتاب المقدس في طبعاته وترجماته الحديثة من التحريف والتبديل.وقد اعتمد على نصوص ابن ربن جل علمائنا الذين ردوا على النصارى .

***الحسن بن أيوب**

والحسن بن أيوب نصراني أسلم على يد المعتصم،قال عنه شيخ الإسلام: " من أعلم الناس بمقالاتهم،..كان من علمائهم ،وأسلم على بصيرة بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم "، وكانت وفاته في سنة ثمان وسبعين و ثلاثمائة للهجرة .[1]

---

(١) انظر بعضاً من ترجمته في الفهرست ، ابن النديم ، ص٢٢١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ١/ ٣١٣ .

وله رسالة كتبها لأخيه النصراني علي بن أيوب يدعوه فيها للإسلام .[1]

وقد أثبت هذه الرسالة المهمة شيخ الإسلام في كتابه القيم"الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح "، وشغلت منه ما جاوز الأربعين صفحة .

ويذكر المؤلف في مقدمة رسالته أنه بقي عشرين سنة والشك يداخله في دينه ،وهو مستبشع له، وشرح أسباب انتقاله للإسلام ،فقال "فلم أدع كتاباً من كتب أنبياء التوراة والإنجيل والزبور وكتب الأنبياء والقرآن إلا نظرت فيه وتصفحته،ولاشيئاً من مقالات النصرانية إلا تأملته،فلم أجد للحق مدفعاً،ولا للشك فيه موضعاً،ولا للأناة والتلبث وجهاً،خرجت مهاجراً إلى الله عز وجل بنفسي ..."، ثم شرع يذكر الفرق النصرانية مبيناً ما اتفقوا عليه و ما اختلفوا،ثم ذكر الأمانة مبيناً ما فيها من مخالفة للمعقول.

ودعا النصارى للتأمل و التدبر في أحوال المسيح و المصلوب ،ليبطل من خلالها ألوهية المسيح و صلبه، و يذكر الحسن من أقوال معاصري المسيح ما يفند القول بألوهيته عليه السلام.

ثم ذكر النصوص الموهمة التي توهم منها النصارى ألوهية المسيح ،وتأولها على وجوه تنفي كل دلالة لها على معتقدات النصارى .

و هو يتوجه لأخيه النسطوري فيخاطبه مذكراً إياه بما يرفضه من معتقدات اليعقوبية و التي هي أقرب للأمانة من معتقدات سائر فرق النصارى ، وذكر تمثيل النصارى للتثليث بالشمس و ضوءها و حرها، وأبطله، ثم ناقش عقيدة الفداء ،و ذكر مخالفتها للنصوص الكتابية و ما يترتب عليها من أثر في حياة العُصاة .

و استعرض بعضاً من معجزات عيسى، و بين وقوع أمثالها من غيره عليه السلام، و أثبت بشريته من خلال أقواله و أفعاله و أقوال حوارييه، ثم رجع لنقد النصوص المُشكلة و الموهمة ، و تأولها بعيداً عن تفاسير النصارى منتصراً لتأويله و مدللاً عليه بما جاء من نصوص كتابية أخرى اشتركت معها في ذكر ألفاظ الحلول، و النبوة، أو الأبوة، و لم يقل النصارى بألوهية من تحدثت عنهم هذه النصوص .

ثم ختم رسالته بدعوة أخيه إلى توحيد الله، و نبذ الشرك، و توجه إلى الله بالدعاء أن يتم عليه تسديده،و أن يحييه و يميته على الإسلام فهو على كل شيء قدير .

وتعتبر هذه الرسالة من أهم الردود الإسلامية في القرون الأولى، و أهميتها ليست فقط لإجادة مؤلفها للجدل العقلي، بل أيضاً لمعرفته الواسعة بالنصوص الكتابية و حجج القوم المختلفة و ممازجته بين هذين النوعين من الاستدلال، و هذا ما نراه واضحاً لأول مرة في الردود الإسلامية .

و قد أفاد من بعده كثيراً منه و خاصة شيخ الإسلام ابن تيمية الذي أورد الرسالة كاملة في كتابه " الجواب الصحيح "، كما أفاد منها المهتدي نصر بن يحيى المتطبب في كتابه " النصيحة الإيمانية " .

***أبو الوليد الباجي**

والباجي هو الإمام سليمان بن خلف الأندلسي،قال عنه الذهبي: " الإمام العلامة الحافظ،ذو

---

(١) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/٣١٣-٣/٤.

الفنون ،القاضي " ،وقد توفي سنة أربعمائة وأربع وسبعين للهجرة .[1]

وله في الرد على النصارى رسالة رد فيها على راهب فرنسا[2]،وقد كتب الباجي هذه الرسالة بعد أن وجه راهب فرنسا رسالة للمقتدر أمير سرقسطة يدعوه فيها للدخول في النصرانية ليحصل له النجاة في الآخرة ،و عظم النصراني في رسالته دينه مبرزاً دور عيسى في إنقاذ البشرية من هلكة إبليس بدمه الطاهر، و أكد أصالة عقيدة (الالتحام المقدس) حيث جاءت بها الكتب السابقة، و لم يذكر دليلاً عليه، و طلب جواباً على رسالته بكتاب فإن لم يتيسر ذلك فليكن الجواب عن طريق الرسولين حاملي رسالته، و الذي يظهر أن مهمتهما كانت ليس مجرد حمل الرسالة ،بل كانت مهمة الوفد " أن يوردا عليك – المقتدر – كلاماً إلهياً على ما يوفقهم الله إليه، و يشرحون إليك حقيقة دين النصارى ، و يقررون عندك معرفة المسيح سيدنا الذي لا ينبغي الإيمان بأحد سواه ...."

و أما جواب القاضي عليها فيبدأ بعبارات تلطف للراهب مذكراً إياه بأهمية الرجوع إلى الحق و الحرص عليه.

و يذكر الباجي أن ما أتى به رسل الراهب هذه المرة، و في مرات سابقة إنما هو من المحال الذي قد يظن الراهب أنه يجوز على ضعفاء المسلمين كما يجوز على النصارى، و كان جواب الأمير حينذاك الإعراض رجاء عودة الراهب للحق، ثم شرع يتعرض لموضوعات رسالة النصراني و يرد عليها ،و كان أهم ما تطرق له:

*عدم وجود أي نص يدل على الالتحام المقدس في الكتب السابقة.

*إثبات بشرية عيسى بدلالة أفعاله البشرية بل و حتى معجزاته حيث وقع من غيره من الأنبياء أمثالها.

*إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم بدلالة معجزاته و شريعته و أخلاقه عليه الصلاة و السلام.

*أهمية الفداء المزعوم و مبرراته و أثره على الإنسانية ،و ناقش بسخرية لاذعة القول بموت الإله من غير أن يراعي تفسيرات الفرق النصرانية لموت المسيح.

*أن الكتب النصرانية مليئة بالمتناقض و الغرائب و التلفيقات، واكتفى بمثال واحد للتناقض ألا و هو نسب المسيح بين متى و لوقا.

و في خلال طرقه لهذه الموضوعات تحدث الباجي عن قلة العلم عند النصارى ،وأن سببه بعدهم عن المناظرة و المحاورة، و دعاهم إلى الخروج عن الإلف و العادة، و النظر في شريعة الإسلام و الإيمان به، ودعا الراهب إلى عدم الحرص على مكانه في قومه.

و ختم الرسالة بذكر بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن عاقبة الاستكبار و الظلم بتكذيب آيات الله ،و تدعوه بدعوة القرآن لأهل الكتاب ﴿ قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ألا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئاً و لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ١٨ /٥٣٥ ، وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ٤٨/٢ ، تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، ١١٧٨/٣.

(٢) رسالة راهب فرنسا للأمير المقتدر بالله ، ورد الباجي عليها، تحقيق: محمد الشرقاوي ، دار الصحوة ، ١٤٠٦هـ .

مسلمون ﴾ [1]

***أبو عبيدة الخزرجي.**

و أبو عبيدة الخزرجي هو أحمد بن عبد الصمد الخزرجي الساعدي، من فقهاء الأندلس، ولد في قرطبة، و اشتهر في شبابه بالذكاء و النبل و حفظ الأحاديث و الإلمام بالتواريخ و القصص و الأدب ، و انتقل إلى غرناطة ثم بجاية ثم استوطن فاس، و مات بها، و كانت وفاته سنة اثنتين و ثمانين و خمسمائة هجرية[2].

و له كتابه المشهور باسم " مقامع هامات الصلبان، و مراتع روضات الإيمان "، و قد حققه محمد شامة و طبعه بعنوان " بين الإسلام و المسيحية ، كتاب أبي عبيدة الخزرجي " [3] و ألجأه إلى ذلك ما وقع من خلاف في عنوان الكتاب بين نسخ الكتاب المختلفة.

و قصة هذا الكتاب كما أوردها ناسخ النسخة التي اعتمد عليها محمد بن شامة في تحقيقه و هي أنه " لما نفذ القضاء من الله تعالى على قرطبة باندثار ملكها و تفرق أهلها عنها لتتابع ضنكها ألحق بطليطلة صبياً من آل عبد الحق يوصف بالذكاء، و كان بها قسيس من القوط يكثر الاعتراض في الدين على نفر كانوا تابعين له من المسلمين، فجعلوا يرفعون أسئلتهم إلى الصبي فيجيبهم الصبي عليها، فيرجعون بذلك إلى القسيس، فأنكر إجابتهم لعلمه أنهم ليسوا من أهل الذكاء، فاستفتاهم فأعلموه بذلك، فكتب القوطي إليه كتاباً، و سألهم أن يوصلوه إليه، و يأتوا منه بجواب " و ساق رسالة كتبها القوطي إلى الخزرجي ثم " لما وقف الصبي على هذه الرسالة زجر موصليها ،و امتنع عن مراجعة القسيس تخوفا منه، لكونه يومئذ بين ظهرانيهم، و في كنه ديانتهم ،فألحوا عليه في الجواب.و في خلال ذلك حان موعد سفره عنهم ،فكتب هذا الجواب المسمى " بمقامع الصلبان، و مراتع روضات الإيمان "و تركه عندهم و مضى ".

و أما رسالة النصراني فهي تشتمل على عرض لمعالم الدين النصراني، و دعوة منه للخزرجي إلى الدخول في دينه كما فيه إثارة لبعض الشبهات يقارن فيها بين الإسلام و النصرانية، و يفضل فيها النصرانية من خلال هذه المقارنات التي كان موضوع بعضها الشرائع و أخرى المعتقدات.

و جاء كتاب الخزرجي رداً على النصراني في جميع ما أثارته رسالة القوطي النصراني، و بدأه بالاعتذار عن عدم مجاوبة القسيس مما يرى من ركاكة مقالة النصارى، و حكى بعضاً من أقوال العقلاء في ذم النصرانية على اختلاف مللهم، فذلك يرى عدم أهلية النصارى لسماع مقالته ، و لما يرى من أن " الالتفات إلى ما لديكم يخل بعقل الإنسان و دينه ".

ثم شرع في إبطال ما ورد في رسالة النصراني ،فأبطل أدلة النصارى على حلول الله في المسيح، و كذا النصوص التي توهم النصارى ألوهيته، و كذا أبطل الأدلة النصية على التثليث.

ثم تعرض لتناقضات الأناجيل، فذكر أمثلة لها، و تساءل عن الإنجيل الذي أنزله الله أين هو؟ و أين

---

(١) سورة آل عمران ، آية: ٦٤ .

(٢) انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ، صلاح الصفدي ، ٦٦/٧ ، الديباج المذهب في معرفة أصحاب المذهب ، ابن فرحون المالكي ، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، ص ٢١٥-٢١٦

(٣) بين الإسلام و المسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، تحقيق: محمد شامة. مكتبة وهبة. القاهرة.

كلماته من بين هذه الكلمات؟ فما هذه الأناجيل " إلا حكايات و تواريخ و كلام كهنة و تلاميذ و غيرهم حتى أني أحلف بالذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلاً من الأناجيل، و يعتمد عليه العاقل أكثر، مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبني عليه شيء من أمر الدين ، و إنما هو فكاهات المجالس ".

ثم تحدث عن حادثة الصلب ،و تعرض لها بنقد صارم أبطل من خلالها أن يكون المصلوب عيسى، و وضع احتمالات مختلفة لما حصل في تلك الليلة مستشهداً على صحة فكرته بالنصوص الكتابية و العقلية و التاريخية .

و هو بذلك ثاني رد إسلامي تعرض لنقد حادثة الصلب بعد القاضي عبد الجبار، ويمتاز الخزرجي بأنه قدم محاولة جريئة و ناجحة لنقد مسألة صلب المسيح اعتمد عليها جميع من جاء بعده ممن تعرض لهذه المسألة.

ثم أسهب في الرد على شبه النصراني فكان رده مشتملاً على عدد من قضايا إعجاز القرآن الكريم و معجزات نبينا محمد صلى الله عليه و سلم المختلفة .

و ذكر أيضاً من النصوص الكتابية الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه و سلم ما قارب الأربعين نصاً من الكتب المقدسة عند النصارى .

ثم ختم كتابه بخاتمتين ،و لعلهما أو أحدهما من قول الناسخ و المراجع للكتاب كما في بعض النسخ، الأولى :تتحدث عن أفعال عيسى البشرية و التي تنفي عنه الألوهية بكل حال، و الثانية: فيها بعض ما تعرض له المسيح من الأذى و السفه من اليهود، و كل ذلك مؤذن بعدم ألوهيته، بل ببشريته و رسالته.

***نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب المهتدي.**

و نصر بن يحيى طبيب نصراني أسلم بعد نظر و بحث و دراية، ثم كتب " النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية " [1] و اشتهر بالمهتدي [2]يقول محقق النصيحة: "و لم تذكر التراجم سنة وفاته، و لم تشر المخطوطة إلى عصره أو ما يدل عليه و لو تخميناً ".

و تحدثت كتب التراجم عن طبيب نصراني اسمه يحيى بن يحيى بن سعيد المتطبب توفي سنة خمسمائة و تسع و ثمانون هجرية ،وكان أديباً شاعراً عارفاً بالطب، و يفترض محمد الشرقاوي محقق الكتاب أنه مؤلف " النصيحة "، و أن تصحيفاً وقع بالاسم، و يستند في هذا الغرض إلى أن صاحب النصيحة عاش بعد سنة٤٤٩هـ ،لأنه نقل مقطوعة من شعر المعري، و أنه طبيب تجلى في كتابه الجزالة و الفخامة و حسن السبك و تخير العبارة مما يؤكد مقدرته الأدبية، فلو تحقق الافتراض فإن نصر بن يحيى كانت وفاته

---

(١) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى المتطبب ، تحقيق محمد الشرقاوي ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٤٠٦.

(٢) انظر هدية العارفين ، إسماعيل باشا البغدادي ، ٤٩٢/٦ .وانظر ترجمة يحيى بن يحيى في شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٨٦/٤ ، معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ٤٠/٢٠-٤١ ، معجم الأطباء ، أحمد عيسى بك ، ط١ ، مطبعة فتح الله إلياس نوري ، ١٣٦١هـ ، ص٥١٧ .

بالبصرة سنة٥٨٩ هـ.[1]

وتبدأ "النصيحة" بحديث عن فضل الله في هداية صاحبها بعد نشأته على ملة أبويه النصرانيين، وقدم لرسالته فذكر أنها "مختصرة توضح عقيدتهم،و تظهر أمرهم ،و تثبت كفرهم".

وأما فصول الكتاب الأربعة فتحدث في الأول منها عن فرق النصارى الثلاث و اعتقادهم في طبيعة المسيح، و أمثلتهم التي ضربوها للتثليث.و في المبحث الثاني من هذا الفصل أبطل معتقداتهم،ودحضها معتمداً على الدليل العقلي ،ثم ذكر أمانة النصارى ونقدها.

وفي الفصل الثاني من كتابه تحدث عن تناقض كلام النصارى و دعاويهم و اختلاف أقوالهم، فأبطل قولهم بالاتحاد على أي صورة، و نقد استدلالاتهم النصية معتمداً على النصوص الكتابية، و تعرض في خاتمة الفصل لعقيدة الفداء و الخطيئة .

و في الفصل الثالث ذكر معجزات المسيح عليه السلام و ادعاء النصارى ألوهيته، و ذكر ما كان لغيره من الأنبياء من المعجزات، و استعرض فيه معجزات عيسى، و ذكر أنها مسبوقة بمعجزات غيره من الأنبياء، و أن هذه المعجزات هي من الله.ثم سرد النصوص التي تثبت بشريته و نبوته بشهادة الأناجيل و الكتب الملحقة به مظهراً معرفة كبيرة بالنصوص الكتابية و قدرة كبيرة على استحضارها، ثم تعرض لبعض ما يتعلق به النصارى من نصوص فهموا منها ألوهية المسيح أو حلول الله فيه، و أبطلها بالنصوص الكتابية و الاستدلالات العقلية .

وأما الفصل الرابع فخصه المؤلف لذكر الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة والإنجيل و غيرهما .

وفي بداية هذا الفصل تعرض للشبهة التي يثيرها النصارى و هي أن محمد صلى الله عليه و سلم جاء بالسيف دون المعجزات، و أن أحداً من الأنبياء لم يبشر به، فرد عليها مذكراً بمعجزة القرآن الكريم، و أن مشروعية القتال كانت " بعد ظهور المعجزة و قيام الحجة و وضوح الدلالة " ،و قارن بين القرآن الذي وقع به التحدي و أخبار التوراة و الإنجيل التي تحوي الكثير من الغث، و ضرب لذلك الأمثال .

ثم ذكر أربع بشارات من العهد القديم استدل بها على نبوة نبينا صلى الله عليه و سلم ، و ختم كتابه بتكرار الحمد لله على نعمة الإيمان ، و ذكر بعض الآيات القرآنية التي يدعو بها لنفسه رحمه الله .

و قد أفاد نصر بن يحيى في كتابه هذا من رسالة المهتدي الحسن بن أيوب في مواطن مطولة من رسالته، و كذا كان من أهم مراجعه كتاب "الدين و الدولة" للطبري، و يجزم الدكتور الشرقاوي برجوع نصر بن يحيى إلى مؤلفات القاضي عبد الجبار لاتفاقهما في بعض المسائل و طريقة طرحها.

---

(١) ولا نرى لهذا الافتراض وجهاً، إذ من الصعب أن يتصحف يحيى إلى نصر،كما أن أصحاب التراجم لم يذكروا إسلامه،فضلاً عن أن يذكروا بأن له كتاباً في الرد على النصارى. انظر: سير أعلام النبلاء ، الذهبي ١٨٨/١٩ ، البداية و النهاية ، ابن كثير ١٧/١٢ ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ابن أبي أصيبعة ، تحقيق : نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ م ، .

*أبو البقاء صالح بن الحسين بن محمد الجعفري

لم يحظ الجعفري على أهمية كتبه بكثير رعاية عند أصحاب التراجم . فقد ذكروا أنه صالح بن الحسين الجعفري الزيني " كان رئيساً نبيلاً عارفاً بالأدب ، ولي قضاء قوص مدة " ، وكانت وفاته سنة ستمائة وثمان وستون هجرية .[1]

وله كتابات في الرد على النصارى : أولهما كتاب " تخجيل من حرف الإنجيل "[2] وقد طبع هذا الكتاب ونشر في مطلع هذا القرن ، و لم أستطع العثور عليه،وقد حقق وطبع مؤخراً ،ووصل إلى يدي والرسالة ماثلة للطبع . فاكتفيت باختصاره الموسوم " بالمنتخب الجليل " للسعودي ، وسيرد في محله ، كما يعتبر كتابه الثاني اختصاراً له وتنقيحاً لما فيه كما ذكر ذلك محققه . وهذا الكتاب أي الثاني هو " الرد على النصارى "[3] ،وأما كتابه الثالث فهو " العشر المسائل " وله عنوان آخر " الواضح المشهود في فضائح النصارى واليهود "[4] ، وهو أيضاً تلخيص للتخجيل.

وسبب تأليف الكتاب أن المؤلف " وقف على مسائل ذُكر أن الفرنج بعثوا يمتحنون بها أهل الإسلام ، فنظرت فيها فإذا هي خالية في الفوائد الدينية عاطلة عن المنافع الدنيوية ، أقرب الأشياء شبهاً بخرافات النسوان وترهات الولدان كسؤالهم عن الماء : هل له لون أم طعم أم لا ..."

لكن المؤلف اكتفى بالإجابة عنها باعتبار ما سألوه " هو صفر عن الفائدة ، خلي عن الحكمة ". كما أحالهم على إجابات " ضعفاء طلبة العلم وصغار الفقهاء في أصحابنا " ، وسبب تجاهله لأسئلتهم السخيفة انشغاله بإلقاء" مسائل في إنجيلهم " ومطالبته إياهم بالجواب عليها .

وكانت المسائل التي طرحها عليهم سبع مسائل كونت أبواب الكتاب السبعة حيث تناول في المسألة الأولى زعم النصارى بأن المسيح ابن الله وقلب المعاني المحتملة لهذه الكلمة ، ثم أبطلها جميعاً أو أبطل اختصاص المسيح بها مستخدماً الأدلة العقلية تارة والأدلة الكتابية تارة أخرى .

وفي المسألة الثانية ناقش مسألة الاتحاد ، مستخدماً السبر و التقسيم ،فذكر الوجوه المحتملة للاتحاد ، فأبطلها سوى معنى واحد هو الاتحاد على سبيل المحبة والموافقة بإجابة الدعوة ، ولكن ذلك يشركه فيه الأنبياء والمرسلون والصالحون الذين أجاب الله دعاءهم وأيدهم بالمعجزات كما وردت بذلك النصوص الكتابية .

وفي المسألة الثالثة تحدث في إبطال دعوى القتل والصلب ، واستلزمت منه هذه المسألة التحدث أولاً عن حقيقة المسيح الذي اختلفت فيه الفرق النصرانية ، وقد شكك الجعفري في زعم النصارى بصلب

---

(١) انظر ترجمته في ذيل مرآة الزمان ٢٩ / ٤٣٨ ؛ الوافي بالوفيات ، ابن خلكان ١٦ / ٢٥٦ – ٢٥٧ .

(٢) انظر المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، السعودي . مخطوط له صورة في مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، برقم : ١٥ع .

(٣) الرد على النصارى لأبي البقاء الجعفري، تحقيق د. محمد محمد حسانين ،ط مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٩ هـ .

(٤) الكتاب ما يزال مخطوطاً وهو محفوظ بمكتبة المتحف البريطاني. انظر كلام محمد محمد حسانين محقق : " الرد على النصارى ، الجعفري "، ص ٩ .

المسيح ، واعتمد في ذلك على عدم تواتر القصة ، وأورد ثماني حجج استنبطها من الروايات الإنجيلية ليصل إلى نتيجة أن المصلوب ليس عيسى .

ثم عاد فنال من الروايات ، واعتبرها كذباً صراحاً بدلالة الكذب الذي لا يدفعه أحد ، وذلك في عدم تحقق آية يونان النبي في المكث في الأرض ثلاث ليال وثلاثة أيام (انظر متى ١٢/٣٨-٤٠)

وأما المسألة الرابعة فجعلها لإبطال دعوى الثالوث ،واستند في ذلك على عدم الدليل على حصر الأقانيم بثلاث ، وتساءل هل الإلهية لكل من الأقانيم الثلاثة أم الجميع إله واحد أم الإله واحد منها والباقي صفات له ؟ وذكر ما يلزم على كل قول منها من لوازم عقلية تنقض أمانة النصارى ودينهم .

وفي المسألة الخامسة تحدث عن تناقض الأناجيل وعرض ذلك من خلال دراسة ثلاثة عشر نصاً إنجيلياً تناقض فيه النص مع بعضه أو مع نص آخر أو كذبه الواقع.

وفي المسألة السادسة تحدث في إثبات بنوة المسيح عليه السلام ، وكان مقصده في هذه المسألة ترغيم أنوف اليهود والنصارى على السواء ، فكلاهما أبعد القول في المسيح ، فاليهود كذبوا معجزاته ورموه بالسحر مع أن كل ما قالوه في عيسى ينعكس عليهم في معجزات موسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام .

وأما النصارى القائلون بألوهية عيسى فأقوال المسيح وتلاميذه تكذبهم وكذا أقوال معاصريه ، بل سائر النصوص الإنجيلية تثبت بشريته عليه السلام من خلال أقواله وأفعاله وتقريراته لما يشير ويؤكد بشريته

وخلال توجيه الجعفري لهذه النصوص يذكر بأنه لا يجوز غمز استدلاله بهذه النصوص لأن المسيح لا يسوغ له التقية في بعضها ، كما لا يسعه تأخير البيان في بعضها الآخر ،و في ذلك تضليل لأمته وإقرار لها على الكفر . والتأخر في تصحيح معتقدات الناس لا يليق نسبته إلى المسيح .

ويرى الجعفري أن الإلف ودعاة السوء هي التي أعمت بصائر النصارى عن هذه النصوص ، وبعد سرد عدد كبير من النصوص التي تشير إلى بشرية المسيح ونبوته يقول " فيقال لهم : أحق ذلك أم باطل ؟ فإن اعترفوا أنها حق تركوا التنصر ، وإن زعموا أنها باطل كفروا بالإنجيل وتركوا دين النصرانية . فهم كيفما أرادوا فارقوا ما هم عليه لا محالة " .

وأما المسألة السابعة فقد جعلها لإثبات نبوة محمد ﷺ ، فنبوته تتأتى من أصول ثلاثة ،أولها : دعواه النبوة . وثانيها : تحديه أولي الألباب بالخوارق الباهرة . والثالث : تنصيص الأنبياء المتقدمين عليه .

والأول ثبت بالتواتر، وكذا كثير من معجزاته عليه السلام التي لا يمكن الطعن فيها ، وإن جاز فالطعن بما ذكروه في آيات الأنبياء أولى .

وساق الجعفري عدداً من معجزاته عليه السلام المتواترة والآحادية، وقارنها بمثيلاتها من معجزات الأنبياء مبيناً فضله فيها عليه السلام على سائر الأنبياء .

وأما بشارات الأنبياء التي ذكر منها سبعاً وعشرين بشارة فيه عليه الصلاة والسلام ، فيرى الجعفري قوة دلالتها لأن هذه البشارات لازمة التحقق عند من يؤمن بقدسية هذه الكتب . وكعادة من سبقه وجه هذه النصوص مستعيناً بالقرآن والسنة والنصوص الكتابية الأخرى لمنع صرفها عن النبيﷺ .

والجعفري خلال كتابه " الرد على النصارى " يجمل في طرحه،ويشير إلى تفصيله لعدد من المواضع

المجملة هنا في كتابه " التخجيل " .

وقد أظهر المؤلف رحمه الله في هذا الكتاب القيم معرفة رفيعة بالنصوص الكتابية قل أن تجد لها نظيراً عند غيره من أصحاب الردود الإسلامية ، وقد أضاف إليها تسلحه بالدليل العقلي فكان يلجم خصمه بالحجة السهلة التي لا تدفع .

*** الخطيب السكندري جعفر بن عبد الوهاب**

وله كتاب " أدلة الوحدانية في الرد على الملة النصرانية "[1] .

وقد نسب عبد الرحمن دمشقية الكتاب إلى القرافي مستنداً إلى ما جاء في تراجم القرافي من أنه له كتابًا يسمى " أدلة الوحدانية في الرد على الملة النصرانية " ، و لم يقدم أي دليل سوى ذلك يوثق نسبة الكتاب الذي حققه إلى القرافي . والصحيح عندي أن النص الذي حققه دمشقية هو كتاب غير كتاب القرافي ، وإن اشتركا في الاسم ، فهذا من توارد الخواطر .

ومؤلف هذا النص هو جعفر بن عبد الوهاب الخطيب السكندري والذي يدفعني لهذا الترجيح أمور :

أولاً : أن مخطوطة الكتاب التي بين يدي والمصورة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية صريحة في نسبة الكتاب للسكندري كما سطر ذلك ناسخها على غلاف المخطوطة وخاتمتها .

ثانياً : تباين الأسلوب الإنشائي بين الكتاب الذي بين أيدينا وكتاب " الأجوبة الفاخرة " المتميز بأسلوبه الإنشائي .

وسبب تأليفه أن المؤلف أراد أن يهدي السلطان هدية ورأى تفنن الناس في الإهداء عندها يقول : " أجلت طرف الفكر ميدان النظر أي فن أقصد إليه ، وأرجو من الله أن يثيبني عليه في الآخرة ، فظهر لي أن أول ما تصرف إليه الهمم ، وتتفاوت فيه القيم ، وتتنافس فيه الأفاضل ، ويتميز به المفضول في الفاضل الذب عن حوزة الدين ، وحراسة بيضة المسلمين بالبحث في الملل والأديان وإقامة الدليل على وحدانية الملك الديان ... فنظرت في أهل الشرائع والمذاهب ، وتفكرت فيمن هو فيها عن التوحيد ذاهب ،فلم أجد سوى مذهب النصارى الضالين الحيارى المتشبثين بخيوط العنكبوت ، القائلين بحلول اللاهوت في الملكوت ، ووجدتهم مع قلة علمهم وعدم فهمهم وكثرة جهلهم قد طبقوا أكثر الأرض ..." .

فكان هذا الكتاب وهو في أصول أربعة :

الأصل الأول : حكى فيه عقائد النصارى في فصول سبعة ، فذكر الاتحاد والتثليث وأدلته ، والصلب والفداء ، وفي الفصل السابع حكى عن عشرة مجامع كبرى للنصارى ، فذكر ظروف كل مجمع ، وماذا تنتج عنه وبعض ما جرى فيه الخلاف والتكفير في بعضهم للآخرين ثم عقب بقوله : "انظروا رحمكم الله بعين الاعتبار إلى هذه المجامع والحشود الذين يزعمون أنهم علماء النصرانية ومقدموهم ونقلة الدين إليهم كيف يكفر بعضهم بعضاً ؟ وكيف ارتكبوا في هذه المجامع الضلالات ؟ وقالوا باختلاط القديم

---

(١) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، نسبه المحقق للقرافي ، تحقيق عبد الرحمن دمشقية ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ.

بالمحدثات ، وكذبوا سائر الكتب والنبوات ، وجعلوا الثلاثة واحداً ، والرب ولداً والقديم محدثاً ، وهم حائرون في معرفة إلههم لم يستقر لهم قدم ، وكل من تأخر منهم يلعن من تقدم ، وكل منهم قد اتخذ إلهه هواه ، وباح باللعن والتبري ممن اتبع سواه " .

ويجدر هنا القول أن أول من تحدث بإسهاب عن المجامع من علمائنا هو الخطيب السكندري فقد أشار إليها القرافي في " الأجوبة " ،وفصلها السكندري في هذا الكتاب .

وأما **الأصل الثاني** فكان لإثبات مخالفة النصارى للنصوص الكتابية، ويرى الخطيب أن الخلل دخل على النصارى" في السبعين " الذين صنفوا " هذا الكذب والبهتان في خوفهم من القتل والهوان ، فأخذه قيصر ملك الروم بالتسليم ، وظن أنه مستقيم وسلمه للقسيسين والرهبان أهل الكفر والطغيان ، فاستنبطوا منه " تلك المعتقدات السقيمة " وقالوا لكم على كل قول في هذه الأقوال دليلاً تشهد به التوراة والنبوات والإنجيل " مع أنه " لا حرف واحد يشهد لكم إذا رجعنا إلى المحاكمة " وساق نصوصاً تثبت بشرية المسيح ووحدانية الله، وفند الأدلة التي اشتبهت على النصارى في التوراة والإنجيل ، فظنوا أنها دالة على الصلب أو التثليث أو غيره .

وفي سائر رده اعتمد على النصوص الكتابية في إبطال المعاني التي اعتقدها النصارى مع إفادته من الدليل العقلي خاصة في إبطاله عقيدة الفداء والخلاص، وقد توسع فيها فانتقدها في محاور عدة منها : إبطال القول بصلب المسيح وإبطال ما استدل به النصارى على ذلك في المزامير ، ومنها تعلق الذنب بصاحبه حسب النصوص الكتابية ، ومنها نقد تقديسهم للصليب حسب ما جاء في الرواية التاريخية المزعومة التي ابتدعها قسطنطين ، ومنها ما يترتب على هذه العقيدة في أثر في حياة الناس وفي إبطاله لعقيدة التجسد مفنداً استدلال النصارى بمعجزات عيسى ،ويرد الخطيب على الفرق النصرانية المختلفة وكذا عقيدة التثليث وأمانة النصارى ،ويبين ما فيها من تناقض .

ثم تحدث في هذا الأصل الذي شغل نصف كتابه ،فذكر عدداً من النصوص المستقاة من التوراة والمزامير التي تبشر بنبينا ﷺ ووجهها لتظهر دلالتها على نبينا ﷺ مستشهداً لذلك بالنصوص الكتابية الأخرى .

وفي **الأصل الثالث** أوجز الحديث عن الأناجيل مؤكداً غلط نقلتها لما فيها من تناقض بين نصوصها المختلفة أو ما فيها من أمور هامة وقصص ذكرها بعضهم وغفل عنها الآخرون ، فهذا كاف لرد الأناجيل وعدم اعتبارها نصوصاً موحاة من الله العظيم .

وأما **الأصل الرابع** فخصه لذكر بعض البشارات بنبينا ﷺ ، كما تحدثت بها الأناجيل ووجه هذه النصوص .

وأبرز ما يلاحظ على هذا الكتاب أنه ذكر نصوصاً نسبها للتوراة والإنجيل لم أجدها عند أحد أصحاب الردود قبله ، كما لم يذكرها أحد بعده كما في قوله أنه في الإنجيل " أن الله لم يلد و لم يولد و لم يأكل و لم يشرب ولا ينم ، ولا رآه أحد" ومثله " أنه لما حضرت يعقوب الوفاة قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ".

والسؤال هل هي مما ترجمه المؤلف بنفسه عن العبرية فلم يذكرها الآخرون؟أم أنه نقلها من مصدر

لانعرفه، ولا يبعد أن يكون النص أصيلاً، وأن مصدر المشابهة مع ما جاء في القرآن كون أصلها واحد كما قال الله ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى ﴾[١]

*** نجم الدين الطوفي**

والطوفي هو سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري ، فقيه حنبلي ، له مؤلفات عدة اتهم بفساد العقيدة ، قال ابن العماد : " كان مع ذلك شيعياً منحرفاً في الاعتقاد عن السنة حتى أنه قال عن نفسه : " أشعري حنبلي رافضي هذه إحدى العبر "، وقال المقدسي : "وقد امتحن في آخر عمره بسبب أشياء نسبت إليه ، الله أعلم بحقائقها ". وقال ابن حجر: " استقام أمره وأقبل على قراءة الحديث "، لكن ابن رجب كان قد شكك في توبته ، واعتبرها من نفاقه . و لم أجد في كتابه سوى ما يؤكد سلفية مذهبه خلا قوله بأن خبر الآحاد يفيد الظن"[٢] .

وله في الرد على النصارى كتابان : أولهما " التعليق على الإنجيل " ، وهو كتاب مفقود أحال عليه مراراً في كتاب الثاني " الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية "[٣] كما ذكر ابن رجب الحنبلي في ترجمته للطوفي أن له كتاباً ثالثاً هو " تعاليق في الرد على جماعة النصارى "[٤] .

أما كتابه الأول المفقود فقد أحال عليه أربعة عشرة إحالة في " الانتصارات " وقد سماه في بعضها " التعاليق على الإنجيل " وفي أخرى " الفوائد والتعليق على الإنجيل " .

ومن خلال هذه الإحالات نستطيع أن نكون فكرة جيدة عن مواضيع الكتاب وأغراضه الجدلية النصرانية . ومنها :

- أن مما يقوله أهل الكتاب صدق لذا ينبغي عدم تكذيبهم في سائر أخبارهم .
- شناعة معتقد النصارى بأن المسيح هو الله ، وعجز النصارى عن إثبات ألوهية عيسى .
- خصص فصلاً لبشارة يوحنا بالفارقليط .
- بيان التناقض والاختلاف في التوراة والإنجيل ، وإثباته ، وبيان أسباب هذا الاختلاف بين الأسفار المقدسة .
- حديث عن صيام زكريا عليه السلام وتحرير سببه ، هل كان عقوبة أم آية ؟
- إثبات النعيم الحسي في الجنة والرد على منكريه .

وأما كتابه "الانتصارات" فيقول عن سبب تأليفه : " رأيت كتاباً صنفه بعض النصارى يطعن في دين الإسلام ، ويقدح به في نبوة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فرأيت مناقضته إلى الله ورسوله قرباناً ،

---

(١) سورة الأعلى ، آية: ١٧ - ١٨ .

(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ، ابن العماد ٦ / ٣٩ - ٤٠ ؛ والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر ٢ / ١٥٤ - ١٥٩ ؛ ذيل طبقات الحنابلة ، ابن رجب الحنبلي ٢ / ٣٦٦ - ٣٨٠ ؛ المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، عبد الرحمن العليمي المقدسي ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت ، ٥/٥-٧ .

(٣) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، تحقيق: أحمد حجازي السقا ، دار البيان ، مصر.

(٤) انظر ذيل طبقات الحنابلة ، ابن رجب الحنبلي ، دار المعرفة ، بيروت ٢ / ٣٧٩ .

ورجوت بها مغفرة من الله ورضواناً ". وأما طريقته في تتبع كلام النصراني فيقول عنها : " فأوردت مناقضته ، حرفاً من كلامه فحرفاً ، وأبنت عن مقاصد السؤال والجواب على وجه لا يخفى ، مع تلخيص العبارة خشية الضجر والإملال وتخليص المعاني ونصوصيتها خيفة الإخلال والاختلال " .

و لم يذكر الطوفي اسم مجادله ولا اسم كتابه ، ولكن يظهر أنه عالم من علماء الأرثوذكس – اليعاقبة – ، وقدم لرده على النصراني بمقدمات كلية ثلاث " تتضمن مباحث جلية ، عليها ينبني معظم الجواب ، وبها يتيسر ظهور الصواب " .

– وفي المقدمة الأولى : ذكر أنه لا يستدل على المسلمين بما لا يسلمون بصحته من الكتب السابقة كما لا يستدل على النصارى ولا يحتج بالقرآن الذي لا يؤمنون به .

– وفي المقدمة الثانية : ذكر أن الشرع لم يأت بما ينافي العقل ، ولكن قد يضعف عن إدراك بعض ما تأتي به النبوات من الممكنات ، لذا لا يجوز رد قول الصادق لضعف في أمر قصر العقل عن إدراك مضمونه .

– وفي المقدمة الثالثة : ذكر أن الأدلة الشرعية متنوعة ، ولها مراتب مختلفة بحسب اختلاف مدلولاتها "ولا تثبت أصول الشريعة إلا بقاطع كالبديهيات والنظريات[1] والمتواترات "، لذا لا يقبل المؤلف من النصراني أن يورد عليه في الأصول مالا يقوم به العلم . وأما فروع الشريعة فتثبت بالخبر المستفيض وخبر الواحد والقياس الظني والاستحسان وغيره من أدلة الأحكام[2] .

وفائدة هذه المقدمات : أن الذكي الفطن إذا اقتصر في جواب كتاب هذا النصراني كله على هذه المقدمات كفاه ذلك ، مع أني لا أقتصر عليه ، بل سأجيب عن كل منه بما أمكن مفصلاً .

ثم شرع يرد كلام النصراني على شكل مقاطع ، ويذكر ما فيها من الحق وما دخلها من الباطل ، يرد عليه ، وقد كان أول ما قدم به النصراني كتابه نص متى في التحذير من الأنبياء المكذبة " احذروا من الأنبياء الكذابين الذين يأتونكم في لباس الضأن ، وهم في الباطن ذئاب مغيرة ، من ثمراتهم تعرفهم " (متى ٧ / ١٥ – ١٦) ومحل الشاهد عنده أن رسول الله – وحاشاه – من الكذابين الذين حذر منهم المسيح .

والطوفي يسلم بصحة معنى النص ، ولكن لا يرى سبيلاً يجعل النص في حق نبينا ، لأنه صادق وثماره أطيب الثمار وأنفعها.

فلما اختلفت الدعاوى كان لابد من وضع أصول يرجع إليها في معرفة النبي الصادق من الكاذب ، ورأى النصراني أن ذلك يظهر من خلال شروط أربعة يجب توافرها بالنبي الصادق ، ووافقه الطوفي وجعل لكل من هذه الشروط باباً مستقلاً أثبت من خلاله نبوة نبينا ﷺ :

الشرط الأول :الصدق في الحديث ، وقد قسم الطوفي البحث فيه إلى مباحث ثلاثة : –
الأول: ما صدق فيه النصراني الرسول الكريم . والثاني : النصوص القرآنية التي يكذب بها النصراني .

---

(١) أي الثابتة بالاستقراء الكلي للأدلة النظرية، وهو مفيد القطع .

(٢) والصحيح كما قال علماؤنا أن خبر الواحد يفيد العلم إذا صح خرجه ، ولمزيد بيان انظر : مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، ط :مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة ، ١٤١٥ هـــ، ١٨/٤٨-٥٢ .

والثالث : في الأحاديث التي يكذبها النصراني .

فمن الآيات التي صدقها النصراني ، وزعم أنه إنما صدق فيها ﷺ ليخلط الحق بالباطل قوله تعالى﴿ هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴾[1]، ، ويرى أنه ناقض نفسه في مواطن أخرى، ومثل له بقوله تعالى : ﴿ لا مبدل لكلمات الله ﴾[2] وقد تناقض – بزعمه – مع قوله بتحريف التوراة والإنجيل إذ هي من كلام الله الذي لا يتبدل .

وفي المبحث الثاني الذي استغرق ثلث الكتاب يستعرض الطوفي آيات قرآنية كثيرة كذب بها النصراني كتكذيبه أن تكون مريم أختاً لهارون ، أو بنتاً لعمران كما جاء في سورة مريم.

وقد فند الطوفي كل مزاعمه ومنهجه في ذلك عدم التسليم بدعاوى النصارى التي تعتمد على كتبهم ، إذ هي ليست بحجة على المسلمين كما كان يذكر مثيلاً لدعواهم ترد عليهم ، ويطلب منهم أن يقبلوا فيها ما قبلوه في غيرها مما تعلق بدينهم ، كما كان يبين المعاني التي ترد في الخبر القرآني ، ويحاول التوفيق بينها وبين ما ورد في كتبهم من عام خصه القرآن،أو مفصل أجمله،كما دأب الطوفي على ذكر الاحتمالات التي ترد على النصارى لو حملنا معاني النصوص على المعنى الذي انصرف إليه النصراني،ونقده.

وتطبيق هذا المنهج واضح في مسائل كثيرة ،منها تكذيب النصراني سجود أم يوسف بين يديه بدعوى أنها ماتت قبل ذلك ، ثم لما جاء في التوراة أن يعقوب لم يسجد ليوسف،بل فتح ذراعيه ، وعانقه باكياً . (انظر التكوين ٣٥/١٨-١٩، ٤٦/٢٩).

فأول ما يتوجه إليه الطوفي هو التشكيك بالرواية التوراتية لما ثبت عنده من تناقض التوراة و تهافتها، و من ذلك اختلافها في سياق قصة يوسف عليه السلام ،فقد أشار في التكوين إلى موتها قبل رؤيته للرؤيا ،وأنها قبرت في بيت لحم، و لكن في آخر القصة لما طلب منهم يوسف أن يحضروا له أخاه قال لهم يعقوب: " إن أخاه قد مات و لم يبقى لأمه غيره " (التكوين ٤٤/٢٠)،فقد كانت أمه حية إذاً و صدق ما جاء في ظاهر القرآن.

و إن كان الأول هو الصحيح فإن التي سجدت له ليست أمه الحقيقة، لكنه سماها أماً كما قال أخوه يعقوب " ما هذه الرؤيا التي رأيت أجيء أنا و أمك و إخوتك، فنسجد لك على الأرض " (التكوين ٣٧/١١) مع أن أمه قد ماتت.

و هذا النوع من الإطلاق معهود عند الأمم فتسمى الخالة أماً–كما يسمى المربي أباً، و منه تسمية الأناجيل يوسف و مريم بأنهما أبوي المسيح.

و ذكر الطوفي عن الحسن أن الله سبحانه أحيا أم يوسف حتى سجدت له ،و لكن ذلك قول لا دليل عليه.

و في المبحث الثالث ذكر المؤلف بعض الأحاديث التي ينكرها النصراني و يستغربها، منها قوله

---

(١) سورة الحديد ، آية: ٤ .

(٢) سورة الأنعام ، آية: ٦٤ .

صلى الله عليه وسلم " إذا وضعت الجنازة... قالت قدموني " [1]،و منها حديث " إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه " [2]، و غيرها من الأحاديث، و يتلخص منهج الطوفي هنا في أن هذه الأحاديث آحاد توجب العمل لا العلم، لا تثبت أصلاً، ولا تقدح في أصل، و مع ذلك فهي سهلة التوجيه، و من ذلك أن الحقائق لا تدرك بالعقل لقصوره ،و الإيمان بهذه الحقائق فرع عن الإيمان بالنبوة، و أيضاً ليس من شرط الإدراك الأدوات ،فإن العلماء نقلوا أنه لما كلم الله موسى أخذت الريح بأسماع الناس و إلا هلكوا، فيجوز لله تعالى أن يخلق الإدراكات في الجمادات كالميت و غيره كل بحسب ما أعطاه الله، و كل ذلك من الممكنات، و ليس بأعظم من قلب العصا .

و أيضاً يجوز أن تأول بعض النصوص على المجاز أو التقدير كما قلنا في سماع صوت الجنازة من قبل الناس أي " سمع صوتها كل شيء إلا الإنسان " أي لو كانت هذه الأشياء مما يسمع لسمعته، و يكون فائدة ذلك : الإخبار بصياح الميت عن ولع و حرقة تنبهاً على أسفه و شدة ندمه.

و أما **الشرط الثاني** فهو الطهارة التي زعم النصراني أنها لا تتحقق بفعل النكاح الذي اعتبره عاراً، فأظهر له الطوفي فوائده و دليل مشروعيته بما جاء في النبوات، و عليه فلا يعاب على نبينا عليه الصلاة و السلام في هذا بشيء.

و أما **الشرط الثالث** فهو الإعجاز حيث يرى النصراني أن من شرط النبي الصادق أن يأتي بالمعجزات، و زعم بأن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يأت بأي معجزة، و استشهد بقول الله ﴿ و ما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ [3]،لذا تحدث الطوفي عن أهمية المعجزة ،وذكر أمثلة عديدة لمعجزاته عليه السلام، وخص معجزته الخالدة(القرآن الكريم) بمزيد من العناية و الشرح.

و أما **الشرط الرابع** فهو اختبار الشريعة حيث طعن النصراني في بعض الأحكام الشرعية كإباحة النكاح و التعدد فيه، و حل الطلاق و العتق و العزل، و جعل شهادة الوقاع لا تقوم إلا بأربعة و غير ذلك.

فتعرض الطوفي لذلك كله ،و بين محاسن الشرائع و قيامها بمصالح العباد.

كما استطرد المؤلف خلال فصول هذا الكتاب و مباحثه، فذكر مباحثاً مهمة كبطلان صلب المسيح و ورود البشارة بالنبي صلى الله عليه و سلم في كتب الأنبياء.

و المؤلف في كتابه يظهر معرفة فريدة بكتب القوم كما له اطلاع على بعض مؤلفاتهم كـ"تقرير الثالوث" لمطران حمص " ابن الأمثل " و غيره.

و يضاف إلى ذلك تمكنه من أساليب الجدل و المحاجة و طرق الاستدلال التي يحج بها الخصم، و لا عجب في ذلك فقد ألف فيه كتاباً عنوانه " علم الجذل في علم الجدل " .

و للمؤلف معرفة كبيرة بالكتاب و السنة و تفاسيرهما مكنته من رد شبهات النصراني و إبطالها.

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الجنائز ، باب: كلام الميت على الجنازة.

(٢) رواه البخاري في كتاب: الجنائز ، باب: قول النبي"يعذب ببعض بكاء أهله عليه" ، ورواه مسلم في كتاب: الجنائز ، باب: الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

(٣) سورة الإسراء ، من آية: ٥٩

و يتميز المؤلف بإنصاف للخصم قل أن تجد له نظيراً عند أصحاب الردود، ومما يوضح ذلك قوله:"ثم إن هذا المصنف جعل عمدته في كتابه " تفسير ابن عطية " ، فما باله لم يذكر ما قاله ابن عطية في تفسير قوله ﴿ و تمت كلمة ربك صدقاً و عدلاً لا مبدل لكلماته﴾ [(1)]،و لكنه رآه فحاد عنه، و لعمري أنه معذور في ذلك فإن كتب المسلمين ليست عنده حجة، و إنما يذكر منها ما يذكر احتجاجاً عليهم و إلزاماً لهم و رمياً لهم بسهامهم كما نحتج عليهم بالتوراة و الإنجيل على هذا الوجه، و لا نعتقد صحة ما فيها ".

*** أحمد عبد الحليم عبد السلام ابن تيمية الحراني**

وابن تيمية هو أحمد بن عبد السلام بن تيمية الحراني .قال عنه ابن كثير: " الإمام العالم العلم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد والمجاهد القدوة شيخ الإسلام...ما قطع في مجلس، ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فنه،ورآه عارفاً متقناًبه " ، وكانت وفاته سنة سبعمائة وثمان وعشرين للهجرة . [(2)]

وله كتاب " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح "[(3)] وله كتاب آخر مفقود عنوانه " التخجيل لمن بدل التوارة والإنجيل " ذكره حاجي خليفة وذكر أن أوله " الحمد لله الذي فطرنا على دين الإسلام .." [(4)]

وسبب تأليفه للجواب الصحيح « أن كتاباً ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى فاقتضى أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب » وهذا الكتاب هو " الكتاب المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم " لراهب صيدا الأسقف بولص الراهب، وقد أرسله من قبرص لبعض أصدقائه ،وكتاب النصراني يتكون من ستة فصول .

الأول : تحدث فيه عن خصوصية نبوة نبينا للعرب واستدلاله بالقرآن على ذلك .

الثاني : أن القرآن أثنى على دين النصارى بما استوجب أن يثبتوا عليه .

الثالث : أن دينهم شهدت له النبوات كما ذكرت التوراة والأناجيل والزبور ، ولم يعارضه شرع يرفعه ولا عقل يدفعه .

الرابع : تقرير التثليث بالمعقول والمنقول .

الخامس : أن النصارى موحدون ، وأن الأقانيم المتعددة هي من جنس ما عند المسلمين من ألفاظ يظهر فيها التشبيه والتجسيم .

السادس : أن المسيح جاء بعد موسى بغاية الكمال فلا حاجة بعده لشرع جديد .

---

(١) سورة الأنعام ، آية: ١١٥ .

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ، ابن كثير ، ١٤/١٤١-١٤٢ ، فوات الوفيات ، والذيل عليها ، محمد شاكر الكتبي ، ١/٣٥-٤٥ ، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، عبد الرحمن العليمي ، ٥/١٤-٤٤.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، مطبعة المدني ، القاهرة.

(٤) كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون ، مصطفى حاجي خليفة ، دار العلوم الحديثة ، بيروت ، ١ / ٣٧٩ - ٣٨٠ .

وقد قصد شيخ الإسلام من كتابه أن يرد على مقولات النصراني، ويبين أن كل ما احتجوا به من حجة سمعية من القرآن أو الكتب المتقدمة على القرآن ، أو عقلية ، لا حجة لهم في شيء منها ، بل الكتب كلها مع القرآن ، والعقل حجة عليهم لا لهم ، بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء ومن المعقول ، فهو نفسه حجة عليهم ويظهر منه فساد قولهم، مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية و التي هي مقاييس عقلية.

وقد كان كتاب ابن تيمية للرد على هذه المسائل، فأثبت شيخ الإسلام من كلام النبي وأفعاله ما يدل على عموم رسالته ،و رد استدلالهم بما تعلقوا به من الآيات وأخذ عليهم تعلقهم بالمتشابه وعدم رده ، كما رد عليهم بعض ما شغبوا به من شبه يرونها تحول بينهم وبين الإسلام كعجمتهم عن القرآن ولغة الرسالة ، وأنهم أتباع نبي ورسول فلا يتركونه .

ثم تحدث ابن تيمية عما تعلق به النصارى من تعظيم القرآن لكتبهم، وذكر أن فيها اختلافات تطول حتى تراجمها العربية ،وكذب أن يكون الحواريون هم الذين ترجموها، وأبان المعنى الحقيقي للآيات التي أثنت على التوراة والإنجيل المنزلين من عند الله ،وأوضح شيخ الإسلام بأن تكذيب المسلمين لهذه الكتب ليس تكذيباً للنبوات ، بل هو تكذيب للنقلة وللمجامع التي جعلت من هذه الكتب كتباً مقدسة .

وذكر بأنه لا يمكن للنصارى الاحتجاج بمدحة الآيات لبعض النصارى ، لأنها ذكرت نعوتاً لا تنطبق عليهم ولا تلائم أحوالهم، فالثناء ليس عاماً لكل أجيالهم إلى يوم القيامة ، ثم فهمهم معارض بنصوص كثيرة من كتبهم تبالغ في ذمهم .

وأما الكتب المنسوبة للأنبياء فتحتاج لاعتبارها إلى مقدمات ثلاث: العلم بنبوة المنقول منه ،ولفظه الذي تكلم به، وترجمته الصحيحة .

ثم انتقل شيخ الإسلام لمناقشة عقيدة التثليث فأثبت أن لا دليل صريح عليها حتى من كتبهم بدليل اختلاف فرقهم في المراد من ألفاظ الابن والروح القدس ، ثم نقد شيخ الإسلام تعلقهم بدلالة بعض النصوص الكتابية عليها .

وأفاض شيخ الإسلام في نقد أمثلة النصارى المضروبة للتثليث ، وبين ما يلزم عليها عند اطراد الشبه مع التثليث .

ثم تحدث ابن تيمية عن عقيدة التجسد والحلول ،وبين بأن تكذيب العقل لها إضافة إلى عدم وجود نصوص كتابية تفيد هذا المعتقد ، وفند تعلقهم ببعض النصوص في ذلك .

وتطرق ابن تيمية لشبهة النصارى حين شبهوا قولهم بالأقانيم بقول المسلمين في الصفات ، فكما لا يؤدي إثبات الصفات عند المسلمين إلى التجسيم والتشبيه فإن أقانيم النصارى لا تؤدي إلى التعدد .

فأبان ابن تيمية في فصول عدة مذاهب المسلمين في الصفات، وأكد أصالة هذا المعتقد بعشرات الأدلة من الكتاب والسنة ، بينما تفتقر عقيدة النصارى المتطورة إلى نص يؤصل ما انتهت إليه المجامع وما صدر من تأليه للمخلوقات في هذه المجامع .

ثم تحدث في تفاصيل عقيدة التثليث ، فذكر معنى قولهم بأن لله جوهر ،وتحدث عن علاقة الجوهر بالأقانيم . ثم خص نبوة نبينا بما قارب ربع كتابه ، فأثبت نبوته عليه الصلاة والسلام بما جاء في البشارات

الكتابية الكثيرة التي انطبقت عليه وعلى دعوته وبلده ومعالم دينه ، وصدقت ما ظهر من أحواله ﷺ وكمالاته ثم معجزاته التي أظهرها للدلالة على صدقه ومنها معجزة القرآن الكريم .

ويعتبر ما كتبه ابن تيمية في هذا الكتاب من أثمن ما كتب في القرون السابقة إذ أبان فيه شيخ الإسلام عن معرفة جيدة بالكتب السابقة ،ولعلها ترجع إلى ما هو شائع عند المسلمين من نصوص كتابية وما تناقلوه في رسائلهم ومنها رسالة الحسن بن أيوب التي أثبت ابن تيمية نصها في كتابه وأفاد منها .

كما أظهر ابن تيمية قدراً بارعاً في المحاجة العقلية السلسة والتي توصل إلى إبطال حجة الخصم بأسرع السبل وأنجعها .

ويلاحظ على الجواب الصحيح افتقاره إلى التبويب والترتيب الذين يسهلان على طالب العلم والحق فهم ما يريده المؤلف وربطه ببعضه البعض .

***شمس الدين ابن قيم الجوزية.**

و ابن القيم الجوزية هو محمد بن أبي بكر محمد بن بكر بن قيم الجوزية.قال عنه ابن كثير:سمع الحديث واشتغل بالعلم،وبرع في علوم متعددة،لا سيما علم التفسير والحديث والأصلين...لاأعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه "،وقد توفي رحمه الله سنة سبعمائة و إحدى و خمسين هجرية .[1]و له كتاب " هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى " [2]كما تعرض للنصارى مطولاً في كتابه " إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان " [3].

و سبب تأليفه لهداية الحيارى أنه"كان انتهى إلينا مسائل أوردها بعض الكفار الملحدين على بعض المسلمين، فلم يصادف ما يشفيه و لا وقع دواؤه على الداء الذي فيه، و ظن المسلم أنه بضربه يداويه فسطا عليه ضرباً، و قال: هذا هو الجواب! فقال الكافر: صدق أصحابنا في قولهم:إن دين الإسلام إنما قام بالسيف لا بالكتاب.فتفرقا، و هذا ضارب و هذا مضروب، و ضاعت الحجة بين الطالب و المطلوب.

فشمر المجيب ساعد العزم..و لم يقل مقالة العجزة الجهال: إن الكفار إنما يعاملون بالجلاد دون الجدل، و هذا فرار من الزحف " فكان هذا الكتاب، و هو يقع في قسمين أولهما: خصه لأجوبة المسائل . و أتبعه بالثاني : نقد فيه عقائد القوم، و كانت هذه المسائل التي أخذها النصراني على المسلمين كالآتي:

أخذ النصراني على المسلمين أنهم يقولون: بأن أهل الكتاب ما منعهم من الدخول في الإسلام إلا الرياسة و المأكل، و قد رد عليهم ابن القيم بالحديث عن انتشار الإسلام بين أهل الملل ،وذكر الأسباب المختلفة المانعة من الدخول فيه كالجهل به أو الخوف على النفس أو الخوف على الرئاسة أو الحسد، و ضرب له في ذلك الأمثال .

والمسألة الثانية تبع للأولى،فقد تساءل النصراني لم لم يتبع الإسلام من لا رئاسة له؟فأجاب ابن

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ، ابن كثير ، ١٤/٢٤٦-٢٤٧ ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ابن حجر ، ٣/ ٤٠٠ ، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، عبد الرحمن العليمي ، ٥/٥-٧ .

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٤هـ.

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ابن القيم ، المكتبة القيمة ، مصر.

القيم بذكر سير من أسلم من أعيان أهل الكتاب كالنجاشي و سلمان و عدي و كرز بن علقمة أخو سيد نجران.ثم أتبعه بذكر من عرف الحق و لم يذعن له منهم كهرقل و المقوقس ،كما ذكر أنه أسلم من عوام اليهود و النصارى خلق كثير فاقوا من بقي على دينه منهم .

و أما المسألة الثالثة فكانت دعوى المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكور في كتب أهل الكتاب، و أنهم محوها و تمالؤوا على ذلك، و النصراني يرى أنه بعيد، و تلخص جواب ابن القيم على هذه المسألة بأن أحداً من المسلمين لا يقول إن اليهود و النصارى في جميع أقطار الأرض محوا ذلك الاسم و أسقطوه جملة من الكتابين و تواصوا بذلك بعداً و قرباً ،و شرقاً و غرباً....مع أنه لايمتنع اجتماعهم على التحريف قبيل انتشار نسخه في شتى الأرض ،ثم إنه صلى الله عليه وسلم موجود في كتبهم بما فيها من ذكر صفاته وأحواله ،ثم إن التحريف واقع في أسفار التوراة بدليل الاختلافات بين نسخ التوراة الثلاث ،كما أنه يبعد أن يقول رسول الله كاذباً لأتباعه وأعدائه أنه مذكور في كتب أهل الكتاب ،إذ هذا مما يظهر أعداءه عليه عند تكذيب أهل الكتاب له ، لكن أحداً منهم لم يكذبه ،بل اعترفوا بوجود البشارة بنبي عظيم الشأن ،لكنهم منعوا أن يكون هو ،وذلك يلزمهم أن يذكروا شيئاً عن هذا الذي ادعى أنه رسول الله كذباً فنصره الله .

و دلل ابن القيم من خلال اثني عشر وجهاً عقلياً على أن رسول الله مذكور في كتبهم، و ساق تسعة و ثلاثين نصاً من سائر أسفارهم تتحدث عن النبي صلى الله عليه و سلم ،بعضها تسميه و أخرى تصفه أو تصف أمته أو معالم دينه، و وجه هذه النصوص جميعاً.ثم شرع يذكر ما ورد في الروايات الإسلامية عن أهل الكتاب من صفات نبينا ، فهو كما وصفه كعب لأحبار " ليس بفحاش و لا صخاب بالأسواق ،و لا يكافئ السيئة بالسيئة ،و لكن يعفو و يصفح...وأمته الحمادون يكبرون الله على كل نجدة ،و يحمدونه في كل منزلة ،يأتزرون على أنصافهم، يتوضؤون على أطرافهم ، مناديهم ينادي في جو السماء، صفهم في القتال و في الصلاة سواء.." وهذا الوصف مقارب لما جاء في التوراة والإنجيل (انظر إشعيا ٤٢/١-٤) و (انظر متى ١٢/١٧-٢١).وساق في ذلك ابن القيم أخباراً كثيرة جلها عمن أسلم من أهل الكتاب.

ثم بدأ ابن القيم بنقد التوراة، و ذكر ما فيها من التحريف، و مثل له ،و ذكر سبب و وقوع هذا التحريف، ثم أتم بالحديث عن الأناجيل معرفاً بأصحابها ذاكراً أمثلة لتناقضهم.و أما ما ذكره النصراني من عدم إمكانية التواطؤ على تغيير ما في الكتب عقلاً فليس بصحيح ،و يظهر ذلك إذا عرفنا جهلهم بكتبهم و عدم حفظهم لها و كونها عند بعضهم فقط، و لا أدل على وقوع التلاعب فيها من اختلاف توراة السامرة عن توراة النصارى.

و من المسائل أيضاً مطالبة النصراني ابن سلام و كعب الأحبار و غيرهم ممن أسلم بأن يأتوا بالتوراة الصحيحة، لكي تشهد ببطلان و تحريف توراتهم التي بين أيديهم.

و منها أن النصراني يزري المسلمين بأنهم أخذوا علم الحلال و الحرام و الشريعة ممن سماهم النصراني " عوام الصحابة ". و يرى أنه كان الأجدر بهم أن يأخذوه من ابن سلام و أصحابه.

فأظهر ابن القيم مكانة الصحابة و علمهم كما أثبتته السنة الشريفة و أقوالهم في بعضهم و أقوال

من خلفهم فيهم.

ثم كر على النصارى فمثلهم هنا " « مثل عريان يحارب شاكي السلاح ، وفي سقف بيته زجاج وهو يزاحم أصحاب القصور بالأحجار » مذكراً إياهم ببعض مثالبهم التي لا يرضاها العقل كالقول بالتثليث ، والقول ببكاء الله وندمه ، عبادة خشبة الصليب .

وكانت آخر مسائل النصراني ما يزعم أنه رآه بين المسلمين وعلمائهم من فواحش وآثام وتكالب على الدنيا ، فرد شيخ الإسلام ابن القيم بتبرئة الأنبياء من آثام أتباعهم الذين يقعون في الذنوب بسبب جبلتهم البشرية .

ورأى بأن الذنوب قدر مشترك بين جميع الأمم بيد أن « ذنوب الموحدين من المسلمين في جنب عظائم اليهود والنصارى كتفلة في بحر » .

وشرع يعدد لهم بعض مخازيهم ومخازي أسلافهم الذين عبدوا العجل ، وقتلوا الأنبياء ، ، وقالوا في الله ما يستعظمه اللسان .

ثم فصل وفرق ، فذكر فصلاً لمخازي اليهود في معتقداتهم وكتبهم وشرائعهم ، ثم ثنى بالنصارى الذين يعتقدون " أن رب السماوات والأرض تبارك وتعالى نزل عن كرسي عظمته وعرشه ، ودخل في فرج امرأة تأكل وتشرب وتبول وتتغوط وتحيض فالتحم ببطنها ، وأقام هناك تسعة أشهر يتلبط بين نجو وبول ودم وطمث ثم خرج إلى القماط والسرير كلما بكي ألقمته أمه ثديها .... ".

وكذا فروع دينهم فإنهم مخالفون للمسيح في جميعها ، وذكر أمثلة ذلك كترك الختان وتحليل الخنزير .... وهم في ذلك كله « كلما أرادوا إحداث شيء اجتمعوا مجمعاً ، وافترقوا فيه على ما يريدون إحداثه » ، وكانت الأمانة من أهم ما نتج عن مجامعهم ، فذكرها وذكر أهميتها ونقدها ، ثم أبطل ألوهية المسيح واستدلال النصارى وتعلقهم بما ورد في حق المسيح من ألفاظ موهمة كالابن والرب والإله ، فكل ذلك وارد في حق غيره كما تقول النصوص الكتابية وينبغي تأويله ، وقد اعتمد في هذا المبحث على ما ذكره شيخ الإسلام في " الجواب الصحيح " .

ثم ذكر أهمية الإيمان بنبينا ﷺ إذ بذاك فقط تتحقق نبوءات الأنبياء عليهم السلام ، فتصدق أقوالهم وتثبت نبوتهم وتعرف آياتهم ، لأن أخبار اليهود والنصارى لا يوثق بها علاوة على ما فيها.

ثم تحدث ابن القيم عن خلاف الفرق النصرانية في طبيعة المسيح ،وصور مذهب كل منها،من غير أن يرد عليها.ثم عقب بفصل عرض فيه صورة لما جرى في عشرة مجامع مهمة في تاريخ النصرانية،وكان قد عرض لتاريخ المسيحية قبل ذلك.

وأتبع ذلك ابن القيم بالحديث عن وجوب الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لما جاء به من معجزات .

وبين أن من طعن في هذه المعجزات من أهل الكتاب يقال له " لا يمكن الإيمان بنبي من الأنبياء أصلاً مع جحود نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لكثرة آياته ،و لأنه وردت به البشارة، و لأن دعوته هي دعوة سائر الأنبياء فمن كذب نبياً كمن كذب جميع الأنبياء .

و نرى في كتاب ابن القيم رحمه الله معرفة جيدة بالنصوص الكتابية استخدمها في الرد على

النصارى ممهورة بالاستدلال العقلي القريب و القراءة الواعية لأحداث التاريخ ،فكان هذا العمل العظيم .

و قد أفاد المؤلف ممن سبقه في هذا المضمار و خاصة شيخ الإسلام ابن تيمية و القرافي و الخزرجي، و إن لم يصرح بذلك على عادة السابقين.

و أما كتابه " إغاثة اللهفان " و الذي تحدث فيه عن إغواء الشيطان لبني آدم بمصائده التي وصفها لهم و زينها، فقد ضمنه الحديث عن النصارى و دينهم المحرف الذي تلاعبوا به فحرفوه و غيروه به ، فأضافوا بدعهم التي لجأوا إليها بحجة التلطف بالمدعوين من الوثنيين الذين أخرجوهم من وثنيتهم إلى وثنية جديدة.

و تحدث ابن القيم عن المجامع العشرة التي ذكرها في " هداية الحيارى "، و ما حصل فيها من افتراق وكفر.

و يرى ابن القيم أن النصارى وقعت في محذورين: الأول :غلوهم في المخلوق حتى جعلوه خالقاً و إلهاً . و الثاني: تنقص الخالق و سبه و رميه بالعظائم من بكاء و جوع " و هذه طامة تكاد السماوات تتفطر منها لم يقل بها حتى عباد الأصنام " و ليست هذه آخر طوامهم التي لم يقل بها عباد الأصنام و لا غيرهم، بل كذلك قالوا بصلب الإله الذي نزل إلى الجحيم لإخراج الأنبياء منها .

و تعرض ابن القيم لشرائع النصارى ، و اعتبرها مخازي خالفوا فيها دين المسيح تقليداً لأحبارهم و رهبانهم الذين لجأوا للحيل و الخداع لإقناع الناس بدينهم المحرف.

و تعرض ابن القيم لعقيدة التجسد النصراني و أمثلتهم له، ثم كر على شرائع النصارى مرة أخرى كعبادة الصور و صوم هرقل و عيد ميكائيل، و بين صور تلاعب الشيطان بهذه الأمة بإغوائها و إبعادها عن دينها الحق .

و قد غلب على ما ذكره ابن القيم أسلوب الوصف ثم العجب و الإزدراء لهذه الأقوال التي لا تقبلها العقول ،و لم يعتمد فيه على النصوص الكتابية و لا الأساليب المنطقية.

***عبد الله الترجمان**

و الترجمان هو أحد المهتدين إلى الإسلام، فقد أسلم القس انسلم تورميدا ،و له من العمر خمس و ثلاثون سنة ،و تسمى بعبد الله الترجمان، و الترجمان لقب سببه أنه عمل مترجماً بين المسلمين و النصارى خلال عمله في البحر مع سفن المسلمين، فقد كان يتقن الإيطالية و الفرنسية و العربية، و قد كان الترجمان من علماء أهل الكتاب المتبحرين في علوم الإنجيل، فقد حفظ أكثر من شطر الإنجيل، و كانت وفاته سنة ثمانمائة واثنتين وثلاثين للهجرة . [١]

و له " تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب " .[٢]

و التحفة يتكون من ثلاثة فصول خص الفصل الأول منها للحديث عن إسلامه ،و عن تبحره في

---

(١) انظر ترجمته في الفصل الأول والثاني من كتابه ، المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ، ابن أبي دينار ، تحقيق: محمد شحام ، ط٣ ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ص١٥٢

(٢) تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، عبد الله الترجمان ، تحقيق: محمود حماية ، ط٢ ، دار المعارف ، ١٩٨٤م.

دراسة الإنجيل و عن رحلاته، و تتلخص قصة إسلامه في أن أصحابه في الدراسة اختلفوا في تفسير كلمة " البارقليط " في غيبة حبرهم. و لدى سؤاله عن معناها خصه الحبر بالإجابة ،فأخبره بمعناها، و أن المقصود بها محمد صلى الله عليه وسلم ،فعزم على السفر إلى بلاد المسلمين فسافر إلى تونس فاستقبله النصارى فيها أكرم استقبال ،ثم أسلم بين يدي السلطان و ذلك بعد أن سمع السلطان ثناء النصارى عليه و على علمه، ثم لما أعلن إسلامه قال النصارى :ما دفعه إلى ذلك إلى حب التزوج، لأن القسيس عندنا لا يتزوج.

و في الفصل الثاني تحدث عن بعض ما وقع له بعد إسلامه و محاولات النصارى الدائبة لرده إلى النصرانية، كما تحدث فيه عن أمير تونس الأمير أبي فارس عبد العزيز و محاسنه و عدله و غيرها من مآثره.

و أما الفصل الثالث فهو مقصود الكتاب فقد جعله في الرد على النصارى و ضمنه تسعة مباحث، تحدث في الأول منها على أصحاب الأناجيل الأربعة، و ذكر لكل منهم مثالاً يدل على كذبه، و اعتمد في مثاله على تحليل النص كما اعتمد علاقة أصحاب البشارات الأربع بعيسى.

و في المبحث الثاني ذكر افتراق النصارى و تعدد مذاهبهم و فرقهم ،و تحدث عن فرقتين فقط من فرقهم الملكية و اليعقوبية و ترك ما خلاهما للإيجاز، و قد رد على هاتين الفرقتين بالنصوص الكتابية التي تبطل أقوالهم في طبيعة المسيح و الاتحاد ،و عقب على النصوص بما يليق بالمقال.

و في المبحث الثالث تعرض لشرائع النصارى كالقربان و التغطيس، و الإقرار للقسيس بجميع الذنوب كما تعرض لعقيدة التثليث و الحلول، و فند ما توقع أن تستدل النصارى به على الحلول، و اعتمد في نقده على الاستدلال العقلي البسيط و المقنع و الأدلة الكتابية المختلفة، فعندما ناقش النصارى في قضية القربان–فطيرة الخبز التي تتحول إلى جسد المسيح و الخمر الذي يتحول إلى دمه–ذكر أن النصارى قد اعتمدوا فيه على نص متى (انظر متى ٢٦/٢٦–٢٨)، لكن النص كذب بدليل أن يوحنا الحواري لم يذكر عنه شيئاً و قد كان حاضراً يومذاك ،ثم عرض الترجمان لبعض خدع الرهبان التي يخدعون بها العامة من النصارى .

و في المبحث الرابع تعرض لأمانة النصارى فذكرها، و ذكر ما فيها من وجوه التناقض إضافة إلى كونها من صنع البشر.

و في المبحث الخامس أثبت بشرية المسيح من خلال النصوص الإنجيلية

و في سادس المباحث تحدث عن الأناجيل الأربعة و ما فيها من تناقض أو أخبار ذكرها أحد الإنجيليين الأربعة ،و غفل عنها الآخرون.

و في المبحث السابع برأ المسيح من أقوال النصارى ، و كفرهم بما ذكره أصحاب الأناجيل عن المسيح من أقوال ذكر فيها بشريته و عبوديته لله.

و في المبحث الثامن تعرض لبعض ما يعيبه النصارى على المسلمين من مسائل كقولهم بوجوب الختان، و أن أهل الجنة يأكلون و يشربون إلى غير ذلك من المسائل التي تعامى عنها القوم رغم وجودها في كتبهم .

و أما آخر مباحث هذا الفصل فكان لإثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، و اعتمد فيه على البشارات الواردة به في النصوص الكتابية المختلفة،و اكتفى بسرد النصوص حتى لا يطول الكتاب " .

و الكتاب في جملته يعتمد على معرفة المؤلف بالنصوص الكتابية و إطلاعه على أسرار الكنيسة و طقوسها، لكنه جاء مختصراً غير واف بمعرفة المؤلف بأغراض الجدل الإسلامية النصرانية و تمكنه منها، و قد أشار المؤلف إلى أنه اكتفى بتأليف " هذا المختصر السعيد " مع قدرته على استعراض عقائدهم و نقدها بالدليل النقلي و العقلي.

و سبب اقتصاره في استدلاله على النقول كما يقول " وجدت تصانيف علمائنا الإسلاميين – رضي الله عنهم – قد سلكوا في معظم احتجاجهم على أهل الكتاب من النصارى و اليهود مسلك مقتضيات العقول.......و أعرضوا عن الاحتجاج عليهم بمقتضى المنقول إلا في نادر المسائل " .

و لم يستثن الترجمان من حكمه سوى ابن حزم " فإنه قدر عليهم بالمعقول و المنقول خصوصاً ما في كتبهم ".

و عليه نستطيع القول بأن الترجمان لم يطلع على كثير مما كتبه العلماء المسلمون، و عذره في ذلك حداثة عهده بالإسلام و عجمته و انشغاله عن طلب العلم بعد الإسلام بالجهاد في سبيل الله.

*** زيادة بن يحيى نصب الراسي**

وهو كما ذكر عن نفسه من أهل الكتاب ، وقد أسلم بعد أن تفرغ للبحث والمطالعة وبغيته الوصول للدين الصحيح ، وقد ترجح له الإسلام ، وحرر ما قد تحصل له من المقابلة والبحث في هذا الكتاب ، وقد ذكر الطيبي مختصر كتابه البحث الصريح أن المؤلف من علماء القرن الحادي عشر الهجري .[1]

وله في الرد على النصارى كتابان :الأول : " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " .[2]

والثاني : " الأجوبة الجلية لدحض الدعوات النصرانية " .[3]

وكتابه الأول " البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح " مخطوط ، وتوجد له مصورة في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض .

وتقع هذه النسخة في سبع وخمسين لوحة ، وفي كل صفحة من صفحاتها ما يقارب التسعة عشر سطراً ، وقد وقع نقص بعد الصفحة ، ٤٨ أ ، وهو سقط طويل إذ حوى الشك الثاني عشر ،وامتد السقط إلى الشك العشرين، ويقدر بخمس لوحات . ثم وقع نقص آخر بعد لوحة ٥٠ أ ، ولعل النقص لوحة أو لوحتان فقط ، فقد شمل النقص الشك ٢٥ – ٢٦ – ٢٧ ومقدمة الشك ٢٨ .

وقد اشتمل الكتاب في ثناياه على حواشي كثيرة قاربت أن تبلغ ربع الكتاب لكثرتها وطول

---

(١) انظر : خلاصة الترجيح للدين الصحيح ، الطيبي ، ص ٨٥٨ (مطبوع على هامش كتاب " إظهار الحق " (طبعة المطبعة الخيرية)

(٢) انظر البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ،زيادة بن يحيى الراسي ، مخطوطة وصورة بمكتبة جامعة الملك سعود.

(٣) ذكره ناسخ البحث الصحيح لوحة ٥٧ أ ،وقد اختصره الطيبي الدمشقي ، وصدر المختصر مطبوعاً بتحقيق : أحمد حجازي السقا ، مكتبة الإيمان ، المنصورة .

بعضها ، وهذه الحواشي كلها للناسخ كما يغلب على ظني ،فإنه نص على أن بعضها له ، وأهمل نسبة الباقين ، فلعلها أيضاً له ، و لم يذكر الناسخ اسمه ولا ما يدل عليه ، لكنه أعجمي كما يظهر في صياغته مطلع على كتب أهل الكتاب ، ملم بها عارف باللغة العبرانية ، والسريانية أيضاً ، وقد كانت نساخته للكتاب في سنة ألف ومائتين وثلاث وستين للهجرة .

يتكون الكتاب في مقدمة وفهرس لخص فيه موضوع كتابه وخمسة أبواب وخاتمة .

فقد عرف في المقدمة بسبب تأليفه للكتاب فقال : « لما كنت متفرغاً للبحث والمطالعة عن أيما هو الدين الصحيح بكل جهد وبغاية التنقيح قد نظرت أن أصحاب الملل من دأبها أن تفتخر على بعضها بسمو اعتقادها ، وكل منهم يتصور أن ما ذهبت إليه آل ملته هو الدين الصحيح ، وسواه على كل قبيح ، وقد رأيت أيضاً أن بعضهم راضٍ بدينه من دون فحص ولا معرفة ... والنادر منهم من يقابلها (قواعد دينه) على غيرها ... فحمدت أنا الرأي الأخير، وحددته حالاً من غير تأخير ، وبدأت أن أقابل كتابي ومعتقدي على كتابي المعتقدين الشهيرين ، وراجعتهما على أولياء العلم من دون تعصب مزاجي ... قصدت أن أحرر ما قد حصلته في المقابلة في تلك المسائل ، وأبينه لدى ذوي البصائر القادحة ... » ، فكان هذا الكتاب .

وفي الباب الأول : ضمّن المؤلف ثناياه ست بيانات تعرض فيها لست أدلة دعت النصارى للقول بألوهية المسيح ، فذكر بعض النصوص المشكلة على النصارى من الأناجيل والرسائل مما فهموا منه ألوهية المسيح ، فرد عليهم بذكر نصوص أخرى أبطلت استدلالهم ، وينبه مرة بعد مرة إلى أن فهم النصارى المغلوط لهذه النصوص فهم محدث لم يعرفه أوائل النصارى ، ولا يرضونه .

وفي الباب الثاني : ناقش احتجاج النصارى بمعجزات المسيح على ألوهيته ، فوجه هذه المعجزات لدلالتها الحقيقية مبيناً وجود معجزات أعظم لغيره من الأنبياء لم تقل النصارى بألوهيتهم .

وفي الباب الثالث : رد المؤلف على شبهة زواج نبينا ﷺ من زينب مطلقة متبناه قبل التحريم ، وكثرة زوجاته ، وشبهة إباحة قتاله أعداءه وقتله لهم ، فاستند المؤلف في هذا الباب الصغير على كتب أهل الكتاب التي نقلت عن أنبيائهم أموراً من جنس ذلك .

وفي الباب الرابع : ذكر المؤلف في أطول أبواب كتابه إحدى عشرة شهادة من شهادات الأنبياء بالنبي ﷺ وبشاراتهم به .

فساق شهادات توراتية وإنجيلية مختلفة سُبق إلى عشرة شهادات منها ، والمؤلف بمعرفته بالعبرانية وترجمته لهذه البشارات عنها مباشرة يظهر كثيراً من المعاني التي ضاعت في الترجمات المتداولة ، كما أجاد في الربط بين البشارات المختلفة وتوحيد دلالاتها للوقوف فيها على صفات نبينا ﷺ في أسفار النصارى .

وأما الباب الخامس : وهو آخر الأبواب فقد ذكر فيه ثلاثين شكاً (أي نصاً مشكلاً)في التوراة والإنجيل .

وقد جعل الناسخ حواشيه بجوار كلام المؤلف ، فصل بينها وبين كلام المؤلف بقوله " حاشية " ، وجعل علامة نهاية الحاشية إقفال القوس . أو أن يبدأ كلام المؤلف بحروف بارزة ، وقد ألحقت تعليقاته في الباب الثالث الخاص بجهود علماء القرن الرابع عشر الهجري لمقاربته لها زماناً وتناولاً .

وقد اختصر هذا المؤلَف الشيخ محمد بن علي الطيبـــي الشافعي في رسالته له بعنوان : " خلاصة الترجيح للدين الصحيح "[1] وقد فرغ من اختصاره في ذي الحجة من عام ١٢٧٧ هـــ[2] .

وأما الكتاب الثاني للشيخ زيادة فهو " الأجوبة الجلية لدحض الدعوات النصرانية " . وسبب تأليفه أن الشيخ زيادة لما ألف كتابه البحث الصريح "أرسله إلى المنيع-و هو رجل من مجيبه بمصر و القاهرة- ليرشده إلى ذلك، و أورد عليه أسئلة تهدم – بظاهرها –هذا الدين الشريف، فعند ذلك توقف على الدخول فيه، و كتب تلك الأسئلة، و أرسلها إلى المرحوم [3](الشيخ زيادة) فعند ذلك ألف " الأجوبة الجليلة لدحض الدعوات النصرانية "، و أرسلها إلى محبه المتقدم، فغب الوقوف عليها، أسلم و حسن إسلامه باطلاعه على عين الحقيقة " .[4]

وكانت موضوعات الأسئلة التي أجاب عنها الشيخ :

- عموم رسالة محمد ﷺ للعالمين .
- ما جاء في مدح القرآن الكريم للإنجيل والنصارى .
- بيان معاني بعض الآيات التي أوردها النصارى ، وقصدوا بها التشكيك في نبوة النبي ﷺ ، مثل قوله : ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾[5] ﴿ اهدنا الصرط المستقيم ﴾[6] ، فرأوا أنها تدل على شكه عليه الصلاة والسلام بنفسه .
- بيان معاني بعض الآيات التي أوردها النصارى ، وزعموا أن فيها ما يصحح عقيدتهم ،كقوله تعالى :﴿ هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾[7] .
-بيان معاني الآيات التي نقدها النصارى من خلالها شريعة محمد ﷺ كإباحة الطلاق وغيرها .
- طعن النصارى في القرآن الكريم من خلال ذكر القراءات المختلفة ، ومن خلال زعمهم أن في القرآن حديثاً لا يصح كقوله:﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾[8]،وما جاء في نعيم الجنة وأنه جسماني .أو أن في القرآن كلمات أعجمية تنافي دعوى كونه كتاباً عربياً ، وأن فيه ناسخاً ومنسوخاً .
- كما أورد شبهات متعلقة ببعض ما جاء في السنة مثل :

* تقسيم رسول الله لغنائم الأمم التي قهرها .

---

(١) مطبوعة على هامش إظهار الحق طبع المطبعة الخيرية .

(٢) انظر خلاصة الترجيح للدين الصحيح ، الطيبي الدمشقي ، ٢ / ١٦١ .

(٣) نسأل الله أن يكون كذلك ، ولاينبغي أن تكون العبارة بمعنى الحكم له بالرحمة ، فالله أعلم بمن يستحق رحمته ، وهو أرحم الراحمين .

(٤) مختصر الأجوبة الجلية في دحض الدعوات النصرلنية ، الطيبي الدمشقي ،ص ٣٣ .

(٥) سورة سبأ ، من آية : ٢٤ .

(٦) سورة الفاتحة ، آية : ٥ .

(٧) سورة غافر ، آية : ٦٨ .

(٨) سورة المائدة ، من آية : ٧٣ .

* أمره بقتل رجل عابه .

* أنه تعرض للأذى ، وأنه هزم في بعض معاركه .

* أنه لم خبر بالغيوب كما فعل عيسى والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

*** عبد العزيز بن حمد آل معمر**

وهو عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر وهو -كما ترجم له محمد عبد اللطيف آل الشيخ- من علماء نجد في القرن الثالث عشر ، ألف كتابه " منحة القريب " في سن صغيرة، وكانت وفاته سنة ألف ومائتين وأربع وأربعين[(١)] .

وله كتاب " منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب "[(٢)].

وسبب تأليفه رحمه الله لهذا الكتاب « سألني بعض الإخوان أيدهم الله تعالى أن أكتب جواباً عن أباطيل الكتاب الذي صنفه بعض الضالين من النصارى الجهلة الغافلين ، وسماه "بمفتاح الخزائن ومصباح الدفائن "» و لم يذكر اسم مؤلفه .

وموضوعات كتاب النصراني:

*صحة الشريعة المسيحية.

*صحة كتب العهد الجديد.

*الرد على اليهود.

*الرد على المسلمين.وهذا القسم هو ما انبرى المؤلف للرد عليه،وفي رده تحدث عن موضوعات: *تبديل دين المسيح،ودور المجامع.

*براءة القرآن من التحريف.

*الأدلة على صحة نبوة نبينا.

*إبطال البنوة و التثليث.

*معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.

*فضل شرائع الإسلام.

وقد تعرض عبد العزيز آل معمر لهذه الموضوعات، وبدأ بالحديث عن تاريخ النصرانية ومجامعها وافتراقها ،ثم أكد نجاة المسيح عليه السلام من الصلب ،وذكر صلب أحد حوارييه بدلاً عنه، وتحدث عن وجود التحريف في الكتاب المقدس، وأبطل ما تعلقت به النصارى من آيات فهمت منها - باطلاً - موافقة القرآن لما جاء في كتبهم .

ثم ذكر بعضاً من الحجج العقلية التي تبطل نسبة الولد لله، وتؤكد عبودية المسيح لرب العالمين .

---

(١) انظر ترجمته في مقدمة كتاب منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر.

(٢) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ط١ ، شركة فن الطباعة ، مصر ١٣٥٨ هـ .

وقد اعتمد المؤلف في كتابه على كتابي ابن تيمية و ابن القيم في كثير من موضوعات كتابه.ثم أفاض آل معمر في الحديث عن إثبات نبوة نبينا ﷺ مستدلاً بالبشارات الكتابية التي وجهها وبين معانيها ،ثم بالمعجزات التي جعلها الله على يديه خاصة منها معجزة القرآن الكريم.

ثم أبطل المؤلف أقوال النصراني المختصة بشريعة الإسلام حيث عاب النصراني بعض بشرائع الإسلام كالجهاد لإقامة الدين وغيره،وأبطله المؤلف ،وتحدث عما تعرضت له شرائع النصارى من التحريف

ثانياً: الردود الإسلامية للأشاعرة ومن وافقهم من المتكلمين

***أبو بكر الباقلاني.**

و الباقلاني هو أبو بكر محمد بن الطيب البصري قال عنه الذهبي " كان ثقة إماماً بارعاً..انتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري...مات في ذي القعدة سنة ثلاث و أربعمائة.."[١]

وله كتاب " التمهيد "[٢]،وخص النصارى فيه بفصل بلغ سبعاً و عشرين صفحة.

و يبدأ الباقلاني بمناقشة النصارى في زعمهم أن الله جوهر، و يذكر الأسباب التي دعتهم لذلك، فيرى أنها بسبب قياس الغائب على الشاهد.ثم ينتقل لمناقشة الأقانيم و علاقتها بالجوهر، و هل هي متفقة أم مختلفة؟فتحدث عن الاتحاد، واختلاف النصارى في معناه و صوره و أمثلته ،و رد على ذلك كله.

ثم شرع يورد على فرق النصارى المختلفة ما يرِد على أقوالهم من باطل القول الذي يخالف المنطق و هو خلال أسئلته يفترض إجاباتهم المحتملة و يفندها.

و في خضم هذا النقد المنطقي استعرض بعض الأدلة النصية للنصارى على ألوهية المسيح، و بين لهم اشتراك المسيح مع غيره في دلالات هذه النصوص،و استشهد لذلك بدلالات نصوص كتابية أخرى.

و قد ذكر الذهبي و غيره في ترجمته أنه قال لراهب الروم:"كيف الأهل و الأولاد؟ فقال الملك: أما علمت أن الراهب يتنـــزه عن هذا!فقال: تنـــزهونه عن هذا و لا تنـــزهون رب العالمين عن الصاحبة و الولد.

و قيل أن الطاغية سأله: كيف جرى لزوجة نبيكم؟(يقصد لمز عائشة رضي الله عنها بما رميت به من الإفك زوراً)فقال:كما جرى لمريم بنت عمران،و وبرأهما الله، ولكن عائشة لم تأت بولدٍ فأفحمه "[٣]

***ابن حزم الأندلسي**

وابن حزم هو أبو محمد علي بن أحمد القرطبي ، قال عنه الذهبي : " الإمام الأوحد،ذو الفنون والمعارف..توفي ..سنة ست وخمسين وأربعمائة ".[٤]

و له كتاب " الفصل في الملل و الأهواء والنحل " [٥] ،وذكر الذهبي له كتاباً آخر عنوانه " تأليف في الرد على أناجيل النصارى "[٦].

وفي كتابه " الفصل "خص ابن حزم النصارى والتوراة بثلاثة فصول شغلت ما جاوز المئتي صفحة من هذا الكتاب .

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ١٩٠/١٧ ، و تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ٣٧٩/٥ ، و وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمان ، ابن خلكان ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ٢٦٩/٤.

(٢) انظر التمهيد ، الباقلاني ، تصحيح : رتشرد مكارثي ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، ١٩٥٧ م.

(٣) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ١٩١/١٧-١٩٢.

(٤) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، الذهبي ١٨٤/١٨ ، وفيات الأعيان ، ابن خلكان ٣٢٥/٣ ، لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني ١٩٨/٤ .

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، ط١ ، المطبعة الأدبية ، مصر ، ١٣١٧ .

(٦) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ١٨ /١٩٧ .

أما أول الفصول الثلاثة فكان موضوعه نقل أقوال فرق النصارى في المسيح ونقدها، و استخدم في ذلك الاستدلال العقلي .

و أما الفصل الثاني فتحدث فيه عن اليهود و فرقهم، و عرف بفرقة " العيسوية " الذين يقولون بنبوة محمد صلى الله عليه و سلم [1]، و أبان عن اطلاعه على تاريخ بني إسرائيل و حروبهم، وهذا الاطلاع تيسر له بعد قراءته لكتاب لهم جمعه رجل من نسل هارون يدعى يوسف بن هارون .

ثم شرع ابن حزم في الحديث عن التوراة و نسخها المختلفة (السامرية و العبرانية و اليونانية)، و تحدث عن نسخته المترجمة عن العبرانية، مبيناً عدد إصحاحاتها و أعداد أوراقها و سطورها و عدد الكلمات التقريبي في كل سطر .

ثم تحدث ابن حزم عن تاريخ التوراة بدءً بوفاة موسى عليه السلام و احتفاظ بني إسرائيل بنسخٍ قليلة منها، مروراً بما تعرض له بنو إسرائيل و هيكلهم من حرقٍ و ردةٍ عن الدين و عبادةٍ للأوثان، وتحدث بإسهاب عن بعدهم عن دين الله، وكفر كثيرٍ من ملوكهم، و أثر ذلك في ضياع التوراة، كما تحدث عن كتابة عزرا الوراق للتوراة من حفظه ،ثم انتشارها بعد ذلك ، ثم شرع ينقد التوراة التي بين يديه بدءً بالأسفار الخمسة المنسوبة لموسى ، ثم المزامير وكتب الأنبياء،ثم انتهى إلى نقد التلمود .

ولكنه رحمه الله كان تناوله لسفر التكوين مسهباً أفاض فيه،بينا كان نقده في بقية الأسفار مختصراً، وليته لم يفعل ،إذ كان جهده رحمه الله الأساس الصلب الذي قام عليه نقد التوراة والإنجيل في القديم والحديث ،فقد أظهر تناقض هذه الأسفار مع بعضها ،علاوة على ما فيها من الطوام والكذب.

وأما ثالث فصوله فقد تحدث فيه عن الأناجيل والرسائل الملحقة بها ،فذكر تاريخ هذه الكتب والظروف السياسية التي سببت ضياع الإنجيل الصحيح ، ثم شرع يذكر تناقضات الأناجيل ومخالفتها لعقائد النصارى في مبحثي الألوهية والصلب ،وقد أسهب في نقد إنجيلي" متى " و " يوحنا " ،وأوجز في نقده لبقية الأناجيل والرسائل ، وبلغ عدد مباحثه في هذا النقد سبعين مبحثاً.ويعتبر ما سطره ابن حزم أول نقد للكتاب المقدس عند النصارى .

ويعاب عليه السمة الظاهرية التي غلبت على دراسته في بعض المواضع من التوراة والأناجيل ،ومن مثل ذلك تعليقه على قول متى " آمين أقول لكم ،لو لم يولد من الآدميين أحد أشرف من يحيى المعمداني ،ولكن من كان صغيراً في ملكوت السموات ،فهو أكبر منه " (متى ١١/١١-١٢) قال أبو محمد : " تأملوا هذا الفصل تروا مصيبة الدهر فيهم ،وقرة عيون الأعداء ،وهو لا يمكن أن يقوله ولا ينطق به صبي يرجى فلاحه ،ولأمة كعاء إلا أن تكون مدخولة العقل : أثبت أنه لم يولد في الآدميين أشرف من يحيى ،وإذا كان كما زعم أن الصغير في ملكوت السماء أكبر من يحيى، فكل من يدخل ملكوت السماء ضرورة فهو أكبر من يحيى، فوجب من هذا أن كل مؤمن من بني آدم فهو أكبر من يحيى، و أن يحيى أرذل و أصغر

---

(١) وهم أصحاب أبي عيسى الأصفهاني ، وكان في زمن المنصور ، زعم النبوة ، وقال بخصوصية العرب بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٩٩/١ ، الملل والنحل ، الشهرستاني ، تحقيق: محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ٥٥/٢- ٥٦ .

من كل مؤمن " [1].

كما يعاب عليه تعرضه بالثلب والشتم لمن تسميهم الأناجيل التلاميذ الاثني عشر وكتاب الأناجيل، فقد نال منهم ابن حزم نيلاً شديداً ،كقوله : " مرتد " و " زنديق " و " يوحنا اللعين " و " متى الشرطي النذل " ، و" النذل باطرة " (بطرس) ، و " لوقا الفاجر "[2] .

فهو يعتبر ما نسب إليهم من الموبقات أو مما له تأويلٌ صحيح ،اعتبر ذلك عقيدة لهم يستحقون عليها هذا السباب، و ابن حزم حين يذكر هؤلاء بسوء فإنه يعتقد بأنهم ليسوا الحواريين الذين أثني عليهم القرآن الكريم [3].

*إمام الحرمين الجويني

و الجويني هو عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي ،إمام الحرمين ،صاحب التصانيف ، قال عنه ابن كثير " صنف التصانيف الكثيرة في أنواع العلوم، وكان زاهداً شديد الاحتياط لدينه " وكانت وفاته سنة ثمان و سبعين و أربعمائة للهجرة .[4]

وله في الرد على النصارى كتاب " شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل " [5]،كما تعرض للنصارى في كتابه " الشامل في أصول الدين "[6] وكذلك خص النصارى بفصل صغير في كتابه " الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ". [7]

والموضوعات التي تصدى لها الجويني في الشفاء كانت كما يلي:

*دعوى اليهود و النصارى عدم تحريف التوراة و الإنجيل اعتماداً على ما ورد من ثناء عليهما في القرآن الكريم .

*وصف تاريخ تدوين التوراة من لدن موسى عليه السلام إلى كتابتها على يد عزرا.

*عقد مقارنة بين التوراة العبرانية و اليونانية(السبعينية) في أعمار الآباء الأوائل .

*ذكر بعض تناقضات الأناجيل، و اهتم منها بنسب المسيح و خلاف لوقا مع متى فيه.

---

(١) النص نبوءة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فهو الصغير لتأخره عن الأنبياء الذين سبقوه إلى أقوامهم عليهم الصلاة والسلام.

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ٢/٤٦،٣٠،٢٤ .

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ٢/٣٨ .

(٤) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ١٨/٤٦٨ ، و انظر البداية و النهاية ، ابن كثير ، ١٢/٥٩ ، و ذيل تاريخ بغداد ، ابن النجار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١/٨٥.

(٥) شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ، الجويني ، تحقيق: أحمد حجازي السقا ، ط١ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر ، ١٣٩٨هـ .

(٦) الشامل في أصول الدين ، الجويني ، تحقيق: علي سامي النشار ، وآخرين ، ط منشاة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٦٩م.ص٥٧١-٦٠٩ .

(٧) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، الجويني ، تحقيق : محمد يوسف موسى ، علي عبد المنعم ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٣٩٦هـ .ص٤٦-٥١ .

و قد أفاد الجويني في هذه الرسالة كثيراً من ابن حزم ،بل جاءت رسالته عرضاً مقتضباً لما تعرض له ابن حزم في" الفصل " .

وأما " الشامل في أصول الدين " فقد تعرض فيه الجويني لبعض الموضوعات النصرانية الأخرى،وذلك خلال أربعين صفحة منه،ومما طرقه فيه:-

*اعتراضه على تسمية الله بالجوهر ،وطلبه الدليل على ذلك.

*الأقانيم وعلاقتها بالجوهر .

*مذاهب النصارى في كيفية الاتحاد .

*إبطال الحلول بالعقل .

*إبطال القول بالامتزاج والاختلاط .

*نقد أمثلة الاتحاد .

*المعجزات وشبهة الحلول .

*تعلق النصارى ببعض الآيات القرآنية لنصرة مذهبهم .

*إبطال استدلالهم ببعض الأدلة النصية – من كتبهم — على ألوهية المسيح .

وفي رده يورد الجويني السؤال على النصارى ،ثم يورد الإجابات المحتملة،ويكر عليها بالرد واحداً تلو الآخر.مستخدماً ما أوتي من قدرة منطقية باهرة .

و في " الإرشاد " نقد تسمية النصارى للباري جل وعلا :جوهراً ،لأن الجوهر هو المتحيز، و تحدث عن علاقة الأقانيم بالجوهر، و نقد حصرهم الأقانيم في ثلاث،و تحدث عن علاقة الأقنوم الثاني بالجوهر و عن ما يترتب على تجويز الاتحاد بعيسى من أقوال لا يرتضيها حتى النصارى .

و اعتبر ما يرد في بقية أبواب كتابه من حديث عن الوحدانية رداً على النصارى ،و نقداً لتثليثهم.

***أبو حامد الغزالي**

و الغزالي هو أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الشافعي الغزالي،و قد أخذ العلماء عليه أموراً مردها تصوفه وإغراقه فيه، قال عنه الذهبي : " الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان....و كانت وفاته سنة خمس وخمسمائة ". [1]

و له كتاب " الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل " [2] ، و لهذا الكتاب أهمية خاصة فهو أول كتاب متخصص في مناقشة النصارى في معتقد الحلول الإلهي والتثليث بشكل مستقل إضافة إلى جمع المؤلف رحمه الله بين الاستدلال العقلي والتمكن والخبرة بالنصوص الكتابية .

ويقدم الغزالي لكتابه بفصلين يرى أن أهل العلم يتفقون عليهما :

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٣٢٢/١٩ ، ، وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ٢١٦/٤ ، البداية والنهاية ، ابن كثير ، ٢١٠/١٢ .

(٢) الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي ، ط٣ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٠هـ .

الأول : " أن النصوص إذا وافقت المعقول تركت [على] ظواهرها. وإن خالفت صريح المعقول وجب تأويلها واعتقاد أن حقائقها ليست مرادة فيجب إذ ذاك ردها إلى المجاز " [1].

الثاني : " أن الدلائل إذا تعارضت، فدل بعضها على إثبات حكم ،وبعضها على نفيه ،فلا نتركها متعارضة إلا وقد أحسسنا من أنفسنا العجز باستحالة إمكان الجمع ،وامتناع جعلها متضافرة على معنى واحد ".

ثم بدأ بتطبيق ذلك على النصوص المشكلة التي توهم النصارى منها الحلول أو الألوهية ،ثم ناقش فرق النصارى في معتقدها بطبيعة المسيح بحوار منطقي رزين ،وناقش دلالة معجزات عيسى واعتبرها مثبتة لنبوته كما أثبتت مثيلاتها نبوة غيره من الأنبياء .

ثم خص الغزالي نصين من النصوص بزيادة بيان و دراسة، و سماهما معضلتين يتمسك بها النصارى أولهما مقدمة يوحنا " في البدء كان الكلمة، و الكلمة كانت عند الله...." (يوحنا١/١-١٥) .و ثانيهما قول المسيح " الحق أقول لكم : إني قبل أن يكون إبراهيم " (يوحنا٨/٥٦-٥٨).

و خلال دراسته الواعية و العميقة لهذين النصين رد على ما قد يرد على تفسيره لهما من شبهات.

و المنهج الذي رسمه الغزالي في الرد على النصارى في كتاب خصه لاستدلالات النصارى النصية على ألوهية المسيح يتلخص في أنه :سلم جدلاً للنصارى بصحة نصوصهم، و درس هذه النصوص مقارناً إياها بترجمات النص، في لغة أخرى هي القبطية، كما قام بتعليل هذه النصوص و تفسيرها بما تقتضيه نصوص أخرى أوضح منها في دلالتها و بما يقتضيه العقل الصريح، و تفسيراته مؤيدة بما يدعمها من دلالة الكلام عند العقلاء، و كذا النصوص الكتابية الأخرى، و كذا الأسلوب المنطقي الذي استخدمه الغزالي ،ويرى أنه لا يمكن للنصارى تجاوز مقدماته التي اعتمد عليها فوصل إلى نتيجة واضحة هي: أنه لا دلالة في النصوص على إلهية عيسى في الأناجيل.

و لا يخلو الكتاب من لمز النصارى و عقولهم التي تسلم بمثل تلك المعتقدات، و يختم كتابه الرائع بمناقشة شبهة النصارى و تعلقهم بتسمية القرآن لعيسى " الكلمة " ،و كذا تسميته " روح الله " ، فيفسر الآيات الكريمات بما تقتضيه دلالة الألفاظ في لغة العرب، و ما تفسره النصوص القرآنية الأخرى كقوله ﴿ إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾[2] و غيرها من النصوص.

***ابن الأنباري.**

و ابن الأنباري هو أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري صاحب المصنفات قال عنه الذهبي : " الإمام القدوة شيخ النحو...." ، و قال ابن كثير"النحوي الفقيه العابد الزاهد...."

---

(١) هذه القاعدة يحاكم بها الغزالي الكتاب المقدس للنصارى، ولا يصح أن يظن القارئ صحة اطراد ذلك في النصوص الإسلامية فذلك خلل ، إذ هي تجعل من العقل حاكماً على الشرع والنصوص التي ثبت صحة نسبتها، وتجعل من النصوص الشرعية تابعاً له، كما لايصح افتراض وقوع المخالفة بين العقل الصريح وظاهر النقل الصحيح ،إذ الأصل في كل خطاب أن يكون بظاهر اللفظ إلا إن وجدت قرينة تصرف اللفظ عنه .

(٢) سورة البقرة ، من آية: ١١٧ .

و كانت وفاته سنة سبع و سبعين و خمسمائة هجرية [١].

و له كتاب " الداعي إلى الإسلام في أصول علم الكلام " [٢] تعرض فيه لذكر الأديان المخالفة لجمع أهل الحق، و خص النصارى فيه و اليهود بفصلين، ثم ختم بفصل ضمنه إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

وفي الفصل الذي تحدث فيه عن اليهود ساق ابن الأنباري ما أثبت فيه تحريف كتبهم من الكذب و التناقض معتمداً على ابن حزم، ثم أشار إلى ما في هذه الكتب من بشارات بالنبي صلى الله عليه و سلم على الرغم من تحريفها.

و أما الفصل الذي خصه بالنصارى فقسم الكلام فيه إلى ثلاثة:

الأول:ذات الباري تعالى.

الثاني:ذات عيسى.

الثالث:قتل عيسى عليه السلام.

و في القسم الأول و الثاني أعاد ابن الأنباري الموضوعات التي كان قد سبقه إليها الباقلاني و الجويني، بل كاد أن يكون لبعض نصوصهم ناقلاً، و اهتم بالرد على بعض مذاهب النصارى في طبيعة المسيح و أمثلتهم المضروبة لذلك.

و أما القسم الثالث فقد سلك في الرد عليهم ثلاثة أوجه من الاستدلال العقلي، ثم استدل بأقوال المسيح على بشريته و نبوته و رسالته، ثم شرع يتحدث عن الأناجيل مبرزاً بعض صور التناقض التي وردت في الكتب السابقة المختلفة ،ثم ذكر النصوص الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم، و خص القرآن منها بحديث طويل.

*** أبو عبد الله الرازي**

والرازي هو أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي قال عنه ابن خلكان : " فريد عصره ، ونسيج وحده ، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات " .

وكانت وفاته سنة ستمائة للهجرة . [٣] وله " مناظرة في الرد على النصارى " [٤] .

و لم ترد هذه المناظرة ضمن مناظرات الرازي ، وقد أثبت الرازي مقاطع منها في تفسيره لسورتي آل عمران والنساء .

---

(١) انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ١١٣/٢١ ، البداية و النهاية ، ابن كثير ، ٣٣١/١٢ ، وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ١٣٩/٣ .

(٢) الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، تحقيق : سيد حسن باغجوان ، ط١ ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ.

(٣) انظر ترجمته في طبقات الشافعية ، السبكي ٨ / ٨١ ؛ وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، ٤ / ٢٤٨ – ٢٥٢ .

(٤) مناظرة في الرد على النصارى ، الرازي ، تحقيق عبد المجيد النجار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

وقصة هذه المناظرة أن أحد أكابر علماء النصارى – و لم يسمه الرازي – وفد إلى مدينة خوارزم ، فذهب إليه الرازي ، وناظره . وبدأت المناظرة بسؤال من النصراني عن الدليل على نبوة نبينا ﷺ وإجابة الرازي بدلالة المعجزات المتواترة ثم شرع النصراني يقرر ألوهية المسيح فأبطلها الرازي مستدلاً بصفات عيسى التي تنفي عنه الألوهية كالجسمية والتحيز والعبادة والأكل والشرب والقتل كما تقول النصارى .

وتساءل الرازي عن كيفية حصول الحلول ؟وهل هي حلول للكل أم للبعض؟ وبين ما يرد على كل قول من مآخذ يستقبحها العقل .

ورد الرازي الاستدلال بمعجزات عيسى على ألوهيته إذ ظهور المعجزات لا يفيد جواز المحال. ألا وهو الحلول. وإلا لجاز لكل أحد أن يدعي حلول الله فيه وإن لم يأت بمعجزة، فعدم الدليل لا يستلزم عدم المدلول .

ثم قارن بين معجزات المسيح ومعجزات الأنبياء ، فبين أنها جميعاً من جنس واحد، ودلالتها واحدة أي في نبوة أصحابها . ثم تحدث النصراني في عدة قضايا :-

– عدم التسليم بمعجزات النبي كانشقاق القمر وغيره ، وتساءل لماذا تأخرت المعجزات إلى بلوغه سن الأربعين ؟ و لم لم ينبأ في طفولته ؟ ...

– أن قول النصارى بحلول الله في عيسى يشبه ما يقول المجسمة المنتسبون للإسلام في الله عز وجل كقولهم أن له جسم ،وأن عليه تاجاً من ذهب ... وكذا شبه النصراني دينه بما تقوله الباطنية وغلاة الصوفية من حلول الله ببعض البشر أو الجماد ، وقول هؤلاء أشنع من قول النصارى الذين يخصون عيسى بالحلول ، وفسر موت المسيح بأنه موت للجسد لا الروح ، وأن في ذلك إشارة من الله إلى نجاسة عالم الأجساد .

– بين النصراني أن معتقد النصارى في المسيح هو بنوته لله لا على سبيل الحقيقة بل التفخيم ، وشبهه بقول المسلمين: محمد حبيب الله .

– اتهم المسلمين بالحلول مستشهداً بحديث ظهور الله يوم القيامة لعباده في صورة ينكرونها . فكما أجازوا ظهوره على هذه الصورة ينبغي أن يجوزوا ظهوره على صورة موسى أو عيسى .

– أجاب النصراني عن قضية عدم الدليل لا يستلزم عدم المدلول بأن ألزم الرازي بأن لو قيل بأن مسيلمة نبي لعجزتم عن دفعه فعدم وجود دليل معه لا يلزم منه إبطال نبوته .

– عظم من شأن معجزات المسيح حيث فاقت بكثرتها آحاد ما جاء به الأنبياء .

ورد الرازي على أقوال النصراني بأمور :-

* بالحديث عن معجزة القرآن المتحدى به وسلامته عن المعارضة للمثل أو للبعض منه .

* تأخر الرسالة لسن الأربعين لا يدل على تأخر الفضل، فظهور المملكة على من كان راعياً فملك أعظم من ظهورها على من ورث الأمر ورثة .

واعتبر حديث ظهور الله في صورة حسنة أو غير ذلك من الأحاديث التي قد يتوهم منها التجسيم

* فرق الرازي بين الخلة والبنوة ،فالخلة ثابتة لجميع الأنبياء الصالحين .بينما إطلاق البنوة ممنوع ولو على سبيل المجاز لئلا يلتبس على الناس فهذه اللفظة مشعرة بالانفصال والجنسية .

* أما ما ذكره في مثال مسيلمة فإنه ممنوع ،لأن مسيلمة قد قام الدليل على كذبه لا أن أدلة صدقه مفقودة ،ثم انقطع النصراني ، وأقر بالغلبة وامتنع عن الإسلام لاعتقاده أن في علماء دينه من يستطيع دفع حجة الرازي .

ورد الرازي بأن هذا يدعو للتسلسل ، فكل مغلوب يستطيع أن يقول ذلك ، وبذا تضيع الحقيقة المرجوة ،ثم أورد النصراني أسئلة من صاحب له ، ووعد بالإسلام في حال الإجابة عنها وهي:

- ما قول المسلمين فيما تميز به المسيح عن محمد ﷺ كترك الزواج وميلاده العجيب وحياته في السماء كما لم يأت بالمتشابهات التي جاء بها القرآن والسنة والتي فرقت المسلمين أو بالمبهمات التي لا معنى لها كالحروف المقطعة .

واتهم الصحابة بقلة العلم والفهم والعجز ، وتساءل كيف صلح هؤلاء لصحبة النبوة وأمانة الرسالة .

- تحدث عن خلافات المسلمين الفقهية والكلامية ثم ظهور الفرق الباطنية ، ورأى أن هؤلاء جميعاً يدعون الحق ،ويرى النصراني أن اللبس طرأ على هؤلاء من الألفاظ المشكلة في الكتاب والسنة ، ويرى أنه كان يلزم رسول الله أن يجنب أمته هذا الخلاف فيشرح حقائق هذه الألفاظ، وتناسى النصراني الأسباب الأخرى الرئيسة التي أدت لظهور الفرق من شعوبية وزندقة وسوى ذلك.

ورد الرازي بأن قلب على النصراني دليله ، فما ذكره في حق رسولنا يقال في حق عيسى عليه السلام، فكيف يجيب النصراني ؟ ثم أكمل الرازي مناظرته بالدعوة إلى الإسلام وتفضيل النبي ﷺ على غيره من الأنام .

وذكر الرازي في ختام المناظرة إسلام النصراني وهدايته ، وأنه أصبح إماماً يقتدى به في العلم .

والمناظرة كما تبين من مباحثها مناظرة جادة ، وخصم الرازي فيها متمكن من أساليب الجدال والاستدلال لذا أرى أن ما سجله الرازي إنما هو بعض حوارات المناظرة لا كلها ، إذ لا يتوقع انتقال النصراني عن دينه لمجرد إفحامه في بعض المسائل .

***محمد بن أحمد القرطبي.**

والقرطبي هو أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي،قال عنه ابن العماد : " الحاكي مذاهب السلف

كلها،وما أكثر فوائده ؟وكان إماماً وعلماً من الغواصين على معاني الحديث،حسن التصنيف،جيد النقل..." [(١)]

و له كتاب " الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام، و إظهار محاسن دين الإسلام و إثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة و السلام " [(٢)] ،و قد شكك في نسبة الكتاب للإمام القرطبي صاحب التفسير بسبب بعض التواريخ الخاطئة الواردة في مخطوطته،وقد أثبت فايز عزام الذي حقق هذا الكتاب صحة هذه النسبة .

و يذكر القرطبي سبب تأليفه للكتاب فيقول : "وقفت –وفقك الله – على كتاب كتب به بعض المتحلين لدين النصرانية، سماه كتاب " تثليث الوحدانية " بعث به من طليطلة أعادها الله إلى مدينة قرطبة حرسها الله...متعرضاً فيه لدين المسلمين، نائلاً فيه من عصابة الحق الموحدين، سائلاً عما لا يعنيه، و متكلماً بما لا يدريه ".

و كتاب النصراني ينبيء عن أن صاحبه "يهرف بما لا يعرف، و ينطق بما لا يحقق ،ناقض و لم يشعر، و عمي من حيث يظن أنه يستبصر....يلحن إذا كتب، و يعجم متى أعرب... و له بقوله على ضعف عقله....".

و بعد استخارة الله كتب القرطبي هذا الكتاب جواباً عليه، و هو في كتابه يجيب على ما كتبه النصراني " حرفاً حرفاً".

ثم يذكر القرطبي إعراض كثير من العقلاء عن مجادلة النصارى، و كاد أن يكون منهم " كنت عزمت على الاقتداء بالعقلاء في الإعراض، حتى أكثر هذا المتكلم من التعرض و الاعتراض، فتعين لذلك الجواب...إذ الإعراض عن الجاهلين شرعة رب العالمين على لسان سيد المرسلين، و أيضاً فمن لم يعرف شروط النظر، و لم يسلك مسالك البحث و العبر، فالكلام معه ضرب في حديد بارد، و عمل ليس منه جدوى و لاعايد ".

و أخذ القرطبي على نفسه " لا أتعرضهم بقزع السباب، و لا أنزل معهم إلى اعتذار و عتاب " ، لكن لا يكاد يخلو مبحث من مباحثه التي رد بها على النصراني من بعض السباب كقوله : " فهلا استرزقت عقلاً " و " لولا الله تعالى سلبكم عقولكم و ابتلاكم بظلمة التقليد الذي أفضى بكم إلى مكابرة العقول و إنكار البداهة، لما وجد هذا المذهب مستقراً في قلب مجنون " و " بل أتيت بكلام يشهد عليك عند العقلاء بالبلادة و قلة التحصيل، و عدم الإجادة "، و لربما لا يعده القرطبي من قزع السباب الذي التزم القرطبي بتركه .

طريقة القرطبي في كتابه بيّنها فقال:" أذكر كلام هذا السائل –كما بلغني– و أبين من خطئه و تناقضه ما شاء الله أن يفهمني، فأناقشه في لفظه، و أظهر سوء نقله و حفظه، فتارة أسأله، و أخرى أجاوبه...فأحكي مذاهبهم كما دونوها في كتبهم، و على ما تلقوها من أساقفتهم ".

---

(١) انظر ترجمته في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، التلمساني ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد ، ٢٣٣/٥ .

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، للقرطبي ، تحقيق : أحمد حجازي السقا ، دار التراث العربي.

و الكتاب من صدر و أربعة أبواب، يتعرض في الصدر لخطبة كتاب النصراني التي عرف بها بعنوان كتابه، فنقد القرطبي ألفاظه و معانيه، و أظهر عجز النصراني عن سياق الكلام كما ينبغي أن يكون و تناقضه.و أخذ على نفسه أن لا يتتبعه في سائر كتابه كما في المقدمة، لأنه بذلك يكون قد " خرج الأمر عن الاعتدال، و أدى ذلك إلى الكسل و الملال و ضياع الزمن في ضروب الهذيان ".

و الباب الأول في بيان مذاهبهم في الأقانيم و إبطال قولهم فيها، و يقع في خمسة فصول: تحدث في الفصل الأول في نقض كلام النصراني الذي اعتبر أقانيم التثليث أسماءً لأفعال الله، و كشف القرطبي من خلال عرضه لكلام النصراني عجزه في أساليب المنطق ، و كان ذلك سبباً في قسوة القرطبي عليه و رميه له بالجهل.ونقض في الفصل الثاني تسميتهم للأقانيم بالقوة و العلم و الحياة، و نقد في الفصل الثالث تعليل النصارى لحصرهم التثليث بأن الصفات جميعاً إنما تعود إلى هذه الصفات الثلاث.ثم نقد في الفصل الرابع استدلال النصراني العقلي على صحة معتقد التثليث، ثم حكى في آخر فصول هذا الباب خلاف النصارى في الأقانيم، فأبطل أقوالهم بالدليل العقلي المنطقي .

أما الباب الثاني فخصه القرطبي لعقيدة الحلول و الاتحاد، و فيه ستة فصول: نقد في الأول منها حصر النصارى للاتحاد بالكلمة دون سائر الأقانيم، و نقد في الثاني معنى الاتحاد مظهراً ما ينطوي عليه من مخالفات منطقية، و أكذبه في دعواه بأن الاتحاد جاءت به النبوات.و عرض في الفصل الثالث تشبيه النصراني اتحاد الله بعيسى باحتجابه بالشجرة عندما كلم موسى، فأبطل مقدماته و النتيجة التي توصل إليها، وأكمل ذلك في الفصل الرابع الذي عنون له بتجسد الواسطة.و في خامس فصول هذا الباب عرض مذاهب الفرق الرئيسة في طبيعة التجسد، و أبطل أدلتهم النقلية على الاتحاد، و بين لهم ما يرد عليه من إلزامات لا يرتضونها في دينهم.و في آخر فصول هذا الباب حكى مذهب أغشتين في مسألة احتجاب الله بعيسى كما احتجب بالشجرة عندما كلم موسى.

و في هذين البابين يظهر القرطبي معرفة كبيرة بأساليب المنطق و سبر الكلام و تقسيمه، كما يظهر معرفة بمذاهب النصارى و تمكناً من أقوالهم، فقد ذكر في سياق رده عدداً من كتب النصارى منها " المسائل " و أيضاً " الحروف " و " تثليث الوحدانية في معرفة الله" و " مصحف العالم الكائن " و جميعها لأغشتين مقدم النصارى و عظيمهم في تلك الأيام ، كما رد على غيره كحفص بن البر و الأسقف ليون و بليون الجاثليق و غيرهم .

و أما الباب الثالث فموضوعه النبوات، و قد قسم الكلام فيه إلى قسمين: القسم الأول: عرض فيه مجادلة النصراني في النبوات، و رد عليه، فذكر كلام النصراني في أن أهل كل ملة يدعون الحق في ملتهم و الخير في دينهم و يدعون إليه، و أن الحجة ينبغي أن تقام عليهم بما يتفق عليه من الكتب بينهم و بين مناظريهم، ثم تحدث في فصل آخر عن نبوة عيسى عليه السلام، فحكى كلامه من أن المسيح المنتظر الذي كان ينتظره اليهود و هو عيسى عليه السلام، فقد أوعدهم الله بالذلة في الدنيا، إن هم كفروا به و هذا هو حالهم .و جاء جواب القرطبي هنا مقتضباً لئلا يفرح اليهود به و يظنوا أن ذلك يثبت صحة معتقدهم، و رأى القرطبي أنه إذا كانت ذلة الناس دليل على فساد معتقدهم و كفرهم، فهذا مؤداه أن المسيح لما صفع و ضرب و صلب كان كذلك، و هو قول شنيع، ثم عاد القرطبي فوجه كلام النصراني و صححه بما

يستقيم معنىً و لفظاً، مثبتاً أن " الدليل الذي استدلت به اليهود - إذا سيق على الطريقة التي ذكرناها – و صح نقله عن الأنبياء بطريقة القطع هو حجة على اليهود لا مخرج لهم منها و لا محيص عنها ".

و في الفصل الثالث من هذا القسم ذكر كلام النصراني في الاحتجاج لنبوة عيسى بما ورد في كتب الأنبياء مما استدعى من القرطبي أن يتحدث حول صلاحية هذه الكتب للاحتجاج، ثم أتبعها بنقد الأناجيل بعد أن نفى العصمة عن أصحابها وأثبت أنها ليست بمتواترة و لا متطابقة ، و كانت محصلة هذا البحث الطويل " أن التوراة و الإنجيل لا تحصل الثقة بهما، فلا يصح الاستدلال بهما لكونهما غير متواترين و قابلين للتغير " و أما عن استدلال النصراني بها على نبوة عيسى " إن صح فهو زيادة في أنواع الأدلة على نفس اليقين ،فلذلك لا نباحثك فيها ، و لا نبالي بك، أتجهلها أم تديرها ؟ على أنا لو ناقشناك في تلك الأدلة لأظهرنا لك فيها الفساد و العلة ، و لكن ما لا يخالف غرضنا و لايقتضيه، فما بالنا نطول أنفاسنا فيه ؟ ".

ثم أورد فصلاً تحدث فيه عن اعتراض النصراني على إباحة الطلاق و كذا تحريم نكاح البائنة بالثلاث إلا بعد زواج صحيح برجل آخر. ثم نقد تفضيل النصراني لسارة و نسلها على هاجر و نسلها ، وذكر القرطبي ما غيبه النصراني من نصوص امتدحت هاجر، و وعدتها بالبركة في ذريتها، و هذه البركة هي نبوة محمد صلى الله عليه و سلم .

و أما القسم الثاني من هذا الباب – الثالث - فجعله للحديث عن النبوات عموماً و عن نبوة محمد صلى الله عليه و سلم خصوصاً، و جعله من مقدمتين: الأولى تحدث فيها عن النبوة و تعريفها، و كذا المعجزة و وجه دلالتها على صدق النبي. و في المقدمة الثانية أثبت فيها من خلال نصوص كثيرة من الإنجيل نبوة عيسى و التي كانت هي المسألة التي آمن بها حواريوه و كفر بها آخرون ،ودار حولها الجدل يومذاك، و أما ما ظهر على يديه من معجزات فهي دلالات نبوته لا ألوهيته.

و أما الجزء الثالث من الإعلام فقد تابع الحديث فيه على النبوات، و جعله في إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .و ذكر القرطبي فيه أنواعاً من الاستدلال أولها : استدلاله بأخبار الأنبياء قبله، فذكر اثنين و ثلاثين نصاً كتابياً تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، و أفاد من ترجمة للزبور نسبها لوهب بن منبه، و اعتبر هذا الزبور " أصح ما يوجد من كتاب الزبور، فإنه أوثق و أعلم من كل ترجمة من سالف الدهور ".

و النوع الثاني من الاستدلال: الاستدلال بقرائن أحواله صلى الله عليه وسلم، فذكر بعض أحواله صلى الله عليه قبل البعثة، كما ذكر كمالاته صلى الله عليه وسلم الخلقية و الخلقية و بعض خصائصه كفصاحة لسانه و كريم نسبه ، و طهارة أرضه، و مزايا شريعته التي جاء بها مراعية لمصالح العباد، و ذكر اطلاع الناس على هذه الكمالات، فعرفها القريب كأبي سفيان، و البعيد كهرقل و المقوقس، ثم قارن بين ذلك كله و ما ترويه النصارى في أناجيلها عن المسيح مما لا يليق به كصياحه على الصليب و غيرها من القبائح .

و النوع الثالث من دلائل نبوته: الاستدلال بما ورد في القرآن الكريم على نبوته و القرآن الكريم كتاب معجز بشتى أنواع الإعجاز التي ذكرها القرطبي، فصح كونه دليلاً على نبوة محمد صلى الله عليه

وسلم .

و النوع الرابع من الاستدلال:الاستدلال بمعجزاته المختلفة صلى الله عليه وسلم، و يلحق بها كرامات أصحابه و تابعيهم .

و في الجزء الرابع من الإعلام آخر أبواب الكتاب ،و عنون له " بيان أن النصارى متحكمون في أديانهم " ،و تحدث في هذا الباب في فنين : الأول: في نقد شعائر النصرانية و بيان عدم أصالتها و ما لا يليق منها أن يلحق بالعبادات متسلحاً بما أوتي من ملكة أصولية و فقهية، و الذي دعاه إلى هذا العرض تهديد النصراني " إني أبعث إلى كل بلد كتاباً بنص شريعتكم و بكل ما نعرف فيها من الأقاويل التي لا تقدرون على إنكارها " .

و في الفن الثاني: ذكر محاسن الإسلام من خلال فصلين تحدث في الأول عن اعتقادات المسلمين و شرائعهم ، و في الفصل الثاني دافع عن الإسلام فيما عابه مجادله النصراني من شبهات حول الإسلام و شرائعه مقارناً إياها بما ذكروه في كتبهم من شرائع مبيناً فضل شرائع الإسلام في ذلك .و بذلك ختم كتابه الذي يعد من أهم ما كتبه علماؤنا في الرد على النصارى .

و القرطبي في كتابه يظهر معرفة جيدة في الكتب النصرانية المقدسة عند النصارى،و تاريخهم بل و كتب كبرائهم التي استخدمها في نقد استدلالات النصارى. و يظهر الكتاب معرفة أكبر و تمكناً في أساليب الجدل.و قد أفاد المؤلف في كتابه ممن سبقه و خاصة كتابي " بذل المجهود " للسموؤل و " مقامع الصلبان " للخزرجي .

*** أحمد بن إدريس القرافي**

هو أحمد بن إدريس القرافي المصري المالكي، فقيه أصولي عاش في القرن السابع، قال عنه الصفدي : " كان مالكياً إماماً في أصول الفقه ، وأصول الدين ، عالماً بالتفسير وعلوم أخر "، وله مؤلفات كثر أوصلها المترجمون له إلى خمسة وعشرين مؤلفاً . وكانت وفاته رحمه الله سنة ستمائة وأربع وثمانين من الهجرة .[1]

وله كتاب " الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة "[2] كما له كتاب آخر واسمه " أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية " .[3]

أما كتابه " الأجوبة الفاخرة " فهو رد على بعض النصارى ، وكان " قد أنشأ رسالة على لسان النصارى مشيراً إلى أن غيره هو القائل ، وأنه هو السائل " ولكن الجديد هنا أن رسالة النصراني " مشتملة

---

(١) انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ، الصفدي ٥ / ٢٣٣ ؛ الديباج المذهب في معرفة أصحاب المذهب ، ابن فرحون المالكي ، ص١/ ٦٢ — ٦٧ ؛ المنهل الصافي و المستوفي بعد الوافي ، يوسف بن تغري بردى ، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ، مطبعة دار الكتاب ، ١٩٥٦م ، ١/ ٢١٥ - ٢١٧ .

(٢) الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ .

(٣) انظر : هدية العارفين ، إسماعيل باشا البغدادي ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١/٩٩ .

على الاحتجاج بالقرآن الكريم على صحة مذهب النصرانية " ولما طالع المؤلف هذه الرسالة وجد أن النصراني " قد التبس عليه المنقول ، وأظلمت لديه قضايا العقول " .

وكان هذا الكتاب في خطبة وأربعة أبواب .

وقد تتبع في الباب الأول رسالة النصراني " حرفاً حرفاً إلى آخرها " وجعل جوابه على جهة الاختصار لأن " النصارى أمة عمياء وطائفة جهلاء ، قد غلب عليهم التقليد وتمنعوا بحجة النظر السديد " ، واستدل على ذلك بذكر بعض مثالب النصارى كتبديل أساقفتهم الدين في مجامعهم الكنسية وبعض خدعهم للعامة إلى غير ذلك من الأمور التي يستخفها العقلاء ، والتي لجأ إليها حزاقهم عندما علموا" أن دينهم ليس له قاعدة تبنى عليه ، ولا أصل يرجع إليه " .

ثم بدأ بنقد كلام النصراني بعد أن ذكره على شكل مقاطع رد على كل مقطع منها في مكانه ، وكان مما التبس على النصراني مواضع في القرآن منها قوله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾[1] ، ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾[2] ،وقوله تعالى: ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾[3] ﴿ ووالدٍ وما ولد ﴾[4] .يلحق بها أيضاً ما جاء في القرآن في تعظيمه لدين عيسى عليه السلام أو مدح وثناء لعيسى عليه الصلاة والسلام ، وكذا ثناء القرآن على حوارييه ومتبعيه .

وفي عرضه لهذه الملتبسات يضم المؤلف الآيات إلى غيرها من الآيات المفسرة لها ، ويبين لهم حقيقة معناها ، وأن المعنى الذي استنبطه هؤلاء مخالف لما فهمه الرسول وأصحابه من الآيات التي نزلت بلغتهم وهم أعرف الناس بها .

كما رد المؤلف على اعتراضاتهم العقلية كقولهم : " ليس من عدل الله أن يطالبنا باتباع رسول لم يرسله إلينا ، ولا وقفنا على كتبه بلساننا ".

بينما جاءت اعتراضات أخرى الغرض منها شرح العقيدة النصرانية وجعلها أكثر معقولية كقوله " لو علم المسلمون مرادنا بالأب والابن وروح القدس لما أنكروا علينا ، فإن مرادنا بالأب : الذات ، والابن : النطق الذي هو القائم بتلك الذات ، وروح القدس : الحياة ، الثلاثة إله واحد ".

وختم المؤلف هذا الباب بفصل فضل فيه الإسلام على سائر الأديان من خلال ذكر بعض شرائع الإسلام وما فيها من حكمة ويسر، وأجرى مقارنات منها ما بين أذان المسلمين للإعلام بالصلاة و بين بوق اليهود من تنافر، وكذا ناقوس النصارى .

فالأذان " فيه الإشعار بالتوحيد ، وأنواع التمجيد بدوي الأصوات بين الأرض والسماوات على أعلى البنايات ، وأين هذا من النفخ في البوقات ، وقراقع الخشبات ". وخلال رد القرافي نقد الأناجيل بعد أن عرف بأصحابها وظروف كتابتها ولغاتها ، فذكر خمسة عشر وجهاً من التناقض فيها .وبذلك

---

(١) سورة إبراهيم ، من آية : ٤ .

(٢) سورة الشعراء ، آية ٢١٤ .

(٣) سورة النساء ، من آية: ١٧١.

(٤) سورة البلد ، آية : ٣ .

يكون القرافي قد استوفى الرد على رسالة النصراني " وهذا هو آخر الرسالة والجواب عنها " .

لكن القرافي اتبع رده على النصراني بأبواب ثلاثة استكمل فيها نقد النصرانية فالباب الثاني كان موضوعه الجواب عن أسئلة أخرى، فذكر خمسة عشر سؤالاً على لسانهم وأجاب عنها تكميلاً للفائدة .

وكانت موضوعاتها كالآتي :

- قضية صلب عيسى الذي تدعي النصارى تواتره .
- تجويز المسلمين وقوع النسخ في كلام الباري .
- قول النصارى باشتمال القرآن على ما ليس بصحيح .
- ألوهية المسيح بدلالة معجزاته .
- إثبات نبوة عيسى عليه السلام .
- تحريف التوراة .
- شغب بعض النصارى حول الكتاب الذي أراد رسول الله كتابته قبل موته .
- قول النصارى بأن الإسلام قام بالسيف والغلبة ، وزعمهم بأن القرآن بصدق أقوالهم بجواز الاتحاد .
- طعنهم في القرآن الكريم لتعدد قراءاته .

وفي كل سؤال كان المؤلف رحمه الله يجيب باقتدار كبير يظهر من خلاله قدرته الأصولية في الاستنباط من الأدلة ، كما يظهر معرفته بمقولات أهل الكتاب وتاريخ معتقداتهم إضافة إلى معرفة واسعة بالنصوص الكتابية.

وبعد أن رد على جميع الأسئلة التي ذكرها على لسانهم أتبعها القرافي بمائة سؤال وسبع ضمنها الباب الثالث .وتميزت هذه الأسئلة بقصر إجابته عنها ، وتنوع موضوعاتها، فقد شملت كثيرًا من أغراض الجدل النصراني كألوهية المسيح، وأدلة ذلك ،وأمانة النصارى، ومآخذ المسلمين عليها ، وعبادات النصارى وشرائعهم المختلفة ، وأيضًا موضوع الصلب والفداء والخطيئة الموروثة .

وفي هذه الأسئلة يورد القرافي السؤال موضحاً منه استدلال الخصم بشرح وافٍ وإجادة بليغة تصعب على كثير من النصارى ، ثم يبدأ في الإجابة مستعينًا بالأدلة الكتابية والعقلية .

وفي الباب الرابع ذكر المؤلف إحدى وخمسين بشارة بالنبي ﷺ وردت في الكتب المختلفة ، وهو في كل بشارة يشير إشارات سريعة إلى تحقق هذه البشارات في شخص النبي ﷺ .

وفي ثنايا الكتاب نصوص إنجيلية عبرية أوردها المؤلف ، وفسرها بالعربية . كما أن في الكتاب ما يظهر اطلاع المؤلف على كتب للنصارى ككتاب " مصحف العالم " لاغشتين وغيره . وهذا كله مكنه من الإكثار في جدال النصارى وإفحامهم . فيقول : " اتفق لي مع كثير منهم في المناظرة أن أطالبه بتصوير مذهبه كيف يمكنه إقامة الدليل عليه ....".

وقد أفاد المؤلف ممن سبقه كالخزرجي والجعفري ، وخاصة في موضوعي الصلب والبشارات الكتابية ، ويمتاز كتابه بأسلوب أدبي سهل ورائع وترتيب جعل هذا الكتاب بحق أجوبة فاخرة على تلك الأسئلة الفاجرة .

*** عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري**

والدميري فقيه شافعي ،صاحب مؤلفات وتصانيف قال عنه السبكي :" الشيخ الزاهد القدوة العارف صاحب الأحوال والكرامات والمصنفات والنظم الكثير "،وقال عنه أبو حيان :كان متقشفاً مخشوشناً يتبرك به الناس .وكانت وفاته سنة ستمائة وأربع وتسعين للهجرة [١].

وله كتاب " إرشاد الحيارى في ردع من مارى " [٢] .

وتبلغ مخطوطة الكتاب تسع لوحات احتوت الكتاب في ست عشرة صفحة ، وكتبها محمد البسرة المنـــزلاوي في سنة ١٢٨٤ هـــ .

والكتاب يتكون من مقدمة مقتضبة وتسعة عشر فصلاً لا يتجاوز طول بعض هذه الفصول الخمسة أسطر .

وفي المقدمة صور معتقد النصارى ، ورد على بعض أقوالهم ، وذكر تسعاً من الأبيات الشعرية في نقدهم .

وفي فصول الكتاب تناول المؤلف ألوهية المسيح وأدلتهم عليها وعلىقولهم بالاتحاد والتثليث ، ورد عليها بمناقشة عقلية بحتة ، و لم يستخدم الرد بالنصوص إلا نادراً .

*** محمد بن سعيد البوصيري**

وهو محمد بن سعيد الصنهاجي المشهور بالبوصيري ،صاحب البردة الشهيرة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها من الغلو والشرك مالا يخفى ،ومنه قوله مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم :

فإن من جودك الدنيا وضرهما ومن علومك علم اللوح والقلم

قال الصفدي عنه: " أظن أن وفاته كانت في سنة ست وتسعين أو سبع وتسعين وستمائة " [٣].

وله " منظومة في الرد على اليهود والنصارى " [٤] وقد شرحها وفصل ما أجمله من معانٍ فيها ، وقصيدته من بحر الكامل ، وهي مائتان وخمسة وتسعون بيتاً .

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشافعية ، السبكي ، ٨/١٩٩-٢٠٠ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد ، ٥/٤٥٠ ، حسن المحاضرة ، السيوطي ١/٢٣٨

(٢) إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، مخطوط مصور عن مكتبة الهيئة العامة للكتاب المصري بالقاهرة .

(٣) انظر ترجمته في : الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي ٣ / ١٠٥ – ١١١ ؛ فوات الوفيات والذيل عليها ، محمد شاكر الكتبي ، ٣/ ٣٦٢ ؛ الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٠م ، ٦ / ٣٩.

(٤) منظومة الإمام الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ، تحقيق أحمد حجازي السقا ، ط١ ، مكتبة المدينة ١٣٩٩هـــ .

وسبب تأليفه لمنظومته وشرحها كما يقول : " لما رأيت كتب النصارى الآن مشحونة بما ينكرون من بعث النبي ﷺ ، وفيها من القول بخلاف ما يدعونه في إلهية المسيح وفي صلبه وإثبات رسالته التي نعتها اليهود والنصارى بما لا يخفى .تعرضت في هذه القصيدة إلى ذكر ما سهل نظمه في ذلك " وأما شرحها "وأردت أن أورد تحت كل أبيات ما أشارت إليه من النصوص التي لا يستطاع ذكرها بالنظم بلفظها " .

وأما الموضوعات التي تناولتها القصيدة فكانت :

* ذم اليهود والنصارى لتفريطهم أو إفراطهم في حق عيسى عليه السلام .

* رفض إلهية المسيح بخصاله البشرية من نوم وتعب وموت .

* رد دعوى أن الصلب أنقذ من الجحيم الأنبياء .

* رد التثليث الذي يجعل الكثير قليلاً مخالفة للمنقول والمعقول .

* تعرض لليهود وخلالهم واستحلالهم المحرمات وتمثيلهم الله بمخلوقاته ، وذكر بما في كتبهم من ضلال كمصارعة يعقوب لربه وضرب الطبول ليسمع الرب ويعرف أنهم سيحاربون فينصرهم على عدوهم، وذكر بعض مثالب الأنبياء التي زعمها اليهود كفراً وبهتاناً .

* وذكر بعض شرائعهم التي تنكروا لها كتحريم السبت وتحريم الصور وجواز النسخ .

* ذكر البشارات التوراتية بنبينا صلى الله عليه وسلم، وأطنب في ذلك فاستغرقت تسعاً وأربعين بيتاً من القصيدة ، ذكر فيها ما قارب الثلاثين بشارة .

وأما الجزء الأكبر من قصيدته والذي شغل مائة وخمس عشرة بيتاً ختم بها قصيدته فكان موضوعه معجزات محمد ﷺ وخصاله التي جعلت البوصيري محباً له بملئ قلبه .

وقد ذيل البوصيري – كما سبق – أبيات القصيدة بشرحه الذي أوضح فيه بعض ما أشار إليه في الأبيات كما في قوله :

من مثل موسى قد أقيم لأهله ... من بين إخوتهم سواه رسولا

أو أن أخوتـــهم بنـــو عيسو ... الذي نقلت بكارته لإسرائيلا

تالله ما كان المراد به فتى ... موسى و لا عيسى ولا صمويلا

إذ لن يقوم لهم بني مثله ... منهم و لـــو كان النبي مثـــيلا

وقد ذيله في الشرح بذكر النص التوراتي ورد على من جعل دلالة النص على غير نبينا بما دلت عليه نصوص أخرى من أنه لن يقوم نبي آخر في بني إسرائيل مثل موسى ،وهكذا في سائر أبيات القصيدة .

ولا يمنع هذا من وجود استطراد في الشرح بما لم يذكره في قصيدته كما في حديثه في التوراة الموجودة في أيديهم ، وأنه ليس فيها ذكر للبعث ولا القيامة ولا الدار الآخرة ولا الجنة ولا النار ، وإنما يتعلق الجزاء فيها في الدنيا ، فقد زعموا أن جزاءهم على الطاعة إنما يكون بطول العمر والنصر على الأعداء وسعة الرزق ،كما تطرق المؤلف لتحريف الأناجيل وأسبابه ودور قسطنطين في تغيير الديانة النصرانية .

ولعل من أهم ما ذكره البوصيري في قصيدته سبقه إلى الاستشهاد بالمزامير على نجاة المسيح في قوله:

أفتجعلون دليلاً مدخولاً[1] شهد الزبور بحفظه ونجاته
أو من أشيد بنصره مخذولاً أيكون من حفظ الإله مضيعاً

وبين في شرحه أنه جاء في الزبور " أن الله ربي سبحه واستجاب له في سماء قدسه " (انظر المزمور ٢/٥ – ٦)، وكذا جاء في مزمور آخر " إن الله أوصى ملائكته بك ليحفظوك " (المزمور ١١/٩١) فإذا لم يكن ذلك الحفظ من النجاة والصلب والقتل . فمن ماذا يكون ؟

والمنظومة وشرحها يظهران معرفة كبيرة للبوصيري في تاريخ النصارى يضاف إليها خبرة واسعة في النصوص الكتابية التي كانت مجالاً خصباً لتناول الأغراض النصرانية ، ولعله من المهم أن نذكر بأن البوصيري لم يعتمد في ذكره للنصوص الكتابية على نسخة واحدة ، بل ربما أسند النص إلى ثلاث نسخ ، وذكر ما ورد في كل منها مما يؤيد المعنى الذي يريد .

*** علي بن محمد الباجي**

والباجي هو علي بن محمد الباجي ، ولي قضاء الكرك ، قال عنه السبكي " إمام الأصوليين في زمانه ، لما رآه ابن تيمية عظمه ، ولم يجر بين يديه بلفظة ، فأخذ الشيخ علاء الدين يقول تكلم نبحث معك ، وابن تيمية يقول : مثلي لا يتكلم بين يديك أنا وظيفتي الاستفادة منك " ، وكانت وفاته سنة سبعمائة وأربع عشرة للهجرة .[2]

وله في نقد النصارى كتاب " على التوراة " .[3]

و كتابه " على التوراة " خصه لنقد التوراة اليونانية التي كانت بيد نصارى الروم (الملكانيين) الذي كان يرد عليهم .

وسبب تأليفه له أنه نظر "في توراة موسى عليه السلام – المعربة – التي بيد النصارى الملكية – على ما زعموا ، وهي خمسة أسفار فسنح بخاطري أسئلة على ألفاظها فذكرتها على ترتيبها " .

وقد استغرق المؤلف في هذا الكتاب الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام فقط ، وقد أسهب وأطال في نقد السفر الأول (التكوين) فاستوفى نصف كتابه ولما يبلغ القراءة (الإصحاح) السابعة والعشرين ، وهو في كل ذلك يذكر النص التوراتي ، ثم يذكر عدداً من وجوه النقد التي رآها في النص ، وقد يتوسع في بعضها أو يقصر بحسب ما يقتضيه السياق .

---

(١) ولعل الصحيح : أفتجعلون دليله مدخولاً .

(٢) انظر ترجمته في : طبقات الشافعية ، السبكي ، ٦ / ٢٢٧ ؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر ٢ / ١٧٦ ؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد ٦ / ٣٤٠ .

(٣) على التوراة ، الباجي ، تحقيق : أحمد حجازي السقا ، ط١ ، دار الأنصار ، ١٤٠٠ هـ .

ولما طال المقام في نقده لسفر التكوين رأى أن يعمد إلى الاختصار فقال :"لنقتصر من الآن – الإصحاح السابع والعشرين – على إيراد بعض ما يحتمله لفظ التوراة من الأسئلة حذرًا من التطويل " وقد وفى بذلك ، فلقد وجه لبعض الإصحاحات سؤالاً واحداً ، ونقده في وجه واحد فقط .

وقد جاء نقده للتوراة على محاور عدة :

– ما تناقض فيه النص التوراتي مع نفسه أو غيره من النصوص .

– ما خالف فيه النص التوراتي الواقع .

ما خالف فيه النص مقتضيات العقول السليمة .

– ما خالف النص من معتقدات النصارى وشرائعهم .

– ما يرد في النص من ألفاظ مشكلة وملبسة المعاني .

–ما يرد في النص من تكرار وأخطاء بيانية أو سياق للكلام على غير النسق الصحيح .

– ما يرد في النص من أخطاء نحوية في ترجمته العربية .

والباجي خلال نقده للتوراة يتصفح نسخة موجودة بيده وينقدها ، وقد وصفها وعدد قراءاتها(إصحاحاتها) ، وبين أنها نقصت سبع اصحاحات لم ينلها حظها في النقد ، أو لعلها قد أضيفت إلى غيرها من القراءات .

كما قارن الباجي بين هذه النسخة ، ونسخة أخرى عبرانية ، وقد يذكر ما بينهما من الفروق .

ورغم أن كتابه في نقد التوراة ، فإنه قلما يذكر عقائد اليهود أو يناقشهم ، لكنه كان يتعرض لعقائد النصارى كما في تعليقه على ما ورد في التكوين " لأن أباك (أي الله) قال لي : احذر أن تكلم يعقوب برديء " (التكوين ٢٩/٣١) فقد قال الباجي عندها : " ثم اعلم أن هذا النص يبطل مذهب النصارى في التمسك على أن عيسى ابن الله بإطلاق لفظ الأب على الله تعالى بالنسبة إلى عيسى في الإنجيل ، فإنها قد أطلقت هنا على الله سبحانه بالنسبة إلى يعقوب ، وليس هو ابناً لله بإجماع الطوائف كلها ،بل هي مجاز على المربي ونحوه " .

*أبو الفضل السعودي

وله كتاب " المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل "[1] وهو مختصر لكتاب أبي البقاء

(١) المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، السعودي ، مخطوط في مركز البحث العلمي ، جامعة أم القرى

الجعفري والذي أشرت له آنفاً .

ولم يحدد السعودي منهجه وطريقته في اختصار التخجيل، لكنه أشار إلى شيء من ذلك بقوله " فجمعت من أدلة الإنجيل مما نقله من أناجيلهم وبيّنه من أباطيلهم وأظهره في الأدلة السالمة من التحريف والتبديل الدالة على توحيد الجليل ، والعبودية لسائر مخلوقاته من أرضه وسماواته " .

وقد تعرض السعودي لجميع الأغراض النصرانية في كتابه الذي حوى مقدمة وعشرة أبواب .

وفي مقدمته المسهبة عرف بالأناجيل الأربعة وأصحابها ، ثم انطلق للحديث عن علاقتها بما في النصرانية من انحراف ، فذكر أن الخلل إنما دخل « على النصارى وغيرهم ممن بضاعته في العقول مزجاة من جهلهم بمقتضيات الألفاظ وعدم المعرفة بوجوه الكلام ، ولقصور أفهامهم بمعاني تأويل الظواهر ، فلم يحملوها على بعض محتملاتها بالدليل ، وليس ذلك بصواب ، بل ينبغي حراسة ما دل عليه دليل العقل الذي لا احتمال فيه ، فإذا أورد لفظ عرضي ظاهره على ما ضبطه دليل العقل ، فإن لم يُنْبُ عنه استعمل الظاهر من اللفظ ولم يؤول ، وإن لم يحتمله طلب له وجه يحمل عليه ليجمع بين اللفظ ومقتضى العقل ، إذ الشرع في كل ملة [صحيحة] لا يرد بخلاف ما يقتضيه العقل ، فإن العقل أصل الشرع بمعنى أنه شاهد بصحة النبوات والرسالات ، وافتقار العلم إلى ذلك ، فإذا جاء الشرع بخلاف العقل فقد كذب أصله الشاهد له » . ثم بدأ في تطبيق هذا المنهج في دراسة النصوص المشكلة . ورأى أن النصارى إنما أتوا من قبل ألفاظ أربعة : الرب والإله والابن والأب .

وهذه الألفاظ لا يسلم السعودي بصحة ورودها في حق عيسى ،"ولكن لو نسبناهم إلى التحريف والتصحيف لأغريناهم بطغيانهم ، وحسمنا عنهم مادة إيمانهم ، بل نتكلم بمقتضى اصطلاحاتهم ومنقولهم ، فعسى أن يكون أقرب لعقولهم ".

وهكذا بدأ يفسر النصوص الكتابية متأولاً إياها بعيداً عن المعاني التي يرومها النصارى مستدلاً لتأويله بالنصوص الكتابية المختلفة التي حوت نصوصاً مشابهة يتأولها النصارى ، وهو يظهر معرفة بارعة في كتب القوم قل أن تجد لها بين أصحاب الردود نظيراً .

وهكذا كانت أغلب استدلالاته نصية لأن "الخوض معهم في أدلة المعقول فشيء لا يحتمله قواهم ، ولا يلائم هواهم" .

ومع ذلك فلم تخل مناقشاته من الاستدلال العقلي خاصة وهو يتحدث عن طبيعة الاتحاد ، وخلاف الفرق النصرانية فيه .

والمؤلف شاعر مجيد فقد كان يعقب على بعض فقراته وردوده بشئ من الشعر ، وقد بلغ مجموع ما ذكره من شعره ما قارب المائتي بيت كما نقل شيئاً من بردة البوصيري في حديثه عن نبوة نبيناﷺ ومعجزاته وأما أبواب الكتاب العشرة فكانت كالآتي :

الباب الأول : ما سلم من التبديل من ألفاظ الأناجيل ذكر فيها النصوص التي صرحت بعبودية المسيح لله عز وجل ، ورد على ما توهم النصارى منه ألوهيته وربوبيته .

برقم (١٥ عقيدة) .

وفي الباب الثاني : كان موضوعه في تعريف مواطن التحريف ، وتحدث فيه عن الصلب وما رافقه من أحداث تبطل قوله ، كما تحدث فيه عن تناقض الأناجيل ، وذكر صوراً لهذه التناقضات والتي تبطل الاستدلال بهذه الكتب .

وفي الباب الثالث : أبطل الاتحاد وأسهب في هذا الباب بعرض أدلة النصارى على الاتحاد من خلال النصوص الكتابية ، فاستعرضها وأبطلها جميعاً مستدلاً بنصوص أخرى أو ترجمات أخرى لنفس النص مذكراً بوجود أمثال لهذه النصوص في القرآن والسنة لم يفهم منها المسلمون الاتحاد ، ثم تحدث عن فرق النصارى المختلفة في طبيعة الاتحاد فصور مذاهبهم ، ثم أبطل مذهب كل فرقة منهم بالدليل العقلي المصحوب بالدليل النصي الإنجيلي .

وأما رابع أبواب الكتاب : فكان موضوعه إبطال الأمانة ، ذكر فيه السعودي صيغة الأمانة وقضية وضعها ، ثم أبطلها بما فيها من تناقضات وما فيها من تكذيب لما جاء في التوراة والإنجيل ، واعتبرها من وضع من قصد السخرية بدين النصارى والإزراء بهم وإبداء عوارهم .

وأما الباب الخامس : فكان موضوعه : إثبات نبوة عيسى صلى الله عليه وسلم ورسالته بما أظهر من معجزات وآيات ونصوص إنجيلية ونصوص وردت عن أصحابه وأعدائه تشير إلى بشريته ونبوته وقعوده عن مقام الألوهية ، وساق نصوصاً كثيرة في كل ذلك .

وأتم في الباب السادس حديثه عن معجزات عيسى التي لم تكن بأعجب من معجزات إخوانه الأنبياء ، والذين جاء بعضهم بأعجب مما جاء به المسيح و لم يقتض ذلك ألوهيتهم وربوبيتهم ، وقارن بين بعض هذه المعجزات ومعجزات نبينا ﷺ المشابهة لها .

وفي الباب السابع : تحدث المؤلف عن المسيح وأنه ما قتل وما صلب ، وإن قُصد وطُلب وسرد فيه أحداث الصلب كما ذكرتها الأناجيل ، ونقدها لما فيها من تناقض وغرائب ، واعتبر القصة برمتها ملفقة من قبل اليهود أرادوا بها أن يضحكوا على النصارى ، فاخترعوا قصة " قبر الرب " .

وفي الباب الثامن : أثبت المؤلف أن الأدلة تقول بأن المصلوب هو الشبه ، واستدل لذلك بالأحداث التي رافقت حادث الصلب في ظلام الليل وعدم معرفتهم بالمسيح وغيرها مما يصعب على النصارى تبريره ، فلا يسعهم حينذاك إلا أن يوافقوا السعودي على أن المصلوب شبهه ، وأنه حواري افتدى المسيح بنفسه ، واستدل لذلك روايات إنجيلية عضدت رأيه وأيدته .

وناقش أيضاً مسألة الفداء والخلاص مطولاً ، فتحدث عن الخطيئة الموروثة ، فأبطلها بتوبة آدم ، وبذكر الله تارة ، وبالنصوص الكتابية تارة أخرى .

وفي الباب التاسع تحدث عن نصائح النصارى واليهود وحيل الرهبان وما رووه من الكذب والبهتان ، وما اقترفه اليهود على أنبياء الله الأبرار وصفوته الأطهار . فذكر خبر كنائسهم وخداع الرهبان للعامة بإظهار بعض الخوارق عن طريق الحيلة والمخادعة ، كما تعرض لأعيادهم وعباداتهم المحدثة التي لا أصل لها عن المسيح ولا عن تلاميذه .

والباب العاشر : خصه للحديث عن البشارة الإلهية والغرة المحمدية .ويقع هذا الباب في قسمين ، ضمن القسم الأول تسعاً وعشرين بشارة كتابية تحدثت عن النبي ﷺ ، ووجهها واعتبر هذه البشارات"

إنما هو مما أغفله اليهود والنصارى [هكذا] عن إسقاطه من كتبهم أو حملوه على غير محمله بغضاً وعناداً "، وقد ذكر في قليل من هذه البشارات نصه العبراني .

كما ذكر كثيراً من الروايات الإسلامية عن أهل الكتاب وغيرهم تدل على أن النبي ﷺ هو النبي الذي بشرت به كتب الأنبياء وانتظرته الأمم جيلاً بعد جيل .

وفي القسم الثاني من هذا الباب تحدث عن معجزات النبي ﷺالتي بلغت الألف وخصائصه التي تثبت نبوته عليه السلام .

وفي الكتاب مثلمة على أهميته وتقدمه على كثير من كتب هذا الفن ، فقد نثر فيه المؤلف قليلاً من شطحات الصوفية وأخبارهم التي لا طائل من ورائها، علاوة على ما فيها من نكارة وتكلف ممجوج ، منها ما ذكره عن أستاذ كبير لهم « حكى عن نفسه أنه كان هو ابن ثلاث سنين أو نحوها يكون مضطجعاً بجانب أبويه ، فينقلب طيراً فيطير إلى أعلى البادهنج[1] فينظر إلى اتساع الوجود فيخاف أن يتوه عن أبويه إذا أمعن في الذهاب ، فيترل إليهما وينقلب آدمياً كما كان » .

---

(١) كلمة غير مفهومة هكذا رسمها .

ثالثاً: ردود المسلمين من المعتزلة

***القاسم بن إبراهيم الحسني الرسي**

و الحسني شيعي معتزلي،و هو مؤسس مذهب القاسمية في الفقه،وله كتاب في الرد على الرافضة،توفي سنة مائتين و ستة و أربعين هجرية .[1]

و له كتاب عنون له " الرد على النصارى ". [2]

وقد نشر كتابه في مجلة الدراسات الشرقية بروما سنة ١٩٢٢،١٩٢١م، و قد شغل سبعاً و عشرين صفحة .

و يحتوي الكتاب على ثلاثة أقسام :

الأول:تعرض فيه لعقيدة التوحيد،و أبطل التولد عن الله بحجج منطقية و قرآنية، و رفض مبدأ البنوة لأن فيه تناقض و استحالة .

الثاني:عرض عقائد النصارى في الثالوث و التجسد، و بين الفرق بين فرق النصارى الثلاث في طبيعة المسيح كما تحدث عن معتقد النصارى في الخطيئة الأولى المورثة، و ذكر قولهم صعود المسيح إلى السماء بعد الصلب ثم نزوله ليدين الأحياء و الأموات .

الثالث:خصص هذا القسم ليرد على هذه العقائد، و خاصة منها الأبوة و البنوة، و اعتمد في ذلك على الحجج العقلية، وبين أن تلك المعتقدات مؤسسة على فساد تأويل النصوص، و مثل لبعض النصوص التي تتأولها النصارى على معان باطلة، و أولها بخلاف ما يؤولونها .

ونلحظ فيه أسبقية الحسني في نقد النصارى اعتماداً على تصحيح تأويل النصوص الإنجيلية .

***عمرو بن بحر الجاحظ**

و الجاحظ هو عمرو بن بحر ،و هو معتزلي تنسب إليه إحدى فرق المعتزلة، صاحب مصنفات و تآليف ،قال عنه الذهبي " كان من بحور العلم، مات سنة مائتين و خمس و خمسين من الهجرة النبوية " .[3]

و له في الرد على النصارى كتابان :

الأول: " الرد على النصارى " [4] ،و الثاني " الرسالة العسلية " .[5]

---

(١) انظر ترجمته في الفهرست ، محمد بن اسحاق النديم ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ ، ص٣٣٢

(٢) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ١٣٥-١٣٦.

(٣) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، ط٩ ، مؤسسة الرسالة ، ٥٢٦/١١ ، لسان الميزان ، ابن حجر العسقلاني ، ط مجلس دائرة المعارف النظامية ، حيدر أباد ، ٢٤٧/٣ ، تاريخ بغداد ، لخطيب البغدادي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢١٢/١٢

(٤) المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ تحقيق محمد الشرقاوي ، دار الصحوة ، القاهرة ١٤٠٥.

(٥) و هي رسالة مفقودة ذكرها القاضي عبد الجبار في تثبيت دلائل النبوة ، تحقيق: عبد الكريم عثمان ، دار العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ص١٨٩ .

و الكتاب الأول جاء رداً على رسالة أرسلها مسلم إلى الجاحظ يسأله فيها عن مسائل أثارها بعض النصارى، فأدخلت بعض الشبه في قلوب الأحداث ،فأراد هذا السائل أن يسمع دحض الجاحظ لهذه الشبهات.

وهذه المسائل تدور في جملتها على تكذيب القرآن الكريم في بعض ماذكره عن أهل الكتاب ، ومن ذلك : نسبة القول بألوهية مريم للنصارى ، وكذا القول بأن هامان كان وزيرًا لفرعون مع أنه أتى بعده بدهر طويل .

ومنها: أن القرآن ذكر بأن يحيى لم يكن له سمي ،وهم يجدون كثراً قد تسموا باسم يحيى من قبل مثل يوحنا بن فروخ وغيره.

ومنها: أن القرآن ذكر كلام عيسى في المهد ،ولا يقوله أحد من طوائف النصارى مع غلوهم فيه ،وقوة الإعجاز بهذا .

ومنها: أن القرآن نسب لليهود القول بأن يد الله مغلولة ،وهم لا يقولونه .

كما أشكل على السائل تفسير قوله تعالى ﴿ و ما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾[1]، فقد فسره النصراني بأن أهل الذكر هم النصارى ،وهم يكذبون القرآن ،ويقولون بنبوة النساء أيضاً .

وقد تعهد الجاحظ بالرد فقال :" سنقول في جميع ما ورد علينا من مسائلكم ،وفيما لا يقع إليكم من مسائلهم بالشواهد الظاهرة ،والحجج القوية ،والأدلة الإضطرارية "

ولكن اختيارات عبيد الله بن حسان -التي حفظت لنا رسالته – لم تحمل إلينا ردود الجاحظ على بعض هذه المسائل مع أنه ذكر في خاتمة رسالته أنه فعل ذلك،فقال : " و نستقصي لهم في جواباتهم كما سألنا لهم أنفسنا و استقصينا لهم مسائلهم " [2] وبذلك يكون قد وفى بوعده.

و قد شرع الجاحظ يعرض لأهم الأسباب التي جعلت النصارى أحب إلى عوام المسلمين من المجوس و اليهود ،فذكر من ذلك بعد ديارهم عن جزيرة العرب مما قلل التوتر معهم مقارنة باليهود الذين سكنوا بين المسلمين ،فأورث هذا الجوار العداوة و البغضاء، و منها إيواء نصارى الحبشة للمسلمين،و منها التأويل الخاطئ عند بعض المسلمين لقوله تعالى ﴿ لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ﴾[3]،فيؤكد الجاحظ أن هذه الآية ليست في الملكية و لا اليعقوبية ،و إنما هي في أمثال بحيرا و الرهبان الذين خدمهم سلمان،و منها أن بعض ملوك العرب كانوا من النصارى، و كذا كانت نساؤهم أمهات لبعض ملوك الإسلام، و منها تجارة العرب إلى بلاد الشام،و منها وجود أطباء و منجيمين و متكلمين من أهل البلاد النصرانية ،و لو علم العرب أن كتاب المنطق و الطب كجالينوس و أرسطاليس ليسوا بروم و لا نصارى، إنما هم وثنيون قدماء تلقف النصارى كتبهم لقرب المكان،فلو علم العرب ذلك

---

(١) سورة الأنبياء ، آية: ٧ .

(٢) الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص١٢٥.

(٣) سورة المائدة ، من آية: ٨٢ ، و انظر تفسيرها في تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ، ٨٥/٢ .فقد ذكر بأنها نزلت في النجاشي وأمثاله من المؤمنين.

لما فرقوا بينهم و بين اليهود و غيرهم،كما ذكر أسباباً أخرى أيضاً.

كما نقد الجاحظ إضلال النصارى لعوام المسلمين بالتلبيس عليهم بالمتشابه من الآيات و الضعيف من الأحاديث.

و تعرض لقبح بعض ما يفعلونه ،ويعدونه ديناً،كترك النكاح وفعل الخصاء و أكل الختزير، و عدم الغسل من الجنابة وإتيان الحائض وترك اللحم، و ذلك تأثراً منهم بالزنادقة و الصائبة و غيرها من المذاهب القديمة.

ثم تحدث عن عقائدهم الفاسدة التي لا يفهمها العقل مهما جهد،و ذكر خلافهم فيها الذي لا يضبطه ضابط،بل ضابطه عندهم التسليم لما في الكتب و التقليد للآباء ،ثم يزعمون أن الدين " لايخرج في القياس و لا يقوم على المسائل،و لا يثبت في الامتحان " ذلك كله دعاهم للقول بأن "من خالف دينهم و لم يتعمد الباطل فهو معذور عند الله ".

ثم شرع يرد على بعض مسائلهم:

*إنكارهم كلام عيسى في المهد.

*هل قال القرآن على اليهود ما ليس بحق؟

*زعمهم بأن عيسى ابن الله، وتحدث عن رفض المسلمين حتى لمعنى الأبوة بالتبني أو غيره، و تعرض لمعجزة ميلاد عيسى من غير أب.

ثم خير النصارى بين القول بأن المسيح إنسان بلا إله، أو إله بلا إنسان، أو إنسان و إله ، وبين ما يرد على كل من الأقوال الثلاثة من القبول أو عدمه و مسوغات ذلك.

***رد مجهول المؤلف**[1]

و يقع مطبوع هذا الجهد في سبع صفحات ،وذكر الشرفي أن المخطوط نقص منه صفحة في أوله و أخرى في آخره.

و يظهر من قراءة المخطوط أن لصاحبه معرفة جيدة بالعقائد النصرانية و النصوص الكتابية.

و تتكون هذه الرسالة من أربعة أقسام:

القسم الأول :رد فيه ألوهية المسيح مستدلاً بحياته و صفاته البشرية، و ناقش استدلال النصارى بميلاده و معجزاته عليه السلام.كما رد في هذا القسم معتقد النصارى في الخطيئة الموروثة.

القسم الثاني :نقد سلوك النصارى وعباداتهم ونعى عليهم تقليدهم للآباء ،و ذكر بعض النصوص التي أهملها النصارى في حياتهم ،وتتحدث عن العفو والصوم والإخلاص والزهد في الدنيا .

القسم الثالث :أجاب على اعتراضات وردت من النصارى على المسلمين ،وموضوعها لمز النصارى بعض

---

(١) انظر الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص١٦٠ ، و يرجح الشرفي بالنقد الظاهري للورقة و الخط و كذا متن الكتاب أنه مكتوب في أواخر القرن الثالث أو أوائل القرن الرابع الهجري.

ويسوق على احتراز افتراضاً بأن تكون هي الرسالة العسلية التي كتبها الجاحظ ، و استدل لذلك بتشابه أسلوبها و تعبيراتها مع أسلوب الجاحظ.

شرائع الإسلام ،كالتوجه نحو الكعبة ،وتعدد الزوجات ،وتعدد زوجات النبي صلى الله عليه و سلم .

القسم الرابع: تحدث عن النبي صلى الله عليه و سلم من خلال طريقين :

أولهما :أنه أخرج العرب من الجهالة إلى التوحيد والفضيلة.

ثانيهما :أنه مكن للمسلمين بحول الحق وقوته من قهر أعظم الأمم .

***عبد الله بن محمد الأنباري.**

و كنيته أبو العباس و شهرته " الناشئ الأكبر "، من المعتزلة ،قال عنه ابن خلكان : " كان عالماً في عدة علوم من جملتها علم المنطق "، وقال عنه ابن كثير :" كان جيد الذهن... يرد على المنطقيين" الأئمة ، وكانت وفاته سنة مائتين و ثلاث و تسعون للهجرة.[1]

وله في الرد على النصارى كتاب " الأوسط في المقالات " [2] ، وقد وصل إلينا من كتابه ما احتفظ به الكاتب النصراني ابن العسال (ت قبل ١٢٦٠م) في كتابه " مسائل الإمامة " حيث نشر فيه فصلاً تحدث فيه ابن الأنباري عن النصارى، و يقع هذا الفصل في إحدى عشرة صفحة عرض فيها لعقيدة ألوهية المسيح، و بين أن النصارى فيهم الموحد و فيهم المثلث ،و استعرض آراء مختلف الفرق المثلثة بشكل موجز واصفاً خصائص كل فرقة .و لم يحتفظ العسال بشيء عن الفرق الموحدة إلا بما قاله عن الأريوسية، وذكر أن هناك ستاً غيرها.

و إثر هذا العرض رد على المثلثين بضربيهم :وبدأ بالذاهبين إلى ظاهر الإنجيل،و المقلدين لأسلافهم،و هؤلاء لم يكترث بهم لضعف حججهم و تهافتها ،فلم يرد في رده سوى إشارات إلى عدم صحة تخصيصهم المسيح بمعاني الألفاظ المشتركة، كما نبه إلى أن ألفاظ : الجوهر و الأقانيم لا دليل عليها في الأناجيل بل هي واردة من فلسفة اليونان.

و أما المجادلون بالمقاييس العقلية فقد اهتم ببيان فساد حججهم، و أثبت تناقضهم في الاتحاد من وجوه عديدة أثبت من خلالها بطلان الاتحاد و صوره المختلفة.

***أبو عيسى محمد بن هارون الوراق**

و أبو عيسى الوراق من معتزلة بغداد ،قال عنه ابن النديم :من المتكلمين النظارين ،كان معتزلياً وانتهى به التخليط إلى أن صار يرمى بمذهب أصحاب الاثنين ،وعنه أخذ ابن الراوندي (الملحد)، واعتبره القاضي عبد الجبار من الملاحدة، توفي سنة سبع وأربعين ومائتين.[3]

---

(١) انظر ترجمته في وفيات الأعيان ، ابن خلكان ٢٧٧/٢ ، طبقات المعتزلة ، أحمد المرتضى ، تحقيق: سوسنة ديفلد ، نشر: دار فرانز شتايز ، فيسباذان ، ١٣٨٠هـ ، ص٩٢-٩٣ ، البداية والنهاية، ابن كثير ١٠٧/١١ .

(٢) انظر "مسائل الإمامة"و مقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات للناشئ الأكبر ، حققهما : يوسف فان ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٧١م.

(٣) انظر ترجمته في الفهرست ، ابن النديم ، ص٣٠١ ،تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ص١٢٨-١٢٩، لسان الميزان ، ابن حجر ، ٤١٢/٥، وقد كتب كتابه هذا قبل تخليطه بلا ريب، وذكره هنا ليس شهادة له بالإسلام ، و إنما للإفادة مما كتبه قبل ردته عافانا الله من ذلك.

و له كتب ثلاثة في الرد على النصارى " الكبير " و " الأوسط " و " الأصغر " إضافة إلى كتاب آخر مفقود تعرض فيه للنصارى كما أشار يحيى بن عدي النصراني و اسمه " المقالات " .[1]

و كتبه الثلاثة في الرد على النصارى أيضاً مفقودة ، لكن يحيى بن عدي احتفظ لنا ببعض ما جاء في أحد هذه الكتب في رده المسمى" تبين غلط محمد بن هارون " حيث أثبت نصاً للوراق على شكل فقرات، ثم رد عليها. و لا يعرف من أي هذه الكتب الثلاثة أثبته يحيى بن عدي ،ورد عليه.

ويحوي رد الوراق أقساماً ثلاثة:

١-عرض معتقدات الفرق النصرانية الكبيرة دون الفرق الثانوية التي ذكر أقاويلها في"المقالات"

٢-الرد على مقالات النصارى في التثليث، و قد جاء من خلال محاور ثلاثة:

أ/ نقد مقالة اليعقوبية و النسطورية "أن الأقانيم هي الجوهر،والجوهر هو الأقانيم ".

ب/ نقد مقالة الملكية "أن الأقانيم هي الجوهر ،والجوهر غير الأقانيم "،كما نقد مختلف مظاهر موافقة الجوهر للأقانيم ،وبين مخالفته لها .وأكد أن الجوهر رابع الأقانيم في العدد ،وتحدث عن الفعل والمشيئة عند الجوهر .

ج/ نقد الفرق الثلاث في قولهم بثلاثة أقانيم " أب وابن وروح ".وتحدث فيه عن:

*العلة في اختلاف الأقانيم.

*العلة في اختصاص كل أقنوم بصفة.

*نقد قولهم " إن الله جوهر حي ناطق واحد بجوهره ،ثلاثة بالحياة و النطق و الولادة ".

*الألوهية و العدد، و الأقانيم و الكمال.

*العلم عند الجوهر و الأقانيم.

*مفهوم الولادة و ما يقتضيه من تشبيه.

*نقد تحديد الأقانيم بأنها خواص أو صفات.

٣-نقض آراء النصارى في المسيح و هو على بابين:

الأول:(لم يذكر الشرفي له عنواناً)و ذكر الوراق فيه:

-اختصاص الاتحاد بأقنوم واحد هو أقنوم الابن.

-زمن اتحاد الكلمة بالإنسان.

-بمن اتحدت الكلمة بالإنسان الكلي أم الجزئي؟

-آلام المسيح و صلبه و موته.

الثاني:(لم يذكر الشرفي له عنواناً) ،وذكر الوراق فيه:

-طبيعة الاتحاد و نقد الصيغ المختلفة له.

-فعل المسيح و مشيئته.

-علاقة الأقانيم بالجوهر، مع التركيز على أقنوم الابن.

---

(١) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص١٤٦.

-نقض اعتقاد اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد.

-أفعال عيسى البشرية تنافي الألوهية.

-نقد تمثيلهم بالفحمة و الجمرة و الدينار و نحو ذلك.

و قد اعتمد الوراق في نقده لمعتقد النصارى على الحجج المنطقية، وخلا إلا قليلاً من الشواهد النصية الكتابية أو القرآنية، و قد نوه في كتابه إلى أنه ينوي الرد على الفرق النصرانية الثانوية في كتاب مفرد.

***القاضي عبد الجبار الأسدأبادي.**

والقاضي عبد الجبار،هو عبد الجبار بن أحمد الهمذاني ،أبو الحسن المعتزلي، قال عنه الذهبي : " العلامة المتكلم شيخ المعتزلة...صاحب التصانيف،من كبار فقهاء الشافعية...مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة و أربعمائة . "(١)

و قد تعرض للنصارى في ثلاث من كتبه :-

الأول :" المغني في أبواب التوحيد والعدل " (٢) حيث خص النصارى في فصل قارب السبعين صفحة ضمن ذكره للملل غير الإسلامية.

والثاني من كتبه : " تثبيت دلائل النبوة " (٣) و في هذا الكتاب يستعرض القاضي عبد الجبار دلائل نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، و في هذا السياق يعرض للنصارى بما يقارب المائة و العشرين صفحة حيث يذكر أن من معجزاته صلى الله عليه و سلم إخباره عن اختلاف فرق النصارى و إخباره بنجاة المسيح من الصلب.

و خلال ذلك تعرض القاضي عبد الجبار لعدد من الموضوعات النصرانية:-

١-كيفية وضع الأمانة و صيغتها.

٢-عرض أقوال الفرق النصرانية الرئيسة.

٣-تشبيه بعض النصارى الولاد بولاد الكلمة و العقل.

٤- بين القاضي عبد الجبار المعاني المجازية للبنوة ،و نقد أدلة ألوهية المسيح المختلفة،وأكد على نسبة المعجزات التي صنعها المسيح لله .

٥-المسيح لم يصلب و إخبار النبي صلى الله عليه و سلم بذلك من معجزاته العظيمة،إذ أتى بخلاف المشهور عند الآخرين ،ولو كان دعياً لوافقهم،كما تعرض القاضي عبد الجبار لبعض غوامض قصة الصلب التي تلقي بظلال الشك على شخصية المأخوذ(في قصة الصلب).

---

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ٢٤٤/١٧ ، تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ١١٣/١١ ، لسان الميزان ، ابن حجر ، ٣٨٦/٣.

(٢) المغني في أبواب التوحيد و العدل ، القاضي عبد الجبار ، تحقيق : محمود الخضيري ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، ٨٠/٥-١٥١.

(٣) تثبيت دلائل النبوة ، القاضي عبد الجبار ، تحقيق: عبد الكريم عثمان ، دار العربية ، بيروت.

٦- ثم نقد شرائع النصارى ،فتحدث عن مخالفة النصارى لدين المسيح في الفروع كما الأصول ،و نعى عليهم اتباعهم لبولس الذي أصل المحرمات ثم قسطنطين الذي ابتدع تعظيم الصليب، ثم نقد عقيدة الاعتراف.

٧- تحدث عن انتشار النصرانية ،و بين أنها لا تصلح دليلاً على صدق العقيدة ،و رد أسباب انتشار النصرانية إلى سيف النصرانية الذي تسلطت به على الأمم،ثم إلى تروم النصرانية، إذ أخذت الكثير من أديان الروم فلم ير الروم فيها ما يخالف دينهم، و ذكر القاضي بأن تثليث النصارى مأخوذ من فلسفة الروم القائلة بأن العقل و العاقل و المعقول تصير شيئاً واحداً، ووافقت هوىً عند الناس بسبب عقيدة الفداء التي تقيل الإنسان من تبعات عمله .

٨-شنع على أحبارهم و قسسهم ادعائهم المعجزات عبر الحيل و استغلال جهل العوام، و أخذهم المال لقاء الاعتراف بالذنوب .

٩- وتحدث القاضي عما نسبه القرآن للنصارى من قول بتأليه مريم ،فبين أن ذلك لم يجر مجر الخبر حتى يحتمل الصدق والكذب،ولو كان كذلك فإن اليعقوبية يصفون مريم بأنها " أم الله " .

و في ذلك كله يعمد القاضي إلى مناقشة النصارى بأدلتهم النصية بعيداً عن الأساليب المنطقية .

وأما كتابه الثالث : " شرح الأصول الخمسة " [1] ،ففيه خص القاضي النصارى بفصل بلغ عشرة صفحات تعرض فيها لمبحثين : التثليث ثم الاتحاد .

وذكر في حديثه عن التثليث ماذكره النصارى عن علاقة الأقانيم بالجوهر،وأثبت تناقضهم فيها ،وتحدث عن تفسير بعضهم الأقانيم بالصفات،فأبطل حصرها بثلاث،وألزمهم قصرها على أقنوم واحد فقط .

ولما تحدث عن الاتحاد فرق بين فرق النصرانية ،وأعاد ماكان قد فصله في " المغني ".

وختم هذا الفصل بذكر " السبب الذي أداهم إلى القول بالاتحاد،وهو أنهم رأوا أنه ظهر على عيسى عليه السلام من المعجزات مالا يصح دخوله تحت مقدور القدر...وذلك يوجب عليهم أن يكون متحداً بالأنبياء كلهم ..والقوم لايقولون بذلك،فيجب أن يقولوا في المسيح أيضاً ".

و في" المغني " يبدأ القاضي عبد الجبار بعرض مذاهب النصارى المشهورة مبيناً ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه في الجوهر، وعلاقته بالأقانيم، وحقيقة الأقانيم الثلاثة و تفسيراتهم لها ،وهل المسيح جوهر أم جوهران ؟ و هل المصلوب هو الناسوت أم اللاهوت ؟ إلى غير ذلك من المسائل.

و الفصل الثاني من رده على النصارى خصه لإبطال ما عرضه في الفصل السابق، فبين ما يلزم على هذه الأقوال من لوازم منكرة كتعدد الآلهة وإثبات ثلاث ذوات أو تسلسل الآلهة أو جسمية الإله أو تركيبه.

كما بين لهم ما ينتج عنه من متناقضات ككون الإله متغايراً من وجه، غير متغاير من وجه آخر، وكون الثلاثة واحداً، و الواحد ثلاثة.ونقد تمثيلهم للأقانيم بالشمس و الضوء و الحرارة و تمثيلهم بالإنسان

---

(١) شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، تحقيق : عبد الكريم عثمان ، ط١ مكتبة وهبة ، ١٣٨٤هـ.

و نطقه و حياته.

ثم ذكر أقوالهم في حقيقة الاتحاد، فرد على من قال :أنه بمعنى التبني و الكرامة. فبين عدم اختصاص عيسى بذلك ،و بين ما يلزم على ذلك من معاني مستقبحة .

و نقد الاستدلالات النصية لهم على بنوة المسيح لله،فلئن صحت تلك النصوص فإنه يجب حملها على ما يليق من المعاني.

و خص إبطال الاتحاد و ما يتصل به بفصلٍ عرض فيه مختلف صور الاتحاد، مبطلاً إياها بالدليل العقلي، وخص الحديث عن الاتحاد بالمشيئة بفصلين أثبت من خلالهما تغاير مشيئة الله و مشيئة عيسى، و أن مشيئة عيسى توافق مشيئة الله كما هو حال جميع الأنبياء و المرسلين، ثم أبطل في فصلين قول من قال باتحاد الممازجة و المجاورة مستخدماً الاستدلال العقلي ،وذكر بأنه يلزم بتجويز اتحاد الله بعيسى تجويزه مع غيره ،ولا مخصص لعيسى عن غيره ،ثم أبطل القول بالحلول وفند أمثلة النصارى له في فصلٍ أتبعه بإبطال قول اليعاقبة الذين يقولون باتحاد الجوهرين بجوهرٍ واحد، مبيناً ما يلزم عليه من محالات عقلية .

ثم بعد إسهاب في الرد العقلي على بعض النصارى الذين يعولون " في هذا الباب على اتباع من سلف، والرجوع إلى الكتب، و تقليد التلاميذ الأربعة " فهؤلاء قولهم ساقط، لأنه و حسب رأي القاضي -وهو معتزلي-" الكلام في صفة القديم عز وجل، و ما يصح عليه و ما لا يصح، لا يجوز أن يرجع فيه إلى السمع "(1) ثم " لو ثبت ما ادعوه سمعاً لوجب أن يتأول على وفق ما يقتضيه ،فكيف و موضوع مذهبهم التقليد و الرجوع إلى خبر الأربعة، و لا يجوز أن يقع بخبر الأربعة العلم ".

و لا يسلم القاضي بأن دينهم مأخوذ عن المسيح " لأنا نعلم كذبهم في ذلك، و نقطع على أنه لم يأت إلا بما دل عليه العقل عليه من التوحيد دون التثليث، و نعلم أنهم أخطأوا من جهة النقل و التأويل " .

وتعرض القاضي في سطور معدودة لموضوع الصلب و اعتبره من الغلط في الأخبار لأنه وافق فقدهم لعيسى عليه السلام.

و بناء على ما سبق أن عرضه القاضي في إبطال صور الاتحاد المختلفة ختم بذكر فصل في نقد عبادتهم للمسيح، و اعتبر أن ما بينه في إبطال أقوالهم في الاتحاد "يبطل جميع ما يذهبون إليه من أن المسيح يعبد ويخلق... لأن الكلام في ذلك فرع عليه ،و فساد ذلك يغني عن فساده ".

و أما طعون النصارى في القرآن و اعتراضاتهم على ما جاء فيه فقد ذكرها في موطن آخر مستقل عند حديثه عن المعجزات ، وذلك في مجلدته السادسة عشرة ، حيث عرض لكل الشبهات المثارة في هذا الباب .

وقد أظهر القاضي معرفة واسعة بالمنطق أبطل بها كل ما قاله النصارى ،بل وما قد يقولونه من أقوال .

وقد أفاد من كتابي الجاحظ ،ونقل عن الجبائي كثيراً من إلزاماته للنصارى ،و لم يبين هل نقلها عن شيخه مشافهة أم من كتاب له .

---

(1) وهو كلام ساقط ، إذ ليس من شيء أحق أن يرجع فيه إلى السمع من الحديث عن حقائق الغيوب، وأهمها الحديث عن الله العظيم وصفاته، بل إن هذا الباب مما ليس للعقل أن يقول فيه بشيء، فكيف يجعله المعتزلة الأصل الأصيل؟!

ولا تغيب أصول المعتزلة عن القاضي ،وهو يرد على النصارى في بعض المواطن ،كما سبق أن أشرنا إلى بعضه .

و يظهر معرفة كبيرة بالنصوص الكتابية، فقد أورد الكثير من النصوص التي لم نجدها عند من سبقه من أصحاب الردود كتكذيبه لقصة توبة بولس، و تكلم التلاميذ بالألسنة المختلفة، و بعض تفصيلات حادثة الصلب.

ويشغب على هذه المعرفة الواسعة ماذكره في " المغني" في سياق حديثه عن الصلب حيث ذكر أن " الصلب بعد القتل قد يغير صورة المصلوب، ويشبه حاله بغيره ". ومن المعلوم أن أياً من الأناجيل لا يقول ذلك، كما ذكر في التثبيت أن المصلوب قتل طعناً بالرماح، وليس بصحيح ، وذكر أن توبة يهوذا كانت بعد صلب المسيح ، وقد ذكر متى أنها كانت قبل ذلك وفي وقت المحاكمة المزعومة للمسيح.

وقد كان رد القاضي في " المغني " و" التثبيت " من أهم الردود في هذا الباب ،وقد اعتمد عليهما أكثر من جاء بعده من أصحاب الردود خاصة كتابه " المغني " وذلك ممن سلك مسلكه المنطقي في الرد والنقد والمناقشة.

وفي خاتمة هذا الفصل الذي استعرضنا فيه موضوعات ومنهج الجدل الإسلامي للنصارى نرى لزاماً أن نذكر ببعض الملاحظات .

أما ما يتعلق بموضوعات الجدل الرئيسة فلقد كانت جميع الموضوعات النصرانية موضوعاً لدراسة علمائنا لكن موضوع ألوهية المسيح كان الأكثر طرقاً لبالغ أهميته عند المسلمين فيما لم تحظ عقيدة الفداء والخلاص بكثير عناية منهم .كما نلحظ تأخر ظهور النقد لبعض الموضوعات إلى زمن متأخر، فمثلاً سجل الخزرجي في القرن السادس أول محاولة حقيقية في إبطال صلب المسيح، فيما كان ابن حزم بحق رائد موضوع نقد التوراة والإنجيل ،وذلك في القرن الخامس .

وأما ما يتعلق بمناهج علمائنا في النقد فقد ظهرت ثلاث مدارس كان أولها المدرسة التي اهتمت بالردود العقلية ، وكان روادها المتقدمون خاصة المعتزلة كالوراق والقاسم الرسي ثم الدميري في القرن السابع .

كما ظهرت مدرسة ثانية تعنى بالنقد العقلي والنصي (التوراتي والإنجيلي) ومن روادها الحسن بن أيوب وابن تيمية والغزالي والجعفري وغيرهم ، ومعظم الردود تتبع هذا المنهج .

إلى جانب ما تقدم وجدت مدرسة طغى عليها الاستدلال النصي،ومن روادها السعودي والبوصيري .

وأما النصوص الكتابية التي استخدمها علماؤنا في الرد على النصارى فمعظمها كما يبدو كان شائعاً في أوساط علمائنا ،ولعل ما يتعلق منها بالنبوءات قد اعتمد أصحاب الردود فيه على ابن ربن الطبري في كتابه " الدين والدولة "، و لم يكونوا جميعاً حال نقدهم ينقلون عن التوراة والإنجيل .

فيما ذكر بعض أصحابنا بالردود نصوصاً كثيرة لم يسبقوا إليها مما دل على امتلاكهم لنسخة من التوراة والإنجيل ، بل إن بعضهم ذكر ذلك عن نفسه كابن حزم والباجي .

وقد قابل بعض هؤلاء الترجمة العربية على ترجمات أخرى كما صنع زيادة النصب الراسي والغزالي .

وقد كان للمسلمين المهتدين من ضلالات النصرانية دور بارز في عملية الجدل الإسلامي النصراني ، وكانت ردود هؤلاء تتفاوت بحسب معرفتهم بدينهم الأول قبل إسلامهم واندفاعهم للذب عن دينهم الجديد وقد أنار الله بصائرهم إليه ، وهؤلاء هم ابن ربن الطبري ، الحسن بن أيوب، نصر بن يحيى ، عبد الله الترجمان ، زيادة النصب الراسي .

فيما كان الدافع لبعض الردود الإسلامية الأخرى الذب عن الدين والرد على كتابات نصرانية وكشف عوارها كما فعل الباجي والطوفي والقرطبي وغيرهم ، ونلحظ هنا إغفال علمائنا لأسماء من ردوا عليه ولا يستثن من ذلك إلا ابن تيمية الذي رد على رسالة راهب صيدا بولص ،و أبو الوليد الباجي وقد كانت رسالته رداً على رسالة راهب فرنسا .

ومن الحق أن نسجل للمعتزلة حضوراً قوياً في مدافعة النصارى وإبطال أصولهم ومن هؤلاء الجاحظ والقاضي عبد الجبار والجبائي وابن الأنباري وغيرهم .فيما سجل الرافضة غياباً كبيراً في هذا الباب ، ولم يذكر لأحد منهم مشاركة في هذا الجدل ، بينما كان للزيدية مشاركة تمثلت بالقاسم بن إبراهيم الحسني الرسي .

واستكمالاً للفائدة فإنه يجب علينا أن نعرض للثمرة التي غرسها علماؤنا خلال ثلاثة عشر قرناً في نقض الأصول النصرانية وهو ما نراه في الفصل الثاني من هذا الباب .

الفصل الثاني :

خلاصة الجدل الإسلامي النصراني

خلال ثلاثة عشر قرناً هجرياً

تمهيد

بعد أن تعرفنا في الفصل السابق على جهود علمائنا خلال ثلاثة عشر قرناً، كان لزاماً علينا أن نذكر ما انتهت عليه عملية الجدل الإسلامي النصراني خلال هذه القرون الطويلة.

و مما سبق رأينا الموضوعات الرئيسة التي كانت محـــوراً لذلكـــم الجـــدل الطويـــل،و يجمعـــها نقاط خمسة:

أولاً:نقد ألوهية المسيح.

ثانياً:نقد عقيدة التثليث.

ثالثاً:تكذيب صلب المسيح ،و نقد فكرة الخلاص و الفداء.

رابعاً: إبطال قداسة التوراة و الأناجيل الموجودين بين يدي النصارى وملحقاتهما.

خامساً: إثبات نبوة نبينا الكريم صلى الله عليه و سلم .

وسوف نعرج بإذن الله في هذا الفصل على المباحث الخمسة، فنذكر خلاصة جهود علمائنا وأبرز ملامحها خلال هذا الجهاد الطويل.

المبحث الأول :ألوهية المسيح

تمهيد

تمثل عقيدة ألوهية المسيح العمود الفقري الذي يقوم عليه فهم النصارى لعقيدتهم في تثليث الإلـه، التي تقول بألوهية الآب و الابن و روح القدس، و مقصود النصارى من " الآب" :الله عز و جل و هـو الأقنوم الأول ،أما الابن فهو الأقنوم الثاني من أقانيم الإله،و هو المتحد بعيسى الناسـوت عـن طريـق التجسد الذي تم بواسطة الأقنوم الثالث ،و هو روح القدس.

و يرى النصارى أن هذه الأقانيم الثلاثة تشكل و حدة إلهية واحدة تجعل من هذه العقيدة المثلثـة عقيدة موافقة للتوحيد الذي نصت عليه التوراة و الأناجيل.

و نرى أن ألوهية المسيح هي العصب الذي قامت عليه عقيدة التثليث. لأننا لا نكاد نرى ذكـرا أو اهتماما يذكر بالأقنوم الثالث من الأقانيم إذ هو مجرد حشو ذكروه لتتفق عقائد القوم مع الفلسـفات السابقة التي كانت تدعو لعبادة الثالوث.

و لعله من المهم أن نذكر بأسبقية القول بألوهية المسيح على القول بالتثليث ،إذ يفصـل بينـهما زهاء قرنين من الزمان.

و من هنا كان اهتمام علمائنا بعقيدة ألوهية المسيح اهتماما بارزا يليق بمكانة هذا المعتقـد عنـد الفرق النصرانية المثلثة.

و قد جاء نقد علمائنا لهذا المعتقد من خلال محاور تمثل بمجموعها هذا المبحث ،ويمثل كل منـها مطلبا،وأعرضها على النحو التالي:

المطلب الأول:إبطال أدلة النصارى على ألوهية المسيح.

المطلب الثاني:النصوص الكتابية التي تشهد ببشرية المسيح وتنفي ألوهيته.

المطلب الثالث:معجزات المسيح.

المطلب الرابع:إبطال ألوهية المسيح بالاستدلال العقلي.

المطلب الخامس:خلاف الفرق النصرانية في طبيعة المسيح.

المطلب الأول: إبطال أدلة النصارى على ألوهية المسيح .

أدلة النصارى على ألوهية المسيح

يعتمد النصارى في زعمهم ألوهية المسيح على الاستدلال بالنصوص الكتابية التي دلت على ألوهية المسيح الذي يرى النصارى أن العقول تجيزه و لا تحيله[1].

حيث زعموا أن هذا المعتقد قد وردت به البشارة في النصوص التوراتية كما في النصوص الإنجيلية ،و مما احتجوا به من الشواهد التوراتية ما ذكره أغشتين في كتابه " مصحف العالم " [2]و منها قول إرمياء " يا رجاء بني إسرائيل و مخلصه من الغم لم ستكون في المستقبل كرجل صالح لا يقوى أن يخلص" (انظر إرمياء ١٤/٨-٩)، و أيضا قول إشعيا " إن العذراء ستحمل و تلد ولدا، و يدعى ولدها : عجيبا مدبرا إلها قويا والدا ، مقبل الدهر العالم ، يكثر ملكه ، و لا يكون لسلطانه انقطاع، و لا آخر" [3] (إشعيا ١٤/٧،٩/٦-٧)و منها أيضا قول يعقوب لبنيه " لا ينقضي الملك من سبط يهوذا، و لا يزال منهم أمير، حتى يأتي الذي هو مرسل، و هو يكون رجاء الأجناس " (انظر التكوين ٤٩/١٠) ، و أيضاً قول إرمياء " يقوم لداود ابن، وهو ضوء النور يملك الملك، ويلم ويفهم، و يقيم الحق و العدل في الأرض، و يخلص من آمن به من اليهود و من بني إسرائيل و غيرهم، و يبقى بيت المقدس بغير مقاتل، و يسمى : الإله " (انظر إرمياء ٢٣/٥-٦).

فالنصارى يرون المسيح عليه السلام هو الذي تحققت فيه هذه البشارات التي اعتبرته من أبناء داود ــ و المسيح أمه من أبناء داود ــ و اعتبرته إلها قويا "و يسمى : الإله ".

و أيضا فإن النصارى يستدلون بنصوص توراتية و إنجيلية كثيرة، يرومون منها تأصيل هذا المعتقد، و إثبات صدقه، و من هذه النصوص تلك التي وصفته بأنه ابن الله .[4]

منها قول جبريل لمريم " لا ترهبي يا مريم فقد فزت بنعمة ربك، منها أنت تحبلين و تلدين ابنا، و تسميه يسوع، و يكون كبيرا، و يسمى ابن الله العلي " (لوقا ١/٢٨-٣٥).

إلى جانب عشرات النصوص التي ملأت جوانب الأناجيل و تسمي المسيح ابن الله.

و أيضا وصفته النصوص في مواطن عديدة أنه" إله " و "رب " ،منها قول إشعيا " إن غلاما ولد لنا، و إننا أعطيناه الذي رياسته على عاتقيه، و بين منكبيه، و يدعى اسمه ملكا عظيم المشيئة مشيرا عجيبا

---

(١) انظر : رسالة راهب فرنسا ص ٥٣٠٥٢ ، الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٦٢/١ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٩١/٢ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص٩٧ ، ١٤٦.

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ١٤٦-١٤٧ ،

(٣) جمع القرطبي النص من موضعين من إشعيا و هما في الإصحاح السابع و التاسع.

(٤) انظر : رسالة الحسن بن أيوب مضمنة في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣٢١/٢ ، وانظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢١٦/٢ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، ٣أ .

إلها قويا مسلطا، رئيس السلامة في كل الدهور، و سلطانه كامل ليس له " (إشعيا ٩/٦)
و مثله قول إشعيا " العذراء تحبل و تلد ابنا و يدعى اسمه عمانويل، وتفسيره :معنا إلهنا " (إشعيا ٧/١٥، متى ١/٢٢-٢٣)

و كذا سمته النصوص ربا في مواطن عدة منها قول إشعيا " رب الملائكة سيولد من البشر " (لم أجده في الترجمات الحديثة) .

كذا يزعم النصارى أن عيسى أضحى ربا و إلها بعد أن حل فيه الرب أو كلمته (الابن)، و يستدلون لذلك بنصوص توحي بالحلول، منها ما جاء في مقدمة يوحنا " الكلمة صارت جسدا، و حلت فينا " (يوحنا ١/١٤)،و مثله ما جاء في يوحنا " قال له فيلبس: يا سيد أرنا الآب و حسبنا، فقال له يسوع:أنا معكم كل هذا الزمن و لم تعرفني يا فلب، من رآني فقد رأى الآب " (يوحنا ١٤/٩-٨)، و مثلهما ورد عن المسيح أنه " تضرع إلى الله في تلاميذه، و قال : ياأيها الرب القدوس احفظهم باسمك الذي أعطيتني ليكونوا هم أيضا شيئا واحدا، كما أنا شيء واحد، و كما أنك أرسلتني إلى العالم ، و كذلك أرسلهم أنا أيضا...إني قد منحتهم من المجد الذي أعطيتني و منحتني، ليكونوا أيضا شيئا واحدا، كما أنا شئ واحد، فأنا بهم ،وأنت بي" (يوحنا ١٧/١١-٢٣)

كما يرى النصارى أن النصوص شهدت بإلهيته عندما أسندت له أفعالا وصفات لا يوصف بها إلا الله عز و جل النصارى ،منها قوله عن نفسه " أنا قبل إبراهيم "(يوحنا ٨/٥٨) ،فدل النص على قدمه،ومنها قوله للمقعد الذي جاءه " قم .فقد غفرت لك " (لوقا ٥/٢٠)،وكذا صعد المسيح للسماء " ولا يصعد للسماء إلا من نزل من السماء " (يوحنا ٣/١٣)،ولما سجدت له المرأة الكنعانية،وسمته ربا لم ينكر عليها.(قارن متى ١٥/٢٥).

و من هذا أيضا معجزاته الباهرة، و التي أفادت أن له أفعالا إلهية بدءا من ميلاده العجيب من غير أب، و مرورا بإحيائه للموتى و إبرائه المرضى، و تكثيره للطعام، و تحويله الماء إلى خمر، و مشيه على الماء، ...إلى غير ذلك من المعجزات، بل إن معجزاته قد تعدت شخصه إلى أشخاص تلاميذه و حوارييه، فأحيوا باسمه الموتى و قاموا بالعجائب.

كما تعدت معجزاته إلى الخواص من الأشياء، فقد أحيت خشبة الصليب الذي صلب عليه ميتا، و ذلك في زمن قسطنطين بعد المسيح بسنين طويلة، يقول مجادل الخزرجي " أحيا الموتى، و كفى بذلك دليلا على أنه هو الله، ثم أنه أيد بإحياء الموتى بعض الحواريين ،فأحيوا الموتى كمثل ما فعل المسيح" .[1]

---

(١) بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ص٦٣ ، و المعجزات من الأدلة العقلية و إن وردت في النصوص ، إذ أنها من جهة دلالتها على ألوهية المسيح عقلية ، و لسوف نفرد لها مطلبا منفردا عن الاستدلالات العقلية و النصية.

إبطال أدلة النصارى على ألوهية المسيح .

و قد تتبع أصحاب الردود المسلمين سائر النصوص الكتابية التي استند إليها النصارى ليقفوا على مكمن الخطأ و الزلل فيها، حيث وجدوا أن هذه النصوص التي فهم النصارى منها ألوهية المسيح معارضة بمئات النصوص التي تقرر بشرية المسيح، و رأوا أن إثبات تلك النصوص على ظاهرها من غير تأويل يقتضي تناقض الكتب المقدسة، و إبطال الاستدلال بها ، فالتأويل لا خيار فيه حتى لا تتناقض النصوص.

كما يلزم من إثباتها على ظاهرها محالات لا يجيزها العقل بحال من الأحوال، و هذا النوع من الأخبار أو المعتقدات لا تأتي به النبوات أبدا.لذا كان لعلمائنا منهج واضح في التعامل مع هذه النصوص.[1]

و يتلخص هذا المنهج بادئ ذي بدء في رفض أصحاب الردود المسلمين قداسة النصوص الكتابية ، و عليه فلا يصح أن يعتمد عليها في إثبات تقرير العقائد.، ثم تنزل أصحاب الردود المسلمين مع مجادليهم من النصارى، و درسوا هذه النصوص في ضوء النصوص الكتابية الأخرى و معطيات العقل السليم ،فوجدوا أن هذه النصوص لا يجوز تركها على ظاهرها لما سبق بيانه، فبحثوا وجوه التأويل المناسب[2]، فوجدوها من غير تكلف و لا تعسف، وجدوها متناسبة مع كلام العقلاء، و أهم منه أنها تجعل النصوص الكتابية في وحدة موضوعية واحدة.

كما لاحظ أصحاب الردود المسلمين تلاعب النصارى بدلالات الألفاظ، فحين يأتي لفظ " الابن" مرادا به عيسى فهو يعني بنوة الألوهية ، و عندما يرد اللفظ ذاته في حق غيره تتحول البنوة إلى بنوة مجازية يراد منها بنوة المحبة و الرعاية.

و عليه فإن الإشكال طرأ من تفسيرات النصارى لنصوصهم لا من النصوص الكتابية، فخيروا النصارى بين إثبات المعاني المجازية للنصوص جميعا – و ذلك هو الصحيح الذي يقبله العقل – و الذي يرد مثله فيما جاء به الأنبياء ،و منه ما هو موجود في القرآن الكريم ،كما جاء أيضا في حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم، و لم يفهم منه المسلمون ما وقع به النصارى من الحلول أو الإلهية لمن أطلقت عليه تلك الألفاظ،و إما أن يثبتوا (أي النصارى) معاني حقيقية للجميع فتبطل عقائد النصارى، و إما أن ينكروا قداسة هذه النصوص و يكفوا عن الاستدلال بها.

و كانت النتيجة التي توصل إليها علماؤنا: أن القول بألوهية المسيح قول لا دليل عليه في كتب النصارى المقدسة، بل هو من وضع النصارى، و تلاعب الشيطان بهم، و هذا المنهج الذي اختطه أصحاب الردود الإسلامية طبقوه بصرامة و براعة تامة على النصوص التي أشكلت على النصارى .

---

(١) انظر : معالم هذا المنهج في الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ، ص ١١٦ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ٦١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٩٩-١٠١.

(٢) لا يسمي شيخ الإسلام هذا الضرب تأويلا ، لأن التأويل هو صرف الكلام عن ظاهره ، بينما التفاسير التي جاء بها علماؤنا توافق ما دلت عليه ظواهر اللغة المعروفة في خطاب المسيح و سائر الأنبياء. انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٩٩.فقولهم"فلان أسد" إذا فهم منه أن فلانا شجاع فليس ذلك بتأويل ، بل هو ما ينصرف إليه الذهن.

ففي إبطالهم للنصوص المتعلقة ببنوة المسيح، أو أبوة الله له ذكر السعودي أن عدم فهمهم لمعاني هذه النصوص هو أحد أهم أسباب ضلال النصارى .[1]

فالنصوص المشكلة معارضه بعشرات النصوص التي أطلقت على المسيح " ابن الإنسان " فلئن كانت تلك دالة على ألوهيته فإن هذه مؤكدة لبشريته، منها قول متى " للثعالب كهوف ،و للطير أوكار، و ليس للإنسان حيث يرمي برأسه " (متى ٨/ ٢٠)، و أيضا قوله " سيلقى ابن الإنسان ما كتب له " (مرقس ١٤/ ٢١)بينما سماه في مواطن أخرى" ابن داود " (انظر مرقس ١٠/ ٤٧).

وعليه يرى ابن حزم أن النصارى يلزمهم تأويل النصوص التي وصفت المسيح بأنه ابن الله و إلا وقعوا في " الحمق و المحال " و هو " أن يكون (المسيح)إله و ابن إنسان، أو أن يكون ابن إله و ابن إنسان معا "[2]

و أطبق أصحاب الردود الإسلامية على إيراد نصوص كثيرة وسمت آخرين غير المسيح بأنهم أبناء الله، أو أن الله أبوهم ، و مع ذلك لا يقول النصارى بألوهيتهم. من ذلك ما جاء في حق إسرائيل في سفر الخروج" أنت ابني بكري " (الخروج ٤/ ٢٢)، و قوله لداود " أنت ابني، أنا اليوم ولدتك " (المزمور ٢/ ٧)، و قول المسيح للحواريين" أريد أن أذهب إلى أبي و أبيكم و إلهي و إلهكم " (يوحنا ٢٠/ ١٧)، و قول المسيح "و تفعلون أفعال أبيكم " (يوحنا ٨/ ٤١)،و أيضا قول متى " أبانا الذي في السماوات " (متى ٦/ ٩)، و قول يوحنا " انظروا إلى محبة الآب لنا كيف أعطانا أن ندعى له أبناء" (يوحنا(١) ٣/ ١) وقول المسيح أيضا " كونوا كاملين مثل أبيكم " (متى ٥/ ٤٨)[3].

و يشبه القرافي تعامي النصارى عن هذه النصوص بفعل الفأر الأعور يرى الخبز و لا يرى القط.[4]

فلئن قال النصارى في هؤلاء الذين سماهم الله أبناءه ، أو سموا الله أباهم ، لئن كان هؤلاء أبناء على جهة الرحمة، فكذلك المسيح ،و إلا يثبت لهم جميعا ما أثبته النصارى للمسيح من ألوهية و ربوبية سواء بسواء .

---

(١) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي لوحة ٣أ ، مقالة القاسم الرسي ، الفكر الإسلامي للشرفي ص١٣٦.

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٢/ ٥٣ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ص٣٨٣ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص٦٥ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص٦٩ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص١٥٥.

(٣) انظر : الوسط من المقالات للناشئ الأكبر ص٨٢ ، رسالة الحسن بن أيوب ص٢/ ٣٣٩ ، الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ١/ ٥٦ ، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ص١٧١-١٧٣ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ص٣٨٣ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص١٢٠ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص٥٩-٦٣ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص١٠٠-١٠٢ ، على التوراة ، علي الباجي ، ص٤٠-٤١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/ ١٠٠-١٠١ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص١٥٠ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي لوحة ٤أ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي لوحة ٦أ.

(٤) انظر : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص١٠٢.

يقول السعودي " فما نرى الإنجيل زاد المسيح على أن ساواه بداود و إسرائيل، و أولاده الصلحاء...فإن لم يصح النقل فلا بنوة، و إن صح فلا مزية ".

لكن النصب الراسي يذكر أن ثمة لعيسى من بين هؤلاء خصوصية، ألا وهي البكورية التي وصفته بها الأناجيل ،وهي أيضا بكورية مجازية تفيد تقدم المسيح على غيره مع استوائه معهم في حكم البشرية.

ويؤكد زيادة أن هذا الفهم هو مافهمه أوائل النصارى من الأناجيل،وأن إثبات البنوة الحقيقية لم يكن معتقدا للنصارى خلال القرون الثلاثة الأولى،ولادليل عليه وإن ذهب إليه المتأخرون منهم.(١)

بل إن هذا المعنى من البنوة-المجازي -ليس لغة للإنجيل جاءت في كثير من نصوصه فحسب، بل هو أيضا لغة للنصارى في التعبير عن المحبة و الطاعة، كقولهم لقسسهم " أبونا فلان "، فإن قالوا تميز المسيح عن هؤلاء باتحاد الكلمة به، فأصبحت بنوته حقيقة و بنوة أولئك تشريفية فذلك كما يرى السعودي محال، لأن الصفة إذا فارقت موصوفها حل ضدها، فيلزم على قولهم حلول الجهل على الله عز و جل.(٢)

و قد رفض الجاحظ و القاضي عبد الجبار بادئ ذي بدء إطلاق لفظ البنوة لله عز و جل بأي وجه من المعاني أريد سواء كان على الحقيقة أو بالتبني و الرعاية و غيرها، و اعتبروا هذا الإطلاق إساءة أدب مع الله عز و جل، و لو جاز أن يكون أبا ليعقوب لجاز تسميته جدا ليوسف و عما و خالا و هكذا...(٣)

كما رفض هذا الإطلاق بالنسبة لله (الأبوة و البنوة) الرازي ،و علته في ذلك أنه يتبادر منه إلى الذهن الحقيقة الجنسية، وإن كانت غير مرادة، و هو قبح و شناعة بحق الله عر و جل.(٤)

لكن ذلك لم يمنع آخرين من القول بالمعاني التي يحتملها هذا اللفظ المشترك،فابن الله قد يراد منها مجرد نسبة تشريف كقولنا:"بيت الله"، و منه قوله جل و علا ﴿ ناقة الله ﴾(٥) .

و الجعفري لا يقر هذا اللفظ إلا جدلا، لأنه لادليل عليه ،ولا يشفع له وروده فيما يقدسه النصارى من الكتب لعدم الثقة بها، و أيضا يرى أنه لا دليل على اختصاص المسيح بمعنى البنوة المجازي.

و يذكر النصارى بنهي المسيح عليه السلام عن تسميته : " ابن الله " و ذلك كما في إنجيل مرقس " خرج يسوع إلى البحر و تبعه جمع كثير، فأبرأ أعلالهم و شفاهم، فجعلوا يزدحمون عليه و يقولون : أنت ابن الله. فكان ينهاهم " (قارن مرقس ١١/٣) ،وفي إنجيل لوقا " فكان ينهرهم و لا يدعهم ينطقون بهذا "(لوقا ٤١/٤).

ويتساءل السعودي لماذا نهاهم المسيح عن تسميته:" ابن الله "؟ ثم يورد إجابة النصارى المحتملة

---

(١) تثبيت دلائل النبوة ، القاضي عبد الجبار ، ص ١٢٠ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤أ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة٦٦أ .

(٢) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٦٤أ .

(٣) انظر : المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص١٠٤-١٠٥ ، و انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٠٨/٥.

(٤) انظر : مناظرة الرازي ، ص ٤٨ .

(٥) سورة الشمس ، آية:١٣ ، وانظر : رسالة الحسن بن أيوب ٣٢٢/٢ ، الجواب الصحيح ، ابن تيمية١٢٨/٢ .

و يفندها.فإن قالوا :خوفا من اليهود فعلى أي شيء يخاف و قد تعني و نزل ليقتل إيثارا لهم، و لكم خالف اليهود، و فعل و فعل ، و لم يخف منهم.

و إن اعترض معترض على تأويلات المسلمين لمعنى الابن فقال : لماذا نهاهم عن هذه التسمية ما دام متعارفا تسمية الصالحين بأبناء الله، و يجيب السعودي على هذا الاعتراض:بأن اليهود عندما رأوا منه أفعالا عجيبة، حينذاك نسبوه إلى الله فالنسبة حقيقة، فلذلك نهرهم و زجرهم، أو أنه فهم منهم المدح و الثناء في مقابل معروفه، فكرهه لأنه لا يقبل على المعروف أجرا .[1]

و لاحظ الجعفري أن لفظ البنوة يتجوز به عن العبودية و الاجتهاد في الخدمة، و دليله على ذلك أنها لم ترد في كتبهم إلا مقرونة بالعبادة غالبا كقوله " إسرائيل ابني بكري أرسله يعبدني "(انظر الخروج ٢٢/٤-٢٣)،و قوله لداود " أنت ابني، و أنا اليوم ولدتك سلني أعطك " (المزمور ٢/٧-٨)،فنبه على العبودية بالسؤال،و مثله ما جاء في يوحنا " إني ذاهب إلى أبي و أبيكم و إلهي و إلهكم " (يوحنا٢٠/١٧) ، فقرنها بذكر ألوهية الله المتضمن لمعنى العبودية بحق عيسى عليه السلام .[2]

و أيضا أبطل علمائنا استدلال النص بالنصوص التي سمت المسيح ربا و إلها، من ذلك ما زعموه من نبوءة التوراة به عليه السلام " رب الملائكة سيولد من البشر " (لم أجده في الترجمات الحديثة).

و بداية فإن ابن القيم يجزم بأن النص من الكذب، بينما يتنزل شيخ الإسلام في جداله مع النصارى، و يرى أن النص لا يراد منه رب العالمين، لأنه لو أراد ذلك لما أفرده فقال" رب الملائكة "، و المراد هو المعنى المجازي الذي يفهم من كلمة " الرب "، و هو السيد، فيكون معنى النص :يولد من البشر من يكون سيدا للملائكة تخدمه، و تكرمه، كما سجدت لأبي البشر آدم .و دليله في صحة هذا التأويل ما جاء في متى أن ابن الإنسان يرسل ملائكته،و يجمعون كل الملوك ربا على الأمم ، فيلقونهم في أتون النار " (قارن متى ١٣/٤٩-٥٠).

و ينقل شيخ الإسلام و تلميذه ابن القيم عن بعض أهل الكتاب - و لا يسميه - أنه لا يراد من النص أن المسيح هو رب الأرباب، و لا أنه خالق الملائكة. بل رب الملائكة أوصى الملائكة بحفظ المسيح بشهادة النبي القائل " إن الله يوصي ملائكته بك ليحفظوك " (المزمور ٩١/١١)، ثم شهادة لوقا أن الله أرسل له ملكا من السماء ليقويه(انظر لوقا ٢٢/٤٤)، و قال "وإذا شهد الإنجيل باتفاق الأنبياء و الرسل بأن الله يوصي ملائكته بالمسيح فيحفظونه، علم أن الملائكة تطيع المسيح بالأمر [3]، و هو و الملائكة في خدمة رب العالمين".[4]

---

(١) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩ب ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص٦٠.

(٢) انظر : الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص٦١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/١٢٣ ، ٢٤٧.

(٣) النص في المطبوع هكذا :"علم أن الملائكة تطيعه للمسيح بالأمر".

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢١٦-٢١٧ ، وانظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص١٥٤ .

و نص متى الأخير (١٣/٤٩-٥٠) الذي أورده شيخ الإسلام تعتبره النصارى من أدلة ألوهية المسيح إذ جعل له ملائكة. بيد أن السعودي يبين أن النسبة هنا نسبة صحبة و تشريف، لا نسبة ملك كما في الإنجيل " لا تحقروا أحدا من هؤلاء الصغار المؤمنين، فإن ملائكتهم ينظرون وجه أبي الذي في السماوات.."(متى ١٨/١٠)، ثم قد يكون المقصود ب"ابن إنسان"الحواري المصلوب الذي افتدى عيسى بنفسه، و يكون المعنى :أي ينتقم الله له يوم القيامة من قاتليه. و قد ثبت في الإنجيل أن الحواريين يجلسون يوم القيامة على كرسي مجده و يحاسبون بني إسرائيل(انظرمتى ١٩/٢٨)[1].

ولا يرى الحسن بن أيوب وغيره بأسا من إطلاق لفظ الرب على غير الله تعالى إذا قصد منها معناها المجازي اللغوي بمعنى :السيد و المعلم و المدبر و القيم. كيف لا و قد جاءت النصوص القرآنية و الكتابية بذلك.

فمما ورد في كتب أهل الكتاب ما جاء في إشعيا " عرف الثور من اقتناه و الحمار مربط ربه، و لم يعرفه بنو إسرائيل " (إشعيا ١/٣) ،و مثله أن لوطا لما رأى الملكين قد أقبلا لهلاك قومه قال:" يا رب مهلا إلى مترل عبدكما " (قارن التكوين ١٩/٢)، و مثله أيضا ما جاء في التوراة أن الله قال لموسى " قد جعلتك ربا لهارون، و جعلته لك نبيا "(انظر الخروج ٤ /١٦)، و مثله قول شمعون الصفا " إن الله جعل المسيح ربا " (أعمال ٢/٣٦) أي وكل إليه تدابير أصحابه.

و مما ورد في القرآن قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام لصاحبه في السجن ﴿ اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه ﴾ [2]

و أما استدلال النصارى بإشعيا (٧/١٥) فهو أيضا مردود من وجوه عدة :-

أولها -أن النص لم يرد في المسيح و لا أمه كما ذكر أهل الكتاب بل هو بشارة متعلقة بقصة جرت قبل المسيح بقرون عدة و قد ساق الخطيب القصة بتمامها في " الأدلة ".[3]

ثانيها-إننا لو قلنا أن النص بشارة بولادة المسيح، فليس فيه ذكر لألوهيته، إذ النص يتحدث عن ولادة مريم لابن، و لم يقل عنه بأنه خالق السماوات و الأرض و لا سوى ذلك، بل هو مولود كسائر ما تلد النساء بيد أن اسمه " عمانويل "، و معلوم أن الاسم غير المسمى، و هذا الاسم يكثر النصارى من التسمية به، بيد أنه لم يرد إطلاقه على المسيح في شيء من الأناجيل أبدا.

و يذكر زيادة الراسي أنه قد وردت تسميات مشابهة لغير المسيح و لم تقتض ألوهية أصحابها ، فإيليا اسم عبري معناه : إله أبدي. و أطلق على أحد الأنبياء ،و مثله اليشع و معناه : إله مخلص.فلم يدل الاسم على ألوهيتهم عند النصارى و لا غيرهم.

ثالثها-النص الذي ذكر اسمه (عمانويل) وتفسيره :(الله معنا)، و المعية هنا معية نصر و إعانة و تأييد، و ضرب شيخ الإسلام وتلميذه أمثلة لهذه المعية مما جاء في القرآن الكريم.

---

(١) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٠أ-٤٠ب

(٢) سورة يوسف ، من آية :٤٢.

(٣) انظر : أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ص٨٥-٨٦ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢١١-٢١٣ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص١٥٧.

رابعها–و يرد احتمال آخر، و هو أن تسميته بهذا الاسم قد جاءت تبركا و تيمنا به[1].

ويورد ابن الأنباري تخريجات أخر للنص بعد أن يؤكد على ضرورة تأويله ، لأن النصارى لا يعتقدون بولادة الإله، إنما يقولون بولادة الناسوت.فإن صح النقل وجب التأويل، فيحتمل أنه سمي بذلك عن طريق الاستعارة و المجاز، لما كان يدبر أمته و يرشدهم إلى الخير.

و يحتمل أيضا أن المراد من بالنص أن مريم تلد من يزعم قومه أنه إله، فهذا من الإخبار بالغيب. و تسميته إلها – بهذا الوجه – معروف في لغة العرب، فإن العرب سمت الشمس (الآلهة)، لأن قوما اعتقدوا عبادتها. و ذلك لا يقتضي بحال صدق ألوهيتها.[2]

وإطلاق لفظ (إله) على غير الله إطلاق معهود في الكتب المقدسة عند النصارى، فقد ورد في نصوص عدة منها قول الله لموسى " جعلتك إلها لفرعون " (الخروج ٧/١) أي: مسلطا عليه. و مثله قول داود في مزاميره " إنكم آلهة، و بنو العلي كلكم " (المزمور ٨٢/٦)،و هذا الذي استشهد به عيسى عندما قال " أليس هذا مكتوب في ناموسكم : إني قلت لكم إنكم آلهة " (يوحنا ١٠/٣٤)، ومثله " الله قام في مجمع الآلهة " (المزمور ٨٢/١)، و مقصده أشراف بني إسرائيل، و مثله ما جاء في المزامير " ربنا أفضل من جميع الآلهة و الملائكة " (المزمور ١٣٥/٥).

وعليه فلا دلالة على ألوهية المسيح بمجرد إطلاق لفظ الإله على أحد من الناس، لوجود دلالات متغايرة للكلمة، و التفريق بين المتماثلات بغير دليل ممنوع عند أهل النظر و البصيرة، و عليه فينبغي أن يصار إلى تأويلها كسائر مثيلاتها، أو إثبات الألوهية للجميع، و هو ما لا يرتضيه النصارى.

وهكذا يرى أصحاب الردود المسلمين أن الحق في هذه المصطلحات المشكلة كالأب و الابن و الرب و الإله أنها مصطلحات كتابية يجب فهمها وفق اصطلاحات الزمن الذي كتبت فيه، و حسب السياقات و الدلالات التعبيرية السائدة حين كتابتها.[3]

كذلك كانت النصوص التي فهم النصارى منها حلول الله في عيسى محل نقد علمائنا الكرام. و اعتبر الغزالي مقدمة يوحنا (١/١٤)إحدى معضلات النصارى التي يتمسكون بها [4] " الكلمة صارت

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢١١-٢١٣ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى، ابن القيم ، ص١٥٧ ، وانظر : رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/٣٤٠ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٥ب.

(٢) انظر : الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ص٣٨١ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ،ص٦-٧.

(٣) انظر : رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/٣٤٠ ، التمهيد ، الباقلاني ص١٠١ ، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ١٦٨-١٦٩ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ص١٢٠ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص٦ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢١٢ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ، ابن القيم ، ص١٥٠-١٥١ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٨أ-٨ب ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ص١٠٣ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٥ب .

(٤) انظر : الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ص١٧٥.

جسدا و حل بيننا "، فيستعرض النص من أوله " في البدء كان الكلمة، و الكلمة كان عند الله، و إله هو الكلمة، كان هذا قديما عند الله، كل به كان...و الكلمة صار جسدا ،و حل بيننا و رأينا مجده " (انظر يوحنا ١/١-١٤)، فيرى الغزالي أن " الكلمة " في النص معناها: الذات الموصوفة بالعلم أو العقل. و عليه فليس في النص سوى إشكالين " تزل عندهما القدم ".

-الأول : وصف عيسى أنه نور، و هو معنى يسلم به الغزالي، إذ عيسى بنبوته هو نور من نور الله و معرفته و هدايته و ذلك مصداق لقوله " إنما جئت نور العالم "(يوحنا ١٢/٨)

-الثاني:قوله " الكلمة صارت جسدا "، و لكن هذا الإشكال ساقط، لعدم صحة النص و لتحريفه، ليس فحسب لأن الكتب النصرانية لا يثبت منها شيء، بل قد تعرض هذا النص بالذات للتحريف، ففي الأصل القبطي هو كالآتي " اوه يباجي أفار أوصر كيس " و معناه :الكلمة صنع جسدا.

و قد اعترف للغزالي بعضهم بصحة اعتراضه، و اعتذر أن سبب عدولهم عن الترجمة الظاهرة إلى ترجمة أخرى، إنما كان لاشتراك اللفظ عما هو واجب الإرادة، و حمله على ما يقتضي صريح العقل بعدم إرادته، ليحصل له بذلك أن الإله العالم صار جسدا.

و هكذا فالغزالي لا يتوقف موقف القرطبي الذي اكتفى برد النص لأن عموم الأناجيل ليست محل ثقة، و لأن أصحابها غير معصومين البتة[1].

و قريبا من المعنى الذي تنبه له الغزالي ما ذكر السعودي حين شكك بالنص، حيث أورد احتمالا بأن يكون أصل النص " الكلمة أصارت جسدا " ،فلووا الكلام عن حقيقته[2]. فتفسير السعودي مستساغ لو كان التحريف في الترجمة العربية فقط.

و كعادة علمائنا لم يتوقفوا عند هذا الحد من رد الدليل، بل تفحصوا النص، و سلموا بصحته جدلا، فوجد القرطبي أنه لا يعني حلول الله بالجسد، لأن النص من أوله يتحدث عن المؤمنين الذين توالدوا من الله. فالمعنى مجازي في حق المؤمنين، كما هو في حق عيسى، و إلا وجب إثبات الاتحاد للجميع، و هو ما لا يرتضيه النصارى بحال.

كما يورد السعودي تأويلا آخر هو أن المقصود بالكلمة : جبريل عندما ورد على مريم فحملت، أو أن المقصود هو بطرس الذي أحله المسيح مكانه بعدما رفع إلى السماء، أو أن المقصود هو المسيح الذي كفر به اليهود، ونسبوه للجنون فشرفه الله و سماه كلمة، و أقامه بين أظهرهم ما أقامه فلم يعرفوا له قدره.[3]

كما رد أصحاب الردود المسلمين احتجاج النصارى بما ورد في يوحنا " من رآني فقد رأى الآب " (يوحنا ١٤/ ٩)، فيذكر الحسن و الغزالي و السعودي بأن رؤية الله غير ممكنة في الدنيا،فلا يؤخذ النص على ظاهره، بل المعنى أن الله قد أقام نبيه مقام نفسه، فبأمره يأمر و عن منهياته ينهى. كما يقول رسول

---

(١) انظر : المصدر السابق ١٧٩-١٨١ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص٩٤.

(٢) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٩أ.

(٣) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٩أ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ٩٤-٩٥.

الرجل: أنا و من أرسلني واحد، فكذا من رأى أفعال المسيح التي أظهرها الله على يديه (المعجزات)، فقد رأى أفعال الله عز و جل .

و استدل الغزالي لهذا التأويل بقول بولس " الله واحد هو، و الوسيط بين الله و الناس واحد هو الإنسان يسوع المسيح " (تيموثاوس(١) ٢/٥)[1].

ويورد الغزالي احتمالا آخر هو أن المسيح أنكر على السائل طلب رؤية الله، بينما هو لم يستطع التعرف على المسيح. و معلوم أن معرفة الإنسان ممكنة. فكيف يتصور أن يعرف الإله الذي لا تتصور معرفته بحاسة البصر،، و لا يتبين كنهه و حقيقته بالأجناس و الفصول، ثم بين له المسيح أن الإله إنما تطلب معرفته، ليكون المكلف واثقا بأن هذه الأحكام صادرة عنه، فقال " من رآني فقد رأى الآب " ، أي : أنا أخبر عنه.

و استدل الغزالي لهذا التأويل بما جاء في متى " ليس أحد يعرف الابن إلا الأب، و لا أحد يعرف الأب إلا الابن " (متى ١١/٢٧)[2].

ويصحح ابن تيمية هذا التأويل، و يعتبره نوعا من الحلول الذي تجيزه النبوات،و يسميه بحلول " المثال العلمي"، ﴿و له المثل الأعلى في السماوات و الأرض﴾ [3].

فهذا النوع من الحلول هو الحلول الوارد في الكتب السابقة، و هو مثبت لكثيرين غير المسيح كما في مناجاة داود " و ليفرح المتوكلون عليك إلى الأبد، و يبتهجون، و تحل فيهم ، و يفتخرون "(قارن المزمور ٥ /١١)، فقد أخبر أنه يحل في الصالحين.و من ذلك ما جاء في التوراة " ظهر الله في طور سيناء ، و أشرق من ساعير، و استعلن من جبال فاران"(انظر التثنية ٣٣/١-٢)و المقصود رسالته. و منه قول بولس"إن يسوع حال فيكم"(كورنثوس(٢)١٣/٥) ،و مثله جاء في القرآن في قوله ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾[4]،و كذا قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن ربه " فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، و بصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ،و رجله التي يمشي عليها "[5]

و على هذا المعنى من الحلول، فإن الله تعالى يحل في بيوته كما يحل في الأنبياء و الرسل، و أيضا فإن هذا النوع من الحلول معهود في كلام العقلاء كما هو في كلام الأنبياء، و ذلك كمثل قول الرجل : " أنت قلبي "، فلا يفهم منه عاقل حلولا حقيقيا. فهذا النوع من الحلول إن ادعته النصارى في عيسى، فإن سائر المسلمين يقبلونه كما هو مقبول بحق سائر الأنبياء و المرسلين من غير تخصيص[6].

---

(١) انظر : رسالة الحسن بن أيوب٢/٣٤٠ ، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ، ص١٩٥ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، السعودي ، لوحة ٣٨أ

(٢) انظر : :الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ص١٩٥-١٩٧.

(٣) سورة الروم ، آية: ٢٧.وانظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية٢/١٧٩-١٨٠ ، ١٩٧-١٩٨ .

(٤) سورة الفتح ، من آية:١٠.

(٥) الحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب الرقاق ، باب التواضع.

(٦) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/١٩٣ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص٦٦ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص١٥٢ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٨أ-٣٨ب .

و أما النوع الآخر من الحلول فلم يرد مثله في كتب الأنبياء، و لم يرد إلا عن المسيح الدجال الذي يأتي آخر الزمان[1].

و يرى ابن الأنباري أن النص لا يصح الاستدلال به لكونه محرف، و لو سلم به فواجب التأويل لأن أحدا من النصارى لم يقل بأنه إذا رأى عيسى فقد رأى الآب[2]، لأن الكلمة المتحدة غير مرئية، و إنما المرئي هو صفة الناسوت،كما أن المتحد هو الابن ،وليس الأب.

كما يورد ابن الأنباري معان أخر محتملة لرؤية الآب - قريبا مما ذكره الآخرون من أصحاب الردود - حيث قد يقال بأن رؤية الآب المقصود بها بره و إحسانه.كما قال تعالى ﴿ فأمه هاوية ﴾[3]أي أنها بمنزلة أمه، فإليها موئله، و منها طعامه و شرابه، فإن رفضوا التأويلات فقد كذبوا كتبهم، فقد جاء في الإنجيل " إن الله لم يره أحد " (يوحنا١/١٨)، و لزمهم أن اليهود و النصارى و سائر الكفار بل و الحمير و غيرها قد رأى الله تعالى، و هذا قبيح و مستهجن[4]. كما يكذبون بذلك ما جاء في أعمال الرسل " إن الله خالق العوالم بجميع ما فيها، و هو رب السماوات و الأرض، لا يسكن الهياكل التي طبعها الأيدي ، و لا يحتاج إلى شيء من الأشياء " (أعمال الرسل ٤/٢٤)، و هذا القول نص في عدم وقوع الحلول على الوجه الذي تقوله النصارى.

و كذا كان للنصوص التي نسبت للمسيح أفعالا و صفات توهم منها النصارى ألوهيته حظ وافر من ردود علمائنا.

منها ما أورده يوحنا على لسان المسيح أنه قال " إن إبراهيم تشوق إلى أن يرى يومي هذا، فقد رآني و ابتهج بي، من قبل أن يكون إبراهيم كنت أنا " (يوحنا ٨/٥٦-٥٨).قال السعودي :" هذا أقوى ما يتمسك به النصارى في ربوبية المسيح ".

و بداية:فإن القاضي عبد الجبار يكذب هذا الخبر جملة في حين أن المهتدي نصر بن يحيى يلمز ظاهر هذا الخبر، و يرى ضرورة تأويله فيقول:"إن صح عن المسيح فله في التأويل مستساغ...و هو أن يكون إبراهيم أعلمه الله تعالى بذلك...يقال رأيت بمعنى علمت.

و جاء في الخبر أن اليهود أنكرت هذا القول على المسيح فقالوا:" إنك لم تبلغ بعد أربعين، و تزعم أن رآك إبراهيم !! فقال المسيح:نعم أقول لكم:هذا حق ". ثم وصل الكلام ...فقال: "من قبل أن يكون إبراهيم كنت أنا ؟ "،فجعله استفهاما و ليس خبرا كما يقول النصارى ، كأنه لما قال:إن هذا هو الحق على الوجه الذي أولته، و نفى ما ظنوا أن يكون رآه من طريق المعاينة و المشاهدة بهذا التوبيخ الذي خرج مخرج الاستفهام، و لم يفهم اليهود ، و نفروا منه فانصرف من بينهم.

و مما يؤكد ما قلناه أن متى قال في إنجيله كان مولد يشوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم (انظر متى١/١-١٦)،فإن المسيح لا يكون قبل أبيه، ثم كيف يصح أن يكون قبله - على قولهم - و هو في هذه

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٦٩/٢.

(٢) سوى اليعاقبة فأنهم يقولون بذلك.

(٣) سورة القارعة ، من آية:٩ .

(٤) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٨ب.

الحالة لحم و دم، و لم يكن- عندهم - قبل إبراهيم لحم أو دم. و لو قالوا ذلك لنقضوا تسبيحة إيمانهم " أنه تجسد من مريم بعد نزوله. ففي هذا كفاية " [1].

ثم زاد رحمه الله على الكفاية، فأورد ما أورده الحسن من نصوص مشابهة لم يقل النصارى بألوهية أصحابها، أو قدمهم فهذا سليمان يقول في حكمته " أنا قبل الدنيا،و كنت مع الله حيث بدأ الأرض " (انظر الأمثال ٨/٢٢-٢٥)، و كذا قول داود " ذكرتك من البدء يا رب في البدء، و هديت بكل أعمالك " (المزمور ١٤٣/٥).

يقول الحسن : " فإن تأولتم تأولنا، و إن تعلقتم بظاهر الخبر في المسيح تعلقنا بظاهر الخبر في سليمان و داود ، و إلا ما الفرق " [2].

و يعود السعودي للنص، فيرى إمكانية تأويل النص من غير تكلف و لا تعسف، فيقول بأنه يحتمل أن الله أرى إبراهيم أيام المسيح، كما أرى آدم جميع أيام أولاده، و كما أرى موسى ما يكون بعده في بني إسرائيل، و ذلك بالروح المدركة، لا بالعين الباصرة، و يكون معنى النص : أن الله قدر الاصطفاء للمسيح في سابق علمه ، و أعلم إبراهيم به، و أنه من ذريته، فاشتاق لرؤيته، فكشف له عن روحه الزكية، فرآه و فرح به.[3]

و يوافق بذلك الغزالي في هذا التأويل و تشبيهه بقول بولس " لكننا ننطق بحكمة الله الخفية، بالسر الذي لم يزل مستترا، و كان الله قد تقدم فقررها قبل العالمين " (انظر كورنثوس (١) ٢/٧-٨)، بينما استدل السعودي لهذا التأويل بقول مشابه للنبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول :" كنت نبيا و آدم منجدل في طينته "[4].

فلم يفهم منه المسلمون ما فهم منه النصارى، بل عمدوا إلى تأويله. قال شيخ الإسلام " مراده صلى الله عليه وسلم أن الله كتب نبوته و أظهرها و ذكر اسمه" [5]،و أمثال هذا في أحاديث الناس كثير.

و هذا التأويل مال إليه أيضا زيادة النصب الراسي حيث قال بأن هذه النصوص يفهم منها أن أرواح هؤلاء الأنبياء مخلوقة قبل الأرض، أو أنه قد تقرر ذلك بقدر الله السابق للمخلوقات. واستدل لهذا التأويل بما جاء في سفر الرؤيا في وصف المسيح " الخروف الذي ذبح منذ إنشاء العالم " (قارن ١٣/٨).

---

(١) تثبيت دلائل النبوة ، القاضي عبد الجبار ، ص ١١٤ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ص٨٢-٨٣ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٩أ.

(٢) رسالة الحسن بن أيوب٢/٣٤١ ، و انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ١٢٢ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢١٦-٢١٨ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٦ب-٧أ.

(٣) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٩أ ، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ، ص ١٥٨-١٦٠ .

(٤) الحديث رواه أحمد في المسند٤/٦٦ ، و الترمذي من حديث أبي هريرة برقم ٣٦٨٨ وحسنه ٥/٤٥ ، و قال الذهبي في تاريخ الإسلام"لولا لين في الوليد بن مسلم لصححته"١/٤١.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢١٦ ، و انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٩أ.

و الباقلاني سبق شيخ الإسلام إلى هذا التأويل ، و أورد احتمالات أخرى، و ذلك بقوله إن معنى النص " أنا معروف عند قوم من الملائكة، أو أنا مبعوث إلى البشر قبل إبراهيم "[1]و نلحظ في تأويلي الباقلاني الأخيرين تجاهلا لمقدمة النص في سبيل الوصول للنتيجة الصحيحة التي لا مناص منها عند أصحاب العقول السليمة.

و من النصوص المشكلة عند النصارى أيضا قول المسيح للمقعد " قد غفرت لك " (لوقا ٥/٢٠، مرقس ٢/٥)،و هذا الأمر عند النصارى مشعر بألوهيته إذ قد غفر له من غير أن يدعو الله بذلك، وهذا بزعمهم من خصائص الألوهية.

لكن أمورا مشابهة جرت مع غير المسيح، و حصل مرادهم من غير دعاء الله عز و جل، هذا ما تقصه علينا النصوص الكتابية.[2]فكيف لا يقول النصارى بألوهيتهم ؟

من هذه النصوص ما أخبرت به التوراة أن إلياس أمر السماء أن تمطر فمطرت من غير أن يدعو الله في ذلك الوقت(انظر ملوك(١) ١٨/٤١-٤٥).و كذا فإن اليسع أمر نعمان الرومي أن يغتسل في نهر الأردن ليشفى من غير دعاء و لا تضرع(انظر ملوك(٢) ٥/١٠-١٥)، ثم إن الأناجيل ذكرت في مواطن أخرى دعاء المسيح لربه و تضرعه بما يشعر بأن الفعل إنما يكون منه بقدرة الله و حوله " يا أبي.أشكرك على استجابتك دعائي،و أعلم أنك في كل وقت تجيب دعوتي، لكن أسألك من أجل هذه الجماعة، ليؤمنوا بأنك قد أرسلتني" (يوحنا ١١/٤١-٤٢).

و تذكر التوراة أيضا أن بعض ملوك بني إسرائيل يغفر الذنوب فلم لا تقول النصارى بألوهيته؟ فقد جاء فيها " أخرج أنت شعبك الذي أخرجت من مصر، و أنا أجعل معكم ملكا يغفر ذنوبكم " (لم أجده في الترجمات الحديثة).

و السعودي الذي سلم بصحة النص جدلا يورد احتمالا ممكنا، وهو أن المقعد كان يؤذي المسيح، ثم جاء فطلب منه المغفرة . فالمغفرة هنا حق متعلق بالإنسان، و هو يملكها كما في سؤال بطرس للمسيح " إلى كم أغفر لأخي إذا أخطأ ؟ " (متى ١٨/٢١)، و لما أنكر عليه اليهود قال لهم " ألم تعلموا أن ابن الإنسان قد جعل له أن يغفر الخطايا "، و مثله قول المسيح لتلاميذه " إذا قمتم إلى الصلاة فاغفروا لمن لكم عليه خطيئة " (مرقس ١١/٢٥)،و بذلك يبطل استدلال النصارى بهذا النص كما بطل بغيره، فلم يعد أمام النصارى بد من الاعتراف بعبودية المسيح لله عز وجل الذي أكرمه بنبوته و رسالته.[3]

---

(١) التمهيد ، الباقلاني ص١٠٢-١٠٣ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٧أ.

(٢) انظر : رسالة الحسن بن أيوب ، ٣/٣٣٩ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحى ص١٢١.

(٣) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٧ب-٣٨أ.

لمطلب الثاني:نصوص كتابية تشهد ببشرية المسيح وتنفي ألوهيته

وقد عمل أصحاب الردود المسلمين بعد إبطال أدلة النصارى النصية على الاستدلال لصحة ما ذهبوا إليه حينما قالوا ببشرية المسيح، فأمعنوا النظر في كتب القوم فوجدوها مليئة بما يؤيد مذهب المسلمين و معتقدهم في المسيح، بالغ الحسن بن أيوب حين قال بأن في الأناجيل و ملحقاتها نحوا من عشرين ألف نص " كلها تنطق بعبودية المسيح، و أنه مبعوث مربوب، و أن الله اختصه بالكرامات، ما خلا آيات يسيرة مشكلات قد تأولها كل فريق من أولئك الذين وضعوا الشريعة باختيارهم على هواهم، فأخذوا بذلك التأويل الفاسد، و تركوا المعظم الذي ينطق بعبوديته، فلو كانوا قصدوا الحق لردوا تلك المشكلات الشاذة اليسيرة – التي يوجد لها من التأويل خلاف ما يتأولونه – على الواضحات الكثيرات التي قد بانت بغير تأويل، لأنه إنما يجب أن يقاس الجزء على الكل، و يستدل على ما غاب بما حضر، و على ما أشكل بما ظهر " .[1]

و قد أطبق أصحاب الردود الإسلامية على ذكر هذه النصوص، و لم يشذ عن ذلك سوى بعض الردود القديمة التي اكتفت بالمحاجة العقلية سبيلا لإبطال معتقدات النصارى.

و لدى التأمل في هذه النصوص نجدها أنها على ضروب أربعة، قد تتداخل فيما بينها في بعض الأمثلة.

الضرب الأول:هو تلك النصوص التي تبين عجز المسيح، و قعوده عن مقام الألوهية و الربوبية، و عليه فهو ليس بإنسان تام و إله تام كما يقول النصارى، إنما كان فقط إنسانا تاما .و في ذلك نصوص كثيرة ذكرها أصحاب الردود المسلمين .[2]

منها جهل المسيح بأشياء كثيرة أهمها جهله بيوم القيامة، فقد قال حين سأل عنه " لا أعلم ذلك، و لا يعلمها الملائكة الذين في السماء، و لا يعلم ذلك إلا الآب وحده " (مرقس ١٣/٢٢) فكيف تدعي النصارى بعد ذلك ألوهيته، فالجهل بالغيب مبطل لها.

و ليس ما يجهله المسيح هو موعد القيامة فحسب ، بل كل ما غاب عنه فهو غيب يجهله إلا ما أطلعه الله عليه، و لذلك نجده عندما أراد إحياء لعاذر يسأله " أين دفنتموه ؟ " (يوحنا ١١/٣٤)، و لما جاءه رجل يريد منه شفاء ابنه من الجنون قال له المسيح " منذ كم علقه هذا الجني ؟ فأجابه الأب:منذ صباه " (مرقس ٩/١١)، و لما قتل هيرودس يحيى المعمداني لم يعلم بذلك المسيح، حتى أعلمه تلاميذه فحزن عليه و جزع، و خرج من وقته من الموضع الذي كان منفردا (انظر متى ١٤/١٣).

---

(١)رسالة الحسن بن أيوب ٢/٣٧٠

(٢) انظر : الرد على النصارى للطبري ، الفكر الإسلامي ، الشرقي٣٨٥ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ص١٢٤ ، الرد على النصارى ، الجعفري ص٦٧ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص١٠٦ ، و منظومة الأبوصيري ص٢٣-٣٨ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص٧٩-٨٠ ، ١٢٢ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ١٤أ-١٦ب.

و المسيح أيضا و هو يظهر معجزاته الباهرة يشير إلى افتقاره لله و عجزه عن هذه المعجزات لولا معية الله و نصرته فيقول: " لا أستطيع أن أصنع شيئا و لا أتفكر فيه إلا باسم إلهي "(يوحنا ٥/٣٠)، و يؤكد هذا المعنى فيقول: " إنكم متى رفعتم ابن البشر فحينئذ أني أنا هو، و شيء من قبل نفسي لا أفعل،و لكن كل شيء كالذي علمني أبي " (يوحنا ٨/٢٨)،و في نص آخر " لم آتي لأعمل بمشيئتي ، و لكن بمشيئة من أرسلني "(يوحنا ٦/٣٨)، و في آخر يقول لليهود " حقا أقول لكم إن الابن لا يقدر أن يعمل أو أن يصنع إلا ما رأى أباه يصنع " (يوحنا ٥/١٩).

و المسيح أيضا لا يملك لنفسه -فضلا عن غيره_نفعا و لا ضرا إلا أن يتغمده الله برحمته و قد كان، فالله وعده بالعاقبة الجنة كما وعد غيره من المؤمنين به، و لذلك بشرهم فقال :" فأما أنتم الذين صبرتم معي في بلائي و فخاري، فإني أعدكم كما وعدني أبي الملكوت " (انظر لوقا ٢٢/٢٨-٢٩).

و لما جاءته أم ابني زبدى و كانا من تلاميذه " فسألها ما تريدين؟ قالت : أريد أن تجلس ابناي أحدهما عن يمينك، و الآخر عن شمالك،في ملكوتك. فقال:ليس إلى ذلك سبيل، لأنه ليس لي أن أعطيه، و لكن من أبي " (متى ٢٠/٢٠-٢٢)، وقد أشار إلى عجزه في مواطن كثيرة متعددة منها قوله " أنا ذاهب إلى إلهي الذي هو أعظم مني "، فدل ذلك كله على عجزه وعلى أنه بشر لا يصل إلى مقام الألوهية و لا يبلغها ،خلافا لما تقوله النصارى.

الضرب الثاني: هو النصوص التي تحدثت عن أحوال المسيح البشرية التي يشترك فيها مع سائر الناس من طعام و شراب و عبادة لله و تذلل و .....

فقد عرض بعض علمائنا سيرة المسيح[1]-كما عرضتها الأناجيل-منذ بشارة أمه إلى حمله، و ولادته في المزود، ثم لفه بالخرق، ثم ختانه، و من ثم نشأته و تعليمه مع الصبيان، ثم تعميده على يد المعمداني إلى أن ذكروا نهايته المزعومة على الصليب بعد أن جزع و تذلل لله ليصرف عنه هذا الأمر... فوجدوا أن لا يفترق في شيء عن سائر الناس، فقد ولد و كبر، و أكل و شرب، و مات. فما الذي يميزه بالألوهية عن غيره ؟ و ساق أصحاب الردود المسلمين عددا من النصوص التي ذكرت أحوال المسيح البشرية .[2]

منها أن المسيح مكون من لحم و دم كسائر الناس، فليس بإنسان روحاني، كما أنه ليس بروح صرفا، بل هو مركب من سائر ما خلق الله من الحيوان (انظر لوقا ٢٤/٣٦-٣٩)، ومعلوم أن اللحم

---

(١) انظر : رسالة الحسن بن أيوب ٢/٣٢٠ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ١٠٣ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص١٥٠ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ١٩ب-٢٠أ.

(٢) انظر : رد الوراق ، و الرد مجهول المؤلف.الفكر الإسلامي ، عبد المجيد الشرفي ص ، ١٦١ ، رد الباجي على راهب فرنساص٦٥-٦٦ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص١٠٠-١٣٥ ، الرد على النصارى ، للجعفري ص٦٥ ، و منظومة الأبوصيري ص٣٧ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢٧٦ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ٨/١٠٢-١٠٨ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص١٥٨ ، ١٧٦-١٧٧ .

و الدم إنما يتكونان من الأغذية و الأشربة المحدثة و التي لا يرضى عاقل أن يتكون منهما الأزلي أو المتحد معه.[1]

و المسيح قد جاع أيضا، و بحث عن طعام يأكله(انظر متى ١٨/٢١،١٩)، و هذا الطعام يتقوى به، و ينمو به جسمه طولا و عرضا[2].كما يقتضي الطعام خصيصة أخرى لا يليق أن تنسب لمقام الألوهية، ألا و هي التبول و التغوط، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

و هذا المعنى كما يرى الخزرجي هو مفهوم قوله تعالى ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل و أمه صديقة كانا يأكلان الطعام﴾ [3] فكل من طعم و شرب احتاج لإخراج ما طعم، و لا يليق نسبة هذه المنقصة و لا غيرها لله عز و جل الذي لا يشارك الناس هذه الدنايا و الخسائس[4].

و تذكر الأناجيل حزن المسيح ليلة الصلب و غيرها " إن نفسي حزينة حتى الموت " (مرقس ١٤/٣٢-٣٦)، ثم لما جزع من اليهود ظهر له ملك من السماء ليقويه،ثم لما وضع على الصليب جزع و قال: " إلهي إلهي لم تركتني " (مرقس ١٥/٣٤)

و ذكرت الأناجيل أيضا تذلله و خضوعه لله عز و جل و تضرعه بين يديه " و كان يصلي يا أبتاه، إن أمكن أن تعبر عني هذا الكأس، ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت"(متى ٢٦ /٣٩)،و من تضرعه ما ذكره يوحنا " أن المسيح رفع عينيه إلى السماء، و تضرع إلى الله الواحد الخالق، و قال :يجب على الناس أن يعلموا أنك أنت الله الواحد الخالق، و أنك أرسلتني " (يوحنا ١١/٤٠-٤١)، وكان يصلي متواريا و صار عرقه كعبيط الدم (انظر لوقا ٢٢/٤٤)، و التضرع و العبادة نوع من دلائل العبودية لا يجوز نسبته لله أو للمتحد معه، إذ الأناجيل شهدت بعبوديته و التزامه بناموس موسى عليه السلام، فقد ختن عليه السلام في اليوم الثامن من ميلاده (انظر لوقا ٢/٢١) و كذا في سائر أحواله.

و أخيرا تقول النصارى بموته فلو كان إلها لما عجز عن دفع أعدائه أو أعداء ناسوته، و لو كان ذلك مراده فلم جزع منه و طلب أن يصرف عنه. ويتساءل الباجي في سخرية لاذعة من فكرة الإله الذي يطرأ عليه الموت، فيتساءل هل كل من يموت إلها ؟![5]

و النصارى لا ريب لا ينكرون هذه الأحوال البشرية للمسيح ،بل يثبتونها و يختلفون في تفسيرها طبقا لاختلافهم في طبيعة المسيح.

فاليعاقبة أصحاب القول بالطبيعة الواحدة يصعب عليهم تبرير مثل هذه الأعمال من الله الذي تجسد في جسد المسيح.

أما القائلون بالطبيعتين:(النساطرة و الملكية)، فهم يثبتون هذه الأفعال للطبعة الناسوتية، و لا يرتضون إضافته للإله الذي لا يأكل و لا يشرب و لا يجهل و لا يحزن...فالذي أكل و شرب و... هو

---

(١) انظر: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ص١٠٥.

(٢) انظر : المصدر السابق ص١٠٥.

(٣) سورة المائدة ، آية: ٧٥.

(٤) انظر : بين الإسلام و المسيحية ، للخزرجي ، ص ١٣٠.

(٥) انظر : رد الباجي على رسالة راهب فرنسا ، ص٨١ ، و مناظرة الرازي ، ص ٢٣.

ناسوت المسيح فقط .

و يرى السعودي أن وجود هذه النصوص في الأناجيل هو مما أغفلهم الله عن تبديله منها، و ليبقى في أيديهم شيء من النقل الصحيح الدال على عبودية كل شيء سوى الله عز و جل.[1]

و لا ريب أن وجود هذا كله في الأناجيل طبيعي، لأن ظهور الأناجيل التاريخي متزامن مع ظهور فكرة ألوهية المسيح، و سابق لتبلورها و نضوجها، فالنصارى لم يصدروا في معتقدهم بالمسيح عن هذه الأناجيل، إنما قالوا ما قالوا، ثم ذهبوا يبحثون عن دليل لهم في الأناجيل المختلفة.

و القول بوقوع هذه الأحوال من الناسوت دون اللاهوت تفريق لا يرتضيه أصحاب الردود الإسلامية، و يرونه مبطلا للاتحاد، فالسعودي لا يقبل أن يقال " أن هذه النقائص دخلت على ناسوته دون لاهوته، لأن الاتحاد جعلهما متحدين، فصار شيئا واحدا، و لا يقال للشيء الواحد جاع و لم يجع، مات و لم يمت " .[2]

و بذا يكون النصارى وقعوا فيما حذر منه مقدسهم بولس حيث قال: " و لم يعرفوا الله، و لكن أظلمت قلوبهم التي لا تفقه، فجهلوا و استبدلوا بالله الذي لا يناله فساد صورة الفاسد...فبدلوا حق الله بالكذب، و عبدوا الخلائق و آثروها على خالقها " .[3] (رومية ١/٢١-٢٥).

الضرب الثالث: هو النصوص التي بينت ذهول معاصريه من حوارييه و أعدائه عن فكرة ألوهيته و ربوبيته، مما يدل على أن الفكرة لا علاقة لها بالمسيح و لا أتباعه.بل هي من مخترعات لاحقة لذلك العهد، و ذلك يكفي للإعلان عن بطلانها.

و ساق أصحاب الردود المسلمين في ذلك نصوصا كثيرة [4] منها قول شمعون الصفا (بطرس) وهو أقرب التلاميذ إلى المسيح " يا رجال بني إسرائيل :اسمعوا مقالتي :إن يسوع الناصري رجل ظهر لكم من عند الله بالقوة و الأيدي و العجائب التي أجراها على يديه " (أعمال الرسل ٢/٢٢)، فلم يشر في خطبته المهمة إلى شيء من الألوهية للمسيح.

و هو ما نجده أيضا عند غير شمعون فقد عرض المسيح بعد الصلب المزعوم لرجلين من أصحابه قد حزنا عليه فسألهما عن سبب حزنهما فقالا: " كأنك أنت وحدك غريب ببيت المقدس إذ كنت لا تعلم ما حدث فيها في هذه الأيام من أمر يسوع الناصري، فإنه كان رجلا نبيا قويا في قوله و فعله عند الله و عند

---

(١) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣ب.

(٢) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ١٤أ ، و الرد على النصارى ، للجعفري ص٦٥ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص٦٧.

(٣) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٥أ ، ومن العجيب أن يقول بولس ذلك ، و هو الذي تولى كبر ما تقوله النصارى من كفر و شرك .

(٤) انظر : الرد على النصارى ، للطبري ، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ص٣٣٥ ، رسالة الحسن بن أيوب٢/٣٢١-٣٣٦ ، ٣٥٤ ، و بين الإسلام و المسيحية الخزرجي ص١٣٦ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص٦٦-٦٨ ، منظومة الأبوصيري ص ٢٢ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص١٥٠ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص٨٢-٨٢ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٥٨ب-٦٦أ.

الأمة، أخذوه و قتلوه " (لوقا ٢٤/١٩-٢١)،فليس في قولهما حديث عن ناسوت مقتول، و لا عن لاهوت متجسد نجا من الموت.

و أيضا عجب منه تلاميذه لما رأوا بعض معجزاته ، و لو كانوا يرونه إلها لما كان في معجزاته أي عجب ،فقد مر يسوع عليه السلام بالشجرة و قد جاع فقصدها، فلم يجد فيها سوى الورق. فقال : لا يخرج منك ثمرة إلى الأبد، فيبست الشجرة لوقتها، فتعجب التلاميذ فقالوا : كيف يبست ؟! فقال: الحق أقول لكم :إن كان لكم إيمان بغير شك و قلتم للجبل: تعال و اسقط في البحر لفعل "(متى ٢١ /١٨-٢٢).فدل عجبهم على أنهم كانوا لا يدركون شيئا مما تعتقده النصارى اليوم من ألوهية المسيح.

و هذا يوحنا المعمداني(يحيى) الذي لم تقم النساء على مثله(انظر متى ١١/١١)، يرسل إلى المسيح رسلا بعد أن عمده ليسألوه " أنت الذي تجيء أو تتوقع غيرك ؟ " فكان جواب المسيح " ارجعوا فأخبروه بما ترون من عميان يبصرون، و زمنى ينهضون، و صم يسمعون، فطوبى لمن لم يغتر بي، أو يذل في أمري" (متى١١/٣-٦)،و يتساءل السعودي هل جهل يحيى ربه عندما أتى ليعمده ؟إن قصارى ما قاله يحيى للمسيح عندما عمده " أنا أحق بالتعميد منك " (انظر متى ٣/٤) وهو منه إظهار للتواضع على عادة الأنبياء والمؤمنين، لكن المسيح لم يقبل منه ذلك.

فيحيى المعمداني مع جلالة أمره لم يظن في المسيح أنه أكثر من النبي المنتظر الذي كانت تنتظره بنو إسرائيل.و إجابة المسيح لا تدل بحال على ألوهية ،فقد أخبر بمعجزات نبوته، ثم عقب بالتحذير من الغلو فيه -كفعل النصارى – أو التفريط كفعل اليهود الذين كذبوه و آذوه و هموا بقتله.[1]

ثم لما جاءته المرأة التي قال لها : " صدقت طوبى لك " لما قالت له" أنت ذلك النبي الذي كنا ننتظر مجيئه " (انظر يوحنا ١٩/٤-٢٦)، و ما زادت على ذلك فما صحح لها معتقدها، بل صدقها وأثنى عليها، فكان هذا معتقدا يعتقده عامة الناس كما اعتقده تلاميذ المسيح و حواريوه.

و هاهم أعداؤه من اليهود يلاحقونه، و يطلبون منه آية، فأخبرهم بأنه لن تأتيهم سوى آية يونان النبي (يونس) (انظر متى ١٢/٨ ، ٢٨ -٢٩)، فهم لا ريب يبحثون عن آية تدل على نبوته التي يدعوهم إلى الإيمان بها، و إلا لما رضوا منه بذلك، بل و لطالبوه بآيات أعظم من آية يونان، و غيره من الأنبياء.

و لما أرادوا قتله كانت جريمته عندهم دعواه النبوة لا الربوبية فقد قالوا لنيقوديموس " اكشف الكتاب، ترى أنه لا يجيء من الجليل نبي " (يوحنا ٧/٥٢).

و الشيطان أيضا لم ير المسيح إلا بشرا، لذلك فقد حصره في الجبل أربعين يوما من غير طعام و لا شراب ،و هو في ذلك يمتحنه و يمنيه بإعطائه الدنيا في مقابل سجدة واحدة له (انظر متى ٤/٩-١٠)، فهل كان الشيطان يعد الرب بالدنيا؟!!.

ثم إن بشرية المسيح موجودة ليس في أقوال معاصريه بل حتى في النبوءات السابقة التي يؤمن النصارى بها، ويقولون أنها تحققت فيه عليه السلام، فهذه النبوءات لم تتنبأ بقيام رب أو إله ، وإنما تنبأت بنبي و رسول صالح ،من ذلك ما جاء في كلام عاموس النبي " ثلاثة ذنوب أقبل لبني إسرائيل، و الرابعة لا

---

(١) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ١١أ.

أقبلها و هي بيعهم الرجل الصالح " (انظر عاموس ٢/٦).

فالخزرجي يبين أن النص حجة للمسلمين، فهو لم يقل في بيعهم إياي، و لا بيع إله متساو معي في الجوهر،بل سماه رجلا صالحا.

و مثله قول داود " من هذا الرجل الذي ذكرته،و جعلته دون الملائكة قليلا ؟ " [1](المزمور ٨/٤-٥).

و أنبه إلى أنه وردت بعض النصوص الكتابية التي تشغب على هذا المعنى و التي قد يفهم منها أن بعض معاصري المسيح كانوا يقولون بألوهية المسيح، منها قول يوحنا عندما هم اليهود أن يرجموه بالحجارة قائلين " لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك و أنت إنسان تجعل نفسك إلها " (يوحنا ١٠/٣٣)، ومثله لما كثر الكلام عن المسيح سأل يسوع التلاميذ ماذا تقولون أنتم ؟ فأجاب سمعان: " أنت المسيح ابن الله الحق . فأجابه المسيح طوبى لك " (متى ١٦/١٦-١٧).

فأمثال هذه النصوص كان لعلمائنا منها أحد موقفين:

الأول:تجاهلها و عدم الوقوف عندها، و هذا الموقف لا يضرهم، إذ لا يؤمنون بقدسية هذه الكتب، و إن استدلوا بها على الخصم لإبطال حججه.

الثاني:اعتبارها من النصوص المشكلة، و منع ظاهرها و تأويلها كما سبق أن بينا.

الضرب الرابع: هو النصوص التي شهدت للمسيح بالنبوة، و يضاف إليها ما سيأتي ذكره - مستقلا- من معجزات المسيح عليه السلام.

فقد استخرج أصحاب الردود المسلمين من الأسفار المقدسة نصوصا كثيرة تعتبر المسيح نبيا و رسولا.[2]

و إثبات النبوة و الرسالة له مبطل للألوهية.من هذه النصوص قوله " من عند الله أرسلت معلما" (يوحنا ١٣/١٣)، و قوله عن نفسه " اخرجوا بنا من هذه المدينة، فإن النبي لا يجل في مدينته " (متى ١٣/٥٧) .

و لما خوفه الفريسيون من هيرودس قال لهم " لا يهلك نبي خارجا عن أورشليم " (لوقا ١٣/٣٢).

و لما أظهر المعجزات لقومه قرنها بدعوى نبوته قائلا و هو يناجي الله: " و لكن أسألك من أجل هذه الجماعة، ليؤمنوا بأنك أنت أرسلتني " (يوحنا١١/٢٦).و لما أرادوا قتله قال: " تريدون قتلي، و أنا رجل قلت لكم الحق الذي سمعت الله يقوله " (يوحنا ٨/٤٠)

و لما رأته امرأة قالت له إنك كذلك النبي الذي كنا ننتظر مجيئه. فصدقها في كلامها و لم يقل لها :أنا الله . بل قال لها :" صدقت. طوبى لك " (انظر يوحنا٤/١٤-٢٦).

---

(١) انظر : بين الإسلام و المسيحية ، الخزرجي١٣٦.

(٢) انظر : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٣٣٧ ، رسالة الحسن بن أيوب٢/٣٣٤ ، بين الإسلام و المسيحية ، الخزرجي ص١٣١-١٣٣ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص١٠٠ ، تثبيت دلائل النبوة ، القاضي عبد الجبار ، ص ١١٩ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص١٤٧ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٥٨أ-٦٧أ.

ولما بعث تلاميذه للدعوة قال لهم: " كما بعثني أبي، كذلك أبعث بكم "(يوحنا ٢١/٢٠)، و قال لهم مشبها لنفسه " أنا الراعي "(يوحنا ١١/١)،و الراعي لا يملك الغنم بل يرعاها فقط. و رعايته خاصة في بني إسرائيل " لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " (متى ١٥ /٢٤).و ننبه هنا أن النص في يوحنا يعتبر الراعي صاحبا للغنم، و يفرق بينه و بين المستأجر (انظر يوحنا١٠/١٢).

و لما خاطب أورشليم التي تدعي النصارى قتله و صلبه فيها قال لها: " يا قاتلة الأنبياء، كم مـــن مرة أريد أن أجمع بنيك حولك " (متى ٣٣/٣٧)فلم يقل لها :يا قاتلة الإله.فذلك أبلغ لو صـــح.بـــل أراد أنكم تريدون قتلي كما قتلتم غيري من الأنبياء .

و في النص دلالة أخرى هي عجزه عن تنفيذ مراده في جمع بني إسرائيل ، بينما موسى نجـــح في ذلك و لم يعجز.

و نبوته هي معتقد الناس عامة فيه، و قد صرحوا بذلك أمامه فلم يخطئهم، فعندما أحيا المسيح ابن الأرملة في نايين، قال الناس" قام فينا نبي عظيم و تعاهد الله شعبه " (لوقا ٧/١٣). و لما أطعـــم الخمســـة آلاف إنسان من خمسة أرغفة قالوا : " إن هذا هو النبي الآتي إلى العالم " (يوحنا ٦/١٤).

و كان مقصد علمائنا من ذكر النصوص الدالة على نبوته ليس فقط إبطال ألوهية المســـيح، بـــل و أيضا ترغيم أنوف اليهود الذين جحدوا نبوته، و آذوه عليه الصلاة و السلام.

و رأينا من الضروب الأربعة ما قام فيه دليل و برهان واضح على عبودية المسيح لله، و أنه رسـول عظيم من لدن ربه جل و علا، لكن النصارى لم يعجبهم ذلك، فهم ما رضوا " بقولـــه في نفســـه، و لا بقول تلاميذه فيه، و لا بقول من تنبأ عليه من الأنبياء ، و لا قول جموعه الذين تولوه لمـــن ســـألهم مـــن مخالفيهم عنه "[1]

(١) رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/٣٥٥.

المطلب الثالث:معجزات المسيح.

رأيـــنا أن النصـــارى يستدلون بمعجزات المسيح على ألوهيته، و المسلمون يؤمنون بالمسيح عليه السـلام، و أنه مؤيد بالمعجزات بيد أن هذه المعجزات تدل على نبوته و رسالته كما هو الحال في سائر الأنبـياء، و قــد آتــاهم الله المعجزات، فمحل الخلاف ينحصر في دلالة هذه المعجزات على النبوة، أو الألوهية.

و النصـــارى يكثرون الاستدلال بمعجزات المسيح، لذا اهتم أصحاب الردود المسلمين بدراستها، فوجدوهـــا من جنس سائر معجزات الأنبياء الذين تحدثت عنهم التوراة و الأناجيل، و مع ذلك لا يثبت النصارى ألوهية لهؤلاء الذين شاركوا المسيح في جنس معجزاته، و لربما كانت معجزاتهم أبهر و أعظم.

و لما كان ميلاد المسيح العجيب من غير أب، و إحياؤه للموتى أعظم آيتين آتاهما الله للمسيح اهتمت بهما سائر الردود الإسلامية.[1]

معجزة الميلاد.

المـــيلاد مـــن غير أب أعجوبة و لا ريب، لكنها لا تقتضي الألوهية بحال، و لو اقتضها لاقتضى ألوهـــية آدم و حواء، فقد ولد آدم من غير أب ولا أم، و ولدت حواء من آدم و لا أم لها، و ذلك هو ما نبه إليه القرآن الكريم ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾[2]

و رغم المثلية القائمة بين آدم و عيسى من جهة ميلادهما من غير أب إلا أن آدم يتميز عن عيسى بـــأمور مـــنها :أن آدم عليه السلام لم يخرج من بين نجو و طمث، و أيضاً فإن الله أسجد له ملائكته، و عـــلمه الأسمـــاء من علمه، كما كانت السماء داره، و الجنة منـــزله، و الملائكة خدمه،و قد تولى الله مـــناجاته بنفسه دون أن يرسل إليه رسولاً إلى غير ذلك مما لم يكن لعيسى و لا غيره. فما دام مميزاً بكل هذه المميزات، فلم لا تقول النصارى بألوهيته ؟![3]

و ينبه الدميري والترجمان إلى أن هذا اللازم أيضاً يلزم النصارى بحق الملائكة فهم أيضاً خلقوا من غير أب و لا أم، بل و لا طين، لكن النصارى لا تسميهم آلهة.[4]

---

(١) انظـــر : رد مجهول المؤلف الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ١٦١ ، المختار في الرد عـــلى النصـــارى ، الجاحظ ، ص١١٦ ، ١١٧ ، رسالة الحسن بن أيوب ، ٣٤٢/٢ ، مناظرة الرازي ، ص٢٧ ، إرشـــاد الحـــيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص٧ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص١٣٦ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص ١٤٨-١٤٩ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ص٨٦.

(٢) سورة آل عمران ، آية:٥٩.

(٣) انظـــر : المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ص ١١٦ ، ١١٧. وهذا الكلام من الجاحظ قد يفهم منه تفضيل آدم على المسيح عليه السلام، ، إذ المسيح أحد أولي العزم من الرسل.

(٤) انظـــر : إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص٧ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص٨٦ .

معجزة إحياء الموتى.

و معجزة إحياء الموتى معجزة عظيمة من معجزات المسيح التي أثبتها القرآن، و أخبر بأنها من عند الله ﴿ وأحيي الموتى بإذن الله ﴾ [1]،و هو ما يتفق أيضا مع الإنجيل ،فقد قال عيسى للذين شاهدوه " لست أفعل من ذاتي شيئا، لكنني أحلم بما أسمع، لأني لست أنفذ إرادتي، بل إرادة الله الذي بعثني " (يوحنا ٦/٣٨).

لكن النصارى يصرون على أن إحياء الموتى يدل على ربوبية المسيح و ألوهيته،و يتجاهلون نصوصا كتابية أسندت ذات الفعل لغير المسيح.فلم لا تقول النصارى بألوهيتهم ؟! فلئن كان المسيح أحيا لعاذر (انظر يوحنا ١١/٤١-٤٤)، فإن إلياس أحيا ابن الأرملة (انظر ملوك (١) ١٧/١٩-٢٤)، واليسع أيضا أحيا ميتين أحدهما حال حياته، و الآخر بعد وفاته، فقد أحيا ابن الإسرائيلية التي جاءته(انظر ملوك (٢) ٤/٣٢-٣٦)،كما أحيا ميتا وضعه أهله على قبر اليسع، فعاد حيا(انظر ملوك(٢) ١٣/٢١).

و يرى الحسن بن أيوب أن إحياء اليسع لميت و هو ميت لا تقل عن دعوى النصارى بأن ميتا لصقت به خشبة الصليب فعاش.[2]

وحزقيال النبي أحيا بشرا كثيرا إذ فر قومه و هم ألوف حذر الوباء، فأماتهم الله ثم جاءهم نبيهم ، فقال لهم: " لتحيوا بإذن الله، فحيوا و رجعوا، سحنة الموت على وجوههم حتى ماتوا بآجالهم ". (انظر حزقيال ٣٧/١-١٠).

و كذا فإن معجزة موسى عليه السلام عندما قلب العصا إلى حية أكبر من معجزة عيسى الذي أحيا ميتا، إذ بث الحياة من الجماد أعظم من بثه من الميت الذي يقبل الحياة[3].

و يعجب القرافي من استدلال النصارى بإحياء الموتى لإثبات ألوهية المسيح مع أنهم أثبتوا هذه القدرة للحواريين، بل و لكل من استقام على الشريعة و مقصود القرافي ما جاء (متى ١٠/١)، و (مرقس ١٦/١٧-١٨)، و لوقا ١/١٩)، و (أعمال ٩/٣٦-٤١).فقد جاء في أعمال الرسل أن بطرس أحيا طابيثا بعد أن ماتت و غسلها أهلها(انظر أعمال ٩/٣٦-٤١).

يقول مرقس " و هذه الآيات تتبع المؤمنين، يخرجون الشياطين باسمي، و يتكلمون بألسنة جديدة، يحملون حيات، وإن شربوا شيئا ميتا لا يضرهم، و يضعون أيديهم على المرضى فيبرءون " (مرقس ١٦/١٧-١٨).

وهكذا يرى أصحاب الردود أن النصارى يلزمهم أن يقولوا بألوهية كل من أحيا ميتا أو يدعوا ذلك كله، و يعترفوا بأن هذا فضل الله يعطيه من يشاء من أوليائه.[4]

---

(١) سورة آل عمران ، من آية:٤٩.

(٢) انظر : رسالة الحسن بن أيوب ٢/٣٤١.

(٣) انظر : الإرشاد ، الجويني ص٥٠ ، مناظرة الرازي ص٢٧ ، ٤١ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص ١٤٩.

(٤) انظر : معجزة الإحياء في رسالة الحسن بن أيوب٢/٣٣٢ ، و شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ص ٢٩٨ ، الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ١/٥٦ ، رد الباجي على راهب فرنسا ص٦٧ ، بين الإسلام

و يذهب القرافي إلى أبعد من ذلك، فيرى أنه ينبغي عليهم أن يعترفوا بأن لله أبناء كثر يقولـون بألوهيتهم لاحتمال أن تكون لهم قدرة على إحياء الموتى .فالعقل" جازم بأنه لا يلزم من عدم الدليل عـدم المدلول، فلا يلزم من عدم علمهم بأن زيدا أو عمرو يحيى الموتى أن لا يكون ابنا الله تعالى لجواز أن يكـون كذلك ، و لم يظهر الدليل الدال عليه " (١).

معجزات أخرى.

و من معجزات المسيح العظيمة إبراؤه الأكمه و الأبرص، و قد أثبت القرآن -كما الأنـاجيل- هذه المعجزة له عليه السلام . أما المسلمون فقالوا : بأنها معجزة تدل على نبوته. وقـال النصـارى بـل ألوهيته.

و مرة أخرى وجد أصحاب الردود المسلمين أن في الأسفار المقدسة معجزات من جنـس هـذه المعجزة أثبتتها النصوص لغير المسيح، و تساءلوا لم لا تقول النصارى بألوهيتهم ؟ فلئن كان عيسى قـد أبرأ الأكمه فإن موسى أوجد بعصاته حية ذات عينين مبصرتين، و معلوم أن الجماد لا يقبل الإبصـار ، فذلك أعظم من إبصار الأكمه، لأنه ممكن أصلا(انظر الخروج ٣/٤، ٩/٧)، كما أنه عليه السلام ضـرب الرمل بعصاه فانثال قملا ملأ أرض مصر ، و لكل واحدة منها عينان (الخروج ١٦/٨)،كما تذكر التـوراة أن يوسف أبرأ عيني أبيه بعد أن فقد الإبصار بهما(التكوين ٢٨/٤٥)، و كل هؤلاء لا تقـول النصـارى بألوهيتهم، فلماذ ؟!(٢)

وعلى هذا المنوال نسج أصحاب الردود المسلمين في سائر المعجزات.(٣)

فلئن كان عيسى قد شفى الأبرص (انظر متى ٣/٨) فإن اليسع شفى أبرصـا، و أمـرض آخـر و ذريته من بعده بالبرص(انظر ملوك (٢) ٥/١٠-٢٧)،و لئن كان المسيح قد حول الماء إلى خمر(انظـر

و المسيحية ، الخزرجي ص ١٣٧ ، الرد على النصارى ، الجعفري ص ٦٨ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفسـاد و الأوهام ، القرطبي ص١٣٥ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السـكندري ص ١٠٢ ، الأجوبـة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ٦٥ ، ١١٩ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢٧٣/٢-٢٧٤ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص ١٤٩ ، تحفة الأريب في الرد على أهـل الصليـب ، عبـد الله الترجمان ص٨٦-٨٧ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٦٧ب-٦٩أ .

(١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص١١٩.

(٢) انظر : معجزة شفاء الأكمه في رسالة الحسن بن أيوب ٣٣١/٢ ، و الرد على النصارى ، الجعفـري ص٦٨-٧٠ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ص١٠٢ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٦٨أ.

(٣) انظر : رسالة مجهولة المؤلف ، الفكر الإسلامي ص١٦١ ، ٣٤٨ ، و رسالة الحسن بـن أيـوب ٣٣١/٢-٣٣٩ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص٧٣ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبـد العزيـز الدميري ص٥ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص٦٨- ٧٠ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص١٤٩. ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص٨٦-٨٩ ، البحث الصريـح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ١٢أ-١٣ب.

إن طعـــم بـــبركة المسيح خمسمائة من خمسة أرغفة (انظر متى ١٤/١٩-٢١)فقد أطعم الله عز و جل بني إســـرائيل - و هـــم زهـــاء ستمائة ألف - المن و السلوى أربعين سنة ،و كل ذلك ببركة موسى عليه السلام(انظر الخروج ١٦/٣٥-٣٦).و هكذا في سائر المعجزات كالمشي على الماء، و الصعود إلى السماء و غيرها من المعجزات.

بـــل إن النصوص تتحدث عن معجزات عظيمة وقعت على أيدي الأنبياء لم يقم المسيح بمثلها ، و مـــن ذلـــك مـــا ذكره زيادة النصب الراسي، و منها تحويل بحار المصريين إلى دم على يد موسى عليه السلام و كذا شق البحر، و نجاة دانيال من جب الأسود، و سوى ذلك من معجزات كثيرة .

و لم يكـــن مقصـــود في هذا المبحث النيل من معجزات المسيح عليه السلام أو الحط من قيمـــتها، بـــل هي آيات باهرات أقام الله بها الحجة على صدق نبيه، و لكن الغرض هو إبطال استدلال النصارى بها على ألوهية المسيح لاشتراكه في العلة مع غيره ممن أتوا بأفعال إلهية (المعجزات)، و لا تقول النصارى بألوهيتهم، " فإن صح وقوع ذلك (المعجزات) من غير اتحاد به ليجوزن وقوعه من غير اتحاد بعيسى...و في هذا إبطال هذا القول " .[1]وكلا الأمرين الذين يقترضهما الباقلاني باطل، لكنه يعرضه من باب إلزام الخصم بحجة من جنس حجته، ولا يشترط في مثل هذا الحال أن يعتقد صحة ما يحتج به.

و لو كانت المعجزات تفيد حلول الله بأحد لكان ذلك في الذين وقع منهم الفعل(الأنبياء) ليس بأولى من أن يكون في المحل الذي وقع فيه الفعل ، يقول القاضي عبد الجبار " فلم صار بأن يكون متحداً بعيســـى لهذه العلة بأولى من أن يكون متحداً بالجسم الذي أحياه الله على يديه، و في عين الأكمه الذي أبرأه الله على يده " [2].

وهـــذه المعجزات التي أعطاها الله لعيسى هي منحة منه جل و علا كما أقر عيسى عليه السلام بذلك " رب أعلم أنك تعطيني كل شيء، و لكن أقول من أجل الجماعة الواقفة ليؤمنوا و ليصدقوا أنك أرسلتني " (يوحنا ١١/٤١).

و الآيات و المعجزات" لا تقتضي تجويز المحال و إحالة الجائز الممكن ". [3]

و بذلك تكون نتيجة هذا البحث هو أنه لا دليل البتة في نصوص أهل الكتاب على ألوهية المسيح.

و يـــبقى الســـؤال قائماً كيف عرف أهل الكتاب أن الله حل في المسيح و هم قطعاً لم يروا هذا الحلول." فإن قلتم قد رآه الناس و عاينوه، فهذا مخالف للحس و الشرع و العقل.

أما الحس فإن أحداً ممن رأى المسيح لم ير شيئاً يتميز به المسيح عن غيره من البشر، غير العجائب التي ظهرت على غيره منها ما هو أعظم مما ظهر عليه.

و لم يـــر إلا بدن المسيح الظاهر، و لم ير باطنه، لا قلبه و لا كبده و لا طحاله، فضلاً عن أن

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/١٢٤.

(٢) المصدر السابق ٥/١٢٤.

(٣) رد الباجي على رسالة راهب فرنسا ص ٦٧.

به أو حالا فيه،...

و أما الشرع فموسى و المسيح و غيرهما من الأنبياء، أخبروا أن أحدا لا يرى الله في الدنيا.

و أما العقل، فإن رؤية بعض ملائكة الله، أو بعض الجن يظهر لرائيها من الدلائل و الأحوال ما يطول وصفه، فكيف بمن رأى الله....

و أيضا فمعلوم أن من رأى الله إما أن يعرف أنه الله أو لا يعرف. فإن عرف أنه الله كان الذين رأوا المسيح قد علموا أنه الله، و لو علموا ذلك لحصل لهم من الاضطراب ما يقصر عنه الخطاب، و إن كانوا لم يعرفوه، فهذا في غاية الامتناع، حيث صار رب العالمين لا يميز بينه و بين غيره من مخلوقاته..."[1]

و يصدق على أدلة النصارى قول الله عز و جل و هو يقول عن أهل الكتاب ﴿ يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾[2] ﴿ و أما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ﴾[3].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٦٥/٣-٦٦ ، و انظر : الأوسط في المقالات ، الناشيء ، ص٨٣.

(٢) سورة المائدة ، من آية: ٤١.

(٣) سورة آل عمران ، من آية:٧

المطلب الرابع : إبطال ألوهية المسيح بالاستدلال العقلي.

عرفنا فيما سبق أن النصارى يستدلون على ألوهية المسيح بالنصوص التي أبطل الاستدلال بها علماؤنا،ويقولون أن العقل يجيز هذا الاتحاد، فالله على كل شيء قدير،وإذا شاء أن يحل في عيسى حل.

و تضرب النصارى لهذا الأمثال لتقرب هذا المعتقد إلى العقل البشري الذي يعجز عن تصور الإله يحل في شخص من الأشخاص، ثم يزعمون أنه يجوز.

النصرانية و العقل البشري

و قبل أن نشرع في إبطال استدلالاتهم العقلية على جواز الاتحاد رأيت لزاما أن أذكر بمقدمة أطبق أصحاب الردود المسلمين على ذكرها تتعلق بغياب العقل، و عجزه عن فهم المعتقدات النصرانية، بل و استحالة قبولها به، هذا العسر في الفهم دفع راهب فرنسا لوصف النصرانية، بأن " الإحاطة بكنهها مما يعجز عنه إدراك الإنسان، و ملك الله أجل و أعظم من أن يدركه فهم الإنسان أو يصل بعلم الكلام... إلا بآية من آيات الله القادر على كل شيء، أن يشرح صدور الآدميين، و يدخل روح العلم في قلوبهم ليتمكن الإيمان في نفوسهم " .[1]

و بغير هذه الآية العظيمة من الله العظيم لا يدخل إيمان بالنصرانية في جوف أحد كما زعموا، و ذلك لاستحالة فهم هذا المعتقد في العقول ،و هو ما عبر عنه آخر " هذا فوق العقل " [2]

و قد بين علماؤنا موقف العقل مما أتت به النبوات و موافقته لها فيما جاء بحدود طاقته البشرية، و ذكر شيخ الإسلام أنه يجب التفريق بين ما يعلم العقل امتناعه و بطلانه، و بين ما يعجز العقل عن تصوره و إدراكه.

فالأول :هو محالات العقول كقولنا :الجسم أبيض و أسود، أو هو عينه بمكانين في زمان واحد. فهذا من جنس قول النصارى . و الأنبياء منزهون عن مثل هذا القول .

و الثاني:مجازات العقول. فإذا أخبرت النبوات بشيء مما يتغيب عن العقل تصوره قبل منهم، لأنهم يعلمون بعلم الله ما يعجز عن معرفته غيرهم، لكن شيئا من مثل هذا لا ترفضه العقول السليمة، بل تسلم بجواز وقوعه، و إن عجزت عن تصوره و معرفته.[3]

و لا يمكن للنصارى أن يدعوا أن معتقداتهم من جنس هذا النوع، لأن شيئا منها لم يصح عن الأنبياء، و إن استنبطوها من بطون أسفارهم المقدسة.

و قد نبه العلماء المسلمون إلى استحالة فهم مذهبهم بالعقل، يقول الجاحظ: " و لو جهدت بكل جهدك، و جمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح لما قدرت عليه حتى تعرف به حد النصرانية،

---

(١) رسالة راهب فرنسا لأمير سرقسطة ، ص٥٢.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٦٩/٣.

(٣) انظر : الجواب الصحيح ، ابن تيمية ١٣٠/٣-١٣١ ، الإعلام بما في دين النصارى ، القرطبي ، ص٩٨.

و خاصة قولهم في الألوهية "[1]،

ويقول النوبختي " مذهب النصارى لا يكاد يتحصل "[2]

و العجز عن فهم حقيقة معتقدات النصارى ليس حصرا على المسلمين و علمائهم، بل إن علماء النصارى ليعجزون عنه.

فها هو القرافي يصف عجزهم عن روم المستحيل فيقول" اتفق لي مع كثير منهم في المناظرة أن أطالبه بتصوير مذهبه، كيف يمكنه إقامة الدليل عليه فيتوقف. فلو كان للقوم فطنة بكوا على عقولهم قبل أديانهم "[3]، و لذلك فأحبار النصارى " ينهون جمهورهم عن البحث و المناظرة لعلمهم أن العقل الصريح متى تصور دينهم علم أنه باطل "[4]

و أما أحبارهم " فالخوض معهم في أدلة المعقول ...شيء لا يحتمله قواهم و لا يلائم هواهم "[5].

و يصف الرازي دين النصارى فيقول:" لا ترى مذهبا في الدنيا أشد ركاكة و بعدا عن العقل من مذهب النصارى "، و سبب ذلك أنهم " لا يعولون فيها إلا على التقليد المحض عاضين على ظواهر أطلقها الأولون، و لم ينهض بإيضاح مشكلها لقصورهم الآخرون "[6]، و هم يزعمون أن الدين لا يخرج في القياس، و لا يقوم على المسائل، و لا يثبت في الامتحان، إنما هو التسليم لما في الكتب و التقليد للأسلاف، و لعمري أن من كان دينه دينهم ليجب عليه أن يعتذر بمثل عذرهم، فهل يستحسن عاقل أن يبقى على اعتقاد مثل هذه الأباطيل و الخرافات و التناقضات "[7].

فماذا كان أثر بعد دينهم عن العقل ؟ و عجزهم و عجز غيرهم عن تصوره ؟! يجيب الترجمان: " جعلهم الله به أضحوكة لجميع العقلاء و العارفين، و قرة لعيون الشياطين"[8].

و كانت هذه الفضائح سببا في دخول الناس الإسلام، إذ بضدها تتميز الأشياء يقول القرافي : " كفى بهذه الفضائح لمن يريد الإسلام نصائح، و لهذا صار كثير من النصارى يسلمون قبل اطلاعهم على محاسن الإسلام فرارا من هذه القبائح "[9].

و يخلص القاضي عبد الجبار إلى نتيجة هامة يستخلصها من دين النصرانية ألا و هي فساد هذا الدين " و كفى بالمذهب فسادا أن يصعب على العلماء ضبطه "[10]

و لما وصف لأحد ملوك الهند الملل الثلاثة قال عن النصارى : " أما النصارى فإن كان مناصبتهم من أهل

---

(١) المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ص٩٥.

(٢) شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، ص٢٩١.

(٣) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص١١١.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٩٤/٢ ، و انظر : رد الباجي على راهب فرنسا ، ص٧٤.

(٥) المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣أ.

(٦) الرد الجميل ، الغزالي،ص١٠٥ .

(٧) الرد على النصارى ، الجاحظ،ص٩٥ .

(٨)تحفة الأريب ، الترجمان،ص٩٧ .

(٩) الأجوبة الفاخرة، القرافي ،ص١١٩ .

(١٠) شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ، ص ٢٩١.

الملل يجهدونهم بحكم شرعي، فلقد أرى ذلك بحكم عقلي...فإنهم قصدوا مضـــادة العقـــل، و نـــاصبوه العداوة، و استحلوا بيت الاستحالات " (١)

الاتحاد عند النصارى .

تجتمع الفرق النصرانية المثلثة على القول بالاتحاد و الحلول بين اللاهـــوت و ناســـوت عيســـى، و تفترق فيما بينها في طبيعة هذا الاتحاد، و يقول جمهور الفرق النصرانية بأن الحال هو الأقنوم الثاني مـــن أقانيم الثالوث، و هو الابن(الكلمة)، و أنه تجسد و اتحد بالمسيح.

و عرفنا أنهم يستندون في تقرير هذه العقيدة إلى النصوص، و على جواز ذلك بالفعل إذ مثل هـــذا لا يستدل عليه بالعقل .(٢)

و يجمع النصارى على أن الاتحاد وقع في زمن حدوث المسيح، و يختلفون هل كان قبل الـــولاد أم بعده، و لكنه في زمن حادث بإجماع.

و يرون أن الحكمة من الاتحاد أن الله كلم خلقه بذاته حتى تقوم حجته عليهم و تنقطع حجتـــهم عنه، و لما كان لا يخاطب إلا بحجاب ظهر محتجبا بالإنسان.

وعللوا اختصاص الكلمة بالاتحاد، دون الأقنومين الآخرين بأن المسيح اتخذ للموعظة، و لو اتخـــذ جسما ليخلق الخلق لسماه أبا ، علاوة على أن هذا الأمر متعلق بالإرادة، فالله على كل شيء قدير.

و خص مجادل القرطبي المسلمين بمزيد بيانه عن دينه، فذكر أن كيفية الاتحاد لا ينبغي أن يســـأل عنها، لأن حكمها حكم الصفات عند المسلمين، و مثل له بصفة الاستواء على العرش. و رأى أنه يجـــوز الاتحاد كما جاز أن يكلم الله موسى من الشجرة التي احتجب بها ، كذلك كلم الله خلقه عـــن طريـــق عيسى و قد احتجب به.

و هذا الحجاب كما يرى أغشتين إله ينبغي أن يعبد،كما هو الحال في الصوت الذي سمعه موسـى من الشجرة، فقد سمع منها حروفا مقطعة- و يزعم أغشتين أن المسلمين ينـــزهون الله عن ذلك -،فقـــد سمع موسى من الشجرة ﴿ أنا الله ﴾، و ما سمعه هو صدى لكلام الله فسجد له، و خاطبه على أنـــه الله، فقامت الواسطة مقام الله(٣).

و ذكر القاضي عبد الجبار تمثيل بعضهم للحلول بقول المسلمين بحلـــول الله في كـــل مكـــان،

---

(١) بين الإسلام و المسيحية ، الخزرجي ص١٢٣ ،و انظر : هداية الحيارى ، ابن القيم ، ص ٢١ ، منحـــة القريـــب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٢٨.

(٢) و لا يلتفت إلى مثل قول أبي قرة الملكي بأن"الله يحب أن يكون رئيسا ، و لا يجوز أن يكون متحدا بالرئاسة علـــى خلقه لأن ذلك يوجب أن لا منة له عليهم إن كان خلقهم ليرؤس فيجب أن تكون رئاسته قديمة...يجـــب أن يكـــون المرؤوس مثل الله في الجوهر....و لا يجوز أن تكون رئاسته بالقهر....و لا يجوز أن تكون عن تراض ... فثبـــت أنهـــا طبيعية ، و هي كرئاسة الآباء على الأبناء ، و كرئاسة آدم على هابيل فثبت أن له إبنا و أنه مثله". فمثل هذا الكـــلام لا يليق أن يوصم بأنه استدلال.انظره و رده في المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/١٤٤-١٤٧.

(٣) انظر : :بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص٦٩ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهـــام ، القرطبي ٩٣ ، ١٠٢ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٨ ، ١٤٤ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ،ص٣٤-٣٨.

و مقصدهم علمه و حفظه[1].

إبطال العلماء المسلمين لجواز الاتحاد بالعقل.

كان الإبطال لمذهب النصارى بالعقل محور عدد من الردود الإسلامية التي لم تلجأ إلى النصوص إلا قليلا.و خاصة الردود القديمة التي تلحظ النزعة الاعتزالية في أصحابها. و هذا يفسر لنا اهتمامهم بهذا النوع من الاستدلال الذي نراه أيضا عند غيرهم كالغزالي و القرطبي و شيخ الإسلام عليهم رحمة الله .

و قد نبه أصحاب الردود المسلمين بادئ ذي بدء إلى خطورة القول بجواز تجسد الإله و حلوله في محدث متصف بصفات النقص، لأنه إن جاز فإنه يجوز أيضا تجسده في كل أحد و خاصة الأنبياء و المرسلون.

فالرازي يرى أنه لا يمكن للنصارى إبطال قوله لو قال بأن الله قد تجسد فيه فإن قالوا :يلزمك إقامة دليل على ذلك قال : عدم الدليل لا يلزم منه بطلان المدلول فبقيت الدعوة قائمة .[2]

و عليه أيضا فينبغي أن لا يلوم النصارى عباد الأوثان و لا اليهود عندما عبدوا العجل لجواز اتحاد الإله به، و قد رأى اليهود منه نوعا من خرق العادة، فلا يجوز للنصارى الإنكار عليهم إلا إذا أقاموا دليلا على أن الله لم يحل بالعجل أو الأوثان أو الرازي. فإن احتج النصارى بإنكار موسى على عباد العجل، فإنكار النصوص على بعض النصارى أكثر.[3]

و تساءل أصحاب الردود المسلمين عن سبب تخصيص المسيح بالاتحاد ما دام الاتحاد جائزا، فالقول بالتخصيص لا دليل عليه، و قد كان أولى من الاتحاد بعيسى أن يتحد بإبراهيم مثلا الذي عاصره و شاهده و كلمه أبناؤه الأنبياء كإسماعيل و إسحاق و يعقوب، و هم أفضل من عوام النصارى و مكذبي المسيح من اليهود الذين رأوا المسيح و عاصروه.

لكن ذلك لم يكن إما لامتناعه، أو لأن عزة الله و حكمته أعلى من ذلك مع عدم الحاجة فهو لا يفعله مع المسيح من باب أولى و أحرى. أو للاثنين معا.

كما أن اتحاده بالملائكة أولى من اتحاده ببشر كالمسيح، فاتحاده بجبريل الذي أرسله للأنبياء أولى من اتحاده بالمسيح الذي يخاطب عوام النصارى و اليهود .[4]

و يرى القاضي عبد الجبار أنه يلزم النصارى القول باتحاد الابن بمريم، لأن عيسى بعض لها، و هو ما قالت به فعلا فرقة المريمانية من النصارى،وسماها ابن حزم :البربرانية.[5] كما حكى القرآن الكريم عنهم

---

(١) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٢٣/٥.

(٢) انظر : مناظرة الرازي ص ٢٧ ، و انظر : رد الباجي على راهب فرنسا ص٦٨.

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٧٥/٣-١٧٦ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ١٥٢ ، و الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ١٥٦/١١.

(٤) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٧٤/٢ ، ١٧٨ ، ١٨٥.

(٥) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٤١/٥ ، الفصل في الملل و الأهواء والنحل ، ابن حزم ٤٨/١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٩٦/٢ ، ٤٣/٣.

﴿ و إذ قال الله يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني و أمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ﴾ [1]

كما أبطل أصحاب الردود المسلمين القول بالاتحاد لاختلاف خصائص المتحدين، لأن حصول الاتحاد متوقف على المجانسة، فالماء و النار هما جسمان، لكنهما لا يتحدان لعدم تجانسهما، فكيف يتحد الجسم بما ليس بجسم ؟[2]

و إن كان المقصود من الاتحاد ما أسماه بعضهم (التدرع) بأن يصبح اللاهوت درعا للناسوت أو العكس، فكلاهما محال و باطل إذ الأول مستلزم تجويف القديم و تشكله بشكل الجسم اللابس له، و الثاني محال لأن ما قبل الحادث فهو حادث، و الله لا يوصف بالحدوث.[3]

وتساءل أصحاب الردود المسلمين عن الوقت الذي حصل فيه الاتحاد بعد أن رأوا إجماع النصارى على أن الاتحاد فعل حادث، و إلا لزم القول بأزلية ناسوت المسيح، و هذا الذي صوره مجادل القرطبي حينما قال بأن الاتحاد " قديم بالقوة حادث بالفعل ".[4]

و رد القرطبي عليه بأن هذا القول لا يعقل، و أنه من الجمع بين النقائض، لأنه لا فرق بين القوة و الفعل، و أقول بل التفريق بينهما هو قول المسلمين في أبواب أخرى كالخلق و الكلام، فالخلق صفة أزلية لله، و لكن مخلوقاته لها أول، فهي ليست أزلية، بل حادثة.

و لكن قول النصراني باطل لأن الاتحاد محال عقلا، لأنه لا يكون إلا بارتكاب محالات منها انتقال الصفة، و حلولها في غير موصوفها، و تجسيم الإله..إلى غير ذلك .

متى حصل الاتحاد؟

و قد تتبع أصحاب الردود النصارى لمعرفة زمن حصول الفعل الحادث هل هو قبل حمل مريم بعيسى، أم حينه، أم ساعة ولادته، أم عند بلوغه الثلاثين و تعميد يوحنا المعمداني له و إتيان روح القدس له على شكل حمامة، و وجدوا أن جميع هذه الأقوال المحتملة توصل لنتيجة واحدة هي استحالة حصول هذا الاتحاد بين الأزلي و الحادث.

فالقول بأنه حصل حين الحمل و قبل الولاد يقتضي نموه يوما بعد يوم، و الزيادة و النماء لا روح فيها، فهل يرضى الناس بألوهية كل جماد ظهرت منه العجائب ؟

---

(١) سورة المائدة ، آية:١١٦ .

(٢) قال ابن القيم:" فلفظ الجسم لم ينطق به الوحي إثباتا، فتكون له حرمة الإثبات ، ولا نفيا فيكون له إلغاء النفي، فمن أطلقه نفيا أو إثباتا سئل عما أراد به، فإن قال: أردت الجسم معناه في لغة العرب، وهو البدن الكثيف الذي لا يسمى جسم سواه،..فهذا المعنى منفي عن الله عقلا وسمعا، وإن أردتم به المركب من المادة والصورة أو المركب من الجواهر المفردة فهذا منفي عن الله قطعا...وإن أردتم بالجسم ما يوصف بالصفات ويرى بالأبصار ويتكلم ويكلم...فهذه المعاني ثابتة للرب تعالى ، وهو موصوف بها فلا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسما.." الصواعق المرسلة، ابن قيم الجوزية، ٩٣٩/٣ .

(٣) انظر : المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ص١٢٦-١٢٧ ، الرد على النصارى ، الجعفري ، ص٦٥-٦٦.

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ، ص٩٦.

والقول بالاتحاد مع الميت لازم لجمهور النصارى الذين يقولون بأن جسد المسيح صلب و مات و فارقته الروح... و لم يفارقه الإله المتحد به، بل بقي حتى صعد للسماء، و قعد عن يمين أبيه.

و القول بأن الكلمة تجسدت في جوف مريم لساعتها يقتضي عدم الإنسانية، لأنه لا ناسوت إذا ولا اتحاد، و هو ما ينطبق أيضا على القول بأن الاتحاد قبل الحمل و الولاد، فهو مبطل مقولة النصارى " باتحاد القديم الإنسان التام " إذ لا اتحاد مع العدم.

و إن قال النصارى بأن الاتحاد كان في حال الحمل من غير زيادة و لا نقصان، لأنه متحد ببعض أجزائه دون أكثر جسمه الذي كان يزيد و ينمو، فهذا الرأي يجعل المولود أكثره ليس بمسيح.(١)

و أما القول بأن الاتحاد حصل بعد الولاد فلا يمكن أن ينسب لغير النساطرة الذين يقولون بأن مريم لم تلد إلها بل ولدت إنسانا، و هو قول كسائر الأقوال لا دليل عليه، و يخلص الوراق من هذا التقسيم إلى نتيجة و هي أن النصارى " لا يمكنهم أن يجعلوا بين الإله و الإنسان فرقا ".(٢)

و أما القول بأن الاتحاد كان بعد تعميد المعمداني للمسيح و إتيان روح القدس على شكل حمامة، فهو قول لا يقول به النصارى، و إنما هو افتراض وضعه المسلمون للاتحاد بالمعنى المقبول عندهم، و هو حلول علم الله و حكمته و نبوته على عيسى عليه السلام عندما بلغ الثلاثين.

أين حصل الاتحاد؟

و القول بأن الإله اتحد بعيسى في مكان هو أيضا مبطل له، " فلئن كانت الكلمة اتحدت بالإنسان الكلي – على مذهب الملكية – فلا تخلو أن تكون اتحدت به في مكان أو لا فإن كان اتحادها لا في مكان...فليس بينها و بين الجسد المأخوذ من مريم إلا ما بينها و بين سائر أجساد الناس..و لا مزية لمريم و لا الجسد (أي ليس هناك اتحاد)..و إن كان اتحاد الابن بالكلي اتحادا به في مكان ما...فيجب أن يكون الكلي محصورا في ذلك المكان الجزئي...ذلك لو جاز لجاز اشتمال العدد القليل على العدد الكثير..

و إذا علمنا بأوائل العقول فساد ذلك علمنا أيضا استحالة اتحاد الابن بالكلي إن كان ههنا كلي في مكان صغير جزئي ".(٣)

وإبطال الاتحاد بالنظر إلى مكانه لجأ إليه القاضي عبد الجبار فإن كل شيء وجد لا في محل يستحيل وجوده في محل، فبطل قولهم بأنه حل في عيسى بعد أن لم يكن حالا فيه.

فإن قالت النصارى يصح حلوله في محل بعد أن كان لا في محل ،فيخيرهم القاضي بين وجهين لا ثالث لهما: الوجه الأول: القول بوجوبه. و الوجه الثاني: القول بجوازه و جواز خلفه.

و لا يمكن للنصارى القول بالوجوب، لأن الحلول لم يكن دائما ، فقد مر زمن لم يكن فيه حلول

---

(١) إطلاق كلمة المسيح كما سيمر إنما يقصد به عند النصارى جسد عيسى الذي اتحد به اللاهوت.

(٢) انظر : رد الوراق . الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ص٣٥٤-٣٥٥ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص٦٦ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٦٣/٣.

(٣) التمهيد ، الباقلاني ، ص٩٥.

" ولأنه إذا كان باقيا (المسيح) و يصح أن يحل فيه، فقد جرى مجرى الجواهر الذي في حال بقائه يصح أن يحصل في جهة مع جواز ألا يحل، لأن ذلك يوجب كونه حالا فيه لمعنى، و ليس ذلك بمذهب للنصارى، لأنهم يقولون:إن القديم اتحد بعيسى، و إنهما كانا جوهرين و طبيعتين منفصلتين، ثم صار الشخص يحتوي عليهما و لا يثبتون أمرا ثالثا ". [1]

و مما يدل على أن كل شيء وجد لا في محل يستحيل وجوده في المحل:أن الجوهر لما استحال حلوله في المحل استحال ذلك فيه على كل وجه، و أما العرض لما صح حلوله في المحل وجب كونه حالا فيه في كل حال، فبطل قول النصارى بالحلول في مكان بعد أن لم يكن.[2]

وأما الوجه الثاني –و هو القول بجواز الاتحاد لا في محل، وجواز خلفه — فهذا يبطله القاضي أيضا، لأن ذلك يوجب كونه حالا فيه لمعنى، وليس ذلك بمذهب للنصارى، لأنهم يقولون: إن القديم تعالى اتحد بعيسى، وإنما كانا جوهرين وطبيعتين منفصلتين، ثم صارا كشخص واحد، فهم لا يثبتون أمرا ثالثا [3]

ما هي آثار الاتحاد؟

كما استدل أصحاب الردود المسلمين على بطلان حدوث الاتحاد بالنظر في آثار هذا الاتحاد، إذ لا يمكن أن يحصل مثل هذا الاتحاد العظيم، ثم لا يكون له أثر كبير يظهر على المتحد به ، و على البيئة التي حصل بها الاتحاد.

ونبه شيخ الإسلام إلى الأثر الملحوظ الذي نراه في الإنسي إذا حل به الجني، و البدن إذا حل به الروح، لكنا لا نرى أي أثر للاتحاد المزعوم بين الله و جسد عيسى، فالمسيح يأكل و يشرب، و يجوع و يحزن، و يصفع و يصلب، ثم يموت.[4]

بينما تذكر التوراة أن الله عندما كلم موسى ظهر لذلك الحدث أمور كبيرة، فقد أشرق ما حول العوسجة التي كلمه الله عندها، و اضطربت النيران في الجبل، و التبس وجه موسى كالنور الساطع حتى كان يتبرقع إن جلس بين يدي بني إسرائيل بعد ذلك(انظر الخروج ٣٤/٣٣-٣٥)، كل ذلك حصل بسبب تجلي ساعة من غير حلول، بينما لا تذكر النصارى أثرا في اتحاد و حلول استمر سنين طويلة، فدل ذلك على كذب النصارى في هذه الدعوى.[5]

و هذا داود عليه السلام يقول"يا رب إنك حيث عبرت ببلاد سينين تزلزلت الأرض منك،

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٣١/٥ ، إرشاد الحيارى ، عبد العزيز الدميري ، ص٥.

(٢) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٣٠/٥.

(٣) انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد، القاضي عبد الجبار،١٣١/٥ .

(٤) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٣١/٥-١٣٢ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص١٤٢ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٨٥/٢ ، ١١٠/٣ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ص٨١ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٥٥أ.

(٥) انظر : رسالة الحسن بن أيوب ، ٣٢٥/٢ ، و انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢٧٠/٢ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ١٣أ.

و انفطرت من هيبتك " (المزمور٧٧/١٨-١٩)، و يقول و هو يخاطب الجبال و البحر " ما لـــك أيـها البحر هاربا، و أنت يا نهر الأردن لم وليت راجعا، و ما لك أيتها الجبال تنفرين كالأبابيل، و مالكن أيتـها الشوامخ و الهضبات تنـزوان نزو الشياه " ،ثم قال كالمجيب عنها :" من قدام الرب تزلـــزت البقـاع " (المزمور ١١٤/١-٨) .

و يتساءل الحسن بن أيوب إن كان المسيح هو الإله الأزلي أو المتحد به ،فكيف لم ترجف بـين يديه الجبال، و لا ظهر أثره في البحار، و لم تظهر منه آيات باهرات أجل من آيات الأنبياء بل هو يـأكل و يشرب....[1]

و لو قال قائل من النصارى بأن أثر الاتحاد تجلى فيما صدر عن عيسى من أفعال إلهية معجـزات فهذا قول ركيك، فقد سبق ما يلزم النصارى بالقول بألوهية سائر الأنبياء الذين ربما فـاقت معجزاتهـم معجزات المسيح. بل و يلزم أيضا جواز حلوله في الجماد.

و لا وجه يمنع من ذلك إلا و هو يمنع حلوله بعيسى، بل و يجب على النصارى أن يجوزوا حلولـه في كل حي و إن لم يظهر منه أفعال الفعل الإلهي لأن اللاهوت يجوز أن يتحد بالجماد و غيره و يظـهر على يديه أفعالا إلهية كما كان " يخترع على يد عيسى و عند قوته الأفعال الإلهية فإذا جاز وجوده فيمـا لم يزل، و إن لم يظهر منه ذلك...فقد صح بهذه الجملة بطلان قولهم بأنه اتحد بعيسـى علـى سـبيل الحلول ".[2] كما يجوز ظهور الفعل الإلهي من غير اتحاد.

كما أن المسيح لم تظهر منه المعجزات في سائر لحظاته، أي مر عليه زمن و هو متحـد بـه و لم تظهر منه أفعال إلهية، فكما جاز ظهورها و غيابها، فلعلها تظهر لغيره و تغيب، و نرى حال الغيبة و يخفى علينا حال الظهور.

و قول النصارى بأن الفعل الإلهي صار له بعد أن لم يكن " يوجب كون اللاهوت قدرة، عنـد وجوده صار المحل (المسيح) قادرا على ما لم يكن قادرا عليه، و صح منه ما لم يصح منه من قبـل، و في بطلان ذلك دلالة على بطلان هذا القول ".[3]

لم اختصت الكلمة بالاتحاد؟ ولم اختص به المسيح؟

و تساءل أصحاب الردود المسلمين عن سبب تخصيص النصارى الملكية الكلمة بالاتحاد بالمسـيح دون الأقنومين الآخرين ،و يرفض القرطبي زعم مجادله " بأن المسيح اتخذ للموعظة، و لو اتخـذ جسـما ليخلق الخلق لسماه أبا " و يرد القرطبي بذكر أفعال المسيح التي لا علاقة لها بالموعظة إذ هو أبرأ و أحيـا وخلق ، و هذه الأمور كلها لا تقع إلا بالإرادة و القدرة فكان ينبغي القول بأنهما أيضا اتحدتـا بالمسـيح و ليس الكلمة فحسب، أو أن يقول النصارى أنه كان يفعل هذه الأمور من غير قـدرة، أو أن يثبتـوا للابن جميع ما أثبتوه للأب من صفات،و يلزم عليه تعدد الآلهة الذي تفر منه النصارى كما يلـزم علـى

---

(١) انظر : رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/٣٢٥.

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/١٣٥-١٣٦.

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/١٣٢.

قول النصراني أن كل الأنبياء و العلماء اللذين اتخذوا للموعظة قد اتحدت بهم الكلمة .[1]

ثم هل كان تكليم الله للأنبياء عن طريق الملائكة كافيا أم لا ؟و هل كان تبلغيه الأوامر للناس عن طريق الأنبياء و الملائكة كافيا أم لا؟

فإن كان كافيا فالمسيح كغيره من الأنبياء أمكن أن يوحى إليه من غير اتحاد، و إن لم يكن كافيا فالواجب أن يتحد الابن بمن سبقه من الأنبياء لحاجة أقوامهم إلى ذلك. فبطل حينذاك الاتحاد بسبب الموعظة كما لا دليل عليه في الكتب المقدسة عند النصارى .

و أيضا فالله عز و جل لم يكلم أحدا من الأنبياء إلا من وراء حجاب لامتناع الرؤية و استحالتها في الدنيا، و الحلول أولى بهذا الامتناع.

و إن كان الاتحاد بعيسى إنما تم بعد أن أعطي القوة لذلك ،فإن الاتحاد جائز مع كل أحد إذا أعطي القوة لذلك، و ليس للقول باختصاص المسيح عمن قبله أو بعده وجه، لكن ذلك محال للمسيح و لغيره.

أما تكليمه للبشر فلما كان ممكنا خص به الأنبياء من بين البشر. و أما الحلول فكما كان محالا بحق سائر الناس من الأنبياء و غيرهم، فهو محال في حق المسيح عليه السلام. و تنفي النصوص التوراتية أيضا رؤية الله عز و جل في الدنيا فالحلول منفي من باب أولى.[2]

إبطال الاتحاد بلوازمه العقلية.

و يلزم على القول بالحلول لوازم غير مقبولة عقلا، و هذه اللوازم تلزم النصارى إن قالوا بحلول الابن(الكلمة) (العلم) في جسد عيسى، و إن لم تكن لهم مذهبا، و من هذه اللوازم التي تفسد مقالتهم

أنه يجب على قولهم بالتجسد للكلمة تجويز انقلاب الحقائق، و المعاني لا تتجسد و لا تنقلب إلى حقائق، فلئن جوز النصارى ذلك ليجوزن انقلاب كل حقيقة، فيجوز حينئذ كون الحادث قديما، و القديم حادثا و الجسم عرضا..و هذا كله من المحال .[3]

و إذا صح وقوع الحلول فيلزم أن تلحق الحال أحكام ما حل فيه، فيجوز عليه العدم و التغير و الانتقال و غير ذلك من النقائص التي لا تقوم إلا بالمحدثات.[4]

كما يلزم جواز انفصال الصفة عن موصوفها و هو محال لأن الصفة لا تفترق عن موصوفها لا في

---

(١) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص٩٣ ، ١٣٩-١٤٠ ، و المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٤٠/٥ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص٣٥ ، ١١٥ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٦١/٢ ، ١٦٦.

(٢) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٦٦/٢-١٧٤ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ، ص٩٥.

(٣) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ، ص٩٨ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص٦٩ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٦/٢ ، ١٥٨ ، ١٦١.

(٤) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٣٢/٥ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص٣.

الذهن المجرد و لا في الوجود الحقيقي، و لا يمكن ذلك إلا بأن تتحول الصفات إلى جواهر، و هو أيضا محال يلزم منه تعدد الآلهة الذي تفر منه النصارى [1].

ثم لا تخلو الذات التي حلت أو حل جزء منها في جسد عيسى عليه السلام من أحوال:

الأول : أنها بقيت بعد حلولها في الجسد كما هي، و عندها نستطيع القول بأنه لا حلول.

الثاني : أنها نقصت بعد حلولها في جسد عيسى، و عليه فهي لا تصلح للألوهية لنقصانها.

الثالث : أن يقول النصارى بأن الذات خلت تماما عن موصوفها الذي اتصف بعد انفصال العلم بالجهل و هو قبيح و مستنكر.

الرابع : أن يزعم النصارى بأن الصفة حلت في عيسى من غير أن تفارق موصوفها ،و هو محال لأن الصفة لا تحل في مكانين، و لو صح حلول العلم في مكانين لصح أن يكون المرء موصوفا بنصف علم و ذلك محال لأنه لا يتبعض، كما يترتب عليه محال آخر هو الجمع بين النقيضين، فلو قلنا: الله عالم، وعيسى عالم،و العلم بينهما واحد، فينبغي إذا علم الله أن نفسه قديما باقيا موصوفا بصفات الكمال أن يعلم أنه كذلك، و إذا علم عيسى نفسه متغوطا بائلا مصفوعا فينبغي أن يعلم الله أيضا في نفسه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

و يطرح شيخ الإسلام تساؤلا على النصارى إذ لا يخلو في اتحاد الكلمة أن يقولوا بأحد أمرين الأول: أن المسيح علم جميع علم الله، و الثاني:أنه علم بعضه. و الأول يكذبه الإنجيل، و الثاني يجعله كغيره من الأنبياء فأي الرأيين يختاره النصارى ؟!

الخامس: أن يقولوا بأنه بقي عالما بغير العلم الذي اتحد بالمسيح ،و عندئذ يستطيع النصارى القول بأنه قامت به صفة حادثة، و هذا مفض إلى القول بحدوث الأقانيم .[2]

من اللوازم أيضا التي تلزم من قال بالتجسد أن يقول باستحالة الإله المتحد وتغيره، لأن الاتحاد يصير الاثنان واحدا ، فثبوت أحدهما ينفي الآخر ، و إن قالوا بتجانسهما على حالهما فلا اتحاد ، أو يلزمهم القول بالاستحالة و التغير، و يصدق حينذاك تمثيلهم للاتحاد - كما سنرى - بالامتزاج بين الماء و الخمر أو اللبن و الماء .[3]

(١) انظر : الإرشاد ، الجويني ص٥١ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص٣٥ ، ١١٥ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٦١/٢-١٦٦ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص ٣-٤.

(٢) انظر : الإرشاد ، الجويني ص ٤٩ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ، ص ١٣٨-١٤٠ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢٦٧/٢ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص٤.

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢٦٧/٢ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص٩-١٠.

مغالطة النصارى في تشبيه مذهبهم في الاتحاد بقول المسلمين في الصفات.

و تعرض أصحاب الردود المسلمين لأمثلة ثلاث ضربها النصارى للتمثيل على الاتحاد و خصوا بها المسلمين.

الأول:تشبيهم الاتحاد بأنه كقول المسلمين في الاستواء على العرش ،و القرطبي ذكر هذا من كلام مجادله و رد عليه بتأول صفة الإستواء و حملها على الاستيلاء، و لكن لا مزية فيه ليس على غيره لأن الله متحد - حينذاك — مع عيسى و سائر الخلق .

و نـبه القرطبي إلى أن هذا القول تلبيس منهم لأن أحداً من المسلمين لا يسمي هذا اتحاداً أو غير ذلك مما يطلقه النصارى في هذا الباب .[1]

و لعل الذي أراده النصراني من هذا التشبيه و التمثيل أمر آخر لم ينتبه إليه القرطبي أو أعرض عنه ألا و هـو: كمـا أن المسـلمين يؤمنون بالاستواء من غير مماسة كذلك يؤمن النصارى بالاتحاد من غير اسـتحالة و لا تغير، أو بعبارة أخرى:كما يؤمن المسلمون باستواء يجهلون كيفيته، فإن النصارى يجهلون كيفية حصول الاتحاد الذي يؤمنون به.

والفرق كبير بين الاستواء و الاتحاد، فالمسلمون حين يقولون بالاستواء فإنهم يفرقون بين حقيقتين متباينتين. الذات الإلهية و العرش. بينما النصارى يتحدثون عن خلطة و امتزاج حقيقتين متباينتين من غير استحالة، فهذا وجه لا يعقل أبداً .

الثاني:الذي مثله النصارى للمسلمين هو تشبيهم الحلول و التجسد بالصوت الذي سمعه موسى من الشجرة عـندما كـلم الله، فكما جعل الله الشجرة حجاباً لإرادته كذلك جعل المسيح حجاباً لإرادته. و الله لا يعجزه شيء و هو على كل شيء قدير .

و كما أنزل موسى الصوت المسموع منـزلة الرب جل و علا- و الصوت كما يزعم النصراني لا يكون إلا فعلاً خلقه الله في الشجرة، و إلا يقع المسلمون بزعمه في التشبيه - فكذا جعل المسيح حجاباً ليبلغ دعوته بنفسه فاتخاذ حجاب من الصورة مثل اتخاذ حجاب من الصوت ،و رد القرطبي على هذا المثال بأمور:

_ أن مذهب النصارى هو التشبيه و التجسيم و هو ما يلزم على هذا القول

_ لـو سلمنا جدلاً بأن الله قد احتجب بالصوت الذي سمعه فكان حجاباً لإرادته. فهل لو خلق الله خطوطاً على حجر نستدل بها على إرادته. هل نقول إن الإرادة احتجبت بجماد ينبغي عبادته ؟ و مثال هذه المسألة لو كتبنا على ورقة لفظ " النار " فهذا نوع من الحلول لا يتخيل عاقل أنه يحرق الورقة.

_ لـو سلمنا جدلاً بأنه يصح أن تظهر إرادته بحجاب الصوت، فما الدليل على جواز احتجابه بحجاب الصورة ؟وما الجامع بينهما ؟

(١) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ، ص ١٣٢.

_ الاستدلال بأن الله على كل قدير استدلال باطل، لأن قدرة الله إنما تتعلق بالممكنات لا بالمستحيلات. و المستحيل لا يوصف الله بالقدرة عليه أو العجز عنه.ثم يعود القرطبي ويقلب عليهم دليلهم فيقول: هل يقدر الله أن يظهر نفسه من غير صورة ؟ فإن قالوا:لا. نسبوا العجز لله ، و إن قالوا: نعم. فلا فائدة لهذا الظهور.

و يرى شيخ الإسلام أن تمثيلهم هذا مبطل لألوهية المسيح فكما أن الشجرة لا توصف بشيء من الألوهية مع أن المسموع منها كلام الله. فكذا عيسى ليس بإله علاوة على أن المسموع منه هو صوت ناسوت.

و مفارقة أخرى لا يرتضيها النصارى عند اطراد القياس : أن الكلام المسموع من الشجرة هو كلام الله وحده و ليس للشجرة منه شيء. و عند تطابق المثال يكون الذي يكلم الناس في ناسوت المسيح هو الله نفسه جل و علا، و النصوص ترد ذلك وتمنعه.

و أمر آخر إن الكلام الذي سمعه موسى من الشجرة كان كلاماً يفيد الربوبية ﴿ إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني و أقم الصلاة لذكري * إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾[1]و ﴿ إني أنا الله رب العالمين ﴾.[2] بينما الكلام المسموع من المسيح كله إقرار بالعبودية و الضعف و العجز، و التسوية بين هذين الأمرين من الضلال المبين .

و ثمة أمر آخر يخاطب به النصارى :هو قعود معجزات عيسى عليه السلام عن معجزات أخيه موسى عليه السلام، فكيف أعطى اللاهوت لموسى -و قد كلمه فقط- ما لم يعطه لعيسى و قد حل به ؟

و ينبه شيخ الإسلام أيضا إلى أن الله لم يحل بالشجرة باتفاق الأمم، إنما كلمه منها، فلا صار هو و هي جوهراً واحداً، و لا اتحد بها، فلم يصح تمثيل ذلك بالحلول الذي تقوله النصارى في عيسى.

و أما الكيفية التي كلم الله بها موسى من الشجرة فإنما هي من جنس ما أخبر بنزوله إلى الدنيا و نزوله يوم القيامة لحساب الخلق، أي أن الكيف مجهول، و التخرص به لا يخلو من التشبه بالمخلوقات، و القياس عليهم، كما لا يخلو من القول على الله بغير علم .[3]

الثالث:من الأمثلة ما ذكره القاضي عبد الجبار من تمثيل بعضهم للحلول الذي يقوله المسلمون لله في كل مكان، و مقصدهم علمه و حفظه جل و علا.

و يرى القاضي أن مقصود النصارى من هذا التمثيل: أن المسلمين ينبغي عليهم أن يسلموا للنصارى بجواز الحلول و الاتحاد بعيسى على غير سبيل المجاورة و الممازجة، كما يقول المسلمون بحلول الله في كل مكان لا على سبيل المجاورة و الممازجة.

و لكن ذلك لا يشبه قول النصارى الذين أثبتوا لله مجاوراً على الحقيقة لا المجاز ،ثم جعلوه مختصاً بعيسى دون غيره، من غير دليل على هذا التخصيص ،فكما صح اتحاده بعيسى كان ينبغي أن يصح بمن ظهرت على يديه الأفعال الإلهية (المعجزات).بل و ينبغي أن يحل فيمن ظهرت به المعجزة الإلهية و انتفع

---

(١) سورة طه ، آية ١٤: ، ١٥.

(٢) سورة القصص ، آية :٣٠.

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢٧٢-٢٧٦.

، لكن ذلك لا يشبه قول النصارى الذين أثبتوا لله مجاورا على الحقيقة لا المجاز ،ثم جعلوه مختصـــا

المطلب الخامس:

خلاف الفرق النصرانية في طبيعة المسيح، و نقد أمثلتها المضروبة للاتحاد.

إن وقوع الخلاف بين الناس في كثير من الأبواب وارد و طبيعي، لكن وقوعه في أصول عظيمة مع اتحاد المخرج الذي صدر عنه المختلفون أمر لا يعقل.

لقد كان اختلاف النصارى أمرا لحظه علماؤنا،و استدلوا به على بطلان دين النصارى، و قبل أن نفصل في أقوال الفرق النصرانية المختلفة نعرض لبعض كلام علمائنا عن الافتراق عند النصارى.

إن اختلاف النصارى لا يكاد يوقف له على نهاية لكثرة الأمور التي يختلفون عندها، و هي في أصول الدين لا فروعه،و يصور بعض العقلاء كثرة اختلافهم بأنه " لو اجتمع عشر نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولا ".[١]

و هذا الخلاف تجده بين أفراد المذهب الواحد فإنك " لو خلوت و نصراني نسطوري فسألته عن قوله في المسيح لقال قولا، ثم إن خلوت بأخيه لأمه و أبيه، و هو نسطوري مثله، فسألته عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه و ضده، و كذلك جميع الملكانية و اليعقوبية ،و لذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان ".[٢]

و أسباب هذا الخلاف و كثرته متنوعة فمنها أنه"كان أصل اعتقادهم جهلا و ضلالا، ليس معهم علم و لا نقل، و لا عقل " .[٣] و منها الألفاظ التي عليها مدار دينهم من أقانيم و جوهر و غيرهما " لم ينطق به – عندهم – كتاب، و لم يوجد هذا اللفظ في شيء من كتب الأنبياء التي بأيديهم، و لا في كلام الحواريين، بل هي لفظة ابتدعوها ".[٤]

و لهذه الاختلافات الكبيرة في الأصول لها مدلول عند المهتدي الحسن بن أيوب إذ يقول: " هذا أيضا من سوء الاختبار، و ذهاب القلوب عن رشدها، و انصرامها عن سبيل حقها...و دل اختلافهم في مقالاتهم، و ما بينها مما في كتبهم على أنها باطلة ".[٥]

و عند العودة إلى ظاهرة الافتراق عند النصارى نجدها واضحة في تحذير رسول الله صلى الله عليه و سلم عن فعلهم و افتراقهم حيث يقول:" تفرقت اليهود على إحدى و سبعين فرقة، أو اثنتين و سبعين فرقة، و النصارى مثل ذلك، و تفترق أمتي على ثلاث و سبعين فرقة ".[٦]

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٥٥/٢ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٥.

(٢) المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص٩٥.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٦٤/٣ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٢ب.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٠٠/٢.

(٥) رسالة الحسن بن أيوب ٣/٣-٤.

(٦) رواه أبو داود في سننه٥٠٣/٢ ، و الترمذي في جامعه٣٦٧/٣ ، ابن ماجة في سننه٤٧٩/٢ ، و أحمد في المسند ١٠٢/٤ ، و كل ذلك عن جمع من الصحابة منهم أنس و أبو هريرة و معاوية.

و يأخذ الشهرستاني و الترجمان بظاهر الحديث أي أن النصارى قد افترقوا على اثنتين و سبعين فرقة تحديدا، لكن الترجمان لا يذكر في رده سوى فرقتين لاشتهارهما، و يضرب الصفح عن باقي الفرق. كما ترك الحديث عنها سائر أصحاب الردود الذين اهتموا بالفرق الرئيسية الأربع و تركوا ما سواها من الفرق ،فلربما لم يذكر لبعضها سوى الاسم.[1]

و من هذا الفرق التي وردت في كتب أصحاب الردود من غير تفصيل في الحديث عنها المريمانية، والإليانية، البليارسية، و المقدانوسية، و السبالية، و البوطينوسية و البولية و البربرانية....

و بعض هذه الفرق فرق انقرضت، و بعضها فرق متشعبة عن الفرق الرئيسية الأربع .[2] و كان محور خلاف هذه الفرق هو طبيعة المسيح بعد الاتحاد غالبا.

و الفرق الرئيسة الأربع في النصرانية ثلاث منها: مثلثة، و الرابعة: موحدة ،فالفرق المثلثة هي:

١-اليعقوبية: أتباع يعقوب السروجي، و يسمى البردعي راهب القسطنطينية، و هم كما وصفهم نصر بن يحيى فرق كثيرة.

و تقول اليعقوبية بأن المسيح مكون من طبيعتين:إلهية و ناسوتية. تركبتا في طبيعة واحدة. و قالوا: هو جوهر من جوهرين، و أقنوم من أقنومين، فالمسيح إله كله و إنسان كله، و هو شخص واحد.

و تقول اليعاقبة بأن مريم ولدت الله الأزلي فهو المحدث بعينه.و يرى بعض اليعاقبة أن الاتحاد على سبيل الممازجة و المخالطة.

و اليعاقبة كسائر الفرق النصرانية المثلثة تؤمن بالأمانة التي تتحدث عن أقانيم ثلاثة، لكنهم يقولون :إن الكلمة انقلبت لحما و دما، فصار الإله هو المسيح و هو الظاهر بجسده بل هو هو .[3]

و قد افترقوا عن الفرق الأخرى عند مجمع القسطنطينية الثاني، و تعتبر فرقة الأرثوذكس الموجودة الآن امتدادا لهذه الفرقة ،و ينتشر مذهبهم في مصر و الحبشة و صربيا و روسيا.

٢-الملكية(الروم).فيقولون :الاتحاد أثمر جوهرين بأقنوم واحد له طبيعتان و مشيئتان. فله بطبيعة اللاهوت مشيئة كمشيئة الله، بها أحيا الموتى و بها أقام سائر المعجزات، و له بطبيعة الناسوت مشيئة كمشيئة إبراهيم و داود و سائر الناس، فبها يأكل و يشرب...

و تقول الملكية بأن المولود من مريم هو المسيح الذي اتحد به الابن، و أن المصلوب هو الناسوت

---

(١) انظر : الملل و النحل ، الشهرستاني ط دار المعرفة ، بيروت ، ٢٢٢/١ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ص ٧١ .

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٤٨/١ ، الملل و النحل ، الشهرستاني ، ٢٢٢/١ ،

(٣) انظر : رد الطبري و الحسني و الوراق في الفكر الإسلامي ، الشرفي ص٢٩٠ ، ٢٩٤ ، رسالة الحسن ٣١٥/٢ ، الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٤٩/١ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص٥٨ ، الملل و النحل ، الشهرستاني٢٢٥/١-٢٢٦ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ١٦٤ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٢٣ب ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٢٦.

وحده لأن اللاهوت لا يموت.

و تقول أيضاً بأن المتحد به هو الإنسان الكلي لا الجزئي.... و لو كان اتحد بإنسان واحد لكان إنما أراد تخليص ذلك الواحد لا الكل.(١)

وتعتـــبر فرقة الكاثوليك المعاصرة امتداداً لهذه الفرقة ،وينتشر مذهبهم في عامة دول أوربا وكثير من البلاد النصرانية المختلفة.

٣ـــالنسطورية: أتباع نسطور الذي كان يقول: يستحيل أن يصير الأزلي زمانياً، و الزمني أزلياً بجهة من الجهـــات جوهـــراً كان أم أقنوماً. بل المسيح معنيان أحدهما زمني، و الآخر أزلي، فالابن متحد بالمشيئة و الإرادة ،و الفعل منهما واحد يظهر في جسم عيسى.

و بهذه المثابة يعتبرهم القرافي أقرب مذاهب النصارى للصواب.

و لكـــن مذهـــب النســـطورية تطور بعد نسطور فقالوا: المسيح جوهران أقنومان باقيان على طبيعـــتهما، و زعموا أن الأب ولد إلهاً ابناً، فوافقوا الملكية بذلك ، و قالوا بأن مريم ولدت إنساناً، و أن اللاهوت لم يفارقه قط من اتحد به.

ويـــرى النســـطورية أن المصلوب هو الناسوت فقط ،و قد انتشر مذهبهم في العراق و الموصل و الجزيرة بالشام.(٢)

أمـــا الفرقة الموحدة فتدعى" الأريوسية " نسبة إلى أريوس الاسكندراني في القرن الرابع الميلادي ، و قـــد كـــان يقـــول بأن الله واحد و سماه أباً، و أن عيسى عبد الله و ابنه على جهة الاصطفاء ،و نبوته كســـائر النـــبوات الـــتي ذكرها الكتب المقدسة كما يعتقد أنه مخلوق فوضه الله فكان خالقاً للسماوات و الأرض و ما بينهما كما قالت الأناجيل بذلك.(٣)

و الأريوســـية يوافقون النصارى على الألفاظ (الآب و الابن و روح القدس) من غير أن يقولوا بألوهية المسيح أو روح القدس .

و قـــد بـــالغ القرطبي في مدحهم حين قال " و لا يكاد مذهبهم يخالف مذهب المسلمين إلا في

---

(١) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٨٣/٥-٨٤ ، الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٤٩/١ ، الملل و النحل للشهرستاني٢٢٢/١-٢٢٤ ، الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص١١٠ ، هدايـــة الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص١٦٥ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٥ب ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٢٦.

(٢) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٨٤/٥ ، الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٤٩/١ ، النصـــيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ص٥٩ ، و الملل و النحل الشهرستاني ١١٤/١-٢٢٥ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٤١ ، ١٠٩ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣١٤/٢ ، ٣٦/٣-٤٢ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى ، ابن القيم ، ص١٦٥.

(٣) مـــا نذكـــره هنا وبعد عن الفرق الموحدة، إنما نعني به القول بأن الله واحد لا ثالوث، ورفض ألوهية المسيح والروح القدس، واعتبارهما عبدين من عباد الله فحسب، وما يرافق هذا القول من أقوال مبتدعة وقد يستلزم بعضها الكفر والشرك لا نوافقهـــم عليه إن صح نسبته إليهم ، ولا يمكننا الجزم بذلك ولا رفعه لأن كل ما ينسب إليهم إنما نقل إلينا من أقوال مخالفيهم الوثنيين من النصارى.

إنكارهم نبوة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ".

بينما كان الخطيب أكثر دقة في تصوير مذهب الأريوسية حين ذكر موافقتهم لنا على نفي التثليث و مخالفتهم لنا في نسبة الخلق لمحدث هو عيسى عليه السلام من غير وجود دلالة حقيقية في النص الإنجيلي المزعوم[1].

و النص الذي استند إليه أريوس حين نسب الخلق للمسيح-كما نقل ابن حزم- ما جاء في الأناجيل " الأب يخلق، و أنا أخلق " (لم أجده في الترجمة الحديثة من كلام المسيح،وإن وجدت نصوصا لبولس قد يفهم منها هذا المعنى)[2] و قوله " إن أنا لم أعمل أعمال أبي فلا تصدقوني" (يوحنا ٣٧/١٠).

وعليه نستطيع القول بأن هذه الفرقة بقيت دهرا من تاريخ النصرانية، و شاعت قبل أن تغلبها النصرانية المثلثة، و قد كان على مذهبها بعض ملوك الروم، و يؤكد زيادة نصب الراسي وجود التوحيد طوال تاريخ النصرانية و بقاءه حتى أيامه في بلاد شتى من الأرض، كأمريكا و استراليا و غيرهما من البلاد.[3]

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٤٨/١ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص١٢٧ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ص٣٤ ، ٩٨ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٩٤/١ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٢٧.

(٢) انظر :كولوسي ١٦/١-١٧ ،وأفسس ٩/٣ .

(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٤٨/١ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٣أ-٣ب.

إبطال مذاهب الفرق النصرانية في الحلول.

مذهب اليعقوبية.

يعتبر مذهب اليعقوبية – وفق العقيدة الإسلامية –أشد مذاهب النصارى كفرا إذ أنه جعل الله هـو المسيح عليه السلام كما قال الله عنهم ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾[(١)].

و يعرض الخطيب لطبيعة الاتحاد عند اليعاقبة، و يتساءل عن معنى هذا الاتحاد، و يطرح الوجـوه المختلفة المحتملة " إن أردت به أن يرجع الاثنان واحدا فمحال.

و إن أردت به الاختلاط كما يتوهم المتوهم اختلاط الأجسام فهو أيضا محال، إذ الاختـلاط لا يتصور في الأجسام، و إنما هي مجاورة ".

فالاحتمال الأول:أن يرجع الاثنان واحدا محال، لأن الأعراض و هي أعراض لو اجتمعت في محـل واحد لم تصر شيئا واحدا ،و تفسيره لا يخرج عن حالتين:أحدهما الاحتمال الثاني الذي أورده الخطيـب، و ثانيهما :احتمال ثالث أورده بعد ذلك.

و الاحتمال الثاني و هو القول بالممازجة و هو قول بعض اليعاقبة ،و يشبهون له بالنار و الفحمـة حيث يصيران جمرة، و ربما شبهوا له بخلطة الماء باللبن أو الماء بالخمر. و لا ريب أن الخلطة هنـا خلطـة حقيقية لا يصح معها قول الخطيب بأن الخلطة ممتنعة في الأجسام و الذوات إلا في باب المجاورة.

و يبطل السعودي هذه الخلطة الفاسدة لأنه إن كان الجوهران و الأقنومان سليمان في المسـيح لم يصدق قول من قال: إنهما صارا شيئا واحدا بالعدد. و إن كانا تفاسدا فينبغي أن لا يوجد المسـيح بـل يتلاشى. و إن كان الجوهران و الأقنومان قد صارا واحدا، فيجب أن يبطل كل منهما فعل الآخر، فيبطـل فعلهما، و التغاير في الأفعال واجب، و لازم لتغير الطباع، لأن مختلفي الطباع إذا تركب منهما طبع آخـر لم يبن فعل الأول و لا الثاني فيجب أن لا يظهر للمسيح فعل لاهوتي و لا ناسـوتي، و عليـه فالمسـيح ليس بإنسان و لا إله، بل هو شيء آخر عجيب.

و يمثل السعودي بمثل لا يصح، و هو أن الأشياء تتركب من التراب و الهواء و المـاء و النـار، و هي مع ذلك ليست بتراب و لا ماء..فيكون المسيح لا إله و لا إنسان.

و يلزم القائلين بالخلطة أيضا الجمع بين حقيقتين متنافرتين، و هو كالجمع بين الثلـج و النـار، فصيرورتهما جوهرا واحدا مستحيل في العقل مع اشتراكهما في أصل الجوهرية، و صيرورة خالق الجواهـر أولى بالاستحالة.

و إن كان أحد الجوهرين قد أبطل الآخر فتلك رزية كبرى، لأن إبطال اللاهوت للناسـوت لم يتحقق بشهادة الأناجيل و الواقع، و ينبغي أن لا يصدر من المسيح أي فعل إنساني.[(٢)]

و أما الاحتمال الثالث –الذي أورده الخطيب منفصلا –فهو قول اليعاقبة " صار الأزلي هو المحدث بعينـه،

---

(١) سورة المائدة ، آية :١٧

(٢) انظر : الأوسط في المقالات ، الناشئ الأكبر ص ٨٣ ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القـاضي عبـد الجبـار ٥/١٣٧-١٣٩ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ،ص ٩٥ ، المنتخب الجليل من تخجيـل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٩أ .

و صار المحدث هو الأزلي بعينه، فقد قلبت حقيقتهما " و هذا الاحتمال هو قول جمهور اليعاقبة ،و هو أيضا " محال لأن القديم الذي لا أول لوجوده ، لا يتصف بالزمان و لا بالمكان، و لا يتصور في الخواطر،ولا الأوهام.

و حقيقة الحادث ما له أول ،و يصح وصفه بالزمان و المكان، و يتصور في الخواطر و الأوهام، فقد جمعت بين نقيضين"[1]

و يبطل القاضي عبد الجبار و الترجمان و السعودي هذا الاحتمال أيضا من وجوه مختلفة يحيلها العقل و يرفضها:

- منها أنه لو صح هذا المعنى لوجب أن يستحيل الموت على الناسوت لخروجه عن الطبيعة الناسوتية و كذا كل فعل يختص به الإنسان لا يجوز عليه كالأكل و الشرب....و إلا فلا فائدة للاتحاد ولا معنى له.[2]

- و منها استحالة انقلاب الإله إلى جسد ،لأنه إن كان المسيح خالقا أزليا و هو مكون من لحم و دم، فهذا يعني أن بعضه أزلي و بعضه مخلوق، فالأغذية و الأشربة كانت أصلا له و هو خالقها.

- و منها أن المسيح قلم أظافره و قص شعره فبانت منه هذه الأجزاء و تلاشت و فسدت، و من فسد بعضه و تلاشى فالفساد واصل إلى كله،و من كان له بعض و كل، فهو مفتقر و ليس بغني. و الله لا يكون كذلك.

- و منها أن المسيح محدود بحدود الزمان و المكان فكيف يكون الزمان قبل خالقه، و كيف يحيط المكان بخالقه.[3]

- و منها انه يلزم اليعاقبة أن يجمعوا بين التناقضات المتنافرات و يسووا بينهما ،فطبع الخلق غير طبع المخلوق فكيف يقال هو هو. هذا محال.و قولهم بمثابة من يقول: الحركة هي السكون، و السواد و هو البياض.[4]

- و منها إن كان جوهر الأزلي و أقنومه قد تغير فقد أصبح زمنيا ،وهذا مستحيل ،لأنه نوع من الاستحالة الممتنعة ،و يلزم عليه أن يكون المسيح ليس بإله، و إن كان الذي استحال هو جسد المسيح فقد أصبح أزليا فهو أيضا يستحيل عند العقلاء و يلزم عليه أن المسيح ليس إنسان، و إن كانت الاستحالة بهما معا فالمسيح ليس بإله و لا إنسان.و إن لم يستحيل شيء من الإنسان و لا الإله فهذا ليس بقول اليعاقبة، بل هو قول النسطورية.[5]

---

(١) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ، ٨٢/٥ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص٩٥-٩٦ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص٤.

(٢) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٣٨/٥

(٣) انظر : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص١٠٥-١٠٨ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٤ب.

(٤) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٤أ-٤٥أ.

(٥) انظر : الأوسط في المقالات الناشيء ص٨٣ ، الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ، ص٤٩ ، إرشاد

- و منها أن القائل بالطبيعة الواحدة يلزم من قوله إبطال طريق معرفة الإله إذا سلم للنصارى هذا القول ، لأنه من قول بعض النصارى -و منهم اليعاقبة- أن عيسى يموت في الحقيقة، و إذا مات خرج اللاهوت من أن يكون متحدا به، و ذلك يوجب كونه غيرا له لجواز انفراده عنه عند موته، و هذا علامة التغاير، بل و يجب على هذا القول أن يجوز على اللاهوت الفناء و الموت، و لصح عليه أيضا جميع الآلام و سائر ما يجوز على المحدثات.فكيف لنا بعد ذلك أن نثبت و نعلم حدوث الأجسام، لأنه جاز كل منهما أن يكون قديما " و في هذا إبطال طريق معرفة الإله أصلا فضلا عن أن يقال أنه ممن يجوز عليه الاتحاد، أو لا يجوز ذلك عليه ".[1]

- و منها أنه حال الاتحاد كان فعل الناسوت هو فعل اللاهوت، و متى جاز ذلك جاز أن تكون قدرتهما واحدة، فوجب كونهما مثلين إن قدر الناسوت لذاته أو قدر اللاهوت بقدرة الناسوت.

- و منها أن المسيح كان عابدا لنفسه حال عبادته و هو مستحيل لأن العبادة كالشكر، فكما لا يجوز أن يشكر نفسه فكذا لا يجوز أن يعبدها.[2]

و يلزم الملكية و اليعقوبية قبيحة لقولهم بأن مريم ولدت الإله، و هذا الإلزام أنه يجوز خروج الرب -تعالى الله عن ذلك - من كل ثقب، كما جاز أن يخرج من فرج مريم.

فإن قيل: خرج من مكان طاهر. نقول : ليس بأطهر من أفواه الأنبياء و غيرها من الثقوب، ولو قال أحد من الناس: إن جبلا خرج أو صخرة من فرج امرأة لضحك الناس من قوله و عقله، فكيف بمن يدعي ذلك لرب العالمين .[3]

والقول بالطبيعة الواحدة تكذبه النصوص و يمجه العقل،فقد تحدثت النصوص طويلا في التفريق بين الرب و المسيح والمغايرة بينهما ،ومن ذلك قول المسيح: " أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم " (يوحنا ١٧/٢٠)، فالذاهب غير المذهوب إليه، ومثله أن المسيح جهل يوم القيامة ،وفوض العلم فيه إلى الله . (انظر مرقس ٣٦/٢٤)، والشيء الواحد لا يمكن أن يثبت لبعضه من الحكم ما يجب نفيه عن الآخر. ومثل ذلك في الأناجيل كثير.[4]

مذهب الملكية

اعتبر ابن تيمية مذهب الملكية أشد أقوال النصارى فسادا وتناقضا،فاليعقوبية مثلا تقول :ولد الإله ومات.والنسطورية تقول: لم يولد،و لم يمت.وهذان القولان متجانسان رغم فسادهما،في حين أن الملكية

الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص٤.

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٣٩/٥ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص ١١.

(٢) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٤٠/٥-١٤١.

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣-٤٩ ، ٨٧.

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء و النحل ، ابن حزم ٥٥/١ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ص٧١-٧٣ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٤ب.

تتناقض حين تقول:ولد الإله،و لم يصلب و لم يموت،بل مات الناسوت الذي اتحد به،وكان ينبغي عليهم كما أجازوا عليه الولاد، وهو من عوارض البشر أن يجوزوا عليه الموت والصلب،فالاتحاد كان قائما عند كل هذه العوارض.

و مثله في التناقض عندما رفضوا قول اليعقوبية الذين زعموا أن الجوهر الأزلي صار محدثا و رفضوا قول النسطورية الذين جعلوا المسيح جوهرين متباينين.

ثم قالوا بأفسد منهما إذ قالوا بأن الابن اتحد بعيسى من جهة الأقنومية فقط فهذا القول أفسد من سالفيه، لأن الاتحاد مع الجوهرية و كونها موجودة مستحيل فهو في جهة الأقنومية أشد استحالة لأنها خاصية من خصائص الجوهر .(١)

و يذكر السعودي سبب ردهم الاتحاد إلى الأقنومية لا الجوهر، فيرى بأنه سبب علمهم باستحالته بالنسبة للجواهر(٢).

و أما قولهم بأن المسيح جوهران و طبيعتان و مشيئتان و أقنوم واحد، فهو كلام غير معقول لأنه إن كان الاتحاد اتحاد امتزاج فقد صارت الحقيقتان حقيقة واحدة و هو مذهب اليعقوبية .و إن أريد بأن الحقيقتين اجتمعتا في شكل واحد فهذا حلول و ليس باتحاد، و هو ممتنع لأن المحل أصغر من الحال... و عليه يكون بعض البشر ممن هو أكبر خلقه من المسيح أكبر من الله تعالى.

و إن كان المقصود سوى ذلك من معاني الاتحاد فهو أيضا مما لا يعقل .(٣)

ثم كيف تسمي الملكية مذهبها اتحاد مع قولها بأن المسيح طبيعتان و مشيئتان، فالاتحاد إذا مجرد تسمية، و لا أثر لها في المسيح.

و لو كان الاتحاد حقيقيا للزم أن تكون مشيئتهما واحدة، لأن الواحد لا يكون له إلا مشيئة واحدة، و لو كان له مشيئتان للزم أن تكون متماثلتين فتغني أحدهما عن الأخرى، أو مختلفتين فتبطل إحداهما الأخرى، و إن قصدوا من غير صيرورة الأقنومين واحدا – من غير تنافي طبيعتهما – فهو اتحاد الامتزاج و الاختلاط فهذا يلزم عليه تغير الإله و استحالته، و هو باطل و محال.

ثم ما بعد الاتحاد إما أن يكون نقصا أو كمالا فإن كان كمالا فلم لم يتصف به الله قبل الاتحاد ؟ و إن كان نقصا فلا يجوز وصف الله به، ويبقى المخرج من هذا كله إبطال الاتحاد من أصله.

و القول عن شخص المسيح بأنه: قديم محدث. قول قبيح لا يقره العقل، و هو قول الملكية عندما زعموا بأن المسيح جوهرين قاما بشخص واحد.

يلزم على قول الملكية أيضا أن المسيح عندما كان يعبد–كما في الأناجيل–كان يعبد بعضه و هذا مستحيل كما سبق بيانه عند الحديث عن اليعقوبية.(٤)

---

(١) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص٩٧.

(٢) انظر: المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٥ب.

(٣) انظر : :الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص١١٠.

(٤) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٤٠/٥ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٥ب-٤٦أ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص٥.

و النصوص الإنجيلية تحدثت عن المسيح طويلا لكنها في كل ذلك كانت تتحدث عن طبيعة واحدة هي الطبيعة البشرية، و معجزات المسيح لا تخرج عن هذا الباب لما سبق بيانه.

مذهب النسطورية.

فرق أصحاب الردود المسلمين في الرد على النسطورية بين مذهب نسطور و مذهب النسطورية من بعده، فالتفريق بين ما قد يصح عقلا أو شرعا و ما لا يصح واجب.

فقول نسطور مقبول حين قال :بأن الأزلي يستحيل أن يصير زمانيا، و الزماني يستحيل أن يصير أزليا .فهذا قول صحيح يتناقض مع قول النسطورية بعده بأن المسيح معنيان أزلي و زمني ، لأن من صفة الأزلي أن لا يقبل الزمني ، و هذا القول يتناقض مع قول نسطور بامتناع تغير الأزلي .[1]

و قول النسطورية بأن المسيح جوهران باقيان على طبيعتهما لا يخلو أن يكون مكونا من شخص أو شخصين.و الأول: ممتنع لامتناع وجود طبيعتين متغايرتين في محل واحد.و الثاني: مخالف للضروريات ومؤد للسفسطة، فإن المسيح واحد كما تقدمه سائر الأناجيل و منه قول بطرس " يسوع الناصري رجل جاء من الله " (أعمال ٢/٢٢)، و قول بولس " واحد هو الله، و واحد هو المتوسط بين الله و الناس" (تيموثاوس(١)٢/٥)، فشهد بأنه شيء واحد و أنه غير الله.[2]

و هذان الجوهران لا يخلوان أن يكونا قديمين، أو محدثين، أو قديم و محدث.فإن كانا قديمين فقد أثبتوا قديما رابعا لثالوثهم هو جسد المسيح و ناسوته.و إن كانا محدثين فقد قالوا بحدوث الابن الأزلي، و عبدوا ما ليس بإله حين عبدوا المسيح، و إن قالوا: أحدهما محدث و الآخر قديم. فقد عبدوا القديم و المحدث حين عبدوا المسيح و هو مجموع الجوهرين، فعبدوا بذلك ما لا يستحق العبادة.[3]

و قولهم ببقاء كل أقنوم على طبيعته و جوهره مبطل للاتحاد إذ لا ثمرة له في الواقع. بل لا يجوز تسميته اتحادا، و لو جاز تسميته لجاز تسمية العرض إذا حل في المحل اتحادا ،فهو بذلك أحق لوجوده في المحل ،لكن أيا من العقلاء لا يسميه اتحادا.[4]

و هذان الأقنومان و الجوهران المتحدان مع بقاء كل على طبيعته لا يخلوان أن يكونا متداخلين أو متجاورين، و القول بتداخلهما يعرض الإله للنقائص التي تعرض لها الناسوت من أكل و شرب وصفع و...فيلزمهم بذلك ما يلزم الملكية و ما هو بالحقيقة مذهب اليعقوبية.

و أما القول بتجاورهما فيلزمهم منه أن أقنوم الإله مدروعا ، و له كمية و قدر.

كما أن كل شيئين تحاذيا لا بد أن يتساويا، أو يتفاوتا، و تساويهما يقتضي مساواة الإله للإنسان ،

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٣٨.

(٢) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٦ب.

(٣) انظر: المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤١ب-٤٢أ .

(٤) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/١٤٢.

و تفاوتهما بأن يكون الإنساني أكبر لازم لأنه درع له، و هذا منكر لا يقبل..[1]

و أما قول النصارى بأن الاتحاد كان على وجه المشيئة فهو لا يخلو من أقوال ثلاثة:

١-أن مشيئة عيسى موافقة لمشيئة الرب جل و علا.

٢-أن مشيئة الرب موافقة لمشيئة عيسى، أو هي هي.

٣-أن مشيئتهما متغايرة و لكن يجب اتفاقهما بها.

فالأول: مثبت لجميع الأنبياء، بل و يثبته الغزالي أيضا للأولياء .[2] فلا خصوصية لعيسى عليه السلام في هذا الباب.[3]

و الثاني: قول لا يقبله العقل و لا تستسيغه الأفهام، إذ كيف تكون مشيئة الله الأزلي موافقة لمشيئة إنسان، و هو أيضا ما تكذبه الأناجيل في مواطن كثيرة منها النصوص التي أثبتت تغايرا في المشيئة بين الله و عيسى[4]،و منه تغاير إرادة المصلوب مع تغاير إرادة الله حيث تضرع، و قال:إن كان يستطاع فلتعبر عني هذه الكأس، و ليس كإرادتي و لكن كإرادتك"(متى٣٩/٢٦) فصرح بتغاير الإرادتين.

و نحوه تبرمه على الصليب و سؤاله عن سببه " إلهي إلهي لما تركتني " (لوقا ٤٦/٢٧، متى ٤٦/٢٧)، فعدم معرفته السبب تدل على عدم تعلق مشيئته بوقوعه.

و لما تعلقت مشيئته بمتابعة بني إسرائيل له و أراد جمعهم على الهدى، و لم تتعلق مشيئة الله بذلك بل تعلقت بعدمه، لم تتحقق مشيئته عليه السلام، و لم يتبعه بنو إسرائيل (انظر متى٢٧/٢٣).

و أحيانا كانت مشيئة الله مجهولة لعيسى فضلا عن أن تكون موافقة لها، فقد قصد شجرة التين ليأكل منها، و تعلقت مشيئة الله أن يجدها غير مثمرة، و لم يعلم هو بذلك.(انظر متى ١٨/٢١-٢٢)، و مثله الساعة تعلقت مشيئة الله أن تكون في زمن مخصوص و هو غير عالم به.(انظر متى ٣٦/٢٤).

و لا يمكن أن تكون مشيئة الله هي مشيئة عيسى بدلالة العقل أيضا لتغاير علمهما، فكما جاز تغاير علمهما جاز تغايرهما في الإرادة والمشيئة،و لو اتحدا في العلم لم يلزم منه أن تكون مشيئتهما واحدة[5]، "و لو وجب الاتحاد باتفاق المشيئة دون العلم بالشيء، أو الإدراك له، حتى يقال :إن كل من علم ما علمه أو أدرك ما أدركه يجب أن يكون تعالى متحدا به ، و إذا لم يجب ذلك منه، فكذلك في المشيئة ".[6]

---

(١) انظر : المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٧أ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٤٢/٣ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص٩.

(٢) و ذلك لا يوافق عليه لعدم عصمة الأولياء ، فلا تكون مشيئتهم دائما موافقة لمشيئة الله جل و علا. بل وحتى الأنبياء قد يقع منهم ما لا يوافق مراد الله عز وجل كما في قصة أسارى بدر.فعصمتهم ليست مطلقة.

(٣) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٢١/٥ ، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ، ص١٦٥.

(٤) انظر : الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ، ص١٦٥-١٦٦ ، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٧أ-٤٧ب.

(٥) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١١٧/٥.

(٦) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١١٧/٥.

كما أن مشيئة الله حالة في بعض المسيح ، و ما يحل في قلب المسيح لا يجوز أن يوجب الحكم للقديم لأنه لا يختص به، و لأن ذلك يوجب أن سائر ما يحل في قلبه يوجب الحكم له، و في ذلك إيجاب للندم و الجهل..و ذلك محال بحق الله عز و جل.[1]

و كيف يجيز عقل النصارى أن توافق مشيئة الله و إرادته التي لا تتعلق بمحل. كيف توافق إرادة الجسم و مشيئته المتعلقة بمحل. بل قد تكون في بعضه.

و مما يبطل هذا القول أيضا أن مشيئة الله سابقة في الزمن على المسيح و مشيئته، فقد مر زمن لم تكن مشيئة الله متعلقة بمشيئة المسيح، و عليه فالمسيح لم يوافقه في جميع الإرادات، فهل يقبل النصارى بعدها أن يقول أحد: بأن فلانا قد اتحد به الله، لأنه قد وافق الله في مشيئة واحدة أو مشيئة و إرادة مخصوصة.[2]

و الثالث: و هو القول بوجوب أن تتفق مشيئتهما مع كونها متغايرة ،وقد أبطله القاضي لأن من حق كل قادرين تصح منهما الإرادة و المشيئة أن لا يمتنع أن يريد أحدهما خلاف ما يريد الآخر، و القول بوجوب اتفاق أفعالهما باطل كما اختلفت دواعيهما في الأفعال.[3]

نقد علماء المسلمين لأمثلة النصارى المضروبة للحلول و الاتحاد.

و قد مثلت الفرق النصرانية لأقوالها في المسيح بأمثلة تقربها إلى عقول الناس بعد أن شعروا بصعوبة أو استحالة فهم هذه العقيدة، و إدراك مراميها، و تنوعت هذه الأمثلة طبقا لتنوع الآراء في طبيعة المسيح و تجسد الابن فيه.

فمن أمثلة النسطورية التمثيل بظهور نقش الفص بالشمع، و ظهور الوجه بالمرآة من غير أن ينتقل النقش للشمع، و لا الوجه للمرآة.[4]

و من أمثلة الملكية ما ذكره سعيد البطريق الملكي حيث شبه الاتحاد بخلطة النار بالحديد، فالحديدة المحماة تحرق و تقطع و تضيء، و ليس ذلك من فعل الجهة الحديدية وحدها إذ هي لا تحرق و لا تضيء ، كما ليس من فعل الجهة النارية وحدها إذ هي وحدها لا تقطع الحديد.

و شبه البطريق حلول الكلمة في جسد عيسى بحلول الروح في البدن أو الكلام في القرطاس، فالكلمة كلها حالة في القرطاس من غير أن تفارق العقل الذي ولدت منه ،و شبه غيره الحلول بحلول ضوء الشمس و شعاعها في الأشياء.[5]

بينما كان مذهب اليعاقبة أوضح المذاهب للفهم و أقلها حاجة للبيان، و إن كان أشدها كفرا ، وقد شبهوا الله في تجسده بانقلاب الحديدة أو الخشبة إلى جمرة إذا ألقيت في النار، فالجمرة ليست نارا

---

(١) انظر : المصدر السابق ١٢١/٥.

(٢) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١١٨/٥ ، ١٢١.

(٣) انظر : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١١٧/٥.

(٤) انظر : التمهيد ، الباقلاني ، ٨٧-٨٨ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ، ص١٣٢.

(٥) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣٩/٣ ، ٥٢ ، ١٠٧.

خالصة و لا فحمة خالصة.

و شبهه من يقول بالممازجة و الاختلاط منهم بخلطة الماء و اللبن ،أو الماء و الخمر.[1]

و قبل أن نشرع بالنقد المفصل لهذه الأمثلة نتوقف مع نقطة هامة :إن المثال لو ثبتت صحته، فإن غاية ما يدل عليه إمكان الاتحاد والحلول في الأجسام ،و لا يدل بحال على صحة وقوعه فيما وراء ذلك. إذ الله عز و جل لا يقاس على مخلوقاته.

و تتبع أصحاب الردود المسلمين أمثلة النصارى فوجدوها على ضربين: أمثلة صحيحة للاتحاد الصحيح استشهد النصارى بها في غير محلها، و أمثلة لا تصح أن يستدل بها النصارى، لأنه عند اطراد المثال في أوجه الشبه كافة فإنه يلزم معاني و صور لا يقر بها النصارى،فهم في أمثلتهم يتخيرون ما وافق هواهم و مرادهم، و يدعون ما سوى ذلك.

فتشبيه الحلول بحلول الشمس بالطين و الماء أو غير ذلك من الأشياء تشبيه صحيح لحلول الله في عيسى عليه السلام و سائر الأنبياء، فهو يحل فيهم بشيء من علمه و حكمته التي يظهرها على أيديهم ، و ليس في عيسى أي خصوصية على غيره.

فالحال هنا ليس جرم الشمس إذ المسافة بينها و بين الأجسام لا يقدرها إلا الله عز و جل، كما ليس الحال صفة قائمة بالذات. إنما هو صفة قائمة بغيره ،فالله عز و جل لم يحل في قلوب أنبيائه بذاته و لا بصفاته القائمة به كالسمع و البصر و الحياة إنما حل بصفة قائمة بغيره جعلها في قلوبهم كالحكمة و العلم كما قال الله تعالى ﴿الله نور السماوات و الأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾[2]. قال أبي بن كعب: " مثل نوره في قلوب المؤمنين ".[3]

و بالطبع ليس المعنى الذي توصل إليه ابن تيمية مقصود النصارى لكن مثالهم لا يصح إلا إذا صح قول من يقول:" أن الله بذاته في كل مكان كشعاع الشمس الذي يظهره في الهواء و الأرض ".

لكن هذا بخلاف قول النصارى الذين يرون حلولا خاصا بعيسى دون سائر المخلوقات.

و لا يصح هذا المثال وفق مفهومهم إلا أن يقولوا: بأن الله ساكن في المسيح كما الشمس ساكنة في موضع صغير من الأرض.فإن كانت الشمس و صفاتها القائمة بها لا تتحد بغيرها، فالله عز و جل بذلك أولى.

و أما تعلقهم بهذا التشبيه فلأنه لا استحالة فيه و لا تغير، فالشمس لا تتغير و لا تستحيل إذا حلت في الأجسام.[4]

و يشبه هذا المثال في القبول مثال الفص الذي ينقش في الشمع أو ظهور صورة الوجه في المرآة، ففي كلا المثلين لم يحل الحال بحقيقته، فلم يحل الرجل في المرآة و لا فص الخاتم في الشمع حلولا حقيقيا، بل حل صورة الرجل و أثر الخاتم، و هو الحلول المقبول عند المسلمين، و الذي لا يختص به المسيح كما

---

(١) انظر : التمهيد ، الباقلاني ، ص٨٧ ، و النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص٥٨ ، رد الوراق ، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢٩٥.

(٢) سورة النور ، من آية : ٣٥.

(٣) رواه الطبري في تفسيره ١٨/١٠٥ .

(٤) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٨٥-٨٧ ، ١١٥-١١٦.

سبق بيانه.[1]

و يرى القرطبي أن مثال المرآة قد يصدق – على قول النصارى – لو كان الحال (الابن) (العلم) صورة محسوسة بالبصر ، وكان جسد المسيح صقيلا تنطبع فيه صورة المقابلات ، و ذلك معدوم في مسألتنا بالضرورة .

و ينبه إلى عدم صحة المثال لأنه لا تتمثل ذات الحياة و الادراكات في المرآة، و كذلك لا تتمثل الكلمة في جسد المسيح.و إذا جاز انطباع علم الله (الكلمة) في جسد بشري جاز في كل ما يشبهه من الجسدية و البشرية.

و ابن الأنباري يبطل تمثيلهم لأن الناظر في المرآة إنما شهد نفسه بمجرى العادة، و لم يحدث في المرآة أمر لم يكن.[2]

و أما مثال نقش الخاتم الذي ينحفر في الشمع، فالقرطبي لا يتصوره -كما العقلاء – إلا في الأجسام ،و إن جاز في غيرها فتلزم عليه لوازم أن يكون كل منهما مؤثرا في الآخر أو متدرعا به.

و النقش في الخاتم يوضع فيه مقلوب الكلمات لتنطبع مستقيمة في الشمع، و لو وضعت مستقيمة لطبعت منعكسة، و لو صدق مثالهم لما بقت حقيقة العلم على ما كانت عليه[3]، كما أن الطابع و المطبوع غيران يصح وجود أحدهما دون الآخر، و ظنهم أنهما واحد جهل و تخليط[4].

و أما مثال الحديدة فهو يقتضي القول باستحالة المتحدين كما يقتضي وقوع جميع الأحكام على المتحدين حتى يصح الاتحاد و ينطبق المثال.

فالحديدة لو طرقت فإن الطرق يكون على الحديدة و النار معا، و يلزم من تطابق المثل مع قول النصارى الملكية أن ما يجري على الناسوت يجري على اللاهوت، فيقع منه الأكل والشرب و الجوع، و عليه يقع الصلب و الموت و هو قول اليعاقبة ،لكنه لازم للملكية و لكل من قال بالاتحاد، لأن الاتحاد لا بد أن يخرج شيئا جديدا ثالثا، و لا يلزم النسطورية إن قالوا بأن الاتحاد في المشيئة فقط.

و يغفل النصارى عن ملاحظات أخرى هامة في هذا المثال منها أن الحديد إذا اتحد بالنار استحال فليس بحديد محض و لا نار محض، بل هو جوهر ثالث و طبيعة ثالثة هي التي تحرق و تقطع و ... ولا علاقة لها بالطبيعتين الأصليتين فهل يرتضون ذلك في حق المسيح و هم الذين يفرقون بين أفعاله فينسبون بعضها للطبيعة الإلهية و بعضها للإنسانية ؟

---

(١) انظر : التمهيد ، الباقلاني ص٨٨ ، و الشامل ، الجويني ص٥٨٩-٥٩٠ ، و الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ص٣٧٢ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ص٧٨ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢١١.

(٢) انظر : الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ص٣٧١ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص١٣٢ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص٤.

(٣) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ، ص ١٣٢ .

(٤) انظر : التمهيد ، الباقلاني ص٨٩ ، و الشامل ، الجويني ص٥٩٠-٥٩١ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص٢٧٣.

و أيضا إذا بردت الحديدة المحماة (بطل الاتحاد)،فإنها لا ترجع كما كانت ، فالنار تذهب خبث الحديد ، و تغير خواصه فلا يعود كما كان. فهل يقول النصارى بمثل ذلك في المسيح ؟ (١)

و قريبا من مثال الحديدة يأتي مثال الفحمة التي ألقيت في النار، فيرى القرطبي أنه تمثيل غير مستقيم ، لأن الفحمة مهما صارت نارا فقد حدثت النارية و انعدمت الفحمية ، و هو لا يساوي قول اليعاقبة – الذين يستشهدون به – " صار الحادث إلها "، لأنهم شبهوا القديم بالنارية الطارئة الحادثة على الفحمة.

و من ساوى بينهما لزمه أن يكون الحال في الناسوت حادثا كما النارية قديمة، و عندها ترتفع الفحمية، و هذا محال بالضرورة.(٢)

و ثمة أمر آخر يرفضه النصارى كما يرفضه غيرهم، لكنه يلزم النصارى عند تطابق المثال مع الاتحاد المزعوم، و هذا الأمر هو حاجة النار إلى الحديدة، و كذا في كل حلول، و عند اطراد القياس ينتج كفر من أعظم الكفر .(٣)

و أما المثال الذي ذكره سعيد البطريق حيث مثل حلول الكلمة في عيسى بحلول الكلمة في القرطاس من غير أن تفارق العقل الذي ولدت منه.فقد رد عليه شيخ الإسلام بأن لا خصوصية لعيسى في ذلك بل هو كحال سائر الأنبياء فهم جميعا قد حلت بهم كلمة الله أي علمه.

و لكن هذا الحلول لا يشبه بحال قول النصارى الذين يعتبرون كلمة الله إلها خالقا، و يشبهونه بالمكتوب بالقرطاس، و الجميع متفق على أن المكتوب بالقرطاس صفة قائمة بالغير، و ليست جوهرا قائما بنفسه كما المسيح، فهو عندهم جوهر قائم بنفسه.

و أيضا وجود الكلام في القلب و اللسان يختلف عن وجوده في القرطاس، فهو في القلب علم و طلب و خبر، و في اللسان حروف و أصوات، بينما هو في القرطاس مداد، و هو ليس بعلم و لا خبر و لا أمر.فهذا ليس نفس المعنى القائم بقلب المتكلم، فكيف السبيل إلى القول بأن الكلمة بالقرطاس كلها، و كلها في العقل الذي ولدها.و القرطاس لا يعدو أن يكون واسطة في معرفة الكلام.

و مثله في حديث الناس كثير كقول الرجل :الشمس في الماء . أنت في المرآة.

فالمتكلم يعلم أن جوهر الشمس و جرمها ليس في الماء، كما لم يحل الوجه بالمرآة، و مثله لم يقم القرطاس بما قام به الكلام من المعاني و الأصوات، و كما كانت المرآة واسطة لرؤية الوجه كان القرطاس واسطة لتحقق وجود الكلام و معرفته.

و المكتوب في القرطاس لا يعدو أن يكون صورة المعنى القائم بالذات و المعبر عنه بالألفاظ، فالمكتوب هو اللفظ المطابق للمعنى القائم بالذات و هذا لا يعقل، و يشبه قول بعض المنتسبين إلى الإسلام الذين يقولون:كلام الله القديم حل في المصحف، لكن هؤلاء لم يقولوا أبدا بأن كلمة الله خالقة أو مولودة

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢٥٨/٢ ، ٢٩٧ ، ٤١/٣-٤٢.

(٢) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ، ص١٠١-١٠٢.

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٧١/٣.

قبل الدهور[1].

و من الأمثلة التي نقدها أصحاب الردود المسلمين أيضا تشبيههم حلول الكلمة في المسيح بحلول الروح في البدن، فهذا النوع من الحلول خلطة لا استحالة فيها و لا تغير، لأنها بين كثيف و لطيف.

و يجيب شيخ الإسلام عن هذا المثال بأنه مستلزم لما لا يرتضيه جمهور النصارى ألا و هو وقوع الألم و الجوع و الصلب على اللاهوت، و ذلك أن الروح بعلاقتها بالبدن تتألم لتألمه، كما تفرح لفرحه فهما يشتركان في الأحاسيس و الأفعال كالعبادة و التضرع، و لا يمكن التفريق بحال بين أفعال الروح و أفعال البدن.بينما النصارى تميز في أفعال المسيح بين أفعال لاهوتية و أخرى ناسوتية.

و أيضا فالروح جوهر قائم بنفسه و ليس عرضا من أعراض الإنسان، فالإنسان مركب من جسد و روح.

و عند تطابق المثال يلزم أن يقال أن المسيح مركب أيضا فنصفه لاهوت و نصفه ناسوت ،و هو ما لا يقوله أحد من النصارى.

و ثمة أمر آخر أن البدن قبل اتحاده مع الروح هو نوع من الموات، فالله خلق آدم من تراب و ماء صار صلصالا كالفخار، و بقي على ذلك لا حياة فيه حتى أعطاه الله الروح فأصبح إنسانا و كذا ذريته من بعده. فإذا فارقت الروح الجسد يصبح الجسد ميتا.

و ثمرة هذا أن للروح حال اتحادها مع الجسد تغيرا و استحالة، إذ لا تغير أعظم من الانتقال من حال الحياة إلى الموت، أو من الموت إلى الحياة[2].

و لا يصح الجواب الأخير لشيخ الإسلام إلا إذا كانت الروح تتغير بحلولها في البدن كما يتغير البدن بحلول الروح، لأن النصارى يسلمون بتغير المسيح بالحلول، و لا يرتضون كغيرهم القول بتغير الإله و استحالته.

و لا يصح هذا المثال لأمر آخر لأن النصارى الملكية يقولون:المسيح إله تام، و إنسان تام، و الإله إله قبل الاتحاد، و الإنسان إنسان قبل الاتحاد.

فالمسيح إذا بعد الاتحاد إله تام كما كان، و الإنسان تام كما كان"فنظير هذا أن يكون الإنسان المركب من بدن و نفس نفسا تامة و بدنا تامة... و هو باطل، بل الإنسان مركب من نفس و بدن، و الإنسان اسم للمجمع، ليس للإنسان روحا،و (لا)الإنسان بدنا.

فلو كان الاتحاد حقا لوجب أن يقال:أن المسيح نصفه لاهوت و نصفه ناسوت، و هو مركب من هذا و هذا ".[3]

و في المثال أمر آخر لا يرتضيه النصارى في اتحادهم ألا و هو حاجة كل من الروح و البدن إلى الآخر، و هو قائم في كل حلول، فكل حال محتاج إلى ما يحل به سواء أكان حلول صفات أم حلول

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٩٠-٩٤.

(٢) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢٧٨ ، ٣/١٠٩-١١٢.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/١١٠.

ذوات. و القول بحاجة الإله و افتقاره كفر يعلم بصريح العقل[1].

و أما تمثيلهم الاتحاد بخلطة الماء و اللبن، أو الخمر و الماء، فيرده القرطبي لأن الممازجة إنما تصح بين الجواهر بحيث يحتفظ كل من الجوهريين بحيزه ، و الابن (العلم) ليس بجوهر،فاستحال عليه الاختلاط و الامتزاج.

و لو سلمنا جدلا بجوازه، للزم عليه أنواعا من المحالات منها:قيام الصفة بغير موصوفها، و قيامها بنفسها، و انتقالها، و بقاء جوهر الله عريا عنها، أي اتصافه بالجهل، و يلزم عليه أن لا يكون العلم أزليا، بل حادثا مخلوقا، و أن حاله تغير عليه بعد الاختلاط....[2]

و هذا النوع من الخلطة –و الذي تقوله اليعاقبة- يعتبره سعيد البطريق الملكي من خلطة الطبائع الثقيلة، و أنه مؤد إلى الاستحالة و الفساد. فلا يجيزه ابن البطريق الملكي، إذ هو لا يجيز إلا خلطة بين كثيف و لطيف-كما سبق بيانه في مثال الروح و البدن، و الحديد و النار.

كما يلزم على القول بالممازجة و الاختلاط تميز الأقنوم و مجاورته للآخر، و هو مستحيل بحق الله عز و جل[3].

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٧١ ، ٨٢.

(٢) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام ، القرطبي ص١٣٠ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ٣٦٩ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ص ٨ .

(٣) انظر : التمهيد ، الباقلاني ص٨٩ ، الشامل ، الجويني ص ٥٨٧-٥٨٧ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ٣٦٩-٣٧٠..

المطلب السادس: شبهات النصارى

أورد النصارى وأثاروا في وجه علمائنا شبهات زعموا فيها أن القرآن يصدق عقيدتهم وقولهم في المسيح، وأنه ابن الله. واستندوا في ذلك إلى متشابه الآيات التي فهموها وفق مرادهم، وإلى ما في الآيات الكريمة من ثناء على المسيح وأمه والحواريين والمؤمنين من النصارى.

فقد زعم بعضهم وجود بنوة المسيح في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ووالد وما ولد ﴾[(١)]

وألوهيته باعتبار كلمة الله وروحه كما في قوله ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾[(٢)]، وكما في قوله ﴿وأيدتك بروح القدس ﴾[(٣)] وزعموا أن معتقدهم في الاتحاد أقر به القرآن في قوله تعالى: ﴿فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾[(٤)]

وبالغ النصارى في استدلالهم بالآية الأخيرة " وكان سؤالهم الذي عليه يعولون، وبه يصولون ".[(٥)]

كما تعلق النصارى بالآيات التي مدحت المؤمنين منهم، فظنوا أن هذه المدحة تشملهم، وتشمل ما هم عليه من الباطل . وذلك في مثل قول الله عز وجل ﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾[(٦)] وقوله ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبون من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[(٧)]

وكذا تعلقوا في تقدم ذكر البيع والصوامع على المساجد في قوله ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾[(٨)]

ومن ذلك أيضا ما ورد في القرآن الكريم من تعظيم لعيسى وأمه والحواريين، وذلك كثير لا يخفى.[(٩)]

وكان النهج الذي خطه أصحاب الردود المسلمين في إبطال ما تعلق به النصارى من شبهات - وإن كان بعضها لا يرقى لتسميته شبهة - واضحا محكما لا لبس فيه.

وكان أول ما واجهوا فيه النصارى تنبيههم إلى أنه لا يجوز لهم الاحتجاج بشيء من القرآن على

---

(١) سورة البلد ، آية: ٣.

(٢) سورة النساء ، آية :١٧١.

(٣) سورة البقرة ، آية: ١١٠.

(٤) سورة القصص ، آية:٣٠ .

(٥) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٩١.

(٦) سورة آل عمران ، آية : ٥٥ .

(٧) سورة الحج ، آية :٦٩.

(٨) سورة الحج ، آية:٤٠ .

(٩)انظر:: هذه الشبهات في بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٦٢ ، والأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٦-٢١.

صحة معتقدهم، لأنه كتاب يجحدونه ويكذبونه، ويدعون أن صاحبه قد ادعاه من عند نفسه، فغاية ما يثبت به – وفق اعتقادهم – موافقة رجل لبعض ما جاءوا به.

لكن النصارى حين يذكرون ما ذكروا من الآيات، فإنهم لا يذكرونها استدلالا لدينهم ومعتقدهم وإنما يذكرونها تبكيتا للمسلمين فحسب.

ومنعنا إياهم من الاستدلال بكتابنا لا يمنع المسلمين من الاستدلال بما في أيدي القوم من كتب لاختلاف الحال، فالمسلمون يؤمنون بما ورد في كتب القوم التي أنزلها الله على أنبيائهم، ورغم قولنا بتحريف هذه الكتب فإنا نعتقد بأنها لم تخلو من أثارة من علم صادق التمسه أصحاب الردود المسلمين ليردوا من خلاله الركام الكبير الذي طوته هذه الكتب بسبب التحريف والتبديل والابتداع. وعليه فيصح استدلالنا بها بلا مراء.

وفي مواجهة شبهات النصارى واستدلالهم ساق أصحاب الردود المسلمين آيات كثيرة تكفر النصارى، وتبين فساد عقيدتهم، ثم أكدوا الوحدة الموضوعية للآيات عندما بينوا المعاني الصحيحة للآيات المشكلة، وذلك بوضع النص في سياقه أو توضيح معناه من خلال سبب نزوله أو بيان معاني ألفاظه، وأوضحوا ذلك كله ،وبينوه بما فهموه من النص حسب دلالات اللغة العربية التي هم أعلم الناس بها.

وأخذوا على النصارى استدلالهم بشطر الآية أحيانا، وإعراضهم عن شطرها الآخر، لأنه ينقض غرضهم، وهذا عيب كبير لا يقبل في الاستدلال.

فإن رأى النصارى أن شطر الآية الذي استدلوا به يعارض شطرها الذي تركوه، كان ينبغي عليهم أن يضربوا عن النص لتناقضه، والتناقض دليل الكذب، ولا يصح الاحتجاج بكلام الكاذب .[1]

وفيما يلي أتناول بالتفصيل بعض تطبيقات هذا المنهج من خلال أهم ما استدل به النصارى في آيات قرآنية.

كان أهم ما تمسك النصارى وتعلقوا به قول الله تعالى ﴿فنفخنا فيه من روحنا ﴾[2].وقوله ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾[3]

فلقد فهموا من هذين النصين أن عيسى هو روح الله القائمة به، وهو كلمته أي كلامه جل وعلا.[4]

فيكتفي القرطبي لدحض هذه الشبهة أن ينكر على النصارى استدلالهم بآية وكتاب لا يصدقون به، كما ينكر عليهم استدلالهم بشطر الآية وفي تمامها ما يرد عليهم ، فالآية بتمامها ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم

---

(١) انظر: معالم هذا المنهج في الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ص ١٠٦ ، ١٣٧ ، ١٨٧ ، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ٣٨ ، ٩١ ، و الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٣٤٦/١ ، ٥٥/٢ ، ١٧٣ ، ١٨١.

(٢) سورة التحريم ، آية: ١٢.

(٣) سورة النساء ، آية: ١٧١.

(٤) انظر: رسالة مجادل الخزرجي ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٦٢.

وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا * لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا ﴾[1]

ويبين ابن الأنباري معنى الآية فيفسر: الروح بأن المراد به جبريل عليه السلام، كما سماه الله عز وجل في آية أخرى: ﴿ وأيدناه بروح القدس ﴾[2]

والمسيح إنما خلق بنفحة منه ﴿ فنفحنا فيها من روحنا ﴾[3] فأضاف الفعل إليه لأنه هو الآمر بذلك كما في قوله ﴿ يوم ننفخ في الصور ﴾[4]

وهذا المعنى هو ما ورد في حق آدم ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾[5] فهي إضافة تشريف وتكريم، ولو أوجبت هذه الإضافة معنا خارجا عن الإنسانية لكان آدم أولى بذلك.[6]

ويضيف شيخ الإسلام معنى موافقا آخر، وهو أن الروح ما يترل على أنبياء الله من الوحي والتأييد. ودليل صحة هذين المعنيين، وأن ليس المراد بالروح صفة لله : أنه أخبر بأنه أرسله، وأنه تمثل لها بشرا سويا، فدل على أن المراد ليس صفته (حياته).

وهذا معهود في لغة العرب كقول القائل: (شل طرفك) يريد طرف الخشبة، فجعله طرفا للحامل، وكذلك فينسب كل روح لله ،لأنه جل وعلا سببها وخالقها ،ويدل أيضا على هذا الاختلاف قوله تعالى ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾[7]، ومثله قول موسى " إن روح الله مع كل أحد " (العدد ٢٩/١١) وانظر (أعمال ١٧/٢).

والشبهة وردت على النصارى بسبب جهلهم، وقياسهم معنى الروح على روح الإنسان، فإنما معنى قائم بنفسه يتركب الإنسان منه ومن البدن. والله منزه عن التركيب .[8]

وينبه الجاحظ والقرافي إلى وجوب أن تفهم هذه الكلمة وفق سياقها العربي، فالعرب أعرف الناس بلسانهم، وإضافة الكلام وتقييده واستعمالاته، ومن لم يكن كذلك فليقل بقول أهل العربية العلماء بلغتهم فيما ذهبوا إليه من معاني.

ويلفت إمام الحرمين النظر إلى عدم تطابق المعنى الذي ذهبوا إليه من فهم الآيات مع المعتقد النصراني إذ " ليس من أصلهم أن الروح حل بالمسيح، وإنما حله العلم (الكلمة) ، والروح عندهم

---

(١) سورة النساء ، آية: ١٧١-١٧٢.

(٢) سورة البقرة ، آية:٨٧.

(٣) سورة الأنبياء ، آية: ٩١.

(٤) سورة طه ، آية: ١٠٢ ، والآية وفق قراءة أبي عمرو ، وهي وفق قراءة حفص :﴿يوم ينفخ في الصور﴾.

(٥) سورة الحجر ، آية :٢٩.

(٦)انظر: الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ص ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي،ص ١٢٨.

(٧) سورة الشورى ، آية: ٥٢.

(٨) انظر: المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ص ١٢٤ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي، ص ١٥ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ١٤١/٢-١٤٢ ، وإرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص ١٢.

هو الحياة ".[1]

وأما بخصوص تسمية عيسى بالكلمة، فإن " الكلمة " لها معان كثر متغايرة منها: الآية، ومنه قوله ﴿ ما نفدت كلمات الله ﴾[2]، وهذا المعنى صحيح في الإطلاق على المسيح الذي جعله الله بميلاده آية للعالمين ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين ﴾[3]

ومن المعاني أيضا: الجملة المفيدة لمعنى، ومنه قوله ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾[4] وعيسى ليس كذلك، كما أن لله كلمات كثر، ولكن أيا منها ليس بخالق، ولكن يصح إطلاق هذا المعنى على المسيح بمعنى أن الله خلقه بكلمته " كن " .

وسبب تخصيصه بتسمية الكلمة كما يرى الغزالي أن المخلوقات جميعا خلقت بكلمة الله وأمره، وقد جعل الله لكل منها سببا مباشرا هو الأب.

ولما لم يكن لعيسى سبب قريب لخلقه نسب للسبب البعيد، وهو الله عز وجل، فسمي: كلمة الله.

وينبه ابن الأنباري إلى أن النصارى لا يجوز لهم التمسك بلفظ (الكلمة) لأنهم لا يريدون بها الكلام، وإنما يريدون بها العلم، ولا يسمون العلم قبل الاتحاد بالمسيح ابنا، بل المسيح ما تدرع به الابن .[5]

وعليه فسد استدلالهم وتعلقهم بلفظ الكلمة من غير باب ،ثم هذا وغيره مما توهم فيه النصارى موافقة لمعتقدهم معارض بآيات كثيرة مصرحة بكفرهم نبه إليها الدميري .

كقوله تعالى﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ﴾[6] وقوله ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾[7].

وأما زعمهم أن عيسى ابن الله يفهم من قوله ﴿ووالد وما ولد ﴾[8] فيرده القرافي ويعتبره من الافتراء على الله والتسلط بالتحريف على كتاب المسلمين كما هو حالهم مع كتابهم، ثم يبين المعنى الصحيح للآية، وهو الإقسام بآدم وذريته[9] ولا دليل البتة على تأويلهم الذي ذهبوا إليه.

---

(١) انظر: المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص ١٢٢ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٦ ، الشامل ، الجويني ، ص ٥٩٤-٥٩٥.

(٢) سورة لقمان ، آية :٢٧.

(٣) سورة الأنبياء ، من آية :٩١.

(٤) سورة الكهف ، من آية: ٥.

(٥) انظر: الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ص ٣٧٦ ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ١٣٦/٢-١٤٠ ، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ، أبو حامد الغزالي ، ص١٦٦، وإرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص ١٢.

(٦) سورة المائدة ، من آية :٧٣.

(٧) سورة التوبة ، آية :٢٩ ، وانظر: إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، الدميري ، ص ١٣.

(٨) سورة البلد ، آية: ٣.

(٩) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٣٨.

المبحث الثاني: التثليث

﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد و لم يولد * و لم يكن له كفوا أحد ﴾[1] تمثل الآية أحد أهم المعتقدات التي يعتقد بها المسلمون والتي يعتبر التثليث النصراني أحد أكبر نقائضها التي ظهرت بين البشر.

وتعبر الآيات بوضوح عن حقيقة وأهمية هذا الخلاف ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾[2]

ولذا كان من أهم الأغراض الجدلية التي ثار حولها الجدل بين المسلمين والنصارى عقيدة التثليث النصراني.

وسنعرض لما انتهت إليه جهود علمائنا في هذا المبحث من خلال مطالب.

المطلب الأول: الجوهر والأقانيم

تزعم النصارى بمختلف فرقها الرئيسة أن الله عز وجل جوهر واحد، لكنه أقانيم ثلاثة، هذه الأقانيم هي :الآب والابن وروح القدس.

ويرون أن هذه الأقانيم الثلاثة تشكل وحدة واحدة تتلائم والتوحيد الذي وردت البشارة به في نصوص التوراة والأناجيل.

وتفترق الفرق النصرانية في العلاقة بين الجوهر والأقانيم، فاليعقوبية والنسطورية يعتبرون الجوهر هو الأقانيم الثلاثة، والأقانيم الثلاثة هي الجوهر، بينما تزعم الملكية أن الأقانيم هي الجوهر، والجوهر غير الأقانيم.

وزعمت الفرق مجتمعة أن الأقانيم الثلاثة متفقة في الجوهرية، مختلفة في الأقنومية ،وأن كل واحد منها جوهر خاص يجمعها الجوهر الواحد العام .[3]

وأول ملاحظة يسجلها أصحاب الردود الإسلامية على النصارى الإطلاقات البدعية التي لم ترد في شيء من الكتب المقدسة عند النصارى كلفظة الأقنوم والجوهر.

فهذه العبارات وتفسيراتها لا أصل لها في كتب القوم المقدسة، و لم ترد في شيء من كلام الأنبياء.

ويشنع القرطبي عليهم تسمية الله: جوهرا، فيقول " كيف تسمونه جوهرا وليس في كتابكم، ولو سمي لأحدكم ولده بغيره أمره لأنف من ذلك " .[4]

---

(١) سورة الإخلاص.

(٢) سورة المائدة آية ٧٣.

(٣) انظر: رد الوراق ، وقد رفض يحي بن عدي التسليم بصحة ما نسبه الوراق للنسطورية واليعقوبية في أنهم يقولون الجوهر هو الأقانيم.انظر : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢٠٠.

(٤) انظر: الأوسط في المقالات الناشئ الأكبر ، ص ٨٢ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٤٢ ،

فما الذي دعا النصارى لإطلاق لفظ الجوهر على الله؟

يجيب الباقلاني بأن أدلة النصارى على أن الله جوهر أربعة أمور:

أولها: أن " الأشياء كلها في الشاهد والوجود لا تخلو من أن تكون جواهرا أو أعراضا"، وبما أن "القديم ليس بعرض، فوجب أن يكون جوهرا ".

ثانيها: أن " الأشياء كلها لا تخرج عن قسمين: إما قائم بنفسه (جوهر)، أو قائم بغيره (عرض) فلما فسد... أن يكون قائما بغيره، وأن يكون عرضا، ثبت أنه قائم بنفسه، وأنه جوهر من الجواهر ".

ثالثها: أن " الأشياء كلها على ضربين، فضرب منه الأفعال وهو الجوهر، وضرب يتعذر منه ويمتنع منه الأفعال، وهو العرض، فلما ثبت أن القديم فاعل وممن يتأتى منه الأفعال ثبت بأنه جوهر ".

رابعها: أن " الأشياء على ضربين: شريف، وهو الجوهر القائم بنفسه، المستغني في الوجود عن غيره، وخسيس قائم بغيره ومحتاج إليه، وهو العرض.

فلما لم يجز أن يكون القديم سبحانه من قبيل الخسيس ثبت أنه شريف، وأنه قائم بنفسه ".(1)

ويرفض أصحاب الردود الإسلامية هذا التقسيم لأن فيه " قضاء على الغائب بمجرد الشاهد " ويمثل له الباقلاني بحالة " من نشأ في بلد الزنج فلم يشاهد به إلا ماءً عذباً، ولا إنساناً إلا أسود، ولا زرعاً إلا أخضر، فيقضي أنه لا ماء ولا إنسان ولا زرع إلا كما وجد و شاهد ".(2)

ويرى الشرفي أن بين المسلمين والنصارى في هذه المسألة (إطلاق لفظ الجوهر على الله) سوء فهم مرده اختلاف معنى الجوهر عند الفريقين.

فالجوهر عند المسلمين " ما شغل حيزاً وقبل عرضاً " وهو " المتحيز الذي يقبل الحركة والسكون " بينما هو عند النصارى " القائم بنفسه" و " ليس هو في موضوع " و " غير مفتقر في وجوده إلى غيره ".(3)

ويعيب القرافي هذا الخلط في التعاريف عند النصارى ويعتبره " كلام من لا يعلم الجوهر، ولا يعرف العرض، ولا يضبط علماً من العلوم، كأنه نصراني، فإنه خصيصتهم " ، وذلك أن المفتقر حد الممكن لا العرض، وغير المفتقر حد للواجب لا الجوهر.

بينما الجوهر لا حد له عند القرافي سوى "المتميز لذاته الذي لا يقبل القسمة" وإطلاق لفظ الجوهر بالتعاريف المنطقية له يقتضي الحدوث لقبوله الأعراض ولقبوله الحركة والسكون، وكلاهما في خصائص

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ١٦١/٣ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ص ٧٨ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٥٢ب.

(1) التمهيد ، الباقلاني ، ص ٧٥-٧٦ ، وانظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٩٨/٥-٩٩ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٤٢.

(2) التمهيد ، الباقلاني ص ٧٦-٧٧ ، وانظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ٩٩ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٧٨.

(3) التمهيد ، الباقلاني ، ص ٧٦-٧٧ ، وانظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ٩٩ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص٧٨.

المتغير الحادث .[1]

وإذا كان قول النصارى بأن الله جوهر لم يحظ بكثير من الاهتمام عند علمائنا، فإن القول بتعـــدد أقانيم الإله كان محور الردود الإسلامية.

فقد نبه شيخ الإسلام إلى بدعية لفظ الأقنوم، وذكر احتمال أن يكون أصل الكلمة رومية، وذكـر خلاف النصارى في تفسيرها، فهم يفسرونها بالأصل تارة، أو بالشـــخص، أو بـــالذات مـــع الصفـــة، أو بالخاصة، أو بالصفة، أو بالجوهر .[2]

وسنرجئ الحديث عن تفسيراتهم للأقانيم لحين الحديث عن صيغ التثليث، ونكتفي هنـــا بـــإيراد نقطتين تتعلقان بالأقانيم.

الأولى: اختلاف الأقانيم واتفاقها:

رأينا فيما سبق إجماع النصارى على القول بوحدة الجوهر، واختلافهم في الأقنومية ،لذا تســـاءل أصحاب الردود الإسلامية كيف يمكن أن يكون " الإله متغايرا من وجه، غير متغاير من وجه آخـــر؟... يلزمهم أن يقولوا في القديم أنه مختلف متفق، لأنه من حيث كان أقانيم، يجب أن يكون مختلفا، ومن حيـث كان جوهرا واحدا يجب كونه متفقا، وكون الأشياء متفقة مختلفة مستحيل، ولا يمكنهم القول بأنها متفقـة في الذوات ،مختلفة في الصفات التي لا ترجع إلى الذوات، بل ترجع إلى المعاني، وما جـــرى مجراهـــا، لأن قولهم أن جوهر الأب يستحيل أن يكون إلا أبا عالما حيا، وكذلك قولهم في كل أقنوم، فقد صـــح مـــا ألزمناهم من القول بأنها متفقة في الذوات مختلفة، وهذا يوجب نفي الشيء وإثباته " .[3]

تعتبر النصارى الأقانيم الثلاثة أزلية، وأمانتهم التي سطرتها مجامعهم وجعلتها أصلا للديـــن تعتـــبر أقنومين علة للأقنوم الثالث، وذلك تناقض كما يرى الناشيء الأكبر " وذلك بين الاستحالة جدا من قبـــل أن الأشياء إنما تتميز في الفعل، حتى يكون للواحد منها ما ليس للآخر، إذا وجدهـــا الفعـــل مختلفـــة في أنفسها، أو وجد للواحد منها ما خالف بينه وبين الآخر، فأما إذا وجدها متفقة لا تختلف بأنفسها، وليـس فيها أمور تختلف بها، وليس منها شيء يقدم صاحبه بذات ولا طبيعة ولا مرتبة ولا كـــثرة ولا زمـــان، فليست له سبيل إلى أن يزعم أن واحدا منها علة، والآخر معلول، ولا شيء أبين مما قلنا.

ألا ترى أن القوم قالوا: ثلاث قنومات متفقات، متفقة في الجوهر لا اختلاف بينـــها، متفقـــة في القدم لا يقدم شيء منها شيئا، وليس فيها خلاف في أنفسها، ولا في شيء منها يخالف بـــه صاحبيـــه، ثم ادعوا أن هذا أب ليس بابن ولا روح، وهذا روح ليس بأب ولا ابن، وهذا ابن ليس بـأب ولا روح، وأن

---

(1) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢٠٦ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفـــاجرة ، القرافي ، ص ٤٢-٤٣ ، الإرشاد ، الجويني ، ص ٤٦-٤٧ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيميـــة ، ١١٧/٢. وقول القرافي بأن الحركة والسكون من لوازم المحدثات غير صحيح ، بل هما من أحوال وصفات من قامت بـــه حياة، ونزول الله عز وجل الذي أخبرت به النصوص الثابتة هو نوع من الحركة التي تليق بجلال الله وعظمته.

(2) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٤٢-٤٣.

(3) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ٨٩.

هذا علة هذين ليس بمعلول، وهذان معلولان ليسا بعلة "[1] .

ويرى الخطيب السكندري أن هذا" لا جواب لهم عنه ".[2]

والنصارى مخيرون بين القول بتساوي الأقانيم أو تفاوتها، ولكن ذلك كله مبطل لها، فالقول بتفاوتها وتفاضلها يجعل المفضول ناقصا عن غيره، فلا يجوز إدخاله في الآلهة .[3]

ومثله دليل التمانع الذي ألزم به الجبائي النصارى، فما دام جوهر الأقانيم واحدا فينبغي أن تكون جميعا قادرة، وذلك يصحح التمانع بينها، وذلك يوجب عجزها وضعفها، أو ضعف بعضها .[4]

الثانية: اختصاص الأقانيم

تعتبر النصارى الأقانيم جوهرا واحدا ،وتطلق على كل من الأقانيم اسما مغايرا للآخر، وتخص كل منها بما لا تخص به الآخرين، وكل ذلك من غير دليل، يقول الباقلاني " وكان الأب جوهره جوهر الابن، وجوهر الروح من جوهرهما، فلم كان الابن والروح بأن يكونا ابنا وروحا خاصين للأب أولى من أن يكون كل واحد أبا، وأن يكون الأب خاصا لهما.... فلا يجدون إلى تصحيح تحكمهم سبيلا ".

ويرى القاضي أنه لا يصح بحال أن تختص بعض الأقانيم بما لا يكون للبعض الآخر " لأن هذه الأقانيم إذا كانت قديمة فيجب أن لا يصح أن يختص الأب بما يستحيل على الابن والروح، ولا يصح اختصاصهما بما يستحيل عليه، ولا اختصاص كل واحد منهما بما يستحيل على الآخر" .[5]

فإن رفضوا هذا الإلزام فإن النتيجة هي عدم الأقانيم جملة وانتفاء القدم عن الأب ، يقول القاضي عبد الجبار " ليجوزن خروج الأب من أن يكون أبا، والابن من أن يكون ابنا.... لأن إثبات مثل الشيء في جوهره مع مخالفته له في صفته الراجحة (لعلها: الراجعة) إلى جوهره إذا صح صح أيضا خروج الشيء عن جوهره، وهذا يوجب عليهم أن لا يأمنوا عدم الأب والابن ، خروج الأب من أن يكون أبا قديما " .[6]

ويعالج الوراق هذه المسألة بافتراض أمرين: أولهما أن الأب يستحق من صفات القدم والربوبية والقدرة الإلهية شيئا لا يستحقه الابن.

والثاني: هو أن الأب لا يستحق من تلك الصفات شيئا لا يستحقه الابن، فالأول يقتضي إلزام الابن بالنقص، والثاني لا يبقى فيه وجه لبقاء الأب أبا، من غير أن يكون ابنا.

---

(١) الأوسط من المقالات ، الناشئ الأكبر ، ص ، ٨٤ ، وانظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٩٥.

(٢) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٩٤.

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة ، القاضي عبد الجبار ص ٢٩٥ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٦٤.

(٤) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ١٤١.

(٥) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/٨٦-٨٧ ، التمهيد ، الباقلاني ص ٨٦-٨٧.

(٦) انظر: الوراق الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢١٩ -٢٢٠ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/٥٠.

وعليه فلا وجه لقول النصارى بخصوصية الابن بالاتحاد، دون الأب والروح ما دام الجوهر واحدا، ولا مخصص، وقولهم علاوة على أنه لا دليل عليه فإنه نوع من التحكم، فكما صح اتحاد الابن ينبغـــي أن يصح اتحاد الجميع، وإلا فيلزم القول بتغايرها إذ جاز اتحاد بعضها دون بعض .[1]

(١) انظر: التمهيد ، الباقلاني ص ٨٦ ، والإرشاد ، الجويني ، ص٥٠ ، رسالة الحسن بن أيوب ٢/٣٥٦-٣٥٧.

المطلب الثاني: نقد الأمانة

كان من الطبيعي أن يتعرض أصحاب الردود الإسلامية لأمانة النصارى التي تمثل خلاصة ما انتهى إليه فكرهم خلال أكثر من ثلاثة قرون من نشأة النصرانية.

وقد ذكر عدد من أصحاب الردود الإسلامية صيغتها فاتفقوا على أنها كالآتي: " نؤمن بالله الواحد الأب، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى، ونؤمن بالرب المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، ولد من أبيه قبل العوالم كلها، ليس بمصنوع، إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم كلها، وهو خالق كل شيء، من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، وصار إنسانا، وحملت به مريم، وولد من مريم البتول، فأوجع وأولم، وصلب في أيام بيلاطوس الملك، ودفن وقام في اليوم الثالث من بين الموتى مثل ما كتب بذلك الأنبياء، ثم صعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بالروح القدس الذي يخرج من الأب و الابن،وبه كان يتكلم الأنبياء،والتغطيس هو غفران الذنوب، ونؤمن بقيام أبداننا، وبالحياة الدائمة أبد الآبدين " .[1]

و لم تختلف صيغة الأمانة – عندما ذكرها أصحاب الردود الإسلامية – إلا في أمور بسيطة مرد الاختلاف فيها إلى الترجمة أو الاختصار.

وقد اهتم أصحاب الردود الإسلامية بالأمانة اهتماما بالغا تجلى ذلك في الكثرة التي تناولتها من الدراسة والتمحيص وكان اهتمامهم بها نابعا من أمور: أولها :إدراكهم منزلة الأمانة عند النصارى ، وأنها " أصل دينهم.. لا يتم عيد ولا قربان إلا بها ".[2]

وثانيها: أن الأمانة تجمع عليها سائر الفرق النصرانية، ويقول القرافي: " أجمع عليها جميع فرق النصارى والروم، واليعاقبة، والنسطورية "، ويؤكد الترجمان أن النصارى " متمسكون بها إلى يوم القيامة، ولا يتركها إلا قليل منهم ".[3]

وثالثها: أن المسلمين وجدوا في الأمانة رأيا واضحا، وهدفا بينا يستطيعون نقده، بينما غاب هذا

---

(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص ٩٦ ، وانظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٥٤ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ١١١-١١٧ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ، ٩٨-١٠٠ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢١٩/٢ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١٤٣ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٩ب.

(٢) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٢ ، وانظر: النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٦٩.

(٣) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٢ ، و هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١٤٣ ، و المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٩ب ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص ٩٥ ، ولا ريب أن الأريوسية من هذا القليل.

في مواطن أخرى كتفسير الجوهر والأقانيم وسوى ذلك مما يشرق النصارى به ويغربون ،ولا يوقف لهم فيه على رأي مستقر.

وكان أول نقد وجه للأمانة هو الطعن في مشروعيتها بعد تتبع تاريخها ، فالأمانة وضعت لا من كلام المسيح ولا أقوال تلاميذه ،بل هي من كلام رجال بعدهم بدهر طويل، ونسبها الترجمان لرجل من أهل روما اسمه: بيطر. بينما ذكر آخرون من أصحاب الردود واتفقوا على أنها من نتائج مجمع نيقية، حيث اجتمع أساقفة النصارى سنة ٣٢٥م ،واختلفوا اختلافا عظيما، واتفق منهم ثلاث مائة وثلاث وعشرون أسقفا على رأي واحد ،وناظروا بقية الأساقفة فظهروا عليهم، فباركهم الملك، وسلطهم على مملكته، ثم وضعوا الأمانة في صيغتها الأولى .[١]

ثم زادوا عليها في مجمع القسطنطينية بعد نيقية بست وخمسين سنة قولهم: " وبروح القدس الرب المحي الذي من الأب منبثق، الذي مع الأب والابن"، وكان الذي اضطرهم لهذه الزيادة انتشار مقالة مقدونيس الأريوسي الذي كان يقول بأن روح القدس مخلوق وليس بإله .[٢]

ومن ذلك ثبت أن الأمانة جهد بشري مبتدع " بل هي أراء قوم مغفلين، وتلفيقات جماعة مشكلين، عليها من الركاكة الظاهرة، والعبارة القبيحة والمعاني السمجة، ظلمات بعضها فوق بعض ".[٣]

فالأمانة تذكر أمورا غاية في الأهمية كالقول بأن عيسى خالق السموات والأرض، وأنه من جوهر الله، وأنه تجسد من اللاهوت، وأنه صلب من أجل تكفير خطايا البشر...

فمثل هذا لا يقبل إلا إذا ورد عن طريق نبي من الأنبياء. أما أن يقول ذلك أناس برأيهم فهو مما لا يقبل بحال.

ثم كيف عرف هؤلاء هذه الأمور العظيمة التي لم توجد فيما بين أيديهم من الكتب، بل كيف لم تذكر الكتب بصراحة مثل هذه المعتقدات العظيمة ؟بل على العكس صرحت بخلافها في مواطن عدة ،منها أن التوراة تصرح بوحدانية الله خلافا للأمانة المثلثة ففي التوراة " أنا ربك الذي أخرجتك من مصر بيد القوة لا يكن لك إله غيري، ولا تشبهني بشيء مما في السماء، ولا مما في الأرض، ولا مما في البحار، أنا إله واحد" (الخروج ٢٠/٢-٥، التثنية ٥/٦-٩)، وكذا في إشعيا " قال إله إسرائيل: أنا الأول، أنا الآخر، وليس غيري " (إشعيا ٤٤/٦) ومثله أيضا فيما ذكرت التوراة في تحمل كل مسؤولية عمله — وسيرد في بابه – وسوى ذلك.

ومما تخالف فيه الأناجيل والأمانة، فهو مبطل لأحدهما، نسبة الخلق لعيسى، فذلك تكذبه الكتب

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ١١٢ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص ٩٥ ، والمنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٩أ.

(٢) انظر: النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص٦٩-٧٠ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٢ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٣٧ ، ٤٢ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٣/ ١٨٠.

(٣)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٢ ، وانظر: المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٩ب.

المقدسة كما في أعمال الرسل " إن الله خلق العوالم بجميع ما فيـــها، وهـــو رب الســـماوات والأرض، لا يسكن الهياكل التي طبعها الأيدي " (انظر أعمال ٧/ ٤٨-٥٠) [١]وسوى ذلك في النصوص.

وأما قول داود " بكلمة الله خلقت السماوات والأرض " (انظر المزمور ١٤٨/٥) فـــهو موافـــق لقول المسلمين ،وقد جاء في القرآن ﴿كن فيكون﴾[٢] فكلا النصين يفيد بأن الخلق تم بكلمة .ولا يقول بـأن كلمة الله هي الخالقة .[٣]

ويورد القرافي تساؤلا في هذا المبحث: هل كان آدم وإبراهيم وإسماعيل يعرفون المسيح عليه السلام ويعتقدونه خالقهم أم لا ؟

فإن قالوا: لا. كفروا بهذه الأنبياء عليهم السلام.

و قولهم بأن المسيح جوهر مساو لجوهر الأب يقتضي تعدد الجواهر، لأن الجوهر لا يساويه إلا جوهر آخر، فهي ثلاثة جواهر، ثم تناقض الأمانة فتقول عن المسيح أنه "إله حق من جوهر أبيه".[1]

ومن التناقض أيضا ما صرحت به الأمانة في قولها عن الله :" صانع ما يرى وما لا يرى " ثم تقول عن المسيح :" بيده أتقنت العوالم كلها، وهو خالق كل شيء".فأيها الخالق الله أم المسيح ؟

فإن كان الله خالق كل شيء .فأي شيء خلقه الابن؟ وكذا العكس!![2]

ويلزم أيضا على هذا أن يكون المسيح وروح القدس مخلوقين، لأنهما لا يخرجان عن أن يكونا مما يرى أو مما لا يرى.

وهذا يناقض قول الأمانة عن المسيح أنه " غير مصنوع" فكيف يكون ذلك؟![3]

قولهم :" غير مصنوع " مناقض لما وصفته الأمانة بقولها " بكر الخلائق "، لأن قولهم: " بكر الخلائق " يقتضي أنه أحد الخلائق المصنوعة بيد أنه أولها، وذات المعنى يفهم قول الأمانة " ولد من أبيه قبل العوالم ".

فالولاد والبنوة يشعران بتأخر زمني عن الأب، وعليه فالمسيح والابن ليسا بأزليين، والمسيح هو بكر المخلوقات المحدثة، لأنه أما أن يكون الأب ولد شيئا موجودا أو غير موجود. فإن كان موجودا فهو لم يلد شيئا، إن كان غير موجود فقد أوجد عدما وخلقه، فهو مخلوق.[4]

كما يلزم على لفظ الولادة وجود الصاحبة، وهو ما ينكره جمهور النصارى. ويلزمهم هذا ،لأن الولادة لا تعرف إلا بين أصلين انفصل عنهما ثالث ،سواء كان حيوانيا كولادة سائر الحيوان، أو غير حيواني كولادة النار من الزنادين.

وتوسع في استعمال لفظ الولادة ،فأطلق على ما يحدث عن الشيء وإن لم يكن بانفصال جزء منه كتولد الشعاع في النار. ولكنه لا يقوم بنفسه.

أما ما يحدث من شيء واحد فلا يعرف تسميته ولادة إن قدر وجود ذلك ،ويمتنع إطلاق هذا اللفظ على صفات الموجود فكيف بصفات الله الأزلية القائمة به أزلا، فلا يصح قول القائل :إن لون السماء متولد عنها، ولكن يقال عن شعاع الشمس القائم بالجدران أنه متولد عنها ،لأنه نتج عن أصلين.[5] ويستدل شيخ الإسلام على إفادة لفظ الولاد معنى الحدوث بالرجوع إلى اللفظ في سائر مواضع

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٤ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٥٠أ.

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٣ ، و تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص ٩٦.

(٣) انظر: النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٦٩ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٣ ، ١١٤ ، وتحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد الله الترجمان ، ص ٩٦ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٩ب.

(٤) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣٥٧-٣٥٨ ، و النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ص ٧٠ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١١٣ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب عبد الله الترجمان ، ص ٩٧ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة٩أ.

(٥) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٣/ ١٨١.

ويستدل شيخ الإسلام على إفادة لفظ الولاد معنى الحدوث بالرجوع إلى اللفظ في سائر مواضع وروده في التوراة والإنجيل. فهو دائما يعني ولادة حادثة، ولا يوجد في هذه الكتب أبدا حديث عن ولادة أزلية .[1]

وذم أصحاب الردود الإسلامية استعمال لفظ "الولاد" وهم يعلمون أن النصارى لا تقر بولادة حيوانية، بل تشبه هذه الولادة بولادة الكلمة في العقل، وحر الشمس منها ،فهذه ليست كولادات المتناسين .[2]

لكن سائر ذلك من الممكنات التي جميعها مقدورة بقدرة الله الذي أحدثها، وهذه جميعا لا يقال عنها متولدات. بل يقال: مخلوقات .[3]

كما يستلزم لفظ الولاد مفارقة المولود لوالده، وبالتالي خلو الوالد عنه.

وكما عبر كثير من النصارى عن الابن بأنه صفة الكلمة (العلم) فوجب عليه أن يكون الأب جاهلا ،كما يستلزم هذا القول حدوث الصفات .[4]

ومن صور التناقض أيضا في الأمانة تناقضها في موجب غفران الذنوب، هل هو بالتغطيس كما في الأمانة " التغطيس هو غفران الذنوب " أم بالصلب جاء في الأمانة أيضا " ومن أجل خلاصنا نزل من السماء " ، وأن نزوله كان لتحمل خطايا البشر فأحد الفعلين (الصلب والتغطيس)، نوع من العبث لا طائل منه .[5]

الأمانة في ضوء العقل

ومن عجائب الأمانة أنها تفرق بين المتماثلات، وتسوي بين المختلفات :-

فأما تسويتها بين المختلفات:فهو الخلط الذي تجده في الأمانة بين الناسوت واللاهوت الذي اتحد بالناسوت (الابن).

فالأمانة تعتبر :" المسيح ابن الله الواحد... ولد من أبيه قبل العوالم... ليس بمصنوع.. خلق كل شيء... نزل من السماء ..." فهذا كله إنما يراد به الابن أو اللاهوت المتجسد ،لكن تتابع في حديثها عن المسيح فتقول:" المسيح... صار إنسانا ،وحملت به مريم، وولد.. وصلب ودفن وقام في اليوم الثالث ". فالحديث هنا عن ناسوت المسيح المتأله.

وبسبب هذا الخلط تساءل أصحاب الردود كيف يخلق المسيح أمه وهي سابقة عليه في الوجود كما هو حال كثير من المخلوقات؟[6]

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٣/ ٦٠.

(٢) انظر: رد الوراق. الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢٠١ ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ٨١ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٥٧ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١١٣.

(٣) انظر:الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص٧٠.

(٤) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١١٣.

(٥) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص١١٧.

(٦) انظر: رد الباجي على راهب فرنسا ص ٨٣-٨٤ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٣-١١٤ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢٩٣/٢ ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ، عبد

وعند طرحهم لهذا السؤال فإن أصحاب الردود الإسلامية كانوا على علم بأن النصارى تنسب الأفعال اللاهوتية للابن ولا تنسبها لجسد المسيح الذي تقول النصارى بحدوثه.

لكن أصحاب الردود الإسلامية أرادوا بذلك إيضاح الخلط الكبير والزلل الذي وقع به واضعو الأمانة ،ومثل هذا لا يقبل في شريعة إيمان عليها مدار الإيمان وأصله.

ومثله التساؤل الذي طرحه بعض أصحاب الردود :لماذا لا تقر النصارى بأن الذي صلب هو الذي ولد كما في الأمانة ؟ و لم لا يقولون بصلب اللاهوت وموته .[1]

ومثل هذا التخبط أيضا يظهر في عدم تفريق الأمانة بين النازل من السماء المتجسد وبين الجسد الأرضي " المسيح ابن الله.. نزل من السماء ،وتجسد من الروح القدس، وصار إنسانا، وحملت به مريم ،وولد من مريم البتول "، فالمفترض أن النازل هو الكلمة ،والمولود والمصلوب هو الناسوت.

وهذا الخلط لا يوصم به – في هذه المسألة –فرقة اليعقوبية، لأنها تعتبر الابن الأزلي هو المولود والمصلوب.. ولذلك يعتبرهم الحسن بن أيوب أقرب إلى الأمانة من سائر فرق النصارى.[2]

وأما تفرق الأمانة بين المتماثلات:فيتضح من خلال تفريق الأمانة بين الابن وروح القدس، وكلاهما من الصفات. عند من يعتبر الأقانيم صفات... فالأمانة تصف المسيح بأنه ابن الله، ولا تصف الروح القدس بذاك، كما لا تقول بولادة من الله ،ولا تسمى الأمانة المسيح روح الله.

ثم تقول الأمانة عن روح القدس أنه" منبثق من الله "، بينما تعتبر المسيح ابنا،و الانبثاق في الكلام أظهر منه في الحياة (روح القدس).

كما يلحظ شيخ الإسلام على كلمة " منبثق " ملحظا آخر هو أن الانبثاق يعني التجزئة والتبعيض. ثم لا يمكن أن يكون روح القدس صفة الله، لأنه منبثق عنه، وحياة الله ليست منبثقة عنه .[3]

والأمانة تخالف المعقول في عدد من المسائل:-

منها: أن الأمانة تصف المسيح بأنه " تجسد من روح القدس " وهذا القول يقتضي أن المسيح ابن الروح القدس وليس لله كما يزعم النصارى ،فلم نسبوه لله ؟ ويتساءل القرافي كيف تجسدت الكلمة من روح القدس، وهو لم يأته قبل التعميد فكيف يقال تجسد حينذاك، والجسد موجود قبل ذلك؟ثم كيف يتجسد روح القدس وهو عند هؤلاء صفة الله .[4]

كما يلزم التبعيض والتجزيء على الأمانة حين تقول " صعد إلى السماء ، وجلس عن يمين أبيه "

الله الترجمان ، ص ٩٧ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٥ ب.

(١) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/٣١١ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٣٧٤-٣٧٨ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٧٢ ، ٧٤.

(٢) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٨ ، ٣ ، ٣٤١ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٥ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٥١أ.

(٣) انظر: النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٩٥ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ١/ ١١٤-١١٥ ، ٢/ ١٥٩ ، ٣/ ٥٩.

(٤) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٥.

فالجالس هو اللاهوت المتحد بالناسوت، فالاتحاد ما زال قائما، وهذا الجالس على اليمين مغاير للاهوت غير المتحد ومنفصل عنه، وغايته أن يكون مماسا له، وهذا هو التبعيض والتجزيء الذي لا يطرأ إلا على الحوادث .[1]

وينكر السعودي على الأمانة زعمها بأن المسيح جلس في السماء عن يمين أبيه بعد أن صعد إلى السماء. فهذا زعم لا دليل عليه ،إذ لم يره أحد من النصارى ،و لم يرد له ذكر حتى عند أصحاب الأناجيل الذين غاية ما ذكروه أن المسيح صعد إلى السماء (انظر يوحنا ٢/١٧-١٨).[2]

ومن خلال هذا العرض نرى إغفال علمائنا لعدد من المسائل أهمها: قول الأمانة " ودفن وقام في اليوم الثالث من بين الموتى مثل ما كتب بذلك الأنبياء " إذ لم يرد مثل هذه الدعوى في كتب الأنبياء.

كما أغفلوا الحديث عن قيامة الأبدان والحياة الدائمة إلى أبد الآبدين والعودة الثانية للمسيح وكذا أن روح القدس به يتكلم الأنبياء ؟،ولعل سبب إغفالهم لبعضها أن هذه المواضع ليست موضع نزاع بين المسلمين والنصارى.

كما نقد أصحاب الردود الإسلامية الأمانة في مواطن عدة ذكرت في مواضعها في المبحث كالقول بأن الله جوهر، أو أن المسيح صلب، أو قام في اليوم الثالث من موته، أو أنه سيقضي بين الناس في يوم القيامة، إضافة إلى الحديث عن التجسد والاتحاد ،وكل ذلك مبثوث في مواضعه.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ١٥٧٨.

(٢) انظر: المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٥٣أ ، والصحيح أن جلوس المسيح عن يمين الأب ذكر في مرقس (١٩/١٦) ، لكن هذه الجملة من الجمل الملحقة بمرقس غير موجودة في المخطوطات القديمة انظر: التوراة والانجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ترجمة :حسن خالد ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤١٠هـ ، ص ٨٦-٨٧.

المطلب الثالث: نقد أدلة التثليث

يزعم النصارى أنهم قالوا بالتثليث وذهبوا إليه لأن النصوص جاءت بذلك في مواضع عدة منها ما جاء في سفر التكوين " لنخلق خلقا على شبهنا ومثالنا " (انظر التكوين ١/٢٦)، فاستخدم صيغة الجمع للدلالة على تعدد أقانيمه، كما أن شبهه ومثاله هو كلمته وروحه.

ومنها أيضا ما جاء في التكوين عن إبراهيم " أنه كان يوما قاعدا عند باب فسطاط له، وأبصر ثلاثة رجال واقفين على مقربة منه ،فجرى إليهم وسجد ،وقال :يا سيدي إن كنت راضيا عني، فلا تخلف عبدك، حتى أسوق ماء تغسلون به أرجلكم وتستريحون تحت هذه الشجرة، وأقدم لكم كسرة تقوون بها قلوبكم، وبعد ذلك تذهبون " (انظر التكوين ١٨/١-٥) فقد سجد إبراهيم للثلاثة ،وخاطب واحدا .

كما استدلوا بقول الله لموسى حين ناجاه قائلا :" أنا إله إبراهيم ، وإله إسحاق ، وإله يعقوب " (الخروج ٣/٦).

بينما لاحظ أصحاب الردود الإسلامية أنه كما خلت التوراة من ذكر التثليث فقد خلت الأناجيل، حيث لم يرد فيها سوى نص واحد[1] استدلت به النصارى ،وهو ما ورد في متى المسيح قال لتلاميذه قبل صعوده إلى السماء: " اذهبوا إلى جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب، والابن، وروح القدس ". (متى ٢٨/١٩)[2]

ويعتبره شيخ الإسلام عمدة القوم على الأقانيم الثلاثة .[3]

ولا تستدل النصارى بالعقل على صحة التثليث، بل يهرب من ذلك بعضهم، ويرى أن التثليث " فوق العقل ".[4]

في حين استدل آخرون بعموم قدرة الله على كل شيء، ويرون أن العقل لا يرى مانعا من أن يجعل القادر على كل شيء ثلاثة أقانيم، وإلا لزم وصفه بالعجز، وهو ما يليق بالعبيد فحسب.

وقد فاتهم أن قدرة الله إنما تتعلق بالممكنات لا بالمستحيلات، التي لا يتعلق بها قدرة أو عجز .[5]

---

(١)أما ما جاء في رسالة يوحنا قال: " فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب ، والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد " (يوحنا (١) ٥/٧) فهذا نص ملحق لا وجود له في المخطوطات والتراجم القديمة كما سيتبين لنا في حينه ،وأقدم ذكر له يعود للقرن السادس عشر الميلادي، ولهذا السبب خلت منه الردود الإسلامية.

(٢)انظر: تصوير استدلال النصارى بهذه النصوص في رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣١٧ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/١١٨ ، ١٣٠-١٣٢ ، على التوراة ، الباجي ، ص ٢٥-٢٦ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٤٤-٢٤٥ ، **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام** ، **القرطبي**، ص ٦٧، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٣٣ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٢٧-٢٨ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ، ص ٢٦ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٢٣٠-٢٣٩.

(٣)انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١٣١.

(٤) انظر: التمهيد ، الباقلاني ص ١٦٥ ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٩١.

(٥) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٢٨.

وقد نقد أصحاب الردود الإسلامية النصوص التي أوردها النصارى في استدلالهم علـــى التثليـــث، وكان منهجهم في نقدها أن يمنعوا صحة الاستدلال بهذه الكتب بادئ ذي بدء.

كما أنه ألزموا النصارى إثبات صحة الترجمة العربية ودقتها، ثم ألزموهم إثبات صحة المعنى الـــذي ادعوه.

وعندما تنـــزل أصحاب الردود الإسلامية مع النصارى تنـــزل الخصم، وغضـــوا الطـــرف عـــن وضعية هذه الكتب درسوا استدلالات النصارى وجدوها مليئة بالتعسف والتكلف، ورأوا النصـــوص لا تشير إلى التثليث إلا على وجوه بعيدة متكلفة.

كما وجدوا أن هذه النصوص – والتي لا يرقى بعضها لأن يعتبر مشكلا – معارضة بكثـــير مـــن النصوص الموحدة الصريحة والقوية في دلالتها على التوحيد.

فبين أصحاب الردود الإسلامية المعاني الصحيحة لهذه النصوص المشكلة، وأبطلوا تأويلات النصارى وتكلفهم في الاستدلال، وطبقوا ذلك على سائر هذه النصوص، فقد كذب شيخ الإســـلام ورود نـــص التكوين بالصورة التي ذكرها النصارى " لنخلق خلقا على شبهنا ومثالنا " واستند إلى ما جاء في ترجمـــات أخرى وفيها " نصنع آدم كصورتنا شبهنا " أو " نختلق بشرا على صورتنا وشبهنا" .[1]

وفائدة استبعاده للترجمة المتداولة عنده الخلوص من لفظة: "مثالنا"[2].

وقد أورد ابن حزم والقرافي النص خاليا من كلمة " مثالنا "،وشككا في لفظة " شبهنا "،واعتبراهـــا من الكذب المضاف إلى النص، وقال ابن حزم بأن المثلية والشبه " معناهما واحد "، وكذا رفض البـــاجي صيغة النص، واعتبره نصا كاذبا، أو عدل فيه عن اللفظ الحسن إلى لفظ موهم لا تليق نسبته لله[3].

ويفرق شيخ الإسلام بين المثلية والشبه، ويرى أن الشبه يكون في بعض الوجوه دون بعـــض ،ولا يقتضي ما يقتضيه التماثل من الاشتراك في الأحكام كالجواز والامتناع، كما لو قيل هذا حي عليم قـــادر، وهذا حي عليم قادر تشابها في الاسم، و لم يوجب ذلك المماثلة في المسمى، بل هناك قدر مشترك، وهـــو معنى كلي، ثم لكل من المشتركين خصوصيات، فعلم العبد مغاير لعلم الله، وحياة الله الأزلية لا تماثل حيـــاة المخلوق، وكذا القدرة.أما المغايرة بين المتشابهين فهي واضحة.

وهذا النص لا يصلح دليلا على التثليث، لأن النص ورد في آدم، وليس فيه مـــا يخـــص المسيـــح بشيء، وهو يشبه قول النبي صلى الله عليه وسلم " إن الله خلق آدم على صورته ".[4]

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٢٣٥.

(٢) لم ترد هذه اللفظة في الترجمات الحديثة.

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ١١٨ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القـــرافي ، ص ١٤٧ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧١ ، على التوراة ، البـــاجي ، ص ٢٥-٢٦.

(٤) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٢٣٥ ، والحديث رواه الإمام مسلم في صحيحـــه ، برقم : ٢٦١٢في ٢٠١٧/٤ ، وابن حبان في صحيحه برقم:٥٦٠٥ في٤١٩/١٢ .

ويفسر الخطيب النص التوراتي بأن معناه " نصنع آدم على صفتنا أي حيا عالما قادرا مريدا..." .[1]

واستدلال النصارى بورود النص بصيغة الجمع على أن المراد منه تثليث الآلهة استدلال غير صحيح ،لأن استخدام صيغة الجمع للواحد أمر معروف في سائر اللغات يراد منه التعظيم والتفخيم، فيطلق على الواحد المطاع العظيم بصيغة الجمع.

استدلال النصارى على التثليث بهذا النص يشبه ويماثل ما قاله نصارى نجران حينما احتجوا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ورد في القرآن ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر ﴾[2]

فوصمهم الله عز وجل بترك المحكم واتباع المتشابه ابتغاء الفتنة.[3]

وثمة أمر آخر يجعل النص التوراتي غير صالح للاستدلال هو أن النص بمفهومه التثليثي يتعارض مع ما تقوله أمانة النصارى التي نسبت الخالقية تارة لله، وتارة للابن، و لم تنسب شيئا للمجموع.

وأما سجود إبراهيم للثلاث ومخاطبته للواحد فهو أيضا لا دلالة فيه، فابن حزم يعتبره من الكذب كسائر ما في الكتب المقدسة عندهم، ويرفض الخطيب هذا الاستدلال أيضا لأنه اعتبره من الكذب حيث قال بوجود تحريف في الألفاظ لا تقره اليهود الذي نزل عليهم .[4] قلت: بل اليهود يقرونه ولا ينكرونه، وهو في توراتهم العبرانية. ويصر الخزرجي وابن حزم - إن غض الطرف عما في النص من فضائح وكذب، وسلم بصحته - يصران على أن المقصود من النص :ملائكة حلوا ضيوفا على إبراهيم، والقول بأن الذي حل ضيفا على إبراهيم هو الله غاية في القبح والكذب .[5]

وعلماؤنا لم يذهبوا إلى اعتبار ضيوف إبراهيم من الملائكة موافقة لما في القرآن الكريم فحسب، بل أن النص محال أن يقصد سوى ذلك، أو من السخف كما يرى الخزرجي القول بأن المراد هو الله، لأن في النص ما يحيل ذلك كما في غسيل إبراهيم لرجليه، وأنه قوى قلب ضيفه بكسرة خبز، وهي ما وصفها ابن حزم بأنها " التي لا سوي لها، ولا بقية بعدها، والتي تملأ الفم ".[6]

وأيضا في النص أمور أخرى لا تتفق ومعتقدات النصارى منها القول بشخوص ثلاثة ،ومنها أنهم أكلوا الخبز والشوى والسمن واللبن، ومنها جهله بمن في الخباء، وسؤاله إبراهيم عمن فيه، ومنها تكذيب سارة لمن زعموا ألوهيته عندما سأل إبراهيم عن سبب ضحك سارة، فأنكرت أنها ضحكت.[7]

---

(١) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧٢.

(٢) سورة الحجر ، آية:٩

(٣) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٢٣٥.

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ١٣٠ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧٢.

(٥) يصح قول علمائنا بأن المقصود في النص هم الملائكة ، فقد جاء النص في التوراة السامرية وفيه: أن ضيوف إبراهيم كانوا من الملائكة.

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ١٣١ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٤٥ ، ومنظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ، ص ٢٦.

(٧) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ١٣١-١٣٢.

(انظر التكوين ١٨/٦-١٥).

وأما قول الله لموسى:" أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب " (الخروج ٦/٣).فلو أريد بلفظ: " إله إبراهيم " الأقنوم الأول، و" إله إسحاق " الأقنوم الثاني، و" إله يعقوب " الأقنوم الثالث لكان كل أقنوم من الأقانيم مختصا بربوبية نبي من الأنبياء، وباقي الأقنومين ليسا بإلهين له، وهو كفر عندهم وعند غيرهم.

والعطف يكون تارة لتغاير الذوات، وتارة لتغاير الصفات، وهنا في النص تغاير صفات، وفائدة هذا التكرار الدلالة على أن كلا من الأنبياء الثلاثة قد عبد الله عز وجل.

والقول بتعدد الأرباب لا تقره النصارى، والاستدلال بهذا النص على التثليث يفيد التعدد لا محالة.

ومثل هذه الصياغة معهودة في كلام العقلاء، كقول الرجل: هذا أمير كذا، وأمير كذا، وأمير كذا، وهو أمير واحد، ومثله كثير في القرآن الكريم، وكتب القوم، ولا دلالة فيه على ما زعموا البتة .[١]

ومن استعراض هذه النصوص يثبت أن عقيدة التثليث غير موجودة في التوراة، وهذا وحده يكفي لإلقاء ظلال الشك في أصالة هذه العقيدة التي يقر النصارى بعدم وجود نص صريح لها في التوراة، ونرى أنه لا وجود لنص صريح أو غيره في الدلالة عليها .[٢]

لكن العجب في النصارى يزداد لعدم ورود هذا المعتقد في الأناجيل سوى ما ورد في متى، فكان القشة التي تعلق بها النصارى.

ولكن وجود هذا النص لا يكفي للدلالة على عقيدة التثليث، ليس لأنه نص وحيد فحسب، بل لأمور منها عدم تسليم سائر النصارى بهذه الدلالة، فأريوس وأتباعه الذين يسلمون بصحة هذا النص لا يسلمون ولا يقرون بعقيدة التثليث، فدل ذلك على احتمالية دلالة النص،وأمر كهذا لا تثبت به عقيدة بمثل مرتبة التثليث .

ثم على عادة علمائنا تعاملوا مع النص بواقعية يفرضها الحوار والجدل، فسلموا جدلا بصحة هذا النص رغم انفراد متى به، وكونه وحيدا لا مثيل له في الأناجيل الأربعة إضافة إلى تأخره في دعوة المسيح حيث قاله المسيح لأتباعه بعد الصلب المزعوم والقيامة، وقبيل صعوده إلى السماء، ولم يرد لمثله ذكر طوال حياة المسيح ودعوته.

غض أصحاب الردود الإسلامية الطرف عن ذلك كله، وبحثوا عن موضع الدلالة فيه على التثليث، فوجدوها أوهى من بيت العنكبوت، ولفهم النص استخدموا ما يسمى في الفكر الإسلامي بالتفسير بالمأثور ،فتتبعوا ألفاظ: " الآب " و " الابن " في أماكن ورودها في الكتب المقدسة ،ونظروا في معانيها، فوجدوها تطلق على معاني لا تخرج عن ربوبية الله الأب الذي يرحم ويسدي نعمة على عباده المؤمنين الطائعين، والذين منهم عيسى ولا ريب.

وأما لفظة روح القدس، فوجدوها تطلق على معنيين متكاملين: الأول: جبريل عليه السلام. والثاني: الوحي والهدي والتأييد الذي يترله الله بواسطة الملك أو غيره على الأنبياء والصالحين، ومنه قول

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٢٣٩-٢٤٢.

(٢) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣١٧ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١٣٤.

داود: " روحك القدس لا تنـــزع مني " (المزمور ٥١/١١) وقوله " واسكب روحي على كل قديـــس " (يوحنا ٢/ ٢٨). [١]

وهذا المعنى هو الذي ورد أيضا في القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿ أولئك كتـــب في قلوبهـــم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾[٢]

وبناء على ما تقدم وجه أصحاب الردود الإسلامية النص إلى معان أخر مقبولة عند المسلمين، يقول الخطيب السكندري في معناه " أن يدعو الناس باسم الله وباسم المسيح وباسم الملك الذي أيده بـــه هـــو وروح القدس، فجمع الثلاثة في اسم الدعوة، ويكون معناها في الدعوة مختلف، فيكون الباري عز وجـــل هو المعنى بأنه الرب المعبود، ويكون روح القدس هو المعنى بأنه المرسل إلى عيسى من عند ربه، ويكـــون عيسى معنيا بأنه الرسول إلى الخلق بجامع الثلاثة في اسم الدعوة، إذ كانوا جميعا بها آمرين " .[٣]

ويقارب هذا المعنى المعنى الذي قاله الحسن بن أيوب ثم قاله شيخ الإسلام : " مـــروا النـــاس أن يؤمنوا بالله ونبيه الذي أرسله، وبالملك الذي أنزل عليه الوحي الذي جاء به، فيكون ذلـــك أمـــرا لهـــم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله " .[٤]

وتفسير الألفاظ على هذا النحو بتتبعها في مواضع ورودها " تفسير ظاهر ليـــس فيـــه تكلـــف، ولا هو من التأويل " ، وهو " يوافق سائر ألفاظ الكتب التي عندهم "، وهو أيضا " أولى من تفسيره بمـــا يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول " .[٥]

ويفسر القرطبي والخطيب نص متى بمعنى أوضح ، وهو: " أن يجمع لهم بركات من ذكر ".[٦]

ويطرح القرطبي معنا آخر للنص، لكنه بعيد ولا يراعي معاني الألفاظ كما جاءت بها النصـــوص المختلفة ،وهذا المعنى هو أنه " أراد بالأب هنا الملك الذي نفخ في مريم أمه الروح، إذ نفخه سبب علـــوق أمه، وحبلها به، وأراد بالابن نفسه...." .[٧]

ويبقى أوضح المعاني وأكثر قبولا هو القول بأن المراد بالنص البركة، وهذا المعـــنى مقبـــول عنـــد النصارى، فهو كقولهم عند إرادة الدعاء لأحد " اسم فلان النبي معينك على أمورك، وصـــلاة القديـــس تكون معك، تريدون بذلك البركة لمن تدعون له ".[٨]

وبالنظر في الأدلة النصرانية التوراتية والإنجيلية يتبين لنا مقدار التعسف الذي أراده النصارى مـــن

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٩٧-٩٨ ، ١٢٤ ، ١٣٢.

(٢) سورة المجادلة ، آية: ٢٢.

(٣) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧٢.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٩٨ ، وانظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣٤٣.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٩٩.

(٦) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧٣ ، وانظر: الإعلام بما في دين النصارى مـــن الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٦٤.

(٧) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٦٤.

(٨) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧٣ وهذه الصيغة لا يقرها المسلمون كمـــا لا يخفى.

هذه النصوص، فقد أرادوها أن تدل على ما لا دلالة عليه.

ثم يدعى سائر البشر للإيمان بعقيدة قامت على مثل هذا التكلف الذي لم نجد له مثيلا حتى عند حديثنا عن أدلة الحلول والاتحاد النصية.

ولعل مرد ذلك هو أن النصوص التوراتية والإنجيلية سابقة لعقيدة التثليث بقرون عدة، بينما كانت نظرية الحلول وألوهية المسيح مزامنة لكتابة الأناجيل، بل ولربما سابقة لصيغتها الأساسية.

وهذه الاستدلالات النصرانية المتهافتة في موضوع التثليث تقابل بنصوص كثيرة مصرحة بالتوحيد، جلية فيه.

نصوص التوحيد في التوراة

اهتم أصحاب الردود الإسلامية بالنصوص الموحدة الكثيرة المبثوثة في التوراة والإنجيل لقوة دلالتها، وساقوها لإبطال عقيدة التثليث[1] منها ما جاء في الوصايا العشر لبني إسرائيل ففي أولاها " أنا الله ربكم الذي أخرجتكم من أرض مصر، من بيت العبودية، لا يكون لكم إله غيري " (الخروج ٢٠/٢). وجاء في التوراة أيضا " أنا الرب إلهك فلا تعبد إلها غيري، ولا تشبه بي شيئا مما في الأرض، ولا مما في السماء، ولا مما تحت الماء " (قارن الخروج ٢٠/٣).

وقال موسى لبني إسرائيل " اسمعوا يا بني إسرائيل، الله ربنا إله واحد " (متى ١٢/٢٩). ، وجاء في نبوة إشعيا " قال إله إسرائيل: أنا الأول، وأنا الآخر، وليس غيري " (إشعيا ٤٤/٦)، ومن ذلك أيضا ما جاء في متى " أن رجلا قال للمسيح أيها الخير، فقال له المسيح: لم سميتني: الخير؟ ليس الخير إلا الله وحده " (متى ١٩/١٧)، وكذا قول يوحنا " أن المسيح رفع بصره إلى السماء، وتضرع إلى الله وقال: إن الحياة الدائمة تجب للناس أن يعلموا أنك أنت الله الواحد الحق، وأنك أنت أرسلت يسوع المسيح " (يوحنا ١٧/٣)، ولما جرب الشيطان يسوع وقال له: " اسجد لي أعطك ملك الأرض، قال له يسوع:اذهب عني يا شيطان، إن الله أمر في التوراة أن لا يسجد لغيره، ولا يعبد إلها سواه "(متى ٤/١٠، ولوقا ٤/٨) وقال المسيح لليهود " أنتم تفعلون أفعال أبيكم. فقالوا :إنا لم نكن من زنا، وما لنا إلا أب واحد، وهو الله وحده، فقال لهم المسيح: لو كان أبوكم كنتم تحبيونني ، لأني من عند الله خرجت وجئت " (يوحنا ٨/٤١-٤٢).

والتوحيد معتقد تلاميذ المسيح وتلاميذهم، فهاهم عن بولس ينقلون " الله ملك العوالم والدهور الذي لا يفسد ولا يرى، وهو الله وحده، له الكرامة والمجد إلى أبد الآبدين" (تيموثاوس (١) ١/١٦-١٧).

وعند المقارنة بين أدلة التثليث ونصوص التوحيد في الكتب المقدسة عند النصارى يظهر جليا أصالة التوحيد في النصرانية التي أنزلها الله، ويظهر بدعية التثليث والشرك الذي ظهر في مرحلة لاحقة، ثم بحث النصارى عما يسنده من النصوص الكتابية .ويظهر من ذلك كله أن لا دلالة على التثليث من كلام عيسى ولا غيره، كما لم ترد هذه العقيدة في كتب الأنبياء، ولو كانت صحيحة وأصيلة لأطبقت على ذكرها كما أطبقت على ذكر التوحيد .[2]

والسؤال الذي يطرح نفسه من أين وردت هذه العقيدة على النصارى وقد كانت مجهولة في أيام المسيح وأيام تلاميذه ؟

---

(١) انظر: الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ٧٨ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٨ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٥٨-٦١ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود في الرد على النصارى واليهود ، ص ٢١ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٥٤ب.

(٢) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣١٧ ، التمهيد ، الباقلاني ، ص ١٦٥ ، تثبيت دلائل النبوة ، القاضي عبد الجبار ، ص٦٩ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٤ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٠٦.

لم يشغل هذا السؤال أصحاب الردود كثيرا لأنه لا يؤثر في اتجاهات الرد على النصارى بعـــد أن أثبتوا عدم أصالة هذا المعتقد،لكن القرافي اعتبر بولس " هو أصل القول بالتثليث برأيه الخبيـــث " [١] ،و لم يقدم دليلا على ذلك سوى ذكر بعض التحريفات التي أدخلها بولس على النصرانية، ووثوق النصارى بـــه واتباعهم لرأيه.

(١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٢٤.

المطلب الرابع: نقد تفسيرات النصارى للأقانيم

يؤمن النصارى بالله والابن و روح القدس، والأب عندهم هو الله، والابن عندهم هو الأقنوم الثاني المتحد بجسد عيسى، والأقنوم الثالث هو روح القدس.

وتختلف الفرق النصرانية في تحديد ماهية عناصر التثليث الثلاث، هل هي أشخاص أم ذات وصفات، أم خواص أم سوى ذلك؟

وهذا الخلاف وحده مؤذن ببطلان نظرية التثليث، وبيان حقيقة ما ترتكز عليه فهي لا تستند على نقل ولا يسلم بها عقل.

ويرى الجعفري أن للتثليث صيغا ثلاثا مفترضة لا يخرج عنها:-

١)أن يكون الثلاثة آلهة، وهو ما يقول به بعض النصارى وتقتضيه ألفاظ الأمانة وإن زعمت أنهم جوهر واحد حيث يقول هؤلاء بأن الأقانيم أشخاص " يومأ إليها ، ويقع عليها الحد " ووفق تعبير الكندي " أشخاص بجوهر واحد، كل منها موجود في خاصته ".

٢)أن الجميع إله واحد ،والواحد من الثلاث ليس بإله، ولا يقول بهذا أحد من النصارى.

٣)القول بإله واحد، والباقي صفات له أو خواص له .[1]

وهذه الصيغة يرتضيها المسلمون إن بقيت في إطارها المنطقي السليم .

والصيغة الأولى التي تعرف الأقانيم بأنهم أشخاص أصدق الصيغ في التعبير عن حقيقة الثالوث النصراني، وهي لازمة لكل من قال بالأمانة، إذ هي موافقة لها، فالأمانة تفرق بين الأب والابن وروح القدس، وتقول بانفصال الابن عن الأب وتجسده في بشر، ثم جلوسه عن يمين أبيه، وتسند له أفعالا مغايرة عن أفعال أبيه، وتسميه جوهرا مساو لجوهر الأب، ولا يساوي الجوهر إلا جوهر آخر، فلزم تعدد الآلهة.[2]

وهذه الصيغة تواجه بسائر ما ذكرنا من النصوص الموحدة التي تمتلئ بها الكتب المقدسة.

ونبه أصحاب الردود الإسلامية إلى أن من يقول بأن الأقانيم أشخاص يلزمه التشبيه والتجسيم، ويرى الوراق بأنه لا فرق بين القول بأن الأقانيم أشخاص أو أشباح أو أجسام ،والقول بالجسمية مفض إلى القول بالحدوث.[3]

وينطوي القول بثلاثة أشخاص مع القول بوحدة الإله على خطأ رياضي جسيم، إذ هو يجعل

---

(١) انظر: الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ٧٨ ، رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣٥٢ ، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ،عبد المجيد الشرفي ، ص ٢١٢ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٥٧ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ص ٨٧ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٤٥ب.

(٢) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ص ٨٧ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١١٧.

(٣) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢٠٧-٢١٢.

الثلاثة واحد، وهذا لا يكون إلا مع القول بالتركيب كما في قول من مثل لوحدة الأقانيم بالنوع الـــذي يندرج تحته آحاد متفرقة ، فالإنسان مثلا يندرج تحته محمد وزيد وخالد ، وهم واحد بـــالنوع. والقـــول بالتركيب ينافي الأزلية .[1]

وينقد الكندي أيضا هذه الصيغة بطريق آخر، فالأقانيم عندهم أشخاص بجوهر واحد، وكل منـــها موجود بخاصته التي يخالف فيها الأقنومين الباقيين، فكل منها مركب من مشترك وخاص، مركـــب مـــن الجوهر الذي عم الأقانيم والخاصة التي خصته دون سائر الأقانيم، وكل مركب معلول، وكل معلول ليس بأزلي، فإذا لا الأب أزلي ولا الابن ولا الروح القدس ، ثم تقول النصارى عنهم بأنهم أزليون، فهذا مـــن أشنع المحال .[2]

ويرى الحسن بن أيوب وغيره من أصحاب الردود أن هذه الصيغة تفضي إلى تسلسل الأقـــانيم إلى ما لا نهاية يقول الجعفري " أتثبتون كل واحد في التثليث إلها حقيقة أو مجازا ؟

فإن ادعوه حقيقة قلنا لهم: أتجوزون خلو الإله الحقيقي عن الحياة والعلم أم لا؟

فإن قالوا: نعم. قلنا: فلا حاجة إلى الأقانيم، إذ الإله مستغن عنها.

فإن قالوا: لا بد للإله أن يكون حيا عالما. قلنا: فيجب وصف كل واحد من الأقـــانيم بالحيـــاة، وحينئذ يصبح التثليث تسبيعا ،إذ حياة كل واحد من الأقانيم وعلمه قنومان له ،ثم كل واحد من الأقـــانيم (السبعة)...إن كان إلها حقيقة وجب أن يكون حيا عالما، وتسلسل إلى غير نهاية ".

ويرى ابن تيمية أن الكفر الذي يرد في هذه الصيغة أكبر من الكفر الذي يـــرد علـــى الثنويـــة، لأنه يثبت من الآلهة أكثر مما يثبته الثنوية .[3]

وقد يؤخذ على المسائل التي أوردها الكندي ما يؤخذ على الاستدلالات المنطقية في عدم تســـليم الحد الأوسط ولزوم إثباته.

وأما الصيغة الثالثة وهي القول بإله واحد و أقنومين صفتين له أو خاصتين لتلك الـــذات الـــتي لا تقبل التبعيض. فهذا القول دون القول السابق في نكارته. ولو كان عرض النصارى له ضمن ما يقتضيـــه المنطق السليم لما كان لعلمائنا سوى ملاحظة واحدة تتعلق بعدم وجود دليل على حصر الصفات بثـــلاث كما لا دليل على أن الابن والروح القدس من صفات الله.

وأول نقد يتوجه لهذه الصيغة إنكار التسميات المبتدعة الموهمة لصفات الله والتي لم يرد شيء منـــها حتى في كتب النصارى المقدسة.

فالابن في سائر أماكن وروده في الأسفار النصرانية يطلق على العباد والصالحين ،والروح القـــدس يطلق على ما يحل في الأنبياء وما يؤيدون به من الله.و لم يرد في شيء من الكتب اعتبار الابـــن صفـــة لله

---

(١) انظره: في رد الكندي .الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢٠٨ ، ٢١٠.

(٢) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٣) الرد على النصارى ، الجعفري ، ص ٧٨ ، ما بين القوسين في المطبوعة (التسعة) ، انظر: رسالة الحسن بن أيـــوب ، ٢/ ٣٥٢ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، ص ٥٧ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القـــرافي ، ص ١١١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٣/ ٥٤.

ولا الروح .[1]

ولا يعتبر القرافي هذا الإطلاق من الكفر، ولكنه يحذر من هذا الإطلاق لأنه لا دليل عليه إضافة إلى أنه موهم بالحدوث للابن والولاد لله عز وجل ،فلفظ الأبوة والنبوة ألفاظ عرضية تفيد معاني محدثة، فكيف تطلق على الأقانيم الإلهية الأزلية التي لا مجال فيها للحدوث والأعراض ؟[2]

ولفظ الأبوة والنبوة إما أن يريد به النصارى الحقيقة أو المجاز، والقول بأنها على الحقيقة يفيد الأبوة والبنوة المعتادة عند سائر الحيوان، وهذا لا يقوله أحد .والقول بأنهما على المجاز أيضا مردود لأنه لا يجوز إطلاق اللفظ إلا بجامع بين الحقيقة والمجاز .[3]

ثم هذا اللفظ الموهم جعل بعض النصارى يعتقدون أن بنوة المسيح بنوة حقيقية، وأن مريم هي زوجة الله جل وعلا، وهو ما أنكره القرآن بقوله ﴿ يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾[4] وسمى ابن البطريق الملكي هذه الفرقة (المريمانية)[5] .

ولإظهار نكارة إطلاق ألفاظ النبوة والأبوة وقبح هذا الاستعمال يطلب شيخ الإسلام من النصارى أن يسموا مريم زوجة الله وصاحبته، ثم ليتأولوها كما تأولوا الولاد، وليقولوا الأب أب للاهوت دون الناسوت، ومريم أم للناسوت دون اللاهوت.[6]

وقد أدرك أصحاب الردود الإسلامية أن النصارى يعنون بالنبوة والأبوة ولادا غير حقيقي (غير حيواني) وأنهم يقولون بولادة لاهوتية -كما أسمتها النصارى- ولكن هذه أيضا تقضي بانفصال جزء من اللاهوت عنه، وهو منكر ومستلزم نقص الإله كما هو مستلزم التبعيض والتجزيء، وإلا فلا ولاد ولا بنوة ولا أبوة، و لم يرد في شيء من كتب النصارى القول بتولد الصفات الإلهية عنه.[7]

ويرفض القرافي تشبيه بعض النصارى استعمالهم لهذه الألفاظ الموهمة بما ينسبه المسلمون لله عز وجل من صفات لا تشبه صفات المخلوقين وإن اتحدت التسميات ،إذ المسلمون أطلقوا هذه الصفات على الله عز وجل بعد ما قام الدليل القطعي على أن الله سمى ووصف بها نفسه، فقد نقلنا ذلك عنه من كتابه الكريم الذي نقل إلينا بالتواتر، وأما تسميات النصارى فلا دليل عليها أصلا في كتبهم الذي تحتاج

---

(١) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣٢٢ ، ٣٤٢ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥٠ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٩٩ ، ١٢١ ، ١٣٤ ، ١٥٧.

(٢) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ٣٥ ، ٤٢ ، رد الحسني .الفكر الإسلامي في الرد على النصارى عبد المجيد الشرفي ، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ص ٦٨.

(٤) سورة المائدة ، آية: ١١٦.

(٥) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٣/ ٢٢ ، ٤٣.

(٦) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٩٦ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١٢٩.

(٧) انظر: النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٥٧ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٩٧ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١٥٧-١٥٨.

هي أيضا لدليل يثبت صحتها وقداستها .[1]

وحصر النصارى الأقانيم (الصفات) بثلاث لا دليل عليه، وقول بعضهم أن الثلاثة أتم الأعداد، لأنها تجمع بين الفرد والزوج، فوجب الله أن يكون كذلك. فمثل هذا القول لا يرقى لأن يعتبر دليلا في إثبات مثل هذه المسألة.

وابن حزم يرد هذا القول بوجوه عدة منها:-

-أن الباري علا و جل لا يوصف في باب الإضافة بكمال وتمام، فهذا يوصف به من يطرأ عليه العجز وينزاح بما أضيف إليه.

-كل الأعداد التي بعد الثلاثة أكمل أتم، لأنها إما أن تجمع زوجين أو زوجين وفرد. فيلزم من قول النصارى أن يكون الرب أعدادا لا تتناهى، وهو فاسد ومحال.

وعليه يمكن أن نقول بأن الأقانيم أقنومين فحسب، لأن الاثنين تجمع بين فردين وهي زوج، وهذا كله من الهراء.

-وهذا القول مناقض لمعتقد النصارى في التثليث حيث يقولون الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، فثلاثتهم ليست مكونة من زوج وفرد، أي ليست مجزئة، بل الكل فيها هو الجزء، والجزء هو الكل، بينما في قولهم هذا الثلاثة مكونة من زوج وفرد (جزئين) يكونان كلا، فالكل ليس الجزء، والجزء ليس الكل.[2]

والنصارى حين يقولون بأن الأقانيم صفات يختلفون اختلافا كبيرا في تحديد معاني هذه الصفات. فالبعض منهم اعتبر الأقانيم الثلاثة صفات، وسماها بعضهم أسماء أفعال في حين اعتبرها آخرون مكونة لذات وصفتين. ثم اختلفوا في تحديد هذه الصفتين أو الثلاث على صيغ كثيرة نقدها علماؤنا.

ومن هذه الصيغ التي تفسر معنى الأب، والابن ،وروح القدس ما يلي (الذات والنطق والحياة)، (الوجود والعلم والحياة) ، (الوجود والحياة والعلم) ، (القدرة والعلم والإرادة) ، (العلم والحياة والقدرة)، (الجواد الحكيم القادر) ، (الذات والعلم والحياة)... وقد أبدلت صيغ أخرى كلمة العلم بالنطق أو الحكمة أو الكلمة .[3]

وأول ملاحظة ترد على هذه التفسيرات هي كثرة الخلاف الذي يبين ويكشف عن مصدر هذا الكلام و موثوقيته، إذ لم يرد مثل هذا في كتب القوم ،وإلا لما وقع مثل هذا الخلاف الكبير.

كما لاحظ أصحاب الردود الإسلامية عدم وجود علاقة بين الألفاظ المفسرة وتفاسيرها المختلفة ،والتناسب بينهما ممتنع في الدلالات اللغوية والتفسيرات الكتابية الاصطلاحية حيث لا يصح لا في اللغة

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٤١-٤٢.

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥٢-٥٣.

(٣) انظر: هذه التفسيرات في رسالة الحسن بن أيوب ٢/ ٣٤٣ ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار٥/ ١٤٣ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥٠-٥١ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٦٣ ، الرد على النصارى ، الجعفري ، ص ٧٧ ، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٨ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٩١ ، ١٥٨ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص ٢.

ولا في اصطلاحات الأناجيل تسمية علم الله أو كلمته ابنا، أو تسمية حياته روحا للقدس أو سوى ذلك.

بل إن الأناجيل تخالف هذه التفسيرات ،فلئن كان النصارى يقولون الابن هو الكلمة فإن الإنجيل يقول: " الكلمة هو الله " (انظر يوحنا ١/١). [1]

وكذب ابن حزم تبرير بعضهم بأن علم العالم يسمى ابنه حسب اللغة اللاتينية، لأنه يرى الإنجيل أصله عبراني، ونقل للسريانية، وهذا غير موجود في اللغة العبرانية . [2]

ويحاول مجادل القرطبي إثبات مناسبة بين الألفاظ وتفاسيرها النصرانية فيقول " إنما خاطبنا بمثل تعاملنا، فجعل هذه الأسماء كاختلاف قضايا تلك الأفعال... فأول القضايا خلق الله الجميع بيد سماها: أبا، و أضافها إلى القدرة ، وأضاف قضية وعظ المسيح للناس إلى العلم ، وسماه :ابنا ، لأن العلم لايوقع عليه حتى يتولد كلاما ، أضاف قضية فناء جميع الدنيا ومكافأة أهلها بأعمالهم إلى الإرادة ، وسماها :روح القدس ". [3]

ولكن هذا تبطله التفسيرات الأخرى، كما تبطله الأمانة التي أناطت الحساب والخلق بالابن، وأناطت تجسد المسيح وكلام الأنبياء بالروح القدس.

والحق أن النصارى صدروا في جميع هذه التفسيرات عن عقولهم، واعتمدوا في تقريرها على تقليد قسسهم وأسلافهم وتقليدهم على غير علم، ولذا " لما سئل أحدهم لم جعلت أقنوم العلم ابنا دون أقنوم الحياة قال: لأنه مذكر. فقيل له: هلا قلت: الحياة ابنة الله ؟". [4]

ويلزم من قال بأن الأقانيم صفات ثلاثة: القدرة والعلم والإرادة، أو الجواد والحكيم القادر.. فيلزمه أن يثبت ذاتا تتصف بهذه الصفات، فيصبح التثليث تربيعا[5]. وهذا إنما يلزم من قال : الجوهر غير الأقانيم.

أما الذين يثبتون ذاتا وصفات فهؤلاء يلزمهم أيضا إثبات صفات كثيرة، لأن الله موصوف بصفات كثيرة فيبطل التثليث . [6]

ولكن مجادل القرطبي علل حصرهم الصفات بالقدرة والعلم والإرادة مع كثرة الصفات بأن هذه الصفات الثلاث أصل لجميع التسميات " وفيها تنبثق ، وفيها تندغم ، فعزيز وقوي وغلوب وقاهر وما أشبهها أصلها : القدرة ، ومنها تنبثق ، وفيها تندغم. وغفور رحيم راضي وساخط ومعاقب أصلها الإرادة . [7]

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/٥٥.

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥٠.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٦٣.

(٤) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ١٤٣ ، الفصل ، ابن حزم ١/ ٥٦.

(٥) انظر: المغني في أبواب العدل والتوحيد ، القاضي عبد الجبار ،٥/٩٦-٩٧ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٦٥ ، إرشاد الحيارى في ردع من مارى ، عبد العزيز الدميري ، ص ٥.

(٦) انظر: رسالة الحسن بن أيوب٢/ ٣٥٤ ، المغني ، القاضي عبد الجبار ٥/ ١٤١ ، الإرشاد ، الجويني ص ٤٨ ، الأجوبة الفاخرة ،القرافي،ص ١١٩، الجواب الصحيح، ابن تيمية ، ٢/١٣٤ ،إرشاد الحيارى،عبد العزيز الدميري،ص ٥.

(٧) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٧١.

لكن القرطبي يرى أنه بنفس منهج النصراني بالاستدلال يلزم إثبات أصول أخـــرى لأن السـمع والبصر مثلا لا ترجع إلى العلم والإرادة والقدرة لذا يجب أضافتها للتثليث، وأرى أن السـمع والبصـر يرجعان إلى العلم،بينما لايستطيع النصارى القول بأن صفة الحياة أو الأولية التي يتصف بها الله تعـود إلى العلم أو القدرة أو الإرادة.

كما لا يسلم أحد من العقلاء بأن أسماء مختلفة الفهوم ترجع إلى معنى واحد، ولو صح ذلك لصح أيضا أن يقال بأن الإرادة ترجع للعلم، وأن العلم يرجع للتجرد عن المادة، وأن القدرة ترجـع للوجـود، وذلك كله مبطل للتثليث .[1]

ويعلل آخرون من النصارى إصرارهم على إثبات النطق والحياة أن الأشياء لا تخلو أن تكون حيـة أو غير حية، ناطقة أو غير ناطقة، ورأوا أن الواجب يحتم أن يكون الباري ناطقا حيا.

ورد ابن حزم بإبطال هذا التمثيل الذي يشرك الله عز وجل في الحكم مع المخلوقات المركبة مـن جنس وفصل ،فهي محدثة مركبة، والباري غير ذلك.[2]

ولما كانت اكثر الصيغ تداولا (الذات والعلم والحياة) فقد ألح أصحاب الردود الإسلامية على إثبات صفات أخرى، وخصوا القدرة والإرادة، واعتبروها لا تقل ضرورة بحال عن العلم والحياة، فالخلق مثلا لا يكون إلا من قادر، والتخصيص لا يكون إلا من مريد .[3]

فإن قال النصارى بأن القدرة هي الحياة. قيل لهم: العلم هو الحياة.

وإن قالوا ليس العلم الحياة، لأنه قد يكون حي وليس بعالم كالمجنون. قيل لهم :قد يكون حي ليس قادرا كالمغشي عليه ونحوه، فالقدرة ليست الحياة .[4]

والنتيجة التي ألجأ النصارى إليها أن لا دليل على تخصيص الأقانيم بثلاث، ومن قال بذلك يلزمـه الدليل " ولن يقدروا عليه أبدا، فدل ذلك على أنهم ليســوا علـى ديـن ولا في شـيء مـن أمرهـم على يقين ".[5]

ويلزم على كافة الصيغ والتفسيرات النصرانية التفريق بين الذات والصفات، فالصفات لا تقـوم إلا بذواتها، ولا تنفصل عنها، لكن النصارى يقولون بأن الابن هو العلم أو الحكمة أو الكلمة، وأنـه اتحـد بجسد عيسى.

ويلزم أيضا على هذا القول محالات أخرى منها أن الصفة مساوية للموصوف، وهذا ما لا يقول به عاقل، إذ الصفة لا تساوي الموصوف، والذات الموصوفة بصفة لا تساويها نفس الذات عندمـا تتصف بصفة أخرى مع أن الذات واحدة.

---

(١) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٧٢-٧٣.

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥١-٥٢.

(٣) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣٥٤ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حـزم ١/ ٥١ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٨ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١٥٢.

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥١.

(٥) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١١٩.

وإن تجاهل النصارى ما ذكرنا يلزمهم القول باتحاد الأب كما قالوا باتحاد الابن[1].

وأما تفسير الأقانيم بأنها خواص، فينكره القرطبي، ويرى أن النصارى لا تقول به. بينما يرى الوراق أن تفسير الأقانيم بأنها خواص لا يخرج عن ثلاثة وجوه:-

الأول: أن الأقانيم خواص لمعنى رابع هو غيرها، وهذا خروج عن التثليث.

الثاني: أنها خواص لأنفسها، ومعنى ذلك أن الشيء خاصة نفسه، ولأن خاصته عندهم توجب مخصوصا، ومخصوصا يوجب خاصة، فيلزم كون حي هو حياة نفسه، وأن الحياة هي الأقنوم الحي لا غير، والنطق هو الأقنوم الناطق لا غير.

الثالث: أن الأقانيم بعضها خواص لبعض، وإذ ذاك فالابن خاص للأب، والأب خاص للابن، ويكون الشيء خاصة لخاصة، وصفة لصفته. وفي هذا من التخليط ما فيه.

كما يلزمهم أن يكون الأب ابنا لابنه، وأن يكون الابن أبا لأبيه، وأن يكون الابن نطقا لنطقه وكلمة لكلمته، وحياة لحياته، وكذلك القول في الروح.

ويرى الوراق ذلك ضربا في الهوس والتخليط العظيم، وأن رده السابق يلزمهم حرفا بحرف، إن سموا الأقانيم صفات، فالقصة واحدة، واستعارة الألفاظ لا تغير المعاني[2].

ويورد القرطبي على القول بأن الأقانيم خواص ما أورده على من قال بأنها صفات في عدم جواز حصره بثلاث فقد تكون اثنين أو أربع أو غير ذلك، وكل ذلك يبطل التثليث[3].

وأما ما ذكره شيخ الإسلام من تفسير الأقانيم عند بعضهم بأنها أسماء لإله واحد ورب واحد، وأن الأب عندهم هو ابتداء الاثنين، والنطق عندهم هو الابن المولود منه كولادة النطق من العقل، والحيلة هي روح القدس[4].

فهذا لا يقبل ممن يقول بالأمانة كما سبق عرضها، فما هو إلا حيدة وتلاعب بالألفاظ، وتغيير لمعانيها إلى معان أخر.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١١٨-١١٩.

(٢) انظر: رد الوراق الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٢١٣-٢١٤ ، التمهيد ، الباقلاني ، ص ٨٦.

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٨٦-٨٧.

(٤) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١١٢.

المطلب الخامس: نقد أمثلة النصارى للتثليث

تعتبر مسألة التوفيق بين التوحيد الذي جاءت به نصوص التوراة والإنجيل وعقيدة التثليث النصراني إحدى أكبر العقبات التي تواجه الفكر النصراني ،فهذه المسألة لا يمكن تصورها بالعقل كما لم يقم عليها دليل من النص.

ولتقريب هذه المسالة من العقول ضرب النصارى لذلك الأمثال، فشبهوا التثليث بالإصبع الواحد الذي يتكون من عدة عقد، وهو إصبع واحد .(١)

ويشبه هذا المثال قولهم: " صح عندكم كون الآحاد الكثيرة عشرة واحدة، والأبعاض الكثيرة إنسانا واحدا وذاتا واحدة... فهلا أجزتم لنا القول بأنه جوهر واحد وثلاثة أقانيم .(٢)

ومثله أيضا قولهم " بأن البياض والسواد قد يتحققان بأنهما لونان، ويختلفان بأنهما سواد وبياض، وليس بينهما شيء يخالف بينهما .(٣)

ومثل آخرون للتثليث فقالوا " كما تقول: الخياط خيط الثوب، ويد الخياط خيطت الثوب، ولا يلزم أن يقال خياطان، بل خياط واحد، كذلك قولنا: الله تعالى وروحه وكلمته إله واحد ".

ويشبه هذا المثل مثل آخر فسر الأقنومية بالصفة، فقد شبه يحيى بن عدي الأقانيم بقول القائل : " زيد الطبيب الحاسب الكاتب. ثم يقول: زيد الطبيب، وزيد الحاسب، وزيد الكاتب ".ومثله أيضا تمثيلهم بالإنسان ونطقه وروحه .(٤)

وكان أكثر الأمثلة شهرة وتداولا عند النصارى تشبيههم التثليث بالشمس وضوءها وحرها .(٥)

ويظهر جليا في استعراض هذه الأمثلة بعد التثليث الذي تذهب إليه النصارى عن أن يكون له مثال أو شبيه، فكل من هذه الأمثلة تلزم عليها لوازم تبطل الاستدلال بها وتمنعه،وإن صح التمثيل به تبطل عقيدة التثليث، وتنقض في أصلها.

فالتشبيه بالإصبع والعشرة يلزم عليه إثبات تغاير الأقانيم. ففي مثال العشرة يقول القاضي عبد الجبار " إنا نثبت آحاد العشرة متغايرة في الحقيقة ونصفها بقولنا " عشرة "، لتبين بهذه الجملة من سائر الأعداد وجملها، ونقول واحدة لتبين أنها من هذه الجملة مرة واحدة، وليس في ذلك تناقض إذا وقعت

---

(١) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٢٨.

(٢)المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ٨٩.

(٣) المقالات ، الناشئ الأكبر ، ص ٨٥.

(٤) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٣٤ ، وانظر: رد الحسني .الفكر الإسلامي في الرد على النصارى عبد المجيد الشرفي ، ص ٢٣٧ ، و الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١١٨ ، ٢٤٥.

(٥) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ، ٢/ ٣٢٩ ، و المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ، ٥/ ١٠٣ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٣٦ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١٢٠.

على المعاني التي أوردناها .[1]

ويتوافق مع القرافي في أن مثال الإصبع ذو العقد إنما هو مثال للأصل و الفرع، والنصارى لا تقول بذلك، بل تقول بأن الأقانيم متساوون في الجوهر، وأنهم جوهر واحد .[2]

ويعتبر الناشيء تمثيلهم بالبياض والسواد المتفقان بأنهما لونان دليلا على جهلهم، لأن اتفاقهما يراد به أن البصر أدركهما، فها هنا شيء قد جمعهما. و لم يوفق بينهما سوى هذا المعنى، وعند تطابق المثل يجب أن تكون الأقانيم مختلفة، لا تتفق إلا لشيء آخر يوفق بينها. وهذا يهدم فكرة الوحدة الأقنومية التي يقتضيها الإيمان المسيحي.[3]

ويلزم على مثال زيد الطبيب الحاسب الكاتب أن الأقانيم جوهر واحد متصف بصفات، وأن هذا الجوهر يلحقه صفة تغاير حكمه عند اتصافه بصفة أخرى.

والأمانة تقول بأن الأب جوهر، والابن جوهر، فهي لا تثبت جوهرا واحد، كما أن عاقلا لا يقول " أن الصفة مساوية للموصوف في الجوهر، ولا أن الذات مع هذه الصفة تساوي الذات مع الصفة الأخرى في الجوهر، لأن الذات واحدة، والمساوي غير المساوى، ولأن الذات مع الصفة هي الأب، فإن كان هذا هو الذي اتحد بالمسيح، فالمتحد هو الأب.... اقتضى ذلك أن يكون الإله الحق المساوي للأب في الجوهر صلب وتألم " [4].وهذا ما ترفضه جل الطوائف المسيحية.

وأما مثال الشمس وحرها وضوئها ، فقد رده الحسن بن أيوب ، واعتبره من التمويه الذي لا يصح " لأن نور الشمس لا يحد بحد الشمس ، وكذلك حرها لا يحد بحد الشمس ، إذ كان حد الشمس: جسما مستديرا وضيقا مسخنا وأثرا في وسط الأفلاك دورانا دائما.. ولو كان نورها وحرها شمسا حقا من شمس حق من جوهر الشمس كما قالت الشريعة (الأمانة) في المسيح :" إنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه ". لكان ما قلتم له مثلا تاما، والأمر مخالف لذلك، فلا يشبهه ، ولا يقع القياس عليه، والحجة منكم فيه باطلة ".[5]

ويوجه شيخ الإسلام سعيد البطريق إلى تصحيح مثاله، ويرى أن التمثيل بالشمس وضوءه وشعاعها أكبر خطأ وإغرابا من التمثيل الذي قال به آخرون، حيث مثلوا بالشمس وحرها وضوءها، لأن الحر والضوء صفات قائمة بالشمس، بينما الشعاع صفة قائمة بغيرها، قائمة بالجدران وبسائر ما يقع عليه الشعاع، ولأن الشعاع يتجزأ، بينما النصارى يؤمنون بثالوث لا يتجزأ ولا يتبعض.

والقول بالشمس وحرها وضوئها لا يطابق قول النصارى في التثليث، لأن النصارى جعلوا كل

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ٨٩-٩٠.

(٢) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ٨٩-٩٠ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧٣.

(٣) انظر: الأوسط من المقالات ، الناشئ ، ص ٨٥.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١١٨-١١٩.

(٥) رسالة الحسن بن أيوب ٢/ ٣٢٩ ، وانظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ١٠٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٢٥٢.

أقنوم من الأقانيم جوهرا قائما بنفسه، وليس مجرد صفة قائمة بالذات .[1]

وأما التمثيل بالإنسان وروحه ونطقه، فهو أيضا تمثيل باطل، لأن الروح أيضا جوهر قائم بنفسه وليس عرضا من أعراض الإنسان.

ويلزم عند تطابق المثال مع كلام النصارى "أن تكون روح الله جوهرا قائما بنفسه مع جوهر آخر نظير بدن الإنسان، ويكون الرب سبحانه وتعالى مركبا من بدن وروح، وليس هذا قول أهل الملل: لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارى .[2]

ويعاب على سائر هذه الأمثلة أنها جميعا تقيس القديم على المحدث.[3]

وهكذا توصل أصحاب الردود إلى أن عقيدة التثليث عقيدة لا دليل عليها في النصوص، ولا شبيه لها في الوجود، وأن ما ضربه النصارى لها من أمثلة إنما هي مخادعة من علمائهم " لتوهموا جهلاءكم أن لتلك البشائع التي تعتقدونها، وتنطق بها ألسنتكم أسرارا وأصولا ثابتة في الحقائق ".[4]

---

(١) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي، ص ٣٦ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١٢٠ ، ١٤٣ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٢٥٥.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ٢٥٤ ، وانظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ١٠٤.

(٣) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٥/ ١٠٤.

(٤) بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٤١.

المبحث الثالث :الصلب والفداء

تعتبر قصة صلب المسيح إحدى أهم ما ينادي به النصارى.

والمسلمون يسلمون بتعرض كثير من الأنبياء للقتل والتشريد، ولولا أن الله ذكر نجاة عيسى من الصلب لما كان عند المسلمين أي حرج من القول بذلك.

لكن النصارى يعتبرون قضية صلب المسيح مسألة دينية يرتبون عليها عقيدة الفداء والخلاص حيث يعتبرون الإله إنما تجسد من أجل أن يصلب تكفيراً عن خطايا البشر،فالصلب ليس مجرد قصة تاريخية.

والمسلمون حين ينكرون وقوع الصلب فإنهم لا ينكرونه لإبطال عقيدة الفداء والخلاص، وإنما ينكرونه لأنه قد قام دليل قطعي على عدم حدوثه.

وقد عنت ردود المسلمين بكلتا القضيتين فجاءت ردودهم عبر مطلبين:

الأول :في إبطال القول بصلب عيسى.

الثاني :في إبطال عقيدة الفداء والخلاص.

المطلب الأول: إبطال القول بصلب عيسى

تتحدث الأناجيل الأربعة بإسهاب عن مكر اليهود بعيسى ومحاولتهم قتله وصلبه، وتتحدث عن نجاحهم بالقبض عليه ومحاكمته ثم صلبه ودفنه وقيامته من قبره وصعوده إلى السماء.

وتختلف الأناجيل في عرض بعض التفاصيل ،وقد يصل الاختلاف بينها إلى التضاد والتناقض فماذا تقول الأناجيل عن حادثة الصلب ؟

سنعرض لذلك بشيء من التفصيل، ونعرض للموضوع عبر تتبع أحداث قصة الصلب المزعوم الذي تذكره الأناجيل:

المسيح قبل الفصح[1]

يتحدث متى عن جلوس المسيح مع تلاميذه قبل الفصح بيومين، بينما يجعل لوقا ذلك قرب الفصح ولا يحدده بيوم معين، يجعله يوحنا قبل عيد الفصح.

وحسب متى فإن المسيح أخبر تلاميذه أن ابن الإنسان يسلم ليصلب، ويذكر يوحنا أنه عند العشاء ألقى الشيطان في قلب الاسخريوطي أنه يسلمه.

حينذاك كان رئيس الكهنة ورؤوس الهيكل في دار قيافا رئيس الكهنة ،واتفقوا – حسب متى ومرقس – على قتل المسيح، وعلى أن يكون ذلك في غير العيد حتى لا يكون شغب، ويذكر الإنجيليون الثلاثة[2] أن يهوذا ذهب إلى الكهنة وفاوضهم على تسليمه، وأنه صار يبحث عن فرصة لتسليمه، والفرصة – كما ذكر لوقا – أن يجده بعيداً عن جميع الناس. أما الثمن فلم يذكر يوحنا عنه شيئاً فيما ذكر لوقا أنه

(١) عيد الفصح أحد الأعياد اليهودية، يحتفل به اليهود والنصارى فيه تبع لهم، وذلك في الرابع عشر من شهر نيسان، ويسمى أيضاً عيد الفطير.انظر قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك،ص ٦٧٩.

(٢) أينما ذكرت الثلاثة، فالمقصود متى ومرقس ولوقا.

أول أيام الفصح:

في أول أيام الفصح أراد المسيح أن يأكل في الفصح مع تلاميذه، وطلب منهم -حسب متى - أن يكون على العشاء في المدينة عند فلان، و لم يذكر اسمه، لكنه ذكر أن المسيح سماه لهم.

أما مرقس ولوقا فيذكران أن المسيح طلب من اثنين من التلاميذ أن يذهبا إلى المدينة، فيلقيان فيها إنساناً يحمل جرة ماء، فيتبعانه ،وحيث يدخل فعليهما أن يقولا لرب البيت: أن الفصح سيكون في بيته حيث سيريهما صاحب البيت علية كبيرة مفروشة ومعدة لهذا العشاء، وسمى لوقا التلميذين :بطرس ويوحنا.وذهب التلميذان وصنعا كما قال المسيح.

العشاء الأخير

تذكر الأناجيل هذا العشاء، وتميزه تماماً عما سبق الحديث عنه قبل الفصح بيومين غير أن يوحنا لا يفرق بين المجلسين، ويجعلهما مجلساً واحداً.

وفيما المسيح والتلاميذ على العشاء أخبرهم المسيح – حسب يوحنا – أن أحدهم سيسلمه، ويذكر الثلاثة أنه توعد هذا الذي يسلمه، وقال متى ومرقس بأنه قال عنه: " خير له ولو لم يولد " .

فماذا كان ردة الفعل التلاميذ؟

أما متى فذكر أن كلاً من التلاميذ كان يسأل المسيح:" أنا هو يا رب ؟" وفي مرقس:" هل أنا ؟" فأخبرهم أن الذي يغمس يده في الصحفة هو الذي يسلمه.

ويذكر متى أن يهوذا سأله :" هل أنا ؟ " فقال له المسيح : " أنت قلت ".بينما ذكر لوقا أن تساؤلهم كان فيما بينهم عن هذا الذي سيسلم المسيح.

بينما ذكر يوحنا أن التلاميذ نظروا إلى بعضهم وهم محتارون، وأن تلميذا يحبه المسيح –لم يذكر اسمه –كان متكئا في حضن المسيح، فأومأ سمعان بطرس إليه أن يسأله: من عسى أن يكون هذا الذي يسلمه ؟ فاتكأ التلميذ المحبوب– الذي لم يذكر اسمه(يوحنا الإنجيلي) –على صدر المسيح ، وسأله عن التلميذ الخائن، فقال المسيح:" الذي أغمس اللقمة وأعطيه "، وغمس لقمة وأعطاها ليهوذا الاسخريوطي، " وبعد اللقمة دخل الشيطان يهوذا " بينما يفهم من لوقا أن الشيطان دخل يهوذا قبل العشاء، وطلب المسيح منه أن يعمل ما يريد عمله بأكثر سرعة، و لم يفهم أحد من المتكئين لماذا كلمه بذلك، وظنوا أنه طلب منه أن يشتري حاجات العيد، وأنه طلب منه أن يعطي شيئا للفقراء، وذلك لأن الصندوق كان معه، ثم خرج يهوذا.

وهنا يسوق يوحنا موعظة طويلة ساقها في ثلاث إصحاحات من إنجيله (١٤،١٥،١٦).

لكن يوحنا يغفل تماما قصة العشاء الأخير التي قصها الثلاثة، فقد ذكروا أن المسيح أعطاهم خبزا ،وشكر وكسر، أعطاهم إياه قائلا:" هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم ،وأعطاهم الكأس فشربوا منها كلهم، وقال لهم: هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين " . وأخبرهم أيضا أن ما يشربه معهم لن يشربه إلا في الملكوت. ويذكر متى ولوقا أنه وعدهم أن يشربه معهم في الملكوت.

المسيح يتنبأ بإنكار بطرس له

ثم خرجوا إلى جبل الزيتون فأخبرهم المسيح أنهم سيشكون به جميعا في هذه الليلة – كما في متى ومرقس –، فاعترض بطرس بأنه لن ينكر المسيح.

وذكر لوقا قوله باستعداده للتضحية والذهاب مع المسيح للسجن أو الموت. وفي يوحنا أنه أراد أن يتبع المسيح،وأبدى استعداده لأن يضع نفسه عنه. كما ذكر متى ومرقس إظهار جميع التلاميذ استعدادهم للفداء والتضحية.

فأجاب المسيح بطرس بأنه سينكره ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك، وانفرد مرقس بأنه علق إنكار بطرس ثلاث مرات بصياح الديك مرتين.

ويذكر لوقا أنه أمرهم بشراء سيوف ، ولو باعوا في سبيل ذلك ثيابهم، فأخبره التلاميذ بوجود سيفين، فاكتفى بهما.

هذا ويجعل لوقا النبوءة بإنكار بطرس قبل خروجهم إلى جبل الزيتون.بينما يوحنا يلحق تنبؤ المسيح بإنكار بطرس إلى الجلسة التي كانت قبل عيد الفصح، وذكر متى ومرقس أن المسيح أخبر تلاميذه بأنه سيقوم، وأنه سيسبقهم إلى الجليل.

على جبل الزيتون

وتذكر الأناجيل – الأربعة – ذهاب المسيح بعد ذلك إلى ضيعة سماها يوحنا :بستاناً عبر وادي قدرون ، وسماها متى ومرقس: جثماني، ولوقا: جبل الزيتون، وكان ذهابه برفقة تلاميذه.

وذكر يوحنا أن يهوذا كان يعرف الموضع ،لأن يسوع اجتمع كثيراً مع تلاميذه هناك، وأي من الإنجيليين الأربعة لم يذكر كيف عرف يهوذا أنهم قد ذهبوا إلى تلك الضيعة ،وفي الضيعة أمر المسيح تلاميذه بالجلوس حتى يصلي، وأخذ معه بطرس وابني زبدي –حسب مرقس–، وبدأ يحزن ويكتئب، وأخبرهم – كما ذكر متى ومرقس – أن نفسه حزينة حتى الموت، وطلب منهم أن يسهروا معه، وتقدم وخر ساجداً قائلاً –كما ذكر الثلاثة – :" إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ليس كما أريد أنا، بل كما تريد أنت ".

ويضيف لوقا أنه ظهر له ملك يقويه " إذ كان في جهاد ،وكان يصلي أشد لجاجة، وكان عرقه كقطرات الدم ".

ثم جاء للتلاميذ فوجدوهم نياماً، ويبرر لوقا – دون صاحبيه – نومهم بأنه كان بسبب حزنهم.

ثم قال لهم المسيح معاتباً– كما في متى –:" أهكذا ما قد تم أن تسهروا معي ساعة واحدة ". ومرقس جعل الكلام والعتاب خاصاً ببطرس.

ويذكر الإنجيليون الثلاثة أنه أمرهم بأن يصلوا لئلا يدخلوا في تجربة. ويواصل متى ومرقس فيصفان حال المسيح " أما الروح فنشيط، وأما الجسد فضعيف "، وأن المسيح عاد للصلاة ثانية داعياً الله أن تعبر عنه هذه الكأس ،ثم رجع لتلاميذه فوجدهم نياماً، فتركهم ومضى يصلي، ويطلب من الله أن تعبر عنه هذه الكأس، ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم :" ناموا الآن واستريحوا ،قد أتت الساعة ،هوذا ابن الإنسان يسلم إلى الخطاة، هوذا الذي يسلمني قد اقترب ".

يهوذا والجند

وفي أثناء كلامه أقبل جمع كثير معهم يهوذا التلميذ –كما في الأربعة – ،وهذا الجمع كان يحمل سلاحاً– كما في يوحنا – . وذكر متى ومرقس أن معهم سيوف وعصي.

ويبين يوحنا أن هذا الجمع الكثير كان جنداً وخداماً عند رؤساء الهيكل وفريسيين، وأنهم كانوا

يحملون مشاعل ومصابيح وسلاحاً.

وينفرد يوحنا بذكر تفاصيل أهم لحظة في الحدث ،وهي لحظة اللقاء والقبض على المسيح ،فيذكر أن المسيح " خرج إليهم ، وقال: من تطلبون ؟ فأجابوه :يسوع الناصري . فقال: أنا هو. فلما قال لهم ذلك رجعوا إلى الوراء ،وسقطوا على الأرض، فسألهم ثانية: من تطلبون؟ فقالوا يسوع الناصري.

فأجاب: قد قلت لكم: أنا هو، فإن كنتم تطلبوني فدعوا هؤلاء يذهبون ".

أما متى ومرقس فيذكران أن يهوذا أقبل وسلم على المسيح، وقبله، وقد جعل ذلك علامة للجند ليقبضوا عليه.

ويذكر متى أن عيسى سأله لماذا جئت يا صاحب ؟

أما لوقا فيذكر أن عيسى قد ابتدر يهوذا بقوله: " أبقبلة تسلم ابن الإنسان ؟ " ،و لم يذكر أن قبله.

ماذا صنع التلاميذ؟

ويذكر الإنجيليون – الأربعة – أن أحد التلاميذ استل سيفه، وقطع أذن عبد رئيس الكهنة، وأن المسيح أمره برد السيف إلى الغمد، ويضيف متى بأن أمره برد السيف ،" لأن الذي يأخذون بالسيف ، به يهلكون "، ولأنه يستطيع أن يطلب من الأب مدداً ، فيرسل له اثني عشر جيشاً من الملائكة، لكنه لن يفعل لكي تكمل به النبوءات ، وفي يوحنا أنه صرفه ليشرب الكأس التي أعطيت له ، ويسمي يوحنا التلميذ بأنه : " بطرس " ،ويعين الأذن المقطوعة بأنها: اليمنى . وأن اسم العبد هو : " ملخس " .وأضاف لوقا – منفرداً عن بقية الإنجيليين – بأن عيسى لمس أذن العبد فردها كما كانت.

ويذكر الإنجيليون الثلاثة بأن عيسى لام أعداءه لإحضارهم لكل هذه الجموع، كأنهم جاءوا للقبض على لص، وقد كان بإمكانهم أخذه في كل يوم حيث كان يجلس في الهيكل.

ويذكر متى ومرقس: أن التلاميذ كلهم هربوا بعد ذلك. وينفرد مرقس بذكر قصة الشاب الذي تبع المسيح، وهو لابس إزاراً على عريه، فأمسكه الشبان فترك الإزار، وهرب منهم عرياناً.

إنكار بطرس

ويجمع الإنجيليون الأربعة أن المسيح ذهب به إلى دار رئيس الكهنة، وأن بطرس تبعه، وينفرد يوحنا بذكر ذهابه قبل ذلك إلى حنان حما قيافا، وأن بطرس لم يكن وحيداً في اتباعه للمسيح، بل تبعه تلميذ آخر لم يسمه، وهذا التلميذ كان معروفا عند رئيس الكهنة[1] وقد استأذن لبطرس ليدخل، فأذن له رئيس الكهنة، فدخل وجلس بين الخدم، ويذكر مرقس هنا أن المحاكمة كانت ليلاً بعد أخذه مباشرة.

ويذكر الإنجيليون الأربعة تحقق إنكار بطرس للمسيح في تلك الليلة ثلاث مرات، ويختلفون في سرد أحداث ذلك.

فالإنكار الأول كان بعد أن قالت جارية: " أنت من تلاميذه ؟ " ، فأنكر قائلاً :" ذاك لست أنا " – حسب يوحنا –، وفي متى ومرقس قال:" لست أدري ماتقولين "، وفي لوقا:" لست أعرفه " .

والإنكار الثاني ذكر متى أنه خرج إلى الدهليز، فقالت جارية أخرى للذي هناك:" هذا كان مع يسوع الناصري، فأنكر مقسماً بأنه لا يعرفه".

---

(١) هذا التلميذ هو يوحنا صاحب الإنجيل كما يظهر في خاتمة إنجيل يوحنا.

وفي مرقس أنه لما خرج للدهليز قالت الجارية نفسها: أن هذا منهم، فأنكر، و لم يذكر قسماً.وفي لوقا أن الذي رآه رجل، وقال:" أنت منهم. فقال: يا إنسان لست أنا ". في يوحنا أنهم سألوه: أنت من تلاميذه ؟ فأنكر ذاك.

وأما الإنكار الثالث: ففي الأناجيل الثلاثة قالوا لبطرس: أنت منهم، لغتك تظهرك ،فابتدأ يلعن ويحلف بأنه لا يعرفه ،و لم يذكر لوقا سوى الإنكار ، وأنه لا يعرف ما يقولون ، وفي يوحنا أن الذي عرفه كان عبداً لرئيس الهيكل ، وكان نسيباً للعبد الذي قطعت أذنه ، فلما رآه قال له: " أما رأيتك أنت معه في البستان ؟" فأنكر.

وتجمع الأناجيل – الأربعة- على أن الديك صاح بعد ذلك، ويزيد مرقس صياحاً آخر للديك قبل الإنكار الثاني. وينفرد لوقا فيذكر أنه بعد صياح الديك التفت المسيح ، ونظر إلى بطرس ، فتذكر بطرس كلامه ، ويذكر الأربعة أن بطرس قد بكى بعدها بكاء مراً ، وذكر مرقس البكاء فقط من غير مرارة .

كما يذكر الأربعة – ما عدا مرقس – أنه في الصباح اجتمع مشيخة الشعب رؤساء الكهنة لمحاكمة عيسى ،ويذكر متى ومرقس أن رئيس الكهنة أو أنهم –حسب لوقا – سألوه: هل أنت المسيح؟، أو المسيح ابن الله – حسب متى –، أو المسيح ابن المبارك – حسب مرقس – الذي جعل المحاكمة في الليلة السابقة ، فأجاب المسيح –حسب متى – : " أنت قلت ". وحسب مرقس: " أنا هو ".

ويذكر الثلاثة أنه قال لهم بعد ذلك: " منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً على يمين القوة آتياً على سحاب السماء "، ويضيف لوقا أنه قال: " إذا قلت لا تصدقوني، وإن سألت لا تجيبوني ولا تطلقوني ".

ويذكر لوقا أنهم قالوا له حينذاك :" أفأنت ابن الله ؟ فقال لهم: أنتم تقولون: إني أنا هو ".

ويذكر الثلاثة أن الجمع أو رئيس الكهنة اعتبروا المسيح مذنبا حينذاك، ولا داعي لشهادة الشهود ، واعتبروا قوله من التجديف.

وكانت متى ومرقس قد ذكرا أنهم كانوا يبحثون عن شهود وزور ليقتلوا المسيح ، فلم يجدوا مع أنه جاء شهود زور كثيرون لم تتفق شهادتهم.

كما تقدم شاهدان، فقالا بأنها سمعا المسيح يدعي قدرته على هدم الهيكل وبنائه في ثلاثة أيام، وزاد مرقس أنه يبنيه غير مصنوع بأياد. والمسيح ساكت لا يجيب .

ولما ثبت لديهم – على طريقتهم – أنه قد جدف سأل رئيس الكهنة رؤساء الهيكل " ماذا ترون ؟ فأجابوه: الموت ، وبصقوا في وجه المسيح، ولكموه، وهم يقولون: تنبأ من ضربك ؟ "

أما يوحنا فقد عرض الأمر بصورة مختلفة تماما. فقد ذكر بأن رئيس الكهنة سأل يسوع عن تلاميذه وتعليمه، فأجابه يسوع " أنا كلمت العالم علانية، أنا علمت كل شيء في المجمع، وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود ،وأنا في الخفاء لم أتكلم بشيء. لماذا تسألني أنا ؟ اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم ؟ هوذا هؤلاء يعرفون ما قلت ".

ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدم قائلا: أهكذا تجاوب رئيس الكهنة " فأجابه يسوع: " إن كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردي، وإن حسنا فلماذا تضربني ".

المسيح في دار الولاية

وأخذ في الصباح إلى دار الولاية حيث بيلاطس، ويذكر يوحنا أن اليهود لم يدخلوها حتى لا يتنجسوا، فخرج إليهم بيلاطس، وسألهم عن شكايتهم على يسوع، فقالوا: " لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك "، فقال لهم بيلاطس: " خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم " فقال له اليهود :لا يجوز أن نقتل أحداً ".

ثم دخل بيلاطس لدار الولاية وأدخل المسيح وقال له :" أأنت ملك اليهود؟" فأجابه المسيح أن مملكته ليست في هذا العالم....

فخرج إليهم بيلاطس ، وأخبرهم أنه لم يجد فيه علة ، وعرض عليهم أن يطلقه لهم كعادته في كل فصح، فثاروا وهتفوا يريدون إطلاق باراباس.

وأما متى ومرقس ولوقا فذكروا أن رؤساء الكهنة جعلوا يتهمون المسيح أمام بيلاطس بأنه يمنع من إعطاء الجزية لقيصر،وحسب لوقا فقط أنه يدعي أنه ملك اليهود.

فسأله بيلاطس:" أأنت ملك اليهود؟ فقال: أنت تقول ". وكان رؤساء الكهنة يشتكونه فلا يرد عليهم حتى تعجب الوالي من حمقه، ووصل إلى نتيجة هي أنه لا علة له، فعرض عليهم أن يؤدبه ويطلقه لهم، فهاجوا أو هيجهم رؤساء الكهنة ليختاروا باراباس.

وباراباس – حسب لوقا ومرقس – محبوس في فتنة جرى فيها قتل، وليس لصاً – كما في يوحنا – .وينفرد لوقا عن الإنجيليين ، فيذكر أن المسيح حمل إلى هيرودس المسئول عن الجليل ،وكان موجوداً في أورشليم ، وأن هيرودس قد فرح بلقائه لما سمع عنه ، وسأله هيرودس بكلام كثير ، فلم يجبه المسيح ، فاحتقره هيرودس، واستهزأ به، ورده إلى بيلاطس .

ويذكر متى أن بيلاطس أرسلت له امرأته وهو جالس في دار الولاية تقول: إياك ودم هذا البار، لأنها حلمت بحلم تألمت فيه كثيراً لأجل المسيح.

وينفرد متى بأن الوالي لما رأى إصرار اليهود على قتل المسيح خاف من حدوث شغب وفتنة ، فأخذ ماء وغسل يديه ، وقال: " أنا بريء من دم هذا البار " ، فقال اليهود: " دمه وعلينا على أولادنا ".

وتتفق الأناجيل على إطلاق باراباس ، وأن الوالي أسلم المسيح إليهم ليصلبوه . ويذكر متى ومرقس ويوحنا أن الوالي جلده قبل ذلك ، وأن عسكره وضعوا على رأسه شوكاً ، واستهزءوا به ، وهم يقولون : " يا ملك اليهود ".

المسيح على الصليب

وخرج الجند بيسوع ومعه صليبه – حسب يوحنا –، وعند الثلاثة أنهم وجدوا قيروانياً اسمه سمعان فحملوه الصليب.

وسارو به إلى – ما أسماه متى ومرقس ويوحنا – موضع الجمجمة ،وبالعبراني (جلجثة)، وذكر يوحنا أن المكان قريب من المدينة.

ولما صلبوا المسيح اقتسم العسكر ثيابه اقترعوا على قميصه، وكتبوا على الصليب علة قتله، واختلفت الأناجيل في المكتوب ، ففي متى أنه: " هذا هو ملك اليهود " . وفي مرقس: " ملك اليهود " .وفي يوحنا :

" يسوع الناصري ملك اليهود ".

وذكر يوحنا ولوقا أن المكتوب كان مكتوبا بثلاث لغات: العبرانية واليونانية واللاتينية.

واتفقت الأناجيل على أنه صلب وسط اثنين صلبا معه، وذكر متى ومرقس أنهما :لصين، بينما اكتفى لوقا ويوحنا بأن قالا: بأنهما مذنبين. و لم يحددا ذنبهما.

وذكر يوحنا أن رؤساء الهيكل راجعوا بيلاطس في المكتوب على الصليب ، فقال لهم: كتبت ما كتبت.

وأما زمن الصلب فهو عند يوحنا بعد السادسة بزمن ليس بيسير، وعند مرقس في الساعة الثالثة ، و لم يحددها متى ولوقا.

وذكر الإنجيليون الثلاثة أن المجتازين كان يعيرون المسيح فيقولون – حسب متى ومرقس -: " إن كنت ابن الله انزل عن الصليب " ،وحسب لوقا " إن كنت المسيح مختار الله..." ،وكذلك كان المجتازون يقولون ومعهم رؤساء الكهنة :" إن كان ملك إسرائيل فليترل عن الصليب حتى نؤمن به ".

كما ذكر متى ومرقس أنهم كانوا يهزءون به ،ويقولون : " يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك " ، وذكرا أيضا أن اللصين كانا يعيرانه ويستهزئان به، أما لوقا فذكر أن أحدهما كان يعيره، والآخر كان يرد على صاحبه، ويذكره ببراءة يسوع، كما طلب منه المسيح أن يذكره متى جاء في الملكوت، فوعده أن يكون معه اليوم في الفردوس.

وينفرد لوقا فيذكر أن المصلوب قال "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون ".

ومما ذكره الإنجيليون عن أحوال المصلوب أنه عطش وقال: أنا عطشان. وحسب يوحنا فجاءوا بإناء مملوء خلا وملئوا اسفنجة وسقوه، وبعدها: أسلم الروح، ونكس رأسه.

أما متى ومرقس فلم يذكرا عطشه إنما ذكرا أنه " صرخ بصوت عظيم: إلوي إلوي لما شبقتني. الذي تفسيره :إلهي إلهي لماذا تركتني ؟، وعندها سقاه أحد الحاضرين الخل ،ثم صرخ بصوت عظيم ، وأسلم الروح " ، لكن لوقا يظهر المسيح بتماسك أكبر "ونادى يسوع بصوت عظيم ،وقال :يا أبتاه في يديك استودع روحي " .

وقد ذكر مرقس أن المسيح في بداية الصلب أعطي خمرا ممزوجة بخل ليشرب، فلم يقبل بينما ذكر متى أنه أعطي خلا ممزوجا بمرارة، فلما ذاقه لم يرد أن يشرب.

أحداث بعد موت المصلوب

وذكر الإنجيليون الثلاثة أنه حصلت ظلمة على الأرض من الساعة السادسة إلى التاسعة، وأن إسلامه للروح كان في التاسعة، وأنه عندها انشق حجاب الهيكل، وانفرد متى فأضاف أن " الأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين ".

وذكر متى أن قائد المائة (من الجنود) وجنوده خافوا بسبب العجائب التي حصلت، ويذكر متى أنه قال حينذاك (القائد): " هذا ابن الله حقا ". وفي مرقس أنه قال : "حقا كان هذا الإنسان ابن الله ". بينما ذكر لوقا أنه قال: " كان هذا الإنسان بارا ".

وذكر أن الجموع التي اجتمعت لرؤية الصلب لما أبصروا ما كان رجعوا، وهم يقرعون صدورهم.

أما يوحنا فيعرض في إنجيله صورة أخرى لموت المصلوب، فيذكر أن اليهود أرادوا أن ينزلوا المصلوبين عن الصليب قبل أن يدخل عليهم السبت، فطلبوا من بيلاطس أن تكسر سيقان المصلوبين، فوافقهم، فجاءوا إليهم، فوجدوا المسيح قد مات، وكسروا ساقي اللصين، وأما المسيح فلا حاجة للكسر لموته." لكن واحدا من العسكر طعن جنب المصلوب بحربة، وللوقت خرج دم وماء ".

ويذكر متى ومرقس أن نساء كثيرات كن ينظرن من بعيد من بينهم مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وأم ابني زبدي. بينما يذكر يوحنا أن أمه وأختها ومريم المجدلية وقفوا عند الصليب، ومعهم التلميذ الذي أحبه المسيح (لم يذكر اسمه ثانية) فقال المسيح لأمه: يا امرأة هوذا ابنك .وقال للتلميذ: هوذا أمك. وذلك التلميذ أخذها لخاصته في تلك الساعة.

دفن المسيح

جاء غني من الرامة (من تلاميذ المسيح) فطلب من بيلاطس على خوف من اليهود - كما يقول يوحنا - أن يأخذ الجسد ليدفنه فأذن له بذلك.

ويذكر مرقس أن بيلاطس تعجب من موت المسيح سريعا، وسأل قائد المائة ليتأكد من موت المسيح،ثم أذن بيلاطس بالدفن، فحمله يوسف - ومعه آخر يدعى نيقوديموس حسب يوحنا - وحنطه ولفه بالكتان كما يكفن سائر اليهود، ثم وضعه في قبر قريب جديد منحوتا في الصخر، أو كان قد نحته قريبا في الصخر -كما في متى -.

ويذكر متى ومرقس أنه دحرج على القبر حجرا كبيرا وعظيما، فوضعه على باب القبر.

ويذكر متى أن يوسف مضى بعد ذلك، و في لوقا أنه كان هناك نساء كثيرات ينظرن إلى القبر وكيفية وضع المقبور فيه، بينما ذكر متى ومرقس مريم المجدلية ومريم أم يعقوب فقط.

وذكر لوقا أنهن رجعن بعد رؤية المقبور ، وأنهن أعددن حنوطا وأطيابا ، وأنهن استرحن في السبت حسب الوصية.

ضبط قبر المسيح

لا تتحدث الأناجيل- سوى متى - عما حصل في يوم السبت فيذكر أن رؤساء الكهنة اجتمعوا إلى بيلاطس قائلين: " يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حي :إني بعد ثلاثة أيام أقوم، فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتي تلاميذه ليلا ويسرقوه ويقولوا للشعب :إنه قام من الأموات. فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى. فقال لهم بيلاطس: عندكم حراس.اذهبوا واضبطوه كما تعلمون. فمضوا وضبطوا القبر بالحراس ،وختموا الحجر ".

قيامة المسيح

تذكر الأناجيل عدد النساء الذاهبات لرؤية القبر بعد استراحة السبت حسب الوصية ،ويحدد لوقا ومتى موعد ذلك بأنه عند الفجر، ويوحنا يقارب فيصف بأن" الظلام كان باقيا "، أما مرقس فيذكر شراء النسوة للحنوط، ثم ذهابهن للقبر باكرا وقد طلعت الشمس.

وأما زائرات القبر فعند متى هما: المريمين. وعند مرقس: المريمين وسالومة. بينما ذكر يوحنا مريم المجدلية فقط ،وأما لوقا فذكر النساء الكثيرات اللاتي كن قد أعددن الحنوط والأطياب قبل السبت ومنهن مريم

المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب.

وهدف الزيارة – عند مرقس ولوقا – أن يدهن الميت ،و لم يذكر لهن متى ويوحنا هدفـــا ،كمـــا لم يذكرا شيئا عن الحنوط والدهن الذي أعد لهذه الزيارة، ويذكر مرقس تساءل الزائرات الثلاث فيمـــا بينـــهن عمن سيدحرج لهن الحجر عن باب القبر ؟

وذكر أصحاب الأناجيل –عدا متى – اكتشاف الزائرة أو الزائرات أن الحجر قد دحـــرج، ولكـــن متى ذكر أنه عند مجيء الزائرات " حدثت زلزلة عظيمة ،لأن ملاك الرب قد نزل من السماء ودحرج الحجـــر ،وجلس عليه "،و لم يذكر أي من الإنجيليين – سوى مرقس – موعد خروج المسيح من القـــبر، ولا حـــتى متى الذي جعل الدحرجة والزلزلة بعد مجيء الزائرتين. وقد جعل مرقس ذلك " باكرا في أول الأسـبوع " أي فجر الأحد.

ووصف مرقس بأهن شاهدن شابا جالسا على اليمن، بينما ذكر لوقا أن الزائرات رأيـــن رجلـــين. واتفق متى ومرقس على أن الرجل كان يلبس حلة بيضاء، واتفق متى مع لوقا على ثياب الرجل براقة.

أما الحرس فلم يتحدث عنهم سوى متى، فذكر أهم ارتعـــدوا وخـــافوا، وصـــاروا كـــالأموات، و وصف متى شعور الزائرات بالخوف، ومرقس بالدهشة، ولوقا بالحيرة والخوف.

أما يوحنا فذكر أن مريم لما نظرت الحجر مرفوعا عن القبر ركضت، وجـــاءت إلى سمعـــان بطـــرس والتلميذ الحبيب وأخبرهما قائلة: " أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه ". فخرج الاثنان يركضـــان وسبق التلميذ بطرس إلى القبر فنظر الأكفان و لم يدخل، ثم جاء سمعان بطـــرس فدخـــل، ونظـــر الأكفـــان الموضوعة، ورأى المنديل الذي كان على رأس المسيح ليس موضوعا مع الأكفان، بـــل ملفوفـــا في موضـــع وحده ، ثم دخل التلميذ وآمن، و لم يذكر بماذا آمن، لكن ذكر أهم " لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغـــي أن يقوم من الأموات "، ثم رجع التلميذان إلى موضعهما ، وبقيت مريم خارجا عن القبر تبكي، ثم التفتـــت للقبر ، فرأت ملاكين بثياب بيض، جالس أحدهما عن الرأس ، والآخر عند الرجلين في المكان الذي وضـــع فيه المسيح.

أما الحوار الذي دار بين الزائرات والرجل أو الرجلين أو الملكين ففي متى أن الرجل قال :" لا تخافـــا فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع الناصري "، وفي مرقس " لا تندهشن أنتن تطلـــبن يســـوع النـــاصري " ، وفي مرقس" لماذا تطلبن الحي بين الأموات ". واتفق الثلاثة على أن المتحدث أخبر بأن المسيح قد قام، وأنـــه ليس ههنا ،وأن ذلك تحقيق لما كان المسيح قد قاله ،وفصل لوقا النبوءة بأن قيامته في اليوم الثالث بعد الصلب، وأن ذلك كان عندما ذهب المسيح إلى الجليل ،وذكر مرقس بأن الشاب قال لهن: " هوذا الموضـــع الـــذي وضعوه فيه "، وفي متى أنه طلب منهن أن ينظرن إلى المكان الذي كان الرب مضطجعا فيه.

وأما يوحنا فذكر أن الملاكين قالا لمريم :لماذا تبكين ؟ فقالت: " إنهم أخذوا سيدي ولست أعلم أيـــن وضعوه. ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفا و لم تعلم أنه يسوع، قال لها يسوع: يا امـــرأة لماذا تبكين؟ من تطلبين، فظنت تلك أنه البستاني. فقالت يا سيد إن كنت أنت قد حملته فقل لي أين وضعتـــه وأنا آخذه. قال لها يسوع: يا مريم. فالتفتت تلك وقالت له: ربوني الذي تفسيره :يا معلـــم ". قـــال لهـــا يسوع: " لا تلمسيني، لأني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن اذهبي إلى إخوتي وقـــولي لهـــم: إني أصعـــد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم ". فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ.

واستمرت الأناجيل الثلاثة في إكمال الحوار بين الشاب والزائرات، ففي متى ومرقس أنه طلب منهن أن يبلغن التلاميذ بسرعة عن قيام المسيح، وأنه سيلتقيهم في الجليل، وسيسبقهم إلى هناك. وذكر مرقس أنه كان قد قال لهم ذلك قبل صلبه.

ويصف متى حال الزائرات بعد ذلك بأنه خوف وفرح عظيم ،ويصفه مرقس بالرعدة والحيرة ويجتمعان في خروجهن السريع من القبر ،وينص متى ولوقا - ويفهم من يوحنا - أن الزائرات أبلغن الرسالة التي فيها مكان الاجتماع بين المسيح والتلاميذ للتلاميذ، أما مرقس فيذكر أنهن لم يقلن شيئا، لأنهن كن خائفات.

وينفرد متى بذكر أن المرأتين تقدمتا إلى المسيح فسجدتا له، أمسكتا بقدميه وأنه قال لهما: لا تخافا. وأنه طلب منهما أن يخبرا التلاميذ بلقياه في الجليل.

وينفرد متى أيضا بالحديث عما حصل مع حرس القبر حيث ذهبوا إلى المدينة " وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان ،فاجتمعوا مع الشيوخ ،وتشاوروا ،وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين: قولوا: إن تلاميذ أتوا ليلا وسرقوه ونحن نيام، وإذا سمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفكم ونجعلكم مطمئنين، فأخذوا الفضة، وفعلوا كما علموهم، فشاع ذلك القول عند اليهود إلى هذا اليوم ".

الظهور الثاني للمسيح

ويذكر مرقس ظهور المسيح أيضا لاثنين من التلاميذ وهما منطلقان إلى البرية ،وقد ظهر لهما " بهيئة أخرى" ،وذهبا فأخبرا الباقين.

ويروي القصة نفسها لوقا بتفاصيل أوسع " وإذا اثنان منهم كانا منطلقين في ذلك اليوم إلى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غلوة اسمها عمواس، وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث، وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه، وكان يمشي معهما، ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته، فقال لهما: ما هذا الكلام الذي تتطارحان به، وأنتما ماشيان عابسين ؟ فأجاب أحدهما: الذي اسمه كليوباس، وقال له :هل أنت متغرب وحدك في أورشليم، و لم تعلم الأمور التي حدثت فيها في هذه الأيام ؟ فقال لهما: وما هي؟ فقالا: المختصة بيسوع الناصري الذي كان إنسانا نبيا مقتدرا في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه، ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك. بل بعض النساء منا حيرننا إذ كن باكرا عند القبر..." ، واستمر في الحديث معهما ،وكلمهما عن موسى وجميع الأنبياء ،واتكأ معهما وأخذ خبزا وبارك وكسر وناولهما " فانفتحت أعينهما، وعرفاه ،ثم اختفى عنهما " ،وعاد الاثنان لأورشليم وأخبرا التلاميذ الأحد عشر.

وأما كيفية استقبال التلاميذ لخبر قيامة المسيح، فيذكر مرقس ولوقا انهم لم يصدقوا، ويذكر لوقا أن بطرس مضى بنفسه إلى القبر ليتأكد في رواية النساء، فرأى الأكفان موضوعة فعاد متعجبا، وأما يوحنا فقد أعرض عن هذا و لم يذكره.

الظهور للتلاميذ مجتمعين

تذكر الأناجيل الأربعة: أن المسيح اجتمع بالتلاميذ، ويحدد متى فقط أن الاجتماع كان في الجبل في

الجليل حيث أمرهم المسيح، وتختلف الأناجيل في تحديد عدد وهوية التلاميذ المجتمعين أما يوحنا فذكر أنهم التلاميذ الأحد عشر عدا توما، والمجتمعون – حسب متى ومرقس – هم التلاميذ الأحد عشر .بينما عند لوقا هم الأحد عشر ومعهم آخرون منهم التلميذان اللذان لقيهما المسيح في الطريق، وقد كان يشرحان للتلاميذ ما أخبرهما به وفعله المسيح وهو معهما.

وذكر يوحنا فقط أن الأبواب كانت مغلقة بسبب خوف التلاميذ من اليهود.

واتفق مع لوقا على نوع من المفاجأة في ظهور المسيح في وسط التلاميذ، وأنه قال لهم :سلام لكم.

وأما ما صنعه التلاميذ فذكر متى أنهم سجدوا له، وأن بعضهم شك و لم يذكر من هذا البعض، و لم يذكر مرقس شيئا عن ذلك. وأما لوقا فذكر بأن التلاميذ جزعوا وخافوا وظنوا أنهم رأوا روحا ،فقال لهم: " ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم. انظروا إلى يدي ورجلي. إني أنا هو جسوني .وانظروا ، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي. وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه، وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبين قال لهم: أعندكم ههنا طعام؟ فناولوه جزء من سمك مشوي وشيئا من شهد عسل ، فأخذ وأكل قدامهم ". وأما يوحنا فذكر فرح التلاميذ بعدما أراهم المسيح يديه وجنبه. لكن توما لم يكن معهم ، فقال له التلاميذ بعد ذهاب المسيح: " قد رأينا الرب. فقال لهم :إن لم أبصر في يديه أثر المسامير وأضع إصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أومن ".

الوصية الأخيرة

وتختلف الأناجيل في الوصية التي أوصى بها التلاميذ ففي متى أنه قال لهم " دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض ،فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر ".

وفي مرقس أنه وبخهم لعدم إيمانهم وقساوة قلوبهم حيث لم يصدقوا الذي نظروه قد قام ، وقال لهم : " اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ، من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن، وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي ، ويتكلمون بألسنة جديدة ، يحملون حيات ، وإن شربوا شيئا مميتا لا يضرهم ، ويضعون أيديهم على المرض فيبرءون ".

أما لوقا فيذكر أمورا أخرى فيقول: " وقال لهم: هذا هو الكلام الذي كلمتكم به، وأنا بعد معكم، أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير... هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم، وأنتم شهود لذلك، وها أنا أرسل إليكم موعد أبي فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة في الأعالي ".

وأما الوصية الأخيرة حسب يوحنا فهي " كما أرسلني الأب أرسلكم أنا، ولما قال هذا نفخ وقال لهم: أقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت ".

ويتوقف متى عند الوصية الأخيرة في الجبل، ويذكر مرقس أنه بعدما كلمهم ارتفع المسيح للسماء، وجلس عن يمين الله. أما لوقا فيذكر أن المسيح أخرجهم خارجا إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم، وفيما هو يباركهم انفرد عنهم، وأصعد إلى السماء فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم.

ظهور آخر عند يوحنا

أما يوحنا فيذكر ظهور آخر للمسيح مع التلاميذ بعد ثمانية أيام، وفيه تأكد توما وآمن ووضع يديه في جنب المسيح، ويذكر يوحنا مرة أخرى أن المسيح دخل والأبواب مغلقة، ووقف في الوسط.

ثم يذكر يوحنا ظهورا آخر للمسيح بعده عند بحيرة طبرية حيث ظهر لتلاميذه ، وتغدى معهم " و لم يجسر أحد من التلاميذ أن يسأله من أنت ؟ إذ كانوا يعلمون أنه الرب " ، و لم يذكر يوحنا شيئا عن صعوده للسماء.

التوراة وحادثة الصلب

وفي ثنايا القصة يربط الإنجيليون بين كثير من جزئياها ونبوءات أشارت لهذه الجزئيات في الكتب السابقة أو في أقوال سابقة للمسيح.

وعلماء النصارى يستشهدون على وقوع صلب المسيح بهذه النبوءات[1] من ذلك قول داود " نج نفسي من الحربة، ومن فم الأسد " (المزمور ٢٢/٢٠-٢١) . ومثله " أعطوني في مطعمي المرار، وسقوني الخل " (المزمور ٦٩/٢١).

وخلافا لهذه الجزئيات، فإن لوقا ذكر بصراحة أن حادثة الصلب بعمومها، قد وردت الإشارة إليها في كتب الأنبياء حيث يقول : " لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير، حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب، وقال لهم: هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث، وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم " (لوقا ٢٤/ ٤٤-٤٨).

ونقل الطوفي عن مجادله بأن في كتب الأنبياء بشارات كما في دانيال، و لم ينقل منه نصا معينا، وكما في إشعيا " ولكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها، ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا، وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه، وبجبره شفينا، كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه أثم جميعنا، ظلم أما هو فتذلل، و لم يفتح فاه، كشاة تساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازيها، فلم يفتح فاه، من الضغطة، وفي الدينونة أخذ، وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء، أنه ضرب من أجل ذنب شعبي، وجعل مع الأشرار قبره، ومع غني عند موته، على أنه لم يعمل ظلما، و لم يكن في فمه غش "[2]. (إشعيا ٥٣/ ٤-٩).

ونقل الخزرجي عن النصارى استشهادهم لوقوع صلب المسيح بأنه قد جاءت الإشارة إلى الصلب في فعل يعقوب عليه السلام لما جاءه ابنه يوسف بابنيه " منسي " و " افرايم " ليبارك له عليهما، فجعل يوسف ابنه " منسي " - وهو الكبير من ولديه - عن يساره كي يكون عن يمين يعقوب إذا وقف به أمامه، وجعل " افرايم " عن يمينه لكي يكون عن يسار يعقوب ثم قربهما إليه.

فخالف يعقوب بذراعيه، وجعل يده اليمنى على رأس الأصغر واليسرى على رأس الأكبر ،ثم بارك

---

(١) بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٧٦ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص٧.

(٢) الانتصارت الإسلامية ، الطوفي ص ١٠٥.

على يوسف وعلى ولديه. (انظر التكوين ٤٨/ ١٣-٢٠).

فاعتبر مجادل الخزرجي فعل يعقوب إشارة لحادثة الصلب التي ستقع بعد قرون عدة. ونقل الخزرجي أيضا عن مجادله احتجاجه بما ورد في كلام عاموس النبي[١]" ثلاثة ذنوب أقبل لبني إسرائيل ، والرابعة لا أقبلها ،وهي بيعهم الرجل الصالح " (عاموس ٢/ ٦).

ويستدل النصارى أيضا على وقوع الصلب للمسيح بتواتر الأمم المختلفة على وقوعه ويرونه أنه يوافقهم فيه اليهود والمجوس، ولا يخالفهم فيه سوى المسلمون، ويرى النصارى أن التواتر يستند إلى الحس، ولو لم يصلب عيسى لم يبقى على المحسوسات اعتماد[٢].

إبطال استدلالات النصارى على صلب المسيح

رأينا أن أدلة النصارى على صلب المسيح تنحصر في ثلاثة أمور

١-ما جاء في الأناجيل

٢-البشارات السابقة به

٣-وتواتر الأمم عليه.

فأما البشارات السابقة فلا يجد علماؤنا بها أي دليل على صلب المسيح، إذ لا يعدو ما فيها من أن يكون اتفاقا مع ما تقوله الأناجيل في بعض كلمات النصوص.

بل ونستطيع القول بأن أصحاب البشارات الأربع قد فصلوا رواياتهم بما يتلائم والكلام المنثور في سائر العهد القديم، ليصبح بشارة بما كتبه هؤلاء عن صلب المسيح.

وقد تناول الخطيب استدلالهم بما جاء في سياق عرض قصة مبارزة داود للرجل الفلسطيني الطويل الذي خرج للمبارزة، فناجى داود ربه بهذه الكلمات " نج نفسي من الحربة" فقد أراد من الله ودعاه أن ينصره على هذا الجبار، وليس للمزمور أي علاقة بحادثة الصلب أو المسيح[٣] وأما قول داود " أعطوني في مطعمي المرار وسقوني الخل" فهذا تعبير عن ضجره وسخطه من قومه، ومثل هذا يكثر في كلام الناس .[٤]

وأما ما جاء في إشعيا فلا يجوز الاحتجاج به في قبل النصارى، لأن النص من أوله يتحدث عن عبد، وليس عن إله، فأوله " هوذا عبدي " (إشعيا ١٣/٥٢).

وعليه فيخير الطوفي النصارى بين القول بعبودية المسيح وصلبه، أو القول بألوهية المسيح، وعليه فلا علاقة له بالنص من قريب أو بعيد، فيقول "فإن قلتم بمجموع الأمرين أعني عبوديته وقتله، فقد خالفتهم دينكم في القول بالعبودية، وإن ألغيتم الأمرين و لم تعتدوا بهما، فقد سقط عنا إشكال الإخبار بالقتل، وإن قلتم بأحدهما دون الآخر وهو القتل كان ذلك ترجيحا من غير مرجح، واحتجاجا بكلام تقدحون في (بعضه)، ثم

---

(١) بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ص ١٣٦ ، ١٧٤.

(٢) انظر: الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ص ١٠١ ، والكلام المثبت ليس لنصراني ، بل هو من كلام السهروردي الزنديق في كتابه " التنقيحات " ، وقد استشهد به مجادل الطوفي.

(٣) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٧٠-٧١.

(٤) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ، ص ١٧٦.

نقابلكم بمثله، فنقول بالعبودية دون القتل ".[1]

كما أن في النص ما يشير إلى نجاة المسيح لو كان دالا عليه، وذلك في قوله: " وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء " ، وفيه أيضا :" نحن حسبناه مصابا مضروبا..".

وأما قصة يعقوب مع حفيديه، فيرى الخزرجي أن الاستشهاد بها شيء من الهذيان، ورأى أن الأولى من تأويل النصارى للنصارى تأويله بأن يقال " أن مخالفة يعقوب بيديه عند البركة إعلام بأن الله سيخالف بهذه البركة عن ولد إسحاق إذا أسخطوه بالعصيان، ويصيرها في ولد إسماعيل".[2]

وهكذا يغلق الخزرجي في وجه النصارى تعسف النصوص، وتحميلها من المعاني والدلالات ما لا تتحمله، فإنهم إن أصروا على هذا النوع من الاستدلال جاز لمخالفيهم أن يتعسفوها أيضا، ويفهموها على عكس ما فهمه النصارى.

ولو تأمل النصارى في دليلهم وتصوروه، لعرفوا أن ما فعله يعقوب بيديه لا يشبه الصليب بحال إلا إذا غيرنا في النص ،وقلنا بأن حفيديه كانا أمامه تماما.

وأما كلام عاموس النبي فهو أيضا يتحدث عن رجل صالح، وليس عن إله تساوى مع الله فإن كان المسيح عيسى، فهو ليس بإله .[3]

وينبه الطوفي إلى أن ذلك كله إنما ورد في كتب القوم التي لا يسلم المسلمون بصحتها،فلا يصح الاحتجاج بها على المسلمين .[4]

وإذا كان النصارى يستشهدون بالكتب لإثبات صلب المسيح فإن علماءنا يرون في هذه الكتب ما يبطل صلبه يقول الأبوصيري في منظومته:

" شهد الزبور بحفظه ونجاته ... أفتجعلون دليله[5] مدخولا

أيكون من حفظ الإله مضيعا ... أو من أشيد بنصره مخذولا "

وفي شرحه يقول الأبوصيري " في زبور داود عليه السلام " إن الله ربي سبحه، واستجاب له من سماء قدسه" (المزمور ٢٠/٦) وكذلك قوله "إن الله أوصى ملائكته بك ليحفظوك" .[6] (المزمور ٩١/١١)

وأما الأحداث التي سردتها الأناجيل عن الصلب فهي جميعا أخبار لا تصح ولا يصح الاستدلال بها، ويؤكد الأبوصيري أنه لا توجد رواية صحيحة لصلب عيسى، لأن اليهود لم يعرفوه، والنصارى لم يحضروه .[7]

وذكر الحسني أن ما يورده النصارى في قصة الصلب له تأويلات صحيحة لا يعمى عنها إلا من لم

---

(١) بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ، ص ١٧٦.

(٢) بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ، ص ١٧٦.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ١٣٦.

(٤) انظر: الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ص ١٠٧.

(٥) في المطبوع: دليلا ، والصواب: ما أثبته. انظر: منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ، ص ٨.

(٦) منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ص ٢٤.

(٧) انظر: الرد على النصارى ، الجعفري ص ٧٣ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٥٣ ، ومنظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ص ٢٤.

يقبل عن الله بيانا ولا نصيحة، لكن الحسني لم يتعرض لتفاصيل تلك التأويلات .[1]

وأما القول بتواتر صلب المسيح بين الأمم، فهو مما لا يسلم به المسلمون وإن كانوا لا يمنعون أن تكون قد وقعت حادثة صلب بالفعل،لكن المصلوب ليس المسيح، وذلك هو ظاهر القرآن الكريم حيث يقول :﴿وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾[2]

بل إن الطوفي يسلم للنصارى أن اليهود أرادوا قتل المسيح ، وأنهم اقتادوه للصلب ، وأخذوه ، ولكن الله عز وجل نجاه بعد ذلك .[3]

والتواتر المزعوم ينقضه علماؤنا بأمور

١) أن هؤلاء الذين يقولون بصلب المسيح لم يشهدوا صلبه، وإنما رددوا ما قاله قوم لا يستحيل تواطؤهم على الكذب، فحصل الغلط منهم.

وشهود الصلب إنما كانوا من اليهود والجنود ورؤساء الكهنة، وهؤلاء أعداء للمسيح ،ولا يبعد عنهم أخذ الرشوة والكذب في هذه الدعوى.

ويرى ابن حزم أن شيوخ الهيكل هم الذين شبهوا على الناس، وأدخلوا الشبهة عندما ادعوا أنهم قتلوا وصلبوا المسيح، وهم يعلمون أنهم ما قتلوه وما صلبوه،وإنما فعلوا ذلك بمن تمكنوا منه، وهو غير المسيح.

والحواريون كانوا ممن غاب عن الصلب فقد هربوا ،وجحده بطرس وهو من خيارهم ،فانخرمت سائر أقوالهم، والذي شهدوه من أتباع عيسى من النساء وقفن بعيدا عن الصليب.

كما أن مكان الصلب كان خارجا عن المدينة في بستان، فلم يصل إليه كثير من الناس، كما أن جسده لم يبق على الصليب سوى ست ساعات من النهار ،ثم أنزل بعد ذلك.

ووقوع الخطأ من الكواف وقع به القوم عندما قالوا بقدسية كتبهم التي نسبت الفواحش للأنبياء.[4]

٢)أن التلبيس على الحس ممكن. ومدارك العلم: ثلاث الحس أو العقل أو المركب منها. وكلها قد تخلف مع وجود المعارض، والحس منها يلبس عليه كما في التخييلات السحرية والشعوذة، وكعدم إدراك الصوت للصم، أو عدم إدراك الطعام لحرارة في فم الآكل..

وهذا التلبيس وارد الوقوع في قصتنا، لأن المسيح أخذ في ليل عند تفرق الناس من الفصح .[5]

وقد يكذب البصر، ويستشهد ابن حزم بما حصل ليلة الهجرة مع رسولنا صلى الله عليه وسلم حيث خرج من بين ظهراني مائة رجل من قريش حجب الله أبصارهم عنه فلم يروه .[6]

---

(١) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٣٨٤.

(٢) سورة النساء ، آية : ١٥٧.

(٣) انظر: الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ، ص ١٠٣.

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥٩-٦٠ ، والرد على النصارى ، الجعفري ، ص ٧٣ ، الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ص ١٠٢ ، بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ، ص ١٦٨ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٢أ.

(٥) انظر: الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ص ١٠٣ ، و الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥٩-٦٠.

(٦) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٦٠ ، وانظر: السيرة النبوية ، ابن هشام ١/ ٤٨٣ ، والبداية والنهاية ، ابن كثير ٣/ ١٧٥.

ويضرب ابن حزم مثلا للشبه الذي وقع بن النصارى بما حصل معه فقد خرج والمسلمون لدفن هشام بن الحكم المؤيد " فرأيت أنا وغيري نعشا فيه شخص مكفن، وقد شاهد غسله شيخان جليلان حكمان من حكام المسلمين ومن عدول القضاة في بيت وخارج البيت... ثم صلينا في ألوف من الناس عليه، ثم لم يلبث إلا شهورا نحو السبعة حتى ظهر حيا، وبويع بعد ذلك بالخلافة، ودخلت عليه أنا وغيري، وجلست بين يديه ورأيته"[1].

٣) أن تواتر الأمم لا يسلم، فالمجوس إن وافقوا النصارى، وقالوا بصلب المسيح، فلربما فعلوا ذلك مخالفة للمسلمين، وموافقة للنصارى، ودعاهم إلى ذلك أنهم لم يجدوا في الإسلام عورة يقدحون بها، فوافقوا النصارى في قولهم محادة للقرآن الكريم.ولا يخفى ما في هذا الرأي من إغراب .

ثم إن إنكار الأمم للصلب، ثم إيمانها بالنبي صلى الله عليه وسلم، واعتقاد نبوته، وتصديقه بعد صلب المسيح يدل على أن القضية لم تكن مسلمة عند هؤلاء، وإلا لحالت بينهم وبين الإيمان[2].

وهنا سؤال يطرح نفسه على علمائنا الذين ردوا صلب عيسى :من أين حصل اللبس على النصارى؟

القرطبي والأبوصيري يريان أن القوم أتوا من أناجيلهم التي لا ترقى لأن تعتبر من أخبار الآحاد فضلا عن غيرها، لفقدها اتصال السند فضلا عن أن اليهود لا يعرفونه وقد يكذبون، والنصارى لم يحضروا أخذ شبيهه، فنشئ الالتباس ،ويذكر شيخ الإسلام أن بعض النصارى يوافقون المسلمين على صلب شبه المسيح، ونجاة المسيح عليه السلام[3].

ويرى الأبوصيري والخزرجي أن قسطنطين بن هيلانة هو الذي كتب ما كتب في الإنجيل، وهدفه من ذلك انه أراد جمع كلمة الروم عليه، فأراد أن يحملهم على شريعة ينظم بها سلوكهم ويؤلف متفرقهم، فاستشار من لديه من أهل النظر، فوقع اختيارهم على أن يتعبد قومه بطلب دم، ليكون ذلك أقوى لارتباطهم معه، وآكد بجدهم في نصره، وساعده على ذلك ما قرأه في تاريخ اليهود من فقدهم لعيسى، واختلاف أرائهم فيه بعد ذلك.

أما السعودي فيرى أن القصة من وضع اليهود أرادوا أن يسخروا خلالها من النصارى، واستدل على ذلك بما في القصة من ألفاظ منكرة كالحديث عن جزع المصلوب ،وكذا قول الملاك "هذا قبر الرب" (قارن متى ٦/٢٨) وغير ذلك من القبائح.

وأما ابن حزم فقد اتهم بالقصة رؤساء اليهود النصارى وشرطهم، واعتبرهم شيوخ السوء، وأنهم سبب ضلالة الناس بعدهم بالقول بصلب المسيح[4].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٥٩.

(٢) انظره في تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار ،ص ١٢٢.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٤١١ ، ومنظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ، ص ٣٥ ، و الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ٢/ ١٤.

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/ ٦٠ ، بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ، ص١٧٢ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ص ٣٥ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٨٢أ.

نقد روايات الصلب في الأناجيل

ولم يمنع اعتقاد المسلمين تحريف الكتب النصرانية، لم يمنعهم من دراسة قصة الصلب فيها لعلهم أن يجدوا فيها ثغرات يتبين من خلالها أن المصلوب ليس عيسى كما هو معتقد المسلمين.

والمسلمون يعتقدون بأن صلبا قد وقع، وأن هذا المصلوب ليس عيسى، وتختلف المصادر الإسلامية في تحديد شخصية المصلوب.

فقد اعتبرته بعض الروايات يهوذا الخائن وأن الله مكر به لأن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله.

وذهب جمهور المفسرين إلى أن المصلوب أحد الحواريين، وأنه افتدى المسيح بنفسه وسمته بعض المصادر: جرجيس، وأخرى: يهوذا[١].

لكن أيا من الرأيين لا يمكن اعتباره رأيا إسلاميا يدين به المسلمون، لأنه لا سند له في الكتاب والسنة الصحيحة.

ولدى دراسة المسلمين لقصة الصلب في الأناجيل وجدوا أن في القصة ثغرات كثيرة تفتح الباب أمام احتمالات عدة لما حصل في ذلك اليوم، وهذه الاحتمالات كلها تحوم بالشك حول حقيقة شخصية المصلوب.

وهذه الثغرات جاءت على محاور عدة:-

أولا: أن في القصة نقاطا غامضة وتساؤلات تؤكد الشك بحقيقة المصلوب منها:

-أن اليهود والذين أتوا لأخذ المسيح معهم من الجنود لم يكونوا عارفين لشخص المسيح ،ولذلك جاءوا بيهوذا ليدل عليه، واتفقوا معه على أن يقبله، فيعرفوه ويأخذوه (انظر متى ٢٦/٤٨).

وفي يوحنا أن يسوع خرج إليهم وسألهم "من تطلبون؟ فقالوا: يسوع الناصري فقال: أنا هو" وكرر عليه ذلك فهم لا يعرفونه، فلا جزم بحقيقة المأخوذ[٢] ويعجب القرافي من ذلك فيقول: "الإنجيل ناطق بأن المسيح عليه السلام نشأ بين أظهر اليهود ،وكان في مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم يعظهم ويعلمهم ويناظرهم، ويعجبون في براعته وكثرة تحصيله.... وإذا كان في غاية الشهرة والمعرفة عندهم، وقد نص الإنجيل على أنهم وقت الصلب لم يحققوه حتى دفعوا لأحد تلاميذه ثلاثين درهما ليدلهم عليه... فقال له رئيس الكهنة: استحلفك بالله الحي أنت المسيح؟ فقال له المسيح: أنت قلت ذاك... فهذا اللبس العظيم بعد تلك الشهرة العظيمة بعد ثلاث[٣] سنين من المحاورات العظيمة، والمجادلات البالغة ألا يدل[٤] في وقوع الشبه قطعا"[٥].

---

(١) انظر: جامع البيان ، الطبري ، ٩/٣٧٠-٣٧٤ ، التفسير الكبير ، الرازي ، ١١/١٠٠ ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ١/٥٧٤-٥٧٦

(٢) انظر: تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ص١٢٢ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٥٨ ، الرد على النصارى ، الجعفري ، ص ٧٣ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ، ص ٢٤.

(٣) في المطبوع ثلاثين ، والصحيح ما أثبته.

(٤) في المطبوع "أبدل" والصحيح ما أثبته.

(٥) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ٥٦ ، انظر: بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ص ١٦٦-١٦٧ ،

-ومنها أن ظلام الليل حجب عنهم صورة المأخوذ فقد ثبت في يوحنا أن الذين جاءوا للقبض عليه كانوا يحملون المصابيح والمشاعل[1] (انظر يوحنا ١٨/٣).

كما ذكر علماؤنا أمرا آخر أشبه على الناس فلم يعرفوا حقيقة المصلوب هو أنه قد ضرب على رأسه وجلد (انظر مرقس ١٥/ ١٥-١٩)، وهذا يخفي معالم وجهه ومحاسنه[2].

ومنها أنه لما أخذ المأخوذ إلى بيلاطس، وسأله بيلاطس لم يجبه، بل بقي صامتا حتى تعجب منه الحاكم كثيرا. (انظر مرقس ١٥/ ١-١٥) ، يقول الخزرجي: "وفي تلك السكتة تتعين النكتة"[3]

ولعل مقصود الخزرجي أن المأخوذ كان مشدوها مما حصل، وكيف اختلط الأمر على الكهنة والشيوخ حتى ظنوه المسيح، إذ لا ينفع في مثل هذه الحالة إنكاره لشخص المسيح، وقوله بأنه آخر ،وأن الأمر قد اختلط عليهم.

-ومنها أن الأناجيل تذكر عجائب عديدة حصل بعضها في ليلة القبض على يسوع، وبعضها لحظة موته على الصليب، وهذه الأمور التي ذكرها علماؤنا بعضها غير موجود في سياق قصة الصلب وذلك مثل قولهم بأنه في ليلة القبض على المسيح وبينما هو يصلي تغير وجه منظره عما كان عليه، وابيضت ثيابه، وصارت تلمع كالبرق، وإذا موسى بن عمران وإيلياء قد ظهرا له وجاءت سحابة فأظلتهم وقد ذكر ذلك متى، ولكن ذلك لا علاقة له بحادثة الصلب ،فقد جرت قبل حادثة الصلب بزمن ليس بيسير(انظر متى ١٧/ ١-٧).

كما ثمة أمور أخرى ذكرتها الأناجيل صاحبت أحداث الصلب، استرعت انتباه علمائنا مثل وقوع النوم على التلاميذ. (انظر مرقس ١٤/٤٠) ، وظهور الملاك ليقويه . (انظر لوقا ٢٢/٤٢).

ويرى القرافي أن وقوع هذه الأمور جميعا دليل ظاهر على رفع المسيح إلى السماء ونجاته، وإلا فلا معنى لظهور هذه الآيات، ووقوع هذه الأحداث[4].

ويرى الطوفي - ولا دليل لديه - أن الملائكة أطلقت المسيح، وربطت شبهه في اللحظة التي جرت بها ظلمة على الأرض[5] (انظر متى ٢٧/ ٤٥).

والطوفي حسب هذا الأخير يعتبر المسيح قد صلب، ولكنه لم يمت على الصلب، وبهذا يكون قد

الرد على النصارى ، الجعفري ص ٧٤ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٣ب.

(١) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٦٦ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ٥٦ ، الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ص ١٠٣ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٥أ.

(٢) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٦٧ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ٥٦ ، الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ص ١٠٣ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٥أ.

(٣) بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٦٩. وانظر: تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار،ص١٤١ .

(٤) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٥٤ ، الرد على النصارى ، الجعفري ، ص ٧٤ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٢٣أ ، ٩٤ب.

(٥) انظر: الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ص ١٠٣.

خالف ظاهر الآية التي نفت عنه القتل والصلب.

وأما ما ترويه الأناجيل في تفاصيل دقيقة لبعض الأحداث الجانبية في خبر الصلب كزيارة المريمين للقبر وماذا رأين ووجدون.. فإن ذلك كما يرى الخزرجي نوع من تغييب الحقيقة بكثرة الكذب الذي إنما ينطلي على رعاع الأعاجم[1].

مما يدل على أن المسيح وقع عليه شبه غيره أن الأناجيل تذكر أنه بعد الصلب قابل عددا من تلاميذه فلم يعرفوه، ومن ذلك أنه تبع رجلين من أتباعه من أورشليم وماشاهما و لم يعرفاه حتى عرفهما بنفسه (انظر لوقا ٢٤/ ١٢-٢٧) ولما دخل على تلاميذه لم يعرفوه (قارن لوقا ٢٤/ ٣٦-٤١) فدل ذلك كله على وقوعه شبه آخر عليه، كما وقع شبهه على آخر صلب عنه[2].

ثانيا: تناقض واضطراب الروايات الإنجيلية في عرض بعض جزئيات القصة

درس علماؤنا روايات الصلب ولاحظوا تعارضها، وهو بلا شك يلقي بظلال الشك على جملة رواياتها[3] فقد اختلفت الأناجيل فيمن حمل الصليب وهل هو المسيح (انظر يوحنا ١٩/ ١٧) أم رجلا قيروانيا يدعى سمعان (انظر متى ٢٧/ ٣٣)

كما اختلفت في موقف اللصين من المسيح ، فقد ذكر مرقس أن اللصين استهزأا به (انظر مرقس ٣٢/١٥) ،بينما ذكر لوقا أن أحدهما استهزأ به والآخر نهره ، فوعده عيسى الملكوت . (انظر لوقا ٢٣/ ٣٩، ٤٢).

كما اختلفت الأناجيل في تحديد من جاء لزيارة قبر المسيح يوم الأحد هل هو المريمين (انظر متى ٢٨/ ١) أم نساء كثر ؟ (انظر لوقا ٢٤/ ١-١١).

ومما انفرد به متى في رواية الصلب ولو كان حقا لأجمعت عليه الأناجيل، ولأطبقت على ذكره الأمم أن أهل القبور خرجوا من قبورهم وظهروا للناس، وأن الصخور تشققت والأرض تزلزلت (انظر متى ٢٧/ ٥١-٥٣).

كما تكذب الأناجيل عندما تتحدث عن أن المسيح سيمكث في الأرض ثلاثة أيام وثلاثة ليال ليحقق آية يونان النبي كما وعد (انظر متى ١٢/ ٣١-٤١، ٢٠/ ١٨-١٩)، ثم تجده على الحقيقة لم يمكث سوى ليلتين ويوم، وذلك أنه صلب يوم الجمعة، وقبل الغروب أنزل عن الصليب (يوحنا ١٩/ ٢١-٤٢)، ولما جاءت النسوة إلى قبره فجر الأحد لم يجدنه فيه (انظر لوقا ٢٤/ ١-٣).

---

(١)انظر: بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ص ١٧٨.

(٢)انظر: الرد على النصارى ، الجعفري ص ٧٥ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٥ب.

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/ ٤٩-٥٤ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٨٤أ- ٨٥ب.

ثالثا : ما يتعلق بيهوذا

يهوذا يعتبر من أهم شخصيات قصة الصلب، ومع ذلك تكتنف هذه الشخصية ودورها في تسليم المسيح بعض النقاط الغامضة والتساؤلات المحيرة التي أيضا تلقي بظلال الشك على جملة الروايات الإنجيلية، وذلك كما يلي:

١)أن يهوذا أحد التلاميذ الاثني عشر الذين شهد لهم المسيح بالسعادة وأثنى عليهم حيث قال لهم ويهوذا معهم... الحق أقول لكم، متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده عند تجديد كل شيء، تجلسون أنتم الذين تبعوني على اثني عشر عرشا لتدينوا عشائر إسرائيل الاثني عشر" (متى ١٩/ ٢٧-٢٨).

والقول بخيانة يهوذا يكذب المسيح، ويلزم عليه القول بتحريف الكتب، ولا مناص حينئذ من القول بأن يهوذا قد دخل على غير المسيح.

ولاحظ الخزرجي أن المسيح خص يهوذا بثناء خاص عندما جاء ليدل عليه، فقال المسيح له: "يا صديق، ويا صاحب لم أقبلت؟" (متى ٢٦/ ٥٠) فلو كان مصرا على الفساد لما سماه المسيح صاحبا[١].

٢)توبة وندم يهوذا فقد تنبه الخزرجي والقرطبي أن متى ذكر ندم يهوذا ،وأنه وأرجع الفضة إلى رؤساء الكهنة ثم شنق نفسه ، فمن حسن توبته أن لا يدلهم على المسيح، بل على غيره، فالخزرجي ومن تابعه يفترضون أن توبة يهوذا كانت بعد أخذ الدراهم وقبل مجيء الجند لأخذ المسيح[٢].وهي في الأناجيل ليست كذلك.

ويغفل الخزرجي والقرطبي عن أن ندم يهوذا كان بعد محاكمة المسيح والحكم عليه، ولا ينفع الندم حينذاك في تغير الواقع يقول متى "فلما رأى يهوذا الذي أسلم يسوع أنهم حكموا عليه ندم، ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ، وقال لهم: أخطأت حين أسلمت دما بريئا" (متى ٢٧/ ٣-٥).

ومما يجدر ذكره هنا أن سفر أعمال الرسل يذكر نهاية أخرى ليهوذا، خالف فيها متى الذي زعم أنه رد الثلاثين من الفضلة وخنق نفسه (انظر متى ٢٧/ ٢-٩).

وفي أعمال الرسل أنه " اقتنى حقلا من أجرة الظلم وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط، فانسكبت أحشاؤه كلها " (أعمال ١/ ١٨)

٣)أن قول النصارى بخيانة يهوذا، وأنه الشاهد الوحيد الذي دل على المسيح يقدح في الشهادة ، فإن خيانته ترد شهادته[٣].

وشهادة يهوذا الخائن مردودة لو طلب إلينا تقييمها، ولكن شهادته كانت معتبرة عند الذين أمسكوا المسيح وأخذوه ،فلا دلالة فيما قال الخزرجي في هذه النقطة.

وهنا يجدر التذكير بأمر هام لم يعن به أصحاب الردود، وهو: أن إنجيل يوحنا يبرئ ساحة يهوذا

---

(١) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ص ١٦١-١٦٣ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٨٤ أ - ٨٤ب.

(٢) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ص ١٦١-١٦٣ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٥٨ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ص ٢٤ ، الإعلام بما في دين النصارى ، القرطبي ص ١٥.

(٣) انظر: تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ص١٤١، بين الإسلام والمسيحية ، الخزرجي ص ١٦٠.

بعض الشيء فقد جاء فيه دلالة يهوذا على البستان الذي فيه المسيح ثم "خرج إليهم يسوع، وهو عالم بكل ما يأتي عليه، وقال لهم: من تطلبون؟ فأجابوه: يسوع الناصري.قال لهم يسوع: أنا هو..." (يوحنا ١٨/ ٤-٨) فقد كان بإمكان المسيح أن يهرب أو غير ذلك مما قد يندفع به شر هؤلاء الجند.

رابعا: ما يتعلق بالمصلوب

كما وجد علماؤنا عدة أمور تحيل أن يكون المصلوب هو المسيح عليه السلام فمن ذلك:

-جزع المصلوب وصراخه على الصليب ،وهذا أمر لا يليق أن يصدر من المسيح ،وهو يخالف ما ترويه التوراة عن احتضار الأنبياء السابقين ،فقد كانوا مستبشرين بذلك مع أنهم عبيد لله، فكان ينبغي أن يكون المسيح- الذي تدعي النصارى ألوهيته -أصبر من ذلك.

ويعقد الحسن بن أيوب مقارنة في هذا الخصوص بين سلوك المصلوب على الصليب وسلوك شهداء المسيحية، وخصوصا جرجيس حيث نالهم الحرق والقتل والنشر، فما ظهر منهم جزع ولا خوف[١].

ويستغرب السعودي هذا الجزع من الموت مع اعتقاد النصارى أنه تجسد من أجل أن يموت ويكفر بذلك الخطايا[٢].

-وأيضا المأخوذ قبل الصلب أقسم عليه رئيس الكهنة وهو يسأله "استحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع: أنت قلت" (متى ٢٦/ ٦٣).

فهو لم يجب رئيس الكهنة بالإيجاب ،ولو كان هو المسيح لأجاب: نعم. يقول الجعفري: "ذلك من أدل الدلالة على أن المأخوذ ليس هو السيد المسيح، ولو كان هو المسيح نفسه لم يوار في الجواب، ويستعمل الحيدة عن إجابة الكاهن"[٣].

وإن قال أحد من النصارى بأن المأخوذ أيضا لم يصرح بأنه غيره، فعندها يقال لهم: لعل الدهشة أخذت بلسانه، أو لعل الله أسكته، أو لعله من أتباع المسيح، وقد افتداه من الموت[٤].

- وأيضا قد عطش المصلوب وطلب الماء ، فملأ الجند اسفنجة من الخل ، وسقوه (انظر يوحنا ١٩/ ٢٨-٢٩).

ويرى الخزرجي أن هذا يتعارض مع ما ذكرته الأناجيل من أن المسيح كان يطوي أربعين يوما وليلة بغير طعام ولا شراب ،وكان يقول للتلاميذ :إن لي طعاما لستم تعرفونه (انظر متى ٤/ ١-٢).

فكيف يظهر الحاجة والذلة لأعدائه بسبب عطش يوم واحد أو بعض يوم[٥].

---

(١) انظر: رسالة الحسن بن أيوب ٢/ ٢٩٨ ، تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، ص ١٤١، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ٧٤ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٦٧.

(٢) انظر: المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٨٣أ ، ٩٦ب.

(٣) الرد على النصارى ، الجعفري ، ص ٧٤.

(٤) انظر: المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٤أ.

(٥) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٦٤ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ٥٤ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٦ب.

– وأيضا تزعم النصارى ألوهية المسيح ، ثم تزعم صلبه فمن الإله ؟ ومـــن المصلـــوب ؟ ويتســـاءل علماؤنا كيف يكون الإله قاتلا لنفسه ؟ ومن كان يدبر العالم عند الصلب إلى قيامتـــه بعـــد ثلاثـــة أيـــام كما يدعون؟

وهذا التساؤل يجب طرحه على اليعاقبة الذين يقولون بأن الله هو المسيح. أما الكاثوليك فلا، لأنهـــم يفرقون بين الأب والابن المتحد بجسد عيسى.

–وأيضا لا يمكن أن يكون المصلوب عيسى الإله الذي قال في توراتهم: "وإذا كان على إنسان خطيئـــة حقها الموت فقتل، وعلقته على خشبة، فلا تبت جثته على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم،لأن المعلق ملعـــون من الله" (التثنية ٢١/ ٢٢–٢٣) فكيف يلعن نفسه أو لم يكن يعلم أنه أو ابنه سيصلب وتحيق به اللعنة[١].

–وأيضا فإن مما يحيل أن يكون المصلوب عيسى اختلاف اليهود والنصارى في مسألة فورية الصلب.

فالنصارى تقول بفورية صلبه عقب المحاكمة وقبل السبت، ولكن الأبوصيري ينقـــل عـــن اليـــهود أنهم صلبوا المسيح بعدما سجنوه بأربعين يوما[٢].وإن صحت الرواية فالمصلوب غير المسجون.

–وأيضا لا يمكن أن يكون المصلوب هو المسيح، لأنه دعا الله وبالغ في الدعاء أن يصرف عنه هـــذه الكأس فكيف تقول النصارى بأن الله لم يستجب وهم يقولون بأنه قد استجاب لحزقيال عندما دهمه المـــوت فطلب من الله أن يزيده في العمر، فزاده خمس عشرة سنة[٣].(لم أجده في التراجم الحديثة)

وأخيرا يرى الجعفري أنه المصلوب ليس بعيسى، لأن ذلك يمنع تحقق وعد الله لمريم حين بشرها وهـــي بالناصرة: أن المسيح سيكون ملكا لبني إسرائيل ويجلس على كرسي أبيه داود (انظـــر لوقـــا ١/ ٣١–٣٣) والصلب والمهانة شيء والملك والسيادة شيء آخر[٤].

ولا تسلم النصارى بصحة هذا الاستدلال، لأنهم يرون تحقق ذلك إنما يكون في العودة الثانية للمسيح.

وهنا يقال أين هم بنو إسرائيل، وقد اختلطت أنساب الأمم فكيف يملك عليهم من جديد ؟

ومن خلال هذا كله رأي علماؤنا أن سياق القصة في الأناجيل التي تقول بأن المصلوب هو عيســـى، هذا السياق يفتقد في طياته حلقات مهمة، ويفرض تساؤلات كثيرة لن يستطيع النصارى الإجابة عن أكثرهـــا ما دام يقولون بأن المصلوب هو عيسى عليه السلام.

وما دام الحال كذلك فقد افترض الخزرجي احتمالات وافتراضات لما جرى في ذلـــك اليـــوم (يـــوم الصلب)، وقد وافقه أو نقل عنه بعضها القرافي والقرطبي والطوفي، وهذه الاحتمالات تنصب على سد ثغرات القصة الإنجيلية والتوفيق بين تناقضاتها.

وتتراوح هذه الاحتمالات قوة وضعفا، لكنها تبقى أسئلة لا يستطيع النصارى القفز عليها إلا بعـــد أن

---

(١) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٧٧ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفـــاجرة ، القـــرافي ص ١٠٥ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود في الرد على النصارى و اليـــهود ، ص ٨ ، هدايـــة الحيـــارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١٤٨.

(٢) انظر: منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى واليهود ، ص ٢٤.

(٣) انظر: المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩١أ.

(٤) انظر: الرد على النصارى ، الجعفري ص ٧٦ ، و المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل الســعودي ، لوحة ٩٦أ.

يجيبوا عن الحلقات المفقودة في قصة الصلب وهذه الاحتمالات هي كالآتي[1].

-أن يهوذا الاسخريوطي دل الجند على غير المسيح، وتحديدا دلهم على أحد تلاميذه الذي افتدى سيده بنفسه.

– أن الأعوان الذين أطلقوا الشاب الذي جرى ورائه بالرشوة[2] (انظر مرقس ١٤/ ٥١-٥٢) فهؤلاء قد يطلقون المسيح برشوة، فهم ليسوا أكثر نزاهة من يهوذا التلميذ الذي باع المسيح بثلاثين من الفضة.

– ويحتمل أيضا أن الله قد صور للجند شيطانا أو غير ذلك على صورته ، ولذلك لما سألوه سكت ولم يجب.

– ولعل الله قد ألقى شبه المسيح على يهوذا الخائن، كما هي سنة الله في نجاة أوليائه وفي إهلاك أعدائه ﴿ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾[3].

وتستند هذه الاحتمالات على أساسين يلزم النصارى القول هما:

الأول: إمكان وقوع الشبه على الغير، فالله على كل شيء قدير، والتوراة مصرحة بما هو أعظم من وقوع الشبه من غير استحالة، فهي تذكر استحالة العصاة الجامدة إلى حية بعد أن ألقاها موسى عليه السلام (انظر الخروج ٤/٣) ، كما الإنجيل يصرح بأن عيسى قلب الماء إلى خمر (انظر يوحنا ٢/ ٧-٩). فما دام قلب الحقائق يقول به النصارى، فيلزمهم من باب أولى أن يوافقوا على إمكانية وقوع الشبه على الغير.

الثاني: إمكانية الرفع إلى السماء، فالمسلمون يعتقدونه لعيسى كما النصارى، لكن المسلمين يقولون بأن رفعه إلى السماء كان من غير صلب ولا إهانة، بينما تجعل النصارى رفعه بعد الصلب والموت والإهانة، والقول برفع المسيح لا يجعله أول من رفع إلى السماء من أهل الدنيا -عند أهل الكتاب- بل قد سبق رفع النبي أخنوخ (إدريس) (انظر تكوين ٥/٢٤).فدل ذلك على أن رفع المسيح جائز بلا خلاف.

---

(١) انظر: بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٦٧-١٧٠ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ص ٤١٤- ٤١٦ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ص ٥٨ ، الانتصارات الإسلامية ، الطوفي ص ١٠٢.

(٢) والرشوة هنا هي رداؤه الذي أمسكوا به فهرب عريانا ، فتركوه لما ظفروا بردائه.

(٣) سورة النمل ، آية :٥٠- ٥١.

المطلب الثاني: عقيدة الفداء والخلاص

إن عقيدة الفداء أهم ما ينادي به النصارى في كل عصر وحين، بل تكاد هذه العقيدة أن تكون الركن الأول للنصرانية.

فما هي عقيدة الفداء والخلاص كما يعرضها النصارى؟ وما هي ردود علمائنا على هذا المعتقد المهم في معتقدات النصراني الذي يعتقد بأن الله أو الابن قد تجسد في عيسى من أجل غاية هي أن يموت على الصليب فيتحمل عن الناس الخطايا؟.

عقيدة الفداء عند النصارى

ويصور مجادل الخزرجي جانبا من جوانب هذه العقيدة فيقول عن المسيح: "فدانا بدمه المقدس، ومن عذاب جهنم وقانا، ورفع عن أعناقنا الخطيئة التي كانت في أعناق بني آدم بسبب أكله من الشجرة التي نهي عنها، فخلصنا المسيح بدمه، وفدانا بدمه، ومن عذاب جهنم وقانا، أهرق دمه في مرضات جميع ولد آدم، إذ كان الذنب باقيا في أعناقهم جميعا، فكلهم تخلص منه إلا من كفر به وشك فيه"(١).

وقد يسأل سائل لما لم ينتقم الله من عبده آدم وقد عصاه؟ ويجيب مجادل القرطبي "لأنه لما لم يكن في الحكمة الأزلية أن ينتقم الله من عبده العاصي آدم الذي ظلمه واستهان بحقه، فلم يرد الله الانتقام منه لاعتلاء منزلة السيد، وسقوط منزلة العبد.

أراد أن ينتصف من الإنسان الذي هو إله مثله، فانتصف في خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح الذي هو إله متساو معه"(٢).

ويقول بابليون الجاثليق في رسالته لليون الملك "أسرتنا لا يمكن أن تحل إلا بأن يطلع إنسان من جنسنا وطبيعتنا لا تضبطه معصية الذنب ضد آدم، ومن بدمه الطاهر تمحو أزلات الريق المهلك (هكذا) الذي حتمه الله قضى به منذ البدء، فتم ذلك الفعل عند انقضاء الزمن المحدد، وذلك ليتم الوعد الموعود"(٣).

ويرى النصارى أن الفداء إنما تحقق بصلب المسيح وبخروج الماء والدم اللذين خرجا عندما صلب المسيح، وطعنه يودس بالحربة(٤) (انظر يوحنا ١٩/ ٢٤).

وفي رسالة راهب فرنسا للمقتدر بالله يذكر له أن الدخول في النصرانية هو سبيل النجاة في الآخرة حيث أنقذ عيسى الناس من هلكة إبليس اللعين(٥).

والفداء منصوص عليه في أمانة النصارى وفيها "ومن أجلنا معشر الناس، ومن أجل خلاصنا نزل من

---

(١) بين الإسلام والمسيحية، أبو عبيدة الخزرجي، ص ٥٩-٦١.

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي ،ص٤١٠.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي ،ص٤١٠.

(٤) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، الخطيب السكندري،ص ٢٦.

(٥) انظر: رسالة راهب فرنسا للمقتدر بالله، ص٥٠ .

السماء، وتجسد من الروح القدس....."[1].

ويقول بولس "ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا" (غلاطية ١/٣-٤) ويزعم بولس أن هذه العقيدة منصوص عليها في الكتب السابقة فيقول "أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب.. "(كورنثوس (١) ١٥/٣) وفي إنجيل يوحنا أن المعمداني قال عن المسيح "هو ذا حمل الله،الذي يرفع خطيئة العالم" (يوحنا ١/٢٩).

ويعلل النصارى سببين آخرين للفداء هما أن يكون في سفك دمه سنة القرابين التي أمر الله بها موسى عليه السلام، ولكي ينقذ الأشياء والصالحين من الذنب الذي كانوا به معاقبين[2].

ويقول النصارى "إن سر الصلب محو خطيئة آدم، وأن الله تعالى فداه بابنه، كما فدى إسحاق بالكبش، فضرب المسيح عليه السلام عوضا عن رفاهية آدم، وإهانته بدلا من ثمرة التي أكلها بالخلود في الجنة، وصلبه على خشبة لتناوله الشجرة، وسمرت يداه لامتداد يد آدم عليه السلام إلى الثمرة، وسقي الخل والمر عند عطشه لاستطعام آدم حلاوة ما أكله، ومات بدلا عن موت المعصية التي كان آدم يتوقعه[3].

ومن خلال هذه الأقوال نستطيع أن نستخلص النقاط الآتية:

*أن خطيئة آدم مستوجبة عقوبة النار لذريته.

*أن الأنبياء والصالحين عوقبوا بخطيئة آدم حتى أنقذهم المسيح.

*أن سبب نزول الابن وتجسده هو خلاص الناس من خطيئة آدم.

*أن الله أراد أن ينتقم من آدم فانتقم بشخص المسيح، لأنه لا يليق بالإله أن ينتقم من عبد.

*أن البشر لا يخلصهم من خطيئة آدم إلا بشر مثلهم، فكان المسيح هو الفادي.

*أن الخلاص من خطيئة آدم جاء به المسيح لكل الناس، لكن لا ينتفع به سوى المؤمنون به.

*أن فداء المسيح بنفسه سنة للقرابين.

---

(١) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، نصر بن يحيى، ص ٦٨.

(٢) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، الخطيب السكندري،ص ٦٩.

(٣) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي، ص ١٠٦.

نقد عقيدة الفداء

وقد تناول علماؤنا بالرد هذه العقيدة وكان ردهم مشوبا بكثير من العجب والسخرية.

وقد سلكوا من ذلك مسالك ، فوضحوا أن كتب الأنبياء خلت من الحديث عن خطيئة آدم التي يتوارثها الأحفاد عن الأباء كما يزعم النصارى. وأمر عظيم كهذا لا يجوز أن تخلو عنه الكتب السابقة

وأما ما استشهد به النصارى من نصوص يتأولونها، فإنها كما يرى الخزرجي لا يخفى على العواجز ضعفها، ولا يستر على عقول الولدان سخفها[1].

ويصفها الخطيب بأنها "كلام من ليس له عقل سليم وهو يحتاج إلى سامع يسمعه فضلا أن يلتزم ما يرده ويدفعه"[2].

ويتساءل القرافي والسعودي هل تاب آدم من ذنبه أم لا؟

فإن قالوا: نعم. بطل الصلب.

وإن قالوا: لا. كذبتهم النصوص المصرحة بتوبته.

و لم أجد فيما بين يدي نصا كتابيا يشير إلى توبة آدم وإن وجدت ما دل على عقوبته وعقوبة حواء

وإن قالوا: تاب و لم يجزئه التوبة، فلا بد من القتل .ويقال هل كانت التوبة مجزئة عن غيره أم لا ؟ فإن قالوا: نعم فلم لم تجزئ عن آدم.

وإن قالوا: لا. فلم طلب الله التوبة من المؤمنين، وقد جاء في كلام "قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا" (متى ٣/٢).

وكذا قول بولس "أولا تعلم أن إهمال الله لك من العقوبة، إنما هو ليقبل بك إلى التوبة"[3] (رومية ٢/٤).

ويتساءل السعودي لو لم يتب آدم فهل كان قتل المسيح كافيا لخلاصه؟ فإن قالوا: نعم .فلا فائدة من التوبة. وينبغي إذا أن يخلص فرعون ومسلموه إلى القتل من اليهود، وهذا لا يقوله النصارى ،وإن قالوا :لا .فلا فائدة من قتل المسيح.

وإن قالوا: تم الخلاص بالأمرين: فالسعودي يرى بأنه يستوجب أن دم المسيح لم يكن كافيا لإنقاذ آدم إلا بالتوبة، ولولاها لعجز عن خلاص آدم ،فهو عن خلاص غيره أعجز.

وإذا كان لا بد من عقوبة آدم فلما لا تكون بغير الصلب، هل كان الله قادرا عليه بغير صلب؟ إن قالوا: نعم. فالصلب لا أهمية له ولا ضرورة ،وكفروا بنسبة الظلم والحيف لله عز وجل ،إذ صلب المسيح من غير ضرورة ملحة على ذنب لم يرتكبه .

وإن قالوا: لا. كفروا لأنهم نسبوا الضعف والعجز لله عز وجل[4].

ويرى الخزرجي وغيره أن الظلم متحقق في قولهم بأن الله لم يشأ الانتقام من عبده العاصي آدم لاعتلاء

---

(١) انظر: بين الإسلام والمسيحية، أبو عبيدة الخزرجي، ص ١٧٥.

(٢) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، الخطيب السكندري، ص ٦٤- ٦٥.

(٣) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي ،ص١٠٦، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩١ب.

(٤) انظر: المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٣أ.

منزلة السيد وسقوط منزلة العبد.

فإذا كان كذلك "فالأولى أن يعفو عن الذنب، ويتوب على المذنب، وإن الأبعد عنه عز وجل أن يعاقب أحدا بذنب غيره، إن هذا لغاية الظلم ونهاية الجور"[(١)].

ويرى الباجي أنه لو كان عيسى إلها قادرا لما احتاج إلى فدائهم بدمه، بل كان خلقهم مؤمنين، ولو شاء ألا يعصي ما خلق الفتن والشيطان، ولو علم الغيب لما بذل دمه لغاية لم يتحصل له منها أثر[(٢)].

ويتساءل الخطيب أما كان يستطيع الإله(المسيح) أن يخلص هؤلاء من ذنبهم من غير أن يتعرض لما تعرض له من هوان وصفع وصلب؟

فلئن كان عاجزا فتلك رزية الرزايا، وإن كان قادرا وفعل بنفسه ما ترويه النصارى ،فهذا عبث يتعالى عنه الله الحكيم، وأي حكمة تنسب لمن أسلم ابنه لأعدائه ومكنهم من تنفيذ رغباتهم، وذلك كله من أجل أن يخلص البشر من ذنوبهم التي ورثوها[(٣)].

وإذا كان لابد من الفداء فالفداء ينبغي أن يكون بهابيل أو بأحد ذرية آدم من صلبه، وليس ببعد من أحفاده أو بإله ليس من جنسه، فكما أخطأ بشر ينبغي أن يفتدي خطأه بشر.

ثم يقول النصارى واليهود بأن الله فدى إسحاق بكبش ،ففداء آدم من خطيئته بكبش أولى من فدائه بما سوى ذلك"[(٤)].

ويرى علماؤنا أن النصارى لايسعهم القول بأن فداء البشرية قد تم بفاد من جنسها،وذلك أنهم يعتقدون بأن المصلوب هو ناسوت المسيح دون لاهوته ،وقد زعم النصارى أن المسيح وحده يستطيع الفداء،لأنه بلاهوته يعدل البشر جميعا،فيحمل عنهم خطيئتهم،فلما كان المصلوب الناسوت فقط"فإلى الآن لم ينتقم الله ولا انتصف من إله مثله – كما قلت – ،إنما انتصف وانتقم من إنسان من نسل آدم ... كيف أجزت لنفسك أن تقول انتصف من إله مثله". ([٥])

وإذا كان لا بد من تكفير عن تقصير آدم، فينبغي أن يكون التكفير من جنس التقصير لأن القضاء استدراك لمصلحة الأداء ، فكما فوت آدم مصلحة الكف عن أكل الشجرة كان ينبغي أن يكون القضاء بصوم المسيح لا بقتله[(٦)].

ويشبه الخزرجي قصة النصارى في الفداء بـ "رجل أخطأ عبده في حقه، فبقي بعده مدة غاضبا عليه، ساكتا على معاقبته، حتى ولد لنفسه ولد فعمد إلى قتله بذنب العبد الذي كان أذنب له، ألست ترى ذلك – من قتله ولده– أنه أراد أن يشفي نفسه على ذلك العبد فأصبح ذلك زائدا على كربه، وداعيا إلى دوام حزنه.

---

(١) بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي، ص ١٧٣.

(٢) انظر: جواب الباجي على رسالة راهب فرنسا، ص ٧٩.

(٣) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، الخطيب السكندري،ص ٦٨ ،هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،ابن القيم، ص ١٣٩.

(٤) انظر: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي، ص ١٠٦-١٠٧.

(٥) بين الإسلام والمسيحية،أبو عبيدة الخزرجي،ص ١٧٣

(٦)انظر: المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٨٩ب.

وهل يحدث هذا على نفسه عاقل؟"[1].

فالله تعالى يتنـــزه عن مثل هذا العبث من باب أولى، بل إن القوم بقولهم الفاسد ينســـبون لله غائلـــة وحقدا يتعالى عنه كرام البشر.

ثم عودة إلى ما ارتكبه آدم من خطأ، هل يستحق هذا الخطأ كل ما تقوله النصارى؟ إن التوراة وهـــي تروي القصة لا تشعر بعظم هذا الذنب كما لا تقول بوراثته ،فقد جاء في قصة آدم أنه "كانت الحية أحيـــل جميع حيوانات البرية، التي عملها الرب الإله. فقالت للمرأة: أحقا قال الله: لا تأكلا من كل شجرة الجنـــة، فقالت المرأة للحية. من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة قال الله: لا تأكلا منـــه ولا تمساه لئلا تموتاه، فقالت الحية للمرأة :لن تموتا، بل إن الله عالم أنه يوم تأكلا منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر ،فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شـــهية للنظـــر، فأخذت من ثمرها، وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها، فأكل.. فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت" (التكوين ٣/ ١-١٢) فلئن صح النص ولن يصح فإن آدم قد غرر به، و لم يقصد أكـــل الشجرة ،ثم قد عوقب هو امرأته "وقال للمرأة: تكثيرا أكثر أتعاب حبلك، بالوجع تلدين أولادا، وإلى رجلك يكون اشتياقك ،وهو يسود عليك، وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتـــك قائلا :لا تأكل منها ملعونة، الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل حياتك، وشوكا وحسكا تنبت لـــــك، وتأكل عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. (التكويـــن ٣/ ١٦-١٩) فقد عوقب كل من الأبوين. فما وجه وراثة الذنب بعد العقوبة.

وينبه زيادة الراسي إلى ما جاء في (تكوين ٢/١٧) " لأنك يوم تأكل منها موتـــا تمـــوت " ، فـــهذه عقوبة آدم ، وقد نالها بزعمهم بالنفس والجسد ، واستمرت في أبنائه من بعده، فأي خلاص نال آدم وذريتـــه في الصلب ؟[2].

وينقل القرافي قول النصارى في ثاني جمعة لهم من الفطر:" إن فخرتنا إنما هو بالصليب الذي ذهب بـــه سلطان الموت،وصيرنا إلى الأمل والنجاة "، ويقابل القرافي ذلك بالسخرية ، فيقول:" ينبغي لهم أن يمدحـــوا اليهود ويعظموهم ، لأنهم سبب فخرهم ، ولولا اليهود لم يكن لهم فخرة ولا جلالة...وهذه مرابع الناس قـــد خلت من الموت ،والآمال قد تكدرت من خوف الفوت ، ولكن لما كان النصارى لايمـــوت منـــهم أحـــد اعتقدوا أن الناس كلهم كذلك ".[3]

وفكرة الفداء تكفير عن الخطيئة لا تنسجم مع النصوص المنسوبة للمسيح والداعية إلى التسامح ففـــي متى " وأنا أقول لكم: لا تكافئوا أحدا بسيئة، ولكن من لطم خدك اليمنى، فانصب لـــه خـــدك اليســـرى، ومن أراد مغالبتك وانتزاع قميصك، فزده رداءك.. " (متى ٥/ ٢١-٤٤) فإن كان هذا الفعل خلقا ســـاميا فلم لا ينسبون لله العفو والكرم والرحمة بآدم ، إذ كان ينبغي أن يصفوا الرب بما هو أكمـــل ممـــا ارتضـــوه

(١) بين الإسلام والمسيحية ،الخزرجي،ص١٧٣.

(٢) انظر: البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح، زيادة النصب الراسي،لوحة١٤ب.

(٣) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة،القرافي،ص ١٣٧،وانظر:النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانيـــة،نصـــر بـــن يحيى،ص١٠١ .

لأنفسهم من كريم الصفات والخصال[1].

المسئولية عن الأعمال والفداء

كما لا تقبل التوراة أن يتحمل البريء مسئولية عمل الآخرين[2] فقد جاء فيها " لا يعاقب أحد بذنب غيره " (التثنية ٣٤/ ١٦).

وفي الإنجيل ما يحمل الإنسان مسئولية عمله، فقد جاء أن المسيح قال :" إني جامع الناس يوم القيامة عن يمني وعلى ميسرتي ، فأقول لأهل الميسرة: إني جعت فلم تطعموني، وعطشت فلم تسقوني، وكنت غريبا فلم تروني ، ومحبوسا فلم تزوروني ، ومريضا فلم تعودوني فاذهبوا إلى النار المعدة لكم قبل تأسيس الدنيا، وأقول لأهل الميمنة :فعلتم بي هذه الأشياء ، فاذهبوا إلى النعيم المعد لكم قبل تأسيس الدنيا " (انظر متى ٢٥/ ٣١-٤٣)[3].

ويحمل النص على المجاز،فالمقصود منه إطعام الجائع وتأنيس الغريب...،لكنه قول محكم في أن من بني آدم ناجين عندالله كما فيهم هالكين بسبب تقصيرهم وذنوبهم.ولايمكن صرفه إلى غير المؤمنين بالمسيح – حيث تعتقد الكنيسة بهلاكهم – لأنه قد جاء في نص آخر ما يؤكد هلاك بعض المؤمنين العصاة ، فقد قال المسيح:"ما أكثر من يقول لي يوم القيامة:ياسيد أليس قدسنا باسمك وأخرجنا الشياطين ؟ " فيقول مجيبا : " اغربوا أيتها الفجرة العادون ، فما أن عرفتكم قط " (متى ٧/ ٢٢)فهذا نص صريح في هلاك بعض المؤمنين بالمسيح ،وهم الذين حال فجورهم وعملهم دون خلاصهم ونجاتهم ، وعليه فلا خلاص يوم القيامة إلا بالعمل الصالح ، كما قال الله لقابيل:"إن أحسنت يقبل منك ، وإن لم تحسن فإن الخطيئة رابضة ببابك " (التكوين ٤/ ٦-٧)،وكذا جاء في المزامير " يا بني البشر حتى متى أنتم ثقيلي القلوب،لماذا تحبون الباطل ، وتبتغون الكذب ، اغضبوا ولا تأثموا، والذي تهتمون به في قلوبكم اندموا عليه في مضاجعكم:اذبحوا لله ذبيحة البر، وتوكلوا على الرب " (المزمور ٤/ ٢-٥)، فطلب الرب منهم القربى والعمل الصالح ليحصلوا على النجاة. [4]

آثار عقيدة الفداء

وتحدث علماؤنا عن الآثار المزعومة التي يرتبها النصارى على مسألة صلب المسيح ، فثمة آثار لا تصح ، منها زعمهم أن خلاص الأنبياء كان مرهونا بالمسيح المصلوب حيث حبسوا في الجحيم إلى أن نزل المسيح إلى الجحيم ، وأخرجهم منها بدمه المسفوك الفادي ، فهذا قول مستقبح يرى الخزرجي أن لادليل عليه في أسفار التوراة،كما يرفضه العقل ويمجه ،فكيف يقبل أن يقال بأن إبراهيم الخليل أو موسى الكليم

---

(١) انظر: بين الإسلام والمسيحية، الخزرجي ص ١٨٢.

(٢) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، الخطيب السكندري، ص٦٥

(٣) انظر: أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية،الخطيب السكندري،ص١٠١-١٠٢

(٤) انظر:الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة،القرافي،ص ١٠٧،أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية،الخطيب السكندري،ص١٠٢،المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل،أبو الفضل السعودي،لوحة ٩١ب

كانا معذبين في النار بسبب ذنب لم يقترفاه.[1]

ومن الآثار التي لم تتحقق: فداء البشرية من الخطيئة، إذ مازال البشر يخطئون ، و لم يتغير شيء من أحوالهم و لم ينطفئ شيء من فتن الشيطان كما زعم النصارى ، بل يرى القرافي أنه "مازال اليهود والفرس وعبدة الأوثان وأنواع الضلال من العالم ،بل ازدادت الضلالات ،وكثر الكفر والجهل والعناد بوجودهم بين أظهر العالم ، و لم يظهر من ولد آدم لهم شبيه فيما هم عليه من خلط الكفر بالجنون".[2]

لكن ثمة آثار سيئة لهذه العقيدة ، منها أنها تشجع على فعل المنكرات ، إذ كيف تؤول حياة الناس إذا عرفوا أن مجرد إيمانهم بواقعة الصلب المزعوم ، وأنه حدث لتكفير خطاياهم ،يقول الخطيب مخاطبا النصارى :" وكذلك من قتل منكم وسرق وزنا وفسق وركب سائر الذنوب ، يجب على هذا القول أن لايكون مؤاخذا بخطيئته ولا مأثوما على فعله ".[3]

ونلحظ من خلال ما نقله علماؤنا عن النصارى أن الحديث إنما هو عن خطيئة آدم وغفرانها، و لم تذكر نصوص علماء النصارى الذنوب التي يقع بها العباد.

لكن ردود علمائنا أبطلت أن يكون لذرية آدم علاقة بخطيئة آدم، كما أبطلت أن يكون الصلب قد خلصنا من ذنوبنا وخطايانا ، فقد فهم علماؤنا بأن المقصود عند النصارى من إبطال الصلب لخطيئة آدم إبطال جنس الخطيئة التي ورثها الجنس البشري عنه.

فإذا بطلت خطيئة آدم بتحمل المسيح للصلب، وآلامه وموته عليه تبطل الخطيئة من فعل أبنائه، وبطلانها هنا ليس بطلان الفعل، لأن عاقلا لا يقول بأن البشر لا يخطئون ولا يذنبون، وإنما هو بطلان أثر هذه الخطايا وتبعاتها في الآخرة.

---

(١) انظر: بين الإسلام والمسيحية،أبو عبيدة الخزرجي،ص ١٧٤،أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية،الخطيب السكندري،ص ٦٩،منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ،ص ٧،الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام،القرطبي،ص ٤١٧،هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،ابن القيم،ص ١٣٩

(٢) انظر جواب الباجي على رسالة راهب فرنسا،ص٨٧،النصيحة الإيمانية في فضيحة النصرانية،نصر بن يحيى،١٠١،الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة،القرافي،ص١٣٦ .

(٣) أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، الخطيب السكندري،ص١٠١ .

المبحث الرابع: التوراة

﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى و نور يحكم بها النبيون الذين أسلموا ﴾ [1]﴿و أنزل التوراة و الإنجيل من قبل هدى للناس ﴾ [2] تلخص الآيتان بوضوح عقيدة المسلمين في كتاب الله الذي أنزله على موسى عليه السلام.

و لدى التأمل في التوراة التي يتداولها اليهود و النصارى اليوم يتبين بجلاء تام إنها ليست هي التوراة التي يؤمن بها المسلمون.

إذ لا نجد في أسفار التوراة الهدى و النور إلا قليلاً، بل نجد فيها ما يزكم الأنوف، و يأنف العقل أن يصدق بأن ما يقرأه هو وحي الله إلى نبيه موسى عليه السلام.

كان من الطبيعي أن تتجه دراسات علمائنا الذين ردوا على النصارى لدراسة التوراة، إذ التوراة الحقة هي الكتاب الذي أنزله الله على موسى، وجاء به عيسى مصدقاً له فقال :﴿ إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ﴾. [3]

و النصارى يعتبرون الأسفار التوراتية الخمسة المنسوبة لموسى و بقية أسفار العهد القديم المنسوبة للأنبياء يعتبرون هذه الأسفار جميعاً أسفاراً مقدسة يسمونها :العهد القديم، بينما يسمون الأناجيل و ملحقاتها: العهد الجديد.

و تذكر نصوص العهد الجديد أن عيسى عليه السلام اعتبر التوراة كتاباً مقدساً ،و أنه لم يبعث لنقضه فيقول " الحق أقول لكم :إلى أن تزول السماء و الأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة من الناموس حتى يكون الكل "(متى ٥/١٨)، و يقول " ما جئت لأنقض الناموس بل لأكمل " (متى ٥/١٧).

لذا اهتمت الردود الإسلامية المجادلة للنصارى بمحاكمة التوراة التي يحملها النصارى، و كان نقدهم للتوراة بعمومه موجهاً للنصارى أكثر من اليهود، بل إن الباجي تحدث في نقده عن "توراة النصارى" و مقصده الترجمة اليونانية التي بقيت معتمدة لدى سائر النصارى إلى القرن الميلادي السادس عشر، و كان نقد علمائنا للنصارى من خلال النص اليوناني (السبعيني و ترجماته إلى العربية) ، و لعل السبب في ذلك التباين بين طبيعتي الدين النصراني و اليهودي حيث انطوت اليهودية على أتباعها، فيما خرج النصارى لنشر دينهم ، فألفوا الكتب لنشر الاستدلال له و النيل من الإسلام، فاستوجب ذلك دراسة دينهم و منه توراتهم التي يؤمنون بها.

فما هي التوراة التي يؤمن بها المسلمون ؟ وماذا عن التوراة التي بين أيدي النصارى ؟

التوراة اسم يطلقه المسلمون على الكتاب الذي أنزله الله على موسى، ويطلقه أهل الكتاب على الأسفار الخمسة،و على مجموع أسفار العهد القديم التي تنسب للأنبياء و غيرهم .

و المسلمون لا يمنعون أن يكون الله قد أنزل على بعض الأنبياء وحياً إذ هو ما يفهم من قوله تعالى:

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٤٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية:٣.

(٣) سورة الصف ، آية:٦.

﴿قولوا آمنا بالله و ما أنزل إلينا و ما أنزل إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق ويعقوب و الأسباط و ما أوتي موسى و عيسى و ما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم و نحن له مسلمون ﴾ [1].

و يؤكد ابن حزم وجود كتب الأنبياء مستدلاً بقوله ﴿و إنه لفي زبر الأولين﴾ [2]

و لا يعني هذا أن علماءنا يسلمون بصحة نسبة أسفار العهد القديم المنسوبة للأنبياء، فإن ذلك مشروط بثلاث أمور.

١-العلم بالنبوة المنقول عنه.

٢-أن يعلم لفظه الذي تكلم به.

٣-أن تعرف ترجمته الصحيحة.[3]

و لا ريب أن بعض أسفار العهد القديم لا ينسب للأنبياء كبعض المزامير المنسوبة لآساف و بني قورح.

و يحتوي العهد القديم على خمسة أسفار حسب التوراة السامرية، و هي الأسفار المنسوبة لموسى(التكوين – الخروج – اللاويين – العدد – التثنية)و يضاف إليها سفران آخران يعتبرهما السامريون من أدبيات بني إسرائيل المعتبرة من غير القول بأي قداسة لهما، و هما: يشوع و القضاة.

بينما يحتوي العهد القديم العبراني–و الذي يؤمن به عامة اليهود و النصارى–على أربعة مجموعات من الأسفار:

١-الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى.

٢-الأسفار التاريخية التي تتحدث عن بني إسرائيل بعد موسى، وحتى رجوعهم من السبي البابلي، و تنسب إلى عدد من الأنبياء.

٣-الأسفار الشعرية:و تضم هذه المجموعة سفر المزامير و الأمثال و نشيد الإنشاد.

٤-أسفار الأنبياء و تضم أسفار الأنبياء الكبار و هم إشعيا إرمياء و دانيال و حزقيال و هوشع.ويضاف إليها أسفار الأنبياء الصغار و هم: يوئيل و عاموس و عوبديا و يونان و ميخا و ناحوم و حبقوق و صفنيا و حجي و زكريا و ملاخي.

و أما أتباع الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية فيزيدون على هذه الأسفار سبع أسفار تسمى الأسفار الكاثوليكية ،و التي يسميها اليهود و البروتستانت أسفاراً خفية" أبوكريفا " ،و هي: باروخ، طوبيا، يهوديت، الحكمة، الجامعة، المكابيين الأول، المكابين الثاني.

و قد تركزت جهود علمائنا المسلمين و دراستهم للتوراة على الأسفار الخمسة، بل إن الباجي مثلاً لم يتعرض لغير هذه الأسفار، فيما تعرض ابن حزم في نقده إلى أسفار الأنبياء بصورة مقتضبة فيما أفاض في نقد الأسفار الخمسة و خاصة سفر التكوين.

و قد كان لأصحاب الردود المسلمين من التوراة موقف واضح استمدوه من كلام الله عز و علا،

---

(١) سورة البقرة ، آية١٣٦.

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢١٢/١ ، و الآية في سورة الشعراء آية: ١٩٦.

(٣) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٤٩/٢-٥٠

و قد أخبر بالحق عن اليهود و تلاعبهم في التوراة فذكر بأنهم ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه و نسوا حظاً مما ذكروا به﴾ (١) كما أخبر تعالى أنهم كتموا بعضاً مما أنزل الله عليهم ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب و يشترون به ثمناً قليلاً..﴾ (٢) و أن الله بعث نبيه ومعه بيان ما أخفوه ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ﴾ (٣)كما ذكر القرآن الكريم أن الله وكل إلى أهل الكتاب حفظ كتابهم﴿ بما استحفظوا من كتاب الله و كانوا عليه شهداء ﴾ (٤)

ثم كانت إحدى أكبر سوءاتهم أنهم كانوا يكتبون كتباً من عندهم ثم ينسبونها لله عز و جل ﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم و ويل لهم مما يكسبون ﴾ (٥)

و خلص علماؤنا من هذا كله إلى أن التوراة حرفت، و فقد كثير منها، و وضع اليهود كثيراً غيره مما لو تفحصه اللبيب لأذعن بأن هذا الكلام ليس من كلام الله و لا وحيه و في إثبات هذه الحقائق القرآنية كان نقد علمائنا للتوراة.

و قد تمحورت ردود علمائنا و نقودهم للتوراة على محورين:

الأول:تاريخ التوراة ، و سندها.

الثاني:نقد متن التوراة.

وقد أفردت لكل من المحوريين مطلباً خاصاً به.

---

(١) سورة المائدة ، آية:١٣.

(٢) سورة البقرة ، آية:١٧٤.

(٣) سورة المائدة ، آية:١٥.

(٤) سورة المائدة ، آية:٤٤.

(٥) سورة البقرة ، آية:٧٩.

المطلب الأول:تاريخ التوراة و سندها.

تساءل علماؤنا عن مصير التوراة التي أنزلها الله، وعن أسباب ضياعها، و عن علاقة التوراة المتداولة بالتوراة التي أنزلها الله.

و لا تسعف كتب التاريخ في الوصول إلى الإجابة على هذه الأسئلة لذا لجأ علماؤنا للتوراة المتداولة بحثا عن إجابة لهذه الأسئلة، فقد استعرض ابن حزم تاريخ تدوين التوراة من خلال نصوصها ،و توقف مليا عند ثلاث ملاحظات:

١-أن موسى عليه السلام دفع التوراة إلى بني لاوي بن يعقوب حاملي تابوت عهد الرب ، و قال لهم:" خذوا هذا المصحف،و اجعلوه في المذبح،و اجعلوا عليه تابوت عهد الرب إلهكم ، ليكون عليكم شاهدا "(التثنية ٣١/٢٦).

و قد شمل هذا الأمر جميع التوراة عدا سورة واحدة أمر موسى عليه السلام أن تكتب و تعلم لجميع بني إسرائيل ليحفظوها، و يقوموا بها، و قد ذكر ابن حزم هذه السورة بنصها(انظر التثنية ٣٢/١-٤٣).

و قد نبه إلى إنه رغم أهميتها و اهتمامهم بها إلى أنها كانت عرضة للتحريف بدليل ما ورد فيها مما يعتبره ابن حزم لا يليق بالله عز و جل.

فقد جاء فيها "و أخفي وجهي عنكم"(التثنية٣٢/٢٠)و أيضا "أما هو أبوكم الذي خلقكم"(التثنية ٣٢/٦).و أرى أنه ليس ثمة ما يردع اليهود عن تحريف هذه السورة بيد أن ما نقمه ابن حزم تصح له وجوه من التأويل المستساغ.

و من هذا كله ثبت إمكان ضياع التوراة لعدم شهرتها بين عوام اليهود.[1]

٢-تتبع ابن حزم تاريخ بني إسرائيل و سيرة ملوكهم في مملكتي يهوذا في جنوب فلسطين، و مملكة إسرائيل في شمال فلسطين. و قد تكونت المملكتان بعد سليمان عليه السلام حين ثار الأسباط على رحبعام ابن سليمان،و انشئوا المملكة الشمالية فيما توارث أبناء سليمان مملكة يهوذا الجنوبية.

و لاحظ ابن حزم أنه قد تغلبت الوثنية على بني إسرائيل و ملوكهم ،و تتابع الأنبياء يدعونهم إلى التوحيد، فقتلوا من قتلوا منهم و استمرءوا عبادة الأصنام، و لقد كان هذا حال بني إسرائيل و ملوكهم من بعد سليمان عليه السلام إلى سقوط مملكتهم على يد البابليين.

و لم يشذ عن ذلك سوى سنين قليلة عاد فيها بنو إسرائيل إلى التوحيد بسبب صلاح بعض ملوكهم، كما عد لهم ابن حزم سبع ردات بين موسى و طالوت أول ملوكهم، كان مقدار عبادتهم للأصنام فيها مائة و سنتان .

و كانت قاصمة الظهر عندما وقع على بني إسرائيل السبي إلى بابل بعد حرق الهيكل و تدميره، فضاع كل أمل في الحصول على التوراة.

و بعد العودة من سبي بابل نشط عزرا الوراق لإعادة كتابة التوراة، فأعاد كتابتها مصححا ما فيها

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/٢٠١-٢٠٣ ، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص١٤٦.

من الخلل الكثير و اعتمد فيها على حفظه .

و يؤكد ابن القيم بأن لا يوجد دليل على نبوة عزرا و عصمته.

و بعد كتابة عزرا انتشرت التوراة انتشارا خفيفا، ثم ترجمت إلى اليونانية في عهد بطليموس (ق٣ق.م)، و انتشرت بعد ذلك.

و يؤكد ابن حزم أن ما ترجمه السبعون ليس توراة عزرا (العبرانية)بدليل مخالفتها في أعمار الآباء الأوائل.

و يعترف اليهود بأن السبعين الذين ترجموا التوراة لليونانية قد بدلوا ثلاثة عشر موضعا في التوراة، ويرى الخزرجي أن من كان هذا فعله حسب إقراره، فإنه لا يؤمن بأن يكون قد غير و بدل، و لم يذكر ذلك[1].

٣- و من الأمور التي ساعدت على ضياع النص الأصلي من التوراة الترجمات العديدة، فقد ترجمت التوراة لليونانية ثم ترجمت للسريانية ثم القبطية و لغات أخرى.

و خلال الترجمات المتعاقبة ضاعت الأصول، ذلك أن أهل الكتاب يعتمدون في كتبهم على الرواية بالمعنى.و معلوم أن الترجمة لا تكون كالأصل بحال من الأحوال ،إذ تختلف باختلاف دلالات الألفاظ في اللغات.[2]

هذه العوامل و غيرها كانت سببا في ضياع التوراة التي أنزلها الله على موسى.

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/١٩٤-١٩٨ ، و المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ٦/١٣٤ ، و بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٣٨ ، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٧٨-٨٠ ، و هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١٠٦ ، ١٠٩

(٢) انظر : الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ٩٢ -٩٣ ، المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص ١٠٢.

المطلب الثاني :نقد متن التوراة.

و أما التوراة الموجودة بين أيدي علمائنا فإنهم يقطعون بأنها ليست التوراة التي أنزلها الله، بل تعرضت للكثير من التشويه.

و قد اختلف علماؤنا في حجم و نوعية التحريف الموجود في التوراة، فرأى البعض و منهم البخاري و الرازي ،و إليه مال ابن كثير أن التوراة حرفت بلي اللسان و صرف الألفاظ عن معانيها من غير أن تتعرض الألفاظ للتغير.

و ذهب جمهور العلماء إلى وقوع التحريف الفظي و المعنوي في أسفار التوراة [1]،وهو الصحيح الذي لايحيد عنه من وقف على نسخة من نسخ التوراة.

وقد استدل علماؤنا لصحة قولهم بتحريف التوراة بأمور :

أولها : أنه توجد ثلاث نسخ متباينة للتوراة ، وهي:العبرانية التي يسميها ابن حزم :توراة عزرا.واليونانية التي ترجمها السبعون ، والسامرية التي ذكر ابن حزم أنه لم يطلع إلا على جزء يسير منها ، فحكم باختلافها عن التوراتين المشهورتين ، ونبه ابن حزم إلى أن التوراة السامرية سبعة أسفار فقط (الخمسة ويشوع والقضاة).

و يذكر أصحاب الردود الإسلامية تبادل السامريين و العبرانيين الاتهامات في مسألة التحريف، فكل فريق يتهم الآخر به[2].

وقد ذكر ابن حزم أمثلة كثيرة اختلفت فيها توراة العبرانيين عن التوراة اليونانية ،منها أنه جاء في العبرانية أن أينوش ولد و لأبيه شيث مائة و خمس سنين (انظر التكوين٥/٦) بينما تزعم التوراة اليونانية أن عمر شيث يومذاك مائتي سنة و خمس سنين.

و بالمزيد من المقارنات في أعمار الأباء الأوائل تبين لابن حزم و الجويني من بعده استحالة القول بأن هذين التوراتين توراة واحدة، إذ الفرق بينهما في عمر الدنيا يقارب الألف و الثلاثمائة عام.

و ذكر الباجي مثالا آخر من خلاف التوراتين و هو أن اليونانية جعلت ولادة إبراهيم بعد ثلاثة آلاف سنة من خلق آدم، بينما تجعله التوراة العبرانية بعد ألف و تسعمائة و ثمان و أربعين سنة[3]

و يذكر زيادة النصب الراسي أن ما بين آدم و المسيح يبلغ حسب العبرانية ٤٠٥١ سنة ، بينما يبلغ حسب اليونانية ٥٥٠٨ سنة.

---

(١) انظر : التوراة ، محمد شلبي شتيوي ، ص٦٥-٦٨ ، وانظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٥/٢ ، ٣٦١-٣٦٨

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١٢٧/١ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٣٩ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص١٠٦ ، ١١٤.

(٣) يذكر سفر التكوين أن بين مولد سام و مولد إبراهيم ما مجموعه أربعمائة و تسعين سنة (انظر : التكوين١١/١-٣٢) و قد كانت ولادة سام بعد خلق آدم بألف و خمسمائة و ست و خمسين سنة (انظر : التكوين ٥/١-٣٢) فتكون ولادة إبراهيم بعد ألفين وست و أربعين سنة من خلق آدم.

و هذه الخلافات و غيرها تسقط الاستدلال بالتوراتين حتى يقيم النصارى التوراة الصحيحة منهما أو من غيرهما[1] .

الثاني : لدى دراسة التوراة تبين لعلمائنا استحالة صحة نسبة هذه الأسفار إلى الله عز و جل، فقد حوت ضروبا من الخلل تدل على تحريفها كالتناقضات فيها، و الكذب، و الركاكة الغوية...فسائر هذه الأمور إن ثبت وجودها في التوراة بطلت نسبتها لله عز و جل.

و هذا الذي وجده أصحاب الردود الإسلامية و ذكروا بعضا منه، فمنه :-

أــ أن التوراة حوت من الكفر ما لا يليق أن ينسب إلى الله في كتاب من كتبه ،و يتمثل ذلك في إساءة التوراة المتكررة للذات الإلهية، و الأنبياء الكرام.

ومن إساءتها لمقام الألوهية تجسيمهم الله عز و جل و اعتقادهم مشابهته للبشر، فقد جاء في سفر التكوين أن الله قال"و أصنع أبناء آدم كصورتنا كشبهنا"(التكوين ١/٢٦).

و يرى ابن حزم أن لو كان النص مقتصرا على ذكر الصورة لكان له وجه حسن ومعنى صحيح،فتكون إضافة الصورة لله كإضافة الخلق والملك. [2]

لكن قوله" كشبهنا "منع التأويلات،وأوجب شبه آدم لله عز و جل، و هذا مما يقدح العقل ببطلانه، كما تذكر التوراة لله ظلما يتزه عنه في قولها:" إني أنا الله الثقف آخذ الأبناء بحوب الآباء " (انظر الخروج ٣٤/٧) ، والظلم يتنزه عنه الخالق بدليل قول الشرع والعقل.

وتتحدث التوراة عن الله عز وجل كما لو كان كائنا بشريا ، وفي ذلك صور كثيرة ذكرها ابن حزم ،منها القول بمصارعة يعقوب لله بعد تجسده على الأرض (انظر التكوين ٣٢/٢٤ــ٣١).

و أيضا ما جاء في إشعيا أنه رأى الله شيخا أبيض الرأس و اللحية(لم أجده في الترجمات الحديثة، وانظر الرؤيا١/١٢-١٩) ، و أنه قال "من سمع قط مثل هذا، أنا أعطي غيري أن يلد ، و لا ألد أنا، أنا الذي أرزق غيري أفأكون أنا بلا ابن " (لم أجده في الترجمات الحديثة).

و مثله في التجسيم قول التوراة في وصف ذهاب السبعين لسماع كلام الله فتقول:" و نظروا إلى إله إسرائيل، و تحت رجليه كلبنة من زمرد فيروزي، و كسماء صافية، و لم يمد يده إلى خيار بني إسرائيل " (انظر الخروج ٢٤ /٩-١١)، و من التجسيم في التوراة حديث التوراة عن مشي الله في الجنة ، و سماع آدم لوقع خطواته (انظر التكوين ٣/٨)، و مثله ما جاء في إشعيا " هذا هو الله الرب، يأتي بعزه...شبر السماء بشبره، و كال تراب الأرض بكفه " (إشعيا ٤٠/١٢).

و نقل القرافي عن التوراة قولها بأن الله لما خلق الخلق في ستة أيام استراح في اليوم السابع

---

(١)انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٨-٩ ، و شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ، الجويني ، ص ، و المغني في أبواب التوحيد والعدل ، القاضي عبد الجبار ١٦/١٣٦ ، و على التوراة ، علي الباجي ، ص ٦١ ، و بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٣٩ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١/٣٨٠ ، و البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٤٥أ.

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/١١٧-١١٨ .

(انظرالتكوين٢/٢-٣)، قال القرافي: " و في هذا جهالات منها التجسيم، و منها ضعف القدرة لطرآن التعب و النصب، و منها أنه يلزم أن يكون إلههم حادثا....

و هذه المواضع و شبهها من أعظم الأدلة على تبديل التوراة، وأن الموجود في أيدي النصارى ليست التوراة المنزلة من عند الله تعالى، و هذا يجزم به كل عاقل".

و تقدم التوراة صورة ساذجة عن الله لا تليق بعظمته و جلاله، بل هي بالكائن البشري أليق، و من ذلك أن الله تعالى قال لموسى: " لست أنزل معكم لأنكم قساة الرقاب" لكن موسى ترجاه قائلا :" إن كنت سيدي عني راضيا،فأنا أرغب إليك أن تذهب معنا...سأخرج بنفسي بين يديك " (انظر الخروج ٣٣/١٢-١٤).ومثله ما جاء في سفر التكوين ،وفيه " فقال الله لقايين:أين هابيل أخوك؟ فقال:لا أدري.أرقيب أنا على أخي؟ " (التكوين ٤/٩)فمثل هذه الوقاحة في مخاطبة الله لاتصدر عن مخلوق كائنا من كان،ثم من ذا الذي يخاطبه الله؟و لم ؟ و سوى ذلك من القبائح و النقائص التي لا يصح أن ترد بحق الله في كتبه و لا كتب غيره[(١)].

و تسيء التوراة إلى أنبياء الله، و تنسب إليهم قبائح يتنزه عنها كرام الناس فضلا عن أنبياء الله و صفوة خلقه، و من ذلك القول بسكر نوح و تعريه(انظر التكوين٩/٢٠) ثم دعائه الظالم و لعنه لكنعان بغير ذنب أذنبه، بل بسبب أن أباه حام بن نوح عندما كان صغيرا رأى عورة أبيه فلم يحسن التصرف(انظر التكوين٩/٢٥).

و لا يليق أيضا ولا يصح بحال قول التوراة بزنى داود بزوجة أوريا الحثي(انظر صموئيل(٢)١١/٢-٢٦) ومثله القول بأنه قتل أبناء شاول الملك انتقاما من أبيهم شاول(طالوت)فلم ينجو من بطشه سوى طفل صغير منهم (انظر صموئيل (٢)٣/١-١٨) ،و أن داود عليه السلام خاطب ربه فقال" أصغ إلي سمعك يا رب" (مزمور١٧/٦)، و من القبح و المحال أيضا القول بزنا لوط بابنتيه (انظر التكوين ١٩/٣٠-٣٧) و حاشاهم جميعا من ذلك ، و كذا تذكر التوراة أن هارون هو الذي صنع لهم العجل ليعبدوه (انظر الخروج ٣٢/٢-٥)،و كذا تذكر التوراة أن إبراهيم قال لله لما أراد إهلاك قوم لوط " أنت معاذ أن تصنع هذا الأمر، لا تقتل الصالح مع الطالح " (التكوين ١٨/٢٣). و مثله أن داود شبه الله بما لا يليق فقال:" الرب قام كالمنتبه من نومه، كالجبار الذي يقربه أثر الخمار " (مزمور ٧٨/٥٦)فلا يمكن لنبي أن يقول بمثل هذا التشبيه السخيف في حق الله عز و جل إذ هو يصور قيامه بقيام الكسل المخمور الذي يتمدد و يتمطى قبل أن يقوم..

و مثل ذلك الأسلوب الجاف في الطلب من الله أو التشبيه لا يصدر من أنبياء الله الكرام، فدلت نسبة هذه القبائح و غيرها إلى الأنبياء على أن هذا الكتاب ليس كتاب الله جل و علا.[(٢)]

---

(١) انظر : المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص ١٠٧ ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/١١٧ ، ١٤١ ، ١٦١ ، ٢٠٩ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٤٥ ، ٢٥٠-٢٥٢الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٤٧-١٤٨ ، و منظومة الأبوصيري ، ص٩ ، و الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ص١٦١-١٦٧ ، على التوراة ، علي الباجي ، ص ٢٥-٣٥.

(٢) انظر : المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص ١٠٧ ، و الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/١٣٣ ، ١٦١-١٦٢ ، ١٩٠ ، ٢٠٦ ، و بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٢٠ ، ٢٤٦-٢٥٦ ، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٤٦ ، ١٥١ ، و منظومة الأبوصيري ص١٠ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٤٨ب.

ب — حوت التوراة العديد من الأغلاط أو الأكاذيب التي لايجوز أن تنسب لله عز وجل،فإن الغلط فرع عن الجهل والضعف،والرب العظيم يتنـزه عن ذلك.

فدل وجود هذه الأغلاط على صدور التوراة من بشر ضعيف جاهل، و من هذه الأغلاط التي ثبت بطلانها بالواقع ما جاء في سفر التكوين "و نهر يخرج من عدن فيسقي الجنان، و من ثم يفترق فيصير أربعة أرؤس، اسم أحدها النيل، و هو محيط بجميع بلاد زويلة الذي به الذهب، و ذهب ذلك البلد جيد، و بها اللؤلؤ و حجارة البلور، و اسم الثاني:جيحان و هو محيط بجميع بلاد الحبشة و اسم الثالث: الدجلة، و هو السائر شرق الموصل، و اسم الرابع:الفرات"(التكوين٢/١٠-١٤).

فيرى ابن حزم كذب هذا النص في أمور هي أن هذه الأنهار من أنهار الدنيا، و يعرف أماكنها و منابعها، و نسبتها لجنة عدن من الكذب.و أيضا: فإن نهر جيحان من أنهار الروم، و القول بأنه في الحبشة خطأ كبير.

ولهذا النص ولاريب أصل صحيح تحرف عنه، ففي صحيح مسلم" أربعة أنهر يخرجون من أصلها ، نهران ظاهران ونهران باطنان، أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات " أي أن الأصول التي خرجت منها هذه الأنهار في الجنة، لا أنها متصلة الآن بالجنة.

كما تذكر التوراة أن الملائكة لما مرت بإبراهيم أطعمهم خبزا و لحما، و سقاهم لبنا و سمنا، ثم لما رجعوا من مدائن لوط عشاهم فطيرا.(انظر التكوين ١٨/٦-٨،١٩/٤)[1].

و يرى القرافي أن القول بأن الملائكة تأكل و تشرب من الكذب و الغلط إذ الملائكة أجسام روحانية لا تأكل و لا تشرب ،و قد جاء في الإنجيل أن أهل الجنة كالملائكة لا يأكلون و لا يشربون(انظر متى ٢٢/٣٠).

و كذا تذكر التوراة أن الله وعد إبراهيم في ابنه أن يرث ما بين النيل و الفرات فقال:" لنسلك أعطي هذا البلد، من نهر مصر الكبير إلى نهر الفرات : (التكوين ١٥/١٨-١٩)و هذا الوعد لم يتحقق طوال التاريخ في أبناء إسحاق، و لن يتحقق في المستقبل إذ اختلط بنو إسرائيل بغيرهم من الأمم، فهيهات أن يعودوا بعد هذه القرون.

فإن قالوا بأن بني إسماعيل حققوا الوعد فهذا مهرب فاسد ،إذ ما ملكه بنو إسماعيل أكثر من ذلك بكثير، فلو كان المراد بالوعد إسماعيل و أبناؤه فليس في ذكر القليل و ترك الكثير ما يليق بالوعد، ثم إن مما يصرفه أيضا النصوص الأخرى التي أكدت أن الوعد في إسحاق(انظر التكوين ١٧/٢١).

و من الغلط أيضا قول التوراة أن الله قال لإبراهيم " و أنت تسير لآبائك بسلام، و تدفن بشيبة صالح، و الجيل الرابع من البنين يرجعون إلى ههنا " (التكوين ١٥/١٥-١٦) أي الشام.

و الواقع التاريخي يكذب هذا النص فقد كان الجيل الثالث و الرابع من إبراهيم و هم الأسباط و أبناؤهم، كانوا هم الداخلين إلى مصر، لا الخارجين منها، و أما الخارجون منها فهم الجيل السادس من أبناء

---

(١) و في التراجم الجديدة ما يفيد أن ضيوف لوط هم الرب جل و علا و اثنين من ملائكته فقد جاء فيه "و ظهر له الرب عند بلوطات ممرا... يا سيد إن كنت وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك " (التكوين١٨/١-٣٣).

إبراهيم[1].

و من الكذب أيضا ما ذكرته التوراة عن تخلي إبراهيم عن زوجته بعدما فتن بها الملك أبيمالك ملك جرار،فتقول بأن إبراهيم خشي على نفسه الموت ،فقال هي أختي.(انظر التكوين ٢٠ /١-٥)، ويستدل ابن حزم في تكذيبه للنص بما جاء في سفر سابق يتحدث عن سارة و قد جاوزت التسعين ، و وعدت بإسحاق (انظر التكوين ١٧/١٧)،و قد ولدت إسحاق بعد تعرض أبيمالك لها(انظر التكوين ٢١ /١-٤)، و يتساءل ابن حزم كيف لامرأة قد جاوزت التسعين أن تفتن ملكا، فهذا دليل باهر على كذب الرواية[2].

وأصل القصة رواه البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد جاء فيها أن إبراهيم قال للطاغية " هي أختي "، وذلك أنه علم أن عرضه محفوظ بحفظ الله لجميع أعراض الأنبياء، فلن يصل إليها بسوء، كما كان صنيعه غيرة على الدين وخوفا من اندراس التوحيد ،لا خوفا على ذاته،فقد جاء في الحديث " والله إن على الأرض مؤمن غيري "، و لم يذكر الحديث شيخوخة سارة يومذاك، فهذا باطل بلا ريب.[3]

و من الكذب أيضا الوعد الذي تنسبه التوراة لله في أنه قال" لا تنقطع من يهوذا المخصرة، و لا من نسله قائد حتى يأتي المبعوث الذي هو رجاء الأمم " (التكوين ٤٩/ ١٠)و قد ثبت الكذب بانقطاع الملك من بني إسرائيل عند غزو بختنصر، و لم يرجع الملك بعد العودة من السبي إلى سبط يهوذا[4].

و من الكذب و الغلط ما جاء في سفر الخروج :" قال السيد لموسى:قل لهارون:مد يدك بالعصا على مياه مصر و أنهارها و أوديتها و مروجها و جنانها لتعود دما، و تصير ماء في آنية التراب و الخشب.ففعل موسى و هارون ما أمر به السيد...و صار الماء في جميع أرض مصر دما " (الخروج ٧ /١٩-٢١) ثم بعد ذلك يقول السفر :" ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقاهم، و اشتد قلب فرعون، و لم يسمع لهما على حلل " (الخروج ٧/٢٢).

و يتساءل ابن حزم عن الفائدة من هذه الآية الباهرة إذا كان السحرة قد استطاعوا أن يأتوا بمثلها، و بذلك زاد كفر فرعون و ضلاله[5].

و من الكذب أيضا ما ذكرته التوراة في أعداد بني إسرائيل فتتحدث عن أعداد بني إسرائيل عندما وصلوا إلى سيناء فإذا هم قد بلغوا الألفي ألف ،و هم الذين دخلوا مصر قبل ما يقارب المائتي سنة ، و عددهم واحدا و خمسين رجلا(والصحيح أنهم سبعون.انظر التكوين٤٦/٢٧).فتكاثر هؤلاء حتى يصلوا إلى الألفي ألف في هذا الوقت الوجيز من غاية المحال.

و مما يدل على المبالغة في هذه الأعداد أن التوراة ذكرت أنهم كانوا يعملون بصنع اللبن فأمر فرعون بمنع التبن الذي يصنع منه اللبن عنهم"فتفرق الشعب في كل أرض مصر ليجمعوا قشا عوضا عن التبن (انظر الخروج ٥ /١٢).

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/١١٨ ، ١٢٤_١٢٩ ، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٤٨-١٤٩.

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/١٣٥.

(٣) رواه البخاري برقم:٢٠٦٥، وأبو داود برقم:١٨٩١ .

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/١٥٢.

(٥) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/١٥٦-١٥٧.

فهل يعقل أن يقال بأن هؤلاء المليونين كانوا يعملون في صناعة اللبن؟أم أن الصحيح هو أن هـؤلاء القلة كانوا يعملون ذلك[1].

ج — و حوت التوراة أبوابا من التناقضات في بعض التفاصيل التي تذكرها.

و هذا التناقض دليل على بشرية التوراة، و أنها ليست من وحي الله عز و جل إذ كلام الله لا ينقض بعضه بعضا ﴿أفلا يتدبرون القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾[2].

و في التوراة تناقضات عديدة جاءت على أنواع ثلاثة:

١-ما تناقض فيه النص مع بعضه،و منه ما نبه إليه الباجي فقد ذكر سفر التكوين أن الله خلق في اليوم الأول السماوات و الأرض ،ثم ذكر بعده ما يفيد أنه خلق السماء في اليوم التالي " قال الله ليكن جلد وسط الماء ...و صنع الله الجلد سماء " (التكوين ١/٦-٧)

و مثل ابن حزم له بما جاء في سفر التكوين عن الطوفان فقد قال " و كان المطر على الأرض أربعين يوما و أربعين ليلة...و تعالى الماء على الأرض مائة و خمسين يوما"(التكوين ٧/١٧-٢٤)[3].

و لكن هذا يمكن الجمع فيه بأن الأربعون زمن هطول المطر، و المائة و الخمسين زمن بقاء الماء على الأرض فلا تناقض.

و من صور تناقض النص مع بعضه ما جاء في سفر التكوين أن هابيل بن آدم كان راعي غنم (انظر التكوين ٤/٢)ثم تذكر التوراة بعد سطور أن يابال، و يعتبر من الجيل السابع لآدم قد كان أول من ملك الماشية(قارن التكوين ٤/٢٠).

٢-ما تناقض فيه النص التوراتي مع النصوص الأخرى، فثبت بها كذب أحد النصين أو تكذيب النصين حتى يتبين الصحيح منهما، أو من غيرهما.

و من ذلك ما ذكره زياد النصب الراسي في أعمار بعض ملوك بني إسرائيل فإن التوراة ذكرت بأن عمر أخزيا عندما ملك على بني إسرائيل كان اثنان وعشرون سنة(انظر ملوك(٢)٨/٢٦)ثم ذكرت أنه ملك و عمره اثنان وأربعون سنة(انظر الأيام(٢)٢/١٢)فأي النصين هو الصحيح[4].

و منها أنه جاء في سفر التكوين في الإصحاح السادس أن البهائم التي نجت مع نوح اثنين اثنين من كل ما يدب على الأرض "من البهائم، و من كل الوحوش، و من كل جسد اثنين اثنين...من كل دبيب يدب على الأرض اثنين اثنين يدخلون معك " (التكوين ٦/٢٠-٢١)، ثم نقض ذلك في الإصحاح السابع فقال : " من الدواب الطاهرة سبعة سبعة، و من غير الطاهرة اثنين اثنين " (التكوين ٧/٢-٣)[5].

و تذكر التوراة زواج موسى ابنة يثرون المديانية (انظر الخروج ٢/٢١)، ثم يذكر في موضع آخر أنها

---

(١) البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٤٨أ.

(٢) سورة النساء ، آية:٨٢

(٣) على التوراة ، علي الباجي ، ص ٤٩.

(٤) البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٤٨أ.

(٥) انظر : على التوراة ، علي الباجي ، ص ٤٥.

حبشية (كوشية) (انظر العدد ١٢/١).

و لا يمكن أن تكون زوجته حبشية مديانية في وقت واحد، و هي ليست زوجة ثانية ،و قد جاء في قاموس الكتاب المقدس "كانت امرأة موسى كوشية..و ربما كانت نفس صفورة المديانية"[١].

و من التناقض أيضا تناقض سفر التثنية مع سفر الخروج في وراثة الذنب ففي التثنية أن الذنب لا يورث، و كل مسئول عن عمله (انظر التثنية٢٤/١٦)، و في الخروج أن الذنب يورث للجيل الثالث و الرابع (انظر الخروج ٢٠/٥).

٣-ما تناقض فيه النص و تخالف مع عقيدة النصارى و أصول دينهم ،و يخيرهم علماؤنا بين إنكار أصولهم و معتقداهم أو إنكار النص، و عدم القول بقدسية الكتاب الذي ورد فيه.

و من ذلك قول التوراة: " و إن أذنب رجل ذنبا فليقتل، و ليصلب على خشبة، و لا يبات جسده على الخشبة، و لكن يدفن من يومه من أجل أنه من الله ملعون كل مرفوع على الخشبة " (التثنية ٢١/٢٢-٢٣).

قال الباجي فإن هذا نص يقتضي أن عيسى عليه السلام لم يصلب على خشبة،و إنما شبه لهم، و بيانه أنه لو صلب على خشبة لكان ملعونا من الله، فلم يصلب.

أما المقدمة الأولى (أن المصلوب ملعون) فبمقتضى هذا النص، و أما الثانية (أن عيسى لا يمكن أن يكون ملعونا من الله) فبالإجماع منا و من النصارى، و هذا أمر لا مخلص منه أصلا، و لا جواب عنه البتة"[٢].

كما لاحظ الباجي مخالفة النصارى للأحكام التي في التوراة التي لا يقولون بنسخها كتحريم الطلاق، و التوراة تقول " و أي رجل منكم نكح امرأة فلم يرزق منها حيا، أو وجد عليها غيره، فيخلي سبيلها بالمعروف، و ليكتب لها كتاب الطلاق " (انظر التثنية ٢٤/١).

قال الباجي:" هذا نص صريح في شرعية الطلاق بأحد هذين السببين، مع أن النصارى لا يقولون به، فقد خالفوا كتابهم " [٣].

و ليس مقصود الباجي أن يبين بعدهم عن شريعتهم، إذ ليس هذا موضوع كتابه، و إنما مقصوده لفت النظر لما في أيديهم من الكتاب المحرف الذي سهل عليهم الخروج من أحكامه لما علموا بشرية وضعه و أحكامه.

كما تطرق أصحاب الردود الإسلامية في نقدهم للتوراة إلى عيوب ترجماها، و لاحظوا ركاكة تعابيرها، و سوء أسلوبها البياني.

و رأى الجاحظ بأن وجود العبارات المشكلة في التوراة سببه الترجمة الركيكة و الجهل بمقاصد الألفاظ[٤].

و كذا تعقب الباجي كثيرا من النصوص التوراتية بالنقد منها ما جاء في سفر التكوين " و أبدع الله

---

(١) انظر :الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١٨٣/١ ، قاموس الكتاب المقدس ، بطرس عبر الملك و آخرون ، ط٩ ، دار الثقافة ، ١٩٩٤م ، ص٧٩٩.

(٢) على التوراة ، علي الباجي ، ص ١٣٨ ، و انظر : منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٢٥.

(٣) على التوراة ، علي الباجي ، ص ١٤٠.

(٤) انظر : المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص ١٠٦.

الإنسان على صورة الله، صنعه ذكرا و أنثى، صنعهما و باركهما الله " (التكوين ١/٢٧-٢٨)

قال الباجي :" فإنه لا يحسن أن يقال :" باركهما "، بل يقال:بارك فيهما. لأنه فعل لازم لا يتعدى إلا بحرف جر "[١].

و كذا عاب النص بما فيه من أخطاء بيانية كما في قوله " لنصنع إنسانا كصورتنا " (قارن التكوين ٢٦/١).فصيغة الأمر إنما تتجه نحو المأمور المخاطب أو الغائب، لأن أمر الآمر لنفسه ممتنع سواء كان أمر تكوين كهذا، أو أمر تكليف[٢].

كما نبه الباجي إلى التكرار الكثير الذي تمتلئ به الأسفار الخمسة التي نقدها، و جله مما لا فائدة فيه، و لا يليق أن يكون في وحي الله مثل ذلك التكرار الذي ليس له فائدة.

و منه ما جاء في سفر التكوين من ذكر للفساد خمس مرات متتالية " و فسدت الأرض قدام الله، و امتلأت الأرض ظلما، و نظر الرب الأرض قد فسدت، و أن كل جسد قد أفسد على الأرض...الأرض قد امتلأت من جورهم " (التكوين ٦/١١-١٣).

و لإثبات مدى التحريف و التلاعب الذي تعرضت له التوراة بين أيدي المترجمين[٣]،قارن ابن حزم بين نسختين في نص واحد ففي إحدى النسخ النص يقول :" و أسكن في شرقي جنة عدن الكروبيم، و لهيب سيف متقلب بحراسة شجرة الحياة " (التكوين ٣/٢٤).

و النص في نسخة أخرى ..." و وكل بالجنان المشتهر إسرافيل، و نصب بين يديه رمحا ناريا ليحفظ طريق شجرة الحياة "

قال ابن حزم "إن لم يكن أحدهما خطأ من المترجم، و إلا فلا أدري كيف هذا؟"[٤].

---

(١) على التوراة ، علي الباجي ، ص ٣٨ .

(٢) انظر : على التوراة ، علي الباجي ، ص ٢٥.

(٣) انظر : على التوراة ، علي الباجي ، ص ٢٤.

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١٢١/١.

المبحث الخامس:العهد الجديد.

كان من الطبيعي أن يهتم أصحاب الردود الإسلامية بدراسة العهد الجديد الذي يؤمن به النصارى على أنه بقية كلمة الله التي كتبها تلاميذ المسيح بإلهام من الروح القدس.

و يتكون العهد الجديد من مجموعات:

١-الأناجيل الأربعة (متى مرقس و لوقا و يوحنا).

٢-الرسائل و تنسب أربعة عشر لبولس و ثلاث ليوحناو اثنتان لبطرس و رسالة إلى يعقوب و أخرى ليهوذا ،ثم رؤيا يوحنا اللاهوتي، و قبل ذلك كله سفر أعمال الرسل المنسوب للإنجيلي لوقا [(١)].

و المسلمون حين يؤمنون بالإنجيل فإنهم يؤمنون بالإنجيل الذي أنزل الله على عيسى ، والذي بشر به عليه السلام، وهو الإنجيل المذكور في الأناجيل المختلفة بين أيدي النصارى

أما الأناجيل التي في أيدي النصارى فهي قصة تاريخية ألفها بعض التلاميذ أو تلاميذهم عن المسيح وضمنوها أقواله وأفعاله .

ويصفها الخزرجي فيقول:" فأناجيلكم حكايات وتواريخ، وكلام كهنة وتلاميذ ،حتى إني أحلف بالذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلا من الإنجيل ،ويعتمد عليه العاقل أكثر مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن تنبني عليه شيء من أمر الدين ،إنما هو من فكهات المجالس " [(٢)].

وفي إبطال قدسية أناجيل النصارى درس علماؤنا تاريخ الإنجيليين الأربعة ، وأبانوا الموقف من كتاباتهم ،ثم درسوا هذه الأناجيل ،وأقاموا من ذلك كله الدليل على تحريف إنجيل المسيح الذي يؤمن به المسلمون .وكان جهدهم في مطلبين.

المطلب الأول :تاريخ الإنجيليين

لا يسلم المسلمون بقدسية الأناجيل الأربعة، لأنها مؤلفات لبعض البشر، و إن زعمت النصارى قربهم من المسيح لكنها على كل حال ليست إنجيل المسيح المنزل من السماء و الذي تذكره الأناجيل الأربعة،كقول مرقس " اذهبوا إلى جميع الدنيا، و بشروا جميع الخلائق بالإنجيل، فمن آمن يكون سالما..." (مرقس ١٦/١٥)،فأين هذا الإنجيل الذي دفعه المسيح لتلاميذه ؟ و هو قطعا ليس إنجيل مرقس و لا غيره من الأناجيل"[(٣)].و ما تحويه هذه الأناجيل من أقوال و أفعال المسيح إن صحت فلا يلزم أن تعتبر من وحي السماء"لأن المسيح كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة، و من مقتضى الطباع البشرية و غير ذلك، فهذا

---

(١) ذكر القرافي وجود إنجيل خامس غير مشهور عندهم يسمى إنجيل الصبوة (الطفولة)و ينسب لبطرس عن مريم ، و يصفه القرافي بأن فيه زيادة و نقصان عن الأناجيل الأربعة ، و أنه سقط منه كثير من معجزات المسيح ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٢١-٢٢.

(٢) بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٥٧.

(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٢ ، ٥٥ ، و الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٠٤ ، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ص٩٨-٩٩.

ليس كله من عند الله"[1].

و لا يمنع المسلمون صحة بعض ما تحويه هذه الكتب من أخبار المسيح و أقواله و وصاياه، و لكن ذلك لا يمكن الجزم به بل يعرض على الثابت عن الله و وحيه كما تضمنته نصوص الكتاب و السنة فما وافقها قبلناه، و ما خالفها رددناه، و توقفنا فيما سوى ذلك[2].

و يرجع ابن حزم و البوصيري اختفاء إنجيل عيسى إلى الظروف المحيطة بدعوة المسيح، فقد اكتنف دعوته إيذاء اليهود له، و القلة التي آمنت به، و التي لم يتجاوز عددها المائة و العشرين رجلا مات كثير منهم قتلا على يد اليهود أو الرومان أو الوثنيين، و استمر هذا الحال في الأجيال اللاحقة إلى مطلع القرن الرابع حيث تنصر الإمبراطور قسطنطين فتبدل حال النصارى من الخوف إلى الأمن، و من الذل إلى العز.

و يرى أصحاب الردود الإسلامية أن هذه الاضطهادات كانت سببا في ضياع الإنجيل فلم يتميز قط، و لم تعرف له صورة، و لا سمع منه كلمة، بل غايته ما سمعه التلاميذ من المسيح[3].

ثم كتبت هذه الأناجيل فيما بعد، و لم تكن نسخا لهذا الإنجيل و لا صورة له بل كانت اجتهادات منسوبة لبعض تلاميذ المسيح أو تلاميذهم.

و ثمة سؤال يطرح نفسه، من أين أتي النصارى في أناجيلهم؟هل أتوا من مؤلفيها أم من مترجميها ؟ أم من تلاعب السنين بها في ظل فقد الإسناد ؟ أم أن الخلل كان فيمن أعطى لهذه الكتابات صفة القداسة بعد كتابتها بعشرات السنين... أم من ذلك كله؟.؟

رأى أصحاب الردود الإسلامية الخلل الجسيم الذي تكتنفه هذه الأناجيل ،و ذهب جمهورهم إلى اتهام الإنجيليين الأربع، و اعتبارهم مصدر الخلل و البلاء.

و لهذا نجد ابن حزم ينعتهم بأسوء النعوت فيسمهم بالكذب و الكفر و الفسق .

و نبه أصحاب الردود الإسلامية إلى أن اثنين من كتاب الأناجيل لم يريا المسيح أصلا، و هما لوقا و مرقس ، وعجب القاضي عبد الجبار لثقة النصارى فيهما، و لما يقفوا على حالهما.

ثم أن هؤلاء الأربع لا يؤمن عليهم الخطأ و النسيان، و لا عصمة لهم عن الكذب و التواطؤ عليه.

و يرى السعودي الخلل في نقلة الأناجيل و الرواة الذين حرفوا ما كتبه الحواريون و زادوا عليه و فيه، و لذا فهو يوثق هؤلاء الكتبة، بل يمتد توثيقه لبولس أيضا.

و يعود الجعفري باللوم على تراجم الإنجيل، و يرى أنه نشأ عن هذه التراجم الغير دقيقة سوء فهم العبارة، و مثل له بقول متى عن يوحنا المعمدان:" إنه أفضل من نبي " (متى ١١/٩)[4].

---

(١) بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٥٧.

(٢) انظر : الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ص ٣٨

(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٤-٥ ، و الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٩٩ ، و منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٣٥ ..

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، و المختار في الرد على النصارى ، الجاحظ ، ص ٩٩ ، و الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٣٩١ ، تثبيت دلائل النبوة ، القاضي عبد الجبار ،ص ١٥٥ ، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ٦٢ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٢٤ب-٢٦ب ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ٨٢ .

و ذكر السعودي و الترجمان تعاريف موجزة بالإنجيلين الأربع و أناجيلهم، فمتى هو أحد الحواريين الذين لقوا المسيح و تابعوه في السنة التي رفع فيها كما ذكر الترجمان، و أن إنجيله قد كتبه في الإسكندرية، و يخالفه السعودي فيرى كتابته في فلسطين، و بالسريانية.

و أما مرقس فهو أحد الذين لم يلقوا المسيح، و لم يؤمن به حال دعوته، بل تنصر على يد بولس بعد رفع المسيح بسنوات عديدة، فبولس أيضا لم يلق المسيح، و تنصر بعد رفعه.

و أما لوقا الذي هو ثالث الإنجيلين فهو من الأمم، و ليس عبرانيا، كما أنه لم يلق المسيح، و كتب إنجيله باليونانية في مدينة الإسكندرية.

و أما يوحنا فهو كما وصفه السعودي: " حبيب المسيح "،و ذكر الترجمان أنه ابن خالة عيسى، و تذكر الأناجيل أن عيسى حضر زواجه، و فيه حول الماء إلى خمر ، فكان ذلك باكورة معجزاته.(قارن يوحنا ٢/١-١١)،و قد كتب يوحنا إنجيله باليونانية في مدينة أفسس[1].

و أدرك أصحاب الردود الإسلامية أن الثقة بهؤلاء الأربع تنخرم حال إثبات الكذب على واحد منهم ،فذكر الترجمان لكل منهم أمثلة رآها تدل على كذب أصحابها.

فاتهم متى بالكذب في قصة المجوس الذين جاءوا إلى المسيح بعد ولادته..ثم قصة هرب والدة المسيح به من مصر (انظر متى ٢/١-١٥).

فيرى الترجمان أن متى كذب بهذه الرواية بدليل انفراده بها دون سائر الإنجيلين ، ثم إنه لم يحضرها،كما أن بيت المقدس يبعد عن بيت لحم خمسة أميال، و لو كان الملك هيرودس خائفا من هذا المولود كما يذكر متى لسار مع المجوس بحثا عنه، أو بعث معهم من ثقاته من ينصح في البحث عنه.

و يطرح الطبري تساؤلا يشكك من خلاله بصدق الرواية، و هو: كيف علم هؤلاء المجوس بولادة المسيح؟ هل هم أنبياء؟هل علموه من الوحي؟ أم من الشيطان؟ أم أدركوه بالنجوم....

فإذا لم يصح وجه من الوجوه فالخبر باطل و كذب متى[2].

و أما كذبة مرقس قوله "أن في كتاب إشعيا النبي عن الله تعالى:إني بعثت لك ملكا أمام وجهك" (قارن مرقس١/٢) (والصحيح أنه في متى ٣/٢)و العزو إلى إشعيا ليس بصحيح، بل النص في سفر ملخيا (انظر ملاخي ٣/١) فاعتبر الترجمان غلط مرقس من الكذب الذي يرد إنجيله[3].

و أما كذبة لوقا فيراها الترجمان في الخبر الذي ذكره لوقا عن توبة بولس عدو النصرانية بعد رؤياه الغريبة التي رآها حال يقظته (انظر أعمال ٩/٣-١٥).

و أما يوحنا فيشهد عليه ابن حزم أمام الله بالكذب، و يعتبر إنجيله أعظم الأناجيل كفرا.

و من كذبه قوله عن المسيح على لسان يوحنا المعمدان " هذا خروف الله " (انظر يوحنا ١/٢٩)،

---

(١) انظر : المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ١ب ، و تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ٦٢-٦٧.

(٢) انظر : تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ٦٤ ، و الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرفي ، ص ٤٢١.

(٣) انظر : تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ٦٧ .

ثم بعده بيسير يقول"شهدت بأن هذا سليل الله"(انظر يوحنا ١/٣٤)[1].

واتهام علمائنا لهؤلاء الإنجيلين بالكذب و الخيانة لا يتناقض مع الثناء المذكور في القرآن لحواري المسيح كما في قوله تعالى﴿قال الحورايين نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل و كفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾[2].

لا تناقض لأن ابن حزم و الترجمان لا يعتبران أن هؤلاء الأربعة و بولس من الحواريين الذين أثنى الله عليهم، و ندين الله بمحبتهم و ولايتهم على أنا لا نعرف أسماءهم[3].

و نرى أن التتبع التاريخي الدقيق لتاريخ ظهور هذه الأناجيل يثبت براءة هؤلاء التلاميذ من الكتب المنسوبة إليهم.

و لم ينس أصحاب الردود الإسلامية التذكير بمكامن الخلل الأخرى و التي منها الجهل بصحة نسبة هذه الأناجيل لأصحابها غير المعصومين من الخلل و النقص، إذ أن هذه الأناجيل لم تنقل عنهم بأسانيد متواترة، و لا آحاد، كما أنه لا يعرف مترجموها و لا أحوالهم و لا دقة ترجماتهم لفقد الأصول التي ترجموا عنها[4].

و نبه شيخ الإسلام إلى مصدر آخر للخلل، و هو المجامع النصرانية التي قدست تلك المذكرات التاريخية و الرسائل الشخصية التي لم يزعم أصحابها أنهم كتبوها بإلهام من قبل الله، و لم يقل أحدهم هذا هو الإنجيل الذي أنزله الله[5].

و دعوى العصمة التي ألحقت بهؤلاء الأربعة لا دليل عليها، و لئن كانوا أنبياء يجب الاستدلال لنبوتهم.

و إن قالوا وقعن منهم المعجزات و شهد لهم عيسى بحسن الإيمان فإن هذا مردود، لأن هذه الشهادات و الأعاجيب مذكورة في الأناجيل و الرسائل و هي محل الخلاف فلا يحتج بها في رفعه، كما أن هذه المعجزات لو ثبتت فهي أخبار آحاد خالية عن دعوى النبوة.

و أما ما جاء في مدحهم على لسان المسيح فهو معارض بما جاء على لسانه في ذمهم و نهرهم[6].

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٦٤

(٢) سورة الصف ، آية:١٤

(٣) انظر : الفصل في الملل ، ابن حزم ٢/٣٩ ، و تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ٦٢.

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٦ ، و الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٣٤ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٢١ ، ٩٨ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢١٩ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٦٥-٦٦.

(٥) انظر : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٩٨ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٣٥٦ .

(٦) انظر :الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢/٢١٩ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٩٤.

المطلب الثاني:نقد متن الأناجيل.

و لإثبات تحريف هذه الكتب درست الردود الإسلامية الأناجيل، و تفحصوا أسفارها فوقفوا على ما أثبت لهم بشرية محتواها و أصالتها، و خلوها عن هدي الوحي و سماته و ذلك من خلال عدة ملاحظات:

أولا: انفراد بعض الأناجيل بأخبار لا يعقل أن يغفلها الآخرون لأهميتها فدل إغفالهم لها على عدم صحتها.و من ذلك أن يوحنا زعم أن أول آيات المسيح تحويله الماء إلى خمر في عرس قانا (انظر يوحنا ٢/١-١١).فلم يذكر هذه المعجزة - على أهميتها لأنها أول المعجزات - غيره،فهل علمه الوحي ما نسي أن يعلمه للآخرين، أم ذكر ما غابوا عنه؟ أم حفظ ما نسوه من معجزات المسيح، أم أن أصحاب البشارات اعتبروا معجزة تحويل الماء إلى خمر من الكذب فتركوه.

و مثله صنعوا بترك ما زعمه يوحنا من المسيح غسل أقدام جميع التلاميذ و مسحها بمنديل كان مشدودا في وسطه(انظر يوحنا ١٣/٤-١٠) فلم يذكرها غيره و لو كانت حقا لسارعوا إلى ذكرها.

و أيضا انفرد لوقا بذكر جزع المسيح ليلة الصلب حتى نزل من السماء ملاك ليقويه بعد أن صار عرقه كعبيط الدم (انظر لوقا ٢٢/٤٤)[1].

ثانيا: أن في النصوص كذبا و مخالفة للواقع، فثبت من ذلك براءة الوحي منها إذ يستحيل أن يصدر الكذب من الله أو حفظة وحيه.

و منه ما ذكره لوقا في صدر إنجيله حيث يقول : إن جبريل حين بشر مريم أم المسيح به قال لها: " إنك ستلدين مولودا يجلسه الرب على كرسي داود أبيه، و يملك على بيت يعقوب إلى الأبد، و لا يكون لملكه انقضاء " (لوقا١/٣١-٣٣).

و يكذب الجعفري لوقا إذ لم يملك المسيح اليهود يوما واحدا، و لا جلس على كرسي داود.

و يستغرب الباجي نسبة عيسى لداود، و هو ليس من ذريته، بل الذي من ذريته هو يوسف النجار، و ليس بينه و بين يوسف النجار أي علاقة نسب و نسبة متى و لوقا المسيح له من الغلط البين.

و كذلك كذب متى في قوله أن المسيح قال:" أقول لكم أن قوما من القيام ههنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته " (متى ١٦/٢٨)و قد انقضت أجيال، و مات حاضرو هذا الكلام و لما يرجع المسيح الذي لا يكذب، فالكذب من متى كما لا يخفى.

و من كذب يوحنا المبالغة الممجوجة و الغلو في المسيح حين قال في خاتمة إنجيله " لقد فعل يسوع أمورا كثيرة لو أنها كتبت واحدة واحدة لم يسعها العالم صفحا مكتوبة " (يوحنا ٢١/١٤).

يقول السعودي :"و هذا من الكذب الفاحش، و الغلو الزائد إذ العالم أوسع أكفانا و أبعد أطرافا من أن يضيق عن أوراق تتضمن معجزات نبي و آيات رسول"[2].

و من الكذب أيضا ما قاله متى حين قال:"فكما أن يونس النبي كان في بطن الحوت ثلاثة أيام

---

(١) انظر : المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٢٢ب.

(٢) انظر : الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص٨٠ ، رد الباجي على راهب فرنسا ص ٨٣-٨٤ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٢٤ب-٢٥أ.

و ثلاث ليال كذا يكون ابن الإنسان في جوف الأرض ثلاثة أيام بلياليها "(متى ١٢/٤٠).

قال ابن حزم : " و هذه كذبة شنيعة لا حيلة فيها، لأهم مجمعون و في أناجيلهم أنه دفن قرب مغيب الشمس في يوم الجمعة مع دخول ليلة السبت و قام من القبر قبل الفجر من ليلة الأحد، فلم يبق في جوف الأرض إلا ليلة و بعض أخرى، و يسيرا من يوم ثاني فقط، و هذه كذبة لا خفاء بها فيما أخبر به المسيح، لا بد منها أو كذب أصحاب الأناجيل، و هم أهل الكذب " [١].

و مثله ما ذكره يوحنا على لسان المسيح أنه قال معرضا بالأنبياء :" أنا الباب، فمن دخل علي سلم، و يجد مرعى أبدا ...آمين أقول لكم إني أنا باب الضأن و القادمون عليكم كانوا لصوصا و سراقا، و لا يقبل اللص إلا ليسرق شيئا و يقتل، و أنا قدمت لتحيوا و تزدادوا خيرا " (يوحنا ١٠/٧-١٠).

و يرى الخزرجي أن النص أوقع النصارى بكثير من الحرج حتى أن أوغستين قام يعتذر عنه، لكن الخزرجي يصف اعتذاره عن النص بأنه هذيان[٢].إذ لا يمكن لنبي كريم أن يسب أنبياء الله الذين سبقوه في دعوة الناس لعبادة الله و مرضاته.

و من الكذب الذي ينبغي أن يقره النصارى لا محالة أن المسيح قال لتلاميذه الاثني عشر و فيهم يهوذا الاسخريوطي الخائن الذي أسلمه بثلاثين درهما قال لهم:" كل ما حرمتموه على الأرض يكون محرما في السماء، و كل ما حللتموه في الأرض يكون محللا في السماء " (متى ١٨/١٨).

و هذا يجعل ليهوذا منزلة لا يقرها عاقل، كما أن في النص نقضا لناموس موسى الذي بعث المسيح لإكماله و أخبر أنه لا يزول منه حرف واحد.(انظر متى ٥/١٧-١٨)[٣].

و من الكذب أيضا قول يوحنا (مرقس) في إنجيله "و هذه الآيات تصحب الذين لا يؤمنون، و هي سيماهم على اسمي، ينفون الجن، و يتكلمون باللغات الجديدة، و يقلعون الثعابين، و إن شربوا شربة قتالة لم تضرهم، و يضعون أيديهم على المرضى فينقهون " (مرقس ١٦/١٦-١٨).

و يعتبر ابن حزم هذا من الكذب الصراح بدليل أن أحدا من الحواريين لم يفعل ذلك، بل إن يوحنا الإنجيلي مات بالسم كما قال النصارى، و حاشا لله أن يأتي بمواعيد خاسئة كاذبة[٤].

و هكذا فإن الكذب في الأناجيل كفيل بإبطال زعم النصارى أنه من الوحي و يثبت ذلك بإثبات كذبة واحدة، فكيف و الحال أنها كذبات كثر.

ثالثا:تناقض النصوص الإنجيلية و هي تتحدث في موضوع واحد، و التناقض يحيل كلا النصين أو أحدهما إلى الكذب، إذ الحق لا يقبل- في مثل المسائل التي ذكرتها الردود الإسلامية - التعدد.

و التناقض دليل على بشرية الكتب و كذب أصحابها و قصورهم كما قال الله تعالى ﴿ أفلا يتدبرون

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٣٣ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ٧٦ ، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ٦٨ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٩ب-٤٠أ .

(٢) انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٤٦ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٠٦.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٢٢.

(٤) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٥٥.

القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [1].

و كان من أبرز صور التناقض التي ذكرها العلماء المسلمون خلاف متى و لوقا في نسب المسيح حيث ساق كل منهما نسبا للمسيح يختلف عن الآخر و يختلف عما جاء في التوراة أيضا

و هذا الخلاف ليس في الأسماء فقط، بل في عدد الأجيال فقد ذكر متى للمسيح أربعين أبا فيما ذكر لوقا ستة و خمسين أبا، و كل ذلك فيما بين يوسف النجار و إبراهيم.

و يستغرب ابن حزم كيف يقال عن هذه الأنساب بأنها أنساب المسيح، و هي ليست لوالده إذ لا والد له، و لا والدته، إذ لم ترد في سلسلة النسب بل هي ليوسف النجار خطيب مريم. فما علاقة المسيح بهذه السلسلتين كما لاحظ أصحاب الردود الإسلامية أن في شجرة متى إسقاطا لبعض الأسماء.

فهو يقول بأن عزيا ابن ليورام (انظر متى ١/٨)و في التوراة أن عزيا بن أمصيا بن آش بن أخزيا بن يورام (انظر مواضع متفرقة من سفر الأيام الثاني)فقد أسقط متى ثلاثة من آباء عزيا، و نسبه لجد جده.

كما ذكر متى في إنجيله أن بين الرحلة (العودة من السبي) و المسيح أربعة عشر أبا ،ثم لم يذكر سوى اثنا عشر فشهد على نفسه بالكذب.

و من الأمور التي ترد في هذا الباب و لا إجابة عنها هل المسيح من نسل ناثان بن داود كما أخبر لوقا، أم من سليمان بن داود كما أخبر متى؟[2].

و من التناقضات أيضا خلاف الإنجيليين في بيان الهدف الذي بعث من أجله المسيح.

فقد جاء في متى أن المسيح قال :" لا تحسبوا أني جئت لأدخل بين أهل الأرض الصلح لا السيف، إنما قدمت لأفرق بين المرء و ابنه، و بين الابنة و أمها، و بين الكنة و ختنتها، و أن يعادي المرء أهل خاصته " (متى ١٠/٣٥-٣٦).

و في لوقا الأمر مختلف حيث يقول المسيح.:". لم نبعث لتلف الأنفس لكن لسلامتها " (لوقا ٩/٥٦)، و بين النصين تعارض بين.

فإن أراد النصارى الجمع بينهما بتأويل النص الثاني و القول بأن مقصود النص بأن المسيح لم يبعث لتلف الأنفس المؤمنة بل لسلامتها.

فهذا التأويل يرده ابن حزم بدليل حادثة ورود النص فقد بعث المسيح رسله إلى السامرة، فلم يؤمنوا به فلما رأى يعقوب و يوحنا قالا له "يا سيدنا أوافقك أن تدعو فتترل عليهم نارا من السماء، و تحرق عامتهم كما فعل إلياس، فرجع إليهم و انتهرهم، و قال: الذي أنتم له أرواح لم يبعث لتلف الأنفس لكن لسلامتها (لوقا ٩/٥٤-٥٦)،فهذه نفوس غير مؤمنة لم يبعث المسيح بتلفها، فكيف يوفق إذا نص لوقا مع النص الذي في متى ؟[3].

---

(١) سورة النساء ، آية:٨٢ .

(٢) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/١٠-١٥ ، و رسالة أبي الوليد الباجي لراهب فرنسا ص٨٦ ، و النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ،ص ٨٦ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١٦٣ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٢٢ب.

(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٢٨ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٣٨٦ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٥٣ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١١٣ ،

و يذكر الإنجيليون أن المسيح صلب بين لصين، و يذكر متى أن كلا اللصين استهزأ بالمسيح بينما نهاه اللص الآخر ،فوعده المسيح أن يكون معه في الفردوس (انظر لوقا ٢٣/٢٩-٤٣).

و يظهر الاختلاف هنا في موقف اللص الثاني من المسيح، فقد جعله متى هالكا مستهزء بينما جعلـــه لوقا صاحبا حريصا على المسيح[١].

ومن التناقض تناقض الأناجيل مع التوراة،ومنه أن يوحنا ذكر قول اليهود بأن بناء الهيكل اســـتغرق ستا وأربعين سنة (انظر يوحنا ٢/٥٠)،وهو مناقض لما جاء في سفر الملوك، وفيه أن بناء الهيكل استغرق سـبع سنوات فقط.(انظر ملوك(١) ٦ /٢٨)[٢].

و كما ذكر أصحاب الردود الإسلامية بعض النصوص التي اعتبروها متناقضة رغم إمكان الجمـــع بينها، ومن أمثلة ذلك ما جاء في يوحنا أن المسيح قال:" إن كنت أشهد على لنفسي، فشهادتي غير مقبولـــة، و لكن غيري يشهد لي " (يوحنا ٥/٣١).

و هو كما يرى الخزرجي ومن تابعه مناقض لقول المسيح في موضع آخر:" إن كنت أشهد لنفســي، فشهادتي حق لأني أعلم من أين جئت، إلى أين أذهب " (يوحنا ٨/١٤)فظاهر النصين واضح في التعارض[٣].

لكن الجمع كما أرى ممكن فالنص الأول يتحدث عن شهادته لنفسه فهي غير مقبولة عنـــد النـــاس لكنها حق كما يقول في النص الثاني.

رابعا:تناقض النصوص أيضا مع معتقدات النصارى و شرائعهم و ذلك مبطل للنصوص أو الديـــن أو لكليهما معا.

و أمثلة ذلك كثيرة أهمها النصوص المتكاثرة التي ساقها علمائنا في إثبات بشـــرية المســـيح و نبوتـــه و عجزه و ضعفه عن مقام الألوهية، أو النصوص الموحدة المبثوثة في التوراة و الإنجيـــل أو النصـــوص الـــتي تحدثت عن جزع المصلوب على الصليب حتى نزل ملاك ليقويه ،فهذا يتناقض مع حال الألوهية كما يتنـــاقض مع دعوى النصارى أن نزول المسيح إنما كان من أجل أن يصلب فتغفر للبشرية خطيئتها، و كيف يصنع ذلك الجزع و هو القائل :" من أحب أن يقفو أثري فليوهب نفسه " (انظر مرقس ٨/٣٤-٣٥)[٤].

و من أمثلته أيضا أن المسيح يقول " ما جئت لأنقض الناموس بل لأكمله " (متى ٥/١٧) ، و يؤكـد

الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ٨٢ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل الســـعودي ، لوحة ٢٣أ.

(١) انظر : الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٣٨٦ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ٨١-٨٢ ، تحفـــة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ١١٤ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيـــل ، أبـــو الفضـــل السعودي ، لوحة ٢٣ب.

(٢) انظر : البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٤٧أ .

(٣) انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٤٦ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفـــري ، ص ٨٢ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٤٠٦ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصـــارى ، ابـــن القيم ، ص ١١٢ ، المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٣٢أ.

(٤) انظر :الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٦١.

أنه " لا يزول منه حرف واحد و لو بادت السماوات و الأرض " (متى ٥/١٨)[1].

لكن أصحاب الردود الإسلامية وجدوا في الأناجيل نصوصا كثيرة يتخذها النصارى دينا لهم تعارض الناموس و تناقضه فإما أن يكذبوا هذه أو تلك.

و من أمثلة هذا اللون ما نبه إليه ابن حزم أن متى و بعد سطور قليلة من النص السابق يقول:" قد قيل من فارق امرأته، فليكتب لها كتاب طلاق، و أنا أقول لكم: من فارق امرأته إلا لزنا فقد جعل لها سبيلا إلى الزنا، و من تزوج مطلقة فهو فاسق " (متى ١٩/٧-١٢)، فتحريم الطلاق إلا بسبب الزنا نقض للناموس.

و مثله ماساقه الخزرجي" أما بلغكم أنه قيل للقدماء العين بالعين و السن بالسن ؟ و أنا أقول لكم:لا تكافئوا أحدا بسيئة، و لكن من لطمك على خدك اليمنى فانصب له خدك اليسرى ،و من أراد انتزاع قميصك فزده أيضا رداءك " (متى ٥/٣٨-٤٠).

و أرى أنه ليس في النص نقض للناموس بل هو إضافة أخلاقية – معيبة – تأمر بالتذلل و الانكسار حتى للظالم، و لكن ذلك لا يغير حكم الناموس في القصاص حال الخصومة و القضاء.

و نقض الناموس لم يقتصر على المسيح، بل إن بولس نقضه أيضا مرات عديدة ،منها نهيه عن الختان أو بالأحرى إذنه بترك الختان (انظر غلاطية ٥/٦،٦/١٣) و كذا فعل يعقوب عندما حرم كل لحم حرمته التوراة عدا المخنوق (انظر أعمال ١٥/٢٠).كما نقض النصارى السبت فلم يعظموه مع أن الناموس أمر بتعظيمه، و يلحق ذلك كل ما يصدر عن الكنائس من تحريم و تحليل[2].

و نلحظ أن ابن حزم كما نقد الأناجيل تعرض لرسائل بولس و الحواريين، و كان تعرضه لها سريعا، و مما أخذه على هذه الرسائل ما فيها من الكفر كمثل قول شمعون (و الصحيح يوحنا) " يومئذ يأتي الرب كمجيء اللص " (قارن الرؤيا ١٦/١٥) يقول ابن حزم " فلعمري لقد شبه ربه تشبيها هو أولى به...."[3].

و أيضا لحظ ابن حزم تناقض بولس مع نفسه في قوله :" نشهد لكل إنسان يختتن أنه يلزمه أن يحفظ شرائع التوراة كلها"(غلاطية ٥/٣).وكان قبل يقول: " إن اختتنتم فإن المسيح لا ينفعكم " (غلاطية ٥/٢).يقول ابن حزم :" فاعجبوا لهذا، و اعلموا أنه قد ألزمهم دينين، أما من كان مختونا فإن شرائع التوراة كلها تلزمه و لا ينفعه المسيح، و أما من كان غير مختون فالمسيح ينفعه و لا يلزمه شرائع التوراة.

و هو و سائر التلاميذ كانوا بإجماع من النصارى مختونين كلهم فوجب أن المسيح لا ينفعهم"[4].

و لا أرى بولس متناقضا مع نفسه إذ يرى أن للناموس لعنة لصعوبة تطبيقه كاملا ،فالذين يريدون أن لا يقعوا في لعنة الناموس فعليهم بالختان و بجميع وصايا التوراة.

أما الذين يؤمنون بالمسيح فإن الإيمان بالمسيح يغنيهم عن الختان كما يغنيهم عن الشريعة كلها .

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٢١ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٥٤.

(٢) انظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ١١٣.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٧٠.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢/٧٠.

شبه النصرانية حول سلامة التوراة و الإنجيل من التحريف والتبديل

تعلق النصارى ببعض الآيات التي أثنت على التوراة و الإنجيل، فرأوا فيها - باطلا - أن القرآن يثني على ما في أيديهم من الكتب، و استدلوا بذلك بتأول باطل لبعض الآيات كقوله ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى و نور يحكم بها النبيون الذين أسلموا و الربانيون و الأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ﴾[1] ،و قوله ﴿ و ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ﴾[2]، فلو كان باطلا لما أمر بالتحاكم إليه، و قوله ﴿ و لو أن أهل الكتاب أقاموا التوراة و الإنجيل و ما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم ﴾[3]، و قوله ﴿ و أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ﴾[4] و إذا صدقها لا تكون مبدلة.

و استدلوا أيضا بقوله تعالى﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾[5]،فزعموا أنه الإنجيل بدلالة قوله : ﴿ فقد كذبت رسل من قبلك جاءوا بالبينات و بالزبر و بالكتاب المبين ﴾[6]، و قوله: ﴿ قل آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾[7]

كما استدل النصارى على سلامة كتبهم من التحريف و التبديل بقوله ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون﴾[8] و اعتبروا أن كتبهم هي الذكر فقد سماهم الله تعالى أهل الذكر فقال:﴿ فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾[9] .

كما استدلوا بقوله تعالى ﴿ لا مبدل لكلماته ﴾[10] إذ التوراة و الإنجيل من كلمات الله التي لا يستطيع أحد أن يغيرها.

كما استدلوا برجم الرسول صلى الله عليه و سلم للزانيين بما وجده في كتبهم من نص يأمر برجم الزاني[11] .

و من خلال هذه النصوص قال النصارى بأن القرآن أقر بعصمة التوراة و الإنجيل ،و طالب الأحبار بالتحاكم إليها، و توعد الذين لا يفعلون ذلك، و هذا كله مؤذن بسلامة هذه الكتب من التحريف و التبديل و مبطل لدعوى المسلمين في ذلك.

---

(١) سورة المائدة ، آية:٤٤ .

(٢) سورة المائدة ، آية:٤٧ .

(٣) سورة المائدة ، آية:٦٦ .

(٤) سورة المائدة ، آية :٤٨ .

(٥) سورة البقرة ، آية:٢ .

(٦) سورة فاطر ، آية:٤.

(٧) سورة الشورى ، آية:١٥.

(٨) سورة الحجر ، آية:٩.

(٩) سورة الأنبياء ، آية:٧ .

(١٠) سورة الأنعام ، آية:١١٥.

(١١) الحديث رواه البخاري في كتاب:التفسير ، باب: ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ برقم:٤٢٨٠ ، ورواه مسلم في كتاب:الحدود ، باب:رجم اليهود أهل الذمة في الزنى برقم:١٦٩٩ .

و لإبطال استدلال النصارى بهذه الآيات كان لعلمائنا منهج نتلمس فيه أهم نقاطه:

١-أن المسلمين يجوز لهم الاستدلال بالتوراة و الإنجيل، لأنها كتب يؤمن المسلمون بأن لهـــا أصـــلا سماويا، فالذي يؤمنون به هو أثارة من ذلك الأصل السماوي.

و لكن لا يجوز للنصارى الاحتجاج بالقرآن الكريم و آياته لأنهم لا يؤمنون بنبوة نبينا أصلا، و عليـــه فالقرآن عندهم عمل بشري يدعي صاحبه أنه جاء به من عند الله، فأي فائدة من الاستدلال به حينـــذاك إذ لا يجوز الاستدلال بالدليل الباطل.

٢-أن أهل الكتاب تركوا النصوص المحكمة التي ذكرت تبديل كتبهم و منها قوله تعالى : ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾[1] وقوله: ﴿ إن الذين يكتمون مـــا أنـــزل الله مـــن الكتـــاب ويشترون به ثمنا قليلا ﴾[2]وقوله :﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا بـــه ثمنا قليلا ﴾ [3] تركوا هذا كله ،و اتبعوا التشابه الذي عمدوا إلى تأويله بما لم ينقل عن المسلمين الذيـــن هـــم أعلم الناس بكتابهم و بدلالة آياته، و انطوت تأويلات النصارى على كثير من الجـــهل و الإغـــراب لمعـــاني الآيات و مقاصدها، فقوله ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ أجمع العلماء على أنه القرآن الكـــريم، و" ال" هنـــا للعهد، و تفيد أن المقصود هو الكتاب المعهود، و مثله قوله : ﴿ لا مبدل لكلماته ﴾ فالنص ورد في سياق الرد على عباد الأوثان و هم يردون دعوة القرآن الكريم للإيمان به، ثم لو سلمنا أن المقصود بكلمات الله التـــوراة و الإنجيل، فأنا نقول بأن ما أنزل الله فيها من خبر و حكم و وعد و وعيد حق لا يتبدل.أمـــا مـــا خطـــه النصارى و اليهود فهي أخبار و تورايخ و سير محرفة.

و بين الطوفي لمجادله أن القرآن و إن سمى التوراة و الإنجيل ذكرا، فقد سمى القرآن كذلك في قولـــه ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم ﴾[4] ، و لما كانت آية سورة الأنبياء في مجادلة كفار قريش بطل حمل الآية علـــى التوراة و الإنجيل، كما بين الطوفي معاني كلمة "ذكر" المختلفة كما جاء في القرآن الكريم[5].

٣-إن الكثير من النصوص التي استدل بها النصارى تحمل ثناء على التوراة و الإنجيل، و هـــو ثنـــاء يستحقه كلام الله المنزل على موسى و عيسى، و لا ينطبق هذا على ما في أيدي اليهود و النصارى من كتـــب محرفة أقام علمائنا الأدلة على تحريفها و تلاعب الشيطان بأصحابها.

و أما دعوة أهل الكتاب لإقامة التوراة و الإنجيل فهي لإقامة المنـــزل من عند الله، و يؤكد ابن حـــزم أن هذا لا يكون إلا باتباع محمد صلى الله عليه و سلم[6].

و أرى أن في أحكام التوراة الموجودة اليوم الكثير من الحق الذي أنزلـــه الله كمـــا فيـــه التحريـــف و التبديل، و قد دعاهم الله للتحاكم إلى الحق الذي في صحفهم مثل رجم الزاني (انظـــر التثنيـــة ٢٢/٢٢)

---

(١) سورة المائدة ، آية:١٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية:١٧٤ .

(٣) سورة البقرة ، آية:٧٩ .

(٤) سورة الأنبياء ، آية:٧ .

(٥) انظر : الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ص ٧١-٧٣.

(٦) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ٢١١/١-٢١٤ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٤٠ و ما بعدها.

و قتل القاتل (انظر الخروج ٢١/١٢)،ومثله أحكام القصاص :العين بالعين والسن بالسن...(انظر الخـــروج ٢١/٢٣-٢٤).

فكل هذه الحكام موجودة في التوراة ،و يدبر عنها النصارى ،فيعطلون الشريعة التي أنزلها الله، لـــذا يدعوهم القرآن للعودة إلى شريعة الله و إقامة أحكامها.

و قد ذكر شيخ الإسلام بأن المسلمين لا يكاد أن يوجد فيهم من يقـــول بوقـــوع التحريـــف في الأحكام، و الصحيح كما أرى وقوع التحريف فيه، إذ في التوراة أحكام لم يكن لينـــزلها الله في شـــريعته، و من أمثلة ذلك قتل الرجل بجريرة ثوره (انظر الخروج ٢١/٢٩)،وإباحة الربا لليهودي مع غير اليهودي (انظر التثنية ٢٣/٢٠)،وقتل من عمل عملا بالسبت (انظر الخروج ٣١/١٥)

و ذكر ابن حزم و الخزرجي أن الربانيين كانوا يحكمون بالتوراة قبل وقـــوع التحريـــف فيـــها أو بالصحيح منها، أو لعله كان يوحى إليهم بالصحيح منها[1].

و مما تقدم كله ثبت بأن التوراة و الإنجيل محرفان، فمثل هذا الكلام التي تمتلئ به صفحاهما لا يصدر عن الله و لا عن وحيه الذي يصدق فيه قول الله عز و جل ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى و نور ﴾[2].

---

(١) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ١/٢١٤ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجـــي ، ص ٢٤٠ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١/٣٦٩.

(٢) سورة المائدة ، آية:٤٤

المبحث السادس: نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

كان موضوع إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم أحد أهم القضايا التي دار الجدل فيها بين المسلمين و النصارى،فالمسلمون يؤمنون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم،و يرون رسالته خاتمة الرسالات، و التي بشر بها الأنبياء و منهم عيسى عليه السلام.أما النصارى فهم يؤمنون بسائر الأنبياء الذين تحدثت عنهم التوراة ،و إيمانهم لا ريب مشوب بما تسطره التوراة من أخبار مستقبحة و منكرة عن هؤلاء الأنبياء.

و لا يؤمن النصارى بمجيء نبي خاتم للبشرية جمعاء، و غاية ما يقوله من يلزم الحجة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم أن يعتبره نبيا خاصا بالعرب، و يتناقل النصارى كما اليهود كراهية نبينا صلى الله عليه وسلم حسدا لأمة العرب أن يظهر فيها هذا النبي ، لذا وصف مجادل الرازي قاعدة دينه فقال:" قاعدة ديننا مبنية على تكذيب محمد، و العمل على عداوته حتى لو وجد في عصرنا لقتلناه أنجس قتلة...نحن متى لم نعتقد أن فعل ذلك من أعظم العبادات و أفضل القربات لم يصح لنا دين النصرانية...لهذا نعمل صورة محمد على هيئة بدوي راع، و نعلم الأطفال من صغرهم على عداوته و الفرار منه، و نأمرهم بسبه و شتمه و التبصق في وجهه..."[1]، و هكذا يسفر مجادل الرازي عما يكنه النصارى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

و لهذا التبيان كان من الطبيعي أن تحفل ردود المسلمين بهذا المبحث، لذا جاءت كتبهم تحمل الكثير من أدلة إثبات النبوة، بل كان هذا الموضوع المبحث الذي لأجله كتبت بعض هذه الردود كما في " الدين و الدولة في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم " للطبري، و " هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى " لابن القيم، و " منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب " لعبد العزيز آل معمر.

و علاوة على هذا فإن عشرات من المؤلفات الإسلامية كتبت لإثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم من أن يكون غرضها الرد على النصارى.

و يرى ابن ربن الطبري أن ما يحول بين النصارى و الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم أمور ثلاثة: " أولاهن : أنا لم نجد أحدا من الأنبياء تنبأ عليه قبل مجيئه. و الثانية: أنا لم نجد في القرآن ذكر آية و لا نبوة لمن جاء به. و الثالثة: أن المسيح أنبأنا أنه لا نبي بعده "[2].

و لم تتوقف ردود المسلمين عند الأخيرة التي لا دليل عليها في كتب النصارى ،و لم أجدها عند أحد من علمائهم ،و قد اعتبرها الطبري من غش بعض الكتبة، و ردها مستدلا بتسميتهم بعض الحواريين أنبياء و رسلا، فيما رأى نصر بن يحيى أن ما جاء في يوحنا عن مجيء الفارقليط بعد عيسى يدحض هذا القول (انظر يوحنا ١٦/١٢-١٤)[3].

و توقف أصحاب الردود مليا في إثبات معجزات نبينا و وجود البشارة به في كتب الأنبياء، و لم يقتصروا على هذين المسلكين في إثبات نبوته بل كان لهم في ذلك مسالك جعلنا لكل منها مطلبا.

---

(١) مناظرة في الرد على النصارى ، الرازي ، ص ٥٢ .

(٢) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ٤٨ ، و انظر : النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ١٣٨.

(٣) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ٥٢ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ١٤٠.

المطلب الأول: معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

النبوة دعوى تحتاج إلى برهان، و قد جعل الله المعجزات أحد أهم الأدلة التي يتوصل بها إلى صدق دعوى النبوة " ما من نبي من الأنبياء إلا و قد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، و إنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة "(١).

و يعرف شيخ الإسلام المعجزة بأنها الآيات و البراهين الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الخارقة للعادة. و يعرفها الطوفي بتعريف المتكلمين فهي " الأمر الممكن الخارق، المقرون بالتحدي، الخالي عن المعارض " (٢).

و يرى الخزرجي أنه ليس للنصارى نفي نبوة النبي إن جاءت خلوا عن المعجزة ،إذ في أنبياء بني إسرائيل من لم ينقل له معجزة كداود وغيره.

و نبه الخزرجي إلى أن هذا المسلك في إثبات النبوة ليس الوحيد، كما أنه قد تغني عنه المسالك الأخرى عند المدعوين أو بعضهم(٣).

و لئن كان النصارى يرون أن لا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فإن ابن الأنباري يرى أن معجزاته صلى الله عليه وسلم تزيد على الألف(٤).

و قد تحدثت الردود الإسلامية عن أنواع متعددة من معجزاته صلى الله عليه و سلم:

أ_المعجزات الحسية :و هي معجزاته يدركها المرء بحواسه، و قد وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة منها ما دل عليه القرآن الكريم كانشقاق القمر ،و منها ما ورد بأخبار آحاد صحح علماء الإسلام مخرجها و أثبتوا بأسانيدهم صحة وقوعها ،و من ذلك نبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم(٥)،و حنين الجذع إليه(٦)،و بركة الطعام بين يديه(٧)...و سوى ذلك من المعجزات الحسية(٨).

---

(١) الحديث رواه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب:كيفية نزول الوحي برقم:٤٦٩٦ ، و مسلم برقم:١٥٢ في ١/١٣٤.

(٢) انظر : الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ٦٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١/٦٧-٧٠ ، ٤/٢٥٠.

(٣) انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢١٠-٢١٣ ، ٢٣٥ ، الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٩٠.

(٤) انظر : الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٣٩٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١/١٤٠.

(٥) انظره : في صحيح البخاري ، كتاب: الوضوء ، باب:التماس الوضوء إذا حانت الصلاة ، برقم١٦٧ ، وفي مسلم برقم ٢٢٧٩: في٤/١٧٨٣ .

(٦) انظر : في صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب: علامات النبوة ، برقم ٣٣٩٠-٣٣٩٢.

(٧) انظره : في صحيح البخاري ، كتاب: المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام برقم:٣٣٨٥ ، ومسلم في صحيحه برقم ٢٠٤٠ في ٣/١٦١٢ .

(٨) انظر : الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٤٣٢ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ١٩٨-٢١٠ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٣٤٨-٣٧٠ ، مناظرة في الرد على النصارى ، الرازي ، ص ٢١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٤/ ١٣٧-٢٠٢ ، الانتصارات الإسلامية في كشف

و قد كان وقوع هذه المعجزات موضع تشكك النصارى الذين لم يسلموا بصحة أخبارها و تذرع مجادل الرازي بأنها أخبار آحاد لا يعتد بها.

و هذه الدعوى مردودة إذ كثير من هذه المعجزات قد نقلت بالتواتر لتواتر القرآن الذي نقلها أو لتواترها في كتب السنة التي أخرجت هذه الأخبار على اختلاف مخارجها، و شهرة هذه المعجزات فاقت كثيرا من الأمور المهمة لدى المسلمين كمواقيت الصلاة وغيرها مما يجعلونه دينا يتعبدون الله به.

و من هذه المعجزات ما تواتر جنسه و إن لم يتواتر آحاده كتواتر تكثير الطعام ببركة النبي صلى الله عليه وسلم ،فقد وقع منه صلى الله عليه وسلم مرارا، و منها ما تواتر عند علماء أمته صلى الله عليه وسلم ففاقت هذه الأخبار في شهرتها ما قيل في شجاعة عنترة التي لا ينازع في حصولها.

و أما ما جاء في روايات الآحاد فيرى ابن الأنباري أنها اشتهرت من غير معارضة فكان ذلك دليلا على صدق وقوعها[1].

و مما يشهد بصدق هذه المعجزات أن رواتها هم رواة القرآن الكريم الذي وصل إلينا سالما من التحريف و التبديل و الزيادة و النقصان، فشهد لهم ذلك بالأمانة و حسن الأداء.

و الطعن برواية هؤلاء الأثبات يسد باب إثبات المعجزات لجميع الأنبياء ،إذ لم تظفر معجزة لنبي بمثل هذه الأسانيد الموثقة، و يقارن الجعفري فيقول:"فإن أنكر ذلك يهودي قلنا له: ما الدليل على أن موسى أطعم في البرية جمعا كثيرا من أصحابه منا و سلوى؟ و إن ارتاب معه نصراني قيل له: ما طريق معرفتك بأن المسيح أطعم جموعا كثيرة من حوتين و خمسة أرغف؟

فإن أسند ذلك إلى نقل خلفهم عن سلفهم قيل لهم: اقنعوا منا بمثل هذا الإسناد، فمن رام قدحا في نقلنا لم يسلم من ذلك في نقله، فما أجاب به فهو لنا جواب...و كما لا يقدح في آية عيسى تكذيب اليهود فكذلك لا يقدح في آية محمد تكذيبها..." [2]

و أما ما جاء في هذا الباب من روايات ضعيفة كتسبيح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم[3] و قول العوام أن الغمام كان يظله دائما أو أنه إذا وطأ حجرا أثر فيه، و إذا وطيء رملا لم يؤثر فيه فهذا و أشباهه " لم ينقله أهل العلم بأحواله، و لا واحد منهم، بل هو كذب عليه"[4]، و هذا لا يعتد به و لا يمنع

شبه النصرانية ، الطوفي ، ٢٤٣-٢٤٦ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٨٩-١٩٢ ، ٢٠٢-٢٠٦.

(١) انظر : الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٤٥١ ، مناظرة في الرد على النصارى ، الرازي ، ص ٢١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٤/ ٢٤٢ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٢١٥-٢١٧.

(٢) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ٧٥ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١٠١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٧٥/١.

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٦٤/٦ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة ، ص ٣٦٩ ، وقال ابن حجر : " وأما تسبيح الحصا فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها " فتح الباري ، ابن حجر ، ٦٨٥/٦ .

(٤) انظر : الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٤٣٢-٤٣٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢٣٤/٤.

صحة الصحيح و دلالته.

ب- المعجزات المعنوية: و هي تلك الأحداث التي يشهد العقل بدلالتها المعجزة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم و من ذلك حماية الله له من كيد أعدائه، و غلبته على أعدائه بعد ضعف و قلة أتباعه و نصرته بالرعب، و إجابة دعائه[1].

و أعظم هذه المعجزات كتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه فهو رسالة الله و حجته في كل حين.

و من إعجازه نسقه البديع الخارج عن أوزان العرب، و يرى ابن الأنباري فيه عشر ضروب من بلاغة هي :الإيجاز و التشبيه و الاستعارة و المبالغة و التجانس و الفواصل و التفصيل و التضمين و التلاءم و حسن البيان، و ضرب لكل منها الأمثال[2].

و كيف لا يكون القرآن معجزا و قد تحدى الله العرب أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله ، ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة، فعجزوا لإدراكهم عظمة هذا القرآن و عزيز بيانه[3].

و يسوق القرطبي شهادات لبعض من آثر الكفر في حق هذا القرآن العظيم، و من هؤلاء عتبة بن ربيعة و الوليد بن المغيرة، فقد لمس هؤلاء و غيرهم من أهل العربية جزالة القرآن و عظمة بيانه مما جعله متميزا عن سائر كلام الناس[4].

و يؤكد ابن تيمية بأن قعود العرب عن معارضة القرآن ليس بسبب الصرفة التي يدعيها المعتزلة فهذا من ضعف الأقوال، و إنما قعد العرب عن معارضة القرآن لما رأوا بلاغته و جزالته[5].

و يرى ابن تيمية أن إعجاز القرآن في معناه أعظم من إعجازه في لفظه فقد جاء في القرآن إخبار عن الله و صفاته و ملائكته و ...

و يقارن ابن ربن الطبري بينه و بين أسفار النصارى المقدسة و التي لا تختلف في نسقها أو موضوعها عن كتب المؤرخين و الأدباء و الفلاسفة، إذ أسفار التوراة ما هي إلا حديث عن تاريخ بني إسرائيل و أنسابهم و رحلاتهم، بينا نجد الإنجيل مجرد سيرة للمسيح مع شيء من أقواله و آدابه الحسنة، و أما القرآن " فلن يوجد فيه حرف مما يشبه ذلك، بل منسوج بالتوحيد و التهاليل و التحاميد و السنن و الشرائع و الخبر و الأثر و الوعد و الوعيد و الرغبة و الرهبة و النبوات والبشارات بالأمور الجميلة التي تليق

---

(١) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٠٨-١١٣ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٠٢-٢٠٦ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٣٦٧-٣٨١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٤/٢٠٥-٢٠٢ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٢٠٧-٢١٥.

(٢) انظر : الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٤٠١.

(٣) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٠٤ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٣٤١ ، ٣٩٦-٣٩٧ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٤/٧١-٧٣ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٧٣.

(٤) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٣٣٣-٣٣٥ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٧٥-١٧٦.

(٥) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٤/٧٥-٧٦.

بجلال الله و حكمته و طوله و بسط الأمل في الغفران و الرأفة و قبول التوبة و المعني التي ترتاح لها الأنفس و تستريح إليها الآمال لذلك استحق أن يقال :إن هذا الكتاب آية من آيات النبوة إذ لم يكن له نظير منذ خلق الخلق و خط في الرق " [1].

و من إعجاز القرآن ما تحدث عنه من غيوب حصلت مصدقة لقوله، فكان الواقع مصدقاً لما أعلن عنه القرآن من غيوب، و من ذلك إخبار القرآن بانتصار الروم على الفرس في بضع سنين، و إنباء الصحابة عن دخولهم مكة،و مثله الإخبار بغلبة هذا الدين،و انتصار يوم بدر و سوى ذلك من الغيوب التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم فوقعت كما قال بعد موته أو قبله،فدل ذلك على صدقه صلى الله عليه وسلم و أنه رسول من قبل الله.

كما أخبر القرآن عن غيوب سابقة ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها لولا أن الوحي أخبره بها، إذ كيف قليل الأسفار أن يعلم أخبار الغابرين إن هو إلا وحي رب العالمين[2].

و كما أثبت علماؤنا المسلمون إعجاز القرآن فإنهم تصدوا لما أثاره النصارى من شبهات حوله راموا منها الطعن في نسبته لله.

فقد زعم النصارى أن في القرآن أخباراً غير صحيحة كقوله ﴿ يا أخت هارون﴾ [3]و بين هارون و مريم قرون طويلة، و كذا سمى أباها عمران، و زعم النصارى أن اسم أبيها في الأناجيل: يعقيم، (لم يذكر في الأناجيل اسم أبي مريم)، كما كذبوا القرآن في قوله: أن يحيى لم يكن له سمي، و هم يرون قبله من شاركه باسمه، و كذا كذب النصارى سجود أم يوسف له ،لأن التوراة تذكر موتها قبل ذلك .(انظر التكوين ٣٥/١٨-١٩).

و أيضاً يرى النصارى أن القرآن نسب إليهم أقوالاً لا يعرفونها و لا تصح نسبتها إليهم كالقول بتأليه مريم ﴿ أ أنت قلت للناس اتخذوني و أمي إلهين من دون الله﴾ [4]، و نسب لليهود القول بأن يد الله مغلولة، و ذكر كلام المسيح في المهد و لا يوجد هذا في كتبهم، و لو كان حقاً لكانوا أسبق الناس إلى إذاعته و نشره، فكل هذه الأمور يراها النصارى من الباطل الذي يزري بالقرآن و يمنع قدسيته.

و نلحظ هنا أن إثارة الشبهات دأب قديم للباطل يلجأ إليه كلما عجز عن مقارعة الحق و مصاولته، فيشغب عليه بمثل هذه الشبهات التي تثار على العوام.و قد رأينا بعض الشبهات تثار في عهد النبي صلى

---

(١) الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٠٣ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ١٤٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٧٨/٤ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٧٧-١٨٥.

(٢) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ٨٠-٩٧ ، الداعي إلى الإسلام ، ابن الأنباري ، ص ٤٢٨-٤٢٩ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٠٧-٢١٠ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٣٣٧-٣٤٥ ، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ص ٧٤-٩٢ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ١٣٣/١-١٦٠ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ١٨٠-١٨٨ ، ١٩٣-٢٠٢.

(٣) سورة مريم ، آية: ٢٨.

(٤) سورة المائدة ، آية: ١١٦.

الله عليه وسلم فقال بعضهم عن القرآن﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ و كان الجواب ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي و هذا لسان عربي مبين ﴾ [1].

و قد سلك أصحاب الردود الإسلامية في إبطال شبهات النصارى منهجاً متكاملاً.

و بادئ ذي بدء فإن العلماء المسلمون رفضوا أن تكون كتب النصارى و ثقافاتهم المخلطة حكماً على القرآن و أخباره، فهذه الكتب لا يسلم المسلمون بصدقها فلا يحتج عليهم بها، و كيف يحتج بها و قد أقام علماؤنا الدليل تلو الدليل على تحريفها، فالكتاب الذي أخطأ و أحدث نسباً للمسيح الذي ليس له من جهة يوسف النجار نسب مثل هذا الكتاب لا يبعد أن يخطئ في اسم أبي مريم[2].

و حاول أصحاب الردود الإسلامية ما أمكنهم الجمع بين نصوص القوم و القرآن الكريم إذ ليس كل ما يعده النصارى مناقضاً لكتبهم هو كذلك، فإن في كثير مما ينكره النصارى زيادة علم على ما في التوراة و الإنجيل، و هذا لا يعتبر مناقضاً و لا مخالفاً، و من ذلك كلام عيسى في المهد، فهذا زيادة علم أوردها القرآن، و غفل عن ذكرها الإنجيليون كما غفلوا عن كثير من التفاصيل و الأخبار الهامة سواها[3].

و أحياناً يكون التعرض موهوماً لحمل النصوص على الحقيقة غير مراده بالنص فيحتمل أن تكون نسبة مريم إلى عمران نسبة بعيدة كما تنسب البشرية لأبيها آدم فيقال: هذا ابن آدم. و مثل هذا معهود في الأمم ، بل و في التوراة ،كما قد يكون عمران اسماً لأبيها و يكون "يعقيم" لقباً له أو العكس، و قد يكون اللبس ناشئاً عن الترجمة فاسم المسيح في الإنجيل " يسوع "، و العرب تعربه " عيسى " و هذا كثير مثله[4].

و من الممكن أيضاً حمل أخوة مريم لهارون على المجاز أي هو أخوها في الصلاح و العبادة و مثله جاء في القرآن في قوله﴿ و ما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها ﴾ [5] أي قرينتها.أو أن مقصد القائل لها ﴿ يا أخت هارون ﴾ سبها حيث قرنها برجل عاهر يسمى هارون، و هذا لا ريب بعيد.كما يحتمل أن تكون من ذرية موسى أخ هارون فقيل لها﴿ يا أخت هارون ﴾ [6]. و هذا خلافاً لما جاء في الكتاب المقدس حيث جعلها من ذرية يهوذا بن يعقوب بينما موسى عليه السلام من سبط لاوي (انظر الخروج ٢/١-١٠).

كما أخذ علماؤنا على النصارى تحريفهم معاني النصوص و سوء فهمها، و من ذلك ظنهم بأن القرآن قد جعل القول بنبوة عزير قولاً لكل اليهود، و مثله القول بأن يد الله مغلولة، فهذان من أقوال اليهود، و لا يفهم من الآية أن كل اليهود تقوله.

و من الفهم السيء فهمهم أن المراد بأخوة مريم لهارون الأخوة الحقيقية، و هو ليس بصحيح و لا

---

(١) سورة النحل ، آية: ١٠٣.

(٢) انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٥٩ ، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ص٧٦ ، ٨٣.

(٣) انظر : الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ص ٨٧.

(٤) انظر : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٦٢ ، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ٧٧-٧٩.

(٥) سورة مريم ، آية: ٢٨.

(٦) انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٦٣ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ٦٢-٦٣.

يقوله المسلمون، و قد أوردوا ذلك على المغيرة بن شعبة حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران فحار جواباً، فلما رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره قال له "ألا أخبرهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم و الصالحين قبلهم"(١).

و في رد علمائنا على شبهة النصارى بأن في آيات القرآن تجسيماً لله أو تشبيهاً بخلقه، في رد هذه الشبهة اختلفت الردود الإسلامية تبعاً لاختلاف مذاهب المسلمين في ذلك، فالرازي تأول النصوص تبعاً لرأي الخلف، فبطل الاحتجاج بهذه النصوص على التجسيم، فيما أبطله الطوفي بإثبات النصوص و تفويض العلم بكيفها إلى الله عز و جل، معتبراً العلم بالكيف مما اختص الله عز و جل بعلمه و ما على المؤمنين إلا تصديق ذلك من غير اعتقاد للمشابهة أو الجسمية أو المثلية، فكل ذلك ممنوع كما تفيد آيات القرآن الكريم.

ثم كيف للنصارى أن ينكروا التجسيم و التشبيه و كتبهم تمتلئ بمثل ذلك(٢).

و مما يدحض هذه الشبهات جميعاً إيمان علماء أهل الكتاب بالإسلام كعبد الله بن سلام و العاقب سيد نجران، و النجاشي، و قد اطلع هؤلاء على هذه النصوص فلم يروا فيها ما يمنع من دخول الإسلام لعلمهم أن ما في كتب النصارى محرف لا يعول عليه(٣).

كما أن الواقع و لنصوص يشهدان بإبطال بعض هذه الشبه فقد عجب النصارى لذكر القرآن فضيلة الجهاد، و نسبة ذلك إلى التوراة في قوله ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتلون و يُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة و الإنجيل و القرآن ﴾(٤)،فيرى مجادل الخزرجي كذب هذه النسبة، و استدل بقول نسبه للتوراة، فذكر أن فيها"لا يكون قتال بين بني آدم، فإن القاتل و المقتول في النار " (لم أحده في الترجمات الحديثة)، و في رده تساءل الخزرجي عن جهاد موسى لأعدائه، أما كان جهاداً مشروعاً في طاعة الله يستحق عليه الأجر و الثواب أم كان عصياناً من موسى لربه فهذا من المحال(٥).

و يلحق المسلمون بمعجزات النبي صلى الله عليه وسلم في دلالتها على نبوته ما جعله الله لأصحابه و أتباعه من الكرامات الخارقة لعادة الناس فهي دليل آخر يشهد لهؤلاء بأنهم قد آمنوا بالدين الحق و أن الله أيدهم و أعطاهم خرق النواميس المعهودة عند البشر، فكرامة الولي معجزة لنبيه(٦).

---

(١) الحديث رواه مسلم في كتاب :الآداب ، باب :النهي عن التكني بأبي القاسم برقم ٢١٣٥ ، و رواه الترمذي في كتاب التفسير ، باب :و من سورة مريم برقم٣١٥٥ ، و انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٢) انظر : مناظرة في الرد على النصارى ، الرازي ، ص ٦٩-٧٠ ، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ١٥٧ ، ١٦٢-١٦٣.

(٣) انظر : الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ١٩٣. الإصابة، ابن حجر،٣٠٩/٤.

(٤) سورة التوبة ، آية: ١١١.

(٥) انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٦٤.

(٦) انظر : الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١١٣-١١٤ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٨٣-٢٨٤ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٢٥٣-٢٥٨.

ومن أمثلة ذلك عبور العلاء الحضرمي وجيشه نهر دجلة حتى صاح الفرس :ديــــوان ديـــوان .أي: مجانين .[1] وكذا نجى أبو مسلم الخولاني من النار التي قذفه بها الأسود العنسي[2].وغير ذلك من الكرامات .

---

(١)انظر : البداية والنهاية ، ابن كثير ٢٦٦/٦ .

(٢) انظر : لبداية والنهاية ، ابن كثير ٢٧٢/٦ .

المطلب الثاني:المسلك الشخصي والنوعي في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم

و ليست المعجزة الباب الوحيد لإثبات النبوات، إذ يتوصل إلى معرفة صدق النبي من كذب الدعي بالتدبر في أحواله و أقواله، و للعاقل ميزان لا يخيب يكشف الدعي و يذعن للنبي.

والعقلاء قد يكتفون بالنظر في حال مدعي النبوة -عن المعجزات-كما صنع غير واحد، منهم السابقون الأولون إلى الإسلام، فقد أسلموا قبل ظهور المعجزات على يديه صلى الله عليه وسلم و منهم خديجة رضي الله عنها فقد قالت للنبي صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحي"و الله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، و تصدق الحديث، و تحمل الكل، و تقري الضيف، و تسكب المعدوم، و تعين على نوائب الحق"(1).

فكانت أول المسلمين، و استدل لنبوته بما عرفته من أحواله التي تستلزم نفي كذبه و فجوره، و نفي تلاعب الشيطان به.

و لما جاء عبد الله بن سلام لرؤية رسول الله حين قدم المدينة أسلم و قال" فلما رأيت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب"(2).

فيما استدل آخرون على صدق النبي حين تبصروا في حقيقة دعوته ،و منهم الجنلدي ملك غسان فقد قال" لقد على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، و لا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، و إنه يغلب فلا يبطر، و يغلب فلا يضجر، و يفي بالعهد، و ينجز بالموعود، و أشهد أنه نبي، و بمثل هذا الاستدلال استدل هرقل حين سأل أبا سفيان عن النبي و نسبه و صفاته و أحواله و أحوال أتباعه ثم قال:"إن يكن ما تقول فيه حقا: إنه لنبي، و قد كنت أعلم أنه خارج، و لم أكن أظنه منكم، و لو أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه..."(3).

و كذا لما جاء ضماد فسمع من النبي صلى الله عليه وسلم خطبة الحاجة قال:"لقد سمعت قول الكهنة، و قول السحرة، و قول الشعراء، فما سمعت بمثل كلماتك هؤلاء، و لقد بلغن ناعوس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام فبايعه"(4)،فهؤلاء وغيرهم أدركوا صدق النبي في دعواه النبوة،واستغنوا عن المعجزات بما عرف من مسلكه وخصائص دعونه وشريعته صلى الله عليه وسلم.(5)

---

(1) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب: تفسير سورة إقرأ برقم: ٤٦٧٠ ، ومسلم في صحيحه برقم:١٦٠ في ١٤٢/١ .

(2) رواه الترمذي في سننه برقم: ٢٤٨٥ في ٦٥٢/٤ ، وابن ماجة في سننه برقم:٣٢٥١ في١٠٨٣/٢ ، والحاكم في المستدرك ١٧٦/٤ .

(3) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي ، باب: كيفبة بدء الوحي ، برقم ١٧٧٣ في١٣٩٣/٣ .

(4)رواه مسلم في صحيحه برقم برقم:٨٦٨ في ٥٩٣/٢.

(5) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣٠٤/٤-٣٠٦ ، ٣١٤-٣٢٠ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٢٤٠-٢٤٦ .

المطلب الثالث:البشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم

و لئن نقل الطبري امتناع النصارى عن الإسلام بحجة عدم البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم فإن علماءنا المسلمين يردون هذه الحجة الباهتة بالعشرات من النصوص المبشرة بالنبي آخر الزمان و صفاته و أحواله، بل و اسمه.

و بداية فإنه ليس من شرط النبي أن يبشر به نبي سابق، و إلا بطلت نبوة نوح و إبراهيم و داود و إشعيا إذ لم ترد فيهم بشارة سابقة(١).

ثم إن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أخبر بوجود البشارة به في كتب الأنبياء حتى أضحى أهل الكتاب ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم و إن فريقا منهم ليكتمون الحق و هم يعلمون ﴾ (٢).

و لقد تعرضت كتب النصارى لما سبق بيانه من التحريف و التلاعب، فهل بقي من تلك البشارات ما يشير إلى نبينا صلى الله عليه وسلم ؟

في الكشف عن ذلك تلمس علماؤنا الحقيقة في بحر زاخم من الأكاذيب و المفتريات منسوبة لله ولأنبيائه، تلمسوها في هذه الكتب يحدوهم الأمر القرآني ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ (٣)، فهاهي الكتب لم تخلو من آثار النبوة و قبس الهداية، و قد قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم مثبتا وجود صدق فيها" لاتسألوهم عن شيء ،فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به"(٤)

و قد تتبع علماؤنا هذه البشارات في الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى، ثم أسفار الأنبياء، ثم الأناجيل يبحثون عما يشير إلى الميثاق الذي أخذه الله على أنبيائه ﴿ و إذ أخذ الله النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه قال أ أقررتم و أخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا و أنا معكم من الشاهدين ﴾ (٥)، فلا بد من أن يترك هذا الميثاق صدى في تلك الأسفار التي لاتخلو من قبس صادق عن الأنبياء.

و يدلل ابن القيم لوجود هذه البشارات في الكتب السابقة باثني عشر وجها من الدليل العقلي منها أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الإخبار بوجود البشارة من أعظم أدلة صدقه في نبوته، و يستحيل أن يصدر هذا إلا من جازم بصحة و يقين ما يقول، و قد صدقه في وجودها أحبار أهل الكتاب الذين أسلموا و تبعوا دينه كابن سلام، كما صدقه أحبارهم الذين لم يسلموا، و صرحوا بأنه النبي المبشر به كما صنع أسقف نجران و حيي بن أخطب.

و أيضا فإن أهل الكتاب لا ينكرون وجود البشارة بني عظيم في كتبهم، غير أنهم ينفون أن يكون محمدا النبي المبشر به، ثم يختلفون في تحديد النبي الذي يرونه عيسى تارة، و يوشع تارة، و سوى ذلك.

---

(١) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ٤٨-٤٩ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢٧٧/٣-٢٧٨.

(٢) سورة البقرة ، آية:١٤٦.

(٣) سورة آل عمران ، آية:٩٣.

(٤) رواه أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله ٣٨٧/٣ .

(٥) سورة آل عمران ، آية: ٨١.

و أيضا فإن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم أتباعه و أعداءه من مشركي مكة بوجود البشارة بـــه في كتب أهل الكتاب، و لو كان ذلك باطلا لكان تسليطا منه للمشركين حيث يسألون أهل الكتاب فيعرفـــون كذبه.

و إخباره بوجود البشارة به تضاف إلى كثير من أخباره عليه الصلاة و السلام التي عهد فيها الصدق، فلم يظفر أعداؤه له بكذبة قط، فما كان له أن يكذب في هذه.

و لا يصح أن يغيب عن صحف أهل الكتاب الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم -سواء صـــدق في دعواه أم كذب-إذ أمره أمر عظيم لم يطرق العالم مثله منذ خلق، و قد علمنا الأنبياء يحذرون من الدجـــال الذي لن يمكث في الأرض سوى أربعين يوما فكيف يعقل أن لا يذكر خبر هذا الذي ادعى النبوة في كتـــب الأنبياء.

و ساق ابن القيم قصص من صدق النبي و عرفه من أهل الكتاب ممن أسلم به أم لم يسلم[1].

و لدى دراسة أسفار الكتاب المقدس رأى العلماء المسلمون بشارات كثر تنبئ ببعثة نبينا صلـــى الله عليه وسلم ، و قد ذكر ابن تيمية أنها تربو على المائة، فكثرتها تتناسب و أهمية الموضوع الذي تبشر به[2].

و قد تناقل علماؤنا في ردودهم على النصارى ما طوف على السبعين بشارة جاء منها في الأســـفار الخمسة سبع بشارات، و في المزامير اثنتا عشر بشارة، بينما نقلت الردود الإسلامية عن كتب الأنبياء خمســـا و ثلاثين بشارة ،و عن الأناجيل اثنتا عشرة بشارة، و في أعمال الرسل و رسائل بولـــس و بطـــرس أربـــع بشارات.

و قبل أن نشرع بعرض نماذج لهذه البشارات ننبه على أن علماءنا حين ذكـــروا هـــذه البشـــارات اهتموا بتوجيهها و بيان معانيها و مقاصدها، و ردوا تأولات النصارى لها، و حملهم إياها على غـــير نبينـــا صلى الله عليه وسلم .

و استدل العلماء المسلمون لصدق انطباق هذه البشارات على نبينا صلى الله عليه وســـلم بدلالـــة نصوص كتابية أخرى أو قرآنية.

كما ننبه إلى بعض البشارات التي أوردتها الردود الإسلامية وقع فيها التصريح باسم نبينا صلـــى الله عليه وسلم كما جاء في إشعيا"إنك جعلت اسمك محمدا يا محمد، يا قدوس، لأنك أنت الرب أبونا، و مخلصنا و اسمك موجود منذ الأبد"، و تسميته بالرب لا على معنى الربوبية بل على معنى السيد أو المربي، و هو صلـــى الله عليه وسلم مخلص البشرية من الشيطان و الشرك.

و مثله جاء التصريح باسم النبي في قوله " إنا سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد ".

و قد اختفى هذان النصان - كما اختفت نصوص مشابهة - ذكرها أصحاب الردود الإسلامية[3] من

---

(١) انظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٣٧-٥١ ، المنتخب الجليل في تخجيل مـــن حـــرف الإنجيل ، أبو الفضل السعودي ، لوحة ٩٧ب و ما بعدها.

(٢) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٢٩٤/٤ ، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمـــان ، ص ١٤٠.

(٣) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٥٣ ، ١٦٦ ، الرد علـــى النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١٢٠ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القـــرافي ، ص ١٧٦-١٧٩ ، الجـــواب

الترجمات الحديثة للكتاب المقدس، و لو بقيت هذه النصوص لرفع الخلاف بيننا و بين النصارى ، إذ دلالتها صريحة لا ينازع فيها.

و اختفى من نصوص أخرى مواضع الدلالة فيها و منه ما نقله القرطبي عن إشعيا و فيه " ها أنذا مؤسس بصهيون، و هو بيت الله حجراً مقره في زاوية مكة، فمن كان مؤمناً فلا يتعجل " فيرى القرطبي أن صهيون كلمة عبرية معناها الجبل، فالنص بشارة عن نبي يبعث في جبل مكة بجوار بيت الله[1]،و قد ضاعت هذه الدلالة في التراجم الحديثة و فيها " و يكون مقدساً و حجر صدمة و صخرة عثرة لبني إسرائيل و شركاً لسكان أورشليم..."(إشعيا ١٤/٨).

و هنا يطرح تساؤل هل اطلع أصحاب الردود الإسلامية نقلة البشارات على الكتاب المقدس ؟ و هل كان نقلهم لهذه النصوص مباشراً أم أنهم تناقلوا نصوصاً اشتهرت في أوساط الردود الإسلامية؟.

و الذي يظهر لي أن بعض أصحاب الردود كان ينقل من نسخة خطية للتوراة و الأناجيل بين يديه، و منهم ابن ربن الطبري الذي كان يسند النصوص إلى أماكنها و يعين رقم الإصحاح الذي نقل عنه النص.

لكن غالب أصحاب الردود كانوا في الحقيقة يتناقلون نصوص الطبري أو غيره ممن اطلع على الكتاب المقدس. و هذا ما يفسر التكرار الكبير في إيراد البشارات ثم توجيهها.

و نلاحظ أن هذه البشارات قد طغى عليها الرمزية و الإشارة ،لكن هذا لا يمنع من الاستدلال بها فسائر ما يستدل به النصارى من نبوءات في العهد القديم عن المسيح هي من هذا الباب.

و قد تراوحت قوة الدلالة في هذه النصوص المبشرة قوة و ضعفاً، و ذلك متعلق بحسن الترجمة أو سوءها، كما يتعلق بمدى التحريف و التبديل الذي تعرض له النص.

لكن جملة هذه البشارات تتحدث عن نبي عظيم قاهر لعدوه يزهو دينه و يدوم إلى الأبد، و هو ما لا ينكره أهل الكتاب؟ و لكن من ذا يكون هذا النبي إن لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم .

و قد جاءت النبوءات الكتابية على أنواع:فمنها ما هو بشارة بمجيئه كما جاء في متى " فهذا هو إيليّا المزمع أن يأتي من له أذنان للسمع فليسمع " (متى ١٤/١١)،و مثله قول المسيح " لا تروني الآن حتى يأتي من تقولون له مبارك الآتي على اسم الله " (متى ٣٩/٢٣).

و من النصوص المبشرة بمجيئه أيضاً و إن وردت في سياق البشارة بغيره ما جاء في سفر التكوين ، فقد قال الملاك لها مبشراً بإسماعيل: " ها أنت تحبلين و تلدين ابناً اسمه إسماعيل، لأن الله قد سمع تذللك و خضوعك، و ولدك يكون وحش الناس، يده فوق يد الجميع، و يد الكل به، و يكون مسكنه على تخوم جميع إخوته " (التكوين ١٦/١١-١٢)، والنص يبشر هاجر بابن قوي يمتد سلطانه على الكل، و هذا الأمر بلم يتحقق في إسماعيل كما لم يتحقق في ذريته حتى يبعث النبي صلى الله عليه وسلم و بذل سلطانه على كل أحد فيهم بني إخوتهم من اليهود[2].

الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣٢٦/٣ ، ٣٢٩ ، ٣/٤ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٧٢-٧٤ ، ٨١-٨٢.

(١) انظر : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٨٠.

(٢) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٣٠-١٣٣ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢١٧ ، ٢٢٢ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١١٥ ، الإعلام بما في

و تحدثت نصوص أخرى عن اسم هذا النبي القادم منها ما جاء في تسميته بالفارقليط في أربعة نصوص نسبها يوحنا للمسيح، و ذكر صفات للفارقليط الآتي بعده لا تنطبق إلا على النبي صلى الله عليه وسلم فهو يأتي بعد المسيح، و يمكث للأبد ،و يخبر بالغيوب و الحوادث، و يوبخ العالم على الخطيئة...

و الفارقليط كلمة يونانية لا تخرج عن معان : الحامد و الحماد، أو المخلص أو المعزي. و يختار علماؤنا المعنى الأول و يستدل الطوفي لهذا الاختيار بما قاله النبي يوشع"من عمل حسنة يكون له فارقليط جيد" (لم أجده في التراجم الحديثة)، أي: حمد جيد، و رأى أصحاب الردود الإسلامية في هذه النبوءة تصديقا لما جاء في القرآن الكريم من البشارة باسمه ﴿ و إذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة و مبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ [1].

و رغم وضوح هذه البشارة بما جاء من صفات الفارقليط يمتنع معها صرف النص إلى المسيح أو الألسنة النارية التي نزلت على الحواريين، رغم ذلك نرى بعض التكلف في توجيه هذه البشارة فالطبري يرى أن لفظة الفارقليط تساوي حسب حساب الجمل اليهودي ما يجتمع من حروف قولنا " محمد رسول حبيب طيب "، و مثله فإن كلمة الفارقليط تساوي ما يجتمع من حروف قولنا:" محمد بن عبد الله النبي الهادي ". و يدرك الطبري ضعف هذا الاستدلال فيسنده بدلالة قوية خارجة عنه فيقول:" فإن قال قائل:قد يمكن استخراج هذا الحساب بغير هذه الأسماء لم يكن له ذلك حتى يحضرنا شهادة من هو كالمسيح في قوله"إن الفارقليط الذي يرسله روح الحق الذي يرسله أبي باسمي هو يعلمكم كل شيء " و لن يجد إلى ذلك سبيلا"[2].

و من النصوص التي تنبأت باسمه ما سبق الإشارة إليه، و منها أيضا ما جاء في المزامير " إن ربنا عظيم محمود جدا، و في قرية إلهيا قدوس، و محمد قد عم الأرض كلها فرحا ".

و مثله جاء في إشعيا " افهمي أيتها الأمم أن الرب أهاب من بعيد و ذكر اسمي، و أنا في الرحم،

دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٦٥-٢٦٦ ، ٢٧٠ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٩٦ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ١١١-١١٢ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٣٢-٣٣ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٥٤-٦٤ ، ٨٥-٨٦ ، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ١٣٣ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٢٢ب-٢٣أ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٨٣.

(١) سورة الصف ، آية:٦.

(٢) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٨٥ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ١٣٩-١٤٢ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٢٠ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١٢٤ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٦٨-٢٦٩ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٦٥-١٦٨ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ١١٠ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ١٣٩-١٤٢ ، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ١٢١-١٢٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٤/٧-١٦ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٥٥ ، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ١٣٦ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٢٣ب-٢٥أ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٧٤-٧٧.

و جعل لساني كالسيف الصارم... و قال لي :أنت عبدي ، فصرفي و عدلي حق قدام الرب و أعمالي بين يدي إلهي، فصرت محمدا عبد الرب، و بإلهي حولي و قوتي " [1].

و ذكرت النصوص الكتابية مبعث هذا النبي و أنه في أرض الحجاز، ومن قول موسى كما جاء في سفر التثنية " أقبل الله من سيناء، و تجلى من ساعير، و ظهر من جبال فاران، و معه ربوات الأطهار، عن يمينه نار شريعة لهم " (التثنية ٣٣/٢).

و مثله قول حبقوق النبي:"و القدوس من جبل فاران، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد " (انظر حبقوق ٣/٣).

فأرض فاران هي الحجاز التي نشأ في جنباتها إسماعيل الذي تقول عنه التوراة "و سكن في برية فاران " (التكوين ٢١/٢١)، و النص يتحدث عن أماكن النبوات الثلاثة فسيناء مهد ديانة موسى، و سعير في فلسطين مهد ديانة المسيح ،فيما فاران لم تعرف دينا و لا شريعة ولا ألوف الأطهار إلا عند بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم.

و يرى علمائنا في هذه البشارة مشابهة لما جاء في القرآن الكريم﴿ و التين و الزيتون * و طور سنين * و هذا البلد الأمين﴾ [2].

و من النصوص التي دلت على بلاد هذا النبي ما جاء في "إشعيا " يقول الرب:إنك ستأتي من جهة التيمن، من بلد بعيد، و من أرض البادية..." (قارن إشعيا ٢١/١٣-١٤)، و التيمن كما يقول زيادة النصب الراسي هي القبلة أي أن النبي قادم من البلاد التي جعلها الله قبلة.

و قد بشر بطرس بمكة و مجدها فقال:" أنه قد حان أن يبتدأ الحكم ابتداء من بيت الله " (بطرس(١) ١٧/٤) و المقصود حكم رسول الله منها لا حكم بيت المقدس حيث لم يحكم اليهود و لا المسيح فيه، و قال ميخا النبي عن مكة و البيت الحرام و إتيان الناس للحج عند جبل عرفات " يكون في آخر الأيام بيت الرب مبنيا على قلل الجبال، و في أرفع رؤوس العوالي يأتين جميع الأمم، و يقولون :تعالوا نطلع إلى جبل الرب" (ميخا ٤/١-٢).

كما رمز لمكة في نص آخر بالعاقر فقال:" سري و اهتزي أيتها العاقر التي لم تلد و انطقي بالتسبيح، و افرحي و لم تحبلي، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي ".

و يرى مؤلفو الردود الإسلامية أن في النص مقارنة لمكة بأورشليم فسمى مكة بالعاقر كما يقول ابن القيم :" لأنها لم تلد قبل محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، و لا يجوز أن يريد بالعاقر بيت المقدس، لأنه بيت الأنبياء و معدن الوحي" [3]،لكن هذا الاستدلال يرده أو يضعفه أن نبوة إسماعيل كانت في مكة، فلا تسمى

---

(١) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٣٩ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ١٤٦ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١١٨ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٦٧-٢٦٨ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٧٣ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٤٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣١٩/٣ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٧١.

(٢) سورة التين ، آية:١-٣ .

(٣) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٥٨ ، النصيحة الإيمانية في

حينذاك عاقرا إلا إذا أريد منه مقارنة نسبية مع أنبياء أورشليم .

كما أشارت النصوص إلى بعض صفات و خصائص هذا النبي، فهو أمي قوي غالب لعدوه، تخر الممالك أمامه، صاحب شريعة .

و من ذلك قول المزامير عنه " و يجوز من البحر إلى البحر، و من منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار، و أنه يخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، ويجلس بالتراب، و يأتيه ملوك بالقرابين، و تسجد له، و تدين له الأمم بالطاعة و الانقياد، لأنه يخلص المظلوم من الظالم، و ينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، و يرأف بالضعفاء و المساكين، و يدوم أمره إلى آخر الزمان " (المزمور ٧٢/٨-١٨)، و مثله في المزامير أيضا " بارك الله عليك إلى البدء، فتقلد أيها الجبار السيف، لأن البهاء لوجهك، و الحمد الغالب عليك اركب كلمة الحق و الدعة و التأله، فإن ناموسك و شرائعك مقرونة لهيبة يمينك، و سهامك مسنونة ، و الأمم يخرون تحتك " (المزمور٤٥/١-٥)فمن ذا الجبار ذو الشريعة الذي أذل الأمم بقوته و سهامه المسنونة، إنه محمد صلى الله عليه وسلم[1].

و هكذا فمن صفات النبي الآتي الظفر على عدوه، و هو ما تحقق لنبينا صلى الله عليه وسلم و أمته، و لا يمكن الله لكاذب و دعي للنبوة بمثل هذا التمكين و قد جاء في كلام دانيال النبي عن الكذابين" لا تمتد دعوتهم، و لا يتم فرقانهم، و أقسم الرب بساعده ألا يظهر الباطل، و لا يقيم لداع كاذب دعوة أكثر من ثلاثين سنة " (لم أجده في الترجمة الحديثة)[2].

و قد قال موسى عنه لقومه "الرب إلهكم يقيم نبيا مثلي من بينكم و من إخوتكم فاسمعوا له...أقيم لهم نبيا مثلك من بين إخوتهم و أجعل كلامي في فمه، و أيما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤديها ذلك الرجل باسمي أنا أنتقم منه " (التثنية ١٨/١٨-١٩)، و إخوة بني إسرائيل هم العرب، فالنبي منهم يأتي بعد موسى ، فلا يمكن أن يكون هذا النبي يوشع أو عيسى لأن يوشع كان خادما لموسى، مؤكدا لشريعته، و لم يكن مثله

فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ١٤٤ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢١٦-٢١٧ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١١٦ ، ١٢٠ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٦٤ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٦٥ ، ١٧٨ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٨٣ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٣٣ ، ٤٦ ، ٤٩ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٣٠٠-٣١٣ ، ٣٢٧-٣٣١ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٥٣-٥٤ ، ٦٧-٦٩ ، ٧٣-٧٤ ، ٨١ ، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ١٣٥ ، ١٣٨ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٣٩ب-٤١أ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٨٨-٨٩.

(١) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٣٩ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢١٩ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٢٦-٢٦٧ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٧١ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٤٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٣١٨-٣١٩ ، ٣٢٢-٢٣٢ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٧١ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، عبد العزيز آل معمر ، ص ٨٩-٩٠.

(٢) انظر : بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٢٩ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٢٧ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٤٨.

أو بعده، و كذلك كان عيسى تابعا لشريعة موسى فهو ليس مثله، و التوراة تقول:" لا يخلف من بني إسرائيل نبي مثل موسى " ، و في نسخة أخرى :" لا يقوم من بني إسرائيل نبي..." (قارن التثنية٣٤/١٠).

ثم عرض علماؤنا لصفات كثيرة تماثل فيها محمد صلى الله عليه وسلم مع موسى فيما لم يتماثل المسيح الذي ادعى النصارى أنه النبي المبشر به في هذه الفقرة، و من صور التماثل، ميلادهما و وفاتهما و كونهما صاحبي شريعة و ملك، و قد تزوجا و أنجبا و ......

و أما قول بعض النصارى بأن النص جاء على صيغة استفهام إنكاري بمعنى: أأقيم لهم ؟ أي لا أفعل. فهذا قول ركيك يكذبه السياق و هو من تحريف الكلم عن مواضعه[1].

و مما جاء في صفة هذا النبي أن بين كتفيه علامة رئاسته، و هي كونه خاتم الأنبياء ، فقد جاء في إشعيا:" عبدي برضى نفسي أعطيه كلامي، فيظهر في الأمم عدلي،.....و هو من نور الله الذي لا يطفأ، أثر سلطانه على كتفه " (لم أجده في التراجم الحديثة)، و في نص آخر يقول إشعيا " ولد لنا مولود، و وهب لنا ابن سلطانه على كتفه "، و يرى زيادة الراسي أن الترجمة الصحيحة كما ترجمها بنفسه عن العبرانية هي "سيادته على كتفه"كما يرى في تكملة النص تكملة للنبوءة ففيه "و يدعى اسمه عجيبا طايقا جبارا، أبا الأخير، سيد سلام، ليكثر سلطانه، و لسلام ليس قياس على كرسي داود (هكذا) و على مملكته يجلس ليرتبها و ليساعدها بالعدل و الصدق..." (إشعيا ٩/٦-٨)، ففي النص أن اسم هذا الرسول عجيب حيث لم يتسمى به أحد من قبل كما أنه عجيب لأنه من أمة العرب، و هو " أبا الأخير " أي سلطانه يدوم أبد الدهر لأن لا دين ينسخ دينه ،و هو "سيد السلام" أي رئيس المسلمين، و سلطانه يكثر و يدوم ،و ليس له حد أو قياس. و كل هذا ينطبق على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، و لا يمكن انطباقه على عيسى أو غيره من الأنبياء الكرام لأنه لم يكن لهم دولة و لا سلطان و خاصة مملكة يهوذا التي ما ورثها أحد من بني إسرائيل، بل ورثها الوثنيون كطيباروس و غيره، و هؤلاء لا يمكن أن يكونوا الموعود بهم، ثم ورثها المؤمنون بعدهم[2]...

---

(١) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٣٧-١٣٨ ، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، نصر بن يحيى ، ص ١٤٤-١٤٥ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢١٤-٢١٥ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١١٦ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٦٣ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٦٤ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٨٢ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٣٤ ، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية ، الطوفي ، ١٢٠-١٢١ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٢٩٣ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٥٢-٥٣ ، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، الترجمان ، ص ١٣٤ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٢٠أ.

(٢) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٤٦-١٥٠ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢٢٧ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١١٨-١١٩ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٧٥ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٧٢-١٧٥ ، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، الخطيب السكندري ، ص ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٩ ، منظومة الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٤٤ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٢٢٣ ، ٢٢٧ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٧٢ ، البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة

و هو النبي الراكب الجمل الذي حطمت خيول أصحابه أوثان بابل التي لم تزل تعبد حتى مجيء الإسلام ، و قد قال النبي إشعيا " قيل لي:قم ناظرا فانظر فما ترى؟ قلت: أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار، و الآخر على جمل يقول أحدهما لصاحبه:سقطت بابل و أصنامها النخرة " (إشعيا ٢١/٦-٩).

و تحدثت النصوص أيضا عن أصحاب هذا النبي و أتباعه فقد ذكر زيادة الراسي بأن العشرة المبشرين بالجنة قد ذكروا في سفر زكريا، و فيه حسب ترجمته التي أثبتها بجوار النص العبري:" يقول الله رب الجنود:في تلك الأيام ينجمعوا (هكذا) عشر رجال من كل لسانات الشعوب، و يتمسكون بذيل رجل حميد ،أعني أبو حميد، و يقولون:لنذهب معك، لأننا سمعنا أن الله معك " (زكريا ٢٣/٨)، و يتساءل الراسي متى ذكر لنبي عشر من الأتباع من الأممين (أي من غير بني إسرائيل)، و هم من " لسانات الشعوب " أي من وجوه أقوامهم على وزن فعيل بمعنى: أحمد و محمد، فهذا نص صريح باسم النبي، و ذكر لصحابه العشرة.

و النص في الترجمة الحديثة مقارب لما ترجمه الراسي و فيه " يتمسكون بذيل رجل يهودي" أي من أبناء يهوذا، و يهوذا كلمة عبرية كما ذكر قاموس الكتاب المقدس " يهوذا اسم عبري معناه حمد"، فقد ترجموا الاسم المذكور للنبي ،و حولوه إلى نسبة فضاعت دلالة النص[1].

و مما جاء في وصف أصحابه ما جاء في إشعيا"إني رافع آية للأمم من بلد بعيد، و أصفر لهم من أقاصي الأرض صفيرا، فيأتون سراعا عجالا لا يملون و لا يثرون و لا ينعسون و لا ينامون و لا يحلون مناطقهم و لا ينقطع معقد خفافهم، سهامهم مسنونة، و قسيهم موترة، و حوافر خيلهم كالجلميد صلابة، و عجلهم مسرعة مثل الزوابع، و زئيرهم كنهيم الليوث، و كشبل الأسد الذي يزأر، و ينهم للفريسة فلا ينجو منه ناج، و يرهقهم مثل دوي البحر و اصطكاكه، و يرمون بأبصارهم إلى الأرض فلا يرون إلا النكبات و الظلمات، و ينكسف النور عن عجاج جموعهم " (إشعيا ٥/٢٦-٣٠)، فحكى هذا النص شجاعة أصحابه صلى الله عليه وسلم كما قال الله ﴿ محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله و رضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ..﴾ [2].

و قد جاء في المزامير في وصفهم " ليفرح إسرائيل بخالقه، و بنات صهيون من أجل أن الله اصطفى لهم أمة، و أعطاهم لنصر، و أيد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحون الله على مضاجعهم، و يكبرونه بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه، و يوثقون ملوكهم بالقيود، و أشرافهم بالأغلال " (انظر المزمور ١٤٩/٢-٨)، فهذه صفة محمد و أصحابه ،فهم يكبرون الله بالأذان في اليوم خمس مرات، و هم الأمة التي أذلت الملوك الذين لا يعبدون الله، فكانوا أداة لانتقام الله، و سيوفهم ذات شفرتين و قد كان من السيوف العربية كذلك ،و لم يعهد مثل هذه السيوف عند غير العرب[3].

٣٣ب-٣٦أ.

(١) انظر : البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح ، زيادة النصب الراسي ، لوحة ٣٢أ-٣٣ب.

(٢) سورة الفتح ، آية:٢٩.

(٣) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن ربن الطبري ، ص ١٤٢-١٤٣ ، بين الإسلام والمسيحية ، أبو عبيدة الخزرجي ، ص ٢١٨ ، الرد على النصارى ، أبو البقاء الجعفري ، ص ١١٧ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، القرطبي ، ص ٢٢٦ ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، القرافي ، ص ١٧٠ ، منظومة

و هكذا فإن محمداً صلى الله عليه وسلم يشرق في الكتاب المقدس كالشمس في رابعة النهار، فقد ذكرت الكتب اسمه و صفاته و صفات أصحابه و أمته ، فكان ذكره في ذلك كله دلالة لنبوته و صدقه ، و صدق الله إذ يقول ﴿ الذين ءاتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم و إن فريقاً منهم ليكتمون الحق و هم يعلمون ﴾ [1].

الأبوصيري في الرد على النصارى و اليهود ، ص ٤٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ٣/٣١٤ ، ٣٢٧ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ، ص ٧٠-٧٤.

(١) سورة البقرة ، آية:١٤٦.

الباب الثاني:

دوافع واتجاهات علماء القرن الرابع عشر الهجري في الرد على النصارى

الفصل الأول:

دوافع علمائنا

في الرد على النصارى

المبحث الأول : التبشير

التبشير لفظة مشتقة من بشر بمعنى فرح وتهلل ، ومنه البِشَارة ، وهي الخبر السار الذي لايعلمه المخبَر ، والبُشرى هي ما يبشَّر به أو ما يعطاه المبشَّر .

والتبشير بالمعنى الاصطلاحي يطلق على دعوة النصارى الآخرين إلى النصرانية .[1]

ويـزعم النصـارى أن هـذا الأمـر صدر لهم من المسيح حين قال : " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس " (متى ٢٨/٢٠) فيزعم النصارى أنه بموجب هذا الأمر كان لابـد لهـم أن يسـيروا لتبليغ النصرانية إلى الأمم . وهكذا خرج دعاة النصرانية يكرزون الأمم ، وانتشرت النصرانية في ربوع أوربا ، كما انتشرت في بعض مناطق أفريقيا كالحبشة ومصر .

ولما ظهر الإسلام دخلت الأمم في دين الله أفواجاً ، ودخل الإسلام إلى مهد النصرانية في بلاد الشام ثم مصر ثم آسيا الصغرى ، ثم بعد حين توقف عند أبواب فرنسا .

وطـوال قـرون عديدة تواصلت الحروب الصليبية تروم العودة إلى البلاد المباركة ، ولكن من غير ما فائدة .

يقول فليب حتى : " كان من نتائج الحروب الصليبية فكرة اجتذاب المسلمين إلى اعتناق المسيحية عن طـريق الإقناع ، بدلاً من طريق القوة والإكراه .. إن الخيبة التي منيت بها الحملات الصليبية في الوصول إلى غايـتها ومـوت الدوافع التي كانت تدفع الناس للالتحاق بها مهد الطريق لفكرة جديدة : استمالة المسلمين واجـتذابهم بطـرق سلمية وودية ، وهذه الفكرة هي أساس بند التبشير المسيحي " ، وأكد هذا المعنى وليم طرابلسي حين قال عام ١٢٧٠: " نريد مرسلين ، لاجنوداً لاسترداد الأرض المقدسة " .[2]

وانقضت عصور الظلام الأوربية ، وبدأت الأمم النصرانية متأثرة بعلوم المسلمين في النهوض والمشاركة في ركـب الحضارة ، لكن الهاجس الذي سيطر على هذه النهضة هو كيفية خنق العالم الإسلامي والسيطرة على ثرواته .

وبـدأت حـركة الكشـف الجغرافي في صورة أخرى من صور الحرب الصليبية ، ووصلت البعثات والجيوش النصرانية إلى شواطئ إسلامية بعيدة في الهند وأندونوسيا وغيرها في القرن الميلادي السابع عشر . أما قلب العالم الإسلامي فقد وقفت الدولة العثمانية بما بقي لها من نفوذ وسمعة في وجه الأطماع النصرانية ، فلجأ النصارى إلى إرسال بعثات دينية تمارس العمل الديني ، وتكون طليعة للغزو الاستعماري .

وكـان البارون دوتيز (١٦٤٤م) من أوائل الداعين للاهتمام بالتبشير ، ودعا لتأسيس كلية لتخريج المبشرين ، ولكن نداءه لم يلق مجيباً .

---

(١) انظر : المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون ، ط٢ ، دار الفكر ، ٥٨/١ .

(٢) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني،ط١، دار القلم ، بيروت ، ص ٢٩ .

وفي عام ١٧٩٥م تأسست جمعية لندن التبشيرية بقيادة المبشر كاري ، ثم تأسست مثيلاتها في عدد من الدول الأوربية .

وتوالى تأسيس الجمعيات التبشيرية فأنشأت في عام ١٨٥٥م جمعية الشبان المتطوعين للتبشير في البلاد الأجنبية ، ثم تنوعت جمعيات التبشير ، وتخصصت كل جمعية بلون مرحلة من مراحل العمر ، فأنشأت جمعيات لتبشير النساء ، وأنشأ في عام ١٩٠٢م جمعية تبشير الشبان ، ثم في ١٩٠٧م تأسست جمعية تبشير الكهول .... [١]

وقد اتجه المبشرون إلى العالم الإسلامي خلال سنين طويلة متباعدة ، وكان أرخبيل أندونوسيا هو باكورة النشاط لهم حيث وصل المبشر المشهور فرنسيسكوس اكسافيريوس في ١٥٤٦م ، ثم تتابع المبشرون مع وقوع البلاد تحت الاستعمار البرتغالي ثم الهولندي ثم الإنجليزي ، وقد كان الجهد المبذول في تبشير أندونوسيا عظيماً ، فقد وصل عدد الكهنة الكاثوليك عام ١٩٧٣م إلى ١٣٠ كاهناً ، ويضاف إلى ذلك ٢٢ أبرشية ، ٩ هيئات للرهبان والراهبات ، و٣٣ مطرانية ، فيما وصل عدد الكاثوليك إلى مليون وربع كاثوليكي .[٢]

وفي القرن الثامن عشر توافدت البعثات التبشيرية على أراضي الخلافة العثمانية مستغلة المعاملة الخاصة التي يكفلها الباب العالي للأجانب ، وقد حرص المبشرون على التبشير بين المذاهب النصرانية المخالفة .

ثم اتجه التبشير إلى المسلمين مع ضعف الدولة العثمانية واقتسام ممتلكاتها ، حيث وضعت بلاد المسلمين تحت الاستعمار بأنواعه المختلفة .

وقد تجمعت فلولهم في مالطة عام ١٨١٥م (١٢١٣هـ) ووضعوا برامج للتبشير في الدول العربية استجابة لبرنامج إنجليزي اسمه " مشروع تنصير بلاد البحر الأبيض المتوسط " وأرادوا من خلال انتشارهم في الشرق الإسلامي تعويض الخسارة التي لحقت بالكنيسة في أوربا أمام موجة الحضارة الجديدة الناشئة في الغرب .[٣]

ففي عام ١٨٣٠ غزت فرنسا الجزائر ، وقد صحب الجنرال الفرنسي بورمنت ستة عشر قسيساً ، وقال لهم بعد سقوط مدينة الجزائر : " إنكم أعدتم معنا فتح الباب للنصرانية في أفريقيا ، ونأمل أن تنبع قريباً الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع .

فيما وصل أول المنصرين إلى السودان عام ١٢٦٥هـ (١٨٤٨م) بأمر من البابا جريجوري السادس ، وكان قد أمر عام ١٢٦٣هـ بإنشاء نيابة أفريقيا الوسطى الرسولية . وكانت الإرساليات التبشيرية قد زعمت أنها أتت لمحاربة تجارة الرقيق التي استشرت في أوربا ، ورأت أن الوسيلة المثلى للقضاء عليها هي تتبعه في أماكن تصديره كما نص على ذلك مذكرة بوكستن المقدمة للحكومة البريطانية عام ١٢٥٤هـ .

---

(١) انظر : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ٦٠ - ٦٤ .

(٢) انظر : غارة تبشيرية جديدة على أندنوسيا،أبو هلال الأندنوسي،ط٣ ،دار الشروق ،جدة،١٣٩٩هـ،ص ١٧ - ٢٠ .

(٣) انظر : ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ٥٥ ، التبشير المسيحي في منطقة الخليج العربي ، أحمد فون دنفر ،ص ٣ .

وقد مني التبشير والاستعمار بنكسة كبيرة بسبب ثورة المهدي ١٣٠٢هـ فقتل الجنرال غوردون ، وعلقت لجنة إدارة الإرساليات نشاطها في السودان ، ثم عادت مع عودة الجيش البريطاني بقيادة كتشنر .

وقد عمل المستعمر البريطاني على قسم السودان أمام الإرساليات التبشيرية إلى قسمين : أولهما : القسم الشمالي وهو منطقة شبه محرمة يمنع العمل التبشيري فيها إلا في حدود ضيقة ، وقد سمح للمبشرين بالاهتمام بتحرير العبيد ودعوة الوثنيين . ثم سمح لهم بإقامة مراكز طبية في الخرطوم ، والذي دفع المستعمر البريطاني لهذا التضييق هو خشيتهم من ثورة مشابهة لثورة المهدي في القسم الشمالي المسلم .

وأما القسم الثاني فهو جنوب السودان ، وقد فتحت أبواب التبشير فيه على أكمل وجه ، وتقاسمته الإرسالية البريطانية والأمريكية ، وكان العمل في جنوب السودان على مرحلتين : أولاهما : التخلص من الوجود الإسلامي بمحاربة العرب ولغتهم وإبعادهم بواسطة أوامر إدارية (من المستعمر) تنقل الموظفين المسلمين إلى الشمال المسلم ، كما منعوا وصول التجار المسلمين إلى الجنوب ، وشجعوا اللغة الإنجليزية على حساب العربية .

وتنفيذاً لهذا كله قامت الكنيسة بفصل أسقفية الجنوب عن مصر وشمال السودان في عام ١٣٤٥هـ ، وألحقت بهذه الأسقفية الجديدة (أسقفية أعالي النيل) كنيسة أوغندا ، ورسم أول أسقف سوداني في الجنوب عام ١٩٥٥م ، وهو الأسقف دانيال ينج .[1]

وفي مصر تحولت الإرساليات التبشرية عن العمل في كثلكة الأرثوذكس إلى تنصير المسلمين بعد وصول القوات البريطانية عام ١٣٠٠هـ ، وفي عام ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م) أجاز المؤتمر العام للكنيسة المسيحية بمصر مشروع تنصير المسلمين ، وقد أكد مؤتمر القاهرة ١٣٢٤هـ على " أن الهدف الأساسي للإرسالية في مصر هو إقامة كنيسة وطنية من المسلمين المتنصرين " وقد أصبحت هذه السياسة أكثر وقاحة بعد القضاء على الثورة ١٣٣٩هـ ، ويؤكد المبشر مارسون التابع للكنيسة البريطانية (١٣٤٦هـ) هذا الاتجاه ويبين أن سببه فشو الإسلام بين الأقباط ، فيقول : " تؤكد الاحصائيات حتى في هذه السنين بأن الذين يتحولون من الكنيسة القبطية للإسلام لايقلون عن خمسمائة قبطي سنوياً " .[2]

وفي سوريا بدأ التبشير خارج إطار النصارى بعد دخول الاحتلال الفرنسي ، حيث دخل الفرنسيون إلى جبال العلويين (النصيريين) ، واستكتبوا نصيرياً يدعى محمد تامر زعم أن النصيريين من أحفاد الصليبيين وقد تنصرت اثنتان وعشرون أسرة (قرابة ٨٠ شخصاً) .

وعمدوا في جنينة (حديقة) رسلان في أغسطس عام ١٩٣٠م ، ثم ذهب الأب شانتور رئيس الجامعة الأمريكية بعد ذلك بشهرين مع خمسة من المبشرين ، وأسسوا ثلاث مراكز للتبشير في المنطقة . وكانت

---

(١) انظر : ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،١٤٠٧هـ ،ص ١٣٠ – ١٥٤ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، منشورات المكتبة العصرية ،صيدا ،١٩٨٣م ،ص ٢٣٨ – ٢٤٠ .

(٢) انظر : ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ١٠١ – ١٠٥ ، ١١٥ .

فرنسا والولايات المتحدة قد وقعتا في عام ١٩٢٤م اتفاقاً يسهل عمل المؤسسات التبشيرية ويمنع تقييد عملها في المناطق المحتلة من قبل فرنسا .[١]

أهداف التبشير

أما الأهداف التي انطلقت البعثات التبشيرية لتحقيقها فتتلخص في تنصير المسلمين وبناء كنائس وطنية وإذا لم يتحقق ذلك فلا أقل من إبعاد المسلمين عن دينهم وجعلهم يألفون رؤية النصارى وكنائسهم وكتبهم لعل ذلك أن يساهم في نشر النصرانية ولو بعد حين ، وقد عبر عن هذين الهدفين زعيم التنصير في المنطقة العربية القس صمويل زويمر حين قال : " إن لنتيجة إرساليات التبشير في البلاد الإسلامية مزيتين : مزية تشييد ، ومزية هدم ، أو بالحري مزيتي تحليل وتركيب " فالهدف الأول هو إبعاد المسلمين عن دينهم والهدف الثاني هو إدخالهم في النصرانية ، وكثيراً ما اكتفى المبشرون بالهدف الأول بعد أن أعياهم تحقيق نتائج إيجابية في الهدف الثاني . يقول زويمر في مؤتمر القدس مخاطباً المبشرين الذين يشكون من قلة المتنصرين : " إني أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين ... لكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد الإسلامية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً . وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام ... فقد جاء النشئ الإسلامي طبقاً لما أراده له الاستعمار لا يهتم بعظائم ويحب الراحة والكسل ... " .

ويؤكد الأنبا شنودة على أهمية هذا الهدف فيقول : " يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية ، إذ أن الخطة التبشيرية التي وضعت على أساس اتفق عليه للمرحلة القادمة هو زحزحة أكبر عدد ممكن من المسلمين عن دينهم والتمسك به ، على ألا يكون من الضروري اعتناق المسيحية ، فإن الهدف هو زعزعة الدين من نفوسهم وتشكيك الجموع الغفيرة منهم في كتابهم وصدق محمد .... " وكما يقول مبشر آخر " وعندها يكون المسلم ليس له من الإسلام إلا اسم أحمد أو مصطفى أما الهداية (التنصر) فينبغي البحث عنها في مكان آخر " ويقول المنصر فيليب : " إن فرصتنا الوحيدة للعمل التنصيري في مصر وغيرها من البلاد العربية هو الإسراع في إزالة المظاهر التقليدية للمجتمع الإسلامي وجعل هذا المجتمع في حالة القابلية للغزو الحضاري الغربي والإنجيل ، وهي السياسة التي اتبعها المنصرون بقوة وبمساعدة الإدارة البريطانية " .[٢]

---

(١) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٥٤ - ٥٧ .

(٢) انظر : الغارة على العالم الإسلامي ، شاتليه تعريب:محب الدين الخطيب ومساعد اليافي ،ط٤ ،الدار السعودية للنشر و التوزيع ، جدة ،١٤٠٥هـ ، ص ١٧ ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ط١، دار العمير للنشر ،جدة ،١٤٠٦هـ ،ص ١١٦ ، ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ١٢٢ ، ١٢٦ ، تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ط١، دار النفائس ، الرياض ،١٤١٠هـ ،ص ٢٢ - ٢٣ ، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ٣٧ .

ولتحقيق زحزحة أكبر للمسلمين عن دينهم تنادى المبشرون وتداعوا إلى وسائل عدة منها :

- التشكيك بعقائد الإسلام وشرائعه ، ومن ذلك أن زويمر جمع تلاميذه المسلمين حول مجسم للكرة الأرضية ، وجاء بنور قوي سلطه عليها يريد أن يثبت أن الأمر بصيام شهر رمضان غير رباني المصدر ، لأنه يتعذر أداء هذه الفريضة في بعض البلاد ، ودعت جمعية التبشير الكنسية إلى إثارة الشبهات حول وضع المرأة في الإسلام وقالت في تقرير لها : " إن في الإسلام عيباً فاحشاً ، وهو حطه من شأن المرأة " ودعا ديكاردز في بحثه المقدم لمؤتمر كولورادو إلى أن يطرق التبشير موضوعات مثل حقوق المرأة ، والكتاب المقدس والمرأة " .[1]

- العمل على إقصاء اللغة العربية الفصيحة عن أن تكون لغة التداول بين العرب والمسلمين ، وقد تبنت الجمعيات التبشيرية الدعوة إلى الكتابة بالحرف اللاتيني تارة والنطق بالعامية تارة ، وقد تولى الدعوة للكتابة بالحرف اللاتيني المستشرق الفرنسي لويس ماسينون الموظف في وزارة الخارجية الفرنسية ، وأيده فيها بعض العرب منهم الدكتور أنيس فريحة أستاذ اللغات بالجامعة الأمريكية فقال : " يطالب – مثلاً – بعض الناس بتبني الحرف اللاتيني تسهيلاً للقراءة ، وتخفيضاً لنفقات الطباعة ... ونحن من المؤمنين بهذه النظرية ، ولا نرى حلا للكتابة إلا بتبني الحرف اللاتيني وضبط الكلمات فيه مرة واحدة .لماذا يثور الناس كلما طالبنا بالتيسير ؟ ولماذا يتهموننا بالخروج ؟ الأمر بسيط لا يدركون أن هناك مشكلة ، ولماذا لا يدركون ؟ الأمر بسيط : الجهل ، الجهل عدو العرب الأكبر ... " ولما ربط المصلحون الغيورين هذه الدعوة بالمكر والكيد في الإسلام والقرآن قال فريحة : " اللغة .. ظاهرة إنسانية لا علاقة لها بالآلهة ، و لم تهبط من عَلٍ ، بل نشأت من أسفل " ، وقد كانت منظمة جمعية حملة المسيح ويرأسها البروفسور دون مير في كينيا وغانا وآريتريا وجيبوتي رائدة في محاربة العربية ، ومثلها مراكز الشبيبة المسيحية التي مركزها ألمانيا ولها فروع في البلدان العربية .

كما تبنى عدد من النصارى الدعوة إلى العامية ، وكتب الأب رفائيل نخلة " قواعد اللهجة اللبنانية السورية " وكتب شكري الخوري " التحفة العامية في قصة فنيانوس " وكتب الخوري مارون غصن " في متلو ها الكتاب ؟ " (هل يوجد مثله هذا الكتاب) .[2]

- كما عمل المبشرون على التلون للمسلمين بمظاهر إسلامية وحقائق نصرانية أو أن يقربوا المعتقدات النصرانية التي يستحيل على المسلم أن يصدق بها ، فيتأولوها على وجوه تخفف من شذوذها ، فقد أصدرت لجنة المبشرين عام ١٩٣٢م كتاباً بعنوان " التفكير الجديد في أمر الإرساليات " جاء فيه نصيحة للمبشرين في أن يقبلوا بعقائد تخالف العقيدة المسيحية ، فيتأولوا بنوة الله على أنها بنوة روحية ، وأن يقولوا للوثنيين بأن الله له تجسدات مختلفة ، وأن يقولوا للشعوب الفقيرة المفتونة بوعود الشيوعية بأن

---

[1] انظر : مناظرة العصر ، أحمد ديدات ، ص ٦٠ – ١٣٤ ، تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٨٥ – ٨٦ .

[2] انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٢٢٤ – ٢٢٨ ، التبشير في أفريقيا ، عبد الجليل ريفا ، المطبعة العسكرية ،كررى ، السودان ،١٩٨٣م ،ص ٣٧ .

الشيوعية صادقة وأن الرأسمالية نظام باطل .....

ودعا بشير عبد المسيح في بحثه المقدم لمؤتمر كولورادو بعنوان " استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل المسيح وسلوكه " دعا إلى مثل هذا التلون مع المسلمين فقال : " جسد الرسول بولس المسيحَ في شكل يهودي كي يصل إلى اليهود ، وجسده في شكل وثني كي يصل إلى الوثنيين . فهل لدينا الجرأة على سلوك مسلك يسوع والرسول بولس وأن ندعو إلى مسيح متجسد في شكل إسلامي كي نصل إلى المسلمين " .

ويقول بشير عبد المسيح : " لماذا لا نطلق على المكان الذي يلتقي فيه المسلمون العيسويون (المنصَرون) مسجد عيسوي ؟ فلربما قبل المسلمون في النهاية المسجد العيسوي كفرع طبيعي ضمن الثقافة الإسلامية " .

ويقول : " نقترح أن تترك الأحذية عند الباب في المسجد العيسوي ... وأن تكون أوضاع متعددة للصلاة عامة (والكتاب المقدس يسمح بالركوع ورفع الأيدي) ، وأن لاتكون هناك مقاعد ، وأن تستعمل حصائر للصلاة إذا رغب المصلون بذلك ، ولكن المصلين لن يولوا وجوههم نحو المشرق ، ولن يكون هناك أي إشعار أو دعوة للجهاد على حيطان المسجد العيسوي ، ولو أن المسلمين العيسويين قد يقررون مستقبلاً كتابة شيء عن المسيح على تلك الحيطان ..... " .[1]

فهذه الموضوعات وغيرها كانت موضوعاً تدارسه المبشرون النصارى بغية إبعاد المسلمين عن دينهم وقرآنهم تمهيداً لتنصيرهم عندما تحين الفرصة لذلك .

وأما النتائج التي حققها التبشير ضمن الهدفين السابقين فنجمل بالقول بأن جيوش المبشرين عجزت عن أن تجعل للنصرانية في بلاد المسلمين موطئاً ، ولا يخرج عن هذه النتيجة سوى أندنوسيا حيث استطاع النصارى كما يقول المبشر أدوين بلس في كتابه " مشروع التبشير " بأنهم استطاعوا تنصير ١٠٠٠٠٠ مسلم قبل عام ١٧٢١م . ويقول دون مكاكري : " في أندنوسيا حيث انتشر الكتاب المقدس فعلاً من خلال هذه الوحدات الثقافية ، نجد أن مجتمعات بأكملها قد تنصرت في وقت واحد ، ويقال أنه في أحد الأماكن تم تحويل ٢٥ مسجداً إلى كنائس .[2]

وأما في غير أندنوسيا فكانت نتائج التنصير في تحويل المسلمين إلى النصرانية مخيبة لآمال الكنيسة وغير متناسقة مع مصروفاتها والجهد الخارق المبذول من الآلاف من رجال الكنيسة .

فأول متنصر في المغرب تنصر عام ١٣١٧هـ (١٨٩١م) في مدينة طنجة ، واسمه إدريس ، وأقيم بمناسبة تعميده احتفال كبير .

وبعد أربعين سنة من العمل في البحرين عمد عشرة أشخاص عام ١٩٣٤م فيما يتحدث فرانك كولي في بحث له قدمه لمؤتمرات التبشير بعنوان " مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في جنوب شرق آسيا " فيقول

---

(١) انظر : تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٩٦ – ٩٨ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٥١ – ٥٢ .

(٢) انظر : تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٣٢ ، الغارة على العالم الإسلامي ، شاتليه ، ص ٢٣ .

: " خلال الخمس سنوات الأخيرة تم تعميد ٢٨ مسلماً تايلندياً ، ومن هؤلاء رجع اثنان منهم إلى الإسلام ، وبقي عشرون آخرون في عضوية الكنيسة " .

وبعد ما يقرب من خمس وثلاثين سنة في السودان كان أول المتنصرين من المسلمين مواطن سوداني اسمه إبراهيم تنصر في مستشفى أم درمان . (١)

وبالمقابل فإن سيد أحمد يذكر أن الاحصاءات الدقيقة تتحدث عن أن كل متنصر إفريقي يقابله إسلام ٨٧ أفريقي ، وهو ما دعا مجلة " الكريستيان مونيتور " للقلق فقال محررها : " أخشى أن نظل هكذا ننفق الأموال الطائلة ، ونبعث بأبنائنا إلى مجاهيل إفريقيا في الوقت الذي تسلم فيه قلاع المسيحية في أفريقيا إلى الإسلام " . (٢)

ومما يزيد في خيبة أمل المبشرين دراسة أوضاع هؤلاء المتنصرين قبل تنصرهم يقول فرانك كولي في البحث المشار إليه آنفاً " الملاحظ أن المسلمين الذين أبدوا استجابة أكثر كانوا من الذين تم الاتصال بهم من خلال العيادات الطبية لمعالجة الجذام " . (٣)

ويقول ديفيد فريزر في بحثه " تطبيق مقياس إينكل في علمية تنصير المسلمين " الذي قدمه مؤتمر كولورادو التبشيري : " الدعوة إلى المسيح لا تجد استجابة إلا من الأشخاص الهامشيين أو المنحرفين الذين ينتمون إلى القطاعات الفقيرة نسبياً في المجتمع الإسلامي " .

ويقول زويمر في مؤتمر القدس التبشيري . إني أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين . لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة : إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه ما هو الإسلام ، وإما رجل مستخف بالأديان لا يبغي غير الحصول على قوته ، وقد اشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش ، وإما آخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية " . (٤)

لذا يعترف جورج يتترز بضعف النصارى أمام الإسلام في بحثه المقدم لمؤتمر كولورادو التبشيري بعنوان " نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة في وسط المسلمين " فيقول : " لدي انطباع بأن الإسلام هو أولاً وقبل كل شيء قوة روحية ، وصيغة لاهوتية ، وبناء ديني سيواجه بجرأة كل الخبرات الفنية والضغوط التي نستطيع تنظيمها " ويتابع فيذكر حقيقة هامة نعجب كيف لم تدخله في هذا الدين ، وهي أن هذا الدين يسير بهدي الله وتوفيقه فيقول : " إنني أميل إلى الاتفاق مع فندر زويمر وفريتاك وآخرين فيما ذهبوا إليه من أن الإسلام حركة دينية معادية للنصرانية ، مخططة تخطيطاً يفوق قدرة البشر لمقاومة إنجيل ربنا يسوع المسيح .

إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية ، وترفض بكل وضوح

---

(١) انظر : التبشير المسيحي في منطقة الخليج العربي ، أحمد فون دنفر ،ص ١٦ ، ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ١٤٢ ، ١٦٥ .

(٢) انظر : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ٣٩ - ٤٠ .

(٣) انظر : تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٦٠ .

(٤) انظر : تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٢٢ ، ٢٧ .

وموثوقية صحة الإنجيل ، وأبوة الرب ، وأن المسيح ابنه ، وضرورة موته " وينصح مركز الشبيبة التنصيري في كتاب أصدره بعنوان " ماهي الصعوبات التي تحول دون تنصير المسلمين " بالعمل في مناطق غير ناطقة بالعربية أي ضعيفة في مجال الثقافة الدينية ، والتي غالباً ما تدون بالعربية .[١]

وأمـــام هذه الخيبة يزعم زويمر أن حظ المبشرين من التغيير " هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه ، ولا ينبغي أن نعتمد على إحصائيات التعميد في معرفة عدد الذين تنصروا رسمياً من المسلمين ، لأننا هنا واقفــون عــلى مجــرى الأمور ، ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزع الدين الإسلامي من قلوبهم ، واعتنقوا النصرانية من طرف خفي " .

ولكـــن العزاء للمبشرين إنما هو في النتائج الإيجابية التي حققها التبشير بين الوثنيين ، فقد أمكن تحويل ثمـــاني ملايـــين وثني في أوغندا إلى المسيحية ، فيما استطاعت خمسة عشر ألف بعثة تبشيرية قصدت كينيا أن تجعل نسبة المسيحين فيها ٦٥% من السكان .

يقـــول جيرالـــد سوانك في بحثه " مقارنة بين وضع النصرانية والإسلام في وسط وجنوب أفريقيا " : " النصـــرانية تحقق الآن نجاحاً في التنصير في وسط أصحاب الديانات التقليدية بصورة أكبر من الإسلام ... النصرانية تزداد بصورة أسرع ، وبمعدل أكثر من ٦% في السنة " .[٢]

والعـــزاء الآخـــر هو نجاح النصارى في تحقيق هدفهم الثاني المتمثل في إبعاد المسلمين عن دينهم ونشر الجهـــل بـــين عوامهم ، وهو ما عبر عنه زويمر بقوله : " ينبغي للمبشرين إلا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمســـلمين ضـــعيفة ، إذ مـــن المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحرير النساء " .[٣]

---

(١) انظر : تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ١٤٩ - ١٥٠ ، التبشير في أفريقيا ، عبد الجليل ريفا ، ص ١٧ .

(٢) انظر : الغارة على العالم الإسلامي ، شاتليه ، ص ١٧ ، تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ١٢٣ ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ٨٥ .

(٣) انظر : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ١١٦ .

مؤتمرات التبشير

وبحث المنصرون في مؤتمرات عديدة ظروف التبشير بين المسلمين بغية تحقيق نتائج أفضل ، فانعقد لذلك عدد من المؤتمرات التبشيرية أهمها : مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م برئاسة القس المبشر صمويل زويمر ، ثم انعقد المؤتمر التبشيري العالمي بأدنبره باسكتلندا في عام ١٩١٠م برئاسة زويمر ، ووزعت في ختامه على المؤتمرين رقاع تذكارية مكتوب عليها " اللهم يا من يسجد له العالم الإسلامي خمس مرات في اليوم بخشوع انظر بشفقة إلى الشعوب الإسلامية ، وألهمها الخلاص بيسوع المسيح " ، كما انعقد مؤتمر آخر للمبشرين في نفس العام في بيروت .

وفي عام ١٩٢١م عقد مؤتمر التبشير الدولي ثم انشأ بأمر من البابا بيوس (١٩٢٢ - ١٩٣٩م) معهد لتأهيل المبشرين .

وفي عام ١٩٢٥م عقد مؤتمر تبشيري وسمي " مؤتمر حركة الحياة والعمل " ، ثم آخر باسم " مؤتمر حركة الإيمان والنظام " سنة ١٩٢٧م .

ثم انعقد في القدس ثلاثة مؤتمرات في ١٩٢٤م ، و ١٩٢٨م ، و ١٩٣٥م وحضر الأخير منها ١٢٠٠ مندوباً ، وعقد مؤتمر الكنائس البروتستنتية في لوزان بسويسرا عام ١٩٧٤م ثم عقد مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين في كولورادو في عام ١٩٧٨م وحضره ١٥٠ مشتركاً ، وقرر المؤتمر لتحقيق مهمته جمع مليار دولار ، ووضع المؤتمر استراتيجيات جديدة في تنصير المسلمين .

وقد أودع المبلغ المطلوب بعد جمعه في أحد البنوك الأمريكية ، وشرع في تنفيذ الخطة المقررة ، وعقد في ١٩٨١م المؤتمر العالمي للتنصير في السويد لدراسة ومتابعة تنفيذ مقررات كولورادو .

وكانت الكنائس النصرانية المختلفة قد أنشئت مجلساً للتنسيق بين عمل الكنائس والإشراف على عملها وذلك في عام ١٩٦١م وسمي : " مجلس الكنائس العالمي " . (١)

وقد درست هذه المؤتمرات نتائج التنصير المخيبة للآمال نسبياً ، ودرست عوامل النجاح الذي تحقق في أندنوسيا وغيرها ، وكان مما لاحظه المبشرون أن التنصير لا ينجح في بيئة مستقرة فيقول المبشر فريزر في بحثه " تطبيق مقياس إينكل في عملية تنصير المسلمين " والذي قدمه في مؤتمر كولورادو : " لكي يكون تحول ، فلابد من وجود أزمات معينة ومشكلات وعوامل إعداد ، وتهيئة تدفع الناس أفراداً وجماعات خارج حالة التوازن التي اعتادوها ، وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية كالفقر والمرض والكوارث والحروب ، وقد تكون معنوية مثل التفرقة العنصرية ..... وفي غياب مثل هذه الأوضاع المهيئة ، فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية " . (٢)

وأكد فريزر على أهمية استغلال العوام وسذاجتهم فقال : " إن غالبية المسلمين الذين يحتمل أن يتنصروا

---

(١) انظر : تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٩ - ١٤ ، التبشير في أفريقيا ، عبد الجليل ريفا ، ص ٤٦ .

(٢) انظر : تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٢٣ .

هـم من الذين يعتنقون ما يطلق عليه الإسلام الشعبي ، وهم أرواحيون يؤمنون بالأرواح الشريرة والجن ، ويعرفون القليل جداً عن الإسلام الأصل ، كما يؤمن هؤلاء بدرجة كبيرة بالتعاويذ التي يعتقدون أنها تمدهم بالقوة لمواجهة شرور الحياة وتحدياتها ... لقد سمعت أكثر من قصة مؤثرة عن تنصر أعداد كبيرة من المسلمين أكثر مما تم بواسطة طريقة الوعظ على يد قسيس قبطي له القدرة على العلاج الروحي وطرد الأرواح الشريرة " .

وأكد فريزر نجاح التنصير بهذه الأساليب التي تقوم على الشعوذة والدجل بعيداً عن العلم والعقل والدليل ، فأكد هذه الصورة بالنجاح الذي يحققه المبشرون في الباكستان " الذين يتبعون الأساليب الفعالة ، ويتمتعون بالقدرة المؤثرة ، فخلال عملهم في القرى الريفية على علاج الناس ، وطرد الأرواح الشريرة أحاط بهم المسلمون من كل حدب وصوب " .[1]

ويقترح بول برخت اقتراحاً يخدم الأهداف التبشيرية وهو أن تسرع الكنيسة الأوربية إلى إنشاء كنائس وطنية تتولى العمل التبشيري بدلاً من المبشرين الأوربيين الذين كانوا طرفاً من الاستعمار فيقول : " لابد للكنيسة في دول العالم الثالث وأمريكا اللاتينية أن تحذو حذو وزارة الخارجية البريطانية في دول الكومنولث ... أي أن يكون الرجل الأسود (في أفريقيا) في مكان المبشر الأبيض ، وأن تكون الكنيسة الوطنية هي الكنيسة الأم " .[2]

---

(١) انظر : تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٧٢ – ٧٣ ، ١١٩ – ١٢٠ .

(٢) انظر : التبشير في أفريقيا ، عبد الجليل ريفا ، ص ٢١ .

مجالات جديدة للتبشير

وبعد فشل الوسائل التقليدية من - حرب صليبية وتبشير قسيس - في تحقيق نتائج ذات بال بين المسلمين لجأت المؤسسات الكنسية إلى طرق جديدة ذات فعالية مستغلين حاجة الشعوب الإسلامية وضعف الإمكانيات المادية والتقنية ، وقد استغل التبشير عدة مجالات من الأنشطة لتحقيق الأهداف التبشيرية .

أولاً : التعليم

اتجهت المؤسسات الكنسية التبشيرية إلى استغلال مجال التعليم منذ بداية القرن الهجري الثالث عشر ، وأسست مدارس تعمل لهذا الهدف ، وقد كان عدد طلاب هذه المدارس في سوريا - مثلاً - عام ١٨٩١م مائة وأربعة وسبعون مدرسة .

وفي عام ١٩١٢م بلغ عدد المؤسسات التبشيرية ثمان وثمانون مؤسسة تتولى بعضها إدارة عدة مدارس .

وفي أندنوسيا كان عدد المدارس التي افتتحتها الكنيسة حتى عام ١٩٧٤م (٥٤٠٤) مدرسة ، إضافة إلى ٣٣ معهد لإعداد المعلمين الدينيين ، ويضاف إلى ذلك ١٩٦ معهد لاهوتي .

وفي أفريقيا أعلن المبشر دانيال كمبوني في القرن التاسع عشر مشروعه الذي سمي باسمه حيث افتتح عشرات المدارس في أنحاء متفرقة من أفريقيا منها مدارس لرياض الأطفال ومنها ما هو مخصص للكبار أو للتعليم العام .

وكان من أهم المؤسسات التعليمية التبشيرية الجامعة الأمريكية في بيروت وكلية روبرت في استانبول ، وكلية الاستانة التي كان التعليم فيها مختلطاً بين الذكور والإناث .[1]

وقد كان الهدف من افتتاح المدارس والجامعات في البلاد الإسلامية التبشير فحسب ، وهو ما عبر عنه المبشر هنري جسب بقوله " التعليم في الإرساليات التبشيرية إنما هو وسيلة إلى غاية فقط ، هذه الغاية هي قيادة الناس وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية .

ولكن حين يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه ... فإننا لا نتردد حينئذ في أن نقول : إن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري إلى مدى علماني محض ، إلى مدى علمي دنيوي ، مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات هايدلبرغ وكمبردج وهارفر وشيفيلد لا الجمعيات التبشيرية التي تسعى إلى أهداف روحية فحسب " .

ويقول المبشر رايد متحدثاً عن خدمات الكنيسة التعليمية والصحية : " أنا لا أحب المسلم لذاته ، ولا لأنه أخ لي في الإنسانية ، ولولا أنني أريد ربحه إلى صفوف النصارى لما كنت عرضت له لأساعده " .

---

(١) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٧٩ ، ٩٤ - ٩٦ ، غارة تبشيرية جديدة على أندنوسيا،أبو هلال الأندنوسي،ص ٢٠ - ٢٢ ، التبشير في أفريقيا ، عبد الجليل ريفا ، ص ١٢٢ .

ويقول دابني " كان التعليم وسيلة قيمة إلى طبع معرفة تتعلق بالعقيدة المسيحية والعبادة المسيحية " .

ويقـــول بـــتروز رئيس الجامعة الأمريكية (التبشيرية) في بيروت : " لقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها في سعيهم لتنصير سورية ولبنان " .

ولمـــا زارت المبشرة أنا ميلجان كلية البنات بالقاهرة قالت : " ليس ثمة طريق إلى دحض الإسلام أقصر مســـافة مـــن هـــذه المدرسة " وقد رأى المبشرون أهمية خاصة لقطاع التعليم لأنه يؤمن لهم الاتصال بأبناء المســـلمين في سن مبكرة قبل اكتمال نضجهم العقلي وتوسع درايتهم الدينية مما قد يسهل مهمة تنصيرهم ، يقـــول المبشـــر جون موط : إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً ، من أجل ذلك يجب حمل الأطفال الصغار إلى المسيحية قبل بلوغهم سن الرشد ، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية " [1]

وكـــتأكيد لهـــذا الاتجـــاه التبشيري في التعليم أجبرت الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية في بيروت) طلابها المسلمين على حضور دروس التوراة والدخول إلى الكنيسة ، وقد احتج الطلبة المسلمون على إلـــزامهم دخـــول الكنيســـة فرد عليهم مسؤلو الجامعة بأن الجامعة منشأة مسيحية ، وفتحت بدعم وأموال المســـيحيين ، ثم وفي عـــام ١٩٠٨م أعطـــي طلاب الكلية الحرية في الحضور ، ثم عادت فأجبرت الطلاب المســـلمين عـــلى حضور درس التوراة دون الحضور إلى الكنيسة ، وفي عام ١٩٢٢م كان للطلاب المسلمين الخيار في الاستماع إلى درس في الأخلاق أو درس في التوراة ، لكن درس الأخلاق لم يكن يختلف كثيراً عن درس التوراة من حيث مضمونه وإن اختلف العنوان . [2]

ومـــن المهمـــات التي عمل التبشير من خلالها على استغلال التعليم تجفيف منابع التعليم الديني ، وقد تركـــزت جهودهم على الإضرار بالأزهر ، فقد قدم كرومر خطته التي زعم أنها لتطوير الأزهر ، فيما كانت في الحقيقة تهدف إلى تفريغ مضامينه ، وقد بحثت مقترحات كرومر في مؤتمر القاهرة التبشيري عام ١٩٠٦م .

كمـــا أوصى كرومر بالاهتمام بالتعليم العام ورفع كفاءته حتى ينافس الدراسات الأزهرية ويسبقها ، فينصرف الناس بذلك عن المعاهد والمدارس الأزهرية ، وهو ما مضى إلى تحقيقه فيما بعد .[3]

كمـــا عمـــل المبشرون على استغلال المبتعثين من المسلمين ، والذين ذهبوا إلى الغرب بغية التحصيل العـــلمي فاستقبلت الجمعيات التبشيرية بشكل أو بآخر هؤلاء الطلاب ، وعملت على تنصيرهم أو تغريبهم ليعودوا مسوخاً بدم عربي أو مسلم وحقيقة غربية أو نصرانية ، وعادة ما يعود هؤلاء ليكون لهم زمام القيادة والإدارة في قومهم .

يقـــول أحد دعاة التبشير : يجب أن نتذكر جيداً أن الطالب الذي يعود ليعمل كمبشر بين شعبه ، من

---

(١) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٦٦ – ٦٨ ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ط١ ،مكتبة وهبة ، القاهرة ،١٤٠١هـــ ،ص ١٦٦ ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ١١٧ ، ١٢٥ .

(٢) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٨٠ – ٨٢ ، ١٠٦ .

(٣) انظر : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ١٢٠ .

المحتمل أن يكون أفضل بكثير من أي أجنبي آخر " . [1]

وقد عقد المبشرون عدة مؤتمرات تبشيرية هدفت إلى متابعة النشاط التعليمي وغيره ، فقد كان التعليم موضوعاً لعدد من المؤتمرات التبشيرية منها مؤتمرات عقدت عام ١٩٢٤م في القدس وبرمانا (لبنان) وقسطنطين (الجزائر) وحلوان وبغداد .

وفي مؤتمر القدس ١٩٣٥م قرر المؤتمرون أن يستغل كل درس في سبيل تأويل مسيحي لفروع العلوم كالتاريخ وعلم النبات .....[2]

ثانياً : المجال الصحي

وفي الربع الأخير من القرن الثالث عشر تنبه المستشرقون إلى وسيلة جديدة يطرقون من خلالها أبواب المجتمعات التي يودون تبشيرها ، فانطلقوا يحملون الدواء في كف والإنجيل في الأخرى مستغلين حاجة المجتمعات الفقيرة إلى الدواء والعلاج وعدم وجود رعاية صحية في هذه المناطق .

فقد افتتح البروتستنت في أندونيسيا حتى عام ١٩٧٤م ما مجموعه ٢١٤ مستشفى ، كما افتتح في الخليج العربي عدداً من المؤسسات الصحية من مستشفيات ومستوصفات ، فقد أسس عام ١٩٠٢ مستشفى البعثة الأمريكية في البحرين ، وافتتح آخر في الكويت عام ١٩٢٠م ثم في قطر عام ١٩٤٨م ، ثم أسست البعثة المتحدة الإنجيلية مستشفى في عام ١٩٦٠م في الإمارات ثم أسست الحملة العالمية للتبشير المسيحي مستوصفاً في الشارقة ، وآخرى في الفجيرة ، وفي عام ١٩٦٥م أسسوا مستشفاً في واحة البريحي يعمل فيه عشرون مبشراً .

وفي بلاد الشام بدأت البعثات الطبية منذ عام ١٨٧٥م وأنشأت عدداً من المستشفيات والمراكز الصحية .

وكذلك أنشأت الأرساليات السبع العاملة في مصر مراكز طبية في مختلف المدن المصرية .

واهتمام المبشرين بالرعاية الصحية – كما أسلفنا – لم يكن نابعاً من إنسانيتهم ، بل كان وسيلة لاستغلال أوجاع الناس وآلامهم بغية تنصيرهم .

ولقد جاءت تصريحات المبشرين واضحة في تقرير هذه المسألة ، فالمنصر زويمر يقول " إن جميع العاملين في ميدان التبشير متفقون على أن الطبيب القدير والجراح الماهر يحمل جوازاً يفتح الأبواب المغلقة ، ويغزو القلوب مهما كانت عنيدة " .

فأول الخطوات التي يقوم بها الأطباء المبشرون إقامة الجسور المفقودة وغرس محبة هؤلاء المبشرين في نفوس المرضى ، يقول ستورم : " لقد ثبت أن العمل الطبي هو مفتاح القلوب المغلقة ووسيلة لتوثيق عرى

---

(١) انظر : حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦٧ .

(٢) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٧٩ ، ١٠٥ .

الصـــداقة وأداة لتحطيم المعارضة " . ويؤكد المبشرون أن الهدف من تقديم العلاج " تخفيف الآلام الجسمانية لتـــتمكن الـــنفس من إدراك القوى الكامنة في العقيدة عن طريق إزالة عقبة المريض ، وغرس روح الاعتراف بالجميل والعرفان للمعاملة التي قدمت إليه " . [1]

أمـــا الهـــدف البعيد الذي يصبو إليه المبشرون فهو تحويل المرضى وغيرهم إلى النصرانية ، يقول المبشر الطـــبيب بـــول هاريسون (١٩٤٣م) في كتابه " طبيب في بلاد العرب " : " إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشـــفى ولـــو بلغت منافع هذه المستشفى منطقة عمان بأسرها ، لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالهـــا ونساءها نصارى " ، وتقول إيرا هاريس ناصحة الطبيب المبشر : " يجب أن تنتهز الفرص لتصل إلى آذان المســـلمين وقلوبهم ، فتكرز لهم بالإنجيل . إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات ، فإنه أثمـــن تـــلك الفرص على الإطلاق ، ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك : إن واجبك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه " . [2]

وقد اكتنف نشاط المبشرين الطبي على صور سيئة ممجوجة ، فمن ذلك أن المبشرين في مستوصف بلدة الناصر بالسوادن كانوا لا يعالجون المريض إلا إذا اعترف بأن المسيح يشفيه ، وفي الحبشة كانت المعالجة تبدأ بعد أن يركع المريض ويسأل المسيح الشفاء ، كما كان من عادة الارساليات أن تعلن عن وصول طبيب قبل وصوله بعدة أيام لتقوم بتبشير المرضى وذويهم الذين يمكثون أياماً وهم ينتظرون ذلك الطبيب .[3]

ثالثاً : الأنشطة الاجتماعية

وفي غزو المبشرين للمجتمعات الإسلامية لجأوا لاستغلال المناشط الاجتماعية ، وتمثل ذلك بأمور منها إقامـــة مـــلاجئ للأيتام والفقراء يمارس التبشير فيها بعيداً عن رقابة الأهل وسلطانهم ، وتغدق الهدايا في هذه الملاجئ على هؤلاء الفقراء .

وقـــد ساعد في الوصول إلى هذا الوضع الحركة الاستعمارية التي ساهمت في انتشار اليتم والفقر ، كما كانوا سبباً في عمليات التهجير الداخلي حيث يجبر المسلمون على مغادرة أوطانهم أو أقاليمهم ، فيهربون إلى كماشـــة التبشـــير والفقـــر حيث تقدم لهم المؤسسات الكنسية الرعاية والخدمة بغرض تقريبهم للنصرانية أو إدخالهم فيها ، أو حتى التشكيك في الإسلام ، وإثارة الشبهات عنه .

---

(١) انظر : ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ١٠٨ ، الإسلام والتحدي التنصيري ، عمر بابكور ، ص ٢٩٤ – ٢٩٥ .

(٢) انظـــر : التبشـــير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٦٣ ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومـــته ، ســـيد أحمد يحيى ، ص ١٨٣ ، ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ٢٧ ، الإسلام والتحدي التنصيري ، عمر بابكور ، ص ٢٩٧ .

(٣) انظـــر : التبشـــير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٦٢ ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٨١ .

فقد بنى في أندنوسيا مثلاً ٢٩ داراً للأيتام وأنشأ عدد من الملاجئ في الجزائر يقول عنها دوغلاس :" إن هذه السبل (الملاجئ) لا تجعل الأطفال نصارى ، لكنها لا تبقيهم مسلمين كآبائهم " .

كمــا أخذ المبشرون بعض أبناء المسلمين للغرب حيث تبناهم بعض النصارى أو مؤسسات كنسية ، وتولوا تعليمهم وتربيتهم وفق المبادئ المسيحية ، يضاف إلى ذلك ابتعاث البعض للدراسة في أجواء مشحونة بكراهية الإسلام .[1]

والأنكــى مــن ذلــك ما نشرته الصحف عن أن نصارى لبنان باعوا ألفين من أطفال المسلمين إلى مؤسسات تنصيرية .[2]

وغالب الصرف على هذه المناشط كان يتم بأموال الموسرين الأوربيين وهي – أو بعضها – نتاج جهد المســتعمر في بلادنــا المختــلفة ، كما ثمة مصدر آخر هو المؤسسات الاقتصادية التي كانت تديرها الكنيسة وتتركز حول تجارات وفيرة وسريعة الربح مثل التجارة في الخمور والعقارات والسينما ، ويذكر إحسان حقي مصــدراً آخر في رسالة بعث بها إلى مجلة (المسلمين) وفيها " وقد بلغ من تعسف المستعمرين في أفريقيا أنهم كــانوا يستعينون بأموال المسلمين للعمل على تنصير المسلمين ، فكانوا يأخذون أموال الأوقاف الإسلامية ، ويتبرعون بها للكنائس ، لا بل لقد ارتكبت بعض الحكومات أفظع من ذلك ، إذ أنها كانت تنتزع من أموال الأوقاف مبالغ طائلة تدفعها للمسيحيين لإطعام حمام الكنائس ، بينما أهل البلاد يموتون جوعاً في الطرقات.،. لكنهم فشلوا في كسب أحد من أهل البلاد اللهم إلا من الوثنيين أو أطفال الفقراء من المسلمين الذين كانوا يــأخذونهم أيــام القحــط والمجاعات ، فيربونهم وينشئونهم على المسيحية . وقد قدم امبرطور الحبشة منحة للمبشرين السويدين وهي عبارة عن ٢٥ ألف هكتار من أخصب الأراضي الزراعية التي اغتصبت من المسلمين في مقاطعة القراقي .[3]

وقد اهتم المبشرون في هذا الحقل بقطاعين هامين من المجتمع المسلم وهما المرأة والشباب .

فقد شرعت المؤسسات التبشيرية في تنظيم مناشط محببة إلى الشباب ، فأسست في بلاد المسلمين عدداً مــن الجمعيــات والمنظمات والنوادي ، ومن أهم المؤسسات النصرانية العاملة في هذا المجال منظمة الرجاء ، ومركــزها شتورجات بألمانيا ، وبعثة الصداقة التي لها فروع في لبنان وهولندا وألمانيا وفرنسا ، ومركز الشبيبة النصراني ، ومركزه في ألمانيا .

وقد أكد مؤتمر القدس التبشيري (١٩٣٥م) على أهمية تأسيس منظمات الشبان المسيحيين والشابات

---

(١) انظر : غارة تبشيرية جديدة على أندنوسيا،أبو هلال الأندنوسي،ص ٨٨ – ٩٥ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٩٤ ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحي ، ص ٩٠ ، ١٣٣ ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٨٩ – ١٩٠ .

(٢) انظر : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ١٠٥ .

(٣) انظر : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحي ، ص ٨٥ – ٨٦ ، غارة تبشيرية جديدة على أندنوسيا،أبو هــلال الأندنوسي،ص ٩٥ ، التبشير في أفريقيا ، عبد الجليل ريفا ، ص ٢٣ الاستعمار. أحقاد وأطماع ، محمد الغزالي ، ط٢ ، الدار السعودية للنشر، جدة ،١٣٨٩هـــ ،ص ٧٦ .

المسيحيات ، كما أكدوا على فعالية الاستفادة من الحركة الكشفية ومعسكراتها ، و لم ينقضِ ذلك العام حتى نظمت الحزمة المغربية - بالتعاون مع اللجنة التبشيرية - لشبان فرنسا مخيماً شارك فيه ستون من زعماء التبشير في فرنسا وسويسرا .

كما عقد آخر في جيبوتي في نفس العام اشترك في الإعداد له ستون مبشراً .

وفي عام ١٩٣٨م عقد مؤتمر للكشافين والمرشدات دارت برامجه حول " التوراة كلمة الله " .

كما نشرت المؤسسات الإجتماعية للكنيسة السينما في بلاد المسلمين ، وأرادت من ذلك نشر الخلاعة والرذيلة بينهم لإبعادهم عن دينهم ، وكثيراً ما كانت تعرض في مقديشو أفلام السينما في وقت صلاة المغرب وتستمر إلى ما بعد العشاء .[1]

وهذه النشاطات الاجتماعية المختلفة لون من ألوان التبشير يقول عنها كتاب " مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين " : " نحن نعنى بالعمل الاجتماعي المسيحي تطبيق مبادئ يسوع المسيح في جميع الصلات الإنسانية ... فالنشاط الاجتماعي يجب أن يرافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويتمه ، فلنبدأ بالصلات اليومية التي تتصل بالطفل والمرأة ، ثم فتوسع في تلك الصلات حتى نبلغ إلى المبادئ الواسعة التي أقرتها عصبة الأمم " وأكد المؤتمر أن " مما يجب أن يهتم به المبشرون : إصلاح الأحداث - الحيلولة دون الزواج المبكر - الحيلوة دون تشغيل الأطفال - محاولة إصلاح الأحوال العامة للعمال فيما يتعلق بساعات العمل وبالأمور الصحية في المعامل ، وبالأجور - الرفق بالحيوان " .[2]

والقطاع الثاني الذي اهتم به المبشرون هو المرأة حيث أكد مؤتمر القاهرة على أهمية تبشير المرأة ، وأصدر سبع توصيات بشأنها في عام ١٩٠٦م، وفي مؤتمر قسطنطينة دعا المؤتمرون لوسيلة جديدة في تبشير النساء ذوات الحاجة ، وخص منهن المطلقة والأرملة الصغيرة ، فأوصى ببناء مساكن كبيرة يسكن فيها هؤلاء النسوة ، وقال المؤتمر " نرى أن أمثال هؤلاء النسوة يقعن أثناء مكثهن في هذه البيوت تحت تأثير الإنجيل ، ثم إننا نختار منهن أولئك اللواتي يرجى أن ينصرن أكثر من سواهن ، ليكن بدورهن مبشرات بين قومهن " .[3]

رابعاً : الأنشطة الإعلامية

واهتم المبشرون باستخدام الوسائل الاعلامية المختلفة في نشر ما يسمونه " رسالة الإنجيل " وتركز اهتمامهم على نشر الكتاب المقدس وتوزيعه بين المسلمين ، ويذكر محررو مجلة " تايم " أنه في منتصف القرن العشرين جرت حملة تبرعات تهدف إلى إعادة طبع الكتاب المقدس بعد نفاذ نسخه في أندنوسيا بسبب تنصر

---

(١) انظر : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ١٠٦ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ٢١٢ - ٢١٥ ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحى ، ص ١٣٤، ١٣٥ - ١٣٨ .

(٢) انظر : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحى ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٣) انظر : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ٧٢ .

٢٥٠٠٠٠ كما زعمت المجلة .

وفي هذا الصدد نشطت الكنائس في توزيع الكتاب المقدس وبعض الكتب والمنشورات التي تتعلق به ، وأسسوا مكتبات تتولى تسهيل وصولها إلى الجمهور بالبيع أو الإهداء ، فمن ذلك أن رجل الأعمال الإيطالي بويرو افتتح مكتبة في مقديشو توزع فيها الكثير من الكتب النصرانية مجاناً .

وفي البحرين أنشأ المنصرون مكتبة " العائلة " وتصل مبيعاتها السنوية إلى $\frac{1}{2}$ مليون دولار ، ومكتبة أخرى في عُمان تصل مبيعاتها لمليون دولار سنوياً كما افتتحوا مكتبة في كل من قطر وأبو ظبي ودبي .

وربما أصدرت المؤسسات الإعلامية التبشيرية بعض النشرات باسم متنصرين تقرباً إلى المواطنين واستمالة لهم .[١]

كما أنشأ المنصرون عدداً من الصحف والمجلات مثل صحيفة " الفارو " في الصومال ومجلة " النور " الشهرية والمجانية التي تصدر في مقديشو . وأصدروا في القاهرة صحيفتي " بشائر السلام " و " الشرق والغرب" .

وقد اتخذ البروتستنت من القاهرة مركزاً لهم للطباعة والتزيع والنشر في المنطقة فيما اتخذ الكاثوليك من بيروت قاعدة لهم ، وأنشأوا فيها المطبعة الكاثوليكية عام ١٨٧١م .[٢]

وقد أصدر المبشرون عدداً من الكتب التي تنال من الإسلام وعقائده منها " ميزان الحق " للقس فندر ، " والهداية " لجمعية المرسلين الأمريكية بالقاهرة و " تنوير الأفهام في مصادر الإسلام " و " الباكورة الشهية في الروايات الدينية " و " أصول الإيمان " و " دعوة الحق " و " منار الحق " الذي طبع ثمان عشرة طبعة ويوزع بالمجان حالياً من النمسا و " الصليب في الإنجيل والقرآن " وكتب اسكندر جديد كتابيه : " الإنجيل في القرآن " و " القرآن في الإنجيل "وكتب الأنبا ايسيد روح "الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة" ، وكتب غيره"المسيحية في الإسلام" و"التثليث في القرآن".[٣]

وأنشأ المنصرون أيضاً عدداً من الإذاعات تبث بلغات مختلفة برامج تبشيرية منها إذاعة مونت كارلو – وإذاعة صوت الغفران – وإذاعة مركز النهضة من قبرص – وإذاعة منظمة الشبيبة العالمي والتي تبث من قبرص إلى إفريقيا بلغات متعددة – وإذاعة فيبا بجمهورية السيشل في المحيط الهندي – وإذاعة صوت الإنجيل في الحبشة .[٤]

---

(١) انظر : التبشير المسيحي في منطقة الخليج العربي ، أحمد فون دنفر ،ص ٦ – ٧ ، ٢٧ – ٣٠ ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ١٣٣ – ١٣٥ ، ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ٣٤ – ٣٥ .

(٢) انظر : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ١٣٥ ، تنصير المسلمين ، عبد الرزاق ديار بكرلي ،ص ٧٨ .

(٣) انظر : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ١٠٨ ، المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ٢٨.

(٤) انظر : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ١٠٥ ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، سيد أحمد يحيى ، ص ٥٩ ، التبشير في أفريقيا ، عبد الجليل ريفا ، ص ١١٥ .

كمـــا حرص المبشرون على غرس كنائس النصرانية في كل مكان تطؤه أرجلهم ، ولو لم يكن فيه من النصـــارى ســـواهم ، وحرصـــوا على دعوة الناس لزيارة هذه الكنائس ، وقد تعددت هذه الكنائس لتعدد المذاهـــب النصـــرانية ، حيث كانت هذه المذاهب تتسابق وتتنافس في بناء الكنائس ، كما تتنافس في دعوة الزوار لها .

وقـــد أنشـــأت البعثات الكنسية في البحرين مثلاً ٥ كنائس، و٣ كنائس في كل من عُمان والكويت وقطر فيما بلغ عدد كنائس البروتستنت في أندنوسيا ٢٦١ كنيسة [١].

---

(١) التبشير المسيحي في منطقة الخليج العربي ، أحمد فون دنفر ،ص ١٧-٣٠ .

المبحث الثاني : الاستعمار

الاستعمار لفظه محدثة مشتقة من عَمَر ، واستعمره في المكان أي جعله يعمره ، ومنه قوله ﴿ هو الذي أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها ﴾ [1]

فالأصل اللغوي يفيد معنى طلب التعمير والسعي لتحقيق العمران ، لكن الواقع لا علاقة له بالمعنى اللغوي .

ويعرف الشهابي وحبنكة الاستعمار موافقين لما جاء في المعجم الوسيط بأنه استيلاء دولة أو شعب على دولة أخرى وشعب آخر لنهب ثرواته وتسخير طاقات أفراده والعمل على استثمار مرافقه المختلفة .[2]

وهذا التعريف يشمل أنواع مختلفة من الاستعمار لاتختلف عن بعضها إلا بالأسماء وبعض الأشكال ، فمن أشكال الاستعمار أن تضع دولة ما أخرى تحت حمايتها وإشرافها وتسلبها من حريتها بقدر ما يتناسب مع قوة هذه الدولة وضعف تلك ، وفي الأغلب يكون للدولة المحمية شبه سيادة داخلية يمارسها حكام وطنيون تديرهم الدولة المستعمرة من خلف ستار ، ومن أمثلة هذا الشكل للاستعمار ما فعلته فرنسا في تونس حيث وقعتا معا معاهدة حماية في ١٨٨١/٥/١٢م ، ثم جددت في ١٨٨٣/٦/٨م ، وبموجب بنود هذه الحماية فقدت تونس سيادتها الخارجية وحقها في التمثيل الدبلوماسي المستقل ، كما سلبت حق إبرام المعاهدات الخارجية ، وعينت فرنسا آلاف الموظفين يرعون مصالحها يرأسهم المقيم العام .

وما حصل في تونس كررته فرنسا في مراكش بموجب معاهدة ١٩١٢/٣/٣٠م وفعله الإنجليز في مصر خلال احتلالهم لها بين عام ١٩١٤ – ١٩٢٢م . [3]

وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر شكل جديد من أشكال الاستعمار أقرته عصبة الأمم المتحدة التي تكونت حينذاك كمنظمة أممية لنشر السلام ومنع الحروب ، فقد كرست عصبة الأمم نوعاً جديداً من الاستعمار وهو الانتداب حيث ورد إجازته في المادة ٢٢ لميثاق عصبة الأمم التي اعتبرته طريقة للنهوض بالشعوب القاصرة والأخذ بيد هذه الأمم لتكون قادرة على تسيير أمورها ، لكنه في الحقيقة كان مظهراً للاستعمار ووسيلة لامتصاص خيرات الشعوب .[4]

وفيما عدا هذين الوجهين أسفر الاستعمار عن وجهه الكالح ، فأعلن عن ضمه لبعض الدول إلى مستعمراته كما فعلت فرنسا بالجزائر .

---

(١) سورة هود ، آية : ٦١ .

(٢) انظر : المعجم الوسيط ، ٦٢٧/٢ ، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ٥١ ، محاضرات في الاستعمار ، مصطفى الشهابي ، ص ٢٣ .

(٣) انظر : محاضرات في الاستعمار ، مصطفى الشهابي ، ص ١٥ – ٢٠ .

(٤) انظر : محاضرات في الاستعمار ، مصطفى الشهابي ، ص ٢٠ – ٢١ .

وقد بدأ الأستعمار الغربي للعالم مع بداية عصور النهضة في أوربا حيث استفاقت أوربا على طبول الإصلاح الديني والسياسي في القرن الخامس و السادس عشر .

ومنذ أفاقت أوربا بدأت تحركها للإطباق على العالم الإسلامي ، فانتشرت المراكب الاستكشافية تجوب البحار بحثاً عن تحقيق أهداف الاستعمار المختلفة الدينية والسياسية والاقتصادية .

وفي عام ١٤٩٩م توصل فاسكودي جاما إلى طريق رأس الرجاء الصالح ، فوصل البرتغاليون إلى الشواطئ الهندية بعيداً عن المرور في الأراضي الواقعة في سلطة الخلافة العثمانية .

وشرع البرتغاليون يؤسسون مستعمرات ومراكز تجارية في أماكن مختلفة من السواحل التي وصلوا إليها ، و لم يكد النصف الأول من القرن السادس عشر ينقضي حتى كان البرتغاليون قد أحكموا السيطرة على شواطئ شرق أفريقيا وغربها إضافة إلى شواطئ الخليج وفارس والهند . [(١)]

وفي عام ١٦٠٠م أنشئت بريطانيا أول جهاز استعماري لها تحت مسمى شركة الهند الشرقية البريطانية ، ومثله صنعت فرنسا عام ١٦٦٤م فأنشئت ما أسمته بشركة الهند الشرقية الفرنسية ، وبدأ الصراع والتنافس بين الدولتين ، وانتهى بانتصار الإنجليز عام ١٧٧٥م (١١٧١هـ) وخروج فرنسا من الهند والصين .

وفي عام ١٧٩٨ (١٢١٣هـ) وصل نابليون يقود الحملة الفرنسية على مصر ثم حاول السيطرة على بلاد الشام ، فغادر وهو يحمل أدراج الخيبة لكثر من قتل من جنوده هناك ، ثم ما لبث أن عاد إلى فرنسا ولحقته جيوشه عام ١٨٠١م .

وفي عام ١٨٢٧م أعلن الملك شارل العاشر اعتزام فرنسا إنشاء مستعمرة ذات شأن في شمال أفريقيا ، وزحفت الجيوش الفرنسية لاحتلال الجزائر عام ١٨٣٠م ، واستتب الوضع لهم عام ١٨٥٧م وهو نفس العام الذي قضت فيه بريطانيا على الإمارة الإسلامية المنغولية في الهند، وقد ألحقت فرنسا الجزائر بها عام ١٨٨١ م ، وهي نفس السنة التي أعلنت فرنسا وضعها تونس تحت الحماية الفرنسية بموجب ميثاق باردو، ثم السنغال ومدغشقر عام ١٨٨٢م ، في عام ١٨٨٧م (١٢٩٥هـ) وقع مؤتمر برلين لاقتسام مواقع النفوذ في الوطن العربي . وتوالى بعد ذلك سقوط البلاد العربية والاسلامية في قبضة الاستعمار .

فسيطر الفرنسيون على المغرب سنة ١٩١٢م ، وعلى سورية سنة ١٩٢٠م .

وأما الإيطاليون فاحتلوا الصومال وأريتريا عام ١٨٨٧م ، وزحفت إيطاليا لاحتلال الساحل الليبي عام ١٩١٤م ، وأكملت الاحتلال عام ١٩١٤م .

فيما احتلت انجلترا مصر ووضعتها تحت الحماية عام ١٨٨٢م ، وكانت قد احتلت بلاد البنغال عام ١٧٥٧م ، والبنجاب عام ١٨٤٩م ، ثم احتلت نيجيريا عام ١٨٥١م . وفي عام ١٨٩٨م احتلت بريطانيا

---

(١) انظر : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ١٦٥ - ١٦٧ ،الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ، محمد البهي ،ط٤ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ،١٣٨٤هـ،٢٩ - ٣٠ .

السودان ثم العراق ١٩١٩م ، ثم الأردن عام ١٩٢٠م .

وفي المشـــرق الإســـلامي انقـــض الروس الأرثوذوكس على بلاد المسلمين فأخذوا ما يحاذيهم منها ، وضموه إلى بلادهم ، ففي ١٦٧٠م دخل الروس بلاد الأورال ، وأحكموا السيطرة على مسلميها ، وفي عام ١٨٥٩م ضـــمت روســـيا طشـــقند ، ثم القوقاز عام ١٨٦٤م ، ثم بخارى عام ١٨٨٢م ، فيما دخلت بلاد التركستان تحت سيطرة الروس عام ١٨٨٤م . [1]

وقد استمرت السيطرة الروسية على بعض هذه البلاد إلى يومنا هذا فيما نجت بلاد أخرى ، وشكلت حكومات مستقلة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠م .

فـــيما تحـــررت البلاد الإسلامية جملة من الاستعمار الفرنسي والإنجليزي والإيطالي (العسكري) في أواسط القرن العشرين .

دوافع الاستعمار الأوربي

نســـتطيع القول بأن ميل البشر إلى الصراع والطموح إلى الأفضل جِبلّة بشرية جاءت النبوات لتهذيبها وجعلها عبادة يراد منها إقامة دين الله وإزالة الطغيان .

وعليه فالسيطرة من القوي على الضعيف ليس بجديد ، و لم يكن الأوربيون أول من مارسه ، وإن كان للـــتوقيت والمكان الذي انطلقوا إليه مرامي ينبغي أن لاتغيب عن أذهاننا كما لاينبغي أن يفوتنا بعض أسباب القسوة والهمجية التي تميز بها الاستعمار الأوربي .

فقســـوة الأوربي في المســـتعمرات التي بسط سلطانه عليها – كما يرى الغزالي – منسجم مع قسوة الغربيين وجلافتهم وقرب عهدهم بالهمجية والتخلف .

وتـــزيد هـــذه الوحشية ضراوة عند النصارى عن غيرهم بسبب ما تحدثه عقيدة الفداء من آثار سلبية إذ هـــي تمـــنح النصـــراني اعتقاداً بنجاته على الرغم مما يحدثه من ذنوب وفظائع ، إذ يكفيه الإيمان بالمسيح ليـــنجوا ، أو يكفيـــه أن يحصل على صك غفران من أحد آباء الكنيسة ليدخل في ملكوت الله ، وعليه فهو لايبالي بالوحشية والقسوة التي يتعامل بها مع الشعوب المستضعفة .

وينبه الغزالي إلى أن ثمة أمراً مهماً يحتم على النصارى الاتجاه إلى الاستعمار وهو فقد النصرانية لوسائل الإقناع وعجز رجال الكنيسة عن شرح العقائد النصرانية في ضوء المعطيات العقلية .

---

(١) انظـــر : التبشـــير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٤٨ ، رسالة الطريق إلى ثقافتنا ، محمـــود شـــاكر ، دار المدني ، جدة ، مكتبة الخانجي ،مصر ،١٤٠٧هـــ ،ص ٩٣ – ٩٤ ، ١٠٥ – ١٠٨ ، ملامح عن النشـــاط التنصيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ١٦٠ – ١٦١ ، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبـــنكة الميداني ، ص ١٧٠ – ١٧٢ ، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والإجتماعي والثقافي ، أنور الجندي ط١ ، دار المعرفة ، ١٩٧٠م ، ٤١٦ – ٤١٧ .

فـإذا أراد النصـارى بعد ذلك نشر النصرانية لم يجدوا سوى السيف بديلاً يستجيب الناس من خلاله لمنطق القوة الغالبة ، فكان الاستعمار حلاً ناجعاً لقصور العقائد والعبادات النصرانية .[1]

وبدراسة الحملة الفرنسية وتحليل تاريخها يتوصل محمود شاكر إلى أمر هام مفاده أن الاستعمار يتحرك باتجـاه البلاد الإسلامية ليس طمعاً في ثرواتها فحسب ، وليس بهدف تبشيرها فقط ، بل إنه يقرأ مسيرة الأمة الإسلامية من خلال الدراسات الاستشراقية الغربية ، فإذا ما وجد محاولة جادة للنهوض بهذه الأمة من كبوتها تحرك لوأد هذا المولود قبل أن يكبر ويعيد ما كان قبل قرون .

وحملة نابليون على مصر أحد الأحداث الهامة التي يرى بعض المستغربين من أبناء المسلمين أنها كانت انطلاقـة نحـو النهضة ، ولذا رأينا قبل شهور احتفالات هؤلاء بذكرى مرور مائتي سنة على دخول نابليون مصر.

وفي بيـان حقيقـة ما صنعه نابليون – وهو نموذج استعماري تكرر بشكل أو بآخر – يذكر محمود شـاكر أن نهضة مصر إسلامية بدأت تعم عدداً من الأقطار الإسلامية وذلك في مطلع القرن الحادي عشر ، ومـن رواد هـذه النهضة عبد القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) صاحب " خزانة الأدب " وحسن الجبرتي (الجـبرتي الكبير) (ت ١١٨٨هـ) وكلاهما كان في مصر ، ومحمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ) في الجزيرة العربية ، والمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) صاحب " تاج العروس " في الهند ومصر ، ومحمد على الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) في اليمن .

فقد كان كل واحد من هؤلاء في موطنه معلماً من معالم النهضة الجديدة ، فالجبرتي يقول ابنه الجبرتي (الصغير) في تاريخه وحضر إليه طلاب من الإفرنج ، وقرأوا عليه علم الهندسة .... وأهدوا إليه من صنائعهم وآلاتهم أشياء نفيسة ، وذهبوا إلى بلادهم ، ونشروا بها ذلك العلم من ذلك الوقت .... "

وهـذه النهضـة وإن كـانت متباعدة الديار فإنها كما يصف محمود شاكر " قريبة التواصل وشيكة الالتئام".

وأرسـلت نذر الاستشراق في بلاد المسلمين إلى أوربا مطالبة إياها بالتحرك قبل فوات الوقت ، وكان مـن هذه الدعوات دعوة الكونت سان بريست سفير فرنسا في الأستانة ١٧٦٨ – ١٧٧٨م ، والبارون دي تـوت الـذي عاد من تركيا سنة ١٧٧٦م ناصحاً باحتلال مصر ، ومنهم التاجر مجالون الذي أقام في مصر ثلاثـين سنة ، ثم عاد إلى فرنسا عام ١٧٩٧م ، ثم سرعان ما عاد في ركاب حملة نابليون بعد أن قدم تقريراً ينصح فيه بغزو مصر ، لكن هذه الدعوى المتكررة والملحة التي صدرت عن القناصل والتجار المبشرين لم تجد – في بادئ الأمر – صدىً عند ساسة أوربا ، وحين قامت الثورة الفرنسية أصاخ نابليون إلى نذر الاستشراق الذيـن دعـوه للقدوم إلى مصر بحجة قمع المماليك الذين أشاعوا مظالم استوجبت غضب العلماء والعامة ، وكان بعض علماء الأزهر قد أطفئوا فتنة على المماليك أثارها العامة ، فاستتابهم بعض علماء الأزهر من ذلك ، لكنهم سرعان ما عادوا إلى ظلمهم وفسادهم . فحضر ومعه المستشرق الذي قضي في بلاد المسلمين أربعين

---

(١) انظر : الاستعمار. أحقاد وأطماع ، محمد الغزالي ، ص ٣٦ .

ســنة (كليبر) إلى مصر عام ١٧٩٨م فعاث في مصر الفساد ، وتصدى له العلماء وتلاميذهم فأحدث فيهم القــتل ، وحكى الجبرتي في تاريخه أنه في كل يوم كان يقتل خمسة أو ستة من الثائرين على فرنسا ، ويطاف برؤســـهم في شــوارع القاهرة . وهؤلاء كما يؤكد محمود شاكر هم ورثة حركة النهضة من تلاميذ الجبرتي والزبيدي .

وقــد أصــاخ الفرنسيون مرة أخرى إلى جيش الاستشراق الذي رافقهم ، فادعى قائد الحملة – بعد رحيــل نابليون ومقتل كليبر – القائد مينو الإسلام في عام ١٨٠٠م (١٢١٥هـــ) وتزوج ابنة أحد أعيان رشيد .

وسرعان ما اضطرت فرنسا تحت الضغط الشعبي للثورة العارمة التي يقودها علماء الأزهر ، أن يخرجوا في عام ١٨٠١م وهم يحملون أنفس كتب المسلمين ، يقول الجبرتي بعد أن عدد أسماء لكتب تاريخ كانت في القاهــرة : " هذه أسماء من غير مسميات ، فإنا لم نر من ذلك كله إلا بعض أجزاء مدشتة بقيت في خزائن الأوقــاف بــالمدارس مــع تداولــته أيدي الصحافين ، وباعها القومة والمباشرون ، ونقلت إلى بلاد المغرب والسودان، ثم ذهبت بقايا البقايا في الفتن والحروب ، وأخذ الفرنسيون ما وجدوه إلى بلادهم .

وأســلم العــلماء المنتصرون قيادة مصر إلى ضابط تركي هو محمد علي ششمة ، فغدر بالعلماء ونفى بعضــهم وتقرب إليه قناصل الاستعمار ، وأصبحوا بطانته وخاصته ، فأكملوا بسيفه وخيانته ما عجزت عنه حمــلة فرنســا ، فأغــروه بالبعثات العلمية إلى فرنسا ، فكان رفاعة الطهطاوي أحد أفراد أول بعثه مصرية استقبلها المستشرق جومار في فرنسا عام ١٨٢٦م ، وصاغها هو وأعوانه من المستشرقين وفق خطتهم لتدمير النهضة الإسلامية .

ثم طلــبوا إلى محمــد عــلي أن يسير بجيوشه للفتك بدعوة محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية ، فسارت جيوشه تحارب الدعوة الإصلاحية لمدة ثمانية أعوام (١٢٢٦ – ١٢٣٥هـــ) (١٨١١ – ١٨١٩م) وفي ذلك كله ما شغل النهضة الإسلامية عن التكامل والتواصل ، وشغلها أيضاً عن مواصلة حركتها العلمية بحمل السلاح والدفاع عن الحرمات والأوطان ، وهكذا اتسع الفارق بين الغرب والمسلمين من جديد .[١]

فمن هذه الدراسة الواعية لمحمود شاكر نرى بوضوح تجربة من تجارب الاستعمار ، وأنموذجاً من الكيد الاستعماري الذي استمر طوال قرنين من الزمان .

---

(١) انظر : تاريخ عجائب الآثار ، الجبرتي ١/١١ ، ٢/١٩٦ – ٢١٢ ، رسالة الطريق إلى ثقافتنا ، محمود شاكر ، ص ٩٢ – ١٤٥ .

أعمال الاستعمار

وخلال تاريخ الحركة الاستعمارية الغربية للعالم الإسلامي وبقية المستعمرات أظهر المستعمر الغربي صوراً قاتمة كالحة ملؤها الظلم والقهر والاستغلال .

فعلى الصعيد الإنساني ارتكب المستعمرون مجازر بحق الشعوب التي قامت تدافع عن دينها وخيراتها ، فقد بلغت أعداد قتلى المسلمين في الهند حتى عام ١٨٨٠م مليون مسلم سقطوا على يد الإنجليز ، ومثله كانت الجزائر بلد المليون شهيد . وكان البرتغاليون قد أحدثوا مجازر عند سيطرتهم على الشواطئ الهندية ، ويسجل القائد البرتغالي البوكيرك بفخر بعضاً منه وهو يخاطب ملك البرتغال مهنئاً إياه بالسيطرة على مقاطعة جوا الهندية فيقول : " وبعد ذلك أحرقت المدينة ، وأعملت السيف في كل الرقاب ، وأخذت دماء الناس تراق أياماً عدة .... وحيثما وجدنا المسلمين لم نوقر معهم نفساً ، فكنا نملأ بهم مساجدهم ، ونشعل فيها النار ، حتى أحصينا ستة آلاف روح هلكت ، وقد كان ذلك يا سيدي عملاً عظيماً رائعاً أجدنا بدايته وأحسنا نهايته " .

وفي مدغشقر قتلت القوات الفرنسية ثمانين ألف في ضربة واحدة للثائرين من سكان الجزيرة ، فيما أعمل الإنجليز القتل في قبائل ماو ماو الأفريقية ، ثم ادعوا أن وحوشاً مفترسة ظهرت في المنطقة وتخطفت الآلاف إلى مصارعهم .

وفي الجزائر يقول الجنرال الفرنسي شان : " إن رجاله وجدوا التسلية في جز رقاب المواطنين من رجال القبائل الثائرة في بلدتي الحواش وبورقيبه " .

ويخط الماريشال سانت أرنو إلى زوجته بعض ما صنعه وجنوده في الجزائر فيقول : " إن بلاد بني منصر بديعة ، وهي من أجمل ما رأيت في أفريقيا ، فقُراها متقاربة ، وأهلها متحابون ، لقد أحرقنا فيها كل شيء ، ودمرنا كل شيء ... أكتب إليك يحيط بي أفق من النيران والدخان ، لقد تركتني عند قبيلة البزار فأحرقتهم جميعاً ، ونشرت حولهم الخراب ، وأنا الآن عند السنجاد أعيد فيهم الشيء نفسه ولكن على نطاق أوسع " .

ويقول مونتياك في كتابه " رسائل جندي " وهو يصف إحدى المذابح التي حضرها : " لقد كانت مذبحة شنيعة حقاً ، كانت المساكن والخيام في الميادين والشوارع والأفنية التي انتشرت عليها الجثث في كل مكان ، وقد أحصينا في جو هادئ بعد الاستيلاء على المدينة عدد القتلى من النساء والأطفال فألفيناهم ألفين وثلاثمائة ، وأما عدد الجرحى فلا يكاد يذكر لسبب هو أننا لم نترك جرحاهم على قيد الحياة " .

وقد بلغ عدد القتلى في مدينة سطيف في مايو ١٩٤٥م ما يقرب الأربعين ألفاً .

ويشنع الكونت هيريسيون على هذه القبائح التي لا مبرر لها فيقول : " فظائع لا مثيل لها ، أوامر الشنق تصدر من نفوس كالصخر يقوم بتنفيذها جلادون قلوبهم كالحجر ... في أناس مساكين جُلُّ ذنبهم أنهم لايستطيعون إرشادنا إلى ما نطلب إليهم أن يرشدونا إليه " .

وقد تفنن المستعمرون في طرق إبادة هذه الشعوب ، ومما أبدعوه في هذا الباب طريقة يسمونها "جهنم"

حيث يتبع الجنود الهاربين من النساء والأطفال والرجال إلى الكهوف فيشعلون عند باب الكهف ناراً عظيمة ، فيموت من بداخله حرقاً أو خنقاً " . (١)

ومـــن الناحية الدينية فقد عمل الاستعمار والتبشير في بلاد المسلمين جنباً إلى جنب – كما سيتبين لنا تفصيله – وقد بدأ المبشرون بالتحول عن تنصير الفرق النصرانية المخالفة إلى تنصير المسلمين مع خروج الدول الإسلامية عن سيطرة الخلافة العثمانية ووقوعها في براثن الاستعمار .

وقـــد كـــان محاربة الإسلام هدفاً أصيلاً للمستعمر ، ومن صوره ما ذكره الكاتبان الفرنسيان كوليت وفرانســـيس جانسون فقالا : " لعل العبث بالدين الإسلامي كان هو المجال المفضل لدى القائد الفرنسي في (الجزائر) روفيجو ، فقد وقف هذا القائد الفاجر ، ونادى في قومه : إنه يلزمه أجمل مسجد في المدينة ليجعل مـــنه معبداً لإله المسيحيين ، وطلب إلى أعوانه إعداد ذلك في أقصر وقت ممكن " ثم أشار إلى جامع القشاوة فحولوه إلى كنيسة بعد شلالات من الدم ، وسمي " كادرائية الجزائر " . (٢)

ومـــن أعمال المستعمر أيضاً إيجاده للفرق الإسلامية الضالة ورعايته لها ، فالقاديانية والبهائية نشأتا في ظل الاستعمار ولتحقيق أهدافه ، فقد نشأت القاديانية في الهند إبان الاستعمار الإنجليزي ١٩٠١م ، وكان من أهم دعاوى غلام القادياني المتنبئ الكذاب أن زعم بوجوب موالاة الإنجليز وتحريم قتالهم وإبطال الجهاد بعد أن كـــانت حركة ابن عرفان الشهيد قد أقضت مضاجعهم عام ١٨٤٢م ، فكتب غلام قاديان في مقدمة كتابه " تـــرياق القلوب " يقول : " لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرها ، وقد ألفت في مـــنع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضه إلى بعض لملأ خمسين خزانة "

ولمـــا أراد أحمد خان بهادر (من الهند) أن يتقرب إلى المستعمرين الإنجليز كتب في عام ١٨٦٢م كتاباً تحدث فيه عن أصالة الكتب المقدسة عند النصارى وعدم تحريفها ، ثم نادى بالإلحاد ، وكتب تفسيراً للقرآن ملأه بالتحريف والتخريف ، ثم بنى مدرسة سماها مدرسة المحمديين تغريراً بالمسلمين .

وظهـــرت البهائية في حين سيطرة الروس على شمال إيران ، ولما قتل الباب عام ١٢٦٦هـــ ، ظهرت البهائية على يد تلميذ الباب ،وما تزال إلى هذا اليوم برعاية دولة إسرائيل،ولها مركز في مدينة حيفا المحتلة .(٣)

كما قد رعى الاستعمار الأقليات الخارجة عن الإسلام ، فتولى الإنجليز حماية الدروز وتعليمهم ومدهم بالسلاح في سورية ولبنان ، وكان لهم وللفرنسيين الدور الأكبر في إثارة الفتنة التي اجتاحت لبنان بين عامي ١٨٤٠ – ١٨٦٠م ، وقـــد اســـتثمرت دول النصارى هذه الفتنة فتدخلت فرنسا لحماية الموارنة فيما يذكر

---

(١) انظـــر : أجـــنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ١٧٥ ، الاستعمار. أحقاد وأطماع ، محمد الغزالي ، ص ٣٤ ، ٤٦ – ٤٩ ، ٥٦ ، ٣٠٢ .

(٢) انظر : الاستعمار. أحقاد وأطماع ، محمد الغزالي ، ص ٣٧ .

(٣) انظـــر : أجـــنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ٢٧٣ – ٢٨٠ ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ، محمد البهي ٤١ – ٤٢ ، ٤٩ ، ٦٣ – ٦٥ .

المبشر هنري هاريس أنه بسبب هذه الفتنة أمكن جمع الإعانات للتبشير في لبنان ومد يد العون للنصارى فيه .

وعلى هذا المنوال نسج المستعمرون في كل بلد نزلوا فيه ، فاثاروا الفتن الداخلية والدعوات الشعوبية أو القبلية أو المذهبية بغية تمزيق الأمة وإضعاف وحدة الشعوب المغلوبة لتحقيق أكبر المكاسب الممكنة .(١)

وفي سورية سمح الفرنسيون للنصيريين بتأسيس دولة في جبال العلويين ، واستمرت بين عامي ١٩٢٠ – ١٩٣٦م . ولدى خروج المستعمر من بلاد المسلمين سلم مقاليد الأمور إلى أصحاب الولاءات المختلفة ، ففي الهند التي حكمها المسلمون عشرة قرون ، وعملوا سنين طويلة على طرد المستعمر وبذلوا في ذلك الغالي ، ولما تحقق الاستقلال عام ١٩٤٧م أسلم الإنجليز مقاليد السياسة والجيش والتعليم إلى الهندوس ليبدأ هؤلاء في إذلال وتجهيل المسلمين . وفي عام ١٩٤٨ أعطى الإنجليز أرض فلسطين للعصابات اليهودية لتؤسس ما يسمى اليوم بدولة إسرائيل فيما ألحقت جزيرة زنجبار المسلمة بدولة تنزانيا النصرانية .

وقريباً من هذا المكر ضاعت جهود المسلمين في سائر الحركات الجهادية التي قامت في بلاد العرب تحارب المستعمر ، فحين القطاف تسلم الوطنيون والاشتراكيون وغيرهم من المستعمر ثمرات جهاد المسلمين ونتاج بطولاتهم .(٢)

كما قد حرص المستعمرون على إفساد الحياة الدينية والاجتماعية للمسلمين وهو ما عبر عنه نابليون في رسالته إلى نائبه في مصر كليبر حيث يقول :" كنت قد طلبت مراراً جوقة تمثيلية ، وسأهتم اهتماماً خاصاً بإرسالها لك ، لأنها ضرورية للجيش ، وللبدء في تغيير تقاليد البلاد " ، كما طلب إليه في نفس الرسالة أن يجمع ٥٠٠ أو ٦٠٠ شخص من المماليك أو العمد أو المشايخ وأن يرسلهم إلى فرنسا " يحجزون لمدة سنة أو سنتين يشاهدون في أثنائها عظمة الأمة الفرنسية ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا ، ولما يعودون إلى مصر يكون لنا فيهم حزب يضم إليه غيرهم " .(٣)

ولما دخل الفرنسيون لبنان فتحوا خمسين حانة لشرب الخمر وعدداً كبيراً من بيوت الدعارة ، ففشى السكر والدعارة إلى حد لم يكن معهوداً من قبل .(٤)

كما عمل المستعمرون في البلاد التي احتلوها على القضاء على اللغات الوطنية ، وخصوا العربية بمزيد من حربهم ، فقد فرضت فرنسا اللغة الفرنسية في مستعمراتها خاصة الجزائر ، فيما شجعت إنجلترا اللغة الإنجليزية في جنوب السودان على حساب العربية .

---

(١) انظر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٤٠ – ١٤٣ ، التبشير والاستشراق ، محمد عزت الطهطاوي ، ط١ ، الزهراء للإعلام العربي ، ١٤١١هـ ،ص ٨٦ ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٧٤ – ١٧٧ .

(٢) انظر : أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ١٧٥ – ١٧٩ ، الاستعمار. أحقاد وأطماع ، محمد الغزالي ، ص ٢٩٦ – ٢٩٧ .

(٣) انظر : رسالة الطريق إلى ثقافتنا ، محمود شاكر ، ص ١٠٩ .

(٤) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٩٩ .

وأمـا الـناحية الاقتصـادية فقد انطلقت الدولة الاستعمارية في نهب واستغلال خيرات وأبناء البلاد المستعمر ، ففرضت على السكان الضرائب الباهظة ، وسلبتهم أراضيهم ومحاصيلهم الزراعية بثمن بخس وفي أحيان كثيرة بلا ثمن ، ففي الجزائر مثلاً أظهرت إحصائية ١٩٥٠م أن الأغلبية الساحقة من الفلاحين المسلمين لا يمـلكون أرضاً كافية لتأمين قوتهم بسبب ما صودر من تلك الأراضي . وفي السنغال استولت الشركات الاسـتعمارية على مليوني هكتار من الغابات ، ومثله الكثير ..... فيما سيطر المستعمرون على مليوني هكتار من الغابات في أفريقيا السوداء . [١]

وفي مصـر فـرض نابـليون وجـلادوه الضرائب في مصر ، وينقل الجبرتي في تاريخه صوراً لما صنعه الفرنسيون فيقول : " دخل الافرنج (الفرنسيون) المدينة كالسيل ، ومروا في الأزقة والشوارع لايجدون لهم ممانع ، كأنهم الشياطين أو جند إبليس ، وهدموا ما وجدوه من المتاريس ... ثم دخلوا إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول ، وبينهم المشاة كالوعول ، وتفوقوا (أي قاءوا) بصحنه ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته، وعـاثوا بالأروقـة والحارات ، وكسروا القناديل والسهّارات ، وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ، ونهـبوا مـا وجدوه من المتاع والأواني والقصاع والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات ، ودشتوا الكتب والمصاحف ، وعلى الأرض طرحوها ، وبأرجلهم ونعالهم داسوها .

وأحدثوا فيه وتغوطوا ، وبالوا وتمخطوا ، وشربوا الشراب وكسروا أوانيه " . [٢]

وفـرض نابليون الضرائب على المصريين فكان لكل شيء ضريبة ، فعلى المولود ضريبة ، وعلى الميت ضريبة ، وكل ما كان بينهما من معاملات رسمية عليها ضرائب .

كمـا تحدث الجبرتي عن سرقة أموال المماليك ونهب قصورهم وبيع الأمان لمن بقى من نسائهم بأعلى الأثمـان ، وكـان مـنهن من اشترت الأمان مرات ومرات ، ولما كثر سطو الفرنسيين على المتاع والدواب اشـترى بعضـهم الأمان لدوابهم وثيرانهم ، وقد طلب نابليون من أعضاء الديوان الذي شكله من المصريين لـيحكم من ورائه طلب منهم أن يجمعوا له سلفة من التجار تبلغ ٥٠٠ ألف ريال ، دفعها التجار بالقوة ، ثم مـا لـبث بعد يومين فقط أن طلب مبالغ أخرى يعجز عنها هؤلاء المساكين ففعلوا الأفاعيل وسرقوا ما في الدكاكين والبيوت........[٣]

وفي جنوب أفريقيا سيطر الاستعمار ففرض القوانين الجائرة والضرائب ، ومنح البيض في عام ١٩١٣م ٨٨% مـن أراضي جنوب أفريقيا وفرض على السود دون البيض مصروفات الدراسة ، وأمر بأن يدفع كل أسود بين سنة ١٢ – ٦٥ سنة ضريبة عن نفسه وأخرى عن كوخه .

وقـد أضـر المستعمرون بمصالح المزارعين حين أمروهم بزراعة بعض المحاصيل دون بعض ، ثم شروها

(١) انظـر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ترجمة :محمد عيتاني ،مكتبة المعارف ، بيروت ، ص ٢٧ ، ٨٩ – ٩٠ .

(٢) انظر : تاريخ عجائب الآثار ، الجبرتي ٢/٢٢٠ – ٢٢١ ، رسالة الطريق إلى ثقافتنا ، محمود شاكر ، ص ٩١ .

(٣) انظر :تاريخ عجائب الآثار ، الجبرتي ، ٢/١٩٦ – ١٩٧ .

منهم بأبخس الأثمان .

ففـــي عـــام ١٩٥١م باع فلاحو الجزائر قنطار الزيتون بـــ ٢٠٠٠ فرنك في حين كانوا يبيعونه قبل دخول فرنسا بـــ ٥٠٠٠ فرنك فرنسي .

وأجـــبر الفرنســـيون الســـكان في أفريقيا الاستوائية على زراعة القطن عام ١٩٥٥م ، ثم باعوه لأربع شـــركات اســـتعمارية بما ثمنه ٧٢ -٦٠ فرنكاً للكيلو ، فيما باعه المستعمرون بسعر ٢٤٥-٢٨٥ فرنكاً في مرفأ التصدير .

وقـــد كـــان كيلو القطن المستورد في فرنسا يماثل - في مراكش - أربعة مرات كيلو القطن المصدر ، وذلك في عام ١٩٣٨م ، ثم ارتفع إلى ست مرات في عام ١٩٤٩م ومثله يقال في القطن التونسي .

وفي نـــيجيريا يباع الخشب أكثر من سعره بـــ ٣٠ - ٤٠ % ، وباعت بلجيكا كيلو زيت النخل في مستعمراتها بـــ ١١٠ فرنكاً بدلاً من ٧٥ فرنكا .(١)

وتعـــترف إحـــدى مجلات الاستعمار بهذا الاستغلال فتقول : " المستهلكون في البلاد المستعمرة كانوا يتـــلقون عام ١٩٥٣م ما يبلغ ٨٠% من مستورداتهم بأسعار أكثر أرتفاعاً بـــ ٢٠ - ٥٠ % ، وأحياناً أكثر أيضاً من الأسعار التي كانوا يحصلون عليها لو أتيح لهم أن يستوردوا بضائعهم من بلد آخر غير فرنسا .(٢)

وفي مظهـــر آخـــر للاســـتعمار وظف المستعمر أبناء جلدته في مؤسسات الدول المستعمَرَة ، وأبعد الوطـــنيين، ومـــن ذلـــك أن فرنسا وظفت في الجزائر في الدوائر العقارية ٢٠٠ موظف منهم ثمانية فقط من الجزائـــريين ، فيما لم يبلغ عدد المغاربة في وزارة الشئون الإجتماعية في المغرب سوى أربعة من الحُجَّاب فيما قارب الفرنسيون المائتين والخمسين .(٣)

وأجبر الوطنيون تحت مظلة المستعمر على العمل بأبخس الأجور ، ففي حين كانت الأسعار في الجزائر مقاربة للأسعار في فرنسا كان العامل الجزائري يحصل على ٤٠ - ٧٠ فرنكاً لقاء عمله اليومي ، في حين أن العـــامل الفرنسي يحصل على أكثر من ضعف المبلغ في فرنسا ، وقد كان سعر كيلو الخبز يومذاك في الجزائر ٤٨ فرنكاً وكيلو السكر ٩٤ ، واللبن ٢٥ فرنكاً فيما كان اللحم الردئ يباع الكيلو منه بـــ ٤٠٠ - ٥٠٠ فرنك فرنسي .

وكتب النائب الأسقفي في داكار عاصمة السنغال يشكو الظلم الذي يقع على العمال الذين يسميهم بالمؤقـــتين والذين يحصلون على أجر شهري يتراوح بين ٨٠٠ - ١٢٠٠ فرنكاً في حين أن أحقر كوخ كان يؤجر بـــ ٣٥٠٠ فرنك شهرياً إضافة إلى ما يدفعه من ضرائب تصل إلى ١٨٠٠ فرنك سنوياً .(٤)

---

(١) انظر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ٣٤ ، ١٣٥ - ١٣٨ .

(٢) انظر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ١٧ - ١٩ .

(٣) انظر : التبشير والاستشراق ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٩٠ .

(٤) انظر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ٣٩ - ٤٥ .

وقد كان العمال في صفاقص من عمال شركة الفوسفات الفرنسية يسكنون بمعدل ١٠ عمال في كل كوخ ، فيما تحدثت الصحف الفرنسية عن مدينة التنك (مراكش) حيث يسكن ٢٠٠٠٠٠ من العمال وعوائلهم في بيوت أو أكواخ من التنك أو الخشب الذي يلتقطونه من مخلفات الشحن ، وقد تحدثت إحدى الصحف الفرنسية عن القسوة البالغة التي يعيشها العمال المغاربة وعائلاتهم في هذه البيوت من غير توفر أي إجراءات تضمن صحتهم وسلامتهم .[١]

ونتيجة لضعف رواتب العمال في مراكش وانتشار الفقر بأبشع صوره كتب أحد أطباء وادي الداد في جنوب مراكش : " إن الأطفال في هذه البلاد يأكلون التراب . لماذا ؟ أذلك من الفقر أو الجوع أم أنها عادة مجهولة المنشأ ؟ لا أستطيع أن أقول شيئاً ، ولكن هذا الواقع ماثل هنا . إن الأطفال يأكلون التراب ويصابون بالأمراض الخطيرة : فقر الدم وتضخم الطحال .... " .[٢]

وقد اقتصر غذاء الأسرة المراكشية في الغالب على عدة أقراص من الشوفان ، فيما ذكرت إحصائيات فرنسية في عام ١٩٤٥م أنه " من أصل المليون والثلاثمائة عائلة جزائرية تعيش من الزراعة وتربية المواشي ثمة ٨٠٠ ألف إلى مليون يجب أن تعتبر عائلات محتاجة ومعوزة " .[٣]

وأما المشاريع التي أقامها الاستعمار في البلاد المستعمرة فإنما أقامها لحماية مصالحه " فالجهود المبذولة لكي ـربة المراكز الثانوية والريفية يجب أن يكون مفهوماً أن التجهيزات المنتظرة إنما يجب أن تقتصر فقط على المشروعات ذات الدخل المضمون .

أما برنامج النقليات فعليه أن يقتصر في الدرجة الأولى على إنشاء وسائل النقل وطرق المواصلات المرتبطة مباشرة بأهداف الانتاج المعينة في المشروع والتي تؤلف على كل حال أحد العوامل الجوهرية لنجاحه "[٤]

ورغم الاستغلال الواسع للموارد الطبيعية والقوى البشرية فإن المستعمر لم يقدم أبسط الخدمات الإنسانية وهي الصحة والتعليم ففي الجزائر التي اعتبرتها فرنسا جزءً منها لم يستطع سوى ١٢% من أطفال الجزائر ممارسة عملية التعلم ، وانخفضت النسبة في مراكش إلى ١٠% ، وفي أفريقيا الغربية إلى ٧,٦ % ، وفي تشاد إلى ٤,٧% ، فيما ارتفعت في أفريقيا السوداء إلى ١٨% من أطفال تلك البلاد .

ويخلص هنري كلود إلى أن نسبة التعليم في المستعمرات الفرنسية جملة لا يتجاوز ٩ % من أطفال المستعمرات الفرنسية .[٥]

وأما الخدمات الصحية فجرى تأمينها في المناطق التي ينتشر فيها الفرنسيون فيما كان لكل ١٠٠٠٠

---

(١) انظر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ٢٤ .

(٢) انظر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ٥١ .

(٣) انظر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ٤١ ، ٤٩ .

(٤) انظر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ٧ – ٨ .

(٥) انظر : الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ٢٠ – ٢١ .

جزائـــري طـــبيب واحـــد ، وتصل هذه النسبة في الأقاليم الجنوبية للجزائر إلى ١/٣٠٠٠٠ ، وفي مراكش ١/٤٥٠٠٠ فيما لكل ٥٠٠٠٠ شخص في غينيا طبيب واحد .

ونتـــيجة لذلـــك ارتفعت نسبة الوفيات بين الأطفال في المستعمرات عنها في البلاد المستعمِرة أو بين المستعمِرين ، ففي حين يموت من أطفال الأوربيين في الجزائر ما نسبته ٥,٤ % يموت من أطفال الجزائر ١٨ % ، وفي تونس يموت للأوربيين من أطفالهم ما نسبته ٥,٩% فيما يموت للتونسيين ما نسبته ١٩,٣% فيما تصـــل النســـبة في بعض مناطق أفريقيا الريفية إلى ٦٠% ، وكتب الدكتور بريسو مقرر ميزانية الصحة عام ١٩٥٤م في الجزائـــر أن من بين ١٢٠ مريضاً يراجعون عيادة السل في مستشفى مدينة الجزائر لا يلقى العناية منهم سوى ٣٠ . أما الباقون فأسلموا إلى الموت . [1]

وننـــبه أخيراً إلى أن كل ما سمعناه عن الاستعمار الفرنسي مما سطره لنا هنري كلود ورفاقه ينطبق تماماً على الاستعمار البريطاني والإيطالي والبرتغالي وسوى ذلك من جنسيات الاستعمار الأخرى .

---

(١) [illegible] الفرنسي في المغرب العربي ، هنري كلود ، وآخرين ، ص ٢٢ – ٢٣ .

المبحث الثالث : العلاقة بين التبشير والاستعمار

ويطـــرح السؤال نفسه هل ثمة علاقة بين العلاقة الاستعمارية والحركة التبشيرية ؟ وهل من الممكن أن يلتقي الجنود القساة الذين يقتلون الأبرياء ويسرقون قوت الشعوب هل من الممكن أن يلتقي هؤلاء مع الذين أمروا بمحبة أعدائهم ومباركة لاعنيهم (انظر متى ٥/٤٤)

و ما الذي يجمع المبشر وهو يحمل رسالة دينية مع المستعمر الذي يحمل رسالة دنيوية ؟ وهل اللقاء بين الجانـــبين مجـــرد لقاء عابر فرضته ظروف وحدة المنشأ بين التبشير والاستعمار (أوربا) أمر أن هناك علاقة حقيقية تجمع هاتين الحركتين ؟

وفي الإجابة عن هذا كله نقول بأن التبشير والاستعمار وجهان لعملة واحدة ، فالمبشرون هم الواجهة الدينية للمستعمر ، والاستعمار هو الحقيقة الاقتصادية والسياسية للمبشرين .

وهـــذا الأمر يتضح عند دراسة العلاقة الحميمة بين الحركتين اللتين تزامنتا طوال التاريخ المسيحي ، بل إن الحروب الصليبية التي شنت على العالم الإسلامي طوال قرون طويلة هي حلقة من سلسلة الترابط والوحدة بـــين التبشير والاستعمار ، فلقد قام ملوك أوربا بتلك الحروب بمباركة الكنيسة ، ولبى الأوربيون نداء الملوك لهذه الحروب طمعاً في الملكوت الذي وعدهم به بابوات الكنيسة .

وقد بدأت خطوات الاستعمار تدب من جديد مع بداية حركة الكشوف الجغرافية التي قادها الأسبان والبرتغال ، وانطلقت سفنهم تمخر البحار وهي ترسم على أشرعتها شعار الصليب .

وقـــد أصـــدر البابا نيقولا الخامس مرسوماً في عام ١٤٥٤م يعطي البرتغاليين حقاً في أراضي حقاً في أراضـــي الكفرة على الساحل الغربي لإفريقيا ، وأكد ذلك البابا كالكستس الثالث عام ١٤٥٦م ، ثم أصدر الـــبابا اســـكندر الثالـــث في عام ١٤٩٣م مرسوماً يمنح التاج الأسباني الحق المطلق في المتاجرة مع البلاد التي اكتشفت ، ووضع قيداً ، وهو أن تجلب تلك الشعوب إلى المسيحية . [1]

ومن جانب آخر فإن الحركة التبشيرية وليدة أطماع استعمارية ، وقد وضع أسسها الملك لويس التاسع حينما كان في سجن المنصورة فكتب داعياً إلى " تحويل الحملات العسكرية الصليبية إلى حملات صليبية سلمية تســـتهدف الغـــرض نفسه ، لا فرق بين النوعين إلا من حيث نوع السلاح المستخدم في المعركة .... تجنيد المبشـــرين الغربـــيين في هذه المعركة السلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره ، ثم القضاء عليه معنوياً ، واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنوداً للغرب .

وقد أجاب المبشرون إلى هذه الحرب الصليبية الجديدة فيقول القس مييز : " إن الحرب الصليبية الهادئة التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر لا تزال مستمرة إلى أيامنا هذه " .

---

(١) انظـــر : أجـــنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، ص ١٧٠ - ١٧٢ ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٢٩ .

ويقـــول اليسوعيون " ألم نكن نحن ورثة الصليبين ... أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشـــيري والـــتحدي المسيحي ... وهكذا تستطيع الكنيسة المسيحية بلا حرب أن تسترد تلك المناطق التي خسرتها منذ أزمان طوال " . [1]

وقد ارتبطت الكثير من الأسماء الاستعمارية المشبوهة بحركة التبشير وحضور لقاءاتها والتصريح بتحقيق أهدافهـــا مـــنهم رئـــيس وزراء بريطانـــيا غلادستون ، والجنوال البريطاني جوردون ، والكتشف البريطاني لفنجستون ، والرئيس الأمريكي روزفلت ، والوزير البريطاني بلفور وغير ذلك من الأسماء .[2]

وفي المقـــابل فإن عدداً من الأسماء الكنسية عملت تحت مظلة الاستعمار ، ودارت في فلكه ، فقد تولى الراهب دولا فورست طلب الامتيازات للفرنسيين من الباب العالي ، وكان أول سفير لفرنسا في الأستانة عام ١٥٨٣م ، كمـــا عـــين الأمريكيون المنصر ناثالنا قنصلاً للولايات الأمريكية بالإنابة في طنجة ، وعين المنصر تاهنســـال قنصلاً للنمسا في الخرطوم سنة ١٢٩٣هـــ ، وكان المنصر لا فيجري الفرنسي رئيساً للبعثة المرافقة للجـــيش الفرنسي المحارب في القرم ، وتولى المنصر جون فان أيس خلال الحرب العالمية الأولى أمر القنصلية الأمريكية في البصرة . [3]

وقـــد أكـــد المســـتعمرون على أهمية عمل المبشرين ، وصرحوا بالمهمات المنوطة بهؤلاء الرهبان فقال نابلـــيون الأول في جلســـة مجلس الدولة عام ١٨٠٤م : " إن في نيتي إنشاء مؤسسة الارساليات الأجنبية ، فهؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عوناً كبيراً لي في آسيا وأفريقيا وأمريكا ، سأرسلهم لجمع المعلومات عن الأقطـــار . إن ملابسهم تحميهم وتخفي أية نوايا اقتصادية أو سياسية " . ولما عقد مؤتمر الكنائس المسيحية في ســـالونيك بالـــيونان (١٩٥٩م) أكـــد المؤتمر على مساهمة الكنائس للجاسوسية لحساب المستعمر ، فطالب "الكنائس في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية أن تراقب خطة التنمية ، فتميز بين ما يتفق وإرادة الله وبين عمل الشـــيطان " وفي مؤتمـــر دلهـــي (١٩٦١م)قـــالوا "الكنيسة يجب أن تكون متأهبة للصراع مع الدولة في أي وطن ،وتحت أي نظام سياسي"[4]

ويـــنقل المبشـــر جاك مندلسون قول ملك فرنسا " الدين ضروري لكل الناس ، لكنه أكثر ضرورة في المســـتعمرات الآهلة بالعبيد التي لايمكن أن تحوي أملاً في حياة أفضل إلا بعد الموت " فالدين يستعمله هؤلاء الساسة في تخدير الشعوب ، وليكون مطية يحكمون من خلالها الخناق على الشعوب .

ويـــنقل القس المبشر مندلسون ثانية شعور المستضعفين الذي سرقت بلادهم وثرواتهم من قبل تحالف

---

(١) انظـــر : حقـــيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٥٤ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٢٧ .

(٢) انظر : حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٣) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٣٣ - ١٣٤ ، ملامح عن النشاط التنصـــيري في الوطن العربي ، إبراهيم عكاشة ،ص ٤٨ - ٤٩ ، المسيحية ،أحمد شلبي ، ط١٠ ،مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٣م ، ص ١٦٠-١٦١ .

(٤) انظر : حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

الاستعمار والتبشير فيقول : " إن المبشرين جاءوا إلينا وقالوا : إننا نريد أن نعلمكم العبادة ، وقلنا : حسناً . إننا نريد أن نتعلم العبادة . وطلب المبشرون منا أن نغلق أعيننا ، وفعلنا ذلك ، وتعلمنا التعبد ، وحينما فتحنا أعيننا وجدنا الإنجيل في يدنا ، ووجدنا أراضينا قد اغتصبت " ثم يواصل مندلسون فيقول " لقد تمت محاولات نشيطة لاستعمال المبشرين ، لا لمصلحة المسيحية ، وإنما لخدمة الاستعمار والعبودية " .ويقول رئيس الأساقفة لونـــز ماركس في عام ١٩٦٠م عن نشاط الإرساليات الذي يديره في موزمبيق : " إن النشاط الإرسالي يمنح البرتغال فخراً في المنظمات العالمية السامية ، ويكون سنداً قوياً للسيادة البرتغالية " .[١]

ومن المهمات التي أداها التبشير للاستعمار تجميل صورته القبيحة التي رسمها بظلمه وجبروته عند الناس يقول رينيه بوتيه في كتابه " الكاردينال لا فيجيري " : " إن العمل الوطني الذي قام به لافيجيري بدأ مع عمله التبشـــيري ، بدأ بنشره على السوريين تلك العطايا التي تمنحها الكنيسة الكاثوليكية ، إنه جعل فرنسا محبوبة (لـــدى الســـوريين) ، وأضاف إلى الحقوق القديمة التي كنا نملكها نحن الفرنسيون على تلك المنطقة حقوقاً جديـــدة .... في الجزائـــر استطاع أن يهب كل ما في استطاعته لإظهار حبه لفرنسا .... أراد لافيجري أن يحبب فرنسا إلى الناس باسم المسيح " .[٢]

ويقـــول القـــس سيمون في مؤتمر لكنو في الهند (١٩١١م) : " إن العامل الذي جمع هذه الشعوب (الإســـلامية) وربطهـــا برابطة الجامعة الإسلامية هو الحقد الذي يضمره سكان البلاد للفاتحين الأوربيين ، ولكـــن المحـــبة التي تبثها إرساليات التبشير النصرانية ستضعف هذه الرابطة ، وتوجد روابط جديدة تحت ظل الفاتح الأجنبي " .[٣]

وقد كان إغراء الساسة ببلاد المسلمين واستعمارها أحد أعمال المبشرين ، يقول المبشر إشعيا بولمان في مجلـــة " العالم الإسلامي " بأن الخوف من الإسلام ينبغي أن لا ينساه الغربيون ، ذلك أن الإسلام كما يقول إشـــعيا بومان يتسع دائماً متسلحاً بالجهاد ، وما من أمة حاولت قهره إلا وخسرت أضعاف ما خسر ، ولذا فهو يقترح اتفاق فرنسا وبريطانيا على سياسة السيطرة على الشواطئ الإسلامية حتى تصل بسهولة الإمدادات العسكرية .

وهذا ما صنعه الإيطاليون حين جاءوا إلى ليبيا ، وغيرهم فعل مثله عند احتلالهم بلاد المسلمين .[٤]

والذي دفع حركة التبشير إلى التفاني في خدمة الاستعمار والتمكين لهم إيمانهم بأن نجاح التنصير متوقف عـــلى نجاح الاستعمار وبقائه ، وهو ما عبر عنه المنصر لورانس براون حين قال " لم يحدث انتقال واسع من الإسلام إلى النصرانية في قطر ما إلا بعد أن يخضع ذلك القطر لحكومة غربية مسيحية " .[٥]

---

(١) انظر : حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ، ١٣٣ - ١٣٤ .

(٢) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٢٦ .

(٣) انظر : الغارة على العالم الإسلامي ، شاتليه ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٤) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٣٠ - ١٣١ ، التبشير والاستشراق ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٨٥ .

(٥) انظر : الإسلام والتحدي التنصيري ، عمر بابكور ، ص ١١٦ .

ولما وقع التنافس بين المستعمرين على اقتسام الكعكة انعكس ذلك على الآباء المبشرين الذين كانوا في الحقيقة جنوداً مدنيين للاستعمار ، فوقع بين المبشرين الفرقة ، ودب بينهم ما بين الساسة من تخالف وتنافس ، كما حصل بين الإرساليات التبشيرية في لبنان والتي كان كل منها يتبع دولة استعمارية معينة ، ولذا أيضاً استأصلت انجلترا وفرنسا جميع المبشرين الألمان من مناطق نفوذهما ، ولم تسمح انجلترا في وقت لاحق لغير مبشريها بالعمل في مناطق نفوذها إلا حين الحصول على إذن مسبق .

يقول المبشر هنري جسب : " إن المبشرين استغلوا جهودهم لخدمة دولهم .[١]

وفي المقابل فإن المستعمرين ردوا الجميل للمبشرين بأن فتحوا لهم البلاد على مصاريعها فيقول بوجو سكرتير الحاكم الفرنسي في الجزائر مخاطباً القس سوشيه الوكيل العام لأسقف الجزائر : " إن آخر أيام الإسلام قد دنت ، وفي خلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إله غير المسيح ، ونحن إذا أمكننا الشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا ، فلا يمكننا أن نشك على أية حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد .

أما العرب فلن يكونوا ملكاً لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعاً " .[٢]

ولم يكتف المستعمرون بالكلام ودغدغة العواطف ، بل شرعوا يصدورن المراسيم والقوانين التي تسهل عمل المبشرين ، ففي عام ١٩٠٠م أمر الاستعمار البريطاني لكينيا أن يكون التعليم في العاصمة ممباسا إجبارياً، وتولت البعثات التبشيرية تعليم الطلاب في ممباسا حيث افتتحوا أربعة مدارس ابتدائية ، ثم أسندت السلطات لهؤلاء المتعلمين في مدارس التبشير وظائف رسمية حكومية بحجة أنهم متعلمون .

وفي عام ١٩٣٠م أقيم مؤتمر كنائس في قرطاجة بمناسبة مرور ١٦٠٠ سنة على موت القديس أوغسطينوس ، وأجبرت تونس على قبول ذلك المؤتمر على أراضيها المستعمرة من قبل فرنسا حينذاك ، دفع التونسيون من خزينتهم على مليوني فرنك فرنسي ، وحين ثار المسلمون على عقد هذا المؤتمر في بلد إسلامي تولت الجيوش الاستعمارية الفتك بالشباب الثائرين ، وزجت بهم في السجون .

وفي عام ١٩٣١م أصدر شوفلر مسئول فرنسا في بلاد العلويين قراراً يسهل الانتقال إلى النصرانية ، فسهل الإجراءات أمام المتنصرين ، وجعل ذلك يتم في جلسة لمحكمة عادية ، وألغى الإجراءات المعقدة التي كانت قائمة حينذاك .[٣]

وفي الجزائر دفع القائد الفرنسي روفيجو بأجمل مساجد الجزائر ليحوله إلى كادرائية الجزائر ويتحدث القس سوشيه الوكيل العام لأسقف الجزائر في كتابه " رسائل مفيدة ومشوقة عن الجزائر " فيقول واصفاً الجنرال الفرنسي فاليه : " إنه يرغب أن يستتب الدين المسيحي ، وأن يحترمه الجميع إنه يريد أن يضاعف من عدد الصلبان والكنائس في الجزائر . إن مولاي – الملك – يستطيع أن يفعل ما يشاء مع رجل مثل المسيو فاليه

---

(١) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٥٨ ، ٢٤٢ – ٢٤٤ .

(٢) انظر : الاستعمار. أحقاد وأطماع ، محمد الغزالي ، ص ٣٩ .

(٣) انظر : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، مصطفى خالدي وعمر فروخ ، ص ١٥٢ ، ١٥٧ ، التبشير والاستشراق ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٨٨ – ٨٩ .

الذي اختار أجمل مسجد في قسطنطينة ليجعل منه أجمل كنيسة في المستعمرة " .[1]

و لم تـتوقف العلامـة بـين حـركتي التبشير والاستعمار عند نقطة المصالح المشتركة بل إنا نجد أن الأخلاقيات السيئة للاستعمار من قتل وبطش قد حصلت بمباركة وأحياناً بمشاركة رجال الكنيسة .

ويقـول المسـيو أوجين يونج وكيل حكومة التونكين الفرنسية في كتابه " استعباد الإسلام – الحرب الصليبية الجديدة " بأن بابا الفاتيكان يخطط دون ملل وكلل لحروب صليبية جديدة .

كمـا أن الـنظرة الاستعمارية الفوقية للشعوب المستعمرة هو أمر آخر تأثرت به حركة التبشير ، وفي ذلك يقول ستيفن نيل : " في القرن التاسع عشر خضع المبشرون إلى العقد الاستعمارية التي تقول بأن الرجل الغـربي فقـط هو الإنسان بكل ما تعنية هذه الكلمة ... فحتى عام ١٩١٤م لم يكن لدى الكنيسة الرومانية الكاثوليكـية أي أسقف من أصل غير أوربي – سوى أربعة – .... طالما كان الجنس الأبيض في استطاعته أن يقـدم مورداً لا ينضب من الأساقفة فإنه لا يمكن أن يوجد رجل واحد من الأجناس الصفراء والحمراء والبنية والسوداء يستطيع حمل ثقل الأسقفية " .[2]

---

(١) انظر : الاستعمار. أحقاد وأطماع ، محمد الغزالي ، ص ٣٩ .

[2] انظـر : حقـيقة التبشـير بـين الماضي والحاضر ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٤١ ، التبشير والاستشراق ، محمد عزت الطهطاوي ، ص ٨٤ .

الفصل الثاني

اتجاهات علماء المسلمين
في القرن الرابع عشر
في الرد على النصارى

المبحث الأول : تأليف الكتب في الرد على النصارى

كان الكتاب وما يزال أهم طرق الاتصال بين الأفراد والشعوب والحضارات، وقد شهدنا طوال قرون الإسلام السابقة عشرات من الكتابات جعلت من النصرانية وعقائدها وكتبها موضوعاً للدراسة .

وفي هـــذا القـــرن ، ومع ظهور الطفرة التقنية التي طالت أدوات الطباعة والكتاب ظهرت من جديد كتابات العلماء المسلمين في معالجة الأغراض النصرانية وكانت هذه الكتب من الكثرة بمكان .

ولـــو شـــئنا أن نقسم هذه الكتب بحسب ظهورها الزمني فإنا نقول بأن ثمة كتب محدودة ظهرت في النصف الأول من هذا القرن يتقدمها كتاب " إظهار الحق " لرحمة الله الهندي ، وثم "الجواب الفسيح لما لفقه عـــبد المسيح "، للألوسي البغدادي ، ثم "السيف الصقيل في الرد على كتاب البرهان الجليل "،وقد ألفه بكر التمـــيمي ، ثم " الفارق بين المخلوق والخالق " لعبد الرحمن باجي زادة البغدادي ، وكتب العلمي " سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس " .

وفي أواسط هذا القرن كتب محمد رشيد رضا تفسيره وضمنه مقاطع هامة في الرد على النصارى كما كتـــب كـــتابه " عقيدة الصلب والفداء " ، وكتب محمد توفيق أفندي نظرية في الصلب [(١)] إضافة إلى كتابه " دين الله في كتب أنبيائه "، وكتب محمد طاهر التنير " العقائد الوثنية في الديانة النصرانية " ، ومحمد وصفي " المسيح بين الحقائق والأوهام " ، ومحمد أبو زهرة " محاضرات في النصرانية " .

ومع أفول القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر ظهرت كتابات كثيرة ، وتميز من كتاب هذه المرحلة اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب ،وأصدر مجموعة من الدراسات المتعلقة بالنصرانية بلغت عشرة كتب هي " طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون " و " البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين " و " إسرائيل حرفـــت الأناجـــيل " و " المسيح في مصادر العقائد المسيحية " و " الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام " و " النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام " و " حقيقة التبشير بين الماضي و الحاضر " و " اخـــتلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية " وتعدد نساء الأنبياء " ، و " الإسلام والأديان الأخرى "

كما أصدر باللغة الفرنسية كتابه " بين المسيحية والإسلام " .[(٢)]

وأصـــدر الدكتور أحمد حجازي السقا عدداً من الدراسات المتعلقة بالنصرانية بلغت ثمانية كتب علاوة عـــلى الكتـــب التي قام بتحقيقها وإضافة مقدمات سابغة عليها ، والكتب التي أخرجها هي " البشارة بنبي

---

(١) أثبتها محمد رشيد رضا وضمنها في كتابه عقيدة الصلب والفداء،محمد رشيد رضا، الفتح للإعلام العربي ،١٤١١هـ ،ص ٦٤ - ١١٢ .

(٢) ذكـــره في قائمـــة كتبه المنشورة في كتابه: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب، ط١ ،مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٧هـ ،ص ١٣١ .

الإســـلام في التوراة والإنجيل " و " أقانيم النصارى " و " حقيقة النصرانية في الكتب المقدسة " و " اللقاء بين الإســـلام والنصرانية " و " نقد التوراة " و " يوحنا المعمدان بين الإسلام والنصرانية " و " المسيا المنتظر نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم " و " العناية الإلهية بين المسلمين وأهل الكتاب " .

وكتـــب المستشار محمد عزت الطهطاوي في موضوع الجدل مع النصارى عدة كتب وهي " محمد نبي الإســـلام في الـــتوراة والإنجيل والقرآن " و " الإسلام و النصرانية " و " النصرانية في الميزان " و " الميزان في مقارنـــة الأديان " ، وكتب الدكتور محمد الشرقاوي " في مقارنة الأديان " ،وقام بتحقيق العديد من الردود القديمة وعلق عليها .

وكتـــب أحمـــد ديدات كتابات ترجم منها إلى العربية " ماذا يقول الكتاب المقدس والغرب عن محمد صـــلى الله علـــيه وسلم ؟ " و " مسألة صلب المسيح " و " هل الكتاب المقدس كلام الله " و " من دحرج الحجر " إضافة إلى عدد من الكتيبات الصغيرة التي تخدم هذا الباب .

وكتب الدكتور محمد علي الخولي ثلاث كتب هي" مقارنة بين الأناجيل الأربعة " و " تحريف التوراة " و " حقيقة عيسى المسيح " .

وكتـــب الدكتور محمد علي البار " الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم " و " المدخل إلى العهد القديم " .

وكتب الدكتور محمد شلبي شتيوي كتابيه " التوراة " و " الإنجيل " .

وكتب الدكتور كامل سعفان " دراسة عن التوراة والإنجيل " و " مسيحية بلا مسيح " .

وكتـــب محمد عوض كتابيه "الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة " و " معجزات المسيح ".

فـــيما كتـــب عشـــرات من العلماء المسلمين كتابات مباركة لم يشاركوا بسواها في موضوع الجدل الإسلامي النصراني .

وكان للمهتدين من النصرانية جهود مباركة منها ما كتبه إبراهيم خليل أحمد وهي ثلاثة كتب " محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن " و " الغفران بين المسيحية والإسلام " و " محاضرات في مقارنة الأديان " .

وكتب موريس بوكاي كتابه " التوراة والإنجيل والقرآن والعلم " فيما كتب محمد مجدي مرجان كتابيه " الله واحد أم ثالوث ؟ " و " المسيح إنسان أم إله ؟ " .

وكتب محمد زكي النجار " المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة " . [1]

وكتـــب القس الآشوري السابق عبد الأحد داود كتابيه " الإنجيل والصليب " و " محمد ﷺ في التوراة والإنجيل " .

وأما دوافع التأليف عند العلماء المسلمين لهذه الدراسات والكتب القيمة فقد كان القيام بواجب الدعوة

---

(١) ذكـــره شـــلبي في كتابه: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي، ط٣ ،دار التوحيد ،١٤٠٥هـــ ،ص ٢٩٣ .

وتبليغ الإسلام إلى البشرية التي تاهت عن الطريق فعبدت بشراً سمته ابن الله ، وقد امتثل بذلك العلماء المسلمون إلى دعوة القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾[1]

ويقول تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾[2]

ومن الدوافع أيضاً ما رآه العلماء المسلمون من هجمة على الإسلام من المبشرين والقسس الذين ما تركوا طريقاً في استمالة الناس إلى باطلهم إلا وسلكوه ، فكانت كتاباتهم دافعاً لعلمائنا في الذب عن دين الله .

فقد أقبل رحمة الله الهندي على تأليف كتابه " إظهار الحق " ، ومناظرة القس فندر بعد أن رأى تسلط نصارى الإنجليز على الهند وقيام قسسهم بدعوة المسلمين إلى النصرانية ، واتجه ديدات إلى دراسة النصرانية بعد أن آذاه طلاب كلية أدمز اللاهوتية في شبههم عن الإسلام ، وكتب محمد عزة دروزة كتابه " القرآن والمبشرون " رداً على أربعة كتب كتبها قسيس يدعي لنفسه اسم الحداد نال في كتبه من الإسلام واختلق عليه الأكاذيب .

ويذكر التنير في مقدمته لكتابه " العقائد الوثنية في الديانة النصرانية " أن مما حفزه على كتابة كتابه القيم ما رآه من تطاول القسس على الإسلام في كتابات ذكر عناوين بعضها .

وكانت بعض الردود الإسلامية رداً على بعض كتابات النصارى ، فقد كتب نعمان الألوسي كتابه " الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح " رداً على كتاب قديم للكندي يطعن في الإسلام ، وكتب عبد السلام محمد وعبد العظيم المطعني كتابيهما " الكتاب المقدس في الميزان " و " مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه " رداً على كتاب " استحالة تحريف الكتاب المقدس " لوهيب خليل .

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٦٤ .

(٢) سورة النحل ، آية : ١٢٥ .

موضوعات الجدل بين المسلمين والنصارى

وقد تمحورت ردود العلماء المسلمين على النصارى حول موضوعات رئيسية وهي كالتالي :

أولاً : ألوهية المسيح والتثليث .

وفيه نقد العلماء المسلمون أدلة النصارى الكتابية على هذين المعتقدين ، وكشفوا عن استحالة الاستدلال بهذه الكتب على ألوهية المسيح أو الروح القدس .

كما تحدثوا عن أصالة التوحيد في النصرانية من خلال استعراضهم للنصوص الكتابية وتاريخ الفرق النصرانية ، ثم أبانوا عن تسبب بولس في انحراف النصرانية بما أضافه إليها من معتقدات باطلة اقتبسها وتلاميذه من الوثنيات القديمة .

ثانياً : عقيدة الصلب والفداء .

وفيه نقد العلماء المسلمون روايات الصلب وأثبتوا ضعف الاستدلال بها والصدور عنها في مسألة صلب المسيح ، وأثبتوا نجاة المسيح من الصلب ، بما دلت عليه بنوءات التوراة والإنجيل ، وقدموا تصورات عن كيفية نجاة المسيح من مؤامرة اليهود .

ثم نقد العلماء المسلمون عقيدة النصارى في الصلب والفداء أبانوا عن انتحال النصارى في هذا الصدد مجموعة من الأساطير الوثنية القديمة التي لا دليل عليها في كتب القوم المقدسة ، بل إن في النصوص ما يدحض هذه العقائد .

ثالثاً : نقد التوراة .

ولما كان النصارى يؤمنون بأسفار التوراة درس العلماء المسلمون تاريخ التوراة وسندها ، فتبين لهم عظيم الانقطاع بين التوراة المتداولة وموسى عليه السلام ، ونقلوا اعترافات التوراة المتداولة بضياع توراة موسى عليه السلام ، ثم أقاموا الأدلة على بطلان نسبة هذه الأسفار للأنبياء بدليل موضوعاتها ومضامينها التي لا تتفق وهدي الأنبياء كما تبعد عن مضامين وحي السماء .

رابعاً : نقد الأناجيل .

ودرس العلماء المسلمون النصوص الإنجيلية المختلفة ، وأبطلوا صحة نسبة هذه الأناجيل لأصحابها، وبينوا ما اشتملت عليه من التحريف والتناقض والعبث الذي تتنزه عنه كتب الوحي ، وخلصوا إلى أن كثيراً مما كتبه الإنجيليون من أخبار إنما هو تخرصات لا دليل عليها ولا موثق لها ، وكثير منها منقول عن أساطير الوثنيين .

خامساً : نبوة النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد تناول العلماء المسلمون في إثبات معتقدهم في هذا الباب ما ورد من نبوءات تتحدث عن مقدمه عليه الصلاة والسلام في كتب النصارى ، وخلت كتب أصحاب الردود – أو كادت – من الحديث

عـــن المعجـــزات أو المسلك النوعي والشخصي في إثبات هذا الباب ، إذ قد يطعن النصارى بصدق الـــروايات الإســـلامية المـــتحدثة عن معجزات نبينا أو خصائصه ، غير أن الأمر يختلف تماماً بالنسبة للروايات المبثوثة في كتبهم المقدسة عن النبي الخاتم .

سادساً : شبهات النصارى حول الإسلام .

ولما كان من صفات الدين الحق أن يكون جامعاً للحسن ، مانعاً من أن يورد عليه ما يدل على ضعفه أو بطلانـــه ، لـــذا شمـــر العلماء المسلمون في الذب عن مفتريات النصارى على الإسلام ونبيه وقرآنه وشرائعه، وكشفوا عن التلبيس أو سوء الفهم أو التحريف الذي وقع به علماء النصرانية وهم يتحدثون عن الإسلام أو نبيه .

وإضـــافة إلى هـــذه المباحـــث الرئيســـة فإن علماءنا تناولوا مباحث أخرى لا يخلو بعضها من علاقة بالموضوعات الرئيسة السابقة ،وأهم هذه المباحث هو مقارنات بين الإسلام والنصرانية في موضوعات محددة .

ومـــنه مـــا كتبه عبد الله المشوخي في كتابه " موقف الكنيسة من العلم " وعرض فيه للفرق بين نظرة الإسلام للعلم ، ونظرة النصرانية متمثلة بموقف الكنيسة من العلم والحركة العلمية خلال القرون الماضية .

وفي هـــذا الـــباب أيضـــاً كتب أحمد عبد الوهاب مقارنات بين الإسلام والنصرانية في مسألة الوحي والملائكـــة والجن في كتابه " الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام " ثم ذكر مقارنة بين الإسلام والنصـــرانية في موضوع النبوات السابقة وبيان موقف القرآن والتوراة من الأنبياء السابقين ، وذلك في كتابه " النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام " .

وهـــذا الموضـــوع - الأخير - كتب فيه محمد البار كتابه " الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في الـــتوارة والعهد القديم ، ويظهر لنا من العنوان طرف ثانٍ في المقارنة ألا وهو صفات الله عز وجل بين القرآن والكتاب المقدس .

وكتب السقا في مقدمة تحقيقه لكتاب الغزالي " نفخ الروح والتسوية " مقارنة بين الإسلام والنصرانية في مســـألة البعـــث وكيفيته .... كما كتب في هذه المقدمة مقارنة في موضوع السحر بين التوراة والإنجيل والتـــلمود والقرآن ، وكتب للمقارنة بين موقف الإسلام والنصرانية من النبي يحيى كتاباً خاصاً أسماه " يوحنا المعمـــدان بين الإسلام والنصرانية " ، وكتب في المقارنة بين موقف المسلمين وأهل الكتاب من عقيدة القضاء والقـــدر كتابه " العناية الإلهية بين المسلمين وأهل الكتاب " . وعقد فرج الله عبد الهادي أبو عطا الله مقارنة بين الأديان الثلاثة في معتقد اليوم الآخر بعنوان " اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام " .

وكتب محمد الغزالي مقارنة بين الإسلام والنصرانية في مسألة التعصب الديني والحرب المقدسة في كتابه " التعصـــب والتســـامح بين المسيحية والإسلام . " وفي كتابه " الإسلام والنصرانية " تحدث الطهطاوي عن عالمية رسالة الإسلام وخصوصية رسالة المسيح التي جعلها بولس بعده عامة .

وعقـــدت عـــزية طـــه مقارنات بين الأناجيل وكل من الأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة بل والموضـــوعة ، وتـــبين لها من خلال دراستها " منهجية جمع السنة والأناجيل " قعود الأناجيل عن مستوى

القبول والاحتجاج ومشابهتها إلى حد بعيد للأحاديث الموضوعة على نبينا صلى الله عليه وسلم .

ومن المقارنات التي عقدها العلماء المسلمون أيضاً حديثهم عن وجود النَسْخ في الأناجيل والتوراة والقرآن ، وفيه كتب رحمة الله الهندي في كتابه " إظهار الحق " ، ومثله صنع السقا في " نقد التوراة " ، وعقد الشرقاوي في كتابه " في مقارنة الأديان " فصلاً عن مقومات الشخصية الاسرائيلية كما تذكرها الكتب الثلاثة ، وتوصل إلى تطابقها في ذم اليهود ، ووصفهم بخسيس الأخلاق والصفات .

ومن المقارنات أيضاً المقارنة التي أجراها عبد الرحيم محمد في كتابه " قراءات في الكتاب المقدس " وذلك في أدلة القرآن والأناجيل على مسألة براءة مريم ، ووجد أن الروايات الإنجيلية تلقي بظلال الشك على طهارة مريم فيما تظهر براءتها جلية في القرآن الكريم .

وأما إبراهيم خليل فقد عقد فصلاً مطولاً ذكر فيه النصوص التي يراها متفقة بين التوراة والإنجيل والقرآن في موضوعات الألوهية – الوحي والرسالة – ضياع التوراة – جزاء الإيمان – حيثيات استحقاق وراثة الأرض – الوعد والوعيد – النبوة الخاتم .

وفي هذه الدراسات المقارنة بيَّن العلماء المسلمون ما تتفق عليه النظرة الإسلامية والنصرانية وما لاتتفق ، وركز العلماء المسلمون على نقاط الاتفاق معتبرين إياها دليلاً على وجود مصدر واحد أصيل خرجت عنه أصول كتب أهل الكتاب والقرآن الكريم ، ثم عمد أهل الكتاب إلى تحريف كتبهم فظهر ما ظهر من التباين بين هذه الكتب والقرآن الكريم .

والموضوعات التي تناولها العلماء المسلمون في كتبهم تقسم هذه الكتب إلى مجموعتين :

المجموعة الأولى : الكتب المتخصصة في أحد موضوعات الجدل النصراني

وهي سمة أكثر الكتابات التي ظهرت في هذا القرن .

ففي نقض عقائد النصرانية كتب العلمي كتابه " سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس، وكتب أحمد شلبي كتابه " المسيحية " . ومحمد حسن عبد الرحمن " براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح " وكتب محمد مجدي مرجان كتابيه " المسيح إنسان أم إله " و " الله واحد أم ثالوث " وكتب السقا " أقانيم النصارى " .

وكتب كامل سعفان دراسة موسعة عن تاريخ الكنيسة النصرانية ، وسماه " مسيحة بلا مسيح " وكتب عن موضوع التوحيد والموحدين في النصرانية أحمد عبد الوهاب في كتابه " طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون " وكتب حسني الأطير " عقائد النصارى الموحدين " .

ومن الكتب المتخصصة في موضوع الصلب ما كتبه محمد رشيد رضا بعنوان " عقيدة الصلب والفداء " وقد ضمنه أيضاً نظرية صديقه محمد توفيق أفندي في مسألة صلب المسيح ، ومنها أيضاً كتاب " قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة " لمحمد أبو الغيط الفرت ، وكذا " مسألة صلب المسيح " لديدات ، وكتاب " هل مات المسيح على الصليب " لسليم الجابي .

وفي موضوع الفداء كتبت أميمة الشاهين " الخطيئة بين اليهودية والمسيحية والإسلام " .

ونقد التوراة دون الإنجيل كتب منها كتاب الخولي " التحريف في التوراة " ، ومحمد شلبي شتيوي " التوراة " ، وفؤاد حسين علي " التوراة عرض وتحليل " .

وفي نقد الإنجيل دون التوراة كتب الخولي " مقارنة بين الأناجيل الأربعة " ،ومحمد شلبي شتيوي " الإنجيل " ، وكتب محمد عبد الرحمن عوض في المقارنة بين الأناجيل وإنجيل برنابا كتابه " الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة ، وكتب عبد الحليم أبو السعد دراسة نقدية لإنجيل مرقس سماها " دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس " .

فيما خلطت أكثر الكتابات بين التوراة والإنجيل واعتبرتها وحدة واحدة موافقة بذلك اعتقاد النصارى بأن الكل يشكل الكتاب المقدس ومن هذه الكتابات " قراءات في الكتاب المقدس " لعبد الرحيم محمد ، و " الكتاب المقدس في الميزان " لعبد السلام محمد ، و " حول موثوقية الأناجيل والتوراة " لمحمد السعدي ، و " الكتب السماوية وشروط صحتها " لعبد الوهاب طويلة ، و " الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف " ليحيى ربيع ، و " هل الكتاب المقدس كلام الله " لأحمد ديدات ، وكتب كامل سعفان كتابه " دراسة عن التوراة والإنجيل " .

ومن الكتب المتخصصة في موضوع النبوءات كتابي عبد الأحد داود " الإنجيل والصليب " و " محمد ﷺ في التوراة ، وكتب أحمد حجازي السقا أحد أهم مراجع هذه الموضوع في كتابه " البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل " وأعاد هذه الموضوعات أو بعضها في أجزاء متفرقة من كتبه ، ومنها " المسيا المنتظر " و " اللقاء بين الإسلام والنصرانية " .

وكتب الطهطاوي كتابه " محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن " .

وتخصصت بعض كتابات المسلمين في الرد على شبهات النصارى ومنها القرآن والمبشرون " لمحمد عزة دروزة ، و " الإسلام في قفص الاتهام " لشوقي أبو خليل ، و " أدلة اليقين في الرد على مطاعن الملحدين و المبشرين " لمحمد شوقي عبد الرحمن الجزيري .

المجموعة الثانية : الكتب غير المتخصصة في أحد موضوعات الجدل النصراني

وفي مقابل ذلك فإن بعض الردود الإسلامية شملت مواضيع متعددة من موضوعات الجدل الإسلامي النصراني ، فكتب رحمة الله الهندي كتابه العظيم " إظهار الحق " متحدثاً عن جميع الأغراض - سوى الصلب والفداء - ، واستعراض البغدادي في كتابه " الفارق " الأناجيل وخاصة متى ، ونقد خلالها هذه الكتب كما نقد روايات الصلب وألوهية المسيح . ومثلهما صنع علاء أبو بكر في كتابه " المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح " ونجد أن بعض عناوين الردود الإسلامية لا تصور بدقة الموضوع الذي يتناوله صاحب الكتاب " فالفارق بين المخلوق والخالق " كتاب اهتم باستعراض نصوص الأناجيل وما فيها من تناقض وخاصة موضوع الصلب ، وفيه أيضاً نقد لعقيدة ألوهية المسيح ، وكتاب " الغفران بين المسيحية والإسلام " ليس

خاصاً بهذا الموضوع بل هو أحد موضوعاته فحسب ، ونحوه صنع إبراهيم خليل في كتابه الثاني " محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن " فقد امتلأ الكتاب بنقد الأسفار المقدسة ، ومثله كتاب " حقيقة عيسى المسيح " للخولي وقدم فيه عرضاً مقتضباً لكثير من الموضوعات الجدلية بين الإسلام والنصرانية ، فتحدث عن ألوهية المسيح والتثليث والصلب والتوراة والإنجيل .

وأيضاً كتب نبيل الفضل كتابه " هل بشر المسيح بمحمد " وفيه تحدث عن موضوع النبوءات والألوهية والتوراة والإنجيل والصلب والفداء .

وقفة في تقييم هذه الجهود

وجميع الجهود التي كتبها العلماء المسلمون جهود مباركة نسأل الله أن يثيبهم عليها غير أن بعض هذه الجهود متميزة بقوة حجتها وجدة أمثلتها ووضوح برهانها ، ويأتي في مقدمة هذه الجهود المتميزة " إظهار الحق " الذي يعتبر عمدة في المسائل التي تناولها وخاصة في موضوع نقد التوراة والإنجيل ، فيما كتب منصور حسين دراسة جادة رائعة في إبطال صلب المسيح في كتابه " دعوة الحق بين المسيحية والإسلام " ، وفي التمييز بين التراجم الكتابية المختلفة وبيان ما فيها من التزوير والتلاعب كتب أحمد عبد الوهاب " اختلافات في تراجم الكتاب المقدس " .

وفي المقابل نجد في بعض الجهود إعادة لما سبق عرضه من غير إضافة تستحق الذكر كما صنع بكر التميمي في كثير من مباحث كتابه " السيف الصقيل في الرد على الرهان الجليل " ، فقد كان عالة على رحمة الله الهندي في كتابه " إظهار الحق " .

ومثله لكتاب العلمي صنع الطهطاوي في كتابه " النصرانية في الميزان "، فقد كان كتابه إعادة صف وطباعة " سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس " من غير إشارة في المقدمة إلى حقيقة ما صنع ، وقد اكتفى بأن ذكر اسم كتاب العلمي في قائمة المصادر والمراجع مع كتب ومراجع أخرى .

فيما عمد على الجوهري – أو دار الفضيلة للنشر – إلي ما يستحق أن نسميه خيانة علمية حين أعادوا إصدار كتاب " حقيقة النصارى في الكتب المقدسة " لأحمد حجازي السقا الذي طبعته دار الفضيلة ، أعادوا تصوير نفس الطبعة بنفس العنوان مع تغيير وحيد حيث جعلوا الكتاب من تأليف علي الجوهري ، ثم أعادت دار الفضيلة تصوير الكتاب ، ونسبته للسقا وغيرت عنوانه فجعلته " الأدلة الكتابية على فساد النصرانية " .

ومثل هذ الصنيع لا يقبل من الجوهري ودار الفضيلة ، وقد تصديا لتلفيق اليهود والنصارى وعبثهم في عدد من الكتب التي صدرت بترجمة وتعليق الجوهري وبطباعة دار الفضيلة .

وأما المنهج الذي اختطه العلماء المسلمون في ردودهم على النصارى فأبرز ملامحه أنه اعتمد على نقد كتب القوم وعقائدهم بإبراز الأدلة النصية الكتابية التي يؤمنون النصارى بقدسيتها وبيان تعارضها أو نقضها لمعتقدهم .

واختفت الردود الكلامية والمناقشات المنطقية التي رأيناها في جهود العلماء المسلمين المتقدمين ، والسبب في ذلك تراجع استخدام الأساليب المنطقية والكلامية عند المسلمين والنصارى على السواء ، بل وعند غيرهم أيضاً .

وقد أظهر العلماء المسلمون في نقولهم عن كتب أهل الكتاب أمانة علمية ودقة متناهية ، إذ عرضوا النصوص كما هي من غير بتر ولا تشويه ولا تغيير ، فلم يسلكوا المسلك الذي سلكه أهل الكتاب في التلاعب بالنصوص الإسلامية وليها وتحريفها ليصلح الاستدلال بها على ما يرددونه من النتائج الباطلة .

ولكن يشذ عن ذلك ما صنعه محمد وصفي حين أورد نص مرقس ٦/٥ مستدلاً به على عدم وقوع المعجزات من المسيح في بعض أحواله ، وأهمل ما جاء في بقية السياق والنص كاملاً ، " و لم يقدر أن يصنع

هناك ولا قوة واحدة غير أنه وضع يديه على مرضى قليلين فشفاهم ، وتعجب من عدم إيمانهم " (مرقس ٦/ ٥ – ٦) وقد نقل وصفي من النص صدره مستدلاً به على عجز المسيح في بعض الأحيان عن فعل المعجزات [(١)].

وأمانة العلماء المسلمين في النقل لا تمنع من وقوع الخطأ في فهم بعض هذه النصوص ، ومنه ما وقع به الخولي وهو يقول معلقاً على ما جاء في الأناجيل من أن المسيح قد وجد قبل العالم فقال " كيف كان عيسى قبل أن يولد ؟ كيف يكون أحد قبل أن يكون ؟ عيسى ولد حين ولد ، فكيف تكون العالم به ؟ والعالم مخلوق قبل عيسى بملايين السنين " .[(٢)] ومن المعلوم أن النصارى لايقولون بوجود أرضي سابق لعيسى على ولادته ، وإنما يقولون بوجود أزلي للابن وهو الأقنوم الثاني ، والذي اتحد بعيسى حال وجوده الأرضي .

كما أخطأ العثماني حين ذكر مواضع من إنجيل يوحنا ، ورأى أنها تدل على أن كاتب يوحنا ذو مكانة مرقومة في المجتمع اليهودي ، والحق أن هذه النصوص – سوى واحد – ليست في الحواري يوحنا ، بل هي في نيقوديموس تلميذ المسيح .[(٣)]

وأحياناً وقع بعض العلماء المسلمين في تمحل الاستدلال بالنصوص الكتابية وهو أمر لا يقبل ، ومنه ما صنعه السقا وتابعه علاء أبو بكر في تفسير نبوءة " رجسة الهلاك " (انظر دانيال ٩/٢٠ – ٢٧) ففي هذه الفقرات قال جبرائيل لدانيال :" سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك على مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ، والكفارة الإثم ، وليؤتى بالبر الأبدي ، ولختم الرؤيا والنبوة ، ولمسح قدوس القديسين ، فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أروشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعاً يعود ويبني سوق وخليج في ضيق الأزمنة ، وبعد اثنتين وستون أسبوعاً يقطع المسيح وليس له ، وشعب رئيس آت .... "(دانيال ٩/٢٤ – ٢٧) .

ويرى السقا أن النص يتحدث عن موعد ظهور نبي آخر الزمان فقد سماه:(المسيح الرئيس) (قدوس القديسين) ،وقد حدد زمن ظهوره بمرور ٦٩ أسبوعاً من تجديد الأمر ببناء أورشليم ، ويرى السقا أنه يعني ٤٨٣ سنة (٦٩×٧) إذ المقصود بالأسبوع هنا سبع سنوات ،وهذا ما يوافقه عليه علماء الكتاب المقدس الذين يرون في النص نبوءة عن المسيح الذي ظهر بعد ٤٨٣ من أمر الملك ارتحشستا إلى عزرا ببناء الهيكل في السنة السابعة من حكمه (انظر عزرا ٧/١٢ – ٢٦) .

لكن السقا يجعل ابتداء الأسابيع التسعة والستين منذ أمر أوريانوس بخراب الهيكل عام ١٣٢م فيصبح الحساب ١٣٢ + ٤٨٣ = ٦١٥ ، وهو ما يوافق البعثة النبوية عام ٦١١هـ ، ثم يعيش هذا النبي ٦٢ أسبوعاً قبل أن يقطع ويموت ، والأسبوع هنا كما يرى السقا يقصد به سنة ، ويتجاهل السقا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عاش ٦٣ سنة وليس ٦٢ سنة ، كما رأينا تأريخه للتسعة والستين أسبوعاً ابتداء من تدمير

---

(١) انظر : المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام، محمد وصفي، دار الفضيلة ،ص ٨٠ .

(٢) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد علي الخولي ، دار الفلاح للنشر ، عمان ، ص ١٤٢ .

(٣) انظر : ما هي النصرانية ، محمد تقي العثماني ، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة ،١٩٨٤م ،ص ١٤٣ .

الهـــيكل لا أمر بنائه ، ويزيد من الإغراب والتمحل حين يذكر تفسيراً آخر لنص دانيال يراه محتملاً ، إذ يبدأ حساب التسعة والستين أسبوعاً — وفق هذا التفسير — من عام ٩٠م حين سلم اليهود في مجمع يمنية أسفارهم إلى النصارى فيكون المجموع ٩٠ + ٤٨٣ = ٥٧٣ ،وهو ما يعادل تقريباً مولد الرسول صلى الله عليه وسلم عام ٥٧٠م ، ولا نحتاج إلى كثير من الدراسة لنقف على مقدار التكلف في الاستدلال .(١)

وتمحل السقا هنا في الاستدلال لايختلف كثيراً عن تعسف النصارى لهذا النص ،والذي يبدو بحق نبوءة بالـــنبي الخـــاتم ،لكـــنه فقد دلالاته الصحيحة بسبب ما تعرض له من التحريف على يد اليهود ،فالنص وفق الألفاظ الكتابية لايصح في الدلالة على أحد ،وما زعمه النصارى متكلف وبعيد ،لأنه قد صدرت أربع أوامر ببـــناء الهـــيكل ،فاختاروا أحدها بلا مرجح ،ثم إن الكثير من الأمور التي ذكر النص أنها ترافق المسيح الرئيس ولم يحصل شيئاً منها حين بعثة المسيح(انظر دانيال ٩/٢٦) كما أن المسيح لم يذكر أنه صاحب النبوءة ،بل ذكر مايفيد أنها تكون بعده ،فقد ذكر علامات تكون دونها (انظر متى ٢٤/١٥-٣١).

كمـــا نقل العلماء المسلمون الكثير من الاعترافات الصادرة عن مؤسسات كنسية أو أفراد من السلك الكهـــنوتي أو حتى من أحرار الفكر الذين اعترفوا بوجود قصور في التوراة والإنجيل تارة ، وبتحريفهما تارة أخـــرى كمـــا نقلـــوا عنهم شهاداتهم بتخالف وتناقض النصارى مع النصوص المقدسة أو المعطيات العقلية الصريحة.

وقد ساعد بعض أصحاب الردود معرفتهم باللغات الحية ، فكانت دراسات أحمد عبد الوهاب متميزة لإجادتـــه اللغة الإنجليزية وربما الفرنسية أيضاً ، ومثله يقال في دراسات العلامة رحمة الله الهندي والتنير وأحمد ديـــدات وأحمد شلبي ، فيما كانت معرفة عبد الأحد داود السريانية والعبرية معيناً على الوصول إلى نصوص أوثـــق من تلك التي يتداولها النصارى باللغة العربية والإنجليزية ، ومثله نراه عند ناسخ البحث الصريح الذي يجيد العبرانية.

وقد التزم العلماء المسلمون في مناقشتهم الموضوعية العلمية ، وترفعوا عن السباب الذي لايقدم في باب الجـــدل الديـــني بـــل يؤخر ، وابتعدوا في ردودهم عن التكلف والإسهابات الإنشائية غير العلمية وإن وقع بعضـــهم في ذلك أحياناً ، ومنه قول ابن الخطيب في الرد على كاهن كنيسة نصراني : ".بمثل هذا ينطق رجل كـــاهن كنيسة ، مفترض فيه أن يعلم على الأقل ما يعلمه صبيان الكتاتيب ، ومثل هذا الكلام لا يحتاج إلى رد ، ولكـــن مـــا الحيلة ونحن حيال رجل كنيسة لم يجد من العلم ما يستطيع أن يسمعه لأبناء ملته ، فانطلق بقـــذارة علمه- لا بغزارته - يلوث كل ما يلمسه من مقدسات طهرها الله .. وياليته تكلم عالماً ... أما وقد تكـــلم جـــاهلاً متكبراً معتوهاً فليس له لدينا سوى التقويم باللسان ، فإن لم يقومه المنطق ، فليقومه السجن الذي أعد لأمثاله من الخارجين على النظام والدين والقانون .... " (٢)

---

(١) انظر : البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل ، أحمد حجازي السقا ، دار البيان العربي ، القاهرة ،١٩٧٧م ، ٢/٢١٠ - ٢١٨ .

(٢) انظر : هذا هو الحق،ابن الخطيب، ط٢ ، المطبعة المصرية ،١٣٩٩هـــ ،ص ٦٤ .

ولكـــنا نلـــتمس العذر لابن الخطيب، إذ أن النصارى قد خرجوا في نقاشهم وجدالهم عن الموضوعية والمنهجية العلمية، ومثل هؤلاء لا يجدي معهم الحوار والنقاش الذين يهتدي بهما من أراد الحق وبحث عنه، لا من رأى الشمس فأنكرها وجحد نورها.

كمـــا وقـــف بعض أصحاب الردود عند مسائل لا يحسن الوقوف عندها لضعف الحجة فيها ، ومن ذلـــك قول الخولي في تعليقه على قول يوحنا " التلميذ الآخر الذي يحبه يسوع " (يوحنا ٢/٢٠) فلم يذكر اسمـــه ، ولكن يفهم من تتبع مواضعه أن المراد به : يوحنا التلميذ ، الذي يفترض أن يكون صاحب الإنجيل ، لكـــن الخولي يتجاهل ذلك ويقول " من هو ذاك التلميذ ؟ ولماذا لا اسم له ؟ وهل هناك أحد من الناس بلا اسم ؟ ما السر في أمره ؟ كان الأولى أن يكون اسمه معروفاً وخاصة أن عيسى كان يحبه حباً خاصاً . لا أحد يدري لماذا ذاك بلا اسم ؟ ولماذا تنكيره ؟.... " . [1]

ومـــن الأمـــثلة لمجانبة الموضوعية العلمية ما صنعه دمشقية وهو يرد على القس أنيس شروش في تعليقه عـــلى مـــناظرة ديدات معه حيث زعم القس بأن القرآن منحول من أشعار العرب فكان رده أن نقل عن طه حســـين قوله عن الشعر الجاهلي : " إن قليلاً من النقد لما يضاف إلى هؤلاء الشعراء ينتهي بك إلى جحود ما يضاف إليهم من خبر أو شعر " [2] فمثل هذا الكلام لا يصح وقد قصد به الكيد للغة العرب ، ولا يخفى مثل هذا على دمشقية.

ولاريـــب أنه كان في بعض أشعار الجاهلية ما هو منحول ، يقول محمد الخضر حسين في رده على طه حســـين : " أما هذا الشعر المضاف إليه (امرؤ القيس) فقد نقده علماء الأدب ، ونفوا عنه قسماً ذكروا أنه محمول عليه ، نفوا عنه أبياتاً من قصائد ... وارتابوا في قصائد بجملتها .. فنفوا ما قام الدليل من رواية منظر على أنه منحول ، وكفوا عن البقية ، لأنها جاءت من طريق الثقات " .

والقول بوجود بعض الشعر المنحول المنسوب للجاهليين كان قد أشار إلى وجوده ابن سلام في كتابه " طبقات فحول الشعراء " ويغلب على ظني أن الأبيات التي استشهد بها القس شروش من الشعر المنحول إذ لم ترد في ديوان امرئ القيس الذي جمعه وحققه مصطفى عبد الشافي .[3]

ومن الأمور التي تؤخذ على بعض العلماء المسلمين استدلالهم بالأحاديث التي تقعد عن درجة الاحتجاج ففي رد شوقي أبو خليل على النصارى في شبهتهم حول إجازة الإسلام للطلاق أراد أن يبين كراهية الإسلام لهـــذا الأمر الذي أجازه للمصلحة فنقل ثلاثة أحاديث لا تصح في ذم الطلاق والتحذير منه وهي: " لعن الله كل مزواج مطلاق " [4]

---

(١) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي،ص ١٦٨ .

(٢) القرآن الكريم والكتاب المقدس. أيهما كلمة الله ؟ أحمد ديدات ، ص ١٠٠ .

(٣) انظـــر : طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجحي ، شرح وتعليق : محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ،٤/١ ، في نقض كتاب " في الشعر الجاهلي " ، محمد الخضر حسين ، المطبعة السلفية القاهرة ، ١٣٤٥هـــ ، ص ٣٠١ ، وانظر ديوان امرئ القيس ، ضبط وتصحيح مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ١٤٠٣هـــ .

(٤) ذكره السخاوي بلفظ " إن الله يكره الرجل المطلاق الذواق " وقال : لا أعرفه .كشف الخفاء ومزيل الإلباس ، العجلوني

و " تزوجوا ولا تطلقوا " [١] و " الطلاق يهتز له العرش " .[٢]

ومن المآخذ المهمة التي يأخذها الباحث على العلماء المسلمين ما صنعه أحمد حجازي السقا وهو يحاول إثبات صور تقارب بين الكتب الثلاثة ومعتقدات الأديان الثلاثة فقال منزهاً التوراة عن التجسيم والتجسيد : " نجد في التوراة آيات متشابهات :١) آيات تذكر ان لله وجهاً وعينين وأجفاناً وأذنين ...٢) وآيات تنسب صفات الإنسان وأفعاله ومشاعره إلى الله ....٣) وآيات تذكر أن الله تعالى ظهر لبعض الناس ظهوراً شخصياً وتكلم معهم فما تفسير ذلك ؟ "

وأجاب السقا بأنه ينبغي أن ترد هذه المتشابهات إلى حكم التوراة الذي يصف الله بأنه ليس له مثيل ولا شـــبيه. ويفصـــل فيقول " وعن الأمر الأول نقول : ... هذه الآيات تؤول وتفسر بالمعنى المجازي لا بالمعنى الحقـــيقي ، فالـــيد كناية عن القدرة و .... وعن الأمر الثاني نقول : الآيات التي تنسب صفات الله وأفعاله ومشاعره إلى الله ، هذه الآيات جاءت على سبيل المشاكلة ، مشاكلة الفكر للفكر للقرب والاستئناس "[٣] " عن الأمر الثالث ..... إن كاتب التوراة حينما يتحدث عن ظهور الله شخصياً يفسر ذلك في موضع آخر بأن الذي ظهر ليس الله نفسه ، بل ملاك من ملائكته ... "

وهذا الذي يقوله السقا مرفوض من قبل المسلمين قبل غيرهم من النصارى، إذ تأويل الصفات مذهب لـــلخلف ذهبوا إليه تأثراً بالمنطق اليوناني وسواه من الفكر الدخيل على المسلمين، فيما يثبت سلف هذه الأمة ومن لدن الصدر الأول، كما جاء عن الصحابة والتابعين هذه الصفات التي وردت في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة على كيفية تليق بجلال الله وذاته العلية، ولا يرون في ذلك أدنى مشابهة للمخلوقين، بل يرون كفر من شبه الله بخلقه.

والـــذي يصنعه أهل التأويل إنما هو نوع من التعطيل أوقعهم فيه وقوعهم في التشبيه ابتداء، وكما ورد عن السلف :كل معطل مشبه.

ثم مـــثل هـــذا الاعتذار للنصوص الكتابية من السقا لا يوافقه عليه حتى النصارى ، يقول القس أنيس شـــروش وهو يتحدث عن قدرة الله حتى على الأكل والشرب ، فيذكر قصة زيارته لإبراهيم وتناوله للطعام عـــنده فـــيقول : " في الإصـــحاح الثامن والعشرين من سفر التكوين ، وهو يخبرنا أن ثلاثة زوار لإبراهام (إبراهـــيم) ، وأحدهم يخاطبه أبراهام بإعتبار أنه إله ، ولقد كان أبراهام يقف أمامهم وهم يأكلون .. ربما تكـــون المشكلة - يا سيدي العزيز (ديدات) - كامنة في أنك رغم قولك بكل تأكيد وبكل إيمان كل يوم : الله أكـــبر ، أكثر من أربعين مرة فإن الله عندك ليس كبيراً إلى حد أن ينجز الله مثل هذه المعجزة التي تفوق خـــيالك " فـــالقس شروش يعتبر تجسد الله على هيئة رجل ثم طعامه من ضيافة إبراهيم معجزة إلهية ، ويقول

، المقاصد الحسنة ، السخاوي ،مكتبة الخانجي ،مصر، ١٣٧٥هـــ ،ص ٤٥٨ .

(١) - (٢) وهمـــا حديث واحد أورده ابن عدي في الكامل ١٧٦٤/٥ وقال عنه ابن الجوزي : موضوع . المقاصد الحسنة ،

وانظر الإسلام في قفص الاتهام ، شوقي أبو خليل ص ١٨٥ .

القـــس شوبرج معلقاً على قصة إبراهيم وضيوفه " لقد قلتم هنا – أي ديدات – إن عيسى لم يكن إلهاً لأنه كان يأكل ، ولكن حيث إن الله والملائكة أكلوا من النذر حسب رواية العهد القديم .... " وتسمية شروش للعمـــل الإلهي معجزة هي نوع من الخلل الذي تؤديه فكرة تجسد الإله ، فيتعامل المخلوق مع الخالق على أنه صورة بشرية تأكل وتشرب ... وتأتي بالمعجزات التي يأتي بها الأنبياء .

ولئن كان السقا يرى أن المقصود من " الرب " أو " الله " : الملائكة فإن عوض سمعان يذكر في كتابه " الله " طـــرقه إعلانـــه عن ذاته " أن كلمة " ملاك " أو " ملاك الرب " التي تنسب إليها بعض الأفعال في الكتاب المقدس إنما يراد بها الله عز وجل ، ويستشهد بما جاء في سفر التكوين " الله الذي رعاني ، الملاك الذي خلصني" (التكوين ٤٨/١٥-١٦) ، ويعلل فيقول " اصطلاح " ملاك الرب " معناه حسب الأصل : المبلغ لرسائل الرب ، ولما كان الرب هو خير من يقوم بتبليغ رسائله " يحق أن يسمى الرب من جهة ظهوره لتبليغ رسائله ملاك الرب ، بمعنى : المعلن لمقاصده ، أو المعلن لذاته " . [١]

---

(١) انظـــر : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، عبد الكريم الخطيب، ط١ ، دار الكتب الحديثة ،١٩٦٥م ،ص ١٩٣ – ١٩٥ .

المبحث الثاني : المناظرات مع النصارى

المناظرة : لغة من النظير .والنظير : المثل ، قال الجوهري : نظير الشيء مثله، ويقال ناظرت فلاناً أي صرت له نظيراً في المخاطبة.

وقد تكون من النظر بالبصيرة ، وعرفها الجرجاني بأنها : "النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب" . [1]

والمناظرة بمعناها السائد هي المباحثة المباشرة بين طرفين في مسألة من المسائل ، وهي لون من ألوان الدعوة استخدمه العلماء المسلمون في الرد على النصارى قديماً وحديثاً ، وكان أهم المناظرات التي قام بها علماء القرن الرابع عشر مناظرة رحمة الله الهندي للقسيس فندر عام ١٢٧٠هـ في مدينة أكرا .

وكانت قد جرت مناظرة في بيت القسيس فرنج بين رحمة الله الهندي وعضده محمد وزير خان وبين القس فرنج وكتي ، وذلك في نفس العام .

وتأثر بهذا الأسلوب أحمد ديدات ، وأجرى سلسلة من المناظرات كان أهمها مع القس جيمي سويجارت في عام ١٩٨٥م قد ناظر القس فلويدا يجلارك ثم ناظر القس روبرت دوجلاس في عام ١٩٨٦م .

وفي مناظرة ديدات لدوجلاس وقف القس شروش داعياً ديدات للمناظرة ، فقبل ديدات التحدي وناظره في قاعة ألبرت في لندن مرتين ، وفي عام ١٩٩١م ناظر ديدات باستر ستانلي شوبرج كبير قساوسة السويد ، وعاد لمناظرة ثانية في الليلة التالية .

ثم أرسل ديدات إلى بابا روما يطلب منه المناظرة ، وبعد إلحاح وافق بابا روما على لقاء ديدات في سكرتارية الفاتيكان ، ولما أخبره ديدات بأنه ثمة حضوراً من المسلمين يريدون مشاهدة الحوار وتسجيله نكص البابا عن لقاء ديدات وأرسل إليه صورة للبابا وهو يضع يديه على عينيه ، ويفهم منها استصغاره لشان العلامة ديدات .[2]

وفي عام ١٩٨١م جرت مناظرة في الخرطوم بالسودان بين مجموعة من القسس النصارى وثلاثة من علماء الإسلام وهم اللواء أحمد عبد الوهاب ، والاستاذ إبراهيم خليل أحمد ، ومحمد جميل غازي ، وانتهت بإسلام القسس .[3]

---

(١) انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، ط دار صادر ، بيروت ، ٢١٦/٥ ، التعريفات ، الجرجاني ، المكتبة الفيصلية ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٢) أحمد ديدات بين الإنجيل والقرآن (حوارات مختلفة مع ديدات) جمعها دار المختار الاسلامي ، ص٥٥ - ٥٨ ،خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس ، أحمد ديدات ،ص ١٦-١٨ .

(٣) انظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية ، ط٢ ، طبعت بإشراف الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد ، مكتبة ابن خزيمة ، الرياض ، ١٤١٢هـ .

ويضاف إلى ذلك الكثير من المناظرات التي لم تخرج إلى العلن لكونها قد جرت بين جدران أحد البيوت، ومنه مناظرة الدكتور أحمد حجازي السقا لقس آشوري لم يذكر اسمه ، ومناظرة الدكتور حافظ الجعبري لأحد القسس في مدينة الخليل إلى غير ذلك مما لم يتيسر لنا الاطلاع عليه أو على تفاصيله .

والمناظرة لون من ألوان الجدل له طابع خاص وظروف خاصة ، إذ فيه من دواعي التحدي ما يدفع لمشاهدة المناظرة أو قراءة أحداثها مما لا يتوافر لكثير من الكتب التي كتبت في نفس الموضوع .

فالمرء عندما يقرأ في كتب الجدل الديني ويسمع حجة أحد الفريقين يتساءل في قرارة نفسه عن حجة الفريق المقابل ، وعن مدى قدرته على تفنيد ما زعمه خصمه ، وهذا الأمر يبعد في أسلوب المناظرة حين يسمع المرء حجة الفريقين .

وفي المقابل فإن المناظرة يشغب عليها اعتمادها على معلومات الطرفين القاصرة والتي لا يمكن استدراك نقصها في وقت المناظرة ، كما يسهم في أثرها وحجة أطرافها شخصية المتناظرين وطلاقتهما وقدرتهما على البرهان الواضح وفي وقت قصير .

وأما ترتيب هذه المناظرات فقد كان أمراً متروكاً للمتناظرين ، ففي مناظرة فندر ورحمة الله الهندي ، ومن خلال مراسلات مطولة بينهما اتفق الاثنان على موعد المناظرة وموضوعها ونظامها ، وقد اتفقا على أن يكون الشيخ رحمة الله الهندي معترضاً في مسائل النسخ والتحريف والتثليث وألوهية المسيح فيما يكون القس فندر مجيباً ، وعلى أن يحصل العكس في مسألتي النبوة وإعجاز القرآن وقد عقدت جلستان فقط للمناظرة كان موضوعها مسألتي النسخ والتحريف ، ثم انقطع القس فندر عن المناظرة .

وفي المناظرات التي أجراها ديدات برعاية بعض المؤسسات الإسلامية اتفق مع مناظريه على اقتسام وقت المناظرة وتوزيعه بالتساوي على المتناظرين ، واللجوء إلى القرعة لتحديد الطرف الذي يبدأ بالحديث .

ثم لكل من الطرفين أن يقول ما يراه مهماً في موضوعه ، ثم يترك الحكم بين المتناظرين للمشاهدين الذين يمنح بعضهم فرصة لطرح أسئلتهم على الطرفين بالتساوي أيضاً .

ولا ريب أن الطريقة الأولى التي اتبعها رحمة الله الهندي أحكم وأفضل من الناحية العلمية إذ يتجادل المتناظران في مسألة فيفرغان منها فينتقلان لأخرى وهكذا .

وأما النوع الثالث فهو تلك المناظرة التي أجريت في الخرطوم وتقدم فيها الطرف المسيحي بأسئلة أجاب عنها مناظروهم المسلمون بما هو أشبه بالمحاضرة منه للمناظرة .

وتبقى مشكلة التلاعب بنصوص المناظرات مشكلة تواجه علماءنا ، فعندما ناظر رحمة الله الهندي القس فندر نشر القس نصاً للمناظرة محرفاً ، وأما مناظرات ديدات فقد أجريت جميعاً برعاية هيئات إسلامية ، فلم تتعرض للقص والإضافة (المونتاج) ، ولكن عند طبع هذه المناظرات وترجمتها تعرضت للكثير من التشويه والتحريف رغم أن الترجمة تمت بأيدٍ إسلامية ، وكمثال لذلك ترجم علي الجوهري ورمضان الصفناوي مناظرة ديدات الأولى مع القس أنيس شروش ، وفي كل من الترجمتين ما ليس بالأخرى ، والخلاف بينهما ليس مجرد خلاف في اختيار اللفظ ، بل أهمل كل منهما – وخاصة الجوهري – أفكاراً لم

تروق له .

وإذا وقع هذا الصنيع من مسلمين تصدوا لدعوة النصارى وتخصصوا في هذا الباب فماذا عساه يكون لو كان المتولي لشأن ترجمة وتوثيق هذه المناظرات من النصارى ؟

والحق أن جميع المناظرات التي أجراها العلماء المسلمون كانت محل توفيق من الله ، فقد رأينا من هدوئهم وثباتهم وقوة حجتهم ما يليق بصاحب حق لا يشك في ظهور حقه ، وفي المقابل رأينا من ثرثرة مخالفيهم ومغالطيهم واضطرابهم ما يناسب ضعف حجتهم وهوان أمرهم .

فلقد أبان العلماء المسلمون في هذه المناظرات عن معرفة بأساليب الجدل ودراية واسعة في موضوعات الجدل النصراني فاقت معرفة كبار رجال الكهنوت في مسائل تتعلق بدين النصارى ، ففي حين رأينا رحمة الله الهندي يذكر النصوص الكتابية ويحيل إلى أماكن وجودها في الكتاب المقدس فإننا نرى عند المناظر النصراني جهلاً مطبقاً يصل إلى حد ذكر أقوال لا أصل لها ينسبها للكتاب المقدس ، ومنه قول كبير قساوسة السويد " عندما يتكلم الإنجيل عن سليمان أو شمشون فإن الإنجيل يقول : " إن الله قاضٍ ولا توجد مغفرة إن لم تكن هناك توبة " (لم أجده) وفي موضع آخر يقول : " لقد ورد بسفر نحميا بالعهد القديم مقولة أنا أعرفك قبل أن تكون في رحم أمك " ، والصحيح أن النص في سفر إرميا وليس نحميا (إرميا ١ /٥) ، وأيضاً لم يتنبه القس شوبرج إلى التماثل التام بين ما جاء في (ملوك (٢) ١٩/١ - ١٢) و (إشعيا ٣٧/١ ١٢) .

وكشف العلماء المسلمون عن المغالطات التي يفرض النصارى من خلالها الوصول إلى الباطل وقلب الحقائق يقول ديدات وهو يصحح خلل التفكير عند النصارى : " يقول الدكتور (شروش) إما أن يكون المسيح كذاباً أو إلها . ويقول إما أن يكون المسيح مجنوناً أو إلهاً .

لماذا يضع الدكتور المسألة بهذا الشكل ؟ ولماذا لا يكون عيسى المسيح رسولاً من رسل الله ؟ هل كلمة " الله " هي عكس كلمة " الكذاب .... " .[1] ومن المغالطة ما قاله شروش تعليقاً على عدم قدرة المسلمين على فهم كيفية تجسد الإله وممارسته للنشاطات البشرية من طعام وشراب وختان وتجسد ، فيقول شروش : " لو قبلنا بحقيقة أن الله قادر على كل شيء ويستطيع أن يفعل أي شيء لا نحلت المعضلة ..... نؤمن بأننا ننتقص من قدرة الله لو اعتقدنا أنه لايستطيع أن يصبح إنساناً " ومغالطة شروش أنه علق قدرة الله بأمر مستحيل ، وقدرة الله إنما تتعلق بالممكنات ، لذا فإن العلامة ديدات ذكر له صوراً مستحيلة لا يستطيع القس شروش أن يدعي بأن الله يصنع أياً منها فيقول ديدات : إن الدكتور (شروش) قد ذكر بين أيديكم أن الله يستطيع ويقدر أن يصبح رجلاً ، لقد قال : إن الله يستطيع أن يعمل أي شيء . وأنا أتحدى أن يتصور أحد أن يخلق الله إلهاً آخر ... إن الله لا يستطيع أن يرمي أحداً خارج ملك الله . أين يرمي الله به وقد وسع ملكه السماوات والأرض ؟ هناك أشياء كثيرة تتنافى مع الألوهية لا يعلمها الله ... إن الله جل جلاله يعمل الأعمال اللائقة بالألوهية ، وهو الله تبارك وتعالى لا يعمل الأعمال غير اللائقة بالألوهية " وهكذا أبطل ديدات تعليق

---

(١) انظر : مناظرة العصر ، أحمد ديدات ، ترجمة :علي الجوهري ، دار الفضيلة ، ص ٧٨ .

النصارى قضية التجسد بقدرة الله المطلقة .[1]

ومثله صنع سويجارت حين برر وجود خبر وفاة موسى في توراته فقال : " نعلم أن للرب ، وأنا أعلم أن الإسلام أيضاً يؤمن أن للرب من القدرة ، بحيث يوحي إلى موسى بالضبط الكيفية التي يموت بها ، ويوحي إلــيه بدقــة الهيئة التي تكون عليها جنازته ، وهذا ليس بمعضل على الرب " وفي رده على هذه المغالطة يبين ديــدات أن الســياق في ســفر التثنــية يتحدث عن أفعال بصيغة الماضي (مات – دفن – كان عمره مائة وعشرين عاماً حين مات " .

ومــن المغالطــة والكــذب ما قال شوبرج بأن الإنجيل تنبأ بأحداث حصلت في هذا القرن فيقول : " نســتطيع أن نقرأ ما قاله المسيح عن المستقبل عندما نتأمل ما يحدث في عالمنا اليوم ، عندما يعود اليهود إلى دولــة إســرائيل بأرض إسرائيل عندما تتجمع كمية من الصراعات في الأرض .. وعندما تغيم الشمس فوق الكويــت بعــد الحرب هذا هو بالضبط ما تنبأ به يسوع " وشوبرج دعي كذاب ، إذ لا يوجد في الأسفار المقدسة شيء من ذلك .[2]

وكشفت المناظرات عن جرأة النصارى في تطوير الدين واختراع عقائد كلما لزم الأمر ، فالقس أنيس شــروش يعتقد ألوهية المسيح ، ويرى أن مما يشهد لها ميلاده من غير أب ، لكن ملكي صادق كاهن ساليم في عهــد إبراهــيم ليس له أب ولا أم كما ذكر العهد الجديد (انظر عبرانيين ٢/٧ – ٣) فهو كما يقول ديدات " لو صح ذلك يكون مستحقاً أن يعتبر إلهاً أعظم من يسوع " ، لكن شروش يقول قولاً لم يسبق إليه فيقول : " ملكي صادق هذا الذي كان ملكاً لمملكة ساليم كان في حقيقة أمره ظهوراً آخر ليسوع ، وتجسد باعتبار أنه كاهن الله " .[3]

فــأي مــن الفرق النصرانية لم يقل بأن ابن الله قد سبق تجسده أو سيعاد تجسده عبر إنسان آخر غير عيسى .

وقــد حــرص العــلماء المسلمون في مناظراتهم إلى بيان حقيقة الإسلام وتصحيح الفكرة التي وضعتها الكنيسة في أذهان أتباعها ، ونجد هذا المسعى واضحاً في جميع مناظرات ديدات .

وفي مقــابل الإيجابيات الكبيرة التي حققها العلماء المسلمون في مناظراتهم للنصارى فإن ثمة أموراً تذكر بالسلب في هذا الباب

المــناظر المســلم يســتدرج للحديــث في موضوعات لا يجيدها ، فيتوقف تاركاً الكثير من إشارات الاســتفهام، وهــذا وقــع بالفعل في مناظرة ديدات الثانية للقس أنيس شروش والتي كانت بعنوان " القرآن الكريم والكتاب المقدس أيهما كلام الله " فالقس أنيس شروش الفلسطيني والذي يجيد العربية إلى حد ما فاجأ

---

(١) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ترجمة:علي الجوهري ،دار الفضيلة ،ص ٢٤ – ٢٥ ، ٤٧ ، ١٤١ .

(٢) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ،ص ١١٨ .

(٣) انظــر : مــناظرة العصــر ، أحمــد ديدات ، ص ٤٦ ، ٤٧، وموضع الشاهد لم يذكره رمضان الصفناوي في ترجمته للمناظرة ، ولأهميته ذكر الجوهري نص كلام القس باللغة الإنجليزية .

العلامة ديدات – وهو لايجيد العربية – بسيل من الشبهات تتعلق بعربية القرآن الكريم ، فذكر وجود كلمات وجمل أعجمية، كما ذكر أن فيه أخطاء نحوية وعلمية ، وأنه منحول من شعر أمرئ القيس ..... [1] ولم يجد ديدات ما يرده عليه ، ومثل هذه الشبهات ما كان لها أن تنطلي على عربي ملم بالعربية وقواعدها وأساليبها، وإن أهمل الرد على بعضها عبد الرحمن دمشقية في تعليقه على المناظرة ورده شبهات القسيس الورادة فيها .

كمـــا يؤخذ على أسلوب المناظرة أنه قد يخرج من المناظر سبق لسان لا يريده ولا يعتقده كما حصل في مناظرة ديدات الأولى مع القس شروش حين قال وهو يتحدث عن زعم النصارى بأن الله يتجسد في البشر فالبشر مخلوقات خلقها الله على صورته ، وهو يتجسد بهذه الصورة البشرية ، فيقول ديدات في الرد على هذا " الله كمـــا يعتقد أخي شروش وكثير من المسيحيين في صورة بشر .... كيف انحرفوا عن الطريق المستقيم ، يعزون إلى الله طبيعة حيوانية أنه كالبشر ، فنحن مخلوقون على صورة . أي صورة ؟ هذه الصورة صورة قرد، كلنا قرود محسنة ، فبعضنا يشبه الشمبانزي ، والبعض الآخر يشبه السعدان ، والبعض يشبه الغوريلا . أهذه الصـــورة الـــتي يتحدث الله عنها ... إذن يجب أن يكون له أسنان ولسان وحنجرة ... كيف تنزلون الله هذه المنزلة الوضيعة وتشبهونه بالبشر " . [2]

فقول ديدات بأننا صورة محسنة عن القرود يوهم بأنه داروييي ، وهو بالطبع ليس كذلك ، فهو مؤمن بالقرآن الذي تحدث عن خلق آدم من طين .

وســـواء أراد من قوله ذاك استغلال شيوع فكرة الداروينية بين المستمعين أو أنه أراد أن يجعل لعقيدة التجســـد صورة منفرة يشمئز منها الذوق ، أياً كان فإن هذا الكلام غير مقبول ، ونحمله على أنه فلتة لسان منه غفر الله له .

كمـــا أنـــه ثمة موضوعات لا يمكن للسامع أن يعيها إلا من خلال دراسة مطولة لا يتسع مجال ووقت المـــناظرة لإثباتها إذ قد يلزم طرح الكثير من المقدمات دونها ، ولضيق الوقت وجهل الجمهور بالمقدمات يبقى الســـؤال من غير إجابة شافية ، ومنه السؤال الذي وجه لديدات عن سبب إحراق عثمان للمصاحف [3] ، فبـــيان هذا الأمر بما يشفي يستلزم مباحث مطولة عن الأحرف السبعة ومعناها كما كتابة المصحف في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ..... وذلك كله لا يتيسر في مدة الدقائق المعدودة الممنوحة للسؤال .

---

(١) انظر : القرآن الكريم والكتاب المقدس. أيهما كلمة الله ؟ أحمد ديدات ، ص ٩٦ – ١٢٢ .

(٢) المـــناظرة الكبرى بين الشيخ أحمد ديدات والقس أنيس شروش ، ترجمة رمضان الصفناوي ، ص ٨٦ ، وأنبه هنا إلى أن الجوهري أغفل هذا النص فلم يترجمه ضمن ترجمته للمناظرة .

(٣) انظر : المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ١٢٢ .

الباب الثالث :

جهود علماء المسلمين

في الرد على النصارى

في القرن الرابع عشر الهجري

الفصل الأول :

عقائد النصرانية

(ألوهية المسيح و التثليث)

المبحث الأول: ألوهية المسيح.

﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل و أمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾[1] ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه و جعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾ [2] ﴿ و قالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً * تكاد السموات يتفطرن منه و تنشق الأرض و تخر الجبال هداً * أن دعوا للرحمن ولداً * و ما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * إن كل من في السموات و الأرض إلا آتي الرحمن عبداً * لقد أحصاهم و عدهم عداً * و كلهم آتيه يوم القيامة فرداً ﴾ [3].

توضح الآيات بجلاء و وضوح معتقد المسلمين في المسيح عليه السلام ،فهو رسول أرسله الله لهداية الناس كما أرسل كثيرين قبله و محمداً بعده.

أما النصارى فيقولون ببنوته لله و يقول بعضهم بأنه الله فمن أين استدلوا لهذا المعتقد،و هل في كتبهم ما يؤيد ذلك ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[4].

و أتى القوم ببرهانهم، فقد تذرعوا بما جاء في كتبهم من نصوص رأوا أنها تؤله المسيح فألهوه، وانبرى علمائنا في تفحص هذه النصوص التي لا يسلمون بقداستها أصلاً، لكنهم تنزلوا في سبيل الكشف عن الحقيقة فكان هذا الجهد في مطلبين:

الأول: الأدلة النصية للنصارى على ألوهية المسيح.

الثاني: الأدلة العقلية للنصارى على ألوهية المسيح.

---

(١) سورة المائدة، آية:٧٥.

(٢) سورة الزخرف، آية:٥٩.

(٣) سورة مريم، آية:٨٨-٩٥.

(٤) سورة الأنبياء،آية:٢٤ .

المطلب الأول:أدلة النصارى على ألوهية المسيح.

تؤمن الفرق النصرانية- على اختلافها في طبيعة المسيح-تؤمن بأن المسيح إله متجسد، و تؤيد دعواهـا بعشرات النصوص التي وردت في العهد الجديد أو القديم، و تتحدث عن إلهيته ، منها النصوص التي سمته ربا و إلها أو ابنا لله، و منها النصوص التي أفادت أن فيه حلولا إلهيا، و منها النصوص التي أضافت خلق المخلوقات إليه ثم ما ظهر على يديه من معجزات إلهية كتنبؤه بالغيب و إحيائه الموتى...[1]

فهذه المسائل كلها تدل على ألوهية المسيح، كما أن البعض من النصارى قد يستدل ببعض الدلالات العقلية في هذه المسألة التي لا مدخل للعقل في إثباتها. و لذا فإن هذا البعض كاد أن يكون نادرا.

و رغم أن جميع ما يحتج به النصارى في هذه المسألة لا يسلم المسلمون بصحته، بل يجزمون بتحريف كثير منه، رغم ذلك فإن علماءنا درسوا دلالة النصوص التي أوردها النصارى، و رأوا أن لا حجة فيها و لا متعلق في مسألة ألوهية المسيح.

و سجل علماؤنا ملاحظات هامة في هذا الباب:-

*أنه لا يوجد نص واحد في الكتاب المقدس يصرح فيه المسيح بألوهيته أو يطلب من الناس عبادته، و في هذا الصدد يتحدى ديدات كبير قساوسة السويد قائلا:"أضع رأسي تحت مقصلة لو أطلعتموني على نص واحد قال فيه عيسى عن نفسه: أنا إله. أو قال: اعبدوني".

و في المقابل توجد عشرات النصوص المصرحة بعبوديته لله عز و جل ،و يعترف النصارى بعدم وجود هذا الدليل الصريح، و يتلمسون لذلك الأعذار، فيقول القس شروش مبررا اختفاء هذا النص الصريح: إن ملكة بريطانيا لا تحتاج إذا دخلت مكانا أن تقول بأنها ملكة بريطانيا. و هذا صحيح لأن أحدا لا ينازع في كونها ملكة لبريطانيا و الكل يعرف ذاك، لكن شأن المسيح شأن آخر.

و يورد كتاب" شمس البر" تبريرا آخر فيقول:"لأنه لو قال: أنا الله. يجمع إلى إقنومه أقنوم الأب و الروح، و هما معه أقنومان ممتازان في اللاهوت، بل قال: أنا ابن الله، لنعرف نسبة الأزلية إلى الأقنوم الأول"

و لا ريب أن مثل هذا يقعد عن مرتبة الجدال و الحجاج.

أما القس فندر فيقول في كتابه"مفتاح الأسرار" مبررا عدم تصريح المسيح بألوهيته في العهد الجديد:"ما كان أحد يقدر على فهم هذه العلاقة و الوحدانية قبل قيامه و عروجه...فلو قال صراحة لفهموا أنه إله بحسب الجسم الإنساني...إن كبار ملة اليهود أرادوا أن يأخذوه و يرجموه ،و الحال أنه ما كان بين ألوهيته بين أيديهم إلا عن طريق الألغاز".

---

(١) انظر كلام القس شروش و القس شوبرج في مناظرتيهما لديدات، و كذا ما نقله السقا عن إلياس مقار. انظر أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا، ص١٠٩-١٢٢، مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ١١٣-١١٨،١٥٦، مناظرة العصر،أحمد ديدات،ص ٤٩-٥٧، ٨٠.

وبالفعل لو كان المسيح قد ادعى الألوهية لاستحق القتل بموجب الشريعة التوراتية(انظر التثنية ١٣/١-٥)، وحينئذ يجب على النصارى أن يوافقوا اليهود في قتلهم المسيح .

و يرى رحمة الله الهندي و الألوسي هذا الكلام متهافتا إذ عدم الفهم من التلاميذ لألوهية المسيح لا علاقة له بالقيامة فلو صح أنهم فهموه بعد القيامة فلم غاب عنهم قبلها؟

و أما الخوف من اليهود فلا يقبل نسبته للإله أو حتى للمسيح الذي رأيناه يواجه اليهود مررا فيقول:"الويل لكم أيها الكتبة و الفريسيون المراءون...أيها العميان...لأنكم تشبهون القبور المكلسة، أيها الحيات و الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم" (متى ٢٣/١٣-٣٤)،فكيف له بعد ذلك أن يغمض على البشرية في إظهار حقيقته، ففي ذلك إضلال و تلبيس[1].

* ثم إن أقوى ما يتعلق به النصارى من الدليل لا يوجد إلا في إنجيل يوحنا و رسائل بولس، بينما تخلو الأناجيل الثلاثة من دليل واضح ينهض في إثبات ألوهية المسيح.

بل إن خلو هذه الأناجيل عن الدليل هو الذي دفع يوحنا –أو كاتب يوحنا–لكتابة إنجيل عن لاهوت المسيح، فكتب ما لم يكتبه الآخرون، و جاءت كتابته مشبعة بالغموض و الفلسفة الغريبة عن بيئة المسيح البسيطة التي صحبه بها العوام من أتباعه.

و رغم ذلك فإن ممدوح جاد يعتبر أن هذا الإنجيل "متهم ظلما بلاهوت المسيح" إذ هو مليء بما يثبت بشرية المسيح و إن توهم من بعض مجازاته و غموضه ألوهية المسيح. و يرى رحمة الله الهندي أن ما جاء في هذا الإنجيل لا يخرج عن أمور ثلاثة:

١–قسم لا دلالة فيه و تعلقهم فيه مجرد زعم.

٢– قسم وجه الدلالة فيه تفاسير النصارى و تأويلهم الذي لا يوافقون عليه.

٣–قسم به الدلالة على ألوهية المسيح لكن يجب تأويله باتفاق بيننا و بينهم، و نوجب أن يكون التأويل بما لا يخالف البراهين و النصوص.

*إن عدم الدليل الصحيح جعل النصارى يحرفون في طبعات الأناجيل و من ذلك إضافتهم نص التثليث الصريح الوحيد في (يوحنا (١) ٥/٧) و أيضا جاء في تراجم الإنجيل الجديدة في وصف المسيح "المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلها مباركا إلى أبد الآبدين"(رومية ٩/٥).

و النص حسب ترجمة الملك جيمس– و التي عنها ترجم الكتاب المقدس إلى اللغات العالمية– يغاير

---

(١) انظر:تعليق على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة النصب الراسي"،لوحة ١١ب،إظهار الحق،رحمة الله الهندي،تحقيق:محمد أحمد ملكاوي،ط١،دار الحديث،القاهرة،١٤٠٤هـ، ٣/٧١٨-٧٢٤،الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي،ط١،دار البيان العربي،القاهرة،١٤٠٨هـ، ١/١٨٩-١٩٠،سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ط١،١٣٩٠هـ،ص ٣٥٢-٣٥٤،براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ط١،دار الكتاب الحديث،١٤٠٩هـ،ص ٥٧،مناظرة العصر،أحمد ديدات،ص ٦٠-٦١،مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ١٣٥،دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،دار الفضيلة،القاهرة،ص ٢٣٥ .

فيقول:"حسب الجسد المسيح الذي فوق الجميع أيها الملك المبارك للأبد آمين" فالنص لا يصف المسيح إنما جاء في سياق دعاء الله عز و جل.

و مثله يلحظ ناسخ البحث الصريح تحريفا في قول بولس عن المسيح "الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع و طرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثا لكل شيء، الذي به أيضا عمل العالمين، الذي هو في بهاء مجده و رسم جوهره..."(عبرانيين ١/١-٣).

و النص محرف إذ هو في الترجمة العبرانية يتحدث فيه بولس عن المسيح،فيصفه بأنه:"لوكادها كابود"أي كالزهرة المجيدة،بينما تصفه التراجم العربية المترجمة عن اليونانية بأنه" بهاء مجده " ،وتعود بالضمير إلى الله عز وجل،ثم تصف المسيح بأنه "رسم جوهره"والمفروض أن يعود الضمير-إذا صحت الترجمة-على كوكب الزهرة .

و مثله في قول بولس "الله ظهر في الجسد" (تيموثاوس(١)٣/١٦) فالفقرة كما قال المحقق كريسباخ: محرفة، إذ ليس في الأصل كلمة "الله" بل ضمير الغائب "هو" و من الممكن أن يعود على الله أو على غيره.

و مثله جاء في التراجم القديمة"عظيم هو سر التقوى الذي ظهر في الجسد"فأحالته الترجمات الحديثة إلى دليل على الحلول فقالوا:"عظيم هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد" (تيموثاوس(١)٣/١٦).[1]

*كما أن عدم الدليل في هذه المسألة جعل النصارى يصدرون بقول جديد مفاده أن المسيح لم يعلن ألوهيته لتلاميذه في بدء دعوته، بل تدرج بهم حتى كشف لهم عنها بعد قيامته.

و من القائلين بهذا الرأي بترسمث في كتابه الشهير"سيرة المسيح الشعبية"، فيقول عن مريم و موقفها من ابنها "هل حسبته إلها ابن الآب الأزلي... إن رواية الإنجيل تجعل هذه الفكرة محالة، كما أن العقل لا يسلم بها، و إلا كيف استطاعت أن تؤنبه على توانيه في الهيكل مع أحبار و علماء اليهود؟ و كيف عالجت شؤونه كلها كطفلها الخاضع لها...

كلا إن العذراء لم تفكر في ولدها كإله... لم تدرك سر ألوهيته الهائل الذي لم تفطن إليه و لم تعرفه إلا مؤخرا، و حتى التلاميذ أنفسهم لم يدركوا هذا السر الهائل إلا قبيل نهاية حياته...لكنهم لم يفطنوا إليه و يدركوه تماما إلا بعد موته و قيامته و صعوده بمجد و إرساله الروح القدس.

عندئذ أخذوا يرجعون بذكرياتهم إلى الوراء خلال ثلاث سنوات تقضت في صحبته، و يتعجبون كيف أمسكت عيونهم عن معرفة ما عرفوه الآن"

إذن كانت ألوهية المسيح استنتاجا عقليا توصل إليه التلاميذ بعد رفع المسيح.

لكن سمث يتحدث عن ومضات أشار بها المسيح إلى ألوهيته من غير تصريح فيقول "فإنه كإنسان اكتسب عقلهم و إعجابهم و احترامهم، و تدريجيا أخذت أحاسيسهم تتعمق و تزداد في الدهشة و الرهبة،

---

(١) انظر:تعليق على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة النصب الراسي"،لوحة ٩أ ،إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٢/٤٦٠ ،المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حاد،١٣٩٣هـ،ص ٩٨،١٢٦-١٢٧ .

في الحيرة و التردد، و قد حاروا في أمرهم، و لم يرد هو ما غمض عليهم، لكنه تحفظ بالسر الإلهي، حتى عند من لحوا وميضا منه منعهم من أن يتكلموا، و حتى بعد التجلي أمرهم أن يصمتوا إلى يقوم ابن الإنسان من الأموات، و لم يبدأ بإعلان ذاته إلا قبيل نهاية حياته...و لم يشرف عليهم فجر هذا الإعلان إلا بعد القيامة و الأربعين يوما التي قضاها مترددا عليهم".[1]

وهذه الدعوى من النصارى تثور في وجهها تساؤلات عدة منها: لم أخفى المسيح هذه الحقيقة ؟ و لم لم يعلنها منذ اليوم الأول ؟ إن إخفائه المزعوم جعل الكثيرين –من معاصريه و من بعدهم من الذين تسميهم الكنيسة بالهراقطة– يقولون ببشريته و حق لهم ذلك.

و نتساءل هل كان إخفائه لحقيقته خوفا من اليهود؟ كيف يخاف و هو رب العالمين الذي نزل ليصلب؟

و نتساءل ماذا إذن عن النصوص التي أوردها يوحنا في بداية بعثة المسيح و تتحدث بما يعتبره النصارى أدلة على الألوهية كما في ١٠/٣-١٨ ،و٩/٤-١٤،و٣٢/٦-٣٨ ،و٦١/٦-٦٢ ،فكيف سطر يوحنا ذلك؟

ثم إن المتتبع لآخر أحاديث المسيح لا يجد أي مفارقة عما سبق الصلب من أقوال كما لا يجد في أحوال التلاميذ ما يدل على أنهم اكتشفوا ما لم يدروه من قبل ،فلوقا يذكر أن المسيح على الصليب قال:"يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون"(لوقا ٣٤/٢٣)، و كان ينبغي أن يجهر فيقول :سأغفر لكم .لكنه بشر يعجز عن ذلك، و أيضا قال للص المصلوب:"تكون معي في الفردوس"(لوقا ٤٣/٢٣)، و لو كان إلها لقال:أنعمت عليك بالفردوس.

و ها هو المسيح بعد القيامة يقول:"إني ذاهب إلى أبي و أبيكم و إلهي و إلهكم"(يوحنا ١٧/٢٠)، و ها هم تلاميذه بعد القيامة يعتبروه إنسانا فقط فيقول اثنان منهم :"الناصري الذي كان إنسانا نبيا مقتدرا في الفعل و القول أمام الله و أمام الناس" (لوقا ١٩/٢٤)، و كذلك قال عنه بطرس بعد رفعه"يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من الله بقوات و عجائب"(أعمال ٢٢/٢)، و قال في مرة أخرى"يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس و القوة..."(أعمال ٣٨/١٠)[2].

و نقول هنا إن مجرد الحديث عن تدرج إعلان ألوهية المسيح يطعن في كل ما تورده النصارى من أدلة على ألوهية المسيح من التوراة و الأناجيل ،إذ هذه الأدلة كلها و غيرها لم يجعل تلاميذه يقولون بألوهيته، فهم عندما أسموه ابن الله أو الرب أو الله ما كانوا يقصدون الحقيقة ،إنما كانوا يريدون المجاز، و هكذا في جميع ما يتعلق به النصارى في موضوع ألوهية المسيح.

---

(١) دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ط٢،مكتبة علاء الدين،الاسكندرية،١٩٧٢م،ص ٤٢٩-٤٣٢،وانظر :المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ١٢.

(٢) انظر: دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٤٧١-٤٧٦، ٤٧٣، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ١٢،٢٧.

نصوص نسبت إلى المسيح الألوهية و الربوبية

و يستمسك النصارى بالألفاظ التي أطلقت على المسيح لفظ الألوهية و الربوبية، و يرونها دالة على ألوهية المسيح و من ذلك ما اعتبروه نبوءة عنه في إشعيا "يدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا"(أشعيا٩/٦) ومثله قول بولس "المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلها مباركا إلى الأبد"(رومية٩/٥) و قول توما للمسيح:"ربي و إلهي "(يوحنا ٢٠/٢٨)، قال بطرس له:"حاشاك يا رب"(متى ١٦/٢٢)، و قال أيضا:"هذا هو رب الكل"(أعمال ١٠/٣٦)، و جاء في سفر الرؤيا عن المسيح" و له على ثوبه و على فخذه اسم مكتوب :ملك الملوك و رب الأرباب"(الرؤيا ١٧/١٤) و غير ذلك من النصوص مما أطلق على المسيح كلمة رب أو إله، فدل ذلك عندهم على ألوهيته و ربوبيته.

لكن هذه الإطلاقات ما كان لها أن تجعل من المسيح ربا وإلها ،إذ كثير منها ورد في باب التسمية،وتسمية المخلوق إلها لا تجعله كذلك.فقد سمي بولس و برنابا آلهة لما أتيا ببعض المعجزات"فالجموع لما رأوا ما فعله بولس رفعوا أصواتهم قائلين:إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا."(أعمال ١٤/١١)،فقد كان من عادة الرومان تسمية من يفعل شيئا فيه نفع للشعب :إلها،و لا تغير التسمية في الحقيقة شيئا،وقد سمي إسماعيل باسم عبراني معناه"الله يسمع"،ومثله يهوياقيم أي "الله يرفع"،ويهوشع "الرب خلص"،وغيرهم ... و لم تقتض أسماؤهم ألوهيتهم.

وجاء في سفر الرؤيا:"من يغلب فسأجعله في هيكل إلهي ،ولا يعود يخرج إلى خارج،وأكتب عليه اسم إلهي واسم مدينة إلهي- أورشليم الجديدة -النازلة من السماء من عند إلهي واسمي الجديد" (الرؤيا ٣/١٢)، وجاء في التوراة:"فيجعلون اسمي على بني إسرائيل"(العدد ٦/٢٧).

فكما أطلق إرمياء على المسيح "الرب برنا"(إرمياء٢٣/٦)أطلقه أيضا على أورشليم في(إرمياء ٣٣/١٤-١٦)،وسماها حزقيال:"يهوشمة"(حزقيال ٤٨/٣٥)وهي كلمة عبرانية معناها:"الرب برنا"،وترجمها قاموس الكتاب المقدس:"الرب هناك".[1]

ثم إنا لا نسلم بصحة صدور تلك العبارات من التلاميذ،فقد كانت محلا للتحريف المقصود كما وقع في(يوحنا (١)٥/٧-٨)،كما قد يقع التحريف بسبب سوء الترجمة وعدم دقتها،فكلمة "الرب"التي ترد كثيرا في التراجم العربية كلقب للمسيح هي في التراجم الأجنبية بمعنى: "السيد"أو"المعلم"،فالمقابل لها في الترجمة الإنجليزية هو:lord،و معناها: السيد، و في الفرنسية :"le mait "،و معناها :المعلم، و هكذا في سائر التراجم كالألمانية والإيطالية و الأسبانية.

و ما أتت به الترجمة العربية ليس بجديد، بل هو متفق مع طبيعة اللغة التي نطق بها المسيح و معاصروه

---

(١) انظر سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ١٥٥-١٦٤،النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ط١،دار القلم،دمشق،١٤١٦هـ،ص ٨٩-٩٣،قاموس الكتاب المقدس،لمجموعة من العلماء اللاهوتيين،دار الثقافة،ص١٠٩٧

فكلمة"رب"عندهم تطلق على المعلم، و تفيد نوعا من الاحترام و التقدير كما قالت المرأة السامرية للمسيح:"يا رب أرى أنك نبي"(يوحنا ٤/١٩).

و في إنجيل يوحنا أن المسيح كان يخاطبه تلاميذه :يا رب، و مقصودهم: يامعلم، فها هي مريم المجدلية تلتفت إليه و تقول:" ربوني الذي تفسيره: يا معلم...و أخبرت التلاميذ أنها رأت الرب"(يوحنا ٢٠/١٦-١٧)، و خاطبه اثنان من تلاميذه:"رب الذي تفسيره: يا معلم"(يوحنا ١/٣٨).

و لم يخطر ببال أحد من التلاميذ المعنى الاصطلاحي لكلمة الرب حين أطلقوها على المسيح ، فقد كانوا يريدون :المعلم و السيد، و لذلك شبهوه بيوحنا المعمدان حين قالوا له:" يا رب علمنا أن نصلي كما علم يوحنا تلاميذه"(لوقا ١١/١). يقول برادلي :"الحواريون لم يؤلهوا عيسى، إنما كانوا يطلقون عليه: lord ، وهي كلمة منقولة عن أصل إغريقي بمعنى "السيد"، ثم تغير معناها عند الأقباط بعد ذلك فصارت تعني :"الرب" أيضا"

و أما قول توما للمسيح "ربي و إلهي" فهو لم يقع منه في مقام الخطاب للمسيح، بل لما رأى المسيح حيا و قد كان يظنه ميتا استغرب ذلك فقال متعجبا :"ربي و إلهي"(يوحنا ٢٠/٢٨)، و مما يؤكد صحة هذا الفهم أنه أخبر في نفس السياق بأنه سيصعد إلى إلهه (انظر يوحنا ٢٠/١٧)، و عليه فالألوهية هنا لو أريد بها المسيح فهي مجازية غير حقيقية.

و استعمال لفظة الرب بمعنى :السيد شائع في اللغة اليونانية يقول ستيفن نيل:"إن الكلمة اليونانية الأصلية التي معناها:"رب" يمكن استعمالها كصيغة للتأدب في المخاطبة، فسجان فليبي يخاطب بولس وسيلة بكلمة"سيدي" أو "رب" (انظر أعمال ١٦/٣٠)...و كانت اللفظة لقبا من ألقاب الكرامة... و لهذا السبب ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ "الرب"أطلق أولا على يسوع في الجماعات الأممية الناطقة باليونانية، وذلك لأنه هو الوصف الذي خلعوه على آلهتهم قبل أن يعتنقوا المسيحية"[1].

ثم لو صح الإطلاق و الترجمة فإنه ليس من دلالة للفظ على ألوهية المسيح، فإطلاق كلمة الرب و الإله معهود على المخلوقات، و قد وردت نصوص مختلفة في ذلك منها(الخروج ٧/١،المزمور ٨٢/١،٦،١٣٥/٥،يوحنا ١٠/٣٤)،و منه أيضا إطلاق لفظة "الرب" و الإله" على الملائكة فقد جاء في سفر القضاة و هو يحكي عن ظهور ملاك الرب لمنوح و زوجه" و لم يعد ملاك الرب يتراءى لمنوح وامرأته، حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب، فقال منوح لامرأته:نموت موتا لأننا قد رأينا الله"(القضاة١٣/٢١-٢٢)

---

(١) انظر:إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٠٠، ٧١٢_٧١٣، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ١٤٣، ما هي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ١٣٧، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ١٤٤،٣٧، ١٧٠، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،تحقيق:عبد الرحمن دمشقية،مكتبة الحرمين،ص ٨٢، قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد ٢/٢٢٠-٢٢١، النصرانية،مصطفى شاهين،دار الاعتصام،ص ١٣٥-١٣٦، المسيح إنسان أم إله،محمد مجدي مرجان،ص ١٧٣-١٧٥، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ٣،٣٥،٨٤-٨٥، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة،محمد أبو الغيط الفرت،ط١،دار الطباعة المحمدية،١٤١٠هـ،ص ١١٨، الإنجيل ،محمد شلبي شتيوي،ط١،دار الفلاح،الكويت،١٤١٦هـ،ص ٥٩، الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام،أميمة الشاهين،دار زهراء الشرق،القاهرة،ص ٢٣١.

و مراده ملاك الله.

و ظهر ملاك الله لسارة و بشرها بإسحاق"و قال لها ملاك الرب...فدعت اسم الرب الذي تكلم معها:أنت إيل رئي"(التكوين ١٦/١١-١٣)فأطلقت عليه اسم الرب.

و أطلق اللفظ على الأنبياء فقد قال الله لموسى عن أخيه هارون"هو يكون لك فما، و أنت تكون له إلها" (الخروج٤/١٦)، و قد عهد تسمية الأنبياء الله مجازا أي رسل الله فقد"كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله: هلم نذهب إلى الرائي. لأن النبي اليوم كان يدعى سابقا الرائي" (صموئيل(١)٩/٩).

و أطلقت لفظة "الله"و أريد منها القضاة، لأنهم يحكمون بشرع الله، ففي سفر الخروج"إن قال العبد...يقدمه سيده إلى الله، و يقربه إلى الباب..."(الخروج٢٠/٥-٦)، و في السفر الذي يليه فيه"و إن لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت إلى الله ليحكم هل لم يمد يده إلى ملك صاحبه...فالذي يحكم الله بذنبه يعوض صاحبه"(الخروج ٢٢/٨-٩)، و في سفر التثنية "يقف الرجلان اللذان بينهما الخصومة أمام الرب أمام الكهنة"(التثنية١٩/١٧).

و قد سمى بولس الشيطان إلها، كما سمى البطن إلها، و أراد المعنى المجازي فقال عن الشيطان: "إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح"(كورنثوس(٢)٤/٥)، و قال عن الذين يتبعون شهواتهم و نزواتهم"الذين إلههم بطنهم، و مجدهم في خزيهم..." (فيلبي٣/١٩).

و جاء في الترجمة العبرية عن قايين ابن آدم "و ولدت له قايين، و قالت اقتنيت رجلا الذي هو الرب" و في الترجمة العربية"من عند الرب"(التكوين ٤/١)[(١)].

و يؤكد رحمة الله الهندي و هو يورد الكثير من هذه الإطلاقات بأن هذه اللغة في الاستعارة والمجاز معهودة جدا في التوراة كما قال كتاب "مرشد الطالبين":و أما اصطلاح الكتاب المقدس فإنه ذو استعارات وافرة غامضة خاصة العهد العتيق...و اصطلاح العهد الجديد أيضا هو استعاري جدا، و خاصة مسامرات مخلصنا، و قد اشتهرت آراء كثيرة فاسدة لكون بعض معلمي النصارى شرحوها شرحا حرفيا..."[(٢)]

و إن تعلق النصارى بهذه الألفاظ:"الرب" و "الإله" عندما أطلقت على المسيح قد أريد بها ألوهية حقيقية بدليل فهم السابقين لها، فإن رحمة الله الهندي يرد هذا الاعتراض بذكر نصوص كثيرة تشهد لخطأ الفهم الذي وقع به التلاميذ و الاستغلاق الذي وقعوا فيه في فهم بعض أقوال المسيح(انظر يوحنا ٣/١٣،٦/٣٢-٦٥، ٨/٢١-٥٢،١١/١١-١٤)و سوى ذلك من الأمثلة[(٣)].

كما أن المسيح و هو يسمع بمثل هذه الاستعارات و الآلهة المجازية أوضح بأن هناك إلها حقيقيا واحدا

---

(١) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٦٦-٧٠٨، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/١٧٥-١٧٧، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ١٣١-١٥٤، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٣٥، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٧٩-٨٨.

(٢) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٠٢، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/١٧٨.

(٣) انظر:إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٠٨-٧١٢.

هو الله فقال:"الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت، أنت الإله الحقيقي وحدك، و يسوع المسيح الذي أرسلته"(يوحنا١٧/٣)[1].

نصوص بنوة المسيح لله.

و تتحدث نصوص إنجيلية عن المسيح ابن الله يتمسك بها النصارى، و يستدلون بها على ألوهية المسيح فهل يصح هذا الاستدلال؟

أول ما يلفت علماؤنا النظر إليه أنه لم يرد عن المسيح-في الأناجيل- تسميته لنفسه بابن الله سوى مرة واحدة في يوحنا ١٠/٣٧، و فيما سوى ذلك فإن الأناجيل تذكر أن معاصريه و تلاميذه كانوا يقولون بأنه ابن الله، و يذكر الخولي باستغراب بأن أول من نادى المسيح بهذا اللقب هما المجنونان الهائجان الخارجان من القبور (انظر متى٨/٢٩).

لكن المحققين يشككون في صدور هذه الكلمات من المسيح أو تلاميذه، يقول سنجر في كتابه "قاموس الإنجيل":ليس من المتيقن أن عيسى نفسه قد استخدم ذلك التعبير".

و يقول شارل جنيبر:"المسيح لم يدع قط أنه المسيح المنتظر، و لم يقل عن نفسه بأنه ابن الله، فهذه لغة استخدموها المسيحيون فيما بعد في التعبير عن عيسى".

و تقول دائرة المعارف الكتابية و هي تبرر عدم استخدام هذا اللقب في الإصحاحات الأولى من سفر أعمال الرسل (١-١٢) فتقول "التفسير الوحيد لذلك هو أن الكنيسة الأولى في أورشليم-فيما قبل بولس-كانت تفضل عدم استخدامه... لعل استخدام هذا اللقب في الكرازة لليهود كان يثير حفيظتهم و يؤدي إلى الاصطدام بهم، و هو الأمر الذي كانت تحاول الكنيسة في أيامها الأولى-قبل استشهاد استفانوس-أن تتجنبه:كانوا يذكرون تحفظ يسوع في استخدامه كما يظهر ذلك في إنجيل مرقس".

و قد تناسى أصحاب هذا القول شيوع لفظة البنوة في الفكر اليهودي، و يراد بها المعنى المجازي، فالتوراة تجعل شعب إسرائيل كله أبناء لله.

لكن ما قاله العالم كولمن بخصوص هذا اللقب كان أكثر دقة فقد قال:"إن الحواريين الذين تحدث عنهم أعمال الرسل تأسوا بمعلمهم الذي تحفظ على استخدام هذا اللقب و لم يرغب به فاستنوا بسنته" وهذا كما ترى أميمة الشاهين دال على عدم أهمية هذا اللفظ من الناحية العقدية و أنه لفظ مجازي أريد منه الثناء على المسيح فحسب.

و يرى جنيبر أن المفهوم الخاطئ وصل إلى الإنجيل عبر الفهم غير الدقيق من المتنصرين الوثنين فيقول:"مفهوم "ابن الله" نبع من عالم الفكر اليوناني".

و يوضح القس السابق سليمان مفسر كيف وجدت عبارة "ابن الله"و ذلك بالعود إلى الأصل اليوناني

---

(١) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ١٤٢.

للكلمة pais و معناها "ولدا" أو "ابن" بمعنى خادم أو مرافق أو وكيل. و لم تكن هـذا اللفـظ و بالمعنى المجازي لتثير مشكلة عند اليهود لكن حين دخل الوثنيون في المسيحية ضاعت دلالة اللفظة، و فسـرت تفسيرا هيلينيا(١).

و يرى مصطفى شاهين أن بولس هو أول من استعمل الكلمة، و كانت حسب لغة المسيح (عبـد الله) و ترجمتها اليونانية servant فأبدلها بالكلمة اليونانية pais بمعنى طفل أو خادم تقربا إلى المتنصرين الجدد مـن الوثنيين(٢).

ثم أن هذا اللفظ الذي أطلق على المسيح أطلق على كثـيرين ،منـهم آدم الـذي قيـل فيـه"آدم ابن الله"(لوقا ٣/٣٨)، و سليمان فقد جاء في سفر الأيام "هو يبني لي بيتا ..أنا أكون له أبا ، و هو يكـون لي ابنا"(الأيام (١)١٧/١٢-١٣)، كما سمي الملائكة أبناء الله "مثل الملائكة و هم أبناء الله "(لوقا ٢٠/٣٦).

كما يطلق هذا اللقب على الشرفاء والأقوياء (انظر التكويـن ٢/٦،٦/٤،المزمـور ٢٩/١، أيـوب ١/٦)، و من الممكن أن يعم كل شعب إسرائيل (انظـر هوشـع ١/١٠،١١/١، إشـعيا ٣٠/١،٤٣/٦)، ويمكن أيضا أن يعم كل نصراني على وجه الأرض (انظر المزمور ٨٩/٦، متى ٥/٩)، و عليـه فـلا يمكـن النصارى أن يجعلوا من النصوص المختصة بالمسيح أدلة على ألوهيته ثم يمنعوا إطلاق حقيقة اللفـظ علـى آدم وسليمان و ... فتخصيصهم المسيح بالمعنى الحقيقي يحتاج إلى مرجح.

و يؤكد علماؤنا أن المعنى المقصود للبنوة في كل ما قيل عن المسيح و غيره إنما هو معنا مجازي بمعـنى حبيب الله أو مطيع الله.لذلك قال مرقس وهو يحكي عبارة قائد المائة الذي شاهد المصلـوب وهـو يمـوت فقال:"حقا كان هذا الإنسان ابن الله "(مرقس ١٥/٣٩)،ولما حكى لوقا القصة نفسها أبدل العبارة بمرادفـها فقال:"بالحقيقة كان هذا الإنسان بارا"(لوقا ٢٣/٤٧)،ومثل هذا الاستخدام وقع من يوحنا حين تحدث عـن أولاد الله فقال:"وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا :أولاد الله.أي المؤمنـين باسمـه"(يوحنـا ١/١٢) ومثله يقول :"الذي يسمع كلام الله من الله"(يوحنا ٨/٤٧).

و مثل هذه الإطلاق المجازي للبنوة معهود في الكتب المقدسة التي تحدثت عن أبناء الشيطان، و أبنـاء الدهر(الدنيا)...(انظر يوحنا ٨/٤٤، لوقا ١٦/٨).

و هذا الاستخدام المجازي معروف حتى عند الأمم السابقة لليهوديـة و النصرانيـة، فقـد جـاء في ابتهالات اخناتون الموحد المصري "أنت في قلبي، و لا أحد يعرفك غير ابنك اخناتون"(٣).

---

(١) انظر: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شـلبي،ص ٢٦٣-٢٦٤، عيسـى رسـول الإسـلام، سـليمان مفسر،ص٤٤-٤٧، المسيح إنسان أم إله،محمد مجدي مرجان،ص ١٨٦، الغفران بين الإسلام والمسيحية،إبراهيـم خليـل أحمد،ط١،دار المنار،القاهرة،١٤٠٩هـ،ص ١٠٠، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ٣١.

(٢) انظر: النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٤٧،الخطيئة الأولى بين اليهودية و المسيحية و الإسلام، أميمة الشـاهين، ص١٢٥-١٢٧.

(٣) انظر إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٥٢-٧٥٨، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسـي ١/٢٠١-٢٠٤، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي البغدادي،ص ٦٤-٧٥،٢٠٠-٢٠١، دين الله في كتب أنبيائه،محمد صدقي

لكن النصارى يرون تميزا مستحقا للمسيح في بنوته عن سائر الأبناء، فهم لا ينازعون في صحة الإطلاق المجازي عندما ترد لفظ البنوة بحق سائر المخلوقات.

لكن النزاع إنما يكمن في تلك الأوصاف التي أطلقت على المسيح ويثبتها النصارى على الحقيقة محتجين بأمور، منها: أنه قد جاء وصف المسيح بأنه الابن البكر أو الوحيد لله (انظر عبرانيين ١/٦،يوحنا٣/١٨) أو أنه سمي ابن الله العلي(انظر لوقا ١/٣٢،٧٦)، أو أنه ابن ليس مولودا من هذا العالم كسائر الأبناء بل هو مولود من السماء، أو من فوق (انظر يوحنا ١/١٨) و لكن ذلك كله تثبت النصوص أمثاله لأبناء آخرين.

فالبكورية وصف بها إسرائيل" إسرائيل ابني البكر" (الخروج ٤/٢٢-٢٣)، و كذا افرايم "لأني صرت لإسرائيل أبا، و افرايم هو بكري"(إرميا ٣١/٩)، و كذا داود "هو يدعوني: أنت أبي و إلهي وصخرة خلاصي، و أنا أيضا أجعله بكرا، فوق ملوك الأرض عليا"(المزمور ٨٩/٢٦-٢٧).

و لئن قيل في المسيح أنه ابن الله العلي فكذلك سائر أبناء بني إسرائيل "و بنو العلي كلكم" (مزمور ٨٢/٦)، و منهم تلاميذ المسيح " أحبوا أعداءكم...فيكون أجركم عظيما، و تكونوا بني العلي"(لوقا ٦/٣٥).

و لئن قيل بأن المسيح قد أتى من فوق أو من السماء و "الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع" (يوحنا ٣/٣١)، فالمقصود منه إتيان المواهب و الشريعة، و هو أمر يستوي به مع سائر الأنبياء و منهم يوحنا المعمدان فقد سأل المسيح اليهود "معمودية يوحنا من أين كانت من السماء؟ أم من الناس؟ ففكروا في أنفسهم قائلين:إن قلنا من السماء .فيقولوا لنا :فلماذا لم تؤمنوا به؟ و إن قلنا من الناس نخاف من الشعب..."(متى ٢١/٢٥-٢٦).

و المؤمنون بالمسيح مولودون من فوق بما أعطاهم الله من الإيمان فهم كسائر المؤمنين "الحق الحق أقول لكم إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله" (يوحنا ٣/٣)"كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله"(يوحنا (١) ٥/١).

أفندي،ط١،دار المنار،١٣٣٠هـ،ص ٢٣-٢٥، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ١١١-١١٥، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٨٠-٨٤، التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص٣٠-٣٢،١١١، قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد ٢/٢٢١، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٨٣-٨٤، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٤٤١-٤٤٣، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٢٩-١٣٤، رحلة في أرجاء الكتاب المقدس،مديحة خميس،ص ٢٠-٢٥، المسيح في الإسلام، أحمد ديدات،ترجمة:علي الجوهري، ص٦٤-٦٥، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ١٥٧، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٣٣-٣٧،٩٥، هل بشر المسيح بمحمد ؟ نبيل الفضل،ط١،مطبعة رباض الريس للكتب والنشر،١٩٩٠م،ص ٤٤-٤٥، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢١٨، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ط١،الدار السعودية للنشر،جدة،١٤١٣هـ،ص ٨٢-٨٣، الغفران بين الإسلام والمسيحية،إبراهيم خليل أحمد،ص ١٠٣-١٠٥، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ٨،٣١،٤٩، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ٩٤-٩٧.

و تسمي الأناجيل التلاميذ مولودين من الله أي مؤمنين به ففي يوحنا "و أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه"(يوحنا ١ /١٢)" أن كل من يصنع البر مولود منه"(يوحنا (١)٢/٢٩)، فالمقصود بالولاد الولاد الروحي" بحيث يتغير قلب الإنسان الخاطئ تغيرا عظيما كاملا مستمرا، كأنه ولد ثانية، و يحدث ذلك عند توبته و إيمانه".

و أما تسمية المسيح بالابن الحبيب فهي أيضا مما اشترك به مع الآخرين، فقد قيل في بنيامين" حبيب الرب يسكن لديه آمنا "(التثنية ٣٣/١٢)، و قال جبريل لدانيال:"أنا جئت لأخبرك أنك محبوب" (دانيال٩/٢٣)، و كذا سليمان "كان محبوبا عند إلهه"(نحميا ١٣/٢٦)، "فولدت ابنا فدعا اسمه سليمان، والرب أحبه، و أرسل بيد ناثان النبي و دعا اسمه يديديا من أجل الرب"(صموئيل(٢)١/١٤-٢٥)أي حبيب الرب.

و أما الحضانة التي تنسبها النصارى لله في حق عيسى فقد نسبتها الأسفار في حق آخرين كبنيامين" حبيب الرب، يسكن لديه آمنا يستره طوال النهار و بين منكبيه يسكن"(التثنية ٣٣/١٢)، و مثله جاء عن بني إسرائيل ":الذين حضنتهم وربيتهم، و أفناهم عدوي" (مراثي ٢/٢٢) و مثله كثير، فهذه كناية عن القرب و المكانة الرفيعة التي شارك فيها غيره فبطل تعلق النصارى بها على ألوهية المسيح[1].

نصوص الحلول الإلهي في المسيح.

و يرى النصارى أن بعض النصوص تفيد حلولا إلهيا في عيسى، و منها "لكي تعرفوا و تؤمنوا أن الآب في و أنا فيه"(يوحنا ١٠/٣٨)، و في موضع آخر "الآب الحال في "(يوحنا ١٤/١٠)، و منها قوله "الذي رآني فقد رأى الآب"(يوحنا ١٤/٩)، و قوله "أنا و الآب واحد"(يوحنا ١٠/٣٠).

فهذه النصوص أفادت أن المسيح هو الله أو أن فيه حلولا إلهيا حقيقيا.

و قد تتبع علماؤنا هذه النصوص فأبطلوا استدلال النصارى بها ،فأما ما جاءت من ألفاظ دلت على أن المسيح قد حل فيه الله-على ما فهمه النصارى- فإن فهمهم لها مغلوط .ذلك أن المراد بالحلول حلول مجازي كما جاء في حق غيره بلا خلاف ،ونقول مثله في مسألة الحلول في المسيح.

و هو ما أشارت إليه نصوص أخرى منها ما جاء في رسالة يوحنا "من اعترف بأن يسوع هو ابن الله، فالله يثبت فيه، و هو في الله، و نحن قد عرفنا و صدقنا المحبة التي لله فينا، و من يثبت في المحبة يثبت في الله، و الله فيه"(يوحنا(١)٤/١٥-١٦)و مثله في (يوحنا(١) ٣/٢٤) و (يوحنا(١)٤/١٢-١٣)

فقد أفادت هذه النصوص حلولا إلهيا في كل المؤمنين، و هذا الحلول هو حلول مجازي بلا خلاف

---

(١) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٥٩، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ٢٠٥، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ١٠٢-١٢٥، ٢٧٧-٢٧٨، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٨٤، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٤٤٧، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٤٤-٥٥، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٨٧.

و مثله الحلول في المسيح.

كما تذكر التوراة حلول الله–و حاشاه–في بعض مخلوقاته على الحقيقة، و لا تقول النصارى بألوهية هذه الأشياء، و من ذلك ما جاء في سفر الخروج "المكان الذي صنعته يا رب لسكنك" (الخروج ١٥/١٧)، و في المزامير"لماذا أيتها الجبال المسمنة ترصدون الجبل الذي اشتهاه الله لسكنه، بل الرب يسكن فيه إلى الأبد"(المزمور ٦٨/١٦).

و المعنى الصحيح لما جاء في (يوحنا ١٠/٣٨) أن الله يكون في المسيح أي بمحبته و قداسته و طاعته، و مثله مثل ما جاء عن حلول التلاميذ في المسيح في نصوص منها قوله لتلاميذه:" أنا الكرمة، و أنتم الأغصان، الذي يثبت في، و أنا فيه، هذا يأتي بثمر كثير" (يوحنا ١٥/٥)،أي :يحبني و يطيعني و يؤمن بي فهذا يأتي بثمر كثير[1].

و أما استدلال النصارى بقول المسيح "الذي رآني فقد رآني الآب" (يوحنا ١٤/٩) فقد أبطله علماؤنا بالعود إلى أصل السياق.

فالسياق من أوله يخبر عن أن المسيح قال لتلاميذه "أنا أمضي لأعد لكم مكانا، وإن مضيت وأعددت لكم مكانا آتي أيضا وآخذكم " وقصده بالمكان الملكوت .

فلم يفهم عليه توما فقال :" يا سيد لسنا نعلم أين تذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق " فقال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة "(يوحنا١٤/١-٦).

وعند تحليل النص يرى ديدات أن المسيح يحدث تلاميذه عن الطريق الموصل إلى الله وجنته، فظنوا أنه يحدث عن رحلة مكانية. ثم طلب منه فيلبس أن يريهم الله، فنهره المسيح وقال له:" ألست تعلم أني أنا في الأب ،والأب في، الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الأب الحال في هو يعمل الأعمال..."(يوحنا ١٤/١٠) أي كيف تسأل ذلك يا فلبس وأنت يهودي تعلم أن الله لا يرى، فالذي رآني رأى الآب "فالرؤية هنا معنوية بدليل أن عيسى لم يدع قط أنه الآب، فالمعنى الحقيقي القريب مرفوض.

ومما يؤكد أن الرؤيا معنوية أنه قال بعد قليل " بعد قليل لا يراني العالم أيضا أما أنتم فترونني" (يوحنا ١٤ /١٩).

ويرى رحمه الله الهندي ضعف هذا الدليل للنصارى من وجهين:

أ–أن رؤية الله ممتنعة في الدنيا فيصير النص إلى رؤية المعرفة.

ب–أنه قد وردت نصوص تفيد الحلول المجازي كما في قوله عن التلاميذ" أنا فيهم ،وأنت في" (يوحنا ١٤ /١٩)، ومثله يقول بولس: "فإنكم أنتم هيكل الله الحي،كما قال الله:إني سأسكن فيهم، وأسير بينهم ، وأكون لهم إلها، وهم يكونون لي شعبا" (كورنثوس (٢)٦/١٦-١٧) فالحلول في كل

---

(١) انظر: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٢٠٧-٢٠٨، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٦٨-٢٧٣، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ١٦٦-١٧١، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ١٦٣-١٦٤.

ذلك مجازي.

ويرى العلمي أن معنى قوله :"الذي رآني فقد رأى الآب ":أن من يرى المسيح يرى ما أراد الله إعلانه بواسطته من أقوال و أفعال، ومن رأى حنو المسيح على المساكين رأى عفو الله عن الخطاة.....[1]

و يشبه نص يوحنا (١٤/٨-١٤)ما جاء في موضع آخر، و فيه أن المسيح قال:"أنا و الآب واحد" (يوحنا ١٠/٣٠)، ففهم منه النصارى أنه أراد وحدة في الجوهر و الحقيقة.

و نعود للنص من أوله فنرى بأن المسيح كان يتمشى في رواق سليمان في عيد التجديد فأحاط به اليهود و قالوا :"إلى متى تعلق أنفسنا. إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهرا. أجابهم يسوع: إني قلت لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي، و لكنكم لستم تؤمنون، لأنكم لستم من خرافي كما قلت لكم، خرافي تسمع صوتي، و أنا أعرفها فتتبعني، و أنا أعطيها حياة أبدية، و لن تهلك إلى الأبد، و لا يخطفها أحد من يدي، أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، و لا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا و الآب واحد"(يوحنا١٠/٢٤-٣٠).

فالنص من أوله يتحدث عن قضية معنوية فخراف المسيح و تلاميذه يتبعونه فيعطيهم الحياة الأبدية، ولن يستطيع أحد أن يخطفها منه لأنها هبة الله التي أعطاه إياها، و لا يستطيع أحد أن يسلبها من الله الذي هو أعظم من الكل، فالله و المسيح يريدان لها الخير، فالوحدة وحدة الهدف لا الجوهر، و قد نبه المسيح لهذا حين فال بأن إرادة الله أعظم من إرادته.

و هذا الأسلوب في التعبير عن وحدة الهدف و المشيئة معهود في النصوص خاصة عند يوحنا فهو يقول على لسان المسيح:"ليكون الجميع واحدا كما أنت أيها الآب في، و أنا فيك، ليكونوا(أي التلاميذ) هم أيضا وحدا فينا.. ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد... أنا فيهم و أنت في"(يوحنا ١٧/٢٠-٢٣)، فالحلول في المسيح و التلاميذ حلول معنوي فحسب، و إلا لزم تأليه التلاميذ.

و في موضع آخر ذكر نفس المعنى فقال عن التلاميذ" أيها الأب القدوس، احفظهم في اسمك الذي أعطيتني ليكونوا واحدا كما نحن"(يوحنا ١٧/١١)، و مثله "تعلمون أني أنا في أبي، و أنتم في، و أنا فيكم"(يوحنا ١٤/٢٠).

و قد تكرر هذا الأسلوب في التعبير عن وحدة الهدف و المشيئة في نصوص كثيرة منها قول بولس " أنا غرست وأبلوس سقى،...الغارس و الساقي هما واحد فإننا نحن عاملان مع الله"(كورنثوس(١)٣/٦-٩)، و مثله قوله:"إله و آب واحد للكل الذي على الكل و بالكل و في كلكم"(أفسس ٤/٦)، و مثله جاء في التوراة في وصف الزوجين "يترك الرجل أباه و أمه، و يلتصق بامرأته، و يكونان جسدا واحدا"(التكوين ٢/٢٤)، و غير ذلك من أمثلة وحدة المشيئة و الهدف.

---

(١) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٦١-٧٦٤، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٨٢-٢٨٥، مناظرة العصر، أحمد ديدات، ٨٧-٩٠، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ١٨٠-١٨٢.

لكن اليهود في رواق سليمان كان فهمهم لكلام المسيح سقيما أشبه ما يكون بفهم النصارى له ، لذا " تناول اليهود أيضا حجارة ليرجموه، ...لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فـإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها"

فعرف المسيح خطأ فهمهم لكلامه واستغرب منهم كيف فهموا هذا الفهم وهم يهود يعرفون لغـة الكتب المقدسة في التعبير المجازي فأجابهم" أليس مكتوبا في ناموسكم:أنا قلت إنكم آلهة" ومقصـده ماجـاء في مزامير داود"أنا قلت إنكم آلهة، وبنو العلي كلكم" (المزمور٨٢/٦).

فكيف تستغربون بعد ذلك مثل هذه الاستعارات ؟! فالمسيح أولى بهذه الوحـدة مـن سـائر بـني إسرائيل"إن قال: آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله.. فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم،أتقولون له إنك تجدف لأني قلت:إني ابن الله. إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي.." (يوحنا١٠/٣٧)،وهكذا صحح المسيح لليهود ثم للنصارى الفهم السيء والحرفي لوحدته مع الآب[1].

وتتحدث النصوص الإنجيلية عن حلول آخر في المسيح، وهو حلول الروح القدس عليه عند تعميـده حيث جاءه على شكل حمامة "و أما يسوع فرجع ممتلئا من الروح القدس"(لوقا ٤/١)، و لكن هذا لا يعـني إلاهيته بحال، إذ شاركه فيه كثيرون ذكره العهد القديم و الجديد، منهم داود حيث "استوت روح الرب علـى داود"(ملوك (١)٦/١٣)، و مثله عزريا حيث "كان إلى عزريا روح الله"(الأيام(٢)١٥/١) و أيضا "سمعـان عليه روح القدس"(لوقا ٢/٢٥)و كذا استفانوس و برنابا و يوحنا المعمدان (انظر أعمـال ٦/٥، ١١/ ٢٢-٢٤، لوقا ١/١٥).[2]

و من أدلة النصارى على ألوهية المسيح ما قاله بولـس عنـه"مجـد المسـيح الـذي هـو صـورة الله"(كورنثوس(٢)٤/٤)، و في فيلبي "المسيح يسوع أيضا الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسـة أن يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائر في صورة الناس"٠فيلبي ٢/٦-٧)و يقول عنه أيضـا "الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة"(كولوسي ١/١٥).

لكن هذه الأقوال صدرت عن بولس و لا نراها عند أحد من تلاميذ المسيح و حوارييه و هذا كـاف لإضفاء نظرة الشك والارتياب عليها.

---

(١) انظر تعليق الناسخ على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة النصب الراسي"،لوحة ١٠أ،إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٦٠-٧٦١،الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٢٠٦-٢٠٧ ، سلاسل المناظرة الإسـلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٦٣-٢٨٦، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفـي،ص ٨٦ المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ٥٤-٥٦-٦٣، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٢٣-٢٢٤، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ١٩٩، النصرانية في المـيزان،محمـد عـزت الطـهطاوي،ص ١٦٠-١٦٥، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٢٨-١٢٩، المسيح في الإسلام، أحمد ديدات،ص ٧٤-٨٢، منـاظرة العصـر، أحمـد ديدات،٧٣ص-٧٤،هل بشر المسيح بمحمد ؟ نبيل الفضل،ص ٥٢.

(٢) انظر الفارق بين المخلوق و الخالق، عبدالرحمن باجي، ص ٥٦٤-٥٦٥، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية، عبـد الله العلمي، ص ٦١-٦٨، براهين تحتاج في ألوهية المسيح، محمد حسن، ٥٨-٦١، النصرانيـة في المـيزان، محمـد عـزت الطهطاوي، ص١٣٥-١٥٢.

ثم إن الصورة تغاير الذات، و صورة الله هنا تعني نائبه في إبلاغ شريعته كما قال بولس في موضع آخر عن الرجل" فإن الرجل لا يتبقى أن يغطي رأسه لكونه صورة الله و مجده، و أما المرأة فهي مجد الرجل"(كورنثوس(١)١١/٧)، و معناه أن الله أناب الرجل في سلطانه على المرأة.

كما أن كون المسيح على صورة الله لا يمكن أن يستدل به على ألوهيته، فإن آدم يشاركه في هذه الصورة كما جاء في سفر التكوين عن خلقه"قال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا... فخلق الإله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه"(التكوين ١/٢٦-٢٧).

فإن أصر النصارى على الجمع بين الصورة و ألوهية المسيح فإن في الأسفار ما يكذبهم فقد جاء في إشعيا "اجتمعوا يا كل الأمم...لكي تعرفوا و تؤمنوا بي... قبلي لم يصور إله، و بعدي لا يكون. أنا أنا الرب و ليس غيري مخلص"(إشعيا ٤٣/٩-١١)[1].

نصوص أزلية المسيح.

ويقول النصارى بأن المسيح كائن أزلي أبدي، فدل ذلك على الألوهية، كيف لا و قد قال عنه النبي إرميا في نبوءته:"أنا أعرفك قبل أن تكون في رحم أمك"(إرميا ١/٥)ويقولون بأن سليمان تنبأ عنه حين قال:"أنا الحكمة أسكن الذكاء،وأجد معرفة التدابير...الرب قناني أول طريقه ،من قبل أعماله منذ القديم ، منذ الأزل مسحت ،منذ البدء ،منذ أوائل الأرض،إذ لم يكن ينابيع كثيرة المياه،ومن قبل أن تقرر الجبال أبدئت..."(الأمثال ٨/١٢-٢٥).

فيرى النصارى بأن سليمان كان يريد بكلامه المسيح بدليل قوله"منذ الأزل مسحت".و يقول يوحنا عن المسيح: "هوذا يأتي مع السحاب، و ستنظره كل عين، و الذين طعنوه...أنا هو الألف و الياء، البداية والنهاية"(الرؤيا١/٧-٨).أي الأول و الآخر.

كما جاء في مقدمة يوحنا ما يفيد وجودا أزليا للمسيح قبل خلق العالم" في البدء كانت الكلمة، الكلمة كان عند الله، و كان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله"(يوحنا١/١-٢).فهذه النصوص مصرحة بأزلية المسيح و أبديته،و عليه فهي دليل ألوهيته.

و يتساءل ديدات عن ماهية وجود المسيح و يقول:"إن تصور يسوع-جسما و روحا-كان موجودا مع الله قبل بدء الخليقة، ثم قال له الله: اذهب يا بني. في بدء العام الأول للتاريخ الميلادي و أخرج من رحم العذراء مريم... هو تصور غير معقول ،هل كان في تصوركم هكذا ؟ على هذا النحو؟ كيف كان يسوع موجودا مع الله بجسمه و روحه؟ كيف يمكن تصور ذلك؟ هل كان موجودا كوليد أم كطفل أم كشاب ويفع...؟".

---

(١) انظر:سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٧٦-٣٧٨،مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٥٩،النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٣٥١-٣٥٢،المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ط٢،مكتبة وهبة،القاهرة،١٤٠٨هـ،ص ٣١٢ .

لكن أحدا من النصارى لم يقل بوجود قديم للجسد الأرضي، إنما الحديث عن الابن عند الكاثوليك ،و الآب الذي سيتجسد عند الأرثوذكس.

و يخالف علماؤنا في النتيجة التي توصل إليها النصارى فما جاء في نبوءة إرميا هو عن معرفة بالمسيح قبل وجوده، و هي مما اطلع الله عليه ذلك النبي و لا تقتضي وجود المسيح أيام إرميا[1]. فمثله قال بولس عن نفسه و أتباعه " كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين"(أفسس ١/٤) أي اختارنا بقدره القديم.

و أما ما جاء في أمثال سليمان فيراه العلمي نصا في الحكمة المعطاة من الله و التي مسحها أي كرسها في صدور العالمين، كما جاء في رسالة يوحنا "و أما أنتم فلكم مسحة من القدوس، و تعلمون كل شيء... وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها ثابتة فيكم"(يوحنا(١)٢/٢٠-٢٧).

ثم إن كلمة "منذ الأزل مسحت" لا تدل على المسيح إذ لفظ "المسيح" لقب أطلق على كثيرين غير المسيح عيسى ممن مسحهم الله ببركته من الأنبياء كداود و إشعيا (المزمور ٤٥/٧،و إشعيا ٦١/١)، فلا وجه لتخصيص المسيح بهذا اللقب ، ثم إن الحكمة لم تطلق أصلا على المسيح و لم يختص بها، فلا وجه في الدلالة على ألوهية المسيح بهذا النص قطعا[2].

و أما نص الرؤيا في أن المسيح هو الأول و الآخر فيراه ديدات و جميع هذا السفر مجرد رؤيا منامية غريبة رآها يوحنا، و لا يمكن أن يعول عليها، فهي منام مخلط كسائر المنامات التي يراها الناس فقد رأى يوحنا حيوانات لها أجنحة و عيون من أمام و عيون من وراء، و حيوانات لها قرون بداخل قرون...(انظر الرؤيا ٤/٨)، فهي تشبه إلى حد بعيد مايراه في نومه من أتخم في الطعام و الشراب، و عليه فلا يصح به الاستدلال.

و العلمي يكتفي في إبطال ما جاء في سفر الرؤيا بتأخر إقرار هذا السفر، و تشكك المجامع النصرانية فيه،ثم اعتراف المحققين بوقوع زيادة فيه في الفقرة ١/١١ و فيها أن المسيح قال:"أنا هو الألف و الياء، الأول و الآخر"(الرؤيا ١/١١)، فكما حصلت الزيادة في هذا النص فإنه من الممكن أن تقع في أشباهه في المعنى الوارد في نفس السفر في (١/٨، ٢١/٦، ٢٢/١٣).

و النص الأخير منها (٢٢/١٣)، يراه ممدوح جاد من قول الملاك فقد جاء قبله:"أنا يوحنا الذي كان ينظر و يسمع هذا، و حين سمعت و نظرت خررت لأسجد أمام رجلي الملك الذي كان يريني هذا، فقال: انظر لا تفعل لأني عبد معك ...و قال لي:...ها أنا آتي سريعا و أجرتي معي لأجازي كل واحد كما يكون عمله، أنا الألف و الياء، البداية و النهاية، الأول و الآخر، طوبى للذين يصنعون وصاياه..."(الرؤيا ٢٢/٨-١٤).

---

(١)انظر:مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ١٤١، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٦٠-٦١.

(٢) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٤١-٣٤٢، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٣١٧.

و قد لا يسلم النصارى بأن القائل هنا هو ملاك الله فيرون كلام ملاك الله قد انقطع، و عـــاد السياق مرة أخرى على لسان المسيح، و قد يكون كذلك لكن ليس في النص من قرينة لفظيـــة تشـــير إلى انتقال الكلام من الملاك إلى المسيح.

فإذا صح أن القائل هو ملاك، فلا يصح تعلق النصارى بمثله في الدلالة على ألوهية المسيح، فـــالملاك عبد، و قال مثله[1].

و أما ما جاء في مقدمة يوحنا "في البدء كان الكلمة..." فقد كان لعلمائنا معه وقفـــات عديـــدة ومهمة منها أن منصور حسين يرى في النص تغايرا مع ما قامت عليه الأدلة الصارخة في بشـــرية المســـيح، ولذا فإنه يرفض هذا الرأي من يوحنا و لا يراه ناهضا في وجه تلك الأدلة.

و أما ممدوح جاد فيرى اللبس ناشئا عن تحريف في الترجمة،و يفـــترض -بـــلا دليـــل- أن أصـــل النص..كان الكلمة الله هذا في البدء و كان عند الله".

و أما ديدات فينبه إلى أن هذا النص قد انتحله كاتب الإنجيل من فيلـــون الاســـكندراني(ت٤٠م)، كما ينبه ديدات إلى أن ثمة تلاعبا في الترجمة الإنجليزية ، و هي الأصل الذي عنه ترجم الكتاب المقـــدس إلى لغات العالم، و لفهم النص على حقيقته نرجع إلى الأصل اليوناني و فيه ماله صلة بفقه اللغة التي كتـــب بهـــا الإنجيل أصلا ثم التي ترجم إليها.

فالنص في الترجمة اليونانية تعريبه هكذا "في البدء كان الكلمة، و الكلمة كـــان عنـــد الله"(و هنـــا يستخدم النص اليوناني كلمة (hotheos)وفي الترجمة الإنجليزية تترجم (God) للدلالة علـــى أن الألوهيـــة حقيقة.

ثم يمضي النص فيقول "و كان الكلمة الله" (و هنا يستخدم النص اليوناني كلمة(tontheos) و كـــان ينبغي أن يستخدم في الترجمة الإنجليزية كلمة (god) بحرف صغير للدلالة على أن الألوهية مجازية، كما

حصل ذلك في نص سفر الخروج "جعلتك إلها لفرعون"(الخروج ١/٧)، فاستخدم النـــص اليونـــاني كلمة (tontheos) و ترجمت في النص الإنجليزي(god) مع وضع أداة التنكير(a).

لكن الترجمة الإنجليزية حرفت النص اليوناني لمقدمة يوحنا فاستخدمت لفظة (God) التي تفيد ألوهية حقيقة بدلا من (god)التي تفيد ألوهية معنوية أو مجازية، فوقع اللبس في النص ،و هذا و لا ريب نوع مـــن التحريف[2]، و لو غض علماؤنا الطرف عن ذلك كله فإن في النص أمورا ملبسة تمنع استدلال النصارى بـــه على ألوهية المسيح.

---

(١) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٧٤-٣٧٥، مناظرة العصـــر، أحمـــد ديدات، ص٦١-٦٢، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ١٦٢، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطـــهطاوي،ص ٣٥٠-٣٥١.

(٢) انظر: دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٤٧٠-٤٧١، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جـاد،ص ٣٠، مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ١٣٥-١٣٧، المسيح في الإسلام، أحمد ديدات، ص٨٤-٨٧.

أولها: ما معنى كلمة "البدء"؟ و يجيب النصارى أي الأزل لكن ذلك لا يسلم لهم ،فإن الكلمة وردت في الدلالة على معان منها وقت بداية الخلق و التكوين كما جاء في (التكوين١/١)، و ترد بمعنى وقت نزول الوحي، كما في قول متى"و لكن من البدء لم يكن هذا"(متى١٩/٨)، و قد تطلق على فترة معهودة من الزمن كما في قول لوقا "كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء"(لوقا١/٢)، أي في أول رسالة المسيح، و مثله في يوحنا٦/٦٤،٨/٤٤، و مواضع أخرى.

و عليه فلا يجوز قول النصارى بأن المراد بالبدء هنا الأزل إلا بدليل مرجح. و يرجح العلمي بأن المعنى هنا هو بدء تنزل الوحي على الأنبياء أي أنه كان بشارة صالحة عرفها الأنبياء كما في (إرميا ٣٣/١٤).

ثانيها: ما المقصود بالكلمة هل هو المسيح؟ أم أن اللفظ يحتمل أمورا أخرى، و هو الصحيح .فلفظة "الكلمة" لها إطلاقات في الكتاب المقدس منها الأمر الإلهي الذي به صنعت المخلوقات كما جاء في المزامير"بكلمة الله صنعت السماوات"(المزمور١٣/٦)، و مثله ":و قال الله: ليكن نور فكان نور" (التكوين١/٣).

و منه سمي المسيح كلمة لأنه خلق بأمر الله من غير سبب قريب ،أو لأنه أظهر كلمة الله ،أو أنه الكلمة الموعودة على لسان الأنبياء.

و أما المعنى الذي يريده النصارى بالكلمة و هو الأقنوم الثاني من الثالوث، فلم يرد في كتب الأنبياء البتة.

ثالثها:"و كان الكلمة الله" غاية ما يستدل بها أن المسيح أطلق عليه:الله، كما أطلق على القضاة في(المزمور٨٢/١)، و الشرفاء في (١٣٨/١)، و غيرهم.

و لا يمكن الخروج عن التأويل، لأن التوراة تقول ليس الله إنسان فيكذب، و ليس ابن إنسان فيندم(العدد٢٣/١٩)، و المسيح هو ابن الإنسان، فليس الله بحال من الأحوال. و المعنى الصحيح كما يراه مصطفى شاهين: كان رب الكلمة الله. فحذف المضاف في اللغة معهود.

رابعها:"و الكلمة كان عند الله"، و العندية لا تعني المثلية. إنما تعني أن الكلمة خلقت من الله كما في قول حواء:"اقتنيت رجلا من عند الرب"(التكوين ٤/١)، و جاء في موضع آخر" و أمطر الرب على سدوم و عمورة كبريتا و نارا من عند الرب" (التكوين١٩/٢٤)[1].

---

(١) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٥٩-٢٦٢، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ٣٠،٤٣، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٣٠-١٣١، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ١٥٧-١٦٠.

نصوص أسندت الخالقية للمسيح.

كما أسندت بعض النصوص الخالقية للمسيح، فتعلق النصارى بها ،و رأوها دالة على ألوهيته و منها قول بولس عن المسيح:"فإن فيه خلق الكل: ما في السماوات وما على الأرض، ما يرى و ما لا يرى، سواء أن كان عروشا أم رياسات أم سلاطين، الكل به و له قد خلق"(كولوسي١/١٦-١٧)، و في موضع آخر يقول:"الله خالق الجميع بيسوع المسيح"(أفسس٣/٩)، و مثله ما جاء في مقدمة يوحنا "كان في العالم، و كون العالم به، و لم يعرفه العالم"(يوحنا ١/١٠)، و مثله في (عبرانيين١/٢).

و لا يسلم علماؤنا أن المقصود من هذه النصوص أن المسيح خلق الخلائق خلقة الإيجاد بل المقصود الخلقة الجديدة، و هي خلقة الهداية التي تحدث عنها داود و هو يدعو الله"قلبا نقيا أخلق في يا الله، و روحا مستقيما جدد في داخلي" (مزمور٥١/١٠)، و مثله قال بولس عن المؤمنين بالمسيح:"إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة"(كورنثوس(٢)٥/١٧)، و قال:"لأنه في المسيح ليس الختان ينفع شيئا و لا الغرلة، بل الخليقة الجديدة"(غلاطية٦/١٥)، و في موضع آخر يقول"تلبسوا الإنسان المخلوق الجديد بحسب الله في البر" و قال عن المسيح"بكر كل خليقة" (كولوسي١/١٥)، أي أنه أول المؤمنين و أول المسلمين، و على هذا الأساس اعتبر يعقوب التلاميذ باكورة المخلوقات فقال"شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه"(يعقوب١/١٨).

و عليه فإن المقصود من خلق المسيح هو الخلق الروحي إذ جعله الله محييا لموات القلوب و قاسيها.

لكن النصوص التي يتعلق بها النصارى لا تتعلق بالبشر فقط ،إذ فيها أنه خلق ما في السماوات والأرض ،وهذا يمنع صرف النص إلى الخليقة الجديدة. لكن العلمي يرى في هذه النصوص مبالغة معهود مثلها في النصوص التوراتية والإنجيلية ،ومن ذلك قول موسى لبني إسرائيل :"هوذا أنتم اليوم كنجوم السماء في الكثرة" (التثنية١/١٠)،ومثله في (القضاة٧/١٢)،و(متى ٢٧/٥١)،و(مرقس ١/٣٣)،و(يوحنا ٢/١٩، ٢١/٢٥) ...

ومراد بولس أن المسيح قد آمن بدعوته الأمراء والرؤساء والعامة ،ومن المعلوم أن بولس كتب رسائله بعد ظهور المسيحية في آسيا وأوربا.[1]

---

(١) انظر:سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٥٥-٣٦١،المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ٣٢،النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٣٢٧-٣٣٥ .

النصوص المناقضة لألوهية المسيح

ورأى علماؤنا أن الأحوال البشرية المختلفة التي رافقت المسيح طوال حياته تمنع قول النصارى أن المسيح هو الله أو ابنه إذ لا يليق بالإله أن يولد ويأكل ويشرب ويختن ويضرب و....ثم يموت.

ولإظهار بشاعة القول بألوهية المسيح فإن ديدات ومن بعده علاء أبو بكر يسردان العشرات من الأحوال البشرية للمسيح وقد عنونا لها بإضافة اسم الإله بدلا من المسيح.

ومن هذه العناوين: رضاع الإله، فقر الإله، صنعة الإله، نوم الإله، جوع الإله.....كفن الإله...فكل ذلك مما يستبشعه الذوق ويمجه العقل ويعتبره من الهراء والعبث.

ولا يشفع للنصارى قولهم بأن هذه الأفعال صدرت من الناسوت لا اللاهوت، لأنهم – كما ينبه باجة –لا يقولون بأن تجسد الإله في المسيح كان كالجبة أو العمامة يلبسها المسيح أحيانا وينزعها أخرى، فما صدر منه إنما صدر من الإله المتجسد كما زعموا، وإلا لزمهم الاعتراف ببشريته، وهو الصحيح.

وأورد علماؤنا عشرات النصوص التي تتحدث عن ضعف المسيح البشري وتحكي قعوده عن مرتبة الألوهية كتواضعه وجهله بالساعة وصلاته وتذلله بين يدي ربه ،كما أوردوا عشرات النصوص التي صرح فيها المسيح برسالته ونبوته وعبوديته ، ونقلوا أيضا شهادات تلاميذه ومعاصريه في أنه بشر فحسب.وقد سبق بيان ذلك كله .[1]

ونتوقف مع بعض هذه النصوص منها تلك التي صرحت بأن المسيح عبد، وهذا التصريح ينقض دعوى الألوهية ويجعلها ضربا من المحال.

ومن ذلك ماجاء في متى في وصف المسيح"هذا هو عبدي"(متى ١٢/١٨)، وفي سفر أعمال الرسل

---

(١) انظر:إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٣٦-٧٥٠،الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي البغدادي،ص ٥٧-٦٠، ٥٦٦-٥٩٢،ومواضع أخرى متفرقة،سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٦١-٣٦٢،٣٨١-٣٨٦،التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ١١٠-١١٢،المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٩٧-١٠٣،قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد ٢/٢٢٠،المسيح إنسان أم إله،محمد مجدي مرجان،ص ٦١-٦٦،١٧٦-٢٠٨،مناظرة العصر ،أحمد ديدات،ص ١٧،٧٠،مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ١٤٣-١٤٥،الإله الذي لاوجود له، أحمد ديدات،ترجمة:رياض هبري،ط٢،بيت الحكمة،القاهرة،١٤١٣هـ،ص ٨-٢٨،محاضرات في مقارنة الأديان،إبراهيم خليل أحمد،ط٢،دار المنار،القاهرة،١٤١٢هـ،ص ٩٩-١٠١،أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا، ٧٧-٨١،الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام،أميمة الشاهين،ص ١٢٨-١٣١،المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ٧،٢٣،٢٧،٣٢،ومواضع أخرى متفرقة،هل بشر المسيح بمحمد ؟ نبيل الفضل،ص ٤٩-٥١،دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٢٦-٢٢٧،الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١٠٧-١١٠،براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٥٤-٥٦،معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير،إبراهيم الجبهان،ط٤،عالم الكتب للنشر والتوزيع،الرياض،١٩٨١هـ،ص ٨٢،المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٣٩-١٥٠

"قد مجد عبده يسوع"(أعمال٣/١٣)،" فإليكم أولا أرسل الله عبده"(أعمال ٣/٢٦)،"عبدك القديس يسوع "(أعمال ٤/٣٠)[1].

وقد استبدلت لفظة (عبد)بجميع هذه النصوص بكلمة "فتى"الموهمة، وذلك في التراجم العربية المختلفة ومما قاله المسيح ويؤكد أنه مجرد بشر أن المسيح أخبر أنه سيشرب في اليوم الآخر ويأكل حيث قال " الحق أقول لكم:إني لا أشرب بعد من نتاج الكرمة إلى ذلك اليوم حينما أشربه جديدا في ملكوت الله " (مرقس١٤/٢٥)فهل سيتجسد الابن ثانية يوم القيامة؟ وما الحكمة من التجسد حينذاك؟أم أن المسيح سيعود ككائن بشري عادي ؟

ومما يبطل قول النصارى بألوهية المسيح قوله " لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة "(متى١٠/٦).

ومثله قصة المرأة الكنعانية التي رفض شفاء ابنتها لأنها ليست من شعبه (انظر متى ١٥/٢١-٢٨) .

ومثله الوعد الذي وعده كما جاء في لوقا "وسيعطيه الرب الإله عرش داود أبيه، ويملك على آل يعقوب إلى الأبد" (لوقا١/٣٢-٣٣)، فهل هو إله خاص ببني إسرائيل، فلو كان إلها لما صح اختصاصه بشعب دون شعب ، فهذا شأن الأنبياء.[2]

وأيضا لما كان المسيح راجعا مع والدته ويوسف النجار حصل مايدل على جهل والدته بمقامه، فإن جهلت والدته ألوهيته فمن ذا الذي يعلمها، فقد جاء في لوقا"وبعدما أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم، ويوسف وأمه لم يعلما، إذ ظناه بين الرفقة،ذهبا مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف، ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه، وبعد ثلاثة أيام وجداه في الهيكل بين المعلمين يسمعهم ويسألهم ... يا بني لماذا فعلت بنا هكذا ؟ هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين"(لوقا ٢/٤١-٤٨)، و يذكر يوحنا أن المسيح لما صلب ذهبت والدته لتذرف عليه الدمع(انظر يوحنا ١٩/٢٥)، أفلم تكن تعلم حين ذاك أن ولدها هو الله أو ابنه؟ ثم يذكر يوحنا أن للمسيح إخوة، و منهم يعقوب الذي كان حماسه لدعوة المسيح فاترا، فلم يؤمن إلا بعد رفعه، فهل غفل أخوه أيضا عن أحواله الإلهية.

و أيضا إذا كان المسيح إلها فلماذا طلب من تلاميذه أن لا يعلنوه (انظرمتى١٦/٢٠)، و لما طلب إخفاء معجزاته (متى ١٢/١٥-١٦)، فهذا يدل على ضعفه ثم يسبب غواية الناس و جهلهم بحقيقته فكيف

---

(١) انظر: براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ١٤٣-١٤٤

(٢) انظر: المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ١٠،١٤، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٣٥-٣٦، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ط١،مكتبة وهبة،القاهرة،١٤١٨هـ،ص ٢٣٢، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ،عبد الكريم الخطيب،ص ٤١٤

يكون هذا من الإله؟!(1).

ثم إن كان المسيح إلها متجسدا فكيف نفهم تبريرا لخيانة يهوذا و هل يخان الإله؟ و كيف نفهم بطرس إنكار بطرس له ثلاث مرات، بل إن كل ما قيل في سيرة المسيح يصعب فهمه مع القول بألوهيته، و يترك علامات استفهام لا إجابة عنها(2).

---

(1) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي البغدادي، ضبط وتعليق: عصام فارس الحرستاني، ط1، مكتبة دار عمار، عمان، 1409هـ، ص205-206، المسيح إنسان أم إله، محمد مجدي مرجان، ص 63-65، مقارنة بين الأناجيل الأربعة، محمد الخولي، ص 38، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، عبد الكريم الخطيب، ص 345-346.

(2) انظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، أحمد عبد الوهاب، ص 111، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، ص 38-39، المناظرة الإسلامية النصرانية، ص 165-166.

المطلب الثاني: أدلة النصارى العقلية على ألوهية المسيح.

معجزات المسيح

و تذكر الأناجيل الكثير من معجزات المسيح وتستدل بها على ألوهيته كولادته من غير أب وإحيائه للموتى وشفاءه للمرض وتنبؤه بالغيب....وقد درس علماؤنا المعجزات المنسوبة إليه وتوقفوا عند ملاحظات أهمها:

*أن ثمة معجزات ذكرها القران الكريم للمسيح لم تذكرها الأناجيل وهي معجزات ثلاث: معجزة تكلم المسيح في المهد، ومعجزة نزول المائدة عليه وعلى التلاميذ ثم معجزة خلق الطير في هيئته من الطين ، وقد ذكرت معجزة تكلم المسيح في المهد في إنجيل توما، وهو من الأناجيل التي لا تقرها الكنيسة .[١]

*أن المعجزات لا تصلح دليلا على الألوهية بل غايتها أن تدل على نبوة صاحبها، وقد أوتيها الكثير من الأنبياء فكانت معجزاتهم من جنس ما أتى به المسيح ،وأحيانا كانت معجزات بعضهم تفوق معجزات المسيح من غير أن يؤدي ذلك إلى القول بألوهية هؤلاء الأنبياء.

ومثل علماؤنا لكثير من معجزات الأنبياء التي فاقت معجزات المسيح مما سبق بيانه[٢]ومن ذلك أيضا قول النصارى بأنه حول شجرة التين إلى حطام يابس (انظر متى ٢١/١٨-١٩) وكذلك أوتي سلطانا على العناصر الطبيعية فالرياح والبحر يطيعه (انظر متى ٨/٢٣-٢٨) وكذلك أوتي سلطانا على الشياطين (انظر متى ١٢/٢٧-٢٨)،و قد تنبأ بكثير من الغيوب فكانت كما قال (انظر مرقس ١٤/١٢-١٦، يوحنا ١٤/١٨-٢٠)، و قد قال له بطرس"يا رب أنت تعلم كل شيء"(يوحنا ٢١/١٧).

و كذا فإن المسيح صام أربعين يوما لم يجع خلالها، و هو ما لا يطيقه بشر (انظر متى ٤/١-٢).

و يرى علماؤنا أن للأنبياء -الذين لا يقول النصارى بألوهيتهم-معجزات مماثلة فدل ذلك على أن هذه المعجزات و أمثالها لا تقتضي الألوهية بحق المسيح و لا غيره، فلئن كان المسيح قد حول شجرة التين إلى يابس فإن موسى حول العصا اليابسة إلى حية (انظر الخروج ٧/٩)، و هو أعظم إذ قد يدخل يبس الشجرة في قانون الطبيعة لكن تحويل العصا إلى حية معجز بكل حال.

---

(١) انظر عقيدة الصلب والفداء،محمد رشيد رضا،ص ٩٢

(٢) انظر تعليق على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة النصب الراسي"،لوحة ١٣ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٢٠٩ ، إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٦٥-٧٦٦ ، حقيقة النصرانية،أحمد حجازي السقا،دار الفضيلة،القاهرة، ص ٣٨-٧٤ ، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٤٠-١٤٢ ، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٢٤-٢٣٠ -٢٥٢ ، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ط١،مكتبة الدار،المدينة،١٤٠٩هـ،ص ٢٤٧ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٧٨-٧٩، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ص٢٢٥، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير،إبراهيم الجبهان، ص٨١، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص١١٣ .

و أما الظلمة التي يدعي النصارى حصولها عند صلب المسيح فربما تكون كسوفا طبيعيا ،و هي ليست –بكل حال– بأكبر من الظلمة التي استمرت على أرض مصر ثلاثة أيام بسبب كفرهم بموسى (انظر الخروج ١٠/٢٢-٢٣)[١].

و أيضا فإن يشوع لما حارب الأموريين و كادت ليلة السبت أن تدخل ناجى ربه فقال:"أمام عيون إسرائيل :ياشمس دومي على جبعون، و يا قمر دوم على وادي أيلون. فدامت الشمس و وقف القمر حتى انتقم الشعب....فوقفت الشمس في كبد السماء و لم تعجل للغروب نحو يوم كامل"(يشوع١٠/١٢-١٣)، و هذا الذي حصل ليشوع لا يقتضي ألوهيته و هو أعظم من غياب الشمس ثلاث ساعات.[٢]

ثم لئن كانت الطبيعة تطيع المسيح فإن ذلك قد حصل مع الأنبياء أيضا فإيليا أطاعته النار حتى قال: " إن كنت أنا رجل الله فلتترل نار من السماء تأكلك أنت و الخمسين الذين لك، فترلت نار الله من السماء و أكلته هو و الخمسين الذين له"(ملوك(٢)١/٩-١١)، و كذا أطاعه البحر"و أخذ إيليا رداءه، و لفه، و ضرب الماء فانفلق إلى هنا و هناك فعبر كلاهما (يشع و إيليا) في اليبس"(ملوك(٢)٢/٧-٨)، وقد رأينا كيف أطاعت الشمس و القمر يشوع[٣]

و أما صيام المسيح أربعين يوما فلا يدل على ألوهيته إذ أنه "جاع أخيرا"(متى ٤/٢)، فلئن كان صومه و صبره يدل على ألوهيته فإن جوعه يكذبه و يدل على بشريته و نبوته كما حصل مع موسى حيث يقول:"أقمت في الجبل أربعين نهارا و أربعين ليلة لا آكل خبزا ولا أشرب ماء"(التثنية ٩/٩)،ومثله حصل مع النبي إيليا حين أكل أكلة ثم"سار بقوة تلك الأكلة أربعين نهارا وأربعين ليلة إلى جبل الله" (ملوك (١)١٩/٧-٨)[٤].

و لئن قال النصارى برفع المسيح للسماء و جلوسه عن يمين الله فإن مثل ذلك حصل مع إيليا الذي رفع من غير أن يصلب أو أن يصفع أو أن يصاب بسوء (انظر ملوك (٢)٢/١١-١٢)، و مثله حصل مع اخنوخ(انظر التكوين ٥/٢٤)

و أما الجلوس عن يمين الله فقد ألحقته الكنيسة بإنجيل مرقس (انظر مرقس١٦/١٩)، فلا يكمن حمله على الحقيقة بل غايته أن يقال بأنه جلوس معنوي أي برفع مكانته كما جاء في كلام ميخا"لقد رأيت الرب جالسا على كرسيه، و كل جند السماء وقوف بين لديه عن يمينه و يساره"(الأيام (٢)١٨/١٨).

ثم ليس المسيح وحده الذي تنبأ بالمغيبات فقد تنبأ قبله يعقوب فقال لأبنائه:"اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام..."(التكوين٤٩/١-٢٧)، و مثله تنبأ صموئيل و إيليا (انظر صموئيل(١)١٠/٢-٩،ملوك (١)٢١/٢١-٢٤)، و قد تحققت نبوءتهما في (ملوك (٢)١٠/١-١٧، ٩/٣٠-٣٧)، و مثل هذا كثير في الأسفار المقدسة(انظر صموئيل (١)١٩/٢٣-٢٤،ملوك ٤/٨-١٨،٨/١٢-١٣، يوحنا ١١/٤٩-

(١) انظر: تعليق على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة النصب الراسي"،لوحة ١٣أ-١٣ب.

(٢) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٣٩

(٣) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٣٦-٢٣٩

(٤) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٥٦-٢٥٧.

٥٢)، و قد جاء في وصف بلعلم بن بعور–و ليس نبي– بأنه "يعرف معرفة العلي الذي يـرى رؤيـا القدير"(العدد٢٤/١٥-١٩).

ثم إن المسيح كما تنبأ بالغيوب فإنه عجز عن أخر و جهلها، إذ لم يعرف بالخبز و عدده (انظر متى ٣٤/١٥)، كما جهل موعد الساعة(انظر مرقس ١٣/٣٢-٣٣)، ثم يرى ديدات أنه لا يجوز للنصارى أن يذكروا شيئا عن مغيبات أخبر عنها المسيح و هم ينسبون إليه الكذب عندما تنبأ بعودته السريعة قبل انقضاء جيله(انظر مرقس ١٣/٢٦، ٣٠، متى ١٠/٢٣)[1] و هو ما لم يحدث حتى يومنا هذا.

و أما إخراج المسيح للشياطين فإنه معجزة قام بها غيره، فعندما اتهمه اليهود بأنه يخرج الشياطين بمعونة رئيسهم قال:"إن كنت أنا أخرج الشياطين ببعزبول، فأبناؤكم بمن يخرجونهـم؟"(مـتى ١٢/٢٧)[2]، ثم إن بعض المخلوقات يشاركن المسيح في صورة إحدى أعظم معجزاته ألا وهي ولادته من العذراء، مـن غـير أب، فإن أصول سائر المخلوقات و منهم البشر لا أب لهم و لا أم، و وجود آدم خلقا سويا أكبر و أكمـل من خلقة المسيح الذي خلق جنينا في بطن أمه ثم كبر بعد ذلك و نما.

وممن فاق المسيح في هذه المعجزة ملكي صادق كاهن ساليم في عهد إبراهيم ،فإن بولس يزعـم أن لا أب له ولا أم ولا بداية ولا نهاية،يقول:"ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلي...بلا أب،بـلا أم ، بلا نسب،لا بداءة أيام له ولانهاية حياة،بل هو مشبه بابن الله ،هـذا يبقـى كاهنـا إلى الأبـد"(عـبرانيين ٧/١-٣)،فلم لا يقول النصارى بألوهية ملكي صادق ؟

لكن القس أنيس شروش يجيب ،فيأتي بالعجيب فيقول بما لم يقله أي من فـرق النصـارى المختلفـة فيقول:"هذا الذي كان ملكا لمملكة ساليم كان في حقيقة أمره ظهورا آخر ليسوع وتجسد باعتبار أنه كـاهن الله العلي".

أما ياسين منصور فيتعلق بمعجزة الميلاد العذراوي للمسيح ،فيقول:"لو لم يولد المسيح من عذراء لكـان مجرد إنسان "وهو كذلك.[3]

وعندما أتى المسيح بما أتى به من المعجزات أكد بأنها من الله عز و جـل، و لم ينسـبها إلى نفسـه فقال:"أنا بروح الله أخرج الشياطين"(متى١٢/٢٨)، و قال:"كنت بـإصبع الله أخـرج الشـياطين "(لوقـا ١١/٢٠)،وعندما جاء لإحياء لعازر "رفع يسوع عينيه إلى فوق ،وقال:أيها الآب أشكرك ،لأنـك سمعت

---

(١) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شـيخ وقسـيس،عبـد الله العلمـي،ص ٢١٤-٢٢٤، مناظرتـان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ١٤٦، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا، ١١٦، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ٢١١.

(٢) انظر سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٤٩-٢٥١.

(٣) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٦٥-٧٦٦،الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٢٠٩،مناظرة العصر،أحمد ديدات،ص ٤٦،٥٦-٥٧،التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ٣٣،المسيح إنسـان أم إلـه،محمـد مجـدي مرجان،ص ١٦٧-١٧٠، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٧٧،مسيحية بـلا مسـيح، كـامل سعفان،دار الفضيلة،١٩٩٤م،ص ٦٢،المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٨٦

لي،وأنا أعلم أنك في كل وقت تسمع لي"(يوحنا ١١/٤١-٤٢)،ولما أراد إطعام الجمع من الأرغفة الخمس أيضا"رفع نظره نحو السماء ،وبارك وكسر"(متى ١٤/١٩)،ولما جيء له بالأصم"رفع نظره نحو السماء وأن وقال:افثأ.أي انفتح،وفي الوقت انفتحت أذناه،وانحل رباط لسانه،وتكلم مستقيما"(مرقس ٧/٣٤-٣٥)،وقال:"دفع إلي (أي من الله)كل سلطان في السماء وعلى الأرض"(متى ٢٨/١٨)،وأيضا قال:"أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا "(يوحنا ٥/٣٠)ويقول :"الأعمال التي أعملها باسم أبي هي تشهد لي"(يوحنا ١٠/٢٥).[1]

و أما الذين رأوا معجزات المسيح فقد عرفوا أنما يصنعه إنما هو من المعجزات التي يعطيها الله لأنبيائه و لم يفهم أحد منهم ألوهية صاحب هذه المعجزات، فعندما شفي الصبي من الروح النجس "بهت الجميع من عظمة الله" (لوقا ٩/٣٤)، و لما شفى المرأة المقوسة الظهر " استقامت (أي المرأة)و مجدت الله"(لوقا ١٣/١٣)، و لما أقام المفلوج و رأت الجموع ذلك "تعجبوا و مجدوا الله الذي أعطى الناس سلطانا مثل هذا"(متى ٩/٨)، و هذا تلميذه بطرس يقول:"يسوع الناصري رجل قد تبرهن من قبل الله بقوات و عجائب صنعها الله بيده"(أعمال ٢/٢٢)[2].

و تحكي الأناجيل ما يؤكد أن هذه المعجزات لم تكن إلا هبة من الله، و كان المسيح يحذر أن لا يؤتاها في بعض المواطن لذلك لما تقدم إلى لعازر الميت"قال بعض منهم:أ لم يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى أن يجعل هذا أيضا لا يموت؟ فانزعج يسوع أيضا في نفسه"(يوحنا ١١/٣٧-٣٨).

و في مرات أخر طلب منه الفريسيون آيات "فتنهد بروحه، و قال لماذا يطلب هذا الجيل آية؟الحق أقول لكم: لن يعطى هذا الجيل آية، ثم تركهم و دخل السفينة و مضى"(مرقس ٨/١١-١٣)،و لما تكاثرت جموع اليهود عليه تطلب آية لم يعطيهم بل قال:"جيل شرير و فاسق يطلب آية و لا تعطى له آية"(متى١٢/٣٨-٣٩)[3].

ثم لو كان ما يصدر من المسيح من آيات تدل على ألوهيته فلم يأمر بإخفائها و هي السبيل الذي يدل الناس على حقيقته؟ فقد قال المسيح للأبرص لما شفاه" انظر لا تقل لأحد شيئا"(مرقس١/٤٤)، و لما شفى الأعميان قال:"انظرا لا يعلم أحد"(متى ٩/٣١)، و قال للأعمى الثالث لما شفاه:"لا تدخل القرية، ولا تقل لأحد في القرية"(مرقس٨/٢٦).

---

(١)انظر:المسيح إنسان أم إله،محمد مجدي مرجان،ص ٧١-٧٣،سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣١٤-٣٦٨،معجزات المسيح، محمد عوض ،ص٣٧،المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٧٩،القرآن والكريم والكتاب المقدس.أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات،ص ١٨٨-١٨٩،المسيح في الإسلام ،أحمد ديدات، ص٩٦-٩٧،هل بشر المسيح بمحمد ؟ نبيل الفضل،ص٥٤ .

(٢) انظر:المسيح إنسان أم إله،محمد مجدي مرجان،ص ٧٤-٧٥، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١١١-١١٢،شهادة الإنجيل، عبد الرحمن عبد الخالق،ط١،الكويت،١٩٩٤م،ص٣٩.

(٣) انظر :المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٨٠،المسيح إنسان أم إله،محمد مجدي مرجان،ص ٨١-٨٥،مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٦٠-٦١ .

فالمسيح بإخفائه للمعجزات يريد أن لا ينشغل الناس بالمعجزات عن دعوته و جوهرها[1].

ثم إن ما تعرضه الأناجيل من معجزات يحوي الكثير من المبالغات التي أريد منها إبراز صورة المسيح غلوا منهم فيه عليه الصلاة و السلام فقد شفى عميانا و عرجا و صما كثر ثم إن "جموعا كثيرة جاءت ليسوع فيهم العرج و العمي و الخرس و الشل، فطرحوا عند قدمي يسوع فشفاهم"(متى١٥/٢٩-٣١)، وفي مرة أخرى"و تبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعا"(متى١٢/١٥).

و يعجب شلبي لكثرة هذه الجموع المريضة حتى ليوشك عددهم أن يتجاوز سكان فلسطين، و يرى أنه بذلك تخرج المعجزة عن دورها في إقامة الدليل على صدق النبي في دعواه، و تتضح المبالغة عند المقارنة بين حديث الإنجيليين عن المعجزة الواحدة، فلقد تحدث مرقس عن شفاء أعمى واحد في أريحا و أخرس واحد فقط (انظر مرقس ١٠/٤٦-٥٢، ٩/١٥-٢٧).

لكن متى بالغ فجعل الأعمى الذي في أريحا أعميين، و جعل الأخرس مجنونا أيضا (انظر متى٢٠/٢٩-٣٣،٩/٣٢-٣٤)، و مثله في المبالغة ما صنعه يوحنا حين ختم إنجيله في قوله:" و أشياء أخر كثيرة صنعها يسوع، إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة"(يوحنا ٢١/٢٥)[2].

ثم كيف للنصارى أن يعتبروا دلالة في معجزات المسيح و هو يقول:"الحق أقول لكم: من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضا و يعمل أعظم منها"(يوحنا ١٤/١٢).

أدلة عقلية أخرى على ألوهية المسيح

و أما الأدلة العقلية-فيما سوى المعجزات-التي يستدل بها النصارى على ألوهية المسيح فمنها:قول الأب بولس إلياس الخوري:" استباح السيد المسيح حق تعديل الشريعة و تكميلها فصارح سامعيه" قد سمعتم أنه قيل للأولين: لا تقتل. فإن من يقتل يستوجب الدينونة أما أنا فأقول لكم إن كل من غضب..."(متى ٥/٢١-٢٢)، و الله هو الذي قال ذلك للأولين و قد وضع عيسى نفسه بذلك موضع الله الذي شرع، فلابد أن يكون هو الله".

و يقول آخر بأن الأفلاك قد أعلنت عن المسيح، و تحدثت عن صلبه و قيامته في أسمائها، فبرج العذراء يتحدث عن ميلاده من العذراء، و الميزان يرينا أن البشر ولدوا فوزنوا فكانوا ناقصين، و برج العقرب (في البروج الإنجليزية يسمى الحية) يرينا الحية القديمة التي جاءت بالخطيئة، وبرج القوس يرينا المسيح الظافر الذي سحق الحية بالخلاص، و برج الدلو يتحدث عن المسيح ينبوع الماء الحي، و الحوت يرينا المدفون في بطن الأرض ثلاث أيام و ثلاث ليال...

و يرى سويجارت بأن قدرته على شفاء المرضى و كذا ما يقوم به القساوسة من معجزات باسم

---

(١) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي البغدادي،ص ١٠١، معجزات المسيح، محمد عوض ص٤٠.

(٢) انظر: المسيحية،أحمد شلبي،ص ٤٤-٤٦، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٢٠.

المسيح دليلا على صحة معتقدهم بالله.

و بداية فإن رد علمائنا جاء مشوبا بالسخرية اللاذعة من هذا النوع من الاستدلال الضعيف الساذج.

و يرد ديدات على سويجارت بأن فعل العجائب لا يدل على الصدق فإن المسيح ذكر بأن كذبة سيفعلون المعجزات و يزعمون أنهم باسم المسيح فقد ذكر متى أن المسيح قال:"ليس كل من يقول لي : يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات، و كثيرون سيقولون في ذلك اليوم: يا رب أخرجنا الشياطين باسمك، و صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرح لهم: إني لم أعرفكم قط، فاذهبوا عني يا فاعلي الإثم"(متى٧/٢١-٢٣)[1].

و حق لعلمائنا أن يترفعوا عن مثل هذا السفاف إذ أنه حق تبديل الشريعة الذي يخصه بولس إلياس بالمسيح تجعله الكنائس الأرثوذكسية و الكاثوليكية حقا لكل بابوات الكنيسة، و علاوة على ذلك فإن المسيح أعلن عن أنه لن ينقض الناموس فما جاء بعد إنما هو-حسب دينهم-إضافات أخلاقية على ما جاء في شرائع موسى، و أما دليل الأبراج فكل أهل ملة و دين يستطيع أن يقول مثل هذا الهراء في معبوده و إلهه سواء كان حجرا أم شجرا أم بشرا.

---

(١) المناظرة الحديثة،أحمد ديدات،ص ١٦٠-١٦١،١٨١، مناظرتان في استكهولم،أحمد ديدات،ص ١٤٨-١٤٩، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ط٢،المركز العربي للنشر والتوزيع،ص ١٥٧، المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٣٣.

المبحث الثاني:عقيدة التثليث

﴿قل هو الله أحد*الله الصمد* لم يلد و لم يولد* و لم يكن له كفوا أحد ﴾[1] تقـــرر هـــذه الســـورة باختصار معتقد المسلمين في الله عز و جل ،و هو المعتقد الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم و الأنبيـــاء قبله ﴿و ما أرسلنا من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾[2].

لكن النصرانية اليوم تخالف هذا المعتقد الذي بشر به الأنبياء نبيا تلو نبي و منهم المسيح عليه الســـلام. ويقولون :أن الله ثالوث في وحدة ،و وحدة في ثالوث،فمن أين لهم هذا المعتقد؟ و هل لهم في ذلـــك مـــن شبهة أم محض تخرص و ظنون لا دليل عليها؟

والثالوث النصراني يتكون من الآب والابن والروح القدس، والآب كلمة سريانية معناها: إعطاء الشيء بمعنى : موجد الموجودات، أو الأصل(الله) . وقد نقلت الكنيسة اللفظة بمعنى الآب ، فانتقل من معنى التكويـن والإيجاد إلى الأبوة والولاد.

وأما الابن فهو الأقنوم الإلهي الثاني، وهو عند الأرثوذكس المسيح. وأما الروح القدس فـــهو أغمـــض أطراف الثالوث، و لم يرد هذا اللفظ في العهد القديم سوى ثلاث مرات.

ويرى عبد الأحد داود أن أول من دس معنى الأبوة والتوالد الراهب المصري التأثر بالأفكار اليونانيـــة: أوريغنورس، وقال : إن المسيح إنسان باعتبار أنه من جنس البشر، وهو من جنس الله باعتبار أن الله أبوه.

ويلخص محررو قاموس الكتاب المقدس عقيدة النصارى الكاثوليك في التثليث، فيقولـــون:"الكتـــاب المقدس يقدم لنا ثلاث شخصيات يعتبرهم شخص الله...شخصيات متميزة الواحدة عن الأخرى..التثليـــث في طبيعة الله ليس مؤقتا أو ظاهريا ، بل أبدي وحقيقي.. التثليث لا يعني ثلاثة آلهة، بل إن هذه الشـــخصيات الثلاث جوهر واحد...الشخصيات الثلاث متساوون".[3]

في بيان الحقيقة سطر علماؤنا الكثير من الكتابات التي تكشف الحقيقة لكل ذي عينين ،و لكـــل ذي لب أمين يبحث عن الحقيقة.و قد جاءت جهودهم في هذا المبحث في مطالب خمسة:

الأول: أدلة النصارى النصية على عقيدة التثليث.

الثاني:نشأة التثليث في النصرانية.

الثالث نقد عقيدة التثليث.

الرابع: التوحيد في التاريخ النصراني.

الخامس: عقائد الفرق النصرانية المعاصرة.

---

(١) سورة الإخلاص .

(٢) سورة الأنبياء،آية:٢٥ .

(٣) قاموس الكتاب المقدس، ص٢٣٢،النصرانية في الميزان، محمد عزت الطهطاوي،ص ١٧-١٨.

المطلب الأول: أدلة النصارى النصية على عقيدة التثليث.

النصوص التوراتية و عقيدة التثليث.

و قد تعلق النصارى ببعض النصوص التوراتية و زعموا أنها إشارات إلى التثليث منها استخدام بعض النصوص صيغة الجمع العبري (ألوهيم) عند الحديث عن الله كما في مقدمة سفر التكوين"في البدء خلق الله السماء و الأرض"(التكوين١/١)، و في النص العبري"ألوهيم" أي (الآلهة) و مثله في استخدام ما يدل على الجمع في أفعال منسوبة لله كقول التوراة أن الله قال:"هلم نترل و نبلبل هناك لسانهم" (التكوين١١/٧).

و من الإشارات التوراتية أيضا لتثليث الأقانيم قول الملائكة "قدوس، قدوس، قدوس، رب الجنود" (إشعيا٦/٣)، فقد كرر ذكر كلمة قدوس ثلاث مرات، و مثله قالت الحيوانات التي رآها يوحنا في رؤياه:"قدوس، قدوس، قدوس، الرب الإله القادر على كل شيء"(الرؤيا ٤/٨)، و يتساءل القس شروش لم تكرر الهتاف ثلاث مرات و ليس أربعا أو خمسا؟ ثم لا يجد جوابا إلا أن النص إشارة إلى التثليث.

و مثله يراه في خطاب الرب لبني إسرائيل الذي حوى ثلاث جمل إذ قال:"يباركك الرب و يحرسك، يضيء الرب عليك و يرحمك، يرفع الرب عليك وجهه و يمنحك سلاما" (العدد٦/٢٤-٢٦).

و أيضا جاء في مقدمة سفر التكوين أن الله قال: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا"(التكوين١/٢٦) يقول القس شروش:"هل كان الله يكلم نفسه أم كان يتكلم إلى شخص آخر في إطار الثالوث العظيم الذي نسميه: الله .إن الله كان يتكلم حقا و فعلا إلى الأقنومين الآخرين" و مثلها عندما قال:"هلم نترل و نبلبل..."(التكوين١١/٧).

و كذا فإن في الأمثلة الرمزية في التوراة ما يشير إلى التثليث ،ومنه قول إبراهيم: خذ لي عجلة ثلاثية وعترة ثلاثية و كبشا ثلاثيا"(التكوين١٥/٩).

وكذلك فإن اليهود يقسمون الليل إلى ثلاثة أجزاء(انظر القضاة ٧/١٩) و غير ذلك من الأدلة التي يراها النصارى مشيرة إلى التثليث الذي أعلنت عنه الأناجيل فيما بعد[1].

و يعترف النصارى بأن ليس في هذه النصوص ما نستطيع أن نعتبره دليلا صريحا على التثليث الذي تنقضه النصوص التوحيدية الصريحة، كما لم يفهم سائر قراء العهد القديم- من لدن الأنبياء الأوائل لبني إسرائيل -شيئا عن تلك التي يعتبرها النصارى إشارات على التثليث.

يقول القس بوطر:"بعدما خلق الله العالم، و توج خليقته بالإنسان لبث حينا من الدهر لا يعلن له

(١) انظر: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٢١٧-٢٢٣، مناظرة العصر،أحمد ديدات،ص ٣٧-٤٢، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣١٦،٣٢٨، ٣٣٧ -٣٣٩ .

سوى ما يختص بالوحدانية كما تبين ذلك من التوراة على أنه لا يزال المدقق يرى بين سطورها إشارات وراء الوحدانية، لأنك إذ قرأت فيها بإمعان تجد هذه العبارات "كلمة الله" أو "حكمة الله" أو "روح الله" و لم يعلم من نزلت إليهم التوراة في ضوء الإنجيل يقف على المعنى المراد، إذ يجدها تشير إلى أقانيم اللاهوت...فما لمحت إليه التوراة صرح به الإنجيل"(١).

نقد النصوص التوراتية

و نظر علماؤنا فيما أسمته النصارى إشارات التوراة، فوجدوا من النصارى لها تمحلا لا تقبله الأذواق السليمة، و لا ترتضيه دلالات الكلام و تناسق السياق.

فاستخدام صيغة الجمع و إرادة الواحد فقط معروف حتى في لغة الكتاب المقدس ،و منه أن بنو إسرائيل لما عبدوا العجل سموه آلهة، فقد جاء في سفر الخروج"فصنعه عجلا مسبوكا فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل" (الخروج ٣٢/٤)، و في موضع آخر قال:"فصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب" (الخروج ٣٢/٣١)، و جاء في صموئيل أن المرأة رأت روح صموئيل و قالت: رأيت آلهة يصعدون من الأرض" (صموئيل(١)٢٨/١٣)، و لم تر سوى روحه.

و أما لفظة "ألوهيم" فهي صيغة تعظيم لا تعداد، ومثله عند المسلمين في قول الله ﴿إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون﴾ (٢).

وأما التكرار ثلاث مرات في قول الملائكة أو الجمل التي خوطب بها بنو إسرائيل وأمثال ذلك فلا يصلح في الدلالة في شيء.فلو اطرد الاستدلال على هذه الكيفية فلسوف نرى تربيعا وتخميسا وغير ذلك من التعداد للآلهة ، فلئن وردت كلمة "قدوس"مثلثة مرتين في الكتاب المقدس ، فإنها وردت مفردة نحو أربعين مرة ، وإنما يراد من التكرار التأكيد كما في نصوص إنجيلية وتوراتية كثيرة.(انظر لوقا ٢١/٢٣،يوحنا٢١/١٥-١٧)....

ولئن كان بنو إسرائيل قد قسموا الليل إلى ثلاثة أجزاء، فإن الرومان قسموه إلى أربع (انظر مرقس ٤٨/٦)فهل تصبح الأقانيم أربعة ؟

وأما ما قيل لإبراهيم ،فقد جاء في بقية النص ما يجعل التثليث تخميسا ،ففيه:"خذ لي عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشا ثلاثيا ويمامة وحمامة"(التكوين ١٥/٩).

ثم إن العدد (٤) قد تكرر مرات عديدة ففي عدن أربعة أنهر، و ذكر حزقيال أربعة حيوانات عظيمة، و ذكر سفر الأعمال أربعة من العسكر حرسوا بطرس في سجنه (انظر التكوين٢/١٠، حزقيال ١/٥-٦،

---

(١) انظر: محاضرات في النصرانية،محمد أبو زهرة،طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد،الرياض،١٤٠٤هـ،ص ١٢١، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) سورة الحجر، آية:٩، و انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣١٦-٣١٨، مناظرة العصر،أحمد ديدات،ص ٧٥، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٨٩-٢٩٠.

أعمال ١٢/٤).

و على هذه الشاكلة نستطيع إخراج أمثلة عددية كثيرة من التوراة و الإنجيل، و كل ذلك لا علاقة له بموضوع التثليث تصريحا و لا إشارة(١).

النصوص الإنجيلية و عقيدة التثليث.

و يرى النصارى أن ثمة أدلة على التثليث في أسفار العهد الجديد أصرح و أوضح من تلك التي وردت في التوراة منها أنه" لما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، و إذا السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلا مثل حمامة، و آتيا عليه، و صوت من السماء قائلا: هذا هو ابني الحبيب و الروح الذي سررت به"(متى ٣/١٦-١٧).

فقد جمع النص الآب و الابن الحبيب و الروح النازل مثل الحمامة. و مثله يقول بولس:"بنعمة ربنا يسوع المسيح، و محبة الله، و شركة الروح القدس مع جميعكم. آمين" (كورنثوس (٢)١٣/١٤).

و يستدل القس شروش بأمور حصلت ثلاث مرات، فقد أحيا المسيح ثلاثة أشخاص كما أنكر بطرس المسيح ثلاث مرات ثم أعلن حبه له ثلاث مرات، و شهد صعوده للسماء ثلاثة من التلاميذ، استمرت دعوة المسيح على الأرض ثلاث سنوات، ثم لما صلب كان أحد ثلاثة مصلوبين. فهذه الثلاثات ما كان لها أن تتكرر دون أن يكون لتكرارها مغزى ألا و هو التثليث(٢).

و يرى العلمي في نص متى ثلاث ذوات تمايزت بالأسماء و الأعمال فكيف بعد ذلك يقال عنها بأنها وحدة واحدة.

ثم أن النصارى يقولون بحلول الابن في عيسى، و هنا يتحدث النص عن حلول الروح عليه، و في مواضع أخرى أكد ذلك (انظر لوقا٣/٢٢، متى ١٢/١٨)، فيما جاءت مواضع أخرى تتحدث عن حلول الله الأب فيه (انظر يوحنا ١٧/٢١، ١٤/٩-١٠)، فأي الأقانيم إذا الحال في المسيح.

و أما نص بولس فيرى العلمي أن ليس فيه دلالة على عناصر التثليث لأنه لم يذكر فيه الابن الذي حل في جسد عيسى، إنما ذكر اسم يسوع، و هو اسم للجزء الناسوتي من المسيح، كما أن كلمة المسيح هي اسم للجسد الممسوح بالزيت فلا يمكن أن يقال عنه بأنه الابن، و ليس في النص ما يدل على أن الروح القدس إله، أو أن الثلاثة متساوون أو ذات واحدة(٣).

---

(١) انظر: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٢٢٣، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٢٣٨-٣٢٩، ٣٣٩-٣٤٠، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٣٠٣-٣٠٤، ٣١٥-٣١٦.

(٢) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٢١، ٣٢٥، مناظرة العصر،أحمد ديدات،ص ٤١-٤٢، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٩٣، ٢٩٩.

(٣) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٢٥-٣٢٧، النصرانية في الميزان،محمد

و ليس في الكتاب المقدس سوى نصين فقط ذكر فيهما عناصر التثليث الثلاث جنبا إلى جنب أحدهما هو ما جاء في رسالة يوحنا الأولى في قول يوحنا:"فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة و الروح القدس. و هؤلاء الثلاثة هم الواحد" (يوحنا(١) ٥/٧).

فهذا النص صريح في جعل الثلاثة إلها واحدا غير أنه غير موجود في سائر المخطوطات القديمة للكتاب المقدس بل و غير موجود حتى في أول نص مطبوع، فقد أضيف لاحقا ،و قد اعترف بإضافته علماء النصرانية و محققوها و منهم هورن، و جامعو تفسير هنري واسكات، و آدم كلارك، و فندر ،وخلت ردود القديس أكستاين(ق٤)من هذا النص على الرغم من مناظرته لفرقة ايرين المنكرة للتثليث،كما قد كتب عشر رسائل في شرح رسالة يوحنا لم يذكر في أيها هذا النص.

و قد حذفته النسخة القياسية المنقحة(R S V)من نسختها الإنجليزية، كما حذفته بعض التراجم العالمية، و ما يزال موجودا في غالب التراجم و منها العربية يقول بنيامين ولسن مترجم المخطوطات اليونانية:"إن هذه الآية التي تشمل على الشهادة بالألوهية غير موجودة في أي مخطوط إغريقي مكتوب قبل القرن الخامس عشر، إنها لم تذكر بواسطة أي كاتب اكليركي (إغريقي) أو أي من الآباء اللاتينيين الأولين حينما يكون الموضوع الذي يتناولونه يتطلب بطبيعته الرجوع إليها، لذلك فهي بصراحة مختلقة"[(١)].

و أما النص الثاني فهو ما جاء في خاتمة متى أن المسيح قبيل صعوده إلى السماء "كلمهم قائلا: دفع إلي كل سلطان في السماء و على الأرض، فاذهبوا و تلمذوا جميع الأمم و عمدوهم باسم الآب و الابن وروح القدس، و علموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. و ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين" (متى٢٨/ ١٨-٢٠).

و أول نقد يتوجه لهذه الفقرة أنها رغم أهميتها لم ترد في الأناجيل الثلاثة الأخرى التي اتفقت على إيراد قصة دخول المسيح أورشليم راكبا على جحش .فهل كان ركوبه على جحش أهم من ذكر التثليث فلم يذكره سوى متى.

و عليه فإن ناسخ البحث الصريح يعتبرها شهادة آحاد، فهي ضعيفة في دلالتها. ويتجاهل بأنها قد وردت في كتاب مقدس لاتضره آحاديته إن صحت قداسته، ثم إن الفقرة وردت في أحداث ما بعد القيامة، و قصة القيامة برمتها و لكثرة الاختلاف في روايات الأناجيل لها-كما سيأتي-يعتبرها علماؤنا قصة مزورة ملفقة[(٢)].

عزت الطهطاوي،ص ٢٩٩-٣٠٢.

(١) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٤٩٧/٢-٥٠٤، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١٠٦-١٠٧، خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس، أحمد ديدات، ترجمة:رياض هبري،بيت الحكمة،القاهرة،ص١٢.

(٢) انظر: تعليق على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة النصب الراسي"،لوحة ٥أ، الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي البغدادي،ص ٢٤، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ٩٧/١، عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ط١،دار الأنصار،القاهرة،١٤٠٥هـ،ص ٩١، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ١٠١-١٠٢.

ثم عند تفحص الفقرة يكشف عما يكذبها فقد سبقها حديث عن الحواريين بأنهم شـــكوا . يقول متى:"و لما رأوه سجدوا له، و لكن بعضهم شكوا" (متى ١٧/٢٨)، و كان مرقس قد ذكـــر في هـــذا الموضع أن المسيح ظهر للتلاميذ"و وبخ عدم إيمانهم و قساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قـــد قـــام، وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع، و اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها"(مرقس١٦/١٤-١٥)، و لم يذكر شـــيئاً عن عناصر التثليث.

و يرى عبد الرحمن البغدادي أن مما يكذب القصة برمتها في متى و مرقس اتهام الحواريين بعدم الإيمان و قساوة القلوب فلئن كان هذا شأن الحواريين فماذا يكون شأن سائر الناس.

و يؤكد عبد الرحمن باجة أن العبارة مضافة إلى الإنجيل بدليل أن يوحنا المعمدان قد قال –و حســب متى-:"أنا أعمدكم بماء التوبة، و لكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني... هو سيعمدكم بـــالروح القـــدس والنار" (متى ١١/٣)، فلم يذكر الآب و لا الابن.

و القول بأن هذه الفقرة دخيلة هو قول لعلماء الغرب أيضاً، يقول ويلز: ليس دليلاً على أن حواريـــي المسيح اعتنقوا التثليث".و يقول أدولف هرنك:"صيغة التثليث هذه التي تتكلم عن الآب و الابـــن و الـــروح القدس، غريب ذكرها على لسان المسيح، و لم يكن لها وجود في عصر الرسل،...كذلـــك لم يـــرد إلا في الأطوار المتأخرة في من التعاليم النصرانية ما يتكلم به المسيح و هو يلقي مواعظ و يعطي تعليمـــات بعـــد أن أقيم من الأموات،إن بولس لا يعلم شيئاً عن هذا ".[1]إذ هو لم يستشهد بقول ينسبه للمسيح يحـــض علـــى نشر النصرانية بين الأمم .

ويؤكد تاريخ التلاميذ عدم معرفتهم بهذا النص إذ لم يخرجوا لدعوة الناس كمـــا أمـــر المســـيح، ثم لم يخرجوا من فلسطين إلا حين أجبرتهم الظروف على الخروج "و أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية و قبرص و أنطاكيا و هم لا يكلمـــون أحـــداً بالكلمـــة إلا اليـــهود فقط"(أعمال ١٩/١١).

و لما حدث أن بطرس استدعي من قبل كرنيليوس الوثني ليعرف منه دين النصرانية، ثم تنصـــر علـــى يديه. لما حصل ذلك لامه التلاميذ فقال لهم:"أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي أن يلتصق بـــأحد أجنبي أو يأتي إليه، و أما أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما أنه دنس أو نجـــس"(أعمـــال ٢٨/١٠)، لكنه لم يذكر أن المسيح أمرهم بذلك بل قال "نحن الذين أكلنا و شربنا معه بعد قيامتـــه مـــن الأمـــوات، وأوصانا أن نكرز للشعب"(أعمال١٠/ ٤٢)، أي لليهود فقط.

و عليه فبطرس لا يعلم شيئاً عن نص متى الذي يأمر بتعميد الأمم باســـم الأب و الابـــن و الـــروح القدس. و لذلك اتفق التلاميذ مع بولس على أن يدعو الأميين ،وهم يدعـــون الختـــان أي اليـــهود يقـــول بولس:"رأوا أني أؤتمنت على إنجيل الغرلة (الأمم)كما بطرس على إنجيل الختان...أعطـــوني وبرنابـــا يمـــين

---

(١) انظر:الفارق بين المخلوق والخالق،عبد الرحمن باجي البغدادي،ص ٢٤،٥٠٦،مسيحية بلا مســـيح،كـــامل ســـعفان،ص ٦٦،المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبـــد الوهـــاب،ص ٦١،عقـــائد النصـــارى الموحديـــن بـــين الإســـلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٩٢،المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ٧٤

الشركة لنكون نحن للأمم،وأما هم فللختان" (غلاطية٢/٧-٩)فكيف لهم أن يخالفوا أمر المسيح -لو كان صحيحاً نص متى-ويقعدوا عن دعوة الأمم ،ثم يتركوا ذلك لبولس وبرنابا فقط؟

وجاءت شهادة تاريخية تعود للقرن الثاني مناقضة لهذا النص إذ يقول المؤرخ أبولونيوس :"إني تسلمت من الأقدمين أن المسيح قبل صعوده إلى السماء كان قد أوصى رسله أن لايبتعدوا كثيراً عن أورشليم لمدة اثني عشر سنة".[1]

فكل هذه الشواهد تكذب نص متى، و تؤكد أنه نص مختلق لا تصح نسبته للمسيح، ثم عند غض الطرف عن ذلك كله فإنه ليس في النص ما يسلم بأنه حديث عن ثالوث أقدس اجتمع في ذات واحدة، فهو يتحدث عن ثلاث ذوات متغايرة قرن بينها بواو عاطفة دلت على المغايرة، و المعنى الصحيح للنص كما يرى محمد حسن و غيره:"اذهبوا باسم الله و رسوله عيسى و الوحي المنزل عليه بتعاليم الله عز و جل".

و لهذه الصيغة مثل لا يصرفه النصارى للتثليث يذكره ناسخ البحث الصريح، فقد جاء في بعض رسالة بولس إلى تيموثاوس"أناشدك أمام الله و الرب يسوع المسيح و الملائكة المختارين..."(تيموثاوس(١)٥/٢١) فإن أحداً لم يفهم من النص ألوهية الملائكة أو أنهم الأقنوم الثالث، ويقال في نص متى ما يقال في نص بولس[2].

و هذا الأسلوب في التعبير معهود في اللغات و الكتب و قد جاء في القرآن مثله﴿يا أيها الذين آمنوا أمنوا بالله و رسوله و الكتاب الذي نزل على رسوله و الكتاب الذي أنزل من قبل﴾ [3] و غير ذلك من الآيات القرآنية.

---

(١) انظر :عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٢٣٠،طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٩١-٩٤،مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ١٧٨،حول موثوقية الأناجيل والتوراة،محمد السعدي،منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية،ليبيا،١٤٠٦هـ،ص ١٧.

(٢) انظر: تعليق على"البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح،زيادة النصب الراسي"،لوحة ٥أ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٩٧، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٦، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٨٢.

(٣) سورة النساء،آية:١٣٦.

المطلب الثاني:نشأة التثليث في النصرانية.

و الحق أن كل ما يقوله النصارى من أدلة على التثليث لا يسوغ الاستدلال بها، لأن من تنسب إليهم هذه الأسفار لم يعلموا عن التثليث شيئاً.

فأول من أدخل تعبير الثالوث إلى النصرانية ترتليان (٢٠٠م تقريباً)، كما ذكر ذلك قاموس الكتاب المقدس، و قد خالفه كثيرون من آباء الكنيسة حينذاك منهم سبيليوس و غيره، و قد انتصر التثليث بعد تنصر قسطنطين في القرن الرابع. و أما ما قبل ترتليان فليس للتثليث أي ذكر[1].

و قد أصبح التثليث عقيدة رسمية للنصرانية في أعقاب مجمعين قرر في الأول منهما تأليه المسيح، وفي الثاني تأليه روح القدس.

أولاً:مجمع نيقية:انعقد مجمع نيقية عام ٣٢٥م بأمر من الإمبراطور الوثني قسطنطين الذي كان قد أعلن قبل بضع سنوات قانون التسامح الديني في الإمبراطورية.

و رأى قسطنطين النزاعات بين الكنائس النصرانية تفتت شعب الإمبراطورية و تزعج كيان الدولة، فقرر الدعوة إلى مجمع عام تحضره الطوائف النصرانية المختلفة، و قد عقد المجمع بإشرافه الشخصي، و قام بافتتاحه، و حضره ٢٠٤٨ أسقفاً من مختلف الكنائس المسيحية، و استمرت المداولات ثلاثة أشهر من غير أن يصل المجتمعون إلى رأي موحد.

و قد كان المجتمعون على ثلاثة محاور رئيسة:

أ-موحدون منكرون لألوهية المسيح يتزعمهم آريوس الاسكندراني و أوسابيوس و معهم زهاء ألف من الأساقفة.

ب-القائلون بأن للمسيح وجوداً أزلياً مع الأب و أنه من ذات جوهره و إن مثّل أقنوماً مستقلاً عنه، وذكر هؤلاء بأن المسيح لو لم يكن كذلك لما صح أن يكون مخلصاً، و من القائلين بهذا الرأي بابا روما الاسكندروس، و الشاب الوثني المتنصر أثناسيوس الذي يقول عنه كتاب التربية الدينية المسيحية:"كلنا يعلم ما للقديس أثناسيوس الرسول من مكانة ممتازة في الكنيسة المقدسة على مر العصور... لقد حضر هذا القديس مع البابا الاسكندروس مجمع نيقية... فكان القديس أثناسيوس هو الجندي الصالح ليسوع المسيح، وكان للقديس أثناسيوس أيضاً الفضل في صياغة قانون الإيمان... و في أواخر سنة ٣٢٩م بطريركاً خليفة للبابا الكسندروس".

ج- و أراد بعضهم التوفيق بين الرأيين و منهم أوسايبوس أسقف قيسارية حيث قال بأن المسيح لم

---

(١) انظر: اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤١١،٤١٦، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ١٠، الميزان في مقارنة الأديان،محمد عزت الطهطاوي،ص ١١٠.

يخلق من العدم، بل هو مولود من الآب منذ الأزل و عليه ففيه عناصر مشابهة لطبيعة الآب.

و لا يخفى أن هذا الرأي-الذي زعم التوفيق-لا يكاد يختلف عن رأي أثناسيوس، و قد مال الملك إلى هذا الرأي الذي مثله ثلاثمائة و ثمانية عشر قساً، و خالف بقية المجتمعين الذين كانوا يشايعون آريوس أو مجموعات تتبنى آراء أضعف في المجمع كالقائلين بألوهية مريم أو أن الآلهة ثلاثة صالح و طالح وعدل أو غير ذلك.

و قد أصدر القسس الثلاثمائة و الثمانية عشر قرارات مجمع نيقية و التي كان من أهمها إعلان الأمانة التي تقرر ألوهية المسيح، كما أمر المجمع بحرق و إتلاف كل الكتب و الأناجيل التي تعارض قراره.

و أصدر قراراً بحرمان آريوس والقائلون برأيه، و قراراً آخر بكسر الأصنام و قتل من يعبدها ،و أن لا يثبت في الديوان إلا أبناء النصارى[1].

و يجدر بالذكر هنا أن قسطنطين الذي بارك قرارات هذا المؤتمر كان يومئذ على وثنيته، إذ هو لم يتعمد إلا على فراش موته و على يد أسقف آريوسي، إذ كان يومئذ قد نقل عاصمة ملكه إلى القسطنطينية التي غلب عليها الأريويسيون[2]

و حصل لآريوس و أتباعه ما كان قاله المسيح:"سيخرجونكم من المجامع،بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله، و سيفعلون هذا لكم، لأنهم لم يعرفوا الآب و لم يعرفوني"(يوحنا ١٦/٢-٣).

و يرى وصفي أنه من البدهي أن تكون هذه نبوءة لما جرى لآريوس و أتباعه، إذ المسيح يتنبأ بأحد أهم أحداث المسيحية[3].

و قد أغفل مجمع نيقية الحديث عن الروح القدس و لم يبحث ألوهيته فاستمر الجدل حولها بين منكر ومثبت حتى حسمت في مجمع القسطنطينية.

---

(١) انظر: الإنجيل والصليب،عبد الأحد داود،القاهرة،١٣٥١هـ،ص ١٨-٢٢، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١١٦-١١٧، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٣٠٢-٣٠٦، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ١٠٦، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا، ١٠١، التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ١٠١-١٠٢، عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٧٩-٨٢، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٣-٢٥، منهجية جمع السنة والأناجيل،عزية طه،ط١،دار البحوث العلمية،الكويت،١٤٠٧هـ،ص ٢٣٤، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،دار الشواف،١٩٩٢م،ص ١٧٠-١٧١، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢١٢-٢١٦.

(٢) انظر: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢١٦، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٥.

(٣) انظر: المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١١٧، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٤.

ثانياً: مجمع القسطنطينية.

انعقد المجمع عام ٣٨١م للنظر في قول مكدونيوس أسقف القسطنطينية الأريوسي و الـذي كـان ينكر ألوهية الروح القدس و يقول:"إن الروح القدس عمل إلهي منتشر في الكون، و ليس أقنوماً متميزاً عـن الأب و الابن".

و قد أمر بعقد المجمع الإمبراطور تاؤديوس (ت٣٩٥)، و حضره مائة و خمسون أسقفاً قرروا فيه:

١-عدم شرعية المذهب الأريوسي، و فرضوا عقوبات مشددة على أتباعه.

٢-أن روح القدس هو روح الله و حياته، و زادوا في قانون الإيمان فقرة تؤكد ذلك، و بذلك أصبح التثليث ديناً رسمياً في النصرانية.

٣-لعن مكدونيوس و أشياعه.

٤-وضعت بعض القوانين المتعلقة بنظام الكنيسة و سياساتها[1].و قد ذكـر القـائلون بألوهيـة روح القدس في المجمع بأنه"ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، و ليس الله شيئاً غير حياته، فـإذا قلنـا أن روح القدس مخلوق فقد قلنا أن الله مخلوق".

و يتعلق النصارى بتأليهه بما جاء في إنجيل يوحنا:"إن الله روح"(يوحنا ٢٤/٤)، كما يرونه الـروح الموجودة منذ بدء الخليقة"في البدء خلق الله السماوات و الأرض...و روح الله يرف علـى وجـه المـاء" (التكوين ١/١-٢).

و لكن روح القدس في الكتاب المقدس من أغمض المصطلحات الكتابية، لكنه على أية حال لا يتفـق مع المعنى الذي قدمه مجمع القسطنطينية فقد ورد هذا الإطلاق على معان متعددة:

١-الروح التي هي مادة الحياة و منه ما جاء في سفر التكوين" فقال الرب لا تحل روحي على إنسـان أبداً، لأنه جسد" (التكوين٦/٣)، و قال عن آدم"و نفخ في أنفه نسمة حيـاة، فصـار آدم نفسـاً حيـاً" (التكوين ٧/٢).

٢-الروح التي تحل على الأنبياء فتلهمهم و منه"داود قال بالروح القدس"(مرقس ٣٦/١٢)، و انظـر متى ٤٣/٢٢) ومثله "و امتلأ زكريا أبوه من الروح القدس"(لوقا ٦٧/١).

٣-الروح التي تحل على غير الأنبياء من الصالحين فتنصرهم و تؤيدهم و تهديهم و منه"كان الرجـل في أورشليم اسمه سمعان، و هذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل، و الـروح القـدس كـان عليـه"، وكذلك أيد روح القدس التلاميذ في اليوم الخمسين"فامتلأ الجميع من الروح القدس و ابتـدءوا يتكلمـون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا" (أعمال ٤/٢)، "روحـي قـائم في وسـطكم .لا تخـافوا" (حجي ٥/٢).

---

(١) انظر: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢١٨-٢٢١، اليهودية والمسيحية،محمـد ضيـاء الرحمـن الأعظمي،ص ٣٠٧، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٤٨، ٨٢، المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٣٤-١٣٥.

٤-القوة غير المعتادة و منه قول التوراة: "و ملأته من روح الله" (الخروج ٣١/٣)، و عن مريم يقول:"وجدت حبلى من الروح القدس"(متى ١/١٨).

٥-الحكمة و منه قول فرعون لعبيده:"هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله" (التكوين ٤١/٣٨)، إلى غير ذلك من المعاني ،لكن جميع هذه المعاني غير مرادة عند مؤلهي روح القدس يقول ياسين منصور:"هو الأقنوم الثالوث في اللاهوت، و ليس مجرد تأثير أو صفة أو قوة، بل هو ذات حقيقي، وشخص حي، و أقنوم متميز، و لكنه غير منفصل، و هو وحدة أقنومية غير أقنوم الأب و غير أقنوم الابن، وهو مساو لهما في السلطان و المقام، و مشترك و إياهما في جوهر واحد و لاهوت واحد"[1].

و لم يقدم النصارى دليلاً صريحاً واحداً على تأليه الروح القدس .

و تحكي أسفار العهد الجديد عن تجسدات عدة للروح القدس منها تلك التي تحمل على الحلول المجازي (انظر إشعيا ٦٣/١١، خروج ٣١/١-٢)، و أخرى حلولات حقيقية منها نزوله على شكل حمامة على المسيح و هو يصلي" نزل عليه الروح القدس بهيئة جسيمة مثل حمامة" (لوقا٣/٢٢).

و في مرة أخرى أتى على شكل ألسنة نارية، و ذلك حين حل على التلاميذ يوم الخمسين"و صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، و ملئ البيت حيث كانوا جالسين، و ظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، و استقرت في كل واحد منهم، و امتلأ الجميع من الروح القدس..."(أعمال ٢/١-٤)[2].

و أما ما يتعلق به النصارى على ألوهية روح القدس في قوله "إن الله روح"(يوحنا ٤/٢٤)، و القول بأن روح القدس هو المقصود بما جاء في مقدمة سفر التكوين، فهذا كله غلط في فهم النصين.

إذ مقصود يوحنا أن الله روح أي لا يرى إذ ليس هو جسداً مادياً مكوناً من لحم و عظم و قد قال لوقا:"و الروح ليس له لحم أو عظام" (لوقا ٢٤/٣٩).

و أما ما جاء في مقدمة سفر التكوين فإن في الترجمة لبساً أوهم هذا الخلط، فالنص كما ينقل اسبينوزا عن مفسري اليهود يقصد منه رياح عظيمة أتت من عند الله فبددت ظلمات الغمر.

و مثله يقول و هو يصف الريح المدمرة"ييس العشب، ذبل الزهر، لأن روح الرب هب عليه" (إشعيا ٤٠/٧).

و نسبة الروح لله نسبة تعظيم لا تأليه كقوله "جبال الله" (المزمور ٣٦/٦)، و "أرز الله" و هي ليست أقانيم بالاتفاق[3].

---

(١) انظر: أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٤٢-٤٤، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١١٦-١٢٥، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ٨٥ –٨٦،مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد علي الخولي، ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) انظر:المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١١٢-١١٤ .

(٣) انظر: سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٤٥-٣٤٧، أقانيم النصارى، أحمد

و هكذا يرى علماؤنا أن التثليث صياغة بشرية قامت بها المجامع بأهواء البابوات و الأباطرة من غير أن تستند إلى دليل يؤكد أصالة هذا المعتقد الذي لم يعرفه الأنبياء و لم يذكره المسيح و لم يدركه الحواريون، و قد صدقت الموسوعة الكاثولوكية الحديثة حين قالت:"إن صياغة الإله الواحد في ثلاثة أشخاص لم تنشأ موطدة و ممكنة في حياة المسيحيين و عقيدة إيمانهم قبل نهاية القرن الرابع"[1].

حجازي السقا،ص ٤٤، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١٣٤، النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٣٢٢-٣٢٣.

(١)الغفران بين الإسلام والمسيحية،إبراهيم خليل أحمد،ص ٩٥.

المطلب الثالث: نقد عقيدة التثليث.

النصوص الموحدة

رأى علماؤنا غرابة دعوة التثليث و أصالة التوحيد في النصرانية و تناقلوا عشرات النصوص التي تؤكد بأن معتقد المسيح و تلاميذه هو توحيد الله عز و جل، و لسوف نذكر هنا ما لم يسبق لنا ذكره في الباب الأول.

فمن هذه النصوص ما جاء في سفر التثنية"اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا واحد، فتحب الرب إلهك من كل قلبك و من كل نفسك و من كل قوتك، و لتكن هذا الكلمات التي أوصيك بها اليوم على قلبك، وقصها على أولادك، و تكلم بها حين تجلس في بيتك، و حين تمشي في الطريق و حين تنام و حين تقوم، واربطها علامة على يديك، و لتكن عصائب بين عينيك، و اكتبها على قوائم أبواب بيتك و على أبوابك" (التثنية ٦/٤-٩)، و جاء في مزامير داود "كل الأمم الذين صنعتهم يأتون و يسجدون أمامك يا رب ويمجدون اسمك، لأنك عظيم أنت و صانع العجائب. أنت الله وحدك" (مزمور ٨٦/٩-١٠)، و جاء في إشعيا:"يقول الرب:...قبلي لم يصور إله، و بعدي لا يكون. أنا أنا الرب، و ليس غيري مخلص، أنا أخبرت وخلصت و..."(إشعيا ٤٣/١٠-١٢)، و "أيها الرب إلهنا خلصنا من يده، فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك" (إشعيا ٣٧/٢٠)، "أنا الرب صانع كل شيء، ناشر السماوات وحدي باسط الأرض، من معي؟!"(إشعيا ٤٤/ ٢٤)، "أنا الرب و ليس آخر، لا إله سواي"(إشعيا ٤٥/٥)، و مثله كثير في أسفار العهد القديم(انظر ملاخي ٢/١٠، ملوك(١)٨/٢٧،...).

و كذا جاءت أسفار العهد الجديد تؤكد تفرد الخالق بالألوهية و الربوبية و تذكر ذلك على لسان المسيح و حواريه.

فمما جاء على لسان المسيح أنه قال:"لا تدعو لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السماوات، و لا تدعو معلمين لأن معلمكم واحد المسيح" (متى ٢٣/٩-١٠)، و في (يوحنا ٥/٤٤)، كما قال مخاطباً ربه"الحياة الأبدية أن يعرفونك أنت الإله الحقيقي وحدك، و يسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا ١٧/٣).

و مما جاء على لسان تلاميذه قول يعقوب"أنت تؤمن أن الله واحد. حسناً تفعل" (يعقوب ٢/١٩)، و يقول "واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص و يهلك" (يعقوب ٤/١٢)، و يقول يهوذا:"الإله الحكيم الوحيد مخلصنا" (يهوذا ٢٥)، و يقول أيضاً:"و ينكرون السيد الوحيد: الله، و ربنا يسوع" (يهوذا ٤).

بل و حتى بولس نجد له بعض النصوص التي تعترف لله بالوحدانية، و من ذلك قوله "يوجد إله واحد و وسيط بين الله و الناس:الإنسان يسوع المسيح" (تيموثاوس(١)٢/٥)، و يقول"لكن الله واحد" (غلاطية

٣/٢٠)[1].

فهذه النصوص و كثير مثلها تتحدث عن الإله الواحد، و ليس في واحد منها أو غيرها حديث عن الإله المتعدد الأقانيم المتوحد في الجوهر الذي يدعيه النصارى.

و إزاء هذه النصوص الموحدة كان لا بد للنصارى أن يفلسفوا عقيدتهم المثلثة التي استقروا عليها في أواخر القرن الرابع الميلادي، فظهرت فكرة: التثليث في وحدة ،والوحدة في تثليث.

الجمع بين التوحيد و التثليث.

و في محاولة من النصارى للجمع بين التثليث و الوحدانية ضرب النصارى الأمثال، و منها تشبيههم التثليث الموحد بالدماغ: فهو العالم و المعلوم و أداة التعلم، و يشبهه آخرون بالتفاحة لها طعم و لون ورائحة، أو بالشجرة لها جذر و ساق و أوراق أو بالمثلث له ثلاثة أضلاع، إلى غير ذلك من الأمثال التي لا تصح بحال.

فالمثال الذي ضربه أغسطينوس (مثال الدماغ) التوحيد فيه اعتباري غير حقيقي بينما تثليث النصارى حقيقي فالمصلوب جوهر واحد من الثالوث و ليس هو الثالوث كله[2].

و أما مثال التفاحة فهو يتحدث عن ذات واحدة لها ثلاث صفات، و ليس عن ذوات منفصلة كالتثليث.

و مثال الشجرة و المثلث يتحدثان عن ذات مكونة من أجزاء، و القول بأن الإله مركب من ثلاث ليس قولاً للنصارى ،و يلزم منه الفقر إلى بقية الأجزاء كما يلزم منه الجسمية، ثم أين كانت هذه الأجزاء في الأزل؟ و من الذي ركبها؟.

و يؤكد هاشم جودة بأن التركيب لازم للنصارى إن قالوا باشتراك الأقانيم في وجود واحد مع استقلال كل من الأجزاء عن الآخرين، فإن أبوا فقد وصفوا كل من الثلاثة بالكمال المطلق و القدرة المطلقة

---

(١) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٦٨٢، ٧٣٦، ٧٤٢، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/١٩٦-٢٠٠، سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس،عبد الله العلمي،ص ٣٤٩-٣٥٢، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١٠٩-١١٢، التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ٣٨، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١٢٦-١٣٨، المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ٣١٢-٣١٦، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ١٠٠-١٠١، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٧٧-٨١،المسيا المنتظر نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم،أحمد حجازي السقا،ط١،مكتبة الثقافة الدينية ،مصر،١٣٩٨هـ،ص ٢٧، الغفران بين الإسلام والمسيحية،إبراهيم خليل أحمد،ص ٦٧، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٨٨-٨٩، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ص ١٢٠-١٢١، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح حماد،ص ١٤٣-١٤٤، النصرانية من التوحيد إلى التثليث،محمد أحمد الحاج،ط١،دار القلم،دمشق،١٤١٣هـ،ص ٧٠-٧٤،هل بشر المسيح بمحمد ؟ نبيل الفضل،ص ٤٥-٤٦.

(٢) انظر: ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٥٢-٥٣.

و هذا مفض إلى التخالف و الاستقلالية.

و القول بعد ذلك بأن هذا التثليث هو وحدة جمع للنقيضين ،و النقيضان لا يجتمعان بحال[1].

و أمام ضعف هذه العقيدة أمام العقل البشري الذي يعجز عن تصورها، بل يرفضها لا يجد النصارى من سبيل إلا القول بأن تثليثهم سر من الأسرار التي لا يمكن للعقل أن يقف على كنهها،بل يعترف البعض منهم بتعارض المسيحية والعقل فيقول القديس سان أوغسطين :"أنا مؤمن لأن ذلك لايتفق و العقل"،ويقول كير كجارد:"إن كل محاولة يراد بها جعل المسيحية ديانة معقولة لابد أن تؤدي إلى القضاء عليها"،و قد جاء في "التعليم المسيحي": لا يجوز التدخل في أسرار الله، لأننا لا نستطيع إدراك أسرار الإيمان.

و يقول زكي شنودة:"و هذا سر من أسرار اللاهوت الغامضة التي لا يمكن إدراك كنهها بالعقل البشري"، و يقول الأب جيمس تد:"العقيدة المسيحية تعلو على فهم العقل"، و مثله أقر به كثيرين و منهم القس أنيس شروش:" واحد في ثلاثة، و ثلاثة في واحد، سر ليس عليكم أن تفهموه، بل عليكم أن تتقبلوه".

و نختم بقول مفسر نصراني للكتاب المقدس يقول:"نعم قد يعسر علي-كمفسر للبيبل(الكتاب المقدس)- أن أشرح لك أو حتى لنفسي كيف أن الله واحد في ثلاثة أقانيم و رغم هذا فلا أستطيع أيضاً أن أنكر أقانيم الثالوث حتى أرضي عقلي أو العلم، و نحن نعلم أن الدين و العلم لا يتفقان".

ولذلك كانت صيحة الكنيسة لقرون عديدة كما نقل الجبهان:"الجهالة أم التقوى"و"أطفئ مصباح عقلك و اعتقد وأنت أعمى".[2]

ويفلسف اسكندر جديد هذا الإفلاس لعقيدته فيقول بأن الإيمان بهذه الطريقة نوع من الإيمان بالغيب.ويجيب الجبهان بأن الغيوب منها ماهو حق ،ومنها ماهو باطل،فمن أقام الأدلة الصحيحة على غيوبه فقد صدق إيمانه ،وأما من قال بما قامت الأدلة على بطلانه فهذا إيمانه باطل،وهذا ما ينطبق على أقوال النصارى التي لايستسيغها عقل كمثل قولهم بأن الثلاثة واحد أو أن الله -تعالى عن ذلك-قد خرج من فرج امرأة...[3]

---

(١) انظر:إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٧٢٥-٧٢٧ التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ١٠٤-١٠٥، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ص ١٣٦-١٣٧، ١٤٨-١٥١، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١١٩، ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٥٦.

(٢) انظر: المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١٣٩، التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ١١٧، مناظرة العصر،أحمد ديدات،ص ١٠٥، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ص ١٥٣، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ٧٠-٧١، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٢٢-٢٣، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤٣٤، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ٦١-٦٣، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٥٧-٢٥٨، ٢٨٤-٢٨٨،دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٣٥،معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير،إبراهيم الجبهان،ص ٤٦-٤٧.

(٣)معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير،إبراهيم الجبهان،ص ١٤٢ .

حقيقة الأقانيم و الجوهر عند النصارى

ما هي الأقانيم؟ و ما علاقتها بالجوهر؟

حاول علماؤنا فهم مايريده النصارى بالأقانيم و ما هي علاقة هذه الأقانيم بالجوهر؟ غير أنهم لم يجدوا رأياً نصرانياً موحداً ،فالبعض يرى الأقانيم مجرد أسماء لجوهر واحد.

و أما الفرق النصرانية الكبرى فالأرثوذكس يرون الأقانيم مراحل لإله واحد في الجوهر، فالأب هو الابن و هو روح القدس، يقول الأسقف سابليوس عن الله:"ظهر في العهد القديم بصفته آب، وفي العهد الجديد بصفته ابن، و في تأسيس الكنيسة بصفته روح القدس".

و إذا تساءلنا عن سبب اختلاف الأسماء في هذه المراحل للجوهر الواحد فإن القس توفيق جيد يجيب:"إن تسمية الثالوث باسم الآب و الابن و الروح القدس تعتبر أعماقاً إلهية و أسراراً سماوية لا يجوز لنا أن نفلسف في تفكيكها و تحليلها، أو نلحق بها أفكاراً من عندياتنا...".

و ما دامت هذا الأقانيم مراحل للجوهر الواحد، فإن ياسين منصور يقول عنها بأنها "ثلاث شخصيات متميزة غير منفصلة، متساوية فائقة عن التصور"، و يقول أثناسيوس بالتساوي بين الأقانيم"فلا أكبر ولا أصغر ،و لا أول و لا آخر، فهم متساوون في الذات الإلهية و القوة و العظمة".

أما الكاثوليك فيعتبرونها ثلاث شخصيات أو ثلاث ذوات لكل منها مهام منفصلة، و ترجع إلى ذات واحدة موجودة في الأزل، و هي غير متساوية، فالأب أعظمها ثم الابن ثم روح القدس. يقول الأسقف أبوليناراس:"الأقانيم الثلاثة الموجودة في الله متفاوتة القدر، فالروح عظيم، و الابن أعظم منه، و الأب هو الأعظم...ذلك أن الأب ليس محدود القدرة و الجوهر، و أما الابن فهو محدود القدرة لا الجوهر، والروح القدس محدود القوة و الجوهر"[1].

و يثير علماؤنا على هذه الصيغ بعض التساؤلات العقلية ،فالذين يقولون بتساوي الأقانيم لم لايجيزون الاختلاف في ترتيب الثالوث؟ لم يعتبرون القول باسم الروح القدس و الابن و الآب هرطقة؟ فهذا المنع دال على عدم التساوي،والأمر بالمحافظة على الترتيب مشعر بأهمية بعضها على بعض .

ثم إن المتأمل في بعض الأرقام التي أوردها ياسين منصور يشعر بعدم التساوي وينقض الترتيب الذي تفرضه الكنيسة ،إذ أن الله دعي رباً في العهد الجديد ١٤٤ مرة فيما دعي الابن إلهاً ٤١٢ مرة، و دعي روح القدس إلهاً خمس مرات فقط. و لو كان كل من الأقانيم على درجة الآخر منزلة و فضلاً لكان ينبغي أن يتقاربوا بالذكر لا أن يتفاوتوا هذا التفاوت الكبير.

فالابن في المسيحية يحتل مكانة لا يصل إليها سائر الأقانيم وهو ماعبر عنه قول ياسين منصور في رسالة"التثليث و التوحيد":إن موضوع الكرازة و التبشير والتعميد و التعليم و الوعظ للدين المسيحي هو المسيح نقدمه للجميع في كل الكنائس و المدارس و البيوت في كل جهة و لكل إنسان".

---

(١) انظر: الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ٤٥-٤٧، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤٢٠-٤٢٤، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ص ١٣٢-١٣٣.

و يقول القس توفيق جيد عن "الابن" :"رب القدرة المعجزية، و هو مصدر البركات الروحية، وهو موضوع الصلاة التعبدية، و موضوع الآمال الأبدية"، ثم إن كان هناك ما يمنع هذا التساوي المزعوم ألا وهو النصوص الإنجيلية التي تعتبر الابن مرسلاً من قبل الله كما يعتبرون الروح القدس هو "الفارقليط" المرسل من قبل الابن و المسيح يقول:"الحق الحق أقول لكم: إنه ليس عبد أعظم من سيده، و لا رسول أعظم من مرسله" (يوحنا ١٣/١٦) .

ثم ماذا عن قول المسيح الذي يفيد المغايرة في الحكم بينه وبين أقنوم آخر وهو الروح القدس وذلك في قوله:"من قال كلمة على ابن الإنسان(المسيح)يغفر له ،وأما من جدف على الروح القدس فلا يغفر له"(لوقا ١٢/١٠).

و أخيراً فما وجه تسمية كل منها باسم مختلف ما دام المسمى واحداً [1].

و أما القائلون بتفاوت الأقانيم و اختلاف وظائفها و اختصاصاتها(الكاثوليك) فهم يقولون الأب وظيفته خلق العالم و المحافظة عليه، و الابن كفارة الذنوب و تخليص البشر،و الروح القدس تثبيت قلب الإنسان على الحق و تحقيق الولادة الروحية الجديدة.

و هنا السؤال هل يمكن لكل أقنوم من الأقانيم الثلاثة أن يقوم بما اختص به القنومان الآخران؟ فإن أمكن أن يقوم بعمل الأقنومين الآخرين جاز بأن يقال بأن الابن ابن لنفسه و أب لنفسه...و هذا مرفوض وإن قيل لا لزم كل أقنوم العجز فبطلت ألوهيته.

و النصارى يمنعون هذا السؤال بقولهم بأن الأقانيم جوهر واحد يمثلون ذاتاً واحدة، فليس لأحدهم سبق في الزمان أو تفرد بالمشيئة، فلهم عقل واحد و مشيئة واحدة و علم واحد.

لكن ما يقول النصارى مرفوض إذ هم يؤمنون حقيقة بذوات منفصلة لكل منها مشيئة خاصة ووجود خاص و مهمات خاصة كما يتضح ذلك من أسفار العهد الجديد.

فإن قيل بألوهية الجميع فيتساءل هاشم جودة ماذا يحدث لو أن أحد الأقانيم كالأب قام بعمله المناط به و هو العدل في طائفة من خلقه، و قام الابن بالعفو عنهم و الرحمة . فأي الحكمين ينجز؟

فإن قيل لكل منهما طائفة فهذا تحديد لقدرة الإله، و إن قيل يتفقان على تنفيذ مرادهما معاً (أي العدل و الرحمة) فهذا تناقض[2].

و هكذا فإن القول بالأقانيم الثلاثة يراه علماؤنا نوعاً من تعدد الآلهة الذي لو وجد لأفضى إلى فساد

---

(١) انظر: مناظرة العصر،أحمد ديدات،ص ٦٥، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٧١، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ٤٨-٤٥، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ٦٥-٦٦، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ٧٣، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ص ١٣٨-١٤١.

(٢) انظر: التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ١١٨-١١٩، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير،إبراهيم الجبهان،ص ٨١،١٥٤، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ١٠٨، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ص ١٤٦.

الكون كما قال الله تعالى ﴿لو كـــان فيـــهما آلهـــة إلا الله لفســـدتا فســـبحان الله رب العـــرش عما يصفون﴾ [1].

مبررات تجسد الابن.

كما تساءل علماؤنا في هذا الباب عن سبب تجسد الابن دون الأب و روح القدس؟ وتساءلوا لم كان التجسد الإلهي على صورة بشر؟ ما ضرورته؟ لماذا نزل الابن من عليائه ليدخل جوف امرأة ثم يخـــرج مـــن فرجها؟ لم كان هذا كله.

اجتهد في الإجابة عن هذه الأسئلة رجال الكهنوت،ولما يجدوا لها إجابة في ثنايـــا كتـــاهم أعملـــوا عقولهم ،فصدرت عنهم أقوال مختلفة، كل بحسب ما أداه إليه عقله إذ كما لم يجدوا في العهد الجديد ما يؤكد قول بولس بأن الإله قد تجسد أيضاً لم يجدوا في هذه الأسفار تبريراً له.

و قد انحصرت إجاباهم في ثلاثة أقوال:

أولها:أن هذا السر لا نفهمه و ينبغي أن نؤمن به.

ثانيها: أن التجسد كان لردم الهوة بين الله و البشرية و إيناسها برؤية الإله.

ثالثها: أن التجسد كان ضرورة للتوفيق بين عدل الله و رحمته حيث اقتضى عدل الله موت البشـــرية و تسلط الموت عليها و اقتضت رحمته حياها.

و في ذلك يقول أثناسيوس و هو أحد أهم رجال مجمع نيقية :"لهذا كان أمـــام كلمـــة الله أن يـــأتي بالإنسان الفاسد إلى عدم فساد، و في نفس الوقت أن يؤمن مطالب الأب العادل المطالب به الجميع، وحيـــث أنه هو كلمة الأب و يفوق الكل، فكان هو وحده الذي يليق بطبيعته أن يجدد خلقه كـــل شـــيء و أن يتحمل الآلام عن الجميع لدى الآب...لأجل ذلك نزل إلى عالمنا كلمة الله الخالي من الجسد، العديم الفســـاد وغير المادي...و إذ لم يتحمل أن يرى الموت تصير له السيادة لئلا تفنى به الخليقة، و تذهب صنعـــه أبيـــه في البشر هباء، فقد أخذ لنفسه جسداً لا يختلف عن جسدنا...لأنه لو لم يكن الرب مخلص الجميع ابن الله قـــد جاء إلينا و حل بيننا ليوفي غاية الموت لكان الجنس البشري قد هلك".

و يرفض أصحاب الردود الإسلامية هذا التبرير لأنه يظهر الإله العظيم عاجزاً عن العفـــو و الغفـــران حائراً بين عدله و رحمته، و مثل هذا لا يقع به الحكماء من الناس فضلاً عن رب العالمين.

ثم ماذا بعد الجسد هل تغير حال البشر فلم يعد الموت متسلطاً عليهم؟

فيجيب أثناسيوس"بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم...و عندما تم ذلك بدأ البشر يموتون، و صـــار عليهم من الفساد في ذلك الوقت فصاعداً، و صار له سلطان على الجنس البشري أكثر من سلطانه الطبيعـــي، لأنه أتى نتيجة هديد الله في حال العصيان".

---

(١) سورة الأنبياء، آية:٢٢.

لكنا لم نعرف ما هو السلطان الطبيعي للموت؟ و لا ندري ما الفرق بين موت الناس قبل المسيح وبعده...[1] كما يحق لنا أن نتساءل هنا عن سر تسلط الموت على غيرنا كأنواع الحيوانات المختلفة.

كما يذكر أثناسيوس سبباً آخر للتجسد فيقول:"عندما خلق الله الضابط للكل الجنس البشري بكلمته، و رأى ضعف طبيعتهم، و أنها لا تستطيع من نفسها أن تعرف خالقها، أو أن تكون فكرة عن الله على الإطلاق...لهذا تحنن الله على الجنس البشري على قدر صلاحه و لم يتركهم خالين من معرفته لئلا يروا أن لا منفعة على الإطلاق من وجودهم في الحياة".

لقد كان الهدف من التجسد إذن أن تأنس البشرية برؤية و معرفة ربها و أن تنهدم الهوة الواسعة بين الخالق و المخلوق و هو ما عبر عنه سنوت في كتابه "المسيحية الأصلية" حيث يقول:"توجد فقط هوة واسعة لا حد لها... و لو لم يكن الله بادر و تدراك الأمر لبقيت الحالة على ما هي عليه، و لظل الإنسان بلا رجاء يتخبط في دياجير اللاإرداية، و لكن الله تكلم، و لقد بادر و أعلن عن نفسه".

و هنا يتساءل الخطيب كيف كانت صلة الأنبياء بربهم مع هذه الهوة؟ هل عرفوا ربهم المعرفة التي تدفعهم لعبادته و طاعته؟ أم كان إيمانهم باهتاً؟ و ماذا تغير في حياة البشرية بعد تجسد الإله هل آمن الناس و عرفوا ربهم؟ و هل زال الإلحاد من البشرية؟

ثم أين الإيناس للبشرية في رؤيتها للرب و هو يصفع و يضرب و يجلد. إن هذا من شأنه أن يقلل من مقام الألوهية عندهم" فالنفس البشرية طلعة تتوقد أشواقها إلى المجهول، و تتحرك نزعاتها إلى عالم الغيب، فإذا انكشف لهم المجهول أو ظهر لهم ما وراء الغيب سكنت نزعاتها و بردت أشواقها نحو هذا الشيء الذي كانت تسعى إليه و تجد في البحث عنه".

ثم ماذا عن باقي أجيال البشرية التي لم تأنس بمعرفة هذا المتجسد .هل من العدل أن تحرم منه ؟وكيف لها أن تعرف ربها و لم تراه ؟!

ثم لم كان أنسنا بالإله حال طفولته وشبابه فقط،و لم نأنس به أيضاً حال كهولته و هرمه.فلماذا؟![2]

و يرى شارل جنيبر ضعف هذه التبريرات، و يقرر أن بولس هو الذي قرر تجسد الإله و جاء بالفكرة بعد أن أدرك"أن الاتباع الجدد من المشركين لم يكونوا ليتقبلوا كل القبول فضيحة الصلب، و أنه يجب تفسير ميتة عيسى المشينة-و التي لم يكف الأعداء بطبيعة الحال عن الرجوع إليها-تفسيراً مرضياً-يجعل منها واقعة ذات مغزى ديني عميق.

و أعمل الحواري(بولس) فكره في هذه المشكلة...و وضع حلاً كان له صدى بالغ المدى قد تجاهل فكرة عيسى الناصري التي أغرم بها الاثنا عشر، و لم يتجه إلا إلى عيسى المصلوب، فتصوره شخصية إلهية تسبق العالم نفسه في الوجود، و تمثل نوعاً من التشخيص...و قد عثر الحواري على العناصر الجوهرية في

---

(١) انظر: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ،عبد الكريم الخطيب،ص ١٥٨-١٦٠.

(٢) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ،عبد الكريم الخطيب، ص١٣٠-١٣٢،١٦٠-١٧٠، النصرانية ، مصطفى شاهين ، ص ٢٥٤-٢٥٥.

الأسرار، عثر عليها في غالب الظن دون أن يبحث عنها..."

و يضيف الخطيب بياناً فيرى أن ثمة حرجاً واجهه بولس و غيره كيف انتهت حياة المسيح على الصليب و التوراة تنص على لعن كل مصلوب (انظر التثنية ٢١/٢٣).

كيف يصبح السيد المسيح ملعوناً، فرأى بولس أن يجعل من الملعون مثلاً أعلى في التضحية، و أن يجعل منه إلهاً نزل و تجسد ليفدي البشرية من خطاياها فصار لعنة ليفتديهم من لعنة الناموس ،و كما قال بولس:"ولكن الله من محبته لنا ،لأنه و نحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا، فبالأولى كثيراً و نحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب، إنه و إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه.."(رومية ٥/٨-١٠)[1].

و أخيراً فإن محمد مجدي مرجان يرى في هذا الذي تقوله النصارى في الرب جل و علا من تعدد وتجسد نوعاً من العبث الإنساني و جرأة صارخة على مقام الرب جل و علا وتطاول مستغرب فإن "المثال حين يصنع تمثالاً فإنه يستطيع أن يهدمه و لا يتصور أحد أن يدعي التمثال أنه من جبلة صانعه، أو أنه جزء أو عنصر من هذا الصانع.

و لكن الإنسان الضعيف أحد مخلوقات الله تطاول على صانعه، ثم أخذه الغي و لعبت برأسه نشوة الضلال ،فقلب الوضع و عكس الآية، فقام بإعادة تكوين و تشكيل صانعه، ثم راح يعيد تقسيم خالقه إلى أقسام ثلاثة ابتدعها خياله جاعلاً كل قسم منها إلهاً قائماً بذاته، محولاً الإله الواحد إلى ثلاثة...ثم قام بتقسيم الأعمال و الأعباء و الوظائف بين آلهته الثلاثة التي صنعها عطفاً و إشفاقاً من أن يتحمل كل تلك الأعمال والأعباء و الوظائف إله واحد. حقاً ما أشقى الإنسان".

ويرى منصور حسين أن فكرة التجسد النصرانية أحد أسباب انتشار الإلحاد بين البشر،فإن الإنسان يميل بفطرته وعقله إلى تعظيم الخالق وتنـزيهه عن الشبيه والمثيل،فيما تجعله النصرانية إنساناً خرج من فرج امرأة من بني إسرائيل...

يقول كيرانس ايرسولد:"أما من وجهة نظر العلم فإنني لأستطيع أن أتصور الله تصوراً مادياً بحيث تستطيع أن تدركه الأبصار أو أن يحل في مكان..".

وعندئذ يخير الناس بين المعتقد الخاطئ والفطرة الصحيحة المؤيدة بسلطان العقل فلا يجد كثير منهم مفراً من الكفر بإله الكنيسة المصفوع والمصلوب،فيكثر الإلحاد. [2]

تعالى الله عما يقول هؤلاء علواً كبيراً.

---

(١) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٦٥، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ،عبد الكريم الخطيب،ص ١٣٤-١٣٦.

(٢) الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١٢٥،طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص٣٨-٣٩،٤٥،دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٥٠٨،المناظرة الإسلامية النصرانية،ص١٦٥-١٦٦ .

ومن الآثار السيئة التي تتركها عقيدة التجسد إضعاف المثل والقيم التي جاء بها المسيح ودعا إليـــها،ثم كان بسبقهم إليها قدوة صالحة لأتباعه،لكن أثر هذا الخلق يضيع مع القول بالألوهية،إذ لن يتصـــور البشـــر إمكانية تطبيق هذه المثل التي سبقهم إليها إله.

وصدقت دائرة المعارف الأمريكية في قولها:"لو كان إلهاً فإن المثل التي ضربها لنا بعيشته الفاضلة يفقـــد كل ذرة من القيمة حيث أنه يمتلك قوى لا نملكها.إن الإنسان لا يستطيع تقليد الإلـــه".ويقـــول تومـــاس أكمبسفي كتابه"على خطى المسيح":"إذا كان المسيح إلهاً فإن المرء لا يستطيع اقتفاء أثـــره والســـير علـــى منهجه".

المطلب الرابع:التوحيد[1] في التاريخ النصراني

رأينا فيما سبق شهادة أسفار العهد القديم و الجديد على أن التوحيد هو دين الله الذي نـــادت بـــه الرسل، و أن عيسى هو عبد الله و رسوله و إذا كان الأصل في ديانة عيسى كذلك فأين أتباع المسيح و مـــتى انضوى التوحيد عن الوجود في حياة الملة المسيحية؟ و هل من الممكن ألا يكون لكل تلك الدلائل الموحـــدة أثر في النصرانية على مر العصور؟ للإجابة عن هذه الأسئلة قلب علماؤنا صفحات التاريخ القديم و الجديـــد وهم يبحثون عن عقيدة التوحيد و تاريخها خلال عشرين قرناً من الصراع مع وثنية بولس.

التوحيد في ما قبل مجمع نيقية.

نشأ الجيل الأول بعد المسيح مؤمناً بتوحيد الله و عبودية المسيح و أنه كان نبياً رسولاً، و رأينا ذلـــك في ما سطره الإنجيليون و القديسون بما فيهم بولس من نصوص موحدة.

لذا نستطيع القول بأن الجيل الأول من تاريخ النصرانية كان موحداً بشهادة التـــاريخ حيـــث يقـــول بطرس قرماج عن بطرس و مرقس:"كانا ينكران ألوهية المسيح".

و تقول دائرة المعارف الأمريكية:"لقد بدأت عقيدة التوحيد كحركة لاهوتية بداية مبكرة جـــداً في التاريخ أو في حقيقة الأمر فإنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين".

وتقول دائرة معارف لاوس الفرنسية :"عقيدة التثليث وإن لم تكن موجودة في كتب العـــهد الجديـــد ولا في عمل الآباء الرسوليين ولاعند تلاميذهم المقربين إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهـــب البروتســـتني يدعيان أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان..إن عقيدة إنسانية عيسى كانت غالبـــة طيلة مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المتنصرين، فإن الناصريين سكان مدينة النـــاصرة وجميـــع الفـــرق النصرانية التي تكونت عن اليهودية اعتقدت بأن عيسى إنسان بحت مؤيد بالروح القدس، وما كـــان أحـــد يتهمهم إذ ذاك بأنهم مبتدعون وملحدون، فكان في القرن الثاني مبتدعون وملحدون، فكان فيـــالقرن الثـــاني مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح ، ويعتبرونه إنساناً بحتاً ..وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عـــدد مـــن تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد لم تكن موجودة من قبل".

ويقول عوض سمعان :" إن المتفحصين لعلاقة الرسل والحواريين بالمسيح يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان ...لأنهم كيهود كانوا يستبعدون أن يظهر الله في هيئة إنسان. نعم كانوا ينتظرون المســيّا ،لكـــن المسيا بالنسبةإلى أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم لم يكن سوى رسول ممتاز يأتي من عند الله، وليس هـــو

---

(١) عندما نتحدث عن التوحيد النصراني فإنما نعني به عدم تأليه عيسى أو مريم أو الروح القدس، ولا ينفي هذا صفة الكفر عن أولئك الذين لم يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، كما وقد تصدر منهم عبادات أو أفكار نراها ناقضة للتوحيد الصحيح الذي دعا إليه الأنبياء.

بذات الله"[1].

و تؤكد دائرة المعارف الأمريكية بأن الطريق بين مجمع أروشليم الأول الذي عقده تلاميذ المسيح ومجمع نيقية لم يكن مستقيماً، و يتحدث الكاردينال دانيلو عن انتشار التوحيد حتى في المواطن التي بشر بولس بها كأنطاكية و غلاطية حيث واجهته مقاومة عاتية.

و كشف في عام ١٩٦٦م عن وثيقة مسيحية قديمة- لم يذكر أحمد شلبي وعلاء أبو بكر معلومات وافية عنها-نشرت في جريدة "التايمز" في ١٥يوليو ١٩٦٦م وتقول إن مؤرخي الكنيسة يسلمون أن أكثر أتباع المسيح في السنوات التالية لوفاته اعتبروه مجرد نبي آخر لبني إسرائيل.

و يقول برتراند رسل الفيلسوف الإنجليزي:"تسألني لماذا برتراند رسل لست مسيحياً ؟و أقول رداً على سؤالك:لأنني أعتقد أن أول و آخر مسيحي قد مات منذ تسعة عشر قرناً، و قد ماتت بموته المسيحية الحقة التي بشر بها هذا النبي العظيم"[2].

لكن هذا لم يمنع من انتشار دعوة بولس الوثنية في أوساط المتنصرين من الوثنين الذين لاقوا في دعوته مبادئ الوثنية التي اعتادوها إضافة إلى بعض المثل و الآداب التي تفتقرها الوثنيات الرومانية و اليونانية.

و قد عورضت دعوة بولس من لدن أتباع المسيح -كما سيأتي بيانه-، و استمر الموحدون يواجهون أتباع بولس، و ظهر ما تسميه الكنسية في تاريخها بفرق الهراقطة وهم الخارجون عن أراء الكنيسة الدينية ،ومنهم الفرق التي كانت تنكر ألوهية المسيح.

و من أهم هذه الفرق: الأبيونية و تنسب لقس اسمه أبيون وقيل: الأبيونية هم:الفقراء إلى الله، فسموا بذلك لفقرهم و زهدهم.

و قد ظهرت هذه الفرقة في القرن الأول الميلادي من أصل يهودي، و قد نشطت هذه الفرقة بعد عام ٧٠م.

و قد ذكر معتقدات هذه الفرقة المؤرخون الأوائل خلال نقدهم لعقائد فرقة الأريوسية المتأخرة، فيقول بطريرك الإسكندرية (عام ٣٢٦م) عن عقيدة آريوس:"فهذا التعليم الثائر على تقوى الكنيسة هو تعليم أبيون و أرطيماس و هو نظير تعليم بولس السمياطي".

و يقول كيرلس الأورشليمي (٣٨٨م) عن الهراقطة:"فكرنثوس صنع خراباً في الكنسية، و أيضاً ميناندر و كربوقراط و أبيون".

و يقول ايريناوس في كتابه "ضد الهرطقات" (١٨٨م)"و الذين يدعون باسم الأبيونية يوافقون على أن الله هو الذي خلق العالم، و لكن مبادئهم عن الرب مثل كرنثوس ومثل كربوكرات...و هم يستخدمون

---

(١) النصرانية في الميزان ، محمد عزت الطهطاوي ،ص ٢٧-٢٩.

(٢) انظر: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٢٢، المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٣٢-١٣٣، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ٥٣، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب ،ص ١٠٤،المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٣٦.

إنجيل متى فقط، و يرفضون بولس الرسول، و يقولون عنه: إنه مرتد عن الناموس، يحفظون الختـان، و كل العوائد المذكورة في الشريعة".

و يقول أوسابيوس القيصري (ت٢٤٠م) في تاريخه:"قد كان الأقدمـون محقـين إذ دعـوا هـؤلاء القوم(أبيونيين)، لأنهم اعتقدوا في المسيح اعتقادات فقيرة و وضيعة، فهم اعتبروه إنساناً بسيطاً عادياً قد تـبرر فقط بسبب فضيلته السامية". كما كان الأبيونيون يقولون بردة بولس و كانوا يتهمونه بالتحريف.

و تذكر المصادر أن هؤلاء استخدموا إنجيل متى أو إنجيـل العـبرانيين- و لعـل الاسمـين لمسـمى واحد،فلعلهم استخدموا الأصل العبراني لمتى- و لم يبالوا بغيره، و يرى بعض المؤرخين أنه بسبب هذه الفرقـة دعي يوحنا لكتابة إنجيله الذي يقرر فيه لاهوتية المسيح.

و قد كان لهذه الفرقة شأن إذ اتسعت حتى شمل نفوذها-باعتراف أعدائهم-فلسطين و سوريا وآسيا الصغرى و وصل إلى روما، و استمر وجودهم إلى القرن الرابع الميلادي حيث يفهم من كلام القديس جـيروم في القرن الرابع أنهم كانوا في حالة من الضعف و الاضطهاد، و ذلك بعد مخالفتهم لأوامر قسطنطين و مجمـع نيقية.

و يرى البار أن هذه الفرقة هي التي عناها الله بقوله ﴿فأيدنا الذين آمنـوا علـى عدوهـم فـأصبحوا ظاهرين﴾ [(١)]، و يرى أنهم من عناهم المسيح بقوله:"طوبى للمساكين بالروح، فإن لهم ملكوت السـماوات، طوبى للودعاء، فإنهم يرثون الأرض، طوبى للحزانى فإنهم يتعـزون، طـوبى للجيـاع و العطـاش فـإنهم يشبعون..."(متى ٥/٣-٩)[(٢)].

و في فترة نشأة هذه الفرقة (٧٣م) ظهر الداعية -الذي سبق ذكره- كرنثوس، و يسـميه المـؤرخ أوسابيوس :زعيم الهراقطة. حيث كان يعتقد أن المسيح كان مجرد إنسان بارز، كما رفض الأنـاجيل عـدا متى(أي بالنص العبراني المفقود).

و في أواخر القرن الثاني ظهر أمونيوس السقاص بدعوته بأن المسيح إنسان خارق للعـادة حبيـب لله، عارف بعمل الله بنوع مدهش، و أن تلاميذه أفسدوا دعوته، وبمثل هذا نادى كربوكراتس، و يعرف أتباعـه بالمعلمين أو المستنيرين، لكنهم بالغوا في إثبات بشرية المسيح حتى قالوا كان كسائر الحكماء، و يقدر جميـع الناس أن يفعلوا مثله، و يسلكوا سلوكه[(٣)].فكانت ردة فعلهم على قول القائلين بألوهيته غـير صحيحـة ، ففي زحمة إنكارهم لألوهيته هضموه وأنقصوه عن حقه.

و في أواسط القرن الميلادي الثالث ظهرت فرقة البولينية و هم أتباع بولس الشنشاطي، و الذي تـولى

---

(١) سورة الصف، من آية: ١٤.وفي تفسير الآية قال قتادة:"ظاهرين:غالبين بالحجة والبرهان".الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي، ١٨/٥٩.

(٢) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٣٠، ٤١-٥٣، المدخل لدراسة التوراة والعـهد القديم،محمد البار،دار القلم،دمشق،١٤١٠هـ،ص ٢٦٨-٢٧٣، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمـي،ص ٣٩٧، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٨٣، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٣١.

(٣) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٢٨-٣٢.

أسقفية إنطاكية عام ٢٦٠م كما كان يشغل منصباً كبيراً في مملكة تدمر.

و يلخص القس كيرد(ت ١٣٢٤م) عقيدة الشنشاطي، فيقول في كتابه"مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة":"ملة تدعى البولية أو البوليانيون، و هي ملة بولس السميساطي بطريك إنطاكية، وهم الذين يؤمنون بأن الله إله واحد، جوهر واحد، أقنوم واحد، و لا يسمونه بثلاثة أسماء، و لا يؤمنون بالكلمة أنها مخلصة، و لا أنها من جوهر الأب، و لا يؤمنون بروح القدس المحيي، و يقولون: إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت مثل خلق آدم، و كمثل واحد منا في جوهره، و أن الابن ابتداؤه من مريم...و نظروا إلى كل موضع من الكتب فيه ذكر أزلية الابن و لاهوته و أقانيم ثالوثه، فغيروا و كتبوا مكانه غيره كما يحبون، وعلى ما يوافق ديانتهم، و لم يغيروا أسماء الكتب و لا أسماء الرسل و لا حديثهم".

و قد عقدت الكنسية ثلاث مجامع خلال خمس سنوات لإقناعه بالعدول عن مذهبه، آخرها مجمع في إنطاكية عام٢٦٨م، و حضره بولس، و دافع فيه عن مذهبه، فطرد و عزل من جميع مناصبه، و اختفى ذكره بعد انتصار أوريليانوس على مملكة زنوبيا و دخوله تدمر، لكن أتباعه استمر وجودهم إلى القرن الميلادي السابع[1].

كما ظهر في بداية القرن الميلادي الرابع عالم مترهب يدعى لوسيان، و كان يرى أن المسيح كائن سماوي أخرجه الله من العدم إلى الوجود، و تجلى فيه العقل الإلهي في كيفيته الشخصية، فكانت روحه غير بشرية لكنه لم يكن الإله على الإطلاق[2].ويظهر في هذه الفرقة أثر العقائد المنحرفة ،إذ لايخلو قولهم في المسيح من شيء من الغلو في المسيح عليه السلام .

التوحيد فيما بعد مجمع نيقية

في عام ٣٢٥م صدر أول قرار رسمي يؤله المسيح بعد تبني الإمبراطور الوثني قسطنطين لهذا الرأي، ورفض ما سواه ،واعتبر آريوس-الذي عقد المجمع من أجله- هرطوقياً.

و آريوس من رهبان الكنيسة ،وكان يقول كما نقل عنه منسي يوحنا في كتابه"تاريخ الكنيسة القبطية":"إن الابن ليس مساوياً للأب في الأزلية، و ليس من جوهره، و قد كان الأب في الصل [3]وحيداً، فأخرج الابن من العدم بإرادته، و الآب لا يمكن أن يراه أو يكيفه أحد، و لا حتى الابن، لأن الذي له بداية لا يعرف الأزلي، و الابن إله بحصوله على لاهوت مكتسب".

---

(١) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٥٥-٦٤، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٣٩٨، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٣١، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٥٧.

(٢) انظر: ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٦٣-٦٤، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٥٧.

(٣)الصل :كلمة عبرية مشتق معناها من الظل.و المراد من النص أنه كان معه قبل بداية الخلق حيث لم يكن نور ولاحياة.انظر قاموس الكتاب المقدس،ص٥٤٦ .

و قد توفي آريوس ٣٣٦م، لكن دعوته انتشرت بعد وفاته، و أصبحت كما يقول الأطير"أوشك العالم أن يكون كله أريوسياً-حسب قول الخصوم- لولا تدخل الأباطرة في العمل على ضوب تلك العقيدة و استئصال تبعيتها".

و يقول أسد رستم في كتابه "كنيسة مدينة الله العظمى":"كان آريوس فيما يظهر عالماً زاهداً متقشفاً يجيد الوعظ و الإرشاد فالتف حوله عدد من المؤمنين، و انضم إليه عدد كبير من رجال الاكليروس" و يؤكد كثرة الأريوسيين ابن البطريق، و ينقل أن أكثر أهل مصر كانوا أريوسيين.

و مما يؤكد قوة مذهب آريوس إبان حياته، و بعد موته أن الكنيسة عقدت مجامع عدة لبحث عقيدته، كما كان لآريوس و أتباعه مجامع منها مجمع قيسارية ٣٣٤م و صور ٣٣٥م الذي قرر فيه المجتمعون عزل أثناسيوس البابا –الداعي لألوهية المسيح و الذي كتبت الأمانة بإشرافه في مجمع نيقية-كما نفوه إلى فرنسا ثم عقدوا مجمعاً آخر في إنطاكية عام ٣٤١م حضره سبع و تسعون أسقفاً أريوسياً قرروا فيه مجموعة من القوانين التي تتفق مع مبادئهم و معتقداتهم.

ثم أعاد الإمبراطور الروماني الأسقف أثناسيوس إلى كرسي البابوية، فاحتج الأريوسيون لذلك، وأثاروا اضطرابات عدة، ثم عقدوا مجمعاً في آرلس بفرنسا عام ٣٥٣م و قرروا فيه بالإجماع –عدا واحد- عزل أثناسيوس، ثم أكدوا ذلك في مجمع ميلانو ٣٥٥م فعزل، و تولى الأسقف الآريوسي جاورسيوس كرسي الإسكندرية، و في عام ٣٥٩م عقد الإمبراطور مجمعين أحدهما للغربيين في "ريمني"، و الآخر للشرقيين في "سلوقيا"، و قرر المجمعان صحة عقائد الأريوسية، و باتت الكنائس الغربية آريوسية.

و يذكر المؤرخ ناسيليف أن الإمبراطور قسطنطين قد تحول إلى المذهب الأريوسي ممالأة لأفراد شعبه وذلك بعد نقل عاصمته إلى القسطنطينية، و قد تعلق بذلك الأنبا شنودة و هو يبرر كثرة أتباع المذهب الأريوسي، فذكر بأنه بسبب معاضدة الإمبراطور له.

و في مجمع إنطاكية ٣٦١م و ضع الأريوسيون صيغة جديدة للأمانة و مما جاء فيها:"الابن غريب عن أبيه، و مختلف عنه في الجوهر و المشيئة"، و في نفس العام عقدوا مجمعاً في القسطنطينية وضعوا فيه سبعة عشر قانوناً مخالفاً لما تم في مجمع نيقية.

و في هذا العام أيضاً تولى الإمبراطورية يوليانوس الوثني، فأعاد أثناسيوس و أساقفته إلى أعمالهم، وجاهر بعبادة الأصنام، وسلم الكنائس للنصارى الوثنيين، ثم خلفه الإمبراطور يوبيانوس ٣٦٣م، ففعل كما فعل سلفه، و عادى الأريوسيين، و فرض عقيدة النصرانية الوثنية، و مما قاله مخاطباً شعبه و أركان دولته: " إذا أردتم أن أكون إمبراطوركم كونوا مسيحيين مثلي"، ثم حرم مذهب الأريوسيين، و تبنى قرارات نيقية، و طلب من الأسقف أثناسيوس أن يكتب له عن حقيقة الدين المسيحي الذي كان قد أجبر الناس عليه قبل أن يقف على حقيقته[1].

---

(١) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٦٦-٨٤،طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٢٢-٣٣، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب،ص ١٠٦-١١٠،اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٣٩٨، النصرانية من التوحيد إلى التثليث،محمد أحمد الحاج،ص

و امتداداً لآريوس و فرقته ظهرت في القرن الخامس فرقة تسمى :البولسية ،وهي أيضاً من الفرق المنكرة لألوهية المسيح، فقد كانوا يرونه ملَكاً أرسله الله لإصلاح الدنيا بعد أن ولد من مريم، وسمي ابن الله لما كساه الله من جلاله، وانتشرت هذه الفرقة في تركيا، وأرمينيا، و لم تحظ بقبول عام في الأوساط النصرانية لغرابة قولها في المسيح[1].

و في القرن الخامس ظهرت فرقة النسطورية على يد أسقف القسطنطينية نسطور الذي شايعه بعض الأساقفة و الفلاسفة، و كان نسطور يقول: إن في المسيح جزء لاهوتياً، لكنه ليس من طبيعة المسيح البشرية، فلم يولد هذا الجزء من العذراء التي لا يصح أن تسمى أم الله.

و يرى نسطور أن اتحاد اللاهوت بعيسى الإنسان ليس اتحاداً حقيقياً، بل ساعده فقط، و فسر الحلول الإلهي بعيسى على المجاز أي حلول الأخلاق و التأييد و النصرة . و قال في إحدى خطبه:"كيف أسجد لطفل ابن ثلاثة أشهر؟" و قال:"كيف يكون لله أم؟ إنما يولد من الجسد ليس إلا جسداً و ما يولد من الروح فهو روح. إن الخليقة لم تلد الخالق، بل ولدت إنساناً هو إله اللاهوت".

و قد عقد في أفسس ٤٣١م مجمع قرر عزله و نفيه، فمات في صحراء ليبيا، يقول عنه المؤرخ سايرس ابن المقفع في كتابه"تاريخ البطاركة":" إن نسطور كان شديد الإصرار على تجريد المسيح من الألوهية إذ قال: إن المسيح إنسان فقط. إنه نبي لا غير".

و ذكر ابن المقفع أنه عند نفيه أرسل له البطارقة أن إذا اعترف بأن المصلوب إله متجسد فسوف يعفون عنه، فيقول ابن المقفع"فقسا قلبه مثل فرعون و لم يجبهم بشيء".

و قد تغير مذهب النسطورية بعد نسطور فأشبه مذاهب التثليث إذ يقول النسطورية:إن المسيح شخصية لها حقيقتان بشرية و إلهية، فهو إنسان حقاً، إله حقاً، و لكنه ليس شخصية قد جمعت الحقيقتين، بل ذات المسيح كانت تجمع شخصيتين!![2].

و يلحظ الأطير على هذه الفرق النصرانية الموحدة إنكار بعضها للميلاد العذراوي و اعتقادهم بوجود أبوين أرضيين للمسيح هما يوسف النجار و مريم، كما قال بعضهم بأن المسيح قد صلب، و أنكر بعضهم تسمية المسيح بالكلمة.

لكن الأطير يعتذر لهؤلاء بأمور: منها أن عدم قولهم بعذرواية مريم لربما يرجع إلى عدم وجود دليل عليه عندهم، و لم يتردد هذا في الأوساط الكنيسة إلا في حوالي عام ١٥٠م، كما أن القول بالعذراوية استخدم دليلاً على ألوهية المسيح، فلعل ذلك كان أحد أسباب نفورهم من هذه المسألة.

١٦٨-١٧٠، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٥٧، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢١٧-٢١٨، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل،هاشم جودة،ص ١٢٥-١٢٩، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١٣٩ مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ١١٢،المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٣١.

(١) انظر: ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٦٥-٦٦.

(٢) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٣٤-٣٧، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١٤٠.

و أما قولهم بصلب المسيح فهو يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم عن أن الصلب شبه لهـــم، فجاز عليهم الشبه كما جاز على غيرهم إلى أن جاء القرآن فأظهر هذه الحقيقة.

و أما إنكارهم تسمية المسيح بالكلمة، فإنما ينكرون المعنى الشائع للكلمة الذي أطلقه يوحنا، وأراد بـــه أن المسيح كائن إلهي مكون من كلمة الله التي تجسدت في جسد أرضي.

و عليه فلا يرى الأطير مانعاً من أن يقول – بجرأة لا نوافقه عليها – عن هذه الفرق الموحدة أنهم"بحـــق مسلمون قبل المسلمين".

ويرى أن ثمة انحرافاً وقع فيه آريوس لم يقع فيه الآخرون، فلقد سلم آريوس–و لو جـــدلاً– لمخالفيـــه بصحة ما لديهم من الكتب فسلم بمقولات غريبة مثل أن المسيح خلقه الله قبل العالم و فوض إليـــه أن يخلـــق العالم، لكنه ليس مساوياً لله بل هو مجرد إنسان.

فيما نرى أن نسطور و الأبيونية أنكروا صحة الكتب، و ردوا رسائل بولس، و برؤا مما يلزم عنـــها، فكانت حجتهم أقوى و موقفهم أصلب من آريوس، و إن كان الكل قـــد قصـــد أن يصـــل إلى التوحيـــد الخالص[1].

الطوائف النصرانية الموحدة بعد ثورة الإصلاح الديني

و طوال قرون تعاقبت على النصرانية في ظل سيطرة الكنيسة لم ينقطـــع الموحـــدون و إن ضعـــف نشاطهم و تواجدهم بسبب محاكم التفتيش و قوة الكنيسة و سلطانها.

و عندما ضعف سلطان الكنسية و اضمحل، عادت الفرق الموحدة للظهور، و بدأت عقيدة التثليـــث بالاهتزاز و هو ما عبر عنه لوثر بقوله:"إنه تعبير يفتقد إلى القوة، و إنه لم يوجد في الأسفار".

فيما قال عنه فالبر في كتابه"تاريخ الموحدين":"إن كالفن قد أعلن قانون الإيمان الذي صدر عن مجمـــع نيقية كان يناسبه أن يغنى كأغنية بدلاً من أن يحفظ كبيان عن العقيدة".وعندما ألف كالفن كتابـــه"خلاصـــة العقيدة"(١٥٤١م) لم يذكر فيه التثليث إلا نادراً.

و شيئاً فشيئاً عادت الفرق الموحدة للظهور و ازدهر نشاط الموحدين في أوربا حتى أن ملـــك المجـــر هوجون سيجسموند (ت١٥٧١م) كان موحداً.

و في ترانسلفانيا ازدهر التوحيد كما تذكر دائرة المعارف الأمريكية، و كان من الموحدين المشـــهورين فرانسس داود الذي أدخل السجن بعد وفاة الملك جون و تولي الملك ستيفن باثوري الكـــاثوليكي، و تـــوفي سنة ١٥٧٩م، و كان الملك الجديد قد منع الموحدين من نشر كتبهم دون إذن منه[2].

---

(١) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ١٩٢-٢٠٠، طائفة الموحدين من المســـيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٢٤٣-٢٤٥.

(٢) انظر: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٣٤-٣٦، ٤٢-٤٥.

كما ظهر في هذا القرن سوسنس الموحد في بولوينة، و كان له أتباع يعرفون بالسوسنيون أنكروا التثليث، و نادوا بالتوحيد، و فر بعضهم من الكنسية إلى سويسرا، و نادى سرفيتوس بالتوحيد في أسبانيا فأحرق حياً عام ١٥٥٣م و كان يقول في كتابه"أخطاء التثليث":"إن أفكاراً مثل الثالوث و الجوهر و ما إلى ذلك إنما هي اختراعات فلسفي، لا تعرف عنها الأسفار شيئاً"(١).

كما ظهر في ألمانيا مذهب الأناباست الموحد، و استطاعت الكنيسة سحقه.

ثم ظهرت جمعيات تحارب التثليث منها "الحركة المضادة للتثليث"، و أنشأت في شمال إيطاليا في أواسط هذا القرن، تلتها" الحركة المعادية للتثليث" و التي ترأسها الطبيب المشهور جورجيو بندراتا عام ١٥٥٨م، وفي عام ١٥٦٢م عقد مجمع بيزو، و كان القسس يتكلمون عن التثليث فيما كان غالبية الحضور من المنكرين له(٢).

و في القرن السابع عشر قويت بعض الكنائس الموحدة على قلة في أتباعها ،و أصدر الموحدون عام ١٦٠٥م مطبوعاً مهماً جاء فيه"الله واحد في ذاته و المسيح إنسان حقيقي، و لكنه ليس مجرد إنسان، والروح القدس ليس أقنوماً لكنه قدرة الله".

و في عام ١٦٥٨م صدر مرسوم طردت بمقتضاه جماعة موحدة في إيطاليا. و كان من رواد التوحيد يومذاك جون بيدل(ت ١٦٦٢م)، و سمي:"أبو التوحيد الإنجليزي". و كان قد توصل من خلال دراسته إلى الشك في عقيدة التثليث، فجهر بذلك و سجن مرتين، ثم نفي إلى صقلية.

و في عام ١٦٨٩م استثنى مرسوم ملكي الموحدين من قانون التسامح الديني. و ذلك لا ريب يعود لكثرة هؤلاء و تعاظم أثرهم ،و هو ما يعبر عنه بردنوفسكي في كتابه "ارتقاء الإنسان"، فيقول:"كان العلماء في القرن السابع عشر يشعرون بالحرج من مبدأ التثليث"(٣).

و في القرن الثامن عشر سمي هؤلاء الموحدين بالأريوسيين و منهم الدكتور تشارلز شاونسي (ت ١٧٨٧م) راعي كنيسة بوسطن، و كان يراسل الأريوسيين الإنجليز، و كذا ناضل الدكتور يوناثان ميهيو بشجاعة ضد التثليث، و نشر الدكتور صموئيل كتابه"عقيدة التثليث من الأسفار" و وصل فيه إلى نتيجة:"أن الآب وحده هو الإله الأسمى، و أن المسيح أقل منه رتبة"، و رغم إنكاره بأنه آريوسي، فإنه يصعب التميز بين أقواله و تعليم آريوس، و مثله العالم الطبيعي جون بربستلي (ت١٧٦٨م)، و قد طبع رسالته"التماس إلى أساتذة المسيحية المخلصين الموقرين" و وزع منها ثلاثين ألف نسخة في إنجلترا فأرغم على مغادرتها، فقضى في بنسلفانيا.

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١٧١، النصرانية من التوحيد إلى التثليث،محمد أحمد الحاج،ص ١٩١، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص٣٤-٣٦،١٣٦، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ١٤٠.

(٢) انظر: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٨-٥٠.

(٣) انظر: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٧-٥١، دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٣٤.

و اعتزل ثيوفليس ليندساي (ت١٨١٨م) الخدمة الكنيسة، ثم ما لبث أن تحول إلى كنيسة موحدة، كما عين زميله الموحد توماس بلشام في منصب كبير في كلية هاكني اللاهوتية، ثم أسسا معاً "الجمعية التوحيدية لترقي المعرفة المسيحية و ممارسة الفضيلة عن طريق توزيع الكتب".

ثم بعد إقرار الحقوق المدينة كون الموحدون اتحاداً أسموه "الاتحاد البريطاني الأجنبي للتوحيد"(١).

و في القرن التاسع عشر الميلادي أسس في مناطق متعددة عدد من الكنائس الموحدة التي اجتذبت شخصيات مهمة مثل وليم شاننج (ت١٨٤٢) راعي كنيسة بوسطن ،و كان يقول :بأن الثلاثة أقانيم تتطلب ثلاثة جواهر، و بالتالي ثلاثة آلهة. و كان يقول :"إن نظام الكون يتطلب مصدراً واحداً للشرح والتعليل لا ثلاثة، لذلك فإن عقيدة التثليث تفتقد أي قيمة دينية أو علمية".

ومثله قال القس جارد سباركس راعي كنيسة الموحدين في ليتمور و الذي صار فيما بعد رئيساً لجامعة هارفرد ،و تكونت عام ١٨٢٥م جمعية التوحيد الأمريكي، و في منتصف هذا القرن أضحت مدينة ليدن الهولندية و جامعتها مركزاً للتوحيد، و كثر عدد الموحدين الذين عرفوا باللوثريين أو الإصلاحيين.

و مع مطلع القرن العشرين تزايد الموحدون، و زادوا نشاطهم، و أثمر بوجود ما يقرب من ٤٠٠ كنيسة في بريطانيا و مستعمراتها، و مثلها في الولايات المتحدة إضافة إلى كليتين لاهوتيتين تعلمان التوحيد هما مانشستر و اكسفورد في بريطانيا، و كليتين في أمريكا إحداهما في شيكاغو، و الأخرى في بركلي في كاليفورنيا، و ما يقرب من مائة و ستين كنيسة أو كلية في المجر و غير ذلك في كافة دول أوربا النصرانية(٢).

و في عام ١٩٧٧م اشترك سبعة من علماء اللاهوت في كتاب عنونوا له "أسطورة الإله المتجسد" ومما فيه "أنها قبلت التسليم بأن أسفار الكتاب المقدس كتبها مجموعة من البشر في ظروف متنوعة، ولا يمكن الموافقة على اعتبار ألفاظها تنزيلاً إلهياً...إن المشتركين في هذا الكتاب مقتنعون أن تطوراً لاهوتياً آخر لا بد منه في آخر هذا الجزء الأخير من القرن العشرين".

ثم أصدر ثمانية من علماء اللاهوت في بريطانيا كتابا أسموه "المسيح ليس ابن الله" ، أكدوا فيه ما جاء في الكتاب الأول و قالوا :"إن إمكانية تحول الإنسان إلى إله لم تعد بالشيء المعقول و المصدق به هذه الأيام"(٣).

و في مقابلة تلفزيونية جرت في إبريل ١٩٨٤م في بريطانيا ذكر الأسقف دافيد جنكتر و الذي يحتل المرتبة الرابعة بين تسع و ثلاثين أسقفاً يمثلون هرم الكنيسة الأنجليكانية فكان مما قاله بأن ألوهية المسيح ليست حقيقة مسلماً بها.

و كان لكلماته صدى كبير ،فقامت صحيفة "ديلي نيوز" باستطلاع رأي واحد و ثلاثين أسقفاً -

---

(١) انظر: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٥١-٥٢.

(٢) انظر: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٥-٥٣.

(٣) انظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب ،ص ١١٣، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير،إبراهيم الجبهان،ص ٧٩-٨٠، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٧٥-٢٧٦.

من الأساقفة التسعة و الثلاثين-حول ما قاله الأسقف دافيد، ثم نشرت نتيجة الاستطلاع في عددها الصادر في ٢٥/٦/١٩٨٤م و كانت نتيجته "أصر ١١ فقط من الأساقفة على القول بأنه يجب على المسيحيين أن يعتبروا المسيح إلهاً و إنساناً معاً، بينما قال ١٩ منهم بأنه كان كافياً أن ينظر إلى المسيح باعتباره الوكيل الأعلى لله" فيما أكد ١٥ أسقفاً منهم "أن المعجزات المذكورة في العهد الجديد كانت إضافات ألحقت بقصة يسوع فيما بعد"[1].أي أنها لاتصلح في الدلالة على الألوهية.

و كان قد عقد في عام ١٩٢١م مؤتمر حضره عدد كبير من رجال الدين في اكسفورد برئاسة أسقف كارليل الدكتور راشدل الذي ذكر في خطاب ألقاه فيه:أن قراءته للكتاب المقدس لا تجعله يعتقد أن عيسى إله، و أما ما جاء في يوحنا مما لم تذكره الأناجيل الثلاثة فلا يمكن النظر إليه على أنه تاريخي، و رأى أن كل ما قيل في ميلاد المسيح من عذراء أو شفائه الأمراض أو القول أن روحه سابقة للأجساد كل ذلك لا يدعو للقول بألوهيته. و قد شاركه في آرائه عدد من المؤتمرين.

ويقول إيميل لورد فيج:" لم يفكر يسوع أنه أكثر من نبي، و ليس بقليل أن يرى نفسه في بعض الأحيان دون النبي، و لم يحدث أبداً من يسوع ما يخيل به إلى السامع أن له خواطر و آمال فوق خواطر البشر و آمالهم... يجد يسوع كلمة جديدة صالحة للتعبير عن تواضعه بقوله: إنه ابن الإنسان، و قديماً أراد الأنبياء أن يلفتوا الأنظار إلى الهوة الواسعة التي تفصلهم عن الله، فكانوا يسمون أنفسهم بأبناء الإنسان..."[2].

و من كل ما ذكرنا يتبين لنا أن التوحيد حركة أصيلة في المجتمع النصراني، تتجدد كلما نظر المخلصون منهم في أسفارهم المقدسة، فتنجلي الفطرة عن غشاوتها،و تعلن الحقيقة الناصعة أن لا إله إلا الله.

---

(١) انظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب ،ص ١١٤-١١٥.

(٢) انظر: دراسة عن التوراة والإنجيل،كامل سعفان،ص ٢٣٤-٢٣٥، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٨١-٢٨٢.

المطلب الخامس: عقائد الفرق النصرانية المعاصرة

تجمع الفرق النصرانية المثلثة اليوم على القول بأن الإله إنما هو من ثلاثة أقانيم و تجمع أيضاً على أن أول هذه الأقانيم هو الآب و ثانيها هوالابن و ثالثها هو روح القدس. و الثلاثة إله واحد.

لكن هذه الفرق تختلف اختلافاً بيناً في تحديد طبيعة المسيح، فلقد صدر عن مجمع نيقية تأليهه، ثم حار النصارى في تحديد ماهية هذه الألوهية.

و نتوقف بعض الشيء مع الفرق النصرانية الكبرى، و نذكر أوجه الاختلاف بينها و ظروف نشأة كل منها، ثم نذكر شيئاً من ردود علمائنا في إبطال هذه المذاهب خصوصاً.

أولاً:الأرثوذكس.

و هم أتباع الكنائس الشرقية (اليونانية)، و كلمة "أرثوذكس" كلمة لاتينية معناها:"صحيح العقيدة" أو "مذهب الحق".

و ينتشر أتباع الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا و عموم آسيا و صربيا و مصر والحبشة، و يتبعون أربع كنائس رئيسة لكل منها بطريك (القسطنطينية ثم الإسكندرية و أنطاكيا و أورشليم)، و تشكل العقيدة الأرثوذكسية امتداداً صادقاً لما جرى في مجمع نيقية إذ تتفق معتقداتهم مع ما جاء في رسائل أثناسيوس الذي ولي البابوية بعد مجمع نيقية.

يقول الأنبا غريغورس ملخصاً معتقدهم بالثالوث :"المسيحيون يؤمنون بإله واحد، أحدي الذات، مثلث الأقانيم والخاصيات، فالتوحيد للذات الإلهية، وأما التثليث فللأقانيم، وللأقانيم خاصيات وصفات ذاتية، أي بها تقوم الذات الإلهية، فالله الواحد هو أصل الوجود، لذلك فهو الآب- والآب كلمة ساميّة بمعنى الأصل -..والله الواحد هو العقل الأعظم.. تجلى في المسيح ..لذلك كان المسيح هو الكلمة..والكلمة تجسيد العقل، فإن العقل غير منظور، ولكنه ظهر في الكلمة، وهو أيضاً الابن- لا بمعنى الولادة في عالم الإنسان -، بل لأنه صورة الله غير المنظور ، والله هو الروح الأعظم، وهو آب جميع الأرواح، ولهذا فهو الروح القدس، لأن الله قدوس".(١)

و أبرز معتقدات الكنيسة الأرثوذكسية و فروقها عن الكنائس الأخرى:

*أن المسيح (الابن) هو الله و هو روح القدس.

*أن الابن (الإله المتجسد) أقل رتبة من الإله من غير تجسد.

*أن المسيح طبيعة واحدة إلهية، و يرى بعضهم أن فيه طبيعتان مجتمعان في طبيعة واحدة كما قرر عام

---

(١) اللقاء بين الإسلام والنصرانية، أحمد حجازي السقا، ص٦٩.

٤٥١م في مجمع خلقدونية حيث انشقت الكنيسة المصرية عن الكنائس الأرثوذكسية الرومية القائلة بالطبيعتين.

*أن روح القدس نشأ من الأب فقط.

*يؤمن النصارى الأرثوذكس بأسرار الكنيسة السبعة (المعمودية–الميرون المقدس–القربان المقدس –الاعتراف –مسحة المرضى– الزواج–الكهنوت)(١).

و قد اهتم علماؤنا بمناقشة الطبيعة الواحدة للمسيح و التي تقول بها الكنيسة الأرثوذكسية المصرية (المرقسية)، و في بيانها يقول حبيب جرجس عميد الكلية الاكليريكية بمصر موضحاً عقيدة الأرثوذكس المصريين في مسألة الطبيعة الواحدة :"إن فادينا العظيم قد تنزل عن سماء مجده، و قبل أن يتحد بالإنسان باتخاذه جسداً حقيقياً بنفس عاقلة ناطقة، فحبل به بقوة الروح القدس...و اتحادهما بدون اختلاط ولا امتزاج يصيران شخصاً واحداً ذا طبيعة واحدة...صار المسيح ذاتاً واحدة جوهراً واحداً طبيعة واحدة، مشيئة واحدة".

و عجب علماؤنا كيف جعل أتباع هذا المذهب الله بشراً؟ فالقديم لا يصير محدثاً، و لا يجري عليه ما يجري على البشر من عوارض كالنوم و النسيان و الأكل و الشرب و كونه يرى...

و قد جاءت نصوص توراتية تنزه الله عز و جل عن مثل هذه العوارض التي يتصف بها البشر ومنهم المسيح فالمسيح نام في السفينة (انظر مرقس ٤/٣٥-٣٨)، أما الله "إنه لا ينعس و لا ينام حافظ إسرائيل" (المزمور ١٢١/٤)، و المسيح كان جسداً مرئياً و الله لا يرى (انظر يوحنا ١/١٨)،بل لا تقدر الأجسام أن تراه، و من رآه يموت (انظر الخروج ١٠/٢٨) فكيف يزعم هؤلاء بأن البشر رأوه ،و أن جسداً بشرياً قد اكتنفه في بطنه إلى حين ولادته، و المسيح هيكل بشري سكن الأرض و الله غير ذلك"العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيادي" (أعمال ٧/٤٨). و المسيح صلب و مات ،والله عن نفسه يقول"حي أنا إلى الأبد"(التثنية ٣٢/٤٠)"أقسم بالحي إلى أبد الآبدين" (الرؤيا ١٠/٦).

و و يعجب السقا لما جاء قداسهم المسمى تسبيحة"الثلاثة تقديسات" و فيه "قدوس الله، قدوس الحي الذي لا يموت...يموتك يا رب نبشر..." فجمعوا في تسبيحة واحدة بين أبديته و موته(٢).

كما أفادت نصوص أخرى عجزاً للمسيح و قعوداً عن مرتبة الألوهية فدل ذلك على أنه ليس الله فقد جهل موعد الساعة (انظر مرقس ١٣/٣٢)، ثم قال:"أنا لا اقدر أن أفعل من نفسي شيئاً "(يوحنا ٥/٣٠) لذا عجز أن يعد ابني زبدى بالملكوت (انظر متى ٢٠/٢٣)، و لما سماه أحدهم صالحاً قال:"لم تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد، و هو الله"(لوقا ١٨/١٨-٢٠)، و ذكر بولس أن للمسيح شركاء"من أجل ذلك مسحك الله بزيت الابتهاج أكثر من شركائك" (عبرانيين ١/٨-١٠).

---

(١) انظر: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٦١، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤٠٦-٤٠٧، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٤٩-٢٥٠، محاضرات في مقارنة الأديان،إبراهيم خليل أحمد،ص ١١.

(٢) أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٦٧-٦٨.

فهل هؤلاء شركاء له حق في الألوهية؟.

كما ثمة نصوص أفادت بأن المسيح عبد له إله غيره ، ناداه و هو على الصليب:" إلهي إلهي لماذا تركتني" (متى ٢٧/٤٦)، وقال عن الله" أبي و أبيكم و إلهي و إلهكم" (يوحنا ٢٠/١٧)، كما كان المسيح يعبد ربه و يصلي له ،و من ذلك صلاته ليلة أن جاء الجند للقبض عليه (انظر متى ٢٦/٣٩)[1]. وقال للشيطان لما طلبه أن يسجد له:"مكتوب:للرب إلهك تسجد، و إياه وحده تعبد:"(متى ٤/١٠).

كما تثبت النصوص تغايراً بين المسيح و الله، و تذكر عشرات النصوص أن المسيح مرسل من الله والمرسَل غير المرسِل منها "الكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للآب الذي أرسلني" (يوحنا ١٤/٢٤)، ويقول "أرسلتني إلى العالم...ليؤمن العالم أنك أرسلتني..."(يوحنا ١٧/٢١-٢٤).

و من النصوص التي أفادت المغايرة قول بولس عن المسيح"الذي أقامه من الأموات" (كولوسي٢/١٢)، و يقول بولس "نشكر الله أبا ربنا يسوع المسيح" (كولوسي ١/٣)،و يقول المسيح: "كما أحبني الأب" (يوحنا ١٥/٩)، "ما سمعته من أبي"(يوحنا ١/١٥)، "أبغضوني أنا و أبي"(يوحنا ١٥/٢٤).

و مما يفيد المغايرة بين الأقانيم الثلاثة قول بطرس:"يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس و القوة الذي جال يصنع خيراً" (أعمال ١٠/٣٨).

و جاءت نصوص تقول بأن المسيح بعد القيامة"ارتفع و جلس عن يمين الله" (مرقس ١٦/١٩)، ويقول بولس:"المسيح جالس عن يمين الله" (كولوسي ٣/١)فالذي عن اليمين غير للذي عن شماله.

كما أن هذه الغيرية تنطوي على عدم تساوٍ بين الله و المسيح فقد قال المسيح "أبي أعظم مني" (يوحنا ١٤/٢٨). كما يتغاير الابن مع روح القدس و لا يتساويان لذا يقول المسيح:"و من قال كلمة عن ابن الإنسان يغفر له، و أما من قال عن روح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم، و لا في العالم الآتي" (متى١٢/٣٢).

فدل النص على أن روح القدس أفضل من المسيح وهو أيضاً مخالف لترتيب صيغة التثليث الذي يقدم المسيح على الروح القدس .[2]

---

(١) انظر دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٤٥٥-٤٦٠، اللقاء بين الإسلام والنصرانية،أحمد حجازي السقا،دار البشير،القاهرة،ص ٤١، ٩٠، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٢٧، ٣٣-٣٤، ٣٧، رحلة في أرجاء الكتاب المقدس،مديحة خميس،ص ٢٩-٣١، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ٤٣، ١٣٠.

(٢) انظر دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٤٥٠-٤٦٩، اللقاء بين الإسلام والنصرانية،أحمد حجازي السقا،ص ٩٦-٩٧، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٢٦، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ٣٩-٤٢، ١٢١-١٢٢، رحلة في أرجاء الكتاب المقدس،مديحة خميس،ص ٢٦-٢٨.

ثانياً:الكاثوليك.

و هم أتباع الكنائس الغربية التي يرأسها بابا الفاتيكان في روما.

و كلمة:" الكاثوليك" كلمة لاتينية، قال إبراهيم خليل بأن تعريبها:"الجامع الحـــر الفكـــر" و قـــال الأعظمي: هي كلمة يونانية تعريبها "العام أو العالمي"، و قال شلبي بـــأن معناهـــا "الثـــابت علـــى المبـــدأ القويم"،ولعله معنى :"الأرثوذكس".

و ينتشر أتباع هذه الكنيسة في بقاع كثيرة من العالم و يشكلون عدداً كبيراً من سكان أوربا.

و قد وجدت هذه الكنيسة بعد أن انشقت عن الكنيسة الأم بعد صراع سياسي ديني طويل يمتـــد إلى القرن الخامس الميلادي، فحين قسم الإمبراطور تيودواسيوس امبراطوريته عـــام ٣٩٥م بـــين ابنيـــه، فتـــولى أكاديوسيوس الشطر الشرقي و عاصمته القسطنطينية، فيما تولى نوريوس الشطر الغربي و عاصمته روما.

و بدأ الصراع و التنافس بين المركزين، و في عام ٤٥١م و عقب مجمع خلقدونية انفصلت الكنيســـة المصرية (أول الكنائس الأرثوذكسية) عندما قالت بطبيعة واحدة للمسيح منكرة ما ذهب إليه المجمع مـــن أن للمسيح طبيعتين و مشيئتين، ثم انفصلت بقية الكنائس الشرقية عقب مجمـــع القســـطنطينية الرابـــع ٨٦٩م، والخامس ٨٧٩م ، بسبب إصرار الغربيين على اعتبار الروح القدس منبثق من الأب و الابن معاً[1].

وأما أبرز ما تختلف فيه الكنيسة الكاثوليكية عن الأرثوذكسية فهو :

*قولهم بأن المسيح له طبيعتان و مشيئتان:إلهية و إنسانية، فهو عند الكاثوليك إله تام و إنســـان تـــام، وفيه اتحد الابن بناسوت المسيح.

*الأب و الابن و روح القدس هي الأقانيم الأزلية للإله، و المتحد منها هو الابن فقط.

*روح القدس انبثق من الأب و الابن معاً، و هو مساوٍ للأب و الابن.

*الأرواح الخاطئة لن تدخل الجنة حتى تتطهر في جحيم صغير في مكانٍ ما من الأرض يسمى:"المطـــهر" تتطهر به أرواح العصاة، ثم تكون أهلاً لدخول الفردوس.

* صلوات الكهنة ترفع العذاب عن النفوس الخاطئة، و منه نشأت فكرة صكوك الغفران الـــتي أقرهـــا المجمع الثاني عشر المنعقد عام ١٢١٥م.

*القول بعصمة بابا روما، و بأنه وريث سلطان بطرس، و بذلك تسمى أيضـــاً كنـــائس الكـــاثوليك بالكنائس البطرسية.

*تقدس الكنسية الكاثوليكية مريم، وتسميها (والدة الإله) و(خطيبة الله)، وتخصها ببعـــض الصلـــوات والابتهالات.

---

(١) انظر: اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٣٩٨، المسيحية،أحمد شلبي،ص ٢٠٠-٢٠١، يا أهل الكتـــاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شـــلبي،ص ٢٤٠، محـــاضرات في مقارنـــة الأديـــان،إبراهيـــم خليـــل أحمـــد،ص ١١، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٤٨-٢٤٩.

وتعترف الكنيسة الكاثوليكية بسائر العبادات و الطقوس الأرثوذكسية كالتعميد والاعتراف والعشاء الرباني....و يجيز الكاثوليك عبادة الصور[1].

و قد تناول علماؤنا بالنقد عبادة الصور و مريم، والصليب، و اعتبروا ذلك ضرباً من الوثنية التي أحدثها النصارى.

و قد تمثلت عبادتهم لمريم في عدد من الصلوات التي تؤدى لها، و منها "صلاة مريم" و فيها يقولون:"يا خطيبة مختارة من الله، يا أيتها المستحقة الاحترام من الجميع.... يا باب السماء... يا ملكة السماء التي جميع الملائكة يسجدون لها، و كل شيء يسبحها و يكرمها... فاستمعينا يا أم الله، يا ابنة، يا خطيبة الله، يا سيدتنا ارحمينا و أعطينا السلام الدائم...لك نسجد و لك نرتل".

و يقول القس توما اللاهوتي:"أما العذراء الطاهرة المجيدة، و هي الممتلئة من الاستحقاقات فلها أن تخلص جميع البشر، و يقول القديس لويس ماريدي:" التكريم أن نهب ذواتنا بكليتها إليها، كأسرى لمريم وليسوع بواسطتها على أن تقوم جميع أعمالنا مع مريم، و بواسطة مريم، و في مريم، و لأجل مريم".

و في مجمع أفسس ٤٣١م سميت مريم" والدة الإله" و زيد في أمانة نيقية فقرة تخصها، فيها" نعظمك يا أم النور الحقيقي، و نمجدك أيتها العذراء القديسة، والدة الإله...".

و في هذا القرن أيضاً ظهرت جماعة وثنية-تعبد الزهرة- اعتنقت النصرانية و اعتقدوا أن مريم ملكة السماء أو آلهة السماء بدلاً عن الزهرة، و أصبح تثليثهم (الله، مريم، المسيح)، و قد حاربت الكنيسة هذه البدعة، فاندثرت في القرن السابع الميلادي.

يقول الأنبا غريغوريوس الأرثوذكسي عن مريم:" إننا لن نرفعها إلى مقام الألوهية كما فعل الكاثوليك... و كما أخطأ الكاثوليك فرفعوها إلى مقام الألوهية و العصمة ،كذلك ضل البروتستانت ضلالاً شنيعاً حين احتقروها، و جهلوا و تجاهلوا نعمة الله عليها و فيها، و لكن الكنيسة الأرثوذكسية قد علمت العذراء علمياً مستقيماً، فلا نؤلهها و لا نحتقرها"[2].

و هذا الذي ذكرناه مصدق لما جاء في القرآن عن اتخاذ النصارى مريم إلهاً، و مكذب لجحد بعض النصارى له، و صدق الله إذ يقول ﴿ و إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أ أنت قلت للناس اتخذوني و أمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ [3]

كما سرت في القرن الرابع الميلادي عبادة الصليب، و كان أول من أوجدها الملك قسطنطين حين

---

(١) انظر يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٦١-٢٦٢، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤٠٣-٤٠٦

(٢) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٢٢٧-٢٢٨، اللقاء بين الإسلام والنصرانية،أحمد حجازي السقا،ص ٩٩-١٠٠، ١٠٩، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ١٩٨-١٩٩، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح،محمد حسن عبد الرحمن،ص ٢٨-٢٩، التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ١٠٢-١٠٢، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير،إبراهيم الجبهان،ص ١٤٢.

(٣) سورة المائدة، من آية:١١٦.

زعم أنه رأى في المنام صليباً في السماء مكتوباً عليه أو حوله:"بهذا تغلب"، فجعل الصليب شعاراً لجيشه في معركة ملتيوس التي انتصر فيها على خصمه مكنتيوس، ثم بدأت والدته هيلانة في البحث عن صليب المسيح، و ادعت أنها وجدته،و من ثم بدأ تعظيم الصليب، و عظموا جنس الصليب، و عللوا ذلك بأنه كان وسيلة خلاصهم.

و تعظم الكنائس النصرانية-عدا البروتستانت- الصليب، و تعتبر منكر عبادته مرتداً، و تصنع لذلك الصلبان الذهبية و المعدنية و الخشبية، و يسجدون لها، ومن صلواتهم قولهم في ترنيمة السبت(بعد جمعة الآلام):"للثالوث الأقدس، و لصليب ناسوت ربنا يسوع المسيح، و للعذراء المباركة الدائمة البتولية، ولجميع القديسين ليكن الحمد الدائم و الكرامة و الثناء و المجد في كل الخليقة، و لنا مغفرة جميع خطايانا إلى أبد الآبدين".

و ينقل كرنيلوس فانديك في كتابه "كشف أباطيل عن عبادة الصور و التماثيل" ينقل ترنيمة أخرى تقال في السبت الذي يلي جمعة الآلام "السلام لك أيها الصليب و الرجاء الوحيد، زد نعمة الأتقياء، وهب للمذنبين مغفرة الخطايا".

يقول فانديك:"لكن كهنة الرومانيين يقولون هذا باللاتينية الميتة، و عامة الشعب لا يفهمون ما يبربرون به"، و يقول:"إن ثلثي النصارى في عصرنا هذا هم عبدة أصنام".

و في القرن الرابع أيضاً كان الشرارة التي عنها نشأت عبادة الصور و التماثيل، فقد أمرت أم الإمبراطور -هيلانة- بإحضار جثة النبي دانيال، و بعدها أحضرت جثث لوقا و اندرواس و تيموثاوس في عهد الامبرطور قسطنس.

و في عهد أركاديوس أحضروا جثة صموئيل ثم إشعيا في عهد ثيودوسيوس، و أحضرت جثة مريم المجدلية و لعاذر في عهد لادن السادس ثم نعلي المسيح و رداء إيليا و...

و قد وضعت هذه كلها في الكنائس، و تسابق الناس إليها طلباً للشفاء و البركة، و اختص بعض هذه الأضرحة بعلاج بعض الأفات فالقديس أوتيميوس اختص ضريحه بالرجال الذين لديهم مشكلات جنسية فيما يذهب النساء إلى قبر القديسة ميزونيا وسادت الإمبراطورية قصص الخرافات و التنبؤ بالغيب و غير ذلك مما يظهر في مثل تلك الأجواء الوثنية.

و في مجمع قسطنطينية ٧٥٤م حضرت وفود شرقية و غربية تفاوضت لمدة ستة أشهر ، ثم قررت أن استعمال الصور و التماثيل في العبادة مطلقاً رجوع للوثنية و مناقض للنصرانية.

و في مجمع نيقية الثاني ٧٨٧م و بأمر من الملكة إيرينا انعقد المجمع ،وقرر ٣٥٠ أسقفاً غربياً وجوب استعمال الصور و التماثيل في الكنائس، ثم قرر البابا جريجوري الثاني و الثالث حرمان و مروق الجماعات التي تناهض وجود التماثيل و الصور في الكنائس، و هو ما أكده مجمع القسطنطينية عام ٨٤٢م.

وهكذا تناقلت المجامع النصرانية هذه المسألة ،فأحدها يوجب ،والآخر يكفر،ولاندري كيف يستقيم هذا مع قول النصارى بعصمة المجامع ،لاعتقادهم بحلول الروح القدس على أصحابها .

كما لم تبال الكنيسة بمخالفة قرارها لما جاء في الناموس في (الخروج ٢٠/٤، التثنية ٢٧/٢٥، ٤/١٥-٢٤).

و هو أيضاً ما نقل عن المسيحيين الأوائل، فقد مر أسقف قبرص ايفانيوس بمكان في فلسطين، و رأى سترة عليها صورة للمسيح فمزقه قائلاً :"إن مثل هذا عيب على الشعب المسيحي"[1].

و يذكر المعلم ميخائيل مشاقه صوراً مزرية لهذه الوثنية في كتابه"أجوبة الإنجيليين على أباطيل التقليدين" فيقول:"و ربما صوروا بعض قديسين على صورة لم يخلق الله مثلها، كتصويرهم رأس كلب على جسم إنسان يسمونه القديس خريسطفورس، و يقدمون له أنواع العبادة، و يطلقون البخور، و يتلمسون شفاعته.

فهل يليق بالمسيحين الاعتقاد بوجود العقل المنطقي و القداسة في أدمغة الكلاب؟ أين هي عصمة كنائسهم من الغلط" كما ذكر المعلم ميخائيل تصويرهم الآب و الابن و الروح القدس في صور و تماثيل يقومون بعبادتها.

و يتساءل رحمة الله الهندي لم لا يعبد النصارى جنس الحمير، فقد ركب المسيح على حمار و هو يدخل أورشليم ،و ليس الخشب (حادثة الصلب) بأولى بالعبادة و التقديس من الحمار إذ هو حيوان،بينما الخشب جماد لا حياة فيه.

فإن كان عبادتهم للصليب لأنه كان سبيل نجاتهم، فكذلك كان يهوذا، فلولا تسليمه المسيح لما أمكن صلبه و حصول الفداء، ثم هو مساوٍ للمسيح في الإنسانية، و ممتلئ من روح القدس قبل خيانته. فلم كانت هذه الواسطة (يهوذا) ملعونة و تلكم مباركة؟!.

و إن قيل سال دمه على الصليب فكذلك الشوك الموضوع على رأسه فلم لا يعبد؟.

و يعجب رحمة الله الهندي من تصوير النصارى الله في كنائسهم فكيف عرفوا صورته؟ و من رآه منهم، و كيف يسجد البابا لمثل هذه الصورة ثم يمد رجله لإنسان يقبل حذاءه و هو أيضاً صورة الله؟![2].

وعاب العلماء المسلمون على الكاثوليك أيضاً ما يصنعونه في شريعة العشاء الرباني حيث يأكلون الخبز ويشربون الخمر ويعتقدون استحالة الخبز إلى جسد المسيح، والخمر إلى دمه، لأن المسيح حبنما تعشى مع تلاميذه قال لهم وهو يناولهم الخبز:"هذا هو جسدي"،ولما ناولهم الخمر قال"هذا هو دمي"(مرقس ١٤/٢٢-٢٤)، وقال يوحنا" من يأكل هذا الخبز النازل من السماء لا يموت ، أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء: والخبز الذي أعطيه هو جسدي: الحق الحق أقول لكم : إن كنتم لا تأكلون جسد ابن الإنسان ولا تشربون دمه فلن تكون فيكم الحياة، ولكن من أكل جسدي وشرب دمي فله الحياة الأبدية..." (يوحنا ٦/٥٠-٥٤)

وزعموا أن المسيح أمر بتجديده وفعله فقال:" هذا هو جسدي الذي يبذل من أجلكم، اعملوا هذا

---

(١) انظر:المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي ١٢٢-١٢٥،مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان ص ٩٤-١٠٠

(٢) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي ٣/٨٤٤-٨٤٦.

لذكري "(لوقا ٢٢/٢٠).

وقصة تجديد العشاء المزعوم على أهميتها لم يذكرها يوحنا التلميذ في إنجيله، وما جاء في لوقا من أمر التجديد مدسوس على الإنجيل كما نبه أحمد عبد الوهاب، وقد حذفته النسخة القياسية المراجعة النص من نسختها واعتبرته نصاً دخيلاً ، ويقول المفسر كيرد:إن الفقرة أدخلت في زمن مبكر ، وقد اقتبسها أحد الكتبة من مرقس (١٤/٢٤) و(كورنثوس(١)١١/٢٤-٢٥).

وقد شنع العلماء المسلمون طويلاً على فكرة الاستحالة التي يمجها العقل ولا يستسيغها، ومن ذلك تساؤل ممدوح جاد عن الإله الذي يؤكل بالبقدونس والخبز.

وقد كانت عقيدة العشاء الرباني أحد أهم ما اعترض عليه البروتستانت حين انفصالهم عن الكنيسة الكاثوليكية.

ويرى أصحاب الردود الإسلامية أن الفكرة وثنية المنشأ، حيث كانت تصنعها عدد من الأمم الوثنية، ومنهم الفرس الذين اعتقدوا أن متراس يمنح البركة للخبز والخمر في العشاء .

وكما كان عباد يونيشس وأتيس يجتمعون في عيد الحب في مساء أحد السبوت صنع النصارى أيضاً، حيث كان العشاء ينتهي بقراءة فقرات الكتاب المقدس، وفي آخر الطقوس قبلة الحب بين الرجال والنساء، وقد ندد ترتليان بهذه العادة القبيحة، واعتبرها موصلة للإباحة الجنسية.(١)

(١) انظر : إظهار الحق،رحمة الله الهندي ١/٢٤٠ ،المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي ١٢٦-١٣٤ ،مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان ص ٨٣، ماهي النصرانية، العثماني،ص١٦٨، المسيحية ، أحمد شلبي، ص١٤٨-١٤٩، حوار صريح، عبد الودود شلبي ،ص ٤٦-٤٩، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح جاد ، ص١٦-١٧، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، ص١٣٦.

ثالثاً: البروتستانت.

و هم في الأصل من أتباع الكنيسة الكاثولوكية و كلمة"بروتستانت" كلمة إنجليزية معناها "مقيم الحجة" و ترجمها آخرون: (المحتجون).

و قد انشق البروتستانت عن الكنسية الكاثولوكية في منتصف القرن السادس عشر و بعد عدة احتجاجات على ممارسات بابوات الكنيسة التي زكمت الأنوف .

و هنا يجدر بنا الحديث عن بعض هذه الدعوات الإصلاحية التي ظهرت في أوربا. بدأت هذه الدعوات للإصلاح على يد جيرارد في كنيسة لورين في عام ٩١٤م و عاصرها دعوة أخرى تسمى حركة كلوين.

ثم ظهرت في جنوب فرنسا حركتا الكاتاريين و الوالدنيين و تمكنت البابوية من القضاء عليهما.

و في القرن الثالث عشر ظهرت حركة الرهبان (الإخوان)، و دعت للبساطة و حماية الكنيسة من الهراقطة، و تدعيم البابوية عن طريق الأتباع المخلصين، لكن مع نهاية هذا القرن وقع رواد الحركة فيما حذروا منه فأصبحوا من الأثرياء ،و جر الثراء إلى ما يسوء ذكره.

و في عام ١٣٨٣م توفي داعي الإصلاح حنا بعد أن طرد و أتباعه،ثم نادى حناهس بإيقاف صكوك الغفران التي استعان بها البابا حنا الثالث و العشرون في حربه ضد مملكة نابلي، و قد أحرق حناهس حياً عام ١٤١٥م .

و في أوائل القرن السادس عشر نادى آزرم بالإصلاح، و احتفظ بعلاقات طيبة مع الكنيسة والبابا ليو العاشر، و مثله فعل معاصره تومس مور.

و في بداية هذا القرن أيضاً ظهر مارتن لوثر و هو قس ألماني ذهب إلى الحج في روما طالباً بركات البابا فيها، و في ذهنه صورة من النقاء و الطهر و الخشوع.

لكنه فوجيء في روما بواقع آخر ،فجعل يصيح بأن ليس هذا دين عيسى، و عاد لألمانيا يدعو للإصلاح و هاجم صكوك الغفران و اعتبرها دجلاً، وانضم إليه أتباع سموا بالمحتجين (البروتستانت).

ثم تأثر بلوثر الفرنسي كالفن المولود عام ١٥٠٩م، ثم السويسري زونجلي ،و أسس كلفن التنظيم الكنسي البروتستانتي.

و قد انتشرت أراء هذه المدرسة الإصلاحية في ألمانيا و أمريكا و اسكتلندا و النرويج و هولندا.

و يأخذ شلبي على هذه الدعوات الإصلاحية اتجاهها لإصلاح الكنسية و أنظمتها الكهنوتية وبعض طقوسها المبتدعة،و غفلتها عن إصلاح دين الكنيسة ،إذ لم تتطرق هذه الدعوات للموضوعات المهمة التي لا تكاد تجد دليلاً لها من الكتاب المقدس كالتثليث و الفداء و سلطة المجامع.

و أهم ما تتميز به فرقة البروتستانت.

*الإيمان بأن الكتاب المقدس فقط (و ليس البابوات) هو مصدر النصرانية، لكنهم لم يطبقوه فيما

سوى مسألة صكوك الغفران و عصمة البابا.

*إجازة قراءة الكتاب المقدس لكل أحد، كما له الحق بفهمه دون الاعتماد في ذلك على فهم بابوات الكنيسة.

*عدم الإيمان بأسفار الأبوكريفا السبعة، و اعتماد التوراة العبرانية.

*عدم الاعتراف بسلطة البابا و حق الغفران و بعض عبادات و طقوس الكنيسة الكاثوليكية كالعشاء الرباني و عبادة الصور و تقديس مريم، و عذاب المطهر، و عموم الأسرار الكنيسة.

*يعتبرون الأعمال الصالحة غير ضرورية للخلاص.

*لكل كنيسة بروتستانتية استقلالها التام.

*يمنع البروتستانت الصلاة بلغة غير مفهومة كالسريانية و القبطية، و يروهٔا واجبة باللغة التي يفهمها المصلون.

*يمنع البروتستانت التبتل ،و يوجبون زواج القسس لإصلاح الكنيسة. و يوافق البروتستانت الكاثوليك في انبثاق الروح القدس من الأب و الابن كما يوافقوهم في أن للمسيح طبعيتين و مشيئتين[1].

و هذه الطوائف الثلاث هي الطوائف الرئيسة في النصرانية التي تمتاز بكثرة غير محدودة في عدد طوائفها ،ففي أمريكا اليوم مائتين و خمسين فرقة مسيحية.

و في عام ١٩٥٧م أعلن مندوب وكالة الأنباء العالمية أنه بعد تقصيه للفرق المسيحية في أفريقيا وجد أنها تربو على الألف و الأربعمائة.

و يسجل محمد مجدي مرجان ملاحظة على ظاهرة الافتراق في النصرانية فيقول:"إنما تدل بوضوح على الغموض تلك العقيدة و عدم اقتناع أصحابها بها لمخالفتها لمنطق عقولهم، و سوية فطرتهم، مما يجعل أصحاب الثالوث أنفسهم في صراع دائم بين منطق عقولهم و حكم ظروفهم، بين عقول فطرت على التوحيد و ظروف فرضت التثليث"[2].

---

(١) انظر: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٦٢-٢٧٠، المسيحية،أحمد شلبي،ص ٢٠٢، ٢١٧-٢١٩، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤٠٨-٤١٠.

(٢) الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ٥٢، و انظر: اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٣٩٧.

المبحث الثالث: مصادر النصرانية

﴿و إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أ أنت قلت للناس اتخذوني و أمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي و لا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب* ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي و ربكم و كنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم و أنت على كل شيء شهيد﴾ (١).

و إذا لم يكن المسيح قد قال بألوهية نفسه كما لم يقل بتثليث الإله، فمن أين وفدت هذه العقائد على النصرانية؟

و في الجواب نقول ﴿ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون به قول الذين كفروا قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ (٢).

بحث علماؤنا عن المصادر الحقيقية لعقائد النصارى المحرفة ،فوجدوها تنحصر في أمرين هما بولس اليهودي المتنصر والوثنيات القديمة،وقد خصصت لكل منها مطلباً:

الأول:بولس، و أثره في النصرانية.

الثاني: الوثنيات القديمة.

---

(١) سورة المائدة،آية:١١٦-١١٧

(٢) سورة التوبة،من آية:٣٠

المطلب الأول: بولس و أثره في النصرانية.

من هو بولس ؟

و لد بولس لأبوين يهوديين في مدينة طرسوس في آسيا الصغرى ، و نشأ فيها و تعلم حرفة صنع الخيام، ثم ذهب إلى أورشليم، فأكمل تعليمه عند رجل يدعى غمالائيل أحد أشهر معلمي الناموس في أورشليم(انظر أعمال ٣٩/٢٢، ٣/١٨،٣/٢٣)، و قد أسماه والده "شاول "و معناه:"مطلوب" ،ثم سمى نفسه بعد تنصره "بولس" و معناه "الصغير" (أعمال ٩/١٣).

و لا تذكر المصادر النصرانية لقيا بولس المسيح، و أول ذكر لبولس فيما يتصل بالنصرانية شهوده محاكمة استفانوس أحد تلاميذ المسيح، و يذكر بولس أنه كان راضياً عن قتله(انظر أعمال ١/٨).

ثم يحكي سفر الأعمال عن اضطهاد بولس للكنيسة و أنه"كان يسطو على الكنيسة و هو يدخل البيوت، و يجر رجالاً و نساءً ، و يسلمهم إلى السجن"(أعمال ٣/٨)، و يدل على علو مقامه عند الدولة الرومانية أو عند رؤساء الكهنة كما صرح أعمال ١٠/٢٦.

و يذكر سفر الأعمال تنصر بولس بعد زعمه بأنه رأى المسيح بينما هو ذاهب إلى دمشق في مهمة لرؤساء الكهنة فكان مما قاله المسيح له:"ظهرت لك لأنتخبك خادماً و شاهداً بما رأيت، و بما سأظهر لك به، منقذاً إياك من الشعب، و من الأمم الذين أنا أرسلك إليهم، لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، و من سلطان الشيطان إلى الله ، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا و نصيباً مع المقدسين" (أعمال ١٦/١٦-١٨).

و مكث بولس ثلاثة أيام في دمشق ،ثم غادرها إلى العربية[١]،ثم عاد إليها"ثم بعد ثلاثة سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً" (غلاطية ١٨/١).

ثم بدأ دعوته في دمشق فحاول اليهود قتله، فهرب إلى أورشليم فرحب به برنابا، و قدمه للتلاميذ الذين يصفه أعمال الرسل بأنهم "يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ"(أعمال٩/٢٦).

ثم ذهب للدعوة في قيصرية(جنوب حيفا) ،ثم سافر مع برنابا إلى آسيا الصغرى، ثم حضر مجمع أورشليم، ثم رجع إلى أنطاكيا، و اختلف فيها مع برنابا بسبب إصراره على اصطحاب مرقس معهما في رحلتهما التبشرية، و عندها افترقا.

و استمر بولس يدعو إلى المسيحية في أماكن عدة من أوربا سجن خلالها مرتين إحداهما في روما سنة ٦٤م ،ثم ثانيةً عام ٦٧ ،وقتل عام ٦٨م، وتذكر بعض المصادر أنه أسر مرة واحدة عام ٦٤م وفيها مات[٢].

---

(١)يطلق اسم العربية في الكتاب المقدس ويراد منه جزيرة العرب كما قد يراد به بعض المواقع شمال الجزيرة كسيناء وجنوب الشام.انظر قاموس الكتاب المقدس،ص٦١٥.

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٩٥-١٩٩.

بعض الملامح في شخصية بولس

و حاول علماؤنا سبر هذه الشخصية الهامة في تاريخ المسيحية بقراءة الرسائل المنسوبة إليه أو ما جاء عنه في سفر أعمال الرسل، و توقفوا عند ملاحظات هامة.

منها أهم اعتبروا قصة رؤية بولس للمسيح إحدى كذبات بولس و أوهامه، واستدلوا لذلك بالمقارنة بين روايات القصة في العهد الجديد حيث وردت القصة ثلاث مرات:أولاها في أعمال الرسل٩/٣-٢٢، من رواية لوقا أو كاتب سفر الأعمال، و الثانية من كلام بولس في خطبته أمام الشعب(انظر أعمال ٢٢/٦-١١)، و الثالثة أيضاً من رواية بولس أمام الملك أغريباس (انظر أعمال٢٦/١٢-١٨)، كما أشار بولس للقصة في مواضع متعددة في رسائله.

و لدى دراسة علمائنا للقصة في مواضعها الثلاث تبين لهم تناقضها في سبع مواضع، و الحق أن بعضها لا يصل لدرجة أن يسمى تناقضاً.

و التناقضات التي أوردها علماؤنا هي :

*جاء في الرواية الأولى(أعمال/٩) "و أما الرجال المسافرون معه، فوقفوا صامتين يسمعون الصوت، ولا ينظرون أحداً"(أعمال٩/٧)، بينما جاء في الرواية الثانية(أعمال٢٢)"المسافرون لم يسمعوا الصوت"(أعمال ٢٢/٩)، فهل سمع المسافرون الصوت ؟أم لم يسمعوه؟.

*جاء في الرواية الأولى والثانية أن المسيح طلب إلى بولس أن يذهب إلى دمشق حيث سيخبر بالتعليمات هناك(انظر أعمال٩/٦،٢٢/١٠)، بينما يذكر بولس في الرواية الثالثة (أعمال٢٦) أن المسيح أخبره بتعليماته بنفسه، فقد قال له"قم و قف على رجليك، لأني لهذا ظهرت لك، لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت و بما سأظهر لك به، منقذاً إياك من الشعب و من الأمم الذين أن الآن أرسلك إليهم..."(أعمال

مؤسس المسيحية الحقيقي[1].

و يلحظ الأطير أن رواية لوقا في (الأولى)توافق رواية بولس (الثانية)، أما الرواية الثالثة نلحظ فيها الاختلاف بيناً، و هو اختلاف لم ينشأ عن ضعف في الذاكرة، بل هو تغير متعمد.

و يرجح الأطير أن بولس كتب روايته الأولى ثم كتب لوقا ما نقل عنه، ثم عدل بولس عندما كتب ثاني روايتيه(الرواية الثالثة).

و يفترض الأطير أن أحداً قال لبولس:إن ما رأيته من نور أحاط بك دون رفقتك في السفر، و أنت الذي سقطت و سمعت و رأيت، و أصحابك لا علم لهم بذلك، فلربما كان ذلك من توليد خاطرك أو سقم أصابك عندها عدل بولس الرواية، و أشرك الآخرين فأسقطهم و أسمعهم...

و يؤكد الأطير أنه لا يقبل من النصارى القول بنسيان بولس ،فمثل هذا الحدث لا ينسى بتقادم الزمان كما أنه عذر لا يقبل ممن يكتب بإلهام، و عليه فإما أن يكذب لوقا أو بولس، أو يقال بأن النص تعرض للتحريف على يد النساخ، و كل هذه عند القوم من الطوام.

و يرى الخولي أنه عند غض الطرف عن تناقض رواية رؤية بولس للمسيح، فإنه يمكن القول بأن ما حصل هو حدث نفسي ناتج عن الخوف من البرق و تأنيب الضمير،و تذكر الله عز و جل، ثم إرهاق السفر، و أما العمى الذي أصابه فكان عمىً نفسياً.

لكن محمد عوض يرى أنه ينبغي رد الرواية برمتها، فبولس اندفع للنصرانية بسبب يأسه من هزيمة أتباع المسيح، فقد رآهم يثبتون على الحق رغم فنون العذاب الذي صبه عليهم، و هذا الشعور يراه واضحاً في قول بولس أن المسيح قال له"صعب عليك أن ترفس مناخس"(أعمال ٢٦/١٤)[2].

و يرى محمد عوض أن قصة الصيام ثلاثة أيام و فقد البصر ثم رجوعه على يد حنانيا و سقوط القشور من عينيه، كل هذه أحداث أريد منها أن تؤكد على أن بولس تعرض لشيء غير عادي ،ثم خلصته المعجزة من محنته فأصبح رسولاً ،و أما المسافرون فيفترض محمد عوض أنهم وقعوا تحت تأثير شاول الذي أوهمهم بالأحداث التي اختلقها.

و يستغرب محمد عوض كيف ينقل شخص من الكفر و العداوة إلى القديسية والرسالة من غير أن يمر حتى بمرحلة الإيمان [3].فمن الممكن تصديق التحول من فرط العداوة إلى الإيمان ،أما إلى النبوة و الرسالة من غير إعداد وتهيئة فلا،ومن المعلوم أن أحداً من الأنبياء لم ينشأ على الكفر،فهم معصومون من ذلك .

---

(١) انظر: إظهار الحق،رحمة الله الهندي ١/٢٢٥-٢٢٦، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ١٨٨-١٨٩، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب ،ص ١٠٣، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر،أحمد عبد الوهاب،ص ٢٨-٣١،عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٩٩-١١١.

(٢) انظر عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ١٠٩-١١١، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ١٨٨، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٤٠-٤١.

(٣) انظر الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عبد الرحمن عوض،دار البشير،القاهرة،ص ٣٣-٤٠، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ٩٩-١٠٠،هل بشر المسيح بمحمد ؟ نبيل الفضل،ص ١٣٨-١٣٩.

و يؤكد علماؤنا على كذب القصة بما يثور حولها من أسئلة ملحة لا جواب عليها منها ما نقله أحمد عبد الوهاب عن ماكوبي في كتابه"صانع الأسطورة بولس و اختراع المسيحية" فقد تساءل كيف يمكن فهم العلاقة الحميمة التي تربط بولس و هو فريسي برئيس الكهنة و هو صدوقي، و بين الفريسيين والصدوقيين عداوة لا يخمدوا أوارها؟

ثم كيف يطلب رئيس الكهنة من بولس أن يسوق أناساً موثقين من دمشق ،فمن أين له هذه السلطة القضائية في مدينة غير يهودية ،إذ دمشق في تلك الأزمنة كانت في سلطة الرومان ؟

و يتساءل ممدوح جاد كيف لبولس أن يجزم بأن من رآه في السماء و كلمه كان المسيح، إذ هو لم يلق المسيح طوال حياته (١).

و من الأمور التي وقف عليها علماؤنا في شخصية بولس تلونه و نفاقه و احترافه للكذب في سبيل الوصول لغايته.

فهو يهودي فريسي ابن فريسي (انظر أعمال ٢٣/٦)، لكنه عندما خاف من الجلد قال:"أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً"(أعمال٢٢/٢٥)، و بولس يستبيح الكذب و التلون للوصول إلى غايته فيقول:"صرت لليهود كيهودي...و للذين تحت الناموس كأني تحت الناموس...و للذين بلا ناموس كأني بلا ناموس...صرت للكل كل شيء"(كورنثوس(١)٩/٢٠-٢١).

و تلون بولس لم يقتصر على رسائل الدعوة، بل تلون حتى في مبادئها كما سيتبين لنا، و يستبح بولس الكذب فيقول:"إن كان صدق الله قد ازداد بكذبي لمجده، فلماذا أدان بعد كخاطئ"(رومية ٣/٧)(٢).

و تمتلئ رسائل بولس بثنائه على نفسه و من ذلك قوله:"بولس رسول لا من الناس و لا بإنسان، بل بيسوع المسيح و الله الآب الذي أقامه من الأموات"(غلاطية ١/١)، و في رسالة أخرى يقول :"بولس عبد الله و رسول يسوع المسيح...و إنما أظهر كلمته الخاصة بالكرازة التي أؤتمنت أنا عليها بحسب أمر مخلصنا الله"(تيطس ١/١-٣).

---

(١) انظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدس،أحمد عبد الوهاب ،ص ١٠١، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٢٩٣-٢٩٦، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٥٠، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ص ١٦٣-١٦٤، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ٩٦، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ١٠٧، المسيحية،أحمد شلبي،ص ٢٤٤.

(٢) انظر: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ١٩١-١٩٤، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ٢١٨،تعدد نساء الأنبياء،ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،مكتبة وهبة،القاهرة،١٤٠٩هـ،ص ٢١٨،حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر،أحمد عبد الوهاب،ص ٣٧، الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،ط١،دار النهضة العربية،القاهرة،١٣٩٩هـ،ص ٥٥، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ٩٥-٩٦، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عبد الرحمن عوض،ص ٩٣، في مقارنة الأديان،محمد الشرقاوي،ط١،دار الجيل،بيروت،١٤١٠هـ،ص ١٥٢، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس،محمد عبد الحليم أبو السعد،ط١،١٤٠٤هـ،ص ٢١٦، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٢٠.

و يظن بولس أن عنده روح الله فيقول :"أظن أني أنا أيضاً عندي روح الله"(كورنثوس(١)٧/٤٠).

و يرتفع بنفسه إلى درجة القديسين الذين -كما يرى-سيدينون العالم بما فيهم الملائكة فيقول:"ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم؟..ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة"(كورنثوس(١)٦/٢-٣)فهو سيدين الملائكة الذين كان قد ذكر بأن المسيح دونهم بقليل(انظر عبرانيين ٢/٩)، و يقول أيضاً مفاخراً بنفسه:"اختارنا الله قبل تأسيس العالم لنكون قديسين و بلا لوم قدامه في المحبة"(أفسس١/٤).

و رغم أنه لم يلق المسيح فإنه يعتبر نفسه في مرتبة التلاميذ، لا بل يفوقهم "الإنجيل الذي بشرت به، إنه ليس بحسب إنسان، لأني لم أقبله من عند إنسان و لا علمته، بل بإعلان يسوع المسيح... لم استشر لحماً و لا دماً و لا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي، بل انطلقت إلى العربية(شمال جزيرة العرب)ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس"(غلاطية١/١١-١٨).

و هكذا يستمر في هنجهيته وغروره -كما وصفه المؤرخ رينان-و يؤكد بولس على تميزه عن سائر التلاميذ و انفراده عنهم ،و يصفهم بالأخوة"الكذبة المدخلين خفية، الذين دخلوا اختلاساً...الذين لم نذعن لهم بالخضوع و لا ساعة، فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علي بشيء، بل على العكس إذ رأوا أني أؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان"(غلاطية٢/٤-٧).

و هكذا يؤكد بولس بأن ما يحمله في تبشيره لم يتلقاه عن تلاميذ المسيح بل هو من الله مباشرة.

و يتساءل المحققون لماذا لم يذهب بولس بعد تنصره مباشرة إلى التلاميذ ليتلقى عنهم دين المسيح؟ بل ذهب إلى العربية و مكث بعيداً عن التلاميذ ثلاث سنين، ثم لقي اثنين منهم فقط لمدة خمسة عشر يوماً(انظر غلاطية ١/١٨-١٩).

تقول دائرة المعارف البريطانية في الإجابة عن هذا السؤال:"إن ارتحاله إليها كان لحاجته إلى جو هادئ صامت يتمكن فيه من تفكير في موقفه الجديد، و أن القضية الأساس عنده هي تفسير الشريعة حسب تجاربه الحديثة".

و يقول المؤرخ جامس كينون في كتابه "من المسيح إلى قسطنطين":"إنه ارتحل بعد تحوله الفكري إلى العربية، و كان الغرض المنشود من وراء ذلك-كما يبدو من التبشير-أن يدرس مضمونات عقيدته الجديدة، ثم ذهب بعد ذلك بثلاثة أعوام إلى أورشليم حتى يجتمع ببطرس و يعقوب".

و يبرر جاكسون موقف بولس فيقول:"كان بولس يؤمن أن الله قد وهبه ميداناً محدداً للعمل، و لا يجوز لرجل أن يتدخل في شئونه مادام روح الله بدورها هادية له"[1].

---

(١) ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ١٧٠-١٧٤، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ١١٠-١١٢، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١١٠-١١٢، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ١٨-١٩.

بولس الرسول

كما يرفض علماؤنا وسم النصارى لبولس بالرسول فقد رفضوا كما أسلفنا قصة تحلي المسيح لـــه، كما وجدوا في أقواله ما لا يصدر من نبي و رسول.

فمن ذلك إساءته الأدب مع الله في قوله:"لأن جهالة الله أحكم من الناس، و ضعف الله أقـــوى مـــن الناس"(كورنثوس(١)١/٢٥)

فلا يقبل أن يقال بأن لله ضعفاً أو جهالة من أحد سواء كان رسولاً أو غير رسول، و صـــدور مثلـــه عن الرسل محال ،إذ هم أعرف الناس بربهم العليم القوي المتعال.

و مثله يقول بولس"لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله" (كورنثوس(١)٢/١٠) و يقـــول مستحلاً المحرمات"كل الأشياء تحل لي"(كورنثوس(١)٦/١٢).

و هذا يتطابق مع ما جاء به من إلغاء الناموس و احتقاره و وصفه بالعتق و الشيخوخة كما ســـيتبين لنا في محله ،و مثل هذا الموقف لا يكون من الأنبياء و الرسل الذي تأتي دعوتهم لتؤكد على طاعة الله وتدعـــو إلى السير وفق شريعته[1].

و يحكي بولس عن نفسه و ضعفه أمام الشهوات فيقول:"لست أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل مـــا أريد، بل ما أبغضه فإياه أفعل..لست أفعل الصالح الذي أريده، بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعـــل.. أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني، و يسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي، و يحـــي أنـــا الإنسان الشقي"(رومية ٧/١٥-٢٤)[2].

و مما يدحض نبوته و رسالته وقوعه بالخطأ في التبليغ و التشريع-سيرد تفصيلـــــه في محلـــه- (انظـــر عبرانين٩/ ١٩، و قارن مع الخروج ٢٤/٣-٨) [3].

و تساءل علماؤنا عن المعجزات التي أتى بها بولس ليثبت فيها نبوته و رسالته، فهو عندمـــا عمـــي لم يستطع شفاء نفسه، إذ يفترض فيه و قد حل عليه روح القدس أن يكون كسائر التلاميذ أصحاب المعجـــزات و الذين يتكلمون ألسنة شتى فيما يستعين بولس بمترجمين في رسائله كما يظهر من (فليمون ٢٥)مثلاً.

و عدم إتيان بولس بالمعجزات يدل ليس فقط على عدم نبوته و رسالته ،بل يراه كـــامل ســـعفان دالاً على قلة إيمانه ،إذ جاء في متى أن المسيح قال:"فالحق الحق أقول لكم:لو كان لكم إيمان مثل حبـــــة خـــردل

---

(١) انظر: المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٦٢،حقيقة التبشير بين الماضي والحـــاضر،أحمـــد عبـــد الوهاب،ص ٣٦-٣٩، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ٢٠٩-٢١٠، المســـيحية الحقـــة الـــتي جـــاء بهـــا المسيح،علاء أبو بكر،ص ١١٠-١١٢، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٤٧، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٣٠٨، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٨٥.

(٢) انظر: في مقارنة الأديان،محمد الشرقاوي،ص ١٦٠-١٦١، المسيحية الحقة التي جاء بها المســـيح ، عـــلاء أبـــو بكـــر، ص ١١٢-١١٣.

(٣) انظر: المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٦١-٦٢.

لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل و لا يكون شيء غير ممكن لديكم"(متى١٧/٢٠).

و لكن ما ذكره كامل سعفان ينقضه ما جاء في سفر أعمال الرسل في أن بولس و برنابا صنعا عجائب في رحلتهما إلى أيقونية(انظر أعمال ١٤/٣).

كما شفى بولس الرجل الذي ولد مقعداً في مدينة ليكأونية(انظر أعمال ١٤/٨-١٠).

و كذلك أحيا أفتيخوس بعدما مات و سقط من الطابق الثالث و هو يستمع لخطبة بولس(انظر أعمال ٢٠/٩-١٢).

و يغرب الخولي و هو يشكك في إمكانية حصول معجزة المقعد، و يرى أن ما فعله بولس كان تأثيراً نفسياً على مريض ارتبط مرضه بالخوف أو الوهم[١].

لكن محمد وصفي و الفرت يريان في بولس و عجائبه ما حذر منه المسيح حين قال:"انظروا لا يضلكم أحد، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح، ويضلون كثيرين...و يقوم أنبياء كذبة كثيرون و يضلون كثيرين...

سيقوم مسحاء كذبة و أنبياء كذبة، و يعطون آيات عظيمة و عجائب، يضلون لو أمكن المختارين أيضاً"(متى٢٤/٤-٢٥).

و قد حذر المسيح من خداع هؤلاء الكذبة للعوام بما يزعمونه من معجزات،وبين المسيح كيفية معرفة هؤلاء الكذبة حين قال:" ليس كل من يقول لي :يا رب، يا رب يدخل ملكوت السماوات،بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السماوات.

كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم:يا رب،يا رب ، أليس باسمك تنبأنا ؟ وباسمك أخرجنا شياطين ؟وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟فحينئذ أصرح لهم:إني لم أعرفكم قط .اذهبوا عني يا فاعلي الإثم .

احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتون بثياب الحملان...من ثمارهم تعرفونهم"(متى٧/٥-٢٣).

و يقول يوحنا محذراً منهم:"قد صار الآن أضداد المسيح، منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا...من هو الكذاب إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح، هذا هو ضد المسيح...احذروا الذين يضلونكم"(يوحنا(١)٢/٢٢).

و قد حذر بطرس أيضاً فقال:"كان أيضاً في الشعب أنبياء كذبة، كما سيكون فيكم أيضاً معلمون كذبة، الذين يدسون بدع هلاك..."(بطرس(٢)٢/١-٣)[٢].

---

(١) انظر: المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ١٠٨، مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ١٨١، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٤٦-٤٧، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٥٨-٥٩.

(٢) انظر:قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة،محمد أبو الغيط الفرت،ص ٣٦-٤٠، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص ٤٩-٥١،هل بشر المسيح بمحمد ؟ نبيل الفضل،ص ١٥٢ .

و قد كانت ثمار بولس بدع الهلاك التي أدخلها في المسيحية:ألوهية المسيح، الصلب و الفـداء، عالمية النصرانية، إلغاء الشريعة .

فكان بولس "الصغير"هو الذي أخبر عنه المسيح في قوله:"الحق أقول لكـم :إلى أن تـزول السـماء والأرض لا يزول حرف واحد من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هـذه الوصايـا الصغـرى وعلم الناس هكذا يدعى: أصغر في ملكوت السماوات"(متى ٥/١٧-١٩)،و قد دعـي بولـس في الدنيـا بالصغير، و لسوف يدعى في الآخرة أصغر جزاء تبديله للناموس و الوصايا.

بولس و العقائد النصرانية.

تقوم النصرانية المحرفة و عمادها الرئيس رسائل بولس ،فقد كانت رسائله أول ما خط من سطور العهد الجديد الذي جاء متناسقاً إلى حد ما مع رسائل بولس لا سيما إنجيل يوحنا، فيما رفضت الكنيسة النصرانية تلك الرسائل التي تتعارض مع نصرانية بولس التي طغت على النصرانية الأصلية التي نادى بها المسيح و تلاميذه من بعده.

و هذا الأثر الذي تركه بولس في النصرانية لا يغفل و لا ينكر، مما حد بالكاتب مايكل هارت في كتابه"الخالدون المائة" أن يجعل بولس أحد أهم رجال التاريخ أثراً إذ وضعه في المرتبة السادسة بينما كان المسيح في المرتبة الثالثة.

و قد برر هارت وجود النبي صلى الله عليه و سلم في المرتبة الأولى، و تقدمه على المسيح الذي يعد المتتسبون لدينه الأكثر على وجه الأرض، فقال:"فالمسيحية لم يؤسسها شخص واحد، و إنما أقامها اثنان: المسيح عليه السلام و القديس بولس، و لذلك يجب أن يتقاسم شرف إنشائها هذان الرجلان.

فالمسيح عليه السلام قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية، و كذلك نظراتها الروحية و كل ما يتعلق بالسلوك الإنساني.

وأما مبادئ اللاهوت فهي من صنع القديس بولس"،ويقول هارت:"المسيح لم يبشر بشيء من هذا الذي قاله بولس الذي يعتبر المسئول الأول عن تأليه المسيح".وينبه هارت إلى أن بولس لم يستخدم لقب "ابن الإنسان"الذي كان كثيراً ما يطلقه المسيح على نفسه.

وقد خلت قائمة مايكل هارت من تلاميذ المسيح الذين غلبتهم دعوة بولس مؤسس المسيحية الحقيقي، بينما كان الامبرطور قسطنطين صاحب مجمع نيقية(٣٢٥م) في المرتبة الثامنة و العشرين[1].

و قد تعرض علماؤنا بالذكر للعديد من البدع التي أحدثها بولس في عقائد النصرانية و شرائعها، وبينوا اعتماداً على كتب العهد الجديد براءة المسيح من هذه البدع.

بولس و ألوهية المسيح.

و إذا خلت الأناجيل-سوى ما قد يقال عن إنجيل يوحنا- من تقرير عقيدة ألوهية المسيح فإن رسائل بولس تمتلئ بالغلو في المسيح، و النصوص التي تعتبر المسيح كائنا فريداً عن البشر.

فماذا في أقوال بولس عن المسيح؟ و هل يعتبره رسولاً أم إلهاً متجسداً أم ...

---

(١) انظر: الميزان في مقارنة الأديان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٤١٢-٤١٦، المسيح في الإسلام، أحمد ديدات ٥٨،هل بشر المسيح بمحمد ؟ نبيل الفضل،ص ١٤٢-١٤٣،تعدد نساء الأنبياء،ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ١٩٦-١٩٧،حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٢-٤٣، قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد ٢/٢٧٥-٢٨٠.

عند التأمل في رسائل بولس نجد إجابة متناقضة بين رسالة و أخرى، إذ ثمة نصوص تصرح ببشرية المسيح، و ثمة أخرى تقول بألوهيته فهل هذا التناقض يرجع إلى تلون بولس حسب حالة مدعويه أم أنه متوافق مع تطوير بولس لمعتقده في المسيح أم يرجع التناقض إلى ما تعرضت له الرسائل من تغير وتبديل...هذا كله يبقى محتملاً من غير ترجيح.

فمن النصوص التي تحدثت عن المسيح كعبد من البشر يتميز عنهم بمحبة الله له و اصطفائه قول بولس:"يوجد إله واحد، و وسيط واحد بين الله و الناس: الإنسان يسوع المسيح" (تيموثاوس (١)٢/٥)، ومثله يقول معترفاً بوحدانية رب الأرباب "أن تحفظ الوصية بلا دنس و لا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح، الذي سيبينه في أوقاته المبارك العزيز الوحيد، ملك الملوك، و رب الأرباب، الذي وحده له عدم الموت..."(تيموثاوس(١)٦/١٤-١٦) فالمسيح رب لكن الله وحده رب الأرباب.

و المسيح بشر متميز بتقديم الله له يقول عنه بولس "مدعو من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق" (عبرانيين ٥/١٠)، و هو "الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد و دموع طلبات، و تضرعات للقادر أن يخلصه من الموت، و سمع له من أجل تقواه" (عبرانيين ٥/٧).

و يقارن بولس بين منزلته و منزلة مخلوقات مثله يفضلها عليه تارة ،و يفضله عليها أخرى فيقول:"لكن الذي وضع قليلاً عن الملائكة :يسوع نراه مكللاً بالمجد و الكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد"(عبرانيين ٢/٩).

و في مواضع آخر يقارن بينه و بين موسى فيقول:"لا حظوا رسول اعترافنا و رئيس كهنته المسيح يسوع حال كونه أميناً للذي أقامه كما كان موسى... موسى كان في كل بيته كخادم...، و أما المسيح فكابن على بيته، و بيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء..." (عبرانين٣/١-٦).

فهذه النصوص و غيرها تحدث بها بولس عن المسيح كبشر متميز بمحبة الله له و اختياره ليكون وسيلة في إبلاغ وحيه.

لكن لبولس نصوص أخرى تبالغ في وصف المسيح حتى تكاد تجعله ابناً حقيقياً لله لكثرة ما فيها من الغلو والتأكيد على خصوصية المسيح مما يفهم منه أن البنوة هنا تختلف عن سائر ما ورد في الكتاب المقدس، ويتضح ذلك من مواضع أخرى يعتبره فيها صورة لله، أو الجسد الذي تجسد فيه الإله.

يقول بولس" فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة"(رومية ٨/٣)، ويقول:"الذي لم يشفق على ابنه، بل بذله..."(رومية ٨/٣٢)، و يقول"أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة (غلاطية ٤/٤)، ويفهم من النص بنوة حقيقية يراها بولس للمسيح ، وإلا فجميع المؤمنين أبناء الله (على المجاز) مولودون من جنس النساء ، ويقول :"الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع و طرقٍ كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه" (عبرانيين ١/١-٤).فهو كما يرى بولس نوع مختلف عما سبق من الأنبياء السلبقين، والذين هم جميعاً أبناء الله بالمعنى الكتابي المجازي للكلمة.

و يقول بولس عن المسيح" هو صورة الله الغير المنظور، بكر كل خليقة" (كولوسي ١/١٥)، ويقول"إذ كان في صورة الله لن يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبده،

صائراً في شبه الناس"(فيلبي٢/٦-٧)، و يقول جاعلاً المسيح هو الله:"عظيم هو سر التقوى، الله ظـهر في الجسد"(تيموثاوس(١)٣/١٦)، ويقول"أظهر كلمته في أوقاتها الخاصة بالكرازة التي أؤتمنت أنـا عليـها بحسب أمر مخلصنا :الله" (تيطس ١/٣)[1].

و تحدث علماؤنا أيضاً عن البيئة التي جعلت بولس يندفع للقول بألوهية المسيح، و تحدثوا عن المصادر التي استقى منها بولس هذه العقيدة.

أما البيئة التي بشر بها بولس فقد كانت بيئةً مليئة بالخرافات التي تنتشر بين البسطاء و السذج الذين هم غالب أفراد مجتمع ذلك الزمان، يضاف إليه أن تلك المجتمعات وثنية تؤمن بتعدد الآلهة و تجسدها و موتها، ففي رحلة بولس و برنابا إلى"لستر" صنعا بعض الأعاجيب "فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا أصواتهم بلغة ليكاونية قائلين: إن الآلهة تشبهوا بالناس، و نزلوا إلينا، فكـانوا يدعـون برنابـا: زفـس .وبولـس: هرمس"(أعمال ١٤/١١-١٢)، و زفس و هرمس كما أوضح محررو قاموس الكتاب المقدس :اسمان لإلهين من آلهة الرومان: أولهما: كبير الآلهة. و الثاني: إله الفصاحة.

و هكذا رأى هؤلاء البسطاء الوثنيون في بولس و برنابا إلهين بمجرد أن فعلا بعض الأعـاجيب،بـل ويحكي سفر الأعمال أيضاً أن الكهنة قربوا إليهما الذبائح،وهموا بذبحها لولا إنكار بولس وبرنابـا عليـهم. (انظر أعمال ١٤/١٣-١٨) .

فماذا يكون قول هؤلاء في الذي كان يحيي الموتى، و أشيع أنه قام من الموتـى و أتـى بالأعـاجيب والمعجزات[2].

و فكرة تجسد الآلهة مقبولة عند الوثنين الذين حددوا مواسم و أعياد معروفة لولادة الآلهة المتجسـدة وموتها، و بعثتها، لذلك فإن بولس أنزل الإله للأرض ليراه الرومان.

و يرى حسني الأطير أن الذي دفع بولس لإظهار ألوهية المسيح هو الامبراطور الروماني طيبـاروس قيصر (٣٧م).

و يستدل لذلك بما أورده المؤرخ أوسابيوس القيصري (٣٤٠م)، عن طيباروس حيث بلغته أخبـار المسيح، فأراد إضافته إلى الآلهة، و لكن و حسب المتبع لا بد أن يحال الأمر إلى مجلس الأعيـان للمصادقـة عليه، إذ لا يجوز للامبراطور أن يضيف إلهاً إلا بواسطتهم لكن المجلس رفـض ذلـك، و بقـي طيبـاروس متمسكاً برأيه.

و يوافق أوسابيوس بذلك ما جاء عن المؤرخ ترتليانوس (ق٣م) إذ يقول :"و طيباروس نفسـه لـو

---

(١) انظر:الغفران بين الإسلام والمسيحية،إبراهيم خليل ص ٨٩-٩٩، أقانيم النصـارى، أحمـد السـقا،ص ١٣٤-١٣٦، محاضرات في مقارنة الأديان،إبراهيم خليل أحمد،ص ١٠٥-١٠٦، ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ١٦٩-١٧٠.

(٢) انظر: أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٩٠-٩١، ١٣٤-١٣٥،المسيح إنسان أم إله ؟محمد مجدي مرجـان،ص ١٧٠-١٧٢، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسـين،ص ٤٨٥-٤٨٧، حقيقـة التبشـير بـين المـاضي والحاضر،أحمد عبد الوهاب،ص ٤٦،النصرانية،مصطفى شاهين،ص ١٣٧، قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٢٦، ٩٩٩.

أمكن أن يكون قيصراً و مسيحياً معاً لكان آمن به".

و يرى الأطير أن بولس ربما كان أحد أهم أدوات اتخذها الامبرطور لنشر فكرته الجديدة عن المسيح كإله، و بقي هذا الوضع قائماً بعد طيباروس حتى تولى القيصرية نيرون، فكان -كما يقول أوسابيوس- "أول امبراطور أعلن العداء للديانة الإلهية"(١)

و أما استخدام مصطلح "ابن الله" من قبل بولس فيراه شارل جنيبر غير كاف للحكم بأنه أراد الألهية منه ،فقد"بدا تصور بولس له مشوباً بالكثير من التردد و النقص بحيث لم يقدر له مقاومة الزمن ،واتجهت تقوى المؤمنين في قوة- دونما إدراك للعقبات -إلى تنشيط الإيمان بالوحدة بين السيد والله".

وفسر شارل جنيبر ذلك بأن لفظ البنوة معروف في الفكر اليهودي، و قد أطلق على كثيرين أنهم أبناء الله، لكن ظهر للكلمة مفهوم البنوة الحقيقية في مرابع الفكر اليوناني في طرسوس التي كانت مركزاً للثقافات المختلفة، و منها نقل بولس كثيراً مما أدخله في النصرانية كما سنبين تفصيله في بابه.

و انضاف إلى ذلك ظروف الترجمة إلى اللغة اليونانية فيذكر غراج أن مصطلح البنوة يعني بالآرامية:"الحب الشديد. و هو أمر لا يخص المسيح"، و يتحدث شارل جنيبر عن تطور الكلمة العبرية"عبد" حيث كثيراً ما تترجم بكلمة "خادم" و "طفل" في اللغة اليونانية."و تطور كلمة "طفل" إلى كلمة"ابن" ليس بالأمر العسير".

ويشكل هنا حديث جنيبر عن اللغة العبرية في حين أن اليهود في عهد المسيح كانوا يتكلمون الآرامية. ولإزالة الإشكال ننقل ما جاء في قاموس الكتاب المقدس حيث يقول عن اللغة العبرانية:"فقدت اللغة نقاوتها ،وأضيفت إليها تعابير آرامية حتى قامت في العبرية لهجة عامية..وكانت تلك العامية تخضع للآرامية خضوعاً مباشراً ".(٢)

و يحاول النصارى تأصيل فكرة ألوهية المسيح و ردها إلى المسيح و تلاميذه مستدلين بما جاء في متى ١٦/١٦، و الذي يقضي بأن بطرس أول من قال بتأليه المسيح، و لم ينكر عليه المسيح إذ لما سألهم المسيح" أنتم من تقولون إني أنا؟ فأجاب سمعان بطرس و قال :أنت هو المسيح ابن الله الحي.فأجاب يسوع:طوبى لك يا سمعان بن يونا..."(متى ١٦/١٥-١٦).

لكن الأطير يعتبر ما جاء في متى محرفاً بدلالة ما جاء في وصف الحدث نفسه، ففي مرقس"فأجاب بطرس، و قال له: أنت المسيح"(مرقس ٨/٢٩)و لم يذكر البنوة، و في لوقا:"فأجاب بطرس، و قال مسيح الله"(لوقا ٩/٢٠).و بذلك يكون متى قد خالف مرقس و هو ينقل عنه كما سيتبين لنا تفصيله.

---

(١) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٢٢٤-٢٢٧، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ،عبد الكريم الخطيب،ص ١٣٤.

(٢) انظر: اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤٢٧، الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام،أميمة الشاهين،ص ٢٣٢-٢٣٣، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٨٣-٢٨٤، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ،عبد الكريم الخطيب،ص ١٣٤، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ٤٠ ،قاموس الكتاب المقدس،ص ٥٩٨ .

و لا يمكن قبول ما جاء في متى لفقد أصله العبراني فلا نعلم مدى الدقة التي التزمها المترجم في ترجمة العبارة [1].

بولس و عالمية النصرانية.

و مما أضافه بولس إلى النصرانية أن جعلها رسالة عالمية، بينما قام المسيح بدعـــوة اليـــهود فقـــط، وأوصى تلاميذه بذلك في نصوص كثيرة منها ما جاء في(متى١٩/٢٧-٣٠، و متى١٥/٢٤، و مـــتى ١٠/٥-٦، لوقا ١/٣١-٣٣، يوحنا ١/١١)،و لم يرد عن المسيح ما يفيد عالمية دعوته سوى ما جاء في خاتمة مـــتى، وقد سبق بيانه.

يقول دين انج عن رسالة المسيح:"عيسى كان نبياً لمعاصريه من اليهود، و لم يحاول قط أن ينشـــيء فرعاً خاصاً من بين هؤلاء المعاصرين، أو ينشئ له كنيسة خاصة مغايرة لكنائس اليهود أو تعاليمهم"[2].

أما النصوص التي أوردها بولس في عالمية النصرانية فلا تستغرب كثرتها ممن جعـــل نفســـه رســـولاً للأمم و منها قوله" أعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم" (أفسس٣/٨)، و يقول"لأننا جميعاً بروح جميعـــاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، و جميعنا ســـقينا روحـــاً واحداً" (كورنثوس(١)١٢/١٣)"كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح، ليس يهودي و لا يونـــاني، ليس عبد و لا حر، ليس ذكر و أنثى، لأنكم جميعكم واحد في المســـيح يســـوع" (غلاطيـــة ٣/٢٧-٢٨)، ويقول عن المسيح " لأجل اسمه قبلنـــا نعمـــة و رســـالة، لإطاعـــة الإيمـــان في جميـــع الأمـــم"(روميـــة ١/٥)ويقول:"إيمانكم ينادى به في كل العالم" (رومية ١/٨)، و غير ذلك كثير.

و قد أشار وليم باتون في كتابه"أديان العالم الكبرى" إلى دور بولس في عالمية النصرانيـــة فقـــال:" لم يفقه التلاميذ الأولون أن الحدود اليهودية الضيقة قد زالت، و لكن عبقرية الرسول بولس قـــد فطنـــت إلى تضاعف الرسالة من هذه الناحية، و عرف أنها لليهودي و الأممي و البربري و اليوناني الذكر والأنثـــى علـــى السواء".

و قد كان موقف التلاميذ من دعوة العالمية التي نادى بولس واضحاً إذ لم تذكر الأسفار أن أحداً مـــن أحداً من الاثني عشر خرج من أورشليم للدعوة خارج نطاق اليهودية.

و أما ما تناقله المؤرخون عن رحلة إلى روما قام بها بطرس فهذا ما يشكك به الأطير رغم وروده عن عدد من مؤرخي القرن الأول و الثاني، و يستدل لرأيه بعدم ورود قصة سفره في العهد الجديد رغم الحديـــث عن رحلات مرقس و برنابا و بولس، كما أن الاتفاق الذي أجراه بولس مع بطرس في مجمع أورشليم يجعـــل روما في نطاق دعوة بولس المفرز لدعوة الأمم، و أيضاً خلت رسالة بولس إلى أهل رومية من أي ذكـــر أو

---

(١) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٢٠٤-٢٠٦ .

(٢) انظر: الإسلام والنصرانية،محمد عزت الطهطاوي،ص٢٩٣-٢٩٦، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس،محمد عبد الحليـــم أبو السعد،ص ٣٨٧-٣٨٩.

تعقيب على دعوة بطرس في روما مما يدل على عدم صحة هذا الزعم.

و أما ما قيل عن دعوة بطرس كرنيليوس الرومي فلا يدل على أن هذا كان اتجاهاً لبطرس، إذ أن كرنيليوس هو الذي استدعى بطرس و طلب إليه أن يبين له مرامي دعوته،لذا لما لامه التلاميذ على دعوته احتج بأن روح القدس حل على كرنيليوس قبل قبولهم له (انظر أعمال ١٠/١٩-١١/ ١٨)[١].

و قد ألحق بولس تبعاً لهذه النقلة محدثات أخر تجعل من النصرانية ديناً يلائم الوثنيين المتنصرين كإباحة ترك الختان (انظر غلاطية ٦/١٣، و انظر رومية ٢/٢٥-٢٨، كورنثوس(١)٧/١٩).وقال أيضاً بضعف الشريعة و الغناء عنها (انظر عبرانيين ٨/٧-١٣) و قال بأن الناموس والشريعة لعنة افتدى المسيح البشرية منها (انظر غلاطية ٣/١٣، أفسس٢/١٥)، بولس هو القائل بعقيدة الفداء كما سيأتي بيانه.

كما نبع القول بألوهية المسيح و تجسد الله مراعاة لذات السبب و هو تقريب النصرانية من وثنية الرومان.

بولس والتثليث

دأب الكثير من علمائنا على اتهام بولس بوضع التثليث في النصرانية من غير أن يقدموا على ذلك بدليل من أقوال بولس ،مكتفين بما عرف عن دور بولس في صياغة سائر المعتقدات النصرانية،وهذا الاتهام لأراه محقاً إذ خلت رسائل بولس من تأليه الروح القدس كما خلت من ذكر عناصر التثليث مجتمعة إلا في نص واحد لايفهم منه خالي الذهن ما يعتقده النصارى من التثليث،وقد جاء ذلك في قوله"نعمة ربنا يسوع ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم"(كورنثوس(٢)١٣/١٤).

فليس في النص ما يفيد ألوهية الروح القدس، ومما يؤكد غفلة بولس عن التثليث التأمل في ترتيب عناصر التثليث المذكورين في النص ،إذ يقدم المسيح على الأب،وهو ما تعتبره الفق النصرانية هرطقة،ويضاف إلى ذلك أنه سمى الأقنوم الأول :الله. فيما تسميه صيغة التثليث :الآب.كما سمى الأقنوم الثاني : المسيح.فيما هو عندهم : الابن.

والصحيح أن التثليث لا علاقة له ببولس ،فقد كان ظهوره في مرحلة متأخرة جداً عن بولس،وأول من ذكره هو ترتليان(٢٠٠م)،وأصبح عقيدة رسمية عام ٣٨١م في مجمع القسطنطينية ،و لم يرد له ذكر حتى في قرارات مجمع نيقية(٣٢٥م).[٢]

---

(١) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٢٣٠-٢٣٢، المسيحية،أحمد شلبي،ص ٦٤-١٠٣،الإسلام والنصرانية،محمد عزت الطهطاوي،ص٢٩٩-٣٠٠ .

(٢)انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١٧٣،اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الدين الأعظمي،ص ٣٠٨،المسيح في الإنجيل بشر،ممدوح جاد،ص ١٠٨-١٠٩،المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٠٤-١٠٥.

موقف التلاميذ من بولس.

و إذا كان بولس قد أنشأ البدع في النصرانية، و بدل دين المسيح كيفما شاء، فما هو موقف التلاميذ منه، و هل شاركوه التغير و التبديل؟ و بداية نذكر بأن بولس لم يتلق شيئاً عن النصرانية من المسيح أو تلاميذه فهو لم يصحبهم بل لم ير منهم سوى بطرس و يعقوب و لمدة خمسة عشر يوماً ،و ذلك بعد ثلاث سنين من تنصره، ثم عاد مرة أخرى أورشليم، و عرض عليهم ما كان يدعو به بعيداً عنهم يقول بولس:"ثم بعد أربع عشر سنة صعدت أيضاً إلى أورشليم مع برنابا..و إنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم"(غلاطية ٢/١-٢)فماذا كان ردة فعل التلاميذ؟

يقول بولس:"فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علي بشيء بالعكس إذ رأوا أني اؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان..أعطوني برنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم، و أما هم للختان..و هذا عينه ما كنت اعتنيت أن أفعله" (غلاطية ٢/٧-١٠).

إذا كان ما يقوله بولس صحيحاً فإن التلاميذ أبعدوا بولس بعيداً عن اليهود الذين بعث إليهم المسيح و أوصى تلاميذه مرة بعد مرة أن يقوموا بدعوتهم، و أما إرسال برنابا معه فيبدوا أنه للتوجيه و الإصلاح لبولس و هو يقوم بدعوة الوثنيين الغلف في الغرب.

ثم يسجل بولس في رسائله آراء تلاميذ المسيح في مبادئه الجديدة و دعوته فيقول:جميع الذين في آسيا ارتدوا عني"(تيموثاوس(٢)١/١٥)، و قد انفض عنه الجميع ،لذا يستنجد بتيموثاوس فيقول:"بادر أن تجيء إلي سريعاً، لأن ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر، و ذهب إلى تسالونيكي...لوقا وحده معي، اسكندر النحاس أظهر لي شروراً كثيرة، ليجازه الرب حسب أعماله، فاحتفظ منه أنت أيضاً، لأنه قاوم أقوالنا جداً، في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي، بل الجميع تركوني"(تيموثاوس(٢) ٤/٩-١٦)"لما خرجت من مكدونية لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء و الأخذ"(فيلبي٤/١٥).

و يحذر بولس أنصاره من التلاميذ فيقول:"كونوا متمثلين بي،...لأن كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً، و الآن أذكرهم أيضاً باكياً و هم أعداء صلب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك، الذين إلههم بطونهم، و مجدهم في خزيهم..."(فيلبي٣/١٧-١٩).

و في أنحاء متفرقة من رسائله يتحدث عن أولئك الرافضين لدعوتهم من غير أن يسميهم فيقول في بعض ما تمتلئ به رسائله موصياً تيموثاوس"طلبت إليك أن تمكث في أفسس إذ كنت أنا ذاهباً إلى مكدونية، لكي توصي قوماً أن لا يعلموا تعليماً آخر، و لا يصغوا إلى خرافات و أنساب لا حد لها، تسبب مباحث دون بنيان الله في الإيمان"(تيموثاوس(١) ١/٣-٥)و يقول:"إن أحد يعلم تعليماً آخر، لا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة، و التعليم الذي هو حسب التقوى فقد تصلف، و هو لا يفهم شيئاً، بل هو متعلل بمباحثات و مماحكات الكلام التي منها يحصل الحسد والخصام و الافتراء و الظنون المروجة، و منازعات أناس فاسدي الذهن عادمي الحق، يظنون أن التقوى تجارة تجذب مثل هؤلاء"(تيموثاوس(١) ٦/٣-٥)،"انظروا الكلاب...انظروا فعلة الشر..."(فيلبي٣/١٢).

و على هذا المنوال تمتلئ رسائله بالهجوم على معارضيه النصارى فيتهمهم بسائر أنواع التهم من كفر

ونفاق و ...(انظر كولوسي ٤/١٠-١١، فيلبي٢/١٩-٣١، تيطس ١/٩-١١، تيموثاوس (١) ١/٣-٧، ٦/٢٠-٣٤، ٢/٢٣، ..).

و يقول عن التلاميذ:"لكن بسبب الإخوة الكذبة، المدخلين خفية، الذين دخلوا اختلاساً ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا، الذين لم نذعن لهم بالخضوع و لا ساعة.."(غلاطية ٢/٤-٥).

و ينال بولس من بعض تلاميذ المسيح الذين يقول عنهم المسيح:"ليس أنتم اخترتموني، بل أنا اخترتكم و أقمتكم، لتذهبوا و تأتوا بثمر، و يدوم ثمركم"(يوحنا ١٥/١٦)، و منهم بطرس و برنابا، وقد أثنت الرسائل عليهم مراراً(انظر لوقا ٢٢/٣١-٣٢).

لكن بطرس يتهم بطرس و لوقا بالرياء فيقول:"لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة، لأنه كان ملوماً...، حتى أن برنابا انقاد إلى ريائهم، لكن لما رأيت أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس..."(غلاطية ٢/١١-١٤).

و يقول منداً و محذراً من أولئك الذين تركوا دعوته"و أما الأقوال الباطلة الدنسة فاجتنبها، الذين ينصرفون إلى أكثر فجور...الذين منهم هيمينايس و فيليتس الذين زاغا عن الحق"(تيموثاوس(٢)٢/١٦)[١].

و أما موقف برنابا من بولس فهو في غاية الأهمية إذ لبرنابا علاقة متميزة ببولس،إذ هو الذي قدمه للتلاميذ المتشككين في توبة شاول الذي اضطهد الكنيسة ثم ادعى النصرانية.(انظر أعمال ٩/ ٢٦)، ثم صحبه ست سنوات في رحلته التبشيرية في قبرص و أنطاكية، ثم اختلفا بعد ذلك، و انفصل كل منهما عن الآخر فما سبب الاختلاف؟

يقول سفر أعمال الرسل:"قال بولس لبرنابا:لنرجع و لنفتقد إخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم!، فأشار برنابا أن يأخذ معهما أيضاً يوحنا الذي يدعى مرقس، و أما بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما...لا يأخذانه معهما، فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر، و برنابا أخذ مرقس و سافر في بحر قبرس"(أعمال ١٥/ ٣٦-٣٩).

و لكن هل يعقل أن يكون هذا هو السبب في مشاجرة برنابا و بولس؟

يرفض علماؤنا هذا التبرير، و يرون أن الأمر أكبر من ذلك ،فهو كما يقول برنابا يعود إلى ضلالات بولس التي ينشرها في تبشيره فقد جاء في مقدمة إنجيله:"كانوا عديمي التقوى و الإيمان الذين قلوا بدعوى التبشير بتعاليم المسيح ببث تعاليم أخرى شديدة الكفر، داعين المسيح ابن الله ،و رافضين الختان الذي أمر به الله، مجوزين كل لحم نجس، الذين ضل في عدادهم بولس"(برنابا مقدمة/٢-٧)[٢].

---

(١) انظر: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ٢١١-٢٢٠، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١٦٦، ١٧٣، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ١١٢-١١٣، ١٢٧، ١٢٩، قراءات في الكتاب المقدس،عبد الرحيم محمد ٢/٢٠٤-٢٠٥، ٢١٦، ٢١٨، المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٠١، ١٠٤-١٠٨، الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،ص ٥٦-٥٧، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شلبي،ص ٢٩٩-٣٠٢.

(٢) انظر: اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٢٩٨، الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد

و يرفض العثماني ما جاء في أعمال الرسل في تحرير سبب الخصام بين برنابا و بولس، و يرى أنه محاولة لإخفاء السبب الحقيقي، و هو الذي ذكره برنابا في إنجيله، و يستدل لرأيه بأمور:

-أن الكلمات التي دلت على الخلاف و كشفته في أعمال الرسل كلمات قاسية و عنيفة ،و يصفها جامس روزن بأنها لاذعة حادة.

فقد استعمل لوقا كلمة يونانية قاسية لم تستعمل في كتب العهد الجديد ثانية إلا في سفر الرؤيا(١٤/٦)، و لم أجد في أعمال الرسل أو الرؤيا تلك الكلمة القاسية و اللاذعة، فلعل ذلك في الأصل اليوناني، و قد خففت من شأنه الترجمة العربية.

-لا يعقل أن ينفصل الصديقان و يتشاجران بسبب اختلافهما فيمن يرافقهما، ثم إن بولس رضي فيما بعد برفقة يوحنا فقد أرسل إلى تيموثاوس يقول له:"خذ مرقس، و أحضره معك، لأنه نافع لي للخدمة"(تيموثاوس(٢) ٣/١٠).

و هو يوصي أخيراً فيقول :"يسلم عليكم استرخس المأسور معي، و مرقس ابن أخت برنابا الذي أخذتم لأجله وصايا، و إن أتى إليكم فاقبلوه"(كولوسي ٣/١٠)، و رغم تراجع بولس لم نسمع بتاتاً عن تحسن العلاقة بين بولس و برنابا.

و يرى العثماني أن الخلاف بينهما كان بخصوص مسائل فكرية منها دعوة الأمميين للنصرانية ،ثم اتخاذ قرار مجمع أورشليم بجواز ترك الختان ذريعة لجواز ترك الشريعة بكاملها، و قد اعترف القس يترسن سمث بأن الخلاف بين الرجلين كان خلافاً فكرياً[١].

إذن نستطيع القول بأن تلاميذ المسيح قد عارضوا دعوة بولس وقفوا في وجهها، و دليل ذلك اختفاء ذكرهم عن عالم المسيحية بعد ظهور بولس، فقد اختفت كتاباتهم و حوربت، و لم ينج منها إلا إنجيل برنابا ورسالة يعقوب المضمنة في رسائل العهد الجديد و التي تمتلئ بمخالفة بولس و خاصة في مسألة الفداء[٢].

كما اختفى ذكر الحواريين و التلاميذ من أعمال الرسل إلا قليلاً، فلا نكاد نعرف شيئاً عن هؤلاء الذين أرسلهم المسيح و عن دعوتهم سوى ما نقل إلينا لوقا عن مقاومة أهل أنطاكية لتبشير بطرس المخالف لبولس، و عن رحلة برنابا مع بولس، ثم اختفاء ذكرهما من رسائل العهد الجديد بعد مشاجرتهما مع بولس، و هكذا فالعهد الجديد وضعه بولس و تلاميذه، و أبعدوا عنه كل ما يعترض نهجه و أفكاره.

و أما تلك الرسائل المنسوبة للتلاميذ كرسائل يهوذا فإنها منسوبة إليهم و لا تصح نسبتها، و هي لا

عبد الوهاب،ص ٥٦-٥٧، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عبد الرحمن عوض،ص ٩٤-٩٥.

(١) انظر: ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ١٧٦-١٨٤، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عبد الرحمن عوض،ص ٥٧-٦٠.

(٢) انظر: المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٠٩-١١١.

تخرج عن مدرسة بولس و صناعتها و مبادئها[1].

و يشكل هنا ما جاء في رسالة بطرس من ثناء على بولس فقد قال عنه:"كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له"(بطرس (٢) ٣/١٥)فها هنا وصية بطرس بمبادئ بولس و ثناء عليه.

لكن هذا الإشكال يزول إذ قرأنا تشكك المحققين في صحة نسبة الرسالتين الأولى و الثانية إلى بطرس بالنظر في محتوياتها التي تسجل أموراً تتعلق بأحداث حصلت بعد وفاة بطرس، و قد جعل العلماء ما جاء فيها من ثناء على بولس دليلاً على عدم أصالتها إضافة إلى غرابة إسلوبها و فكرها عن الرسالة الأولى و سائر رسائل العهد الجديد.

كما يلفت العثماني النظر إلى تأخر الاعتراف بهذه الرسالة إلى القرن الثالث حيث اعترف بها في الاسكندرية، و لم تقبل في روما إلا في القرن الرابع فيما قبلتها كنيسة سوريا في القرن السادس، و قد اعترف أوريجن بوقوع النزاع في صحتها،و هو أول من اعتبرها من تأليف بطرس.

و يتساءل ممدوح جاد كيف عرف بطرس بما في رسائل بولس التي كان يرسلها إلى المدن المختلفة ولما يلتق بولس سوى مرة واحدة (و الصحيح أنها مرتين)[2].

---

(١) انظر: ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٢١٠-٢١٧، ١٩٨-٢٠٠، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا والأناجيل الأربعة،محمد عبد الرحمن عوض،ص ٨١-٨٢.

(٢) انظر: ماهي النصرانية،محمد تقي العثماني،ص ٢٠٧-٢١٠، المسيح في الأناجيل بشر،ممدوح جاد،ص ١٣٨.

المطلب الثاني:الوثنيات القديمة

تكاملت عقائد النصارى في القرن الرابع الميلادي بتأليه المسيح ثم روح القدس و إقرار الكتاب المقدس، و نشأت مسيحية جديدة صنعها بولس و من بعده، فمن أين استقى هؤلاء معتقداهم الجديدة؟

في الإجابة عن هذا السؤال نستعرض بعضاً من آثار الديانات السابقة للمسيحية، و نقف فيها على تشابه كبير بين هذه الوثنيات و الوثنية المسيحية ،و هذا التشابه طال الأصول و الفروع، و منه نعرف الأصل و المصدر الذي نقلت عنه المسيحية.

تجسد الإله في الوثنيات القديمة

فالقول بإله متجسد يمثل الأقنوم الثاني، و أنه تجسد من أجل خطايا العالمين قول قديم و معروف في كافة الوثنيات البدائية، ومنها وثنيات الهنود حيث يقول المؤلف ألن في كتابه"الهند":"أما كرشنا فهو أعظم من كافة الآلهة التي تجسدت، و يمتاز عنها كثيراً، لأنه لم يكن في أولئك إلا جزء قليل من الألوهية، أما هو (كرشنا)فإنه الإله فشنو ظهر بالناسوت".

و جاء في كتاب"بهاكافات بورون"الهندي أن كرشنا قال:"سأتجسد في متوار بيت يادوا، و أخرج من رحم ديفاكي، أولد و أموت، قد حان الوقت لإظهار قوتي، و تخليص الأرض من حملها".و كذلك فإن الهندوس اعتبروا أوتار تجسداً إلهياً يجعله أهلاً للعبادة ،و هكذا نستطيع القول بأن القول بإله متجسد أمر أطبقت عليه الوثنيات القديمة السابقة للمسيح

أما بوذا فيقول عنه المؤرخ دوان:"الإله بوذا المولود من العذراء مايا الذي يعبده بوذيو الهند و غيرهم و يقولون عنه:إنه ترك الفردوس، و نزل و ظهر بالناسوت رحمة بالناس كي ينقذهم من الآثام،و يرشدهم صراطاً مستقيماً".

و يذكر دوان أن الأوربيين اندهشوا عندما ذهبوا إلى رأس كومورين جنوب الهند من رؤية السكان يعبدون إلهاً مخلصاً يدعونه سليفاهانا المولود من عذراء.

و من البشر الذين قيل بتجسدهم فوهي في الصين، و كذا وستين نونك وهوانكتي و غيرهم، و أما الإله برومسيوس فقد قيل عنه:كان إنساناً حقيقياً و إلهاً حقيقياً. [1]

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ٤٧-٥٦، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤١٣-٤١٤، الغفران بين الإسلام والمسيحية،إبراهيم خليل أحمد،ص ١٠٢، النصرانية،مصطفى شلهين،ص ٢١٢،المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل،عبد الكريم الخطيب،ص ١٣٧.

التجسد من أجل الخلاص والغفران

و كذا يذكر النصارى في الهدف و الغرض من التجسد ما تذكره الوثنيات القديمة فالنصارى يقولون إن التجسد كان ليموت المسيح و يفدي خطايا البشرية و مثله ينقل العلامة هوك فيقول:"يعتقد الهنود بتجسد أحد الآلهة و تقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة"، و ينقل قريباً منه عن بوذا الذي يقول عنه المؤرخ وليمس في كتابه "ديانة الهنود":"و من رحمته (أي بوذا) تركه للفردوس و مجيئه إلى الدنيا من أجل خطايا بني الإنسان و شقائهم كي يبرأهم من ذنوبهم، و يزيل عنهم القصاص الذي يستحقونه".

و ينقل دوان تسمية الهنود لبوخص ابن المشتري بفادي الأمم، و مثله قيل في هيركلوس و مترا فلدي الفرس، و باكوب إله المكسيكيين المصلوب و سواهم من البشر الذين اعتقد أتباعهم أنهم آلهة تجسدت لمغفرة الخطايا[1].

المتجسد والخالقية

و كما اعتقد النصارى بأن المسيح الابن هو الخالق كانت الوثنيات قد اعتقدت من قبل في آلهتها المتجسدة فقد جاء في كتب الهنود"كرشنا ابن الإله من العذراء ديفاكي، و هو الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، خلق السماوات و الأرض بما فيها، و هو عندهم الأول و الآخر".

و في كتاب "بهكوات جيتا" المقدس أن كرشنا قال لتلميذه أرجون:"أنا رب كل المخلوقات ومبدعها، خلقت الإنسان..فاعرفني أنا المصور و الخالق للإنسان".

و يعتقد الصينيون أن الأب لم يخلق شيئاً، و أن الابن لاتوثو المولود من عذراء خلق كل شيء.

و في صلوات الفرس لادرمزد يقولون:"إلى أدرمزد أقدم صلواتي، فهو خالق كل شيء مما هو كان وما سيكون إلى الأبد، و هو الحكيم القوي خالق السماء و الشمس و القمر و النجوم...".

و مثله يعتقد الآشوريون في الابن البكر"نرودك" و كذا مؤلهو"أدوني"و "لاؤكيون" و غيرهما.

و مثله في التراث المصري القديم أن الإله "أتوم"خلق كل شيء حي بواسطة الكلمة التي خلقت كل قوى الحياة، و كلما يؤكل، و كل ما يحبه أو يكرهه الإنسان.[2]

الأزلية والأبدية

و وصف يوحنا في رؤياه المسيح بأنه الأول و الآخر و الألف و الياء. و هذا وصف يتطابق تماماً مع وصف الوثنيين آلهتهم المتجسدة التي يعتقدون أزليتها و أبديتها، ففي كتاب "كيتا"الهندي أن كرشنا قال:" لم يأت زمان لم أكن فيه موجوداً، أنا صنعت كل شيء، أنا الباقي و الأبدي ،و المبديء و الكائن قبل كل شيء أنا الحاكم القوي على الكون، أنا الأزل و وسط و آخر كل شيء".

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ٢٩-٣٨،المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٥١،١٥٨، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٩٤-٩٥.

(٢) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١١٩-١٢٠،

و من توسلات أرجون لكرشنا:"أنت الباقي العظيم، الواجبة معرفتك، أنت القـــابض علـــى الكائنات... أنت الإله الكائن قبل الآلهة".

و يصفه كتاب "فشنو بوراني":"إنه بغير ابتداء و وسط و انتهاء"، و جاء في كتابات الهنـــود عـــن بوذا " هو الألف و الياء، ليس لوجوده ابتداء و لا انتهاء، و هو الرب المالك القادر الأبدي"، و مثله قيـــل في لاؤكين و لاوتز و ارمزد و زوس المدعو"الألف و الياء" و غيرهم كثير.

و جاء في نقوش على عملة معدنية هندية أثرية عثر عليها مؤخراً :"أنا مرشدكم و حـــاميكم، أنـــا الألف و الياء"[1].

تاريخ ميلاد الآلهة والعبادات والطقوس

و كما تشابهت عقائد النصارى الوثنية هنا و هناك تشابهت عباداتها و تواريخها إذ يعتقد الوثنيون علـــى اختلاف في آلهتهم أن آلهتهم المتجسدة و لدت في ٢٥ ديسمبر، منهم الإله مثرا و غيره.

و هو ما يقوله النصارى الأرثوذكس في تواريخهم أيضاً، و قد جرى تحديده بهذا اليوم الموافق لأعيـــاد الوثنين عام ٥٣٠م على يد الراهب ديونيسيوس اكسيجوس، و أراد منه إبعاد المتنصريـــن عـــن احتفـــالات الوثنين، و شغلهم باحتفال مسيحي. و هو ما تكرر فعله في عدة أعياد وثنية أخرى استعار النصارى منـــها التواريخ والطقوس...".

وينقل الراهب بيد في كتابه"تاريخ الكنيسة الإنجيلية"خطاباً للبابا جريجوري الأول (٦٠١م)يستشـــهد فيه بنصيحة المستشار البابوي مليتس الذي كان ينهى عن هدم المعابد الوثنية،ويـــرى تحويلـــها مـــن عبـــادة الشيطان إلى عبادة الإله الحق كي يهجر الشعب خطايا قلبه ،ويسهل عليه غشيان المعاهد التي تعود ارتيادهـا. وهكذا لايجد المتنصر كبير فرق في المكان والمضمون بين النصرانية وبين ما كان يعتقده من قبـــل ،ويكـــون ذلك ادعى في انتشار النصرانية .

كما أن يوم الأحد (يوم الشمس) مقدس عند عدد من الأمم الوثنية أهمها الفرس و فيـــه يعبـــدون الشمس في يومها ،و مثله فعلت النصرانية فجعلت هذا اليوم يوم العبادة مخالفة سبت اليهود الـــذي جـــاء في الناموس الذي التزمه عيسى عليه السلام[2].

و كذلك الصليب تقدسه النصارى، و أول من نادى بتقديسه قسطنطين، فالصليب في الامبرطوريـــة الرومانية رمز قديم للحياة تلقفه النصارى منهم.

و أيضاً يقدس النصارى السيدة مريم، و يعبدها الكاثوليك تبعاً لصنع الوثنيـــين في أمـــهات آلهتـــهم المتجسدة، فعيد التطهير المسيحي للعذراء في ٢ شباط هو في الأصل عيد جعله المصريون للعذراء نايث، ومـــا

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١٢٠-١٢١.

(٢) انظر: حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ٦٧-٧٢، محاضرات في مقارنة الأديان،إبراهيم خليـــل أحمد،ص ٢٢-٢٣، المسيحية،أحمد شلبي،ص ٨٣، منهجية جمع السنة والأناجيل،عزية طـــه،ص ٢٢٤-٢٢٥، المســـيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٩١-١٩٢.

الصور التي تمتلئ بها الكنائس للعذراء و ابنها إلا تكرار لما في معابد الوثنين لآلهتهم و أمهاتها العذارى.

و ما تسمية مريم بأم الإله و والدته إلا تبع لهذه الوثنيات مما حدا بنسطورس إلى القـــول في مجمـــع أفسس بأن لقب "والدة الإله" له مذاق وثني.

و يلحظ القديس أبيفانيوس هذا التشابه بين ما تقوله النصارى في مريم و ما تقدمه لها مـــن ألقـــاب وأعياد و تراتيل و صور و ما هو معهود في الوثنيات فيعلل و يقول:"إنه لا ريب قد جـــاءهم وحـــي منـــذ القدم عن العذراء و حبلها".

و من هؤلاء الأمهات الأم ديفاكي(أم كرشنا) و العذراء مايا (أم بوذا) و فريجيا (أم أوديـــن) و...[1].

ثم إن أهم عبادات النصرانية ما هي في الحقيقة إلا محاكاة لعبادات الوثنيين و طقوسهم، فمعموديـــة التوبة و طقوس الرش بالماء و التطهير به، و تقديس هذا الماء، و العشاء الرباني، كلها منقولة عـــن المصريـــين القدماء كما ذكر ل. ج لافليبه في كتابه "عبادة الآلهة في اسكندرية".

و في مدينة أفلاطون المفترضة تحدث عن ضرورة تنقية الروح بمحاربة اللذات الجســـدية و إنكارهـــا كي تسمو الروح و تزكو، و هو ما نجده في تفضيل العزوبة على الزواج في كلام بولس و ظـــهور الرهبنـــة بعد ذلك[2].

التثليث في الوثنيات القديمة.

و هذا التشابه بين عموم ما جاء في الوثنيات و النصرانية يمتد إلى لب النصرانيـــة المتمثـــل بـــالتثليث، فالقول بإله مثلث يعود إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، فقد قال به البابليون حين قسموا الآلهـــة إلى ثلاثـــة مجموعات (إله السماء، إله الأرض، إله البحر).

ثم تبلور التثليث على نحو مااتخذته النصرانية في القرن العاشـــر قبـــل الميـــلاد حـــين قـــال الهنـــود بثالوثهم(براهما-فشنو-سيفا)و هؤلاء الثلاثة هم إله واحد.

جاء في ابتهالات التقي أتنيس"أيها الأرباب الثلاثة. اعلموا أني اعترف بوجود إله واحـــد، فأخـــبروني أيكم الإله الحقيقي لأقرب له نذري و صلاتي، فظهرت الآلهة الثلاثة و قالوا له: اعلم يا أيها العـــابد أنـــه لا يوجد فرق حقيقي بيننا، و أما ما تراه من ثلاثة فما هو إلا بالشبه أو الشكل، و الكـــائن الواحـــد الظـــاهر بالأقانيم الثلاثة هو واحد بالذات".

و قد وجد في آثار الهنود صنم له ثلاثة رءوس على جسد واحد تعبيراً منهم عن الثـــالوث، و ســـرت

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ٥٣-٦٢، مسيحية بلا مسيح،كامل سعفان،ص ١٩٨.

(٢) انظر: منهجية جمع السنة والأناجيل،عزية طه،ص ٢١٨-٢١٩، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شـــلبي،ص ٢٨٧-٢٨٨، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس،محمد عبد الحليم أبو السعد،ص ٨٨.

عقيدة التثليث في الوثنيات القديمة كالمصرية المتمثلة في الثالوث(أوزيريس، ايزيس، حورس)، وكـــذا عند الفرس(أورمزد، متراس، أهرمان)، و الاسكندنافيين (أووين، تورا، فري) و المكسيكيين (تزكتلبيوكـــا، اهوتزليبوشتكي، تلاكوكا)، ثم فلاسفة الأغريق الذين كانت وثنية النصارى أشبه بهم من ســـائر الوثنيـــات الأخرى، فقالوا بثالوثهم المكون من (الوجود، العلم، الحياة)[1].

عدا ذلك يوجد كثيرون يطول المقام بذكرهم .

و حتى صيغة الأمانة التي انبثق عنها مجمع نيقية هي صيغة منحولة عن الوثنيات الســـابقة فقـــد نقـــل مالفير عن كتب الهنود أنهم يقولون:"نؤمن بسافستري (الشمس)إله ضابط الكل، خالق السماوات و الأرض، و بابنه الوحيد آني(النار)، نور من نور، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر، تجسد من فايو(الـــروح)في بطن مايا العذراء، و نؤمن بفايو الروح المنبثق من الأب و الابن الذي هـــو الأب، و الابـــن يســـجد لـــه ويمجد"[2].

و تذهب دائرة المعارف البريطانية إلى أن "القالب الفكري لعقيدة التثليث هو يوناني الأصل، وصيغـــت فيه تعليمات يهودية، فهي من ناحية التركيب مركب عجيب للمسيحيين، لأن التصـــورات الدينيـــة فيـــها مأخوذة من الكتاب المقدس، و لكنها مغموسة في فلسفات أجنبية.

و اصطلاحات (الأب و الابن و الروح القدس) تسربت من اليهود، و الاصطلاح الأخـــير(الـــروح القدس) لم يستعمله المسيح إلا نادراً".

و يقول ليون جوتيه:"إن المسيحية تشربت كثيراً من الآراء و الأفكار في الفلسفة اليونانية، فـــاللاهوت المسيحي مقتبس من نفس المعين الذي صبت فيه نظرية أفلاطون الحديثة، و لذا نجد بينهما متشابهات كثيرة".

و قد انتقلت كما يرى الأعظمي فلسفة اليونان عن طريـــق الاســـكندرية حيـــث ظـــهر أفلوطـــين الإسكندري (ت ٢٠٧م) و كان يقول بالثالوث (الله، العقل، الروح)، و لذا كان أســـاقفتها(الإســـكندرية) من أوائل المؤمنين بالتثليث و المدافعين عنه.

و قد اعتبر آخرون أن الوثنيات قد تسربت إلى النصرانية عبر روما، و من هؤلاء ولديورانـــت حيـــث يقول:"لما فتحت المسيحية روما انتقل إلى الدين الجديد دماء الدين الوثني القديم:لقب الحبر الأعظـــم، عبـــادة الأم العظمى...".

و يؤيد هذا الأستاذ روبرتسون في كتابه"وثنية المسيحيين" و يرى أن هذه المعتقدات وصلت إلى رومـــا

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١٣-٢٣، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمـــد وصفي،ص ١٤٣-١٤٥، المسيحية،أحمد شلبي،ص ١١٨-١٢٠، دراسة عن التـــوراة والإنجيـــل،كـــامل ســـعفان،ص ٢٢٨،النصرانية في الميزان،محمد عزت الطهطاوي،ص ٢٩-٣٠، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء،رؤوف شـــلبي،ص ٢٨٧-٢٨٨، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٤١١-٤١٥، معاول الهدم والتدمير في النصرانيـــة وفي التبشير،إبراهيم الجبهان،ص ٥٨، ١٥٢-١٥٣، الله واحد أم ثالوث،محمد مجدي مرجان،ص ٧٩-٨١.

(٢) انظر: معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير،إبراهيم الجبهان،ص ٥٢، التعصـــب والتســـامح بـــين المســـيحية والإسلام،محمد الغزالي،ط٣،دار الكتب الحديثة،القاهرة،١٣٨٤هـــ،ص ٧٠.

من الفرس عام ٧٠ق.م.

و يرى آخرون كما نقل المجذوب و أحمد شلبي أن هذه المعتقدات انتقلت عن طريق الفكر الفرعوني القديم و الذي انتقل إلى النصرانية بسبب ظروف الجوار.

فيما يرى الأطير بأن التسرب لهذه الأفكار كان عن طريق طرسوس و التي كانت مدرسة كبرى للأدب الإغريقي ،ونشأ فيها بولس ،وانعكست تعاليمها فيه .

وقد أغرب السقا حين قال بأن التثليث انتقل لليهود عبر السبي البابلي ،فقد عاد المسبيون من بابل وهم يحملون الفكر التثليثي ،وهذا لايوافق عليه لتطاول البعد بين السبي البابلي(القرن السادس قبل الميلاد)وظهور التثليث بعد الميلاد.[1]

و لما كان تسرب المعتقدات الوثنية إلى النصرانية حقيقة ساطعة كالشمس كان لا بد أن تعترف بها بعض الأقلام الجريئة المنصفة و هو ما تناقله علماؤنا.

فمن هؤلاء المهتدية إلى الإسلام مريم جميلة التي تقول:"لقد تتبعت أصول المسيحية القائمة فوجدتها مطابقة لمعظم الديانات الوثنية القديمة، و لا يكاد يوجد فرق بين هذه الديانات و بين المسيحية سوى فروق شكلية بسيطة في الاسم أو الصورة ".

و يقول أستاذ الحفريات جارسلاف كريني في كتابه "ديانة قدماء المصريين":"إن التثليث دخيل على النصرانية الحقة، و أنه مستورد من الوثنية الفرعونية".

و ينقل شلبي عن العلامة روبرستون في كتابه"وثنية المسيحيين" ، الذي تحدث فيه ملياً عن اقتباس عقائد النصرانية من الوثنيات فيقول:"يسرني أن أسجل أن من بين المسيحيين الذين تعرضوا لكتابي هذا بالنقد و المناقشة لا يوجد واحد عارض الحقائق التي ذكرتها به، تلك التي قادتني إلى أن أقرر أن أكثر تعاليم المسيحية الحالية مستعار من الوثنية".

و يقول كتاب "أسطورة تجسد الإله" بمثل ذلك فيقولون:"إن الاعتقاد بأن المسيح هو الله أو هو ابن الله أو تجسد فيه الله ليست سوى خرافة من خرافات الوثنيين و أساطيرهم الأولى"[2].

و كعادة النصارى و ولعهم بغريب النتائج يقول صابر جبرة و هو يقرر التشابه بين تثليث النصرانية وتثليث قدامى المصريين، فيقول:"إن فكرة التثليث عند قدماء المصريين كانت نبوءة فطرية للتثليث في

---

(١) انظر: الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح،نعمان الألوسي ١/٤٩-٥٠،العقائد الوثنية في الديانة النصرانية،محمد طاهر التنير،ص ١٧٣ ، التثليث في المرآة،كوثر نيازي،ص ١٢٢-١٢٣، اليهودية والمسيحية،محمد ضياء الرحمن الأعظمي،ص ٢٩٩، ٤١٤-٤١٥، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٨٢، المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٥٠ ،أقانيم النصارى،أحمد حجازي السقا،ص ٨٧.

(٢) انظر: حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح،عبد الودود شلبي،ص ٦٧،٧٣، النصرانية،مصطفى شاهين،ص ٢٧٥-٢٧٦، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح،علاء أبو بكر،ص ١٣٩ المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٥٢، أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا،ص ٩٤،المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل،عبد الكريم الخطيب،ص ١٣٧،عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية،حسني الأطير،ص ١٩-٢٠.

المسيحية"[1] ،المسيحية التي لم يذكر فيها التثليث إلا مرة واحدة و على استحياء في آخر إنجيل متى.

من ذلك كله استدل علماؤنا على أنها منحولة من تلك الديانات الوثنية التي ضلـــت عـــن الفطـــرة ،وابتعدت عن هدي النبوات و عبدت غير الله العظيم.

و صدق الله العظيم و هو يخبرنا عن مصدر الكفر الذي وقع به النصارى فيقول ﴿و قالت اليهود عزيـــر ابن الله و قالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلـــهم الله أنى يؤفكون﴾ [2].

(١) المسيحية،أحمد شلبي،ص ١٥٠.

(٢) سورة التوبة، من آية:٣٠.

الفصل الثاني :

الصلب والفداء

بين يدي الفصل :

وكان من أهم المباحث التي جرى فيها النقاش والحوار والمناظرة بين المسلمين والنصارى :

مسألة صلب المسيح ، التي يقررها النصارى، وينكرها المسلمون .

وكانت عقيدة الفداء والخلاص، أهم ما دعت إليه النصرانية ، واعتبرته رسالتها التي تحملها للعالم ، وتبشر بها هنا وهناك .

وقد بنت هذه العقيدة المهمة من عقائدها على مسألة الصلب ، حيث اعتبر صلب المسيح كفارة وفداء للخطايا .

لذا اهتم علماؤنا بنقد المسألتين ، فكان هذا الفصل تبياناً لجهود علمائنا في:

أ) إبطال القول بصلب المسيح .وهو المبحث الأول .

ب) إبطال عقيدة الفداء والخلاص.وهو المبحث الثاني .

المبحث الأول : إبطال القول بصلب المسيح

وفيه تمهيد وسبعة مطالب

صلب المسيح عند النصارى :

يعتبر النصارى حادثة صلب المسيح أحد أهم أحداث المعمورة ، حيث صلب السيد المسيح ، وتحمل عن البشر خطيئة أبيهم آدم ، بل وخطاياهم جميعا . وتؤكد الأناجيل - في إصحاحات مطولة - صلب المسيح، ذاكرة الكثير من تفاصيل القبض عليه، ومحاكمته، وصلبه، ثم دفنه، ثم قيامته ، فصعوده إلى السماء .

وهكذا يرى النصارى أيضا أن تجسد الإله في المسيح هذا الحدث العظيم -كان من أجل أن يصلب الإله ، ويصور هذا توما الأكويني فيقول : " توجد أراء مختلفة ، فيزعم البعض أن ابن الله كان سيتجسد حتى لو لم يخطئ آدم ، ويرى البعض خلاف ذلك ، ويبدو من الأصوب الانتماء إلى الرأي الثاني ... الكتاب يقول لنا دائما : إن خطية الإنسان الأول هي الدافع لتجسد ابن الله ، وعليه يظهر أن هذا السر إنما رتبه الله كدواء للخطيئة ؛ بحيث إنه لولا الخطيئة لما كان التجسد "[1]

وهكذا نرى أن أهم عقائد النصرانية — ألا وهي ألوهية المسيح – قامت على فكرة الصلب فداء للخطيئة .

ويصور الكاردينال الإنجليزي (منينغ) أهمية حادثة الصلب في كتابه " كهنوت الأبدية" فيقول: " لا تخفى أهمية هذا البحث الموجب للحيرة ، فإنه إذا لم تكن وفاة المسيح صلبا حقيقية ، فحينئذ يكون بناء عقيدة الكنيسة قد هدم من الأساس ، لأنه إذا لم يمت المسيح على الصليب ، لاتوجد الذبيحة ، ولا النجاة ، ولا التثليث .. فبولس والحواريون وجميع الكنائس كلهم يدعون هذا ، أي أنه إذا لم يمت المسيح لا تكون قيامة أيضا " .[2]

ويقول (جوردن مولتمان في كتابه) " الإله المصلوب " : " إن وفاة عيسى علي الصليب هي عصب كل العقيدة المسيحية .

إن كل النظريات المسيحية عن الله ، وعن الخليقة ، وعن الخطيئة ، وعن الموت، تستمد محورها من المسيح المصلوب " .[3]

وهذا ما أكد عليه (بولس) حين ألغى دور الناموس معتمدا على أن المسيح صلب عن الخطيئة، وأنه افتدانا بذلك من لعنة الناموس، فيقول : " وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطل كرازتنا، وباطل أيضا إيمانكم " (كورنثوس (١) ١٥/١٤).

---

(١) المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص١٥٠

(٢) الإنجيل والصليب ، عبد الأحد داود ص ١٠ ، وانظر النصرانية في الميزان ، الطهطاوي ص ٢٥ .

(٣) انظر: مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات،ترجمة:علي الجوهري،دار الفضيلة ، ص ١٠ .

صلب المسيح عند المسلمين.

وأما الرأي الإسلامي فيتلخص في أن المسيح عليه السلام لم يصلب كما يدعي اليهود والنصارى .

وقد استند علماؤنا – في هذا الرأي المخالف لما أجمعت عليه الأناجيل – إلى آيات القرآن الكريم وهي تقرر ذلك .

فقد أشارت الآيات إلى المؤامرة التي جرت للمسيح، وقررت أمورا يلحظها قارئ الآيات ، فقد أشارت الآيات لنجاته في قوله :﴿ ويكلم الناس في المهد وكهلا ﴾[1] والمعلوم أن المسيح رفع وهو في الثلاثينيات من عمره ، والكهولة في اللغة مقترنة بالمشيب[2] ولما يدركه المسيح حال وجوده الأول ، فدل على أنه سيعيش ويبلغ الكهولة، ويكلم الناس حينذاك ، ولو صرفت عن هذا المعنى لما بقي لذكر الكهولة – وكلامه فيها – وجه ، إذ ذكرت بين معجزات المسيح ، والكلام في الكهولة كل أحد يطيقه ، ولامعجزة في ذلك .

وقد أشارت آية أخرى لنزوله في آخر الزمان وهي قوله ﴿ وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها﴾[3] وقرأ مجاهد والضحاك والسدي وقتادة وابن عباس { وإنه لعلم للساعة } ، وقد رأى العلماء في أرجح وجوه تأويلها أنها ناطقة بنزول المسيح في آخر الزمان، وهذا – ولا ريب – دليل لنجاته .[4]

ومثله قوله تعالى﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾ .[5]

وتتحدث الآيات أيضا عن نجاة المسيح من مؤامرة أعدائه، فقد قال تعالى – في معرض تعداده لنعم الله على المسيح :﴿ وإذ كففت بني إسرائيل عنك ﴾[6] ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾.[7] فقد أنجى الله نبيه –المسيح–من مؤامرتهم وكيدهم .

وتخبر الآيات عن بعض ملامح هذه المؤامرة التي حاكها اليهود ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما﴾.[8]

وثمة آية أخرى تشير إلى رفعه ونجاته ، وهي قوله تعالى: ﴿ إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين

---

(١) سورة آل عمران آية : ٤٦ .

(٢) انظر: لسان العرب ، ابن منظور ،ط١،دار صادر،بيروت،١١/٦٠٠ .

(٣) سورة الزخرف آية ٦١ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٤/١٣٢ . ، والقراءة شاذة ، وليست في القراءات العشر.

(٥) سورة النساء آية : ١٥٩ .

(٦) سورة المائدة ، آية : ١١٠ .

(٧) سورة آل عمران ، آية : ٥٤ .

(٨) سورة النساء ، ١٥٧-١٥٨ .

كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾ [1] إذن القرآن ناطق بنجاة المسيح من مكر الماكرين، ورفعه إلى السماء ، وأن أعداءه الذين أرادوا صلبه وقعوا في الشك، فرفع المسيح ، ثم يعود قبيل الساعة، فيكون علامة على قرب انقضاء الدنيا .

ولاتذكر النصوص القرآنية ولا النبوية أي تفصيل عن كيفية نجاة المسيح ، لذا فقد حاول علماؤنا تلمس الحقيقة التي أخبر عنها القرآن في النقول التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب أو نقبوا بحثا عن الحقيقة في طيات أسفار أهل الكتاب بحثا عن هذه الكيفية التي نجى بها المسيح، فأفرزت دراستهم اتجاهين متباينين في فهم النصوص القرآنية .

الاتجاه الأول : ويمثله جمهور أهل العلم والمفسرين منذ قرون طويلة، وتحدث أصحاب هذا الإتجاه عن نجاة المسيح من الصلب ، وتعليق غيره على خلاف في هذا الغير ، هل هو يهوذا الخائن أم حواري فدى سيده المسيح من القتل . [2]

وقد استند هؤلاء إلى أن النصوص القرآنية يفهم من ظاهرها وقوع صلب لغير المسيح اشتبه أمره على المجرمين ﴿ ولكن شبه لهم ﴾ وشهرة هذا القول وقدمه يغنيان عن الإطالة في شرحه .

الاتجاه الثاني : ويمثل اتجاها جديدا في فهم النصوص القرآنية يقول بأن المسيح علق على الصليب و لم يصلب ، أي لم يمت عليه ، بل أنزل حيا ، ودفن بعناية، ثم أخرج من قبره المجوف في الصخر ، فنجا بذلك من المؤامرة .

يرى القائلون بهذا الرأي أن الشبه الذي أثبتته الآيات هو المنفي في السياق﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ أي شبه لهم أنهم قتلوه وصلبوه . [3]

وقد اعتمد هؤلاء على أن المعنى اللغوي للصلب هو الموت على الصليب، وهو ما نفاه القرآن بقوله ﴿ وما صلبوه ﴾ أي ما مات صلبا [4] .

والصلب كما قال ابن منظور : " مصدر صلبه يصلبه صلبا ، وأصله من الصليب، وهو الودك .. وبه سمي المصلوب لما يسيل من ودكه . والصلب : هذه القتلة المعروفة ، مشتق من ذلك ، لأن ودكه وصديده يسيل ... وفي التزيل العزيز ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ﴾ [5].

---

(١) سورة آل عمران : آية ٥٥ .

(٢)) انظر : جامع البيان الطبري ٣٧٠/٩ - ٣٧٤ ، وزاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢٤/٢ - ٢٤٥ ، والتفسير الكبير ، الفخر الرازي ١٠٠/١١ ، وتفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ٥٧٤/١ - ٥٧٦ .

(٣) مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ص ، هل مات المسيح على الصليب، سليم الجابي،ط١،١٩٩٥م ، ص ٣٦.

(٤) لسان العرب ، ابن منظور ٥٢٩/١ .

(٥):سورة النساء ، من آية : ١٥٧ .

ويرى سليم الجابي أنه لايجوز في اللغة أن يقال بأن ﴿ شبه ﴾ يعود ضميرها على الذي وقع عليه شبه المسيح إذ لايعود الضمير على غير مذكور في الآية ، ولا في القرآن كله . وعليه فالشبه بمعنى التلبيس ، وهو معنى وارد في اللغة .[1]

ويرى الرازي بأن الضمير مسند إلى الجار والمجرور ، وهو كقولك : خيل إليه . كأنه قيل:ولكن وقع لهم الشبه .

ويرد أيضا بوجه آخر وهو جواز أن يسند الضمير إلى المقتول ، لأن قوله ﴿ وما قتلوه ﴾ يدل على أنه وقع القتل على غيره ، فصار ذلك الغير مذكورا بهذا الطريق، فحسن إسناد ﴿ شبه﴾ إليه .[2]

ومما يرد على هذا الرأي أن يقال " ما فائدة التكرار في قوله ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ﴾ لو كان الصلب هو القتل صلبا " . لكن مثل هذا معهود في القرآن، فهو من عطف الخاص على العام، كقوله تعالى ﴿ من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ [3] وقوله ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ [4] .

ويرد على هذا الاتجاه تجاهله تفسير قوله تعالى ﴿ وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ﴾ فالشك في الآية منصرف إلى شخصية المصلوب ، وإن أمكن تأويله إلى حقيقة وقوع القتل والصلب .

وقد رفض هذا الرأي عدد من العلماء، منهم : محمد رشيد رضا، وعبد الوهاب النجار، وصابر طعيمة. واعتبره تأويلا ضعيفا متهافتا بعيدا لاوجاهة فيه ، واعتبره محمد رشيد رضا رأيا لايكفر صاحبه ، وأن القائلين به أناس مولعون بالجمع قدر الإمكان بين القرآن والإنجيل .[5]

وممن يقول بهذا القول من علمائنا العلامة أحمد ديدات وتابعه مصطفى شاهين، ودافع عن هذا الرأي بحرارة سليم الجابي[6] ، كما سيأتي إن شاء الله .

وأرى أن الخلاف إنما وقع فيه الفريقان لمحاولتهم فهم الآيات، حسب المنقول عن أهل الكتاب وكتبهم ، ومثل هذا الطريق لايخفى ما فيه من وعورة ، وما يؤدي إليه من تناقض واضطراب في مثل هذه

---

(١) انظر هل مات المسيح على الصليب ، سليم الجابي ، ص ٣٥ ، ولسان العرب لابن منظور ٥٠٤/١٣ .

(٢) انظر التفسير الكبير ، الفخر الرازي ٩٩/١١ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٩٧ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ٢٣٨ .

(٥) انظر قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٨٣ - ٤٨٤ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٥٨ ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، صابر طعيمة ، ص ٢٠٣

(٦) انظر مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ص ، النصرانية مصطفى شاهين ص ٨٨ - ١٠٠ . هل مات المسيح على الصليب ، سليم الجابي .

المسألة .

والذي أراه أن القول بتعليق المسيح على الصليب وإنزاله عنه حيا ونجاته؛ قول يقبل في باب الرد على النصارى ، إذ هو من الاحتجاج على القوم بما في كتبهم ، ولا يشترط إيماننا به وتسليمنا بصحته، بيد أنه يحتاج لاعتباره تفسيرا للنصوص القرآنية ، ولحقيقة ما حصل يوم حاول اليهود قتل المسيح ، يحتاج إلى مزيد من الدراسة والنظر والتأمل قبل الحكم بقبوله أو رده .

ولما كان موضوع الصلب أحد أبرز الموضوعات الجدلية التي ناقشها علماؤنا مع النصارى ، كان لابد أن نقف على أهمية هذا الموضوع بالنسبة للمعتقدات الإسلامية .

أهمية إبطال صلب المسيح عند المسلمين.

يعتقد المسلمون أن الأنبياء كسائر البشر يموتون ، وقد يكون موهم قتله ، ويحكي القرآن عن بني إسرائيل بأهم كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ، وعليه فلا حرج عندهم في موت نبي بأي قتلة قتله بها سفهاء قومه ومجرموهم ، فالقتل لايضر النبي المقتول ، بل هو من اصطفاء الله له .[1]

فلماذا ذكر القرآن نجاة المسيح ، وأصر على تكذيب النصارى في هذه المسالة ؟

ذكر القرآن الكريم نجاة المسيح لمجرد إثبات الحقيقة ، وإثبات ضعف وعجز اليهود عن بلوغ مرامهم ، ويعتبر منصور حسين إنكار القرآن لصلب المسيح معجزة تحسب للقرآن الكريم ، فلقد تعرض القرآن لقضيتين : ميلاد المسيح من أم عذراء، وصلبه ، والأول أمر ينكره الكثير من النصارى ، ومع أنه أمر في غاية الخفاء ؛ فإن القرآن أكده ، وشنع على أولئك الذين تكلموا في مريم وقالوا عنها بهتانا عظيما ، ولو أنكر القرآن الميلاد العذراوي لوجد آذانا صاغية حتى عند النصارى الذين يصور تيرسن سميث حالهم في كتابه " حياة يسوع " فيقول : " رأيت من اللائق أن أفرد فصلا خاصا لميلاد المسيح العذراوي ، إذ قد طرح الموضوع في مناقشات علنية ، ونجم عنه شيء من الريبة في بعض العقول ... هناك نفر من المسيحيين أنفسهم يزعمون أن التساؤل في عقيدة ميلاد المسيح من عذراء لايؤثر شيئا في الاعتقاد بألوهية المسيح ، ورغبة في إزالة الشكوك يطالبون بحذف العبارة القائلة " حبل به الروح القدس وولد من مريم العذراء من "قانون الإيمان المسيحي " . ويضيف " التساؤل حول الميلاد العذراوي ليس حادثا جديدا ،بل هو قديم نشأ مع الكنيسة كما ثار في هذا العصر ".

ورغم ذلك فإن القرآن ذكره ، واعتبر منكره كافرا. لماذا ؟ لأنه الحق ، ولو كان القرآن من وضع البشر لكان أولى به إثبات صلب المسيح ، وإنكار الميلاد العذراوي ، لكنها الحقيقة ، فأنكر القرآن صلب المسيح في آية من كلامه تحدى بها نصوص الأناجيل ، ليقوم الباحثون عن الحقيقة – بعد حين – بالبحث

---

(١) انظر : الإنجيل والصليب ، عبد الأحد داود ، ص ٦ .

عنها، فيجدونها ساطعة تثبت معجزة القرآن الكريم .[٢]

وقد كانت جهود علمائنا منصبة على استخلاص الحقيقة من بين ركام التحريف والتزييف الذي تعرضت له كتب أهل الكتاب .

وثمة أسباب أخرى دعتهم لهذا المبحث منها : إدراكهم لخطر هذه العقيدة ، وعظيم شأنها عند النصارى ، فتقويضها يعني خواء النصرانية عن كل معنى، لذا يؤكد ديدات أن النصرانية لاتستطيع أن تقدم للناس أي فضيلة، سوى ما تزعمه من الخلاص بدم المسيح ، فهي مثلا لا تستطيع أن تقدم لنا نحن المسلمين الكرم أو النظافة أو .... فإذا ما بطل صلب المسيح ، لم يبق للنصرانية مبرر للدعوة والوجود .[١]

ومن الأمور التي دعت علماءنا لدحض صلب المسيح ما ترتب على هذه المسألة من خلل وخطل ، فالفداء والخلاص يقوم على أن المسيح قد صلب و تجسد الإله في المسيح غايته أن يصلب.

ويتساءل مرجان: هل كل ما فعله المسيح أنه صلب كما صلب اللصان ؟ وكم من الناس صلبوا ؟" لكن قد يقول قائل : هناك فرق؛ فالمسيح صلب من أجل مبادئ سامية عاش يدعو إليها، ومات من أجلها .

وهذا صحيح ؛ لكن هذه المبادئ لاتتأثر بموت المسيح مصلوبا ، أو على فراشه ، فلها قدسيتها ومترلتها كما لكل شريعة ، فشريعة الإسلام لايزيد ولاينقص قدرها بكيفية موت النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين ﴾[٢].

إذن لايقبل محمد مجدي مرجان أن يكون الصلب بهذه الأهمية عند النصارى ، ولا يراه مقبولا عقلا أن يتجسد إله ليصلب فتنتصر مبادئه ، وتزكو بين الناس .

وفي الآثار العقدية لفكرة الصلب ما يجعلها هدفا ينبغي التركيز عليه ، ومن هذه الآثار الاضطراب في نظرة المسيحية للإله .

فقد ظهر في القرن الثاني الميلادي تلميذ شهير لبولس ، اسمه مركيون، وكان يعتقد بأن إله اليهود الذي أعطى الناموس لموسى، وخلق العالم كان شريرا ، وأما إله المحبة فقد ظهر في المسيح ، وهو معارض تماما لخالق العالم .

ويتصور مركيون محاكمة من المسيح لخالق العالم فيقول " نزل يسوع إلى رب المخلوقات في هيئة لاهوته ، ودخل معه في قصاص بسبب موته على الصليب قتلا ... قال له يسوع : إن الدينونة بيني وبينك ، لاتدع أي شخص آخر يكون قاضيا ، إنما شرائعك ذاتها تقضي لي ... ألم تكتب في ناموسك أن من قتل يقتل ؟

---

(٢) انظر دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٨٩ - ٢٩١ .

(١) انظر مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ص ١٢ .

(٢) سورة آل عمران ، أية : ١٤٤ . وانظر المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٤٨ - ١٥٠ .

وعندئذ أجاب (إله المخلوقات) : لقد كتبت هذا .. قال له يسوع : سلم نفسك إذن ليدي ..قال خالق العالم : لأني قد ذبحتك ، فإني أعطيك عوضا ، كل أولئك الذين يؤمنون بك ، تستطيع أن تفعل بهم ما يرضيك .

عندئذ تركه يسوع ، وحمل بولس بعيدا ، وأراه الثمن ، وأرسله ليكرز بأننا اشترينا بهذا الثمن ، وأن كل من يؤمن بيسوع قد بيعوا عن طريق هذا الإله العادل إلى الإله الطيب " .[1]

فهذا الشطط في المعتقد إفراز طبيعي متجدد. يسببه تناقض العدل والرحمة ، والقول بنجاة المسيح من القتل يضع الأمور في ميزانها الصحيح ، فتعبد البشرية ربها ، وهي موقنة بأنها تعبد الرب العفو الرحيم .

وقد جاء إبطال علمائنا لصلب المسيح على محاور عدة :

١) إبطال صلب المسيح بنقد روايات الأناجيل عن الصلب . وهو المطلب الأول .

٢) إبطال صلب المسيح بالدليل التاريخي . وهو المطلب الثاني .

٣) إبطال صلب المسيح بنبوءات التوراة . وهو المطلب الثالث .

٤) إبطال صلب المسيح بنبوءات العهد الجديد ، وهو المطلب الرابع.

٥) مصادر قصة صلب المسيح ، وهو المطلب الخامس.

٦)كيفية نجاة المسيح ، وهو المطلب السادس.

٧) وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح ، وهو المطلب السابع.

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ نقلا عن أدولف هنكر في كتابه " تاريخ العقيدة " ، وانظر في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

المطلب الأول : إبطال صلب المسيح بنقد روايات الأناجيل

مصدر حادثة الصلب :

تناقل النصارى روايات صلب المسيح جيلا بعد جيل ، حتى إذا جاء القرن الميلادي السابع ، أعلن محمد صلى الله عليه وسلم بطلان الصلب للمسيح .

ويتساءل النصارى كيف له أن يقول ذلك، وأن يكذب الحواريين وشهود العيان الذين سجلوا لنا بشهاداتهم الخطية ما رأوه ؟

إذن الأناجيل هي برهان القوم لو سئلوا وقيل لهم ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾[1] فالكتاب المقدس وفي أكثر من ٥٠٠ لغة إنسانية يتحدث عن صلب المسيح . وهذا هو البرهان .

ويرى العلامة ديدات أنه يفرض علينا تفحص هذا البرهان ، والنظر في حال الشهود الأربعة الذين يشهدون بصلب المسيح .

وهنا يسجل ديدات أول ملاحظاته ، وهي أن اثنين من الأربع لم يروا المسيح، و لم يكونوا من تلاميذه ، فكيف يعتبرون شهودا ؟ ويقصد مرقس ولوقا .

والملاحظة الثانية : أن شهود الإثبات جميعا لم يحضروا الواقعة التي يشهدون فيها ، كما قال مرقس: " فتركه الجميع وهربوا " (مرقس ١٤/٥٠) ومثل هذه القضية لو عرضت على أي محكمة متحضرة لسارعت إلى رد شهادة هؤلاء الشهود في دقيقتين .

ثم هذه الشهادة مسجلة على أكثر من ٥٠٠٠ مخطوط يتفاخر بكثرتها النصارى ، ولا يوجد منها مخطوطتان متطابقتان ، ولو تطابقت جميعها ، فإن أيا منها لم يسجل بخط مؤلفه ، وإن نسب إليه .[2] ينقل أحمد عثمان عن اينوك باول في كتابه " تطور الأناجيل " أنه يقول بأن قصة صلب الرومان للمسيح لم تكن موجودة في النص الأصلي للأناجيل ، وقد استند في ذلك على إعادة المؤلف ترجمة نسخة متى اليونانية ، فتبين له أن هناك أجزاء وردت مكررة في هذا الإنجيل ، مما يوحي بأنه أعيدت كتابتها في مرحلة تالية .

ومن أهم هذه الوقائع المكررة : ما ورد في الجزء الأخير من الإنجيل والمتعلق بمحاكمة المسيح وصلبه ، حيث جرت محاكمة المسيح أمام الكاهن الأكبر ، ثم تتكرر المحاكمة بالكلمات ذاتها مع فارق واحد : أن المحاكمة الثانية انتهت بالصلب .وانتهى باول إلى أن هذا التكرار للكلمات رغم تغير الظروف لايوحي بحدث جديد ، بل بتكرار متعمد .

ويرى باول أن أقدم الأناجيل هو "متى "، وقد نقل عنه بقية الإنجيليين ، فهو المصدر الوحيد، وعليه

---

(١) سورة البقرة ، آية : ١١١ .

(٢) انظر مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ص ١٨ – ٢٠

فلو ثبت أن رواية الصلب كانت إضافة لاحقة فيجب ضرورة إعادة النظر فيما ورد في الأناجيل " .[1]

ونثني هنا على ماذكره باول من تعرض النسخ الأصلية للزيادة والنقصان، وإن رفضنا القول بأولية متى لما سيعرض لنا في بابه . وهذا التلاعب في نسخ الكتاب المقدس كثير ، ومنه ما لاحظه العلماء من تغيرات وتحويرات تعرض لها إنجيل مرقس ، والذي يعده جمهور العلماء أقدم الأناجيل ، وقد زاد الإنجيليون عليه أو أنقصوا منه حسب نظرهم للمسيح والدين ، فقد أهمل يوحنا الكثير من الجزئيات التي تشعر بضعف المسيح على الصليب ، أو ليلة الدعاء .

ومن التغيرات التي لاحظها علماء الغرب ونقلها أحمد عبد الوهاب: أنه جاء في مرقس " وفي اليوم الأول من الفطير ، حين كانوا يذبحون الفصح ، قال له تلاميذه: أين تريد أن نمضي ونعد لتأكل الفصح ؟ فأرسل اثنين من تلاميذه ، وقال لهما اذهبا إلى المدينة فيلاقيكما إنسان حامل جرة ماء اتبعاه .. " (مرقس ١٢/١٤ – ١٦) يقول نينهام مفسر مرقس : " إن أغلب المفسرين يعتقدون أن هذه الفقرات أضيفت فيما بعد لرواية مرقس " إستندوا لأمرين: أولهما: أنه وصف اليوم الذي قيلت فيه القصة بأسلوب لايستخدمه يهودي معاصر للمسيح . والثاني: أن كاتب العدد ١٧ " ولما كان المساء جاء مع الإثني عشر ... " (مرقس ١٧/١٤) يتحدث عن جلوس المسيح مع تلاميذه الإثني عشر ، وهو لايعلم شيئا عن رحلة اثنين منهم لإعداد الفصح .

وجاء في مرقس عند سؤال التلاميذ عن الخائن أن المسيح أجابهم " الآكل معي " (مرقس ١٨/١٤) .ويستغرب جون فنتون شارح متى كيف لم ينقل متى هذه الفقرة ، وهو حريص كل الحرص على تحقيق النبوءات التوراتية ، ومن السهل أن يربط بينها وبين ما جاء في (المزمور٤/٩) .. آكل خبزي رفع علي عقبه "؟ اقتبسه يوحنا في ١٨/١٣ . ذكر أن بعض شراح مرقس يقول بأن هذه العبارة لم تكن موجودة عندما كتب متى ، ونقل من مرقس .[2]

ونقل الإنجيليون عن بعضهم ، وتصرفوا أو أخطأوا في النقل ، ومنه قول متى .. "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ، ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده " (متى ٣٦/٢٤) وهو نقل خاطئ أو محرف، لما جاء في مرقس وفيه " فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب " (مرقس ٣٢/١٣) فقد حذف متى "الابن " [3].

ومن التلاعب الذي تعرضت له أيضا نسخ الأناجيل: ماذكره جورج كيرد شارح لوقا، فقد جاء في لوقا أن المسيح قال على الصليب " يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لايعلمون ماذا يفعلون " (لوقا ٣٣/٢٣ – ٣٤) و لم يذكرها غيره من الإنجيليين ، كما أغفلتها بعض المخطوطات الهامة للوقا يقول كيرد : " لقد قيل إن

---

(١) مخطوطات البحر الميت ، أحمد عثمان ،ط١،مكتبة الشروق،١٩٦٦م،ص ١٣٩ – ١٤٤ .

(٢) انظر المسيح في مصادر العقائد المسيحية،أحمد عبد الوهاب،ص ١٣٣ – ١٣٦،المناظرة الإسلامية النصرانية،ص ٦٦ – ٦٧

(٣) انظر: محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١١٤ – ١١٥ .

هذه الصلاة ربما تكون قد محيت من إحدى النسخ الأولى للإنجيل بواسطة أحد كتبة القرن الثاني ، الذي ظن أنه شيء لايمكن تصديقه أن يغفر الله لليهود ، وبملاحظة ما حدث من تدمير مزدوج لأورشليم في عامي ٧٠م و ١٣٥م صار من المؤكد أن الله لم يغفرهم ".(١)

إضافة إلى تدخل الإنجيليين في النقل، والنساخ في المخطوطات، نرى أيضا تعدي المترجمين على ما ترجموه في أسفار العهد الجديد ، فقد أسقطت التراجم الحديثة الاسم الأول للمتمرد باراباس، فاسمه :"يسوع باراباس "، ولكنه اعتبر اسم يسوع في مرحلة لاحقة اسما مقدسا اعتبروا إطلاقه على مجرم أمرا مهينا ، فأغفلوه كما ذكر المفسران فنتون ونينهام .(٢)

ويرى علماؤنا أيضا أن الأناجيل لاتكفي لكي تكون مصدرا دينيا معتبرا، فقد خلت من التواتر الذي يشترطه الألوسي وهاشم جودة – كدليل على أصول الديانة ، ويصر هاشم جودة على تعريف التواتر عند المحدثين، حيث يجعلون الرواية متواترة إذا توافرت الكثرة التي يستحيل تواطؤها على الكذب في كل طبقات السند . وهذا ما لم يتحقق في الأناجيل – ولا بعضه – ولا أدناه.

ويقول النصارى بتواتر الصلب كما جاءت به الأناجيل ، و يرون أن رفضه يقدح بالقرآن ويقلل من قيمة تواتره وبالتالي ثبوته فكما أن القرآن متواتر ؛ فإن الصلب متواتر ، فإما أن يرد تواتر القرآن وتواتر الصلب وإما أن يعتبرا معا ، فمثل هذا يرد عليه الألوسي بأن من شروط التواتر استناده إلى الحس .

وأما المتواتر المستند إلى أمور عقلية ، كتواتر الشيوعيين على صلاح الشيوعية . أو الرأسماليين على فضيلة الرأسمالية .... وتواتر النصارى على أن المصلوب عيسى تحديدا لاغيره . فمثل هذا تواتر لايعتد به .

ويمثل الألوسي بحال قوم أتوا بإناء فيه رطل ماء ، ثم أتوا بقدره ماء غير الماء الأول . فإن غاية ما يحكم به من رأى الماء الثاني أنه رأى رطلا من الماء ، دون تمييز بين الأول والثاني .

ومعلوم أن قول المسلمين بأن شبه عيسى قد وقع على غيره يحيل المسألة من مسألة حسية إلى عقلية لايصح فيها قول النصارى بالتواتر ، فالنزاع ليس في وقوع الصلب ، إنما في حقيقة المصلوب .(٣)

وأخيرا : فهذه الروايات المصرحة بصلب المسيح معارضة بتواتر القرآن، الذي قام الدليل على أنه كلام الله ووحيه على رسوله ، ومعارضة أيضا بما جاء في إنجيل برنابا الذي لايقل شأنه بحال عن شأن الأناجيل الأربعة .(٤)

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٧٠ .

(٢) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦٠ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ٩٦ .

(٣) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٨٧ ، ٥٨٩ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٦ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٢٩ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٩ – ٢٣٠ ، ٢٤٩ – ٢٥١ .

(٤) انظر : العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٩ – ٢٣٠ .

وأما ما أشاروا إليه في المخطوطات الخمسة الآلاف والتي قطعا فيها من الأناجيل القانونية وغيرها إضافة إلى أن فيها أخبارا يقطع بكذبها أو خطئها ذكرت ضمن روايات الصلب.

ومن ذلك قول متى " حينئذ تم ما قيل بإرميا النبي القائل ، وأخذوا ثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه من بني إسرائيل ، وأعطوها عن حقل الفخاري كما أمرني الرب " (متى ٩/٢٧) وليس في سفر إرميا شيء من ذلك، بل مقصوده كما قال علماء الكتاب المقدس ما جاء في سفر زكريا عن قصة لاعلاقة لها بالمسيح البتة ، بل زكريا يتحدث عن نفسه ، وقد رعى غنم الذبح ، ثم " فقلت لهم إن حسن في أعينكم فأعطوني أجرتي ، وإلا ما قنعوا . فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة، فقال لي الرب: ألقها إلى الفخاري الثمن الكريم الذي ثمنوني به .فأخذت الثلاثين من الفضة، وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب " (زكريا ١٢/١١ - ١٣) .

وقد اعترف بهذا الغلط كثيرون ، منهم: هورن في تفسيره ، وجوويل في كتابه " الأغلاط " ويؤكد عبد الرحمن باجي زادة أن لاعلاقة بين قصة زكريا التي تتحدث عن ثمن كريم أخذه زكريا، ودفعه لصانع التماثيل ، والثمن اللئيم الذي أخذه يهوذا ثمنا لدم المسيح ، ويعتبر هذا من تدليس مترجم متى .[1]

ومن الكذب أيضا ما جاء في آية يونان النبي (انظر متى ٣٨/١٢ - ٤٠) و (لوقا ٤٣/٢٣) فلم تتحقق إذ لم يمكث المسيح في قبره كما ذكرت الأناجيل سوى ليلتين ويوم ،فكذبت الرواية .[2]

ومثله أيضا القول الذي نسبه متى للمسيح وفيه " ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر " (متى ٢٠/٢٨) وهو مخالف لما ذكره يوحنا " وأما أنا فلست معكم في كل حين "(يوحنا٨/١٢) ويخالف أيضا قول النصارى برفع المسيح وتركه للتلاميذ .[3]

ولو اكتفى علماؤنا في رفض القول بصلب المسيح بهذا كله لكان موقفهم تاما ، وحجتهم في رفض هذا القول - لضعف شهوده وقوة معارضته - مقبولة ، لكنهم شمروا عن ساعد الجد ، وتجاوزوا رفضهم الاعتراف بقدسية التوراة والإنجيل ، وتنزلوا مع النصارى الذين يقولون بإلهامية هذه الكتب، فدرسوا قصة الصلب الإنجيلية ، فكشفوا عن الكثير من التناقضات فيها ، وأثاروا في وجه النصارى الكثير من الأسئلة التي لاجواب عنها إلا الاعتراف بعدم إلهامية الأناجيل ، وعدم عصمتها ، وبالتالي عدم صلاحيتها كدليل في هذه المسألة .

وقد كان نقد علمائنا لرواية الصلب في الأناجيل موجها في طرق ثلاث :

---

(١) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤١٠ - ٤١٢ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٧٧ ، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٢٠ - ٥٢١ . .

(٢) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٥١٤ - ٥١٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٣) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٥١٥ .

الأول : تناقضات روايات الصلب في الأناجيل :

تتحدث الأناجيل الأربعة عن تفاصيل كثيرة في رواية الصلب ، والمفروض لوكانت هذه الروايات وحيا كما يدعي النصارى أن تتكامل روايات الإنجيليين الأربعة وتتطابق ، ولكن عند تفحص هذه الروايات وجد علماؤنا فيها كثيرا من التناقضات والاختلافات التي لايمكن الجمع بينها ، ولاجواب عنها إلا التسليم بكذب بعض هذه الروايات ، أو تكذيب رواية متى في مسألة، وتكذيب مرقس في أخرى ...

وهذا كله مؤذن بضعف الروايات الإنجيلية ، مبين عدم أصالتها ، مكذب لقداستها . وقد كثرت هذه التناقضات إلى حد يمنع تعدادها في مثل هذا الجهد ، لكنا نكتفي بذكر أبرزها، أو الذي تكاثر علماؤنا على ذكره فمنها :

- ذكرت الأناجيل الأربعة ذهاب المسيح وتلاميذه إلى المكان الذي دعا فيه المسيح طويلا قبل أن يأتي يهوذا للقبض عليه ، وقد اختلفوا في تحديد هذا المكان، ففي متى ومرقس أنه ضيعة جشيماني (انظر متى ٢٦/٣٦ ، ومرقس ١٤/٢٦) ولوقا ذكر بأنه جبل الزيتون (لوقا ٢٢/٣٩) وذكر يوحنا أنه عبر وادي قدرون (انظر يوحنا ١٨/١) .[1] ولئن أمكن الجمع بين الضيعة والجبل ، أو بين الضيعة والوادي ، فإن الجمع بين الجبل والوادي من المحال .

- ويحكي الإنجيليون الثلاثة عن صحبة التلاميذ للمسيح في الجبل أو الضيعة ، فيذكر متى ومرقس أنه ابتعد عن التلاميذ ومعه ثلاثة منهم ، هم بطرس وابن زبدى يعقوب ويوحنا (انظر متى ٢٦/٣٧ ، ومرقس ١٤/٣٣) ، لكن لوقا يذكر ابتعاده وحده فيقول " ولما صار إلى المكان قال لهم : صلوا لكي لاتدخلوا في تجربة ، وانفصل عنهم نحو رمية حجر " (لوقا ٢٢/٣٩) ، فلم يذكر شيئا عن التلاميذ الثلاثة ، مما يفهم منه أنهم ممن أمرهم بالصلاة، وابتعد عنهم .[2]

- ثم: من الذين ذهبوا للقبض على يسوع ؟ يقول متى " جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب " (متى ٢٦/٥٢) وزاد مرقس بأن ذكر من الجمع الكتبة والشيوخ (انظر مرقس ١٤/٤٣) ، وذكر يوحنا أن الآتين هم جند الرومان وخدم من عند رؤساء الكهنة (انظر يوحنا ١٨/٣) ، ولكن لوقا ذكر أن رؤساء الكهنة جاءوا بأنفسهم للقبض على المسيح إذ يقول " قال يسوع لرؤساء الكهنة وقواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه " (لوقا ٢٢/٥٢) . فالتناقض بين لوقا والباقين ظاهر .[3]

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٦٤ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩١ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٦ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٣٦ .

(٢) انظر : العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٦ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٣٧ .

(٣) انظر : العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٨ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو

- وتذكر الأناجيل محاكمة المسيح ، ويجعلها لوقا صباح الليلة التي قبض عليه فيها فيقول " ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة ، وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين : إن كنت أنت المسيح فقل لنا " (لوقا ٢٢/٦٦ - ٦٧) .

لكن الثلاثة يجعلون المحاكمة في ليلة القبض عليه فيقول مرقس " فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة ، فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة ....." (مرقس ١٤/٥٣) (وانظر : متى ٢٦/٥٧ ، ويوحنا ١٨/٣) .[1]

وتبع بطرس المسيح ليرى محاكمته ، وقد أخبره المسيح بأنه سينكره في تلك الليلة ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك مرتين حسب مرقس (انظر : مرقس ١٤/٧٢) ومرة حسب الثلاثة (انظر : متى ٢٦/٧٤ ، لوقا ٢٢/٦٠ ، يوحنا ١٨/٢٧) وكان سبب إنكاره المتكرر أن بعض الموجودين

– وصدر حكم بيلاطس بصلب المسيح ، وخرج به اليهود لتنفيذ الحكم ، وفيما هم خارجون لقيهم رجل يقال له سمعان، فجعلوه يحمل صليب المسيح يقول مرقس " ثم خرجوا لصلبه، فسخروا رجلا ممتازا كان آتيا من الحقل ، وهو سمعان القيرواني أبو الكسندروس وروفس ليحمل صليبه " (مرقس ١٥/٢٠ – ٢٢) و (انظر : متى ٢٧/٣٢ ، لوقا ٢٣/٢٦).

لكن يوحنا يخالف الثلاثة ، فيجعل المسيح حاملا لصليبه بدلا من سمعان يقول يوحنا " فأخذوا يسوع ومضوا به ، فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له الجمجمة " (يوحنا ١٩/١٧) و لم يذكر يوحنا شيئا عن سمعان القيرواني .[1]

– وتذكر الأناجيل أنه عند إخراجهم للمسيح أراد الجند أن يستهزءوا بالمسيح ، فألبسوه ملابس غريبة. ذكر يوحنا ومرقس أن لونها أرجوان ، وذكر لوقا أنهم ألبسوه لامعا ، بينما ذكر متى أنهم ألبسوه لباسا قرمزيا . واختلفوا أيضا هل خلعت للمسيح ملابسه قبل ذلك أم لا ؟

فذكر متى أنهم عروه وألبسوه (انظر : متى ٢٧/٢٨) بينما ذكر الثلاثة أنهم لم يعروه ، بل ألبسوه هذه الملابس فوق ملابسه (انظر : مرقس ١٥/١٧ ، لوقا ٢٣/١١ ، يوحنا ١٩/٢) ثم يذكر يوحنا ولوقا أنهم بعد ذلك لم يتزعوا عنه هذه الملابس(انظر: لوقا ٢٣/٢٢ ، يوحنا ١٩/٥) .

بينما ذكر متى ومرقس أنهم نزعوها عنه ، وأنه صلب بملابسه (انظر : متى ٢٧/٣١ ، مرقس ١٥/٢٠) .[2]

– وتتحدث الأناجيل عن تعليق المسيح على الصليب ، وأنه صلب بين لصين أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره ، ويذكر متى ومرقس أن اللصين استهزءا بالمسيح(انظر : متى ٢٧/٤٤ ، مرقس ١٥/٣٢) بينما ذكر لوقا بأن أحدهما استهزء به، بينما انتهر الآخر صاحبه قائلا له " أو ما تخاف الله ... فقال له يسوع : إنك اليوم تكون معي في الفردوس " (لوقا ٢٣/٣٩ – ٤٣) . ويستغرب الخطيب خبر اللصين ، لأن الصليب ليس مكانا مناسبا للثرثرة و السخرية.

وينبه عبد الرحمن باجة بأن وعده للص في أن يكون معه في الفردوس في ذلك اليوم لم يتحقق، لأن النصارى لايقولون بصعوده يوم الدفن ، بل بعد ذلك بثلاثة أيام .[3]

---

(١) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٣١ – ٤٣٦ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار، ص ٤٦٩ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦١ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦٦ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٧٧ ، المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٤٨ ، الإنجيل ، محمد شلبي شتيوي ص ١٠٤ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ٩٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٨٨ ، المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٣٣ .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٢٦ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩٩ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٨٠ .

(٣) انظر: الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٣٣ ، ٤٣٨ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق

ومثل هذا لايسلم لباجة البغدادي ؛ فإن النصارى لايقولون برفع جسد اللص ، بل الحديث عن تلاق روحي في الفردوس ، ولايمنع منه رفع المسيح بجسده وروحه بعد ثلاث .

- وكعادة الرومان حين الصلب؛ علق على المصلوب لوحة توضح علته ، وتختلف الأناجيل في المكتوب في علة المصلوب: ففي متى " هذا هو يسوع ملك اليهود " (متى ٣٧/٢٧) وفي مرقس: " ملك اليهود " (مرقس ٢٦/١٥) وفي لوقا " مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرية : هذا هو ملك اليهود " (لوقا ٣٨/٢٣) ، وأما يوحنا فذكر أن المكتوب " يسوع الناصري ملك اليهود .بالعبرانية واليونانية واللاتينية " (يوحنا ١٩/١٩ - ٢٠) .[١]

- أما اللحظات الأخيرة في حياة المسيح فتذكرها الأناجيل، وتختلف في وصف المسيح حينذاك، فيصور متى ومرقس حاله حال اليائس القانط يقول ويصرخ : " إلهي إلهي لماذا تركتني " ثم يسلم الروح (متى ٤٦/٢٧ - ٥٠ ومرقس ٣٤/١٥ - ٣٧) وأما لوقا فيرى أن هذه النهاية لاتليق بالمسيح، فيصوره بحال القوي الراضي بقضاء الله حيث قال " يا أبتاه في يديك أستودع روحي " (لوقا ٤٦/٢٣) .[٢]

- وتتحدث الأناجيل الأربع عن قيامة المسيح بعد دفنه ، وتمتلىء قصص القيامة في الأناجيل بالمتناقضات التي تجعل من هذه القصة أضعف قصص الأناجيل، فتتحدث الأناجيل عن زائرات للقبر في يوم الأحد بعد طلوع الشمس - حسب ما جاء في مرقس (انظر : مرقس ٢/١٦) لكن لوقا ومتى يجعلون الزيارة عند الفجر ، وينص يوحنا على أن الظلام باق (انظر : متى ١/٢٨ ، لوقا ١/٢٤ ، يوحنا ١/٢٠) .[٣]

وأما الزائرات والزوار، فهم حسب يوحنا مريم المجدلية وحدها (انظر : يوحنا ١/٢٠ - ٣).

والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٦ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٣٣ - ٣٤ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ . المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٤٣

(١) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٣٨ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦١ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦٧ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٧٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٨٨ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٤٢ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠١ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٢ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٧٠ - ١٧١ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٧٨ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٣٠ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٣٢ .

(٣) انظر المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٢ ، والإنجيل ، محمد شلبي شيتوي، ص ١٠٨ ، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح جاد ، ص ١٧٥ ، ١٨٦ - ١٨٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٣٠ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٣٣ .

وأضاف متى مريم أخرى أبهمها (انظر : متى ١/٢٨)، ويذكر مرقس أن الزائرات هن مريم المجدلية وأم يعقوب وسالومة . (انظر : مرقس ١/١٦) ، وأما لوقا فيفهم منه أنهن نساء كثيرات ومعهن أناس (انظر : لوقا ١/٢٤) .[1]

وهذا كله إنما كان في زيارة واحدة .

ثم هل وجد الزوار الحجر الذي يسد القبر مدحرجا أم دحرج وقت الزيارة؟

يقول متى: " ملاك الرب نزل من السماء، جاء ودحرج الحجر عن الباب ، وجلس عليه " (متى ٢/٢٨) فيفهم منه أن الدحرجة حصلت وقتذاك .

بينما يذكر الثلاثة أن الزائرات وجدن الحجر مدحرجا . (انظر : مرقس ٤/١٦ لوقا ٢/٢٤ ، يوحنا ١/٢٠) ، ولايذكر أحد من الثلاثة من الذي دحرج الحجر [2]

وقد شاهدت الزائرات في القبر شابا جالسا عن اليمين، لابسا حلة بيضاء حسب مرقس (انظر : مرقس ٥/١٦) ، ومتى جعل الشاب ملاكا نزل من السماء . (انظر : متى ٢/٢٨) ، ولوقا جعلهما رجلين بثياب براقة . (انظر : لوقا ٤/٢٤) وأما يوحنا فقد جعلهما ملكين بثياب بيض أحدهما عند الرأس ، والآخر عند الرجلين . (انظر يوحنا ١٢/٢٠) .[3]

وأما ردة الفعل عند الزائرات؛ فقد تناقض في وصفها الإنجيليون ، فذكر يوحنا أن مريم بكت (انظر : يوحنا ١٣/٢٠) ، وأما متى فذكر أن الزائرتين كانتا خائفتين . (انظر : متى ٤/٢٨) ، وزاد لوقا على الخوف أنهن منكسات وجوههن ومحتارات . (انظر : لوقا ٤/٢٤ – ٥) ، وأما مرقس فقال بأنهن اندهشن وأخذهن الحيرة والرعدة . (انظر : مرقس ٥/١٦– ٨).

ويتناقض مرقس مع لوقا في مسألة : هل أخبرت النساء أحدا بما رأين أم لا ؟ فمرقس يقول " و لم يقلن لأحد شيئا ، لأنهن كن خائفات " (مرقس ٨/١٦) ولوقا يقول " ورجعن من القبر ، وأخبرن الأحد

---

(١) انظر قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٤ – ٥٠٥ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٣ ، الإنجيل ، محمد شلبي شيتوي ص ١٠٨ – ١١٠ ، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح حاد ، ص ١٧٥ ، ١٨٦ – ١٨٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٣٠ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٣٣، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٩٦ .

(٢) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٩٤ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٥ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٣ ، الإنجيل ، محمد شلبي شيتوي ، ص ١٠٨ – ١١٠ .

(٣) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٩٥ ، وعقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ص ٣٤ ، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٣٦ – ٢٤٧ ، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح حاد ، ص ١٧٤ – ١٨٨ ، ومقدمة المناظرة الحديثة ، أحمد ديدات ، ص ٤٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٣٠ .

عشر وجميع الباقين بهذا كله " (لوقا ٢٤ /٩)[١] .

وتختلف الأناجيل مرة أخرى في عدد مرات ظهور المسيح لتلاميذه ، وفيمن لقيه المسيح في أول ظهور ؟ فمرقس ويوحنا يجعلان الظهور الأول لمريم المجدلية (انظر: مرقس ١٦ /٩ ، يوحنا ٢٠ /١٤) . ويضيف متى: مريم الأخرى (انظر : متى ٢٨ /٩) ، بينما يعتبر لوقا أن أول من ظهر له المسيح هما التلميذان المنطلقان لعمواس (انظر : لوقا ٢٤ /١٣) .

ويجعل يوحنا ظهور المسيح للتلاميذ مجتمعين ثلاث مرات . (انظر : يوحنا ٢٠ /١٩ ، ٢٦) بينما يجعل الثلاثة للمسيح ظهورا واحدا (انظر : متى ٢٨ /١٦، مرقس ١٦ /١٤ ، لوقا ٢٤ /٣٦) ويراه لوقا قد تم في أورشليم ، بينما يقول صاحباه إن ذلك في الجليل . (انظر : لوقا ٢٤ /٣٣ - ٣٦ ، متى ٢٨ /١٠ مرقس ١٦ /٧) .[٢]

وهذه التناقضات - وغيرها كثير مما ضربنا الصفح عنه في مسألة قيامة المسيح - جعلت العلماء المحققين يعتقدون أن ما تصفه الأناجيل هنا محض اختلاق ، فيرى أحمد عبد الوهاب أن سبب هذه الخلافات طول الزمان والبعد ، فتطورت الرواية كما تتطور سائر القصص ، فالشاب عند مرقس صار ملاكا عند متى ، ثم أصبح زائرين سماويين عند لوقا . وينقل عن نينهام المفسر قوله " إن كثيرا من القراء سيتفقون في الرأي مع ما انتهى إليه فنست تيلور في أنه من المحتمل أن يكون وصف مرقس محض خيال ، إذ أنه يصور لنا في وصفه ما يعتقد أنه حدث " .

وينبه أحمد عبد الوهاب إلى أن ظهور المسيح للتلاميذ لا وجود له أصلا في إنجيل مرقس الإنجيل الأول الذي نقل عنه بقية الإنجيليين ، مذكرا بأن خاتمة مرقس منحولة .[٣]

ويعتبر منصور حسين القول بقيامة المسيح إشاعة كبرت بمرور الأيام ، فأصبح الظهور الواحد ثلاثا ، ودليل منصور حسين على قوله: كثرة التناقضات ، وعدم معرفة التلاميذ بالقيامة ، وتشككهم بها ، وعدم تصديقهم من أخبر بها ، وقد قامت هذه الإشاعة على إشاعة سابقة انتشرت في زمن مبكر تقول بأن جسد المسيح قد سرق من القبر ،فكان القول بالقيامة تبريرا لها.[٤]

ونشير أخيرا إلى تناقض كبير وقعت فيه الأناجيل ، وهي تتحدث عن ظهور المسيح ، ألا وهو مقدار

---

(١) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٤ ، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٤١ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٣١ .

(٢) انظر : المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح جاد ، ص ١٨٤ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٨٢ ، والإنجيل ، محمد شلبي شيتوي ص ١١٢ - ١١٤ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٨٦ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٤٢ .

(٣) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٨٧ - ٢٩١ .

(٤) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ٥٣ .

المدة التي قضاها المسيح قبل رفعه .

ويفهم من متى ومرقس أن صعوده كان في يوم القيامة (انظر : متى ٨/٢٨ – ٢٠ ، مرقس ٩/١٦ – ١٩ ، ولوقا ١/٢٤ – ٥٣) لكن يوحنا في إنجيله جعل صعوده في اليوم التاسع من القيامة . (انظر : يوحنا ٢٦/٢٠ ، ٤/٢١) ، بيد أن مؤلف أعمال الرسل – والمفترض أنه لوقا – جعل صعود المسيح للسماء بعد أربعين يوما من القيامة (انظر : أعمال ١٣/١) . ويرى عبد الكريم الخطيب أن تحديد الصعود بأنه بعد أربعين يوما من القيامة يرجع لما كان شائعا عند الوثنيين وقدماء المصريين من أن أرواح الموتى تحوم أربعين يوما حول أصحابها ، ثم تصعد للسماء .

ويضيف أحمد عبد الوهاب أن ثمة طوائف مسيحية تجعل صعود المسيح بعد ثمانية عشر شهرا من القيامة المزعومة ، فيما جعله آخرون بعد أحد عشر عاما .[1]

وبذلك سقطت شهادة الشهود في هذه المسألة ، وصح لأي محكمة أن تعتبرهم شهود زور ، وهل يعرف شهود الزور إلا بمثل هذه التناقضات ، أو أقل منها ؟ [2]

لكن النصارى وطريقتهم الغريبة في الاستدلال تصر على قلب النتائج والوصول إلى العجائب ، ومن ذلك ما قاله الأب روجي في كتابه " مقدمة إلى الإنجيل " وهذا التفكك ، هذا الغموض ، هذا الاختلال يبعث على الثقة ، فكل ذلك يثبت أن المبشرين لم يتشاوروا فيما بينهم ، وإلا أعوزهم أن يوفقوا بين ما كتبوا " .[3]

وقد فات الأب روجي أنه يتحدث عن كتاب مقدس يفترض أنه وحي من الله يتلقاه الكتبة، ومثل هؤلاء نتفق معه في أن لا حاجة لأن يتشاوروا فيما بينهم ، ولكن على أية حال كان لابد أن يتفقوا إن كان ما أتوا به وحيا من الله .

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٣٠٤ – ٣٠٧ ، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح حاد ، ص ١٨٧ – ١٨٨ ، الإنجيل ، محمد شلبي شيتوي ، ص ١٢٠ – ١٢١ ، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ٣٤٨ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٢٥٢ .

(٢) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٨٧ – ٨٨ .

(٣) انظر : الإنجيل ، محمد شلبي شتيوي ، ص ١١٧ .

الثاني : تفرد أحد الإنجيليين في الرواية

وينفرد أحد الإنجيليين بذكر حوادث قد تكون مهمة ، ومع ذلك أغفلها الآخرون ، وقد يتبادر للذهن لأول وهلة أن ذلك يرجع لنظرية تكامل الروايات الذي لايعتبر من التناقض والتعارض.

وهذا ليس بصحيح ، إذ معرفتنا البسيطة بتدوين الإنجيل وتاريخه تنبئنا بأن الإنجيليين اعتمد اللاحق فيهم على السابق ، فإغفال اللاحق لبعض ماذكره سلفه ، إنما يرجع لتشككه في جدوى الرواية ، أو صحتها ، أو تناسقها مع المعتقد ، وهو ما يقال أيضا في الإضافة التي قرر المتأخر زيادتها عن السابق .

ولعل مما يوضح الصورة ويجليها: نقل مقدمة لوقا الذي يقول " رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق .... لتعرف صحة الكلام الذي علمت به " (لوقا ١/٣- ٤) .

ومن هذه الأمور التي انفرد بها أحد الإنجيليين :

- انفرد لوقا فذكر في وصف ليلة القبض على المسيح أمورا لم يذكرها غيره، ومنها : أنه بالغ في إظهار جزع المسيح، حتى أن الله أيده بملاك يقويه، وكأنه أوشك على الانهيار. يقول لوقا": وظهر له من السماء ملاك يقويه ، وإذ كان في جهاد، كان يصلي بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض " (لوقا ٢٢/٤٣ - ٤٤) .

وهاتان الفقرتان - رغم وجودهما في أكثر النسخ المتداولة - فإن المراجع القديمة تحذفهما ، كما نقل أحمد عبد الوهاب عن جورج كيرد مفسر لوقا حيث يقول " فإن هذا الحذف يمكن إرجاع سببه إلى فهم أحد الكتبة بأن صورة يسوع هنا قد اكتنفها الضعف البشري ، كان يتضارب مع اعتقاده في الابن الإلهي الذي شارك أباه في قدرته القاهرة " .

ولعل هذا ما دعا الإنجيليين إلى تجاهل هذا الوصف الدقيق ، بل إن يوحنا لم يذكر شيئا عن معاناة المسيح وآلامه تلك الليلة ، وذلك للسبب نفسه بالطبع[1] .

ويتساءل عبد الوهاب النجار كيف عرف لوقا بنزول الملاك ؟ وكيف شاهد عرقه وهو يتصبب منه على هذه الكيفية ؛ كيف ذلك والتلاميذ قد وصفهم لوقا بعدها مباشرة بقوله " ثم قام من الصلاة ، وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن " (لوقا ٢٢/٤٥)[2] ؛ كما أنه لم يكن بجوارهم ، وهو يصلي فقد " انفصل عنهم نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه وصلى " (لوقا ٢٢/٤١) .

وينبه هاشم جودة إلى تناقض لوقا هنا مع الآخرين حين ذكر أن المسيح رجع إلى تلاميذه ليوقظهم

---

(١) انظر : في المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٤٠ - ١٤٣ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٤٢ .

(٢) انظر: قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩٢ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

مرتين فقط، في حين جعلها متى ومرقس ثلاثا ، و لم يذكر يوحنا شيئا عنها .[1]

- ذكر الإنجيليون ضرب أحد التلاميذ لعبد رئيس الكهنة بالسيف، وأنه قطع أذنه، وتتكامل الروايات، فيذكر يوحنا أن اسم العبد ملخس ، وأن الأذن هي اليمنى، فيما لم يحدد متى ومرقس اسم الضارب ، كما لم يحدد الأذن المضروبة .

لكن أحدا منهم – سوى لوقا – لم يذكر أن المسيح أبرأ أذن العبد وردها ، وهي ولاشك معجزة كبيرة بين تلك الجموع الكافرة .. "فأجاب يسوع: دعوا إلي هذا ، ولمس أذنه وأبرأها . "(لوقا ٥١/٢٢) و لم يذكر لوقا أي ردة فعل للجند والجموع لهذه المعجزة الباهرة . وكأن شيئا لم يكن .[2]

كما يذكر علماؤنا واحدة أخرى انفرد بها مرقس وهي : قصة الشاب الذي هرب من الشبان فأمسكوا بإزاره الذي يلبسه على عري،فترك الإزار ، وهرب منهم عريانا (انظر :مرقس ٥١/١٤ -٥٢).[3]

وأيضا انفرد يوحنا بأن المسيح طلب من الجند أن يدعوا تلاميذه يهربون . (انظر: يوحنا ٨/١٨) مع أن أحدا لم يتعرض لتلاميذه ، لكن يوحنا يريد بذلك أن يحقق نبوءة توراتية ، فقد قال بعدها "ليتم القول الذي قاله : إن الذين أعطيتني لم أهلك منهم أحدا " (يوحنا ٩/١٨) .مع أنه أي يوحنا يجزم بهلاك يهوذا، وقد قال قبل سطور عنه " و لم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك " (يوحنا ١٢/١٧) ويرى عبد الرحمن باجي زادة أن أكبر هلاك لهؤلاء التلاميذ هو هربهم و تركهم المسيح وحده بين يدي أعدائه .

- ويرى ديدات أن الخطأ الذي وقع فيه يوحنا خطأ كبير ، إذ أن النسبة بين اللاأحد والواحد هي مالا نهاية إلى واحد [4] .

- وانفرد يوحنا فذكر أن الجند لما هموا بالقبض على يسوع ، وقعوا على الأرض ، يقول يوحنا : "فلما قال لهم : إني أنا هو رجعوا إلى الوراء ، وسقطوا على الأرض " (يوحنا ٦/١٨) فما الذي أخاف الجنود حتى سقطوا ؟ للإجابة عن هذا السؤال يورد إبراهيم خليل ما جاء في لوقا " وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم ، وإذا ملاك الرب وقف بهم ، ومجد الرب أضاء حولهم ، فخافوا خوفا عظيما ،فقال لهم الملاك : لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب "(لوقا ٢/٨–١٠)

فيرى إبراهيم أن خوفهم من الملائكة ، هو الذي سبب لهم هذا السقوط ، ويؤيد هذا التفسير أحمد

---

(١) انظر : العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ، وكب ص ٤٢١ .

(٢) انظر العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٢١ .

(٣) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩٢ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٧، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٥٢ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٧٠ ، الإنجيل ، محمد شلبي شتيوي ص ١٠٣ .

(٤) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص ٣٠ .

عبد الوهاب ، ويراه محققا للنبوءة التوراتية " لايلاقيك شر ، ولا تدنو ضربة من خيمتك ، لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك ، على الأيدي يحملونك ، لئلا تصطدم بحجر رجلك " (مزمور ١٠٩/١٤- ١٦) .[1]

- وانفرد متى فذكر ذهابهم بالمسيح إلى حنان حما قيانا ، ثم أخذوه إلى قيافا (انظر يوحنا ١٨/١٢ - ١٣).[2]

- وانفرد لوقا بذكر إرسال بيلاطس المسيح إلى هيرودس حاكم الجليل . وقد ذكر متى أن هيردوس مات قبل ذلك بكثير ، يقول متى " فلما مات هيردوس إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر قائلا: قم وخذ الصبي وأمه ، واذهب إلى أرض إسرائيل " (متى ٢/١٩ - ٢٠) .[3]

والذي دعاه لذلك -كما يرى مفسر لوقا جورج كيرد - : أنه أراد أن يحقق نبوءة المزمور الثاني ، وفيه " قام ملوك الأرض ، وتآمر الرؤساء معا على الرب ، وعلى مسيحه " (مزمور ٢/٢) .[4]

- وانفرد متى فذكر عجائب حصلت والمسيح على الصليب في اللحظة التي فارق فيها الحياة، فيقول: "وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل ، والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت ، والقبور تفتحت ، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة ، وظهروا لكثيرين " (متى ٢٧/٥١ - ٥٣) فهذه الأعاجيب ينفرد بها دون سائر الإنجيليين والمؤرخين ومنهم لوقا المتتبع بالتدقيق لكل شيء ولو صح مثل هذا لكان من أعظم أعاجيب المسيح ، ولحرص الجميع على ذكره، لذا يكذب عبد الرحمن باجي زادة الخبر ، وينقل تكذيب نورتن المسمى " حامي الإنجيل " بقوله : " هذه الحكاية كاذبة ، والغالب أن أمثال هذه الحكاية كانت رائجة في اليهود، بعدما صارت أورشليم خرابا ، فلعل أحدا كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى ، وأدخلها الكتاب في المتن ، وهذا المتن وقع في يد المترجم ، فترجمها على حسبه " .

وقد نقلت هذه الأخبار عن الأساطير القديمة ، يقول المفسر كيرد " كان الشائع قديما أن الأحداث الكبيرة المفجعة يصحبها نذر سوء ، وكأن الطبيعة تواسي الإنسان بسبب تعاسته " ويقول المفسر نينهام : " لقد قيل: إن مثل تلك النذر لوحظت عند موت بعض الأحبار الكبار ، وبعض الشخصيات العظيمة

---

(١) انظر : محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص ١١٤-١١٥ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ٩١ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٧٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٣٩ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤١٨ .

(٢) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩٥ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٨ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٦١ .

(٣) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩٨ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٧٥، ١٤٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٧٨ .

(٤) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

في العصور القديمة والوثنية ، وخاصة عند موت يوليوس قيصر " .

ويقول المفسر فنتون : " لقد كان قصد متى من هذه الأحداث الخرافية أن يبين أن موت يسوع كان عملا من صنع الله " .

ومما يدل على كذب متى أو مترجمه في هذه الزيادة ، أن لو ظهرت هذه العجائب لما جرأ اليهود على الرجوع إلى بيلاطس، وطلب حراسة القبر ، ولما تجاسر قيافا أن يصف المسيح وقتئذ بالمضل ، ولانتقم منهم بيلاطس ، بل وعامة اليهود ، ولآمن كثيرون بالمسيح ، كما آمن كثيرون في أعجوبة أقل من ذلك ، إذ لما نزل روح القدس على التلاميذ، آمن ثلاثة آلاف شخص (أعمال ٢/٤٠ - ٤١)، وماذكره متى عن موت المسيح أعظم من ذلك .

ثم ماذا عن هؤلاء الأموات ؟ هل عادوا بأكفانهم؛ أم حفاة عراة ؟ ومع من تكلموا ؟ هل كان خروجهم حزنا عليه أم نصرة له ؛ أم فرحا به ؛..... ، ثم هذا يخالف قول بولس بأن المسيح أول القائمين من الموت حين قال " قام: المسيح من الأموات ، وصار باكورة الراقدين " (كورنثوس(١) ١٥/٢٠) ، وقوله: "وإن يؤ لم المسيح يكن هو أول قيامة الأموات " (أعمال ٢٦/٢٣) .[١]

- وانفرد يوحنا بذكر وجوده إلى جوار المسيح وأم المسيح معه وقت الصلب (يوحنا ١٩/٢٥ - ٢٦) وأمر كهذا لايتصور أن تغفله الأناجيل لو كان حقا كما لايمكن تصور أن الجند يسمحون لذوي المسيح من الاقتراب منه وهو على الصليب ، وهم الذين أنكر بطرس بين أيديهم معرفة المسيح ثلاث مرات.

يقول باريت : " إنه من غير المحتمل أساسا أن يكون قد سمح بوقوف أقارب المسيح وأصدقائه بالقرب من الصليب " [٢]

- وانفرد متى بذكر حراسة القبر (انظر : متى ٢٧/٦٢ - ٦٦) وبحصول زلزلة عظيمة عند زيارة النساء للقبر يوم الأحد (انظر : متى ٢٨/٢ - ٣) ، وانفرد مرقس بذكر تعجب بيلاطس لموت المسيح السريع . (انظر ١٥/٤٤) ، وقد ذكر باستقراء دقيق كثيرا من مثل هذه التفاصيل علاء أبو بكر في أماكن متفرقة من كتابه، كما ذكر بعضا منها غيره من أصحاب الردود الإسلامية .

---

(١) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ١/٥٩٣ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٤١ - ٤٤٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٦٤ ، ٣٠٠ - ٣٠١ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٣ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٧٤ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٨٠ ، ٨٥ ، الإنجيل ، محمد شلبي شيتوي ص ١١٩ ، المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٣٥ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٠٢ - ١٠٣ . المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٢٩٦ .

(٢) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٩٣ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٧٦ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٣١ .

الثالث : النقد الضمني للرواية الإنجيلية

ونقد علماؤنا أيضا الروايات الإنجيلية في جزئيات كثيرة اجتمع عليها الإنجيليون – أو بعضهم – ووجدوا أن في الروايات خللا وحلقات مفقودة لايمكن تجاوزها ، علاوة على مافي الروايات من تهافت في المعنى .

وفي كثير من هذه الملاحظات لايمكن للنصارى الخروج منها، إلا بالتسليم بأن المصلوب ليس المسيح ، أو بالتسليم بأن الروايات بشرية الوضع ، غير محبوكة الصنعة . ومنها :

– تتحدث الأناجيل عن دور يهوذا في خيانة المسيح بعد أن رافق المسيح وهو من خاصته، فكيف حصل هذا التغير المفاجيء ؟

إن وقوع الانحراف بين البشر لايستبعد ، ولكن الرواية الإنجيلية تجعل المسيح، وهو الذي أرسله الله لهداية البشر ، تجعله سببا في غواية يهوذا . يقول يوحنا على لسان المسيح: " الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه، فغمس اللقمة، وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطي ، فبعد اللقمة دخله الشيطان ، فقال له يسوع: ما أنت تعمله ، فاعمله بسرعة أكثر " (يوحنا ١٣/٢٦ – ٢٧) ، فقد جعل النص المسيح سببا في ضلالة يهوذا وخيانته.

ويتساءل علاء أبو بكر: كيف لم يستطع يهوذا أن يخرج الشياطين من نفسه ، وهو أحد الذين قال لهم المسيح " اشفوا مرضى ، طهروا برصا ، أقيموا موتى ، أخرجوا شياطين؟ " (متى ١٠/٨) .[1]

ويلاحظ عبد الرحمن باجي زادة أن يهوذا ممن أثنى عليهم المسيح وصحبه ، وائتمنه على أموال الجماعة، كما يلحظ أن رواية يوحنا تبرئ ساحة يهوذا ، وتظهر المسيح وقد أسلم نفسه لهم من غير أن يتلفظ يهوذا أو يشير . يقول يوحنا: " فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاءوا إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ، فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه، وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه: يسوع الناصري . قال لهم يسوع : أنا هو، وكان يهوذا مسلمه أيضا واقفا معهم .. " (يوحنا ١٨/٣ – ٧) .

فيفترض صاحب " الفارق " – بلا دليل – أنه لربما قبض على يهوذا الجنود ، وساقوه معهم ، حتى لاينذر المسيح بمجيئهم ، فتوهم من رآه بأنه دلهم على مكان المسيح ، أو لعله تاب، وحسنت توبته ، وأسلم نفسه بدلا من المسيح فصلب ، وتحقق فيه ثناء المسيح عليه .

ويؤكد عبد الكريم الخطيب بأن القول بأن يهوذا فدى المسيح وصلب بدلا عنه يحل كثيرا من إشكاليات الرواية الإنجيلية كلعن بطرس والصورة الباهتة للمسيح أمام هيرودس ، وهروب التلاميذ وتخليهم

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٤٦ ، ٤٠٧ ، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ٢٢٨ = ٢٣٠ ، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٢٢ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٥٩ .

عن المسيح .[1]

لكن إنجيل يوحنا صريح في أن دور يهوذا هو الدلالة على موضع المسيح ، فقد قام بالدور؛ إذ أوصلهم إلى مكان المسيح ، بينما بقية الأناجيل تجعل دوره تعريفهم على شخص المسيح ، بدليل أنه جعل لهم علامة عليه : تقبيله ، وهذا الذي كان .

وعلى الرغم من أهمية شخصية يهوذا فإن أحدا من أصحاب الأناجيل - سوى متى - لم يذكر شيئا عن موته ، وقد اختار له متى ميتة سريعة سبقت حتى موت المسيح ، وكأنه بذلك أراد أن يتخلص من الشخصية الغريبة ، والتي اختفت منذ تلك الفترة. يقول متى: " لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم ، ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا : قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا ... فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ، ثم مضى وخنق نفسه ، فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا : لايحل أن نلقيها في الخزانة ، لأنها ثمن دم ، فتشاوروا ، واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء " (متى ٢٧/٣-٧).

لكن (أعمال الرسل) يذكر ميتة أخرى ليهوذا، فقد قال بطرس عنه :.. "فإن هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم، وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط، فانسكبت أحشاؤه كلها " (أعمال ١/١٨) وظاهر ما بين الروايتين من تناقض .

ويرى محمد أبو الغيط الفرت أن تناقض الروايتين وسكوت بقية الأناجيل يرجع لاختفاء يهوذا عن مسرح الأحداث في تلك الليلة التي قبض عليه فيها بدل المسيح .[2]

وهنا يطرح سؤال نفسه: كيف جهل رؤساء الكهنة شخص المسيح حتى احتاجوا إلى من يدلهم عليه مقابل ثلاثين من الفضة ؛ كيف ذلك وهو الذي كان في الهيكل يعلم كل يوم (انظر : لوقا ٢٢/ ٥٢) ، وقد عرفه حتى المجوس في طفولته ؟[3] (انظر : متى ٢/١ - ١١)

وتذكر الأناجيل أن المسيح في ليلة الصلب تضرع إلى الله يدعوه أن يصرف عنه كأس الموت ، فأين كان التلاميذ في تلك اللحظات العصيبة ؟ لقد كانوا مع المسيح في البستان، لكنهم كما وصفهم لوقا " ثم

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٠٨ - ٤٠٩ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٨ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٧٥ - ٢٧٧ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٨٣ ، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح جاد ، ص ١٧٠ - ١٧٢ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٨٥ - ٤٨٨ .

(٢) انظر : قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٥٨ - ٦٠ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧١ ، ومقدمة السقا للمناظرة الحديثة ص ٤٧ ، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح جاد ، ص ١٦٨ - ١٧٠ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٠٨ - ١١٠ .

(٣) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ١/٥٨١ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٠٣ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٧١ ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٨٠ ، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٢٤ .

قام من الصلاة ، وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياما من الحزن " (لوقا ٢٢/٤٥) لكن المعهود في البشر أنهم إذا خافوا طار النوم وعز .

وينقل ديدات وعلاء أبو بكر عن علماء النفس تأكيدهم لذلك ، وأن ذلك مرده إلى فرز الغدة الكظرية لهرمون في مجرى الدم ، فيتعقب النوم ويطارده ، إذا كيف نام هؤلاء من الخوف ؟[1]

– ومن التنافر أيضا ما جاء في مرقس أن المسيح جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياما فقال: " ناموا الآن واستريحوا . يكفى . قد أتت الساعة . هو ذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة ، قوموا لنذهب ، هوذا الذي يسلمني قد اقترب " (مرقس ١٤/٤١) فكيف يتوافق قوله " ناموا الآن واستريحوا " مع قوله " قوموا لنذهب؟ " .[2] وثمة سؤال هنا: كيف يطلب الهرب وهو يعرف أنه سيؤخذ ويصلب ؟

– ومن التنافر في الرواية أن إنجيل يوحنا يظهر الحكم على المسيح ، وكأنه حكم إلهي نزل على رئيس الكهنة قيافا ، وليس حكما صادرا من مجمع للظلمة . يقول يوحنا: " فقال لهم واحد منهم . وهو قيافا كان رئيسا للكهنة في تلك السنة: أنتم لستم تعرفون شيئا ، ولاتفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ، ولا نهلك الأمة كلها ، و لم يقل هذا من نفسه ، بل إذ كان رئيسا للكهنة في تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة ، وليس عن الأمة فقط ، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد " (يوحنا ١١/٤٩ – ٥٢)

فالنص يصف قيافا بالنبوة ، وبأنه عرف أن المسيح يموت عن الشعب، فكيف يصح هذا ؟ وهو الذي حكم ظلما على المسيح بالموت ، كيف وهو أحد الظلمة الذين قال لهم المسيح " ولكن هذه ساعتكم وسلطان الظلمة " (لوقا ٢٢/٥٣)

كيف يأمر نبي بقتل نبي ، فلو صحت نبوته لكان حكمه ردة ، أو يكون قد حكم على غير المسيح . وفي محاولة للتبرير قال يوحنا فم الذهب " إن روح القدس حرك لسان قيافا لاقلبه على أن قيافا لم يخط ضد الإيمان ، بل ضد العدل والتقوى "

وينكر عليه عبد الرحمن باجي زادة ويقول بأن اللسان ليس إلا ترجمانا للقلب ، وإذا كان روح القدس هو الذي حرك قيافا ، فلم كان قيافا خاطئا ضد العدل والتقوى .[3]

وقد تعارض قيافا في فهمه لعموم الفداء وخصوصه ، فهو يفهم أن المسيح موته فداء لبني إسرائيل

---

(١) انظر مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ص ٤٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .

(٢) انظر الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٦٦ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٤٦ .

(٣) انظر إظهار الحق ، رحمة الله الهندي ، ص ٢/٣٤٧ – ٣٤٩ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٧٩ – ٣٨٣ ، ٥١٣ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧٦ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٥٩ – ٢٦٠ ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٨٠ .

بينما يوحنا في رسالته الأولى يقول " هو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا كل العالم أيضا" (يوحنا (١) ٢/٢) .[1]

ثم في محكمة قيافا النبي ما يستوجب العجب فقد طلب قيافا ورؤساء الكهنة شهودا يشهدون على المسيح زورا ، " ثم قام قوم وشهدوا عليه زورا قائلين : نحن سمعناه يقول : دعني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي ، وفي ثلاثة أيام أبني غير مصنوع بأياد " ، فقد وصفوا بأنهم شهود زور ، وهذا ليس بصحيح ، بل قد قال المسيح ذلك، ففي يوحنا " قال لهم انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيام أقيمه ، فقال اليهود في ست وأربعين سنة بني هذا الهيكل . أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه؟ " (يوحنا ١٩/٢ – ٢٠) [2] .

ثم إن الأناجيل تظهر الكهنة بصورة الورع الوجل المطبق للناموس، فقد رفضوا دخول دار الولاية عند مقابلة بيلاطس " لكي لايتنجسوا فيأكلون الفصح " (يوحنا ٢٨/١٨) ولو كان عندهم هذا الورع كما يرى علاء أبو بكر لما رضوا بإطلاق باراباس القاتل، وحكمه في شريعتهم القتل ، كما لم يكونوا ليطالبون بقتل المسيح البريء .[3]

ولكن ذلك كما أرى قد يحصل عند أمثال هؤلاء عديمي الإيمان من أصحاب الورع الزائف، ومثله مالاحظه عبد الرحمن باجي زاده في أن المؤامرة على المسيح كانت في السبت الذي يحرم على اليهود فعل الخير فيه أو الشر .[4]

– وتذكر الأناجيل أن الجميع وقف ضد المسيح وليس رؤساء الكهنة فحسب، بل حتى الجماهير كانت تنادي على بيلاطس وتقول: " اصلبه . اصلبه " وترفض إطلاقه، وتود إطلاق المجرم باراباس " كان بيلاطس يطلب أن يطلقه ، ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين : إن أطلقت هذا فلست محبا لقيصر ، كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر " (يوحنا ١٢/١٩) " فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكي يطلق لهم بالحري باراباس . فصرخوا أيضا : اصلبه ... فازدادوا جدا صراخا : اصلبه ، فبيلاطس إذن كان يريد أن يعمل للجمع ما يرضيهم " (مرقس ١١/١٥ – ١٥) .

ويتساءل عبد الرحمن باجي زادة: أين الجموع التي شفاها المسيح والتي تعد بالألوف؟ أين أولئك الذين استقبلوه وهو يدخل أورشليم راكبا على الجحش والأتان معا ؟ أين أولئك " الجمع الأكثر فرشوا ثيابهم في الطريق ، وآخرون قطعوا أغصانا من الشجر، وفرشوها في الطريق ، والجموع الذين تقدموا ، والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين أوصنا لابن داود .. ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة : من هذا ؟ " (متى ٨/٢١ – ١٠)

---

(١) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٦٠ .

(٢) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٦٧.

(٣) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٧٥ .

(٤) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٠١ .

أين ذهب هؤلاء ؟ بل أين ذهب أصحاب المروءة والشهامة ، وهم يرون المسيح يصفع ويضرب على غير ماذنب أو جريرة ؟[1]

ويعتبر أحمد عبد الوهاب القول بأن للرومان عادة في إطلاق سراح أحد المسجونين من اليهود، لايتلاءم مع أسلوب الرومان في التعامل مع الشعوب التي تسلطوا عليها ، و لم ينقل عن المؤرخين مثل ذلك .

ومثله في الغرابة أن لايطلق بيلاطس سراح المسيح ، وقد اقتنع ببراءته ، فلماذا لم يطلقه؛ فالعلة التي تذكرها الأناجيل لاتتناسب وسطوة الدولة الرومانية .

وينقل أحمد عبد الوهاب عن فنتون بشارة متى أن القول بأن بيلاطس غسل يده ليدلل على براءته من دم المسيح أمر مشكوك فيه ، إذ هي عادة يهودية أكثر منها رومانية. يقول فنتون: " ومن المستبعد أن يكون بيلاطس قد عمل شيئا كهذا " .[2]

- ذكر مرقس قصة الرجل الذي هرب عريانا فقال: " تبعه شاب لابسا إزارا على عريه " (مرقس ١٤/٥٢) ويدل هذا على أن الجو لم يكن باردا ، ومما يؤيد ذلك أن الفصح عند اليهود - حيث حصلت حادثة الصلب - يكون في شهر نيسان، ويراه عبد الرحمن باجي زاده من أشهر الصيف . والصحيح أنه من أشهر الربيع.

لكن يوحنا يذكر ما يفيد أن الجو كان باردا ، فقد وقف بطرس يوم محاكمة المصلوب، يحتمي من البرد بالنار يقول يوحنا: " وسمعان بطرس كان واقفا يصطلي " (يوحنا ١٨/٢٥) فجمع الإنجيليون الصيف والشتاء في يوم واحد .[3]

- ثم إن بطرس - الذي يحتل في المسيحية مكانا بارزا، وجعلت الأناجيل بيده مفاتيح السماوات والأرض - أنكر المسيح في تلك الليلة ثلاث مرات، وأضاف إلى الإنكار حلفا ولعنا ، و لم تحدد الأناجيل الملعون هل هو يلعن نفسه أم المسيح ؟ أم ....

لكن هذا لايتفق مع خصوصية بطرس الذي قال له المسيح " ولكني طلبت من أجلك ، لكي لايفنى إيمانك ، وأنت متى رجعت ، ثبت إخوانك " (لوقا ٢٢/٣٢) .

كما أن الحلف منهي عنه عند النصارى ، فكيف حلف بطرس والمسيح يقول " لاتحلفوا البتة .. ،

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٩٢ ، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٨٢ ، المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٢٨ .

(٢) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦١ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ٩٥ - ٩٧

(٣) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٨٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٥٢ .

بل ليكن كلامكم نعم نعم ، لا لا ، ومازاد على ذلك فهو شر " (متى ٥/٣٤ - ٣٧) .

وعليه فبطرس شرير، حلف كاذبا، والتوراة تقول: " .. لاتنطق باسم الرب إلهك باطلا " (الخروج ٢٠/٧) و " لاتحلف باسمي للكذب ، فتدنس اسم إلهك ، أنا الرب " (اللاويين ١٩/١٢) وخروج بطرس عن هذه الأحكام يجعله ملعونا " ملعون من لايقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها " (التثنية ٢٧/٢٦) .[1]

ويرى محمد وصفي أنه لايمكن أن يصدر هذا الحلف واللعن من بطرس ، فلا يمكن أن يهون عليه سيده إلى هذا الحد ، ولو فعل ذلك لما كان مستحقا لاسم الإيمان ، فضلا عن المعجزات والخصائص المذكورة في حقه في الأناجيل ، وعليه، فإنه كان صادقا في حلفه ولعنه ، إذ المصلوب ليس المسيح ، بل غيره .[2]

- وتظهر الأناجيل المسيح على الصليب غاية في الضعف والهوان ، يستجديهم الماء وهو يرى شماتتهم ، ثم يسمعهم صراخه ....ولايتطابق هذا مع ما عرف عن شخصية المسيح القوية، والتي تحدى فيها اليهود بأنهم سيطلبونه ولايجدونه (انظر يوحنا ٧/٢٣) ، أو المسيح الذي دخل الهيكل فطرد الصيارفة (انظر مرقس ١١/١٥) ، وصام أربعين يوما قبل (انظر متى ٤/٢) .

ويتساءل الخطيب لم كل هذا الجزع ، وممن ؟ من المسيح الذي يدعون ألوهيته !! كيف يصدر هذا الخور منه وهو القائل لتلاميذه " لاتضطرب قلوبكم ولا ترهب سمعتم أني قلت لكم : أنا أذهب ثم آتي إليكم ، لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأني قلت : أمضي إلى الآب " (يوحنا ١٢/٢٧ - ٢٨) [3]

- ويذكر الإنجيليون قيامه المسيح بعد الموت وهذه - كما سبق - أحد أكثر موضوعات الأناجيل إثارة، لما في رواياتها من تناقض وتنافر .

ويتساءل علاء أبو بكر: لم ظهر المسيح لتلاميذه و لم يظهر لأعدائه ؛ فهذا أظهر لحجته ، وأدعى للإيمان به ، كما يتساءل عن موقف الكهنة وقد علموا من الحراس بخروج المسيح من القبر : كيف سكتوا عن ذلك، إن الأناجيل لاتذكر أنهم حركوا ساكنا ، وكأن الأمر لايعنيهم .[4]

- وممن لايصح غيابه في مثل هذا الموطن: أم المسيح التي لم يذكرها الإنجيليون ضمن زائرات القبر

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٩٤ ، ٣٩٩ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٦٣ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٣٣ .

(٢) انظر: المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام،محمد وصفي،ص١٧٥،مقارنة بين الأناجيل الأربعة،محمد الخولي،ص ٨٢ .

(٣) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ١/٥٩٧ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٧٤ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٥٨ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ ، ٢٤٣ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٤٦ .

(٤) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٤٣ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١٣٦.

فجر يوم الأحد ، فهل كان أمر المصلوب لايعنيها لأنه ليس ابنها ؛ أم فقدت حنان الأمومة ، فيما لم يفقد النسوة خلق الوفاء ؟[1]

– وغير ذلك من التنافرات الكثيرة التي ذكرها علماؤنا وأثاروها في وجه الأناجيل الأربعة، مما يطول البحث بتعقبه واستقرائه .

وأنبه هنا إلى أن إنكار قيامة المسيح قديم، فهاهم أهل باغوس يحدثهم بولس "ولما سمعوا بالقيامة من الأموات كان البعض يستهزئون ، والبعض يقولون سنسمع منك عن هذا أيضا " (أعمال ١٧/٣٢) [2] ، ومما يدل على عدم صحتها: جهل تلاميذ المسيح بها " لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب ، أنه ينبغي أن يقوم من الأموات " (يوحنا ٢٠/١٠) وعليه فإن فكرة سرقة الجسد من القبر كان إشاعة قديمة لتبرير القيامة.

وكذا، فإن روايات الظهور كلها يرفضها منصور حسين لما فيها من تناقضات كما أسلفنا، ولأن تلاميذ المسيح الذين ظهر لهم لم يعرفوه ، ثم أصبح مجرد أن كسر وبارك للتلميذين المنطلقين لعمواس ، أصبح مجرد ذلك دليلا على أنه المسيح ، وتصبح الإشاعة حقيقة . ويستدل أيضا بتجاهل الإنجيليين لتكرار الظهور للتلاميذ، ولو كان ذلك حقا لأطبقت على ذكره الأناجيل .[3]

ومن الأدلة على كذب القيامة: وجود المسيح وظهوره ، فوجوده دليل على أنه لم يمت، لأن التوراة تقول: " السحاب يضمحل ويزول ، هكذا الذي يترل إلى الهاوية لا يصعد " (أيوب ٧/٩) ولو كان المسيح قد مات لايرونه بعد لأنه قال: " لأني ذاهب إلى أبي ، ولا ترونني أيضا " (يوحنا ١٦/١) ويؤكد هذا قوله: "الحق الحق أقول لكم ، إنكم لاترونني حتى يأتي وقت تقولون فيه مبارك الآتي باسم الرب" (لوقا ١٣/٥).[4]

وهكذا ومن خلال هذا كله يتبين لنا أن الروايات الإنجيلية أقل بكثير من أن تصلح للاعتبار في مسألة مهمة كهذه إذ هي عمل بشري ممتلئ بسائر أنواع الضعف البشري .

---

(١) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٦٦ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٣٥ .

(٢) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٨ .

(٣) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٤١ – ٢٥٠ .

(٤) انظر : المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧٢ – ١٧٣ .

المطلب الثاني: إبطال الصلب بالدليل التاريخي

يدعي النصارى أن المسلمين بقولهم بنجاة المسيح من الصلب ينكرون حقيقة تاريخية أجمع عليها اليهود والنصارى الذين عاصروا صلب المسيح ومن بعدهم .

فكيف لنبي الإسلام وأتباعه الذين جاءوا بعد ستة قرون من الحادثة أن ينكروا ذلك؟ !!

قد يبدو الاعتراض النصراني وجيها لأول وهلة ، لكن عند التأمل في شهادة الشهود تبين لنا تناقضها وتفكك رواياتهم .

ولدى الرجوع إلى التاريخ والتنقيب في رواياته وأخباره عن حقيقة حادثة الصلب ، ومن المصلوب فيها ؟ يتبين حينذاك أمور مهمة : -

- أن قدماء النصارى كثر منهم منكرو صلب المسيح، وقد ذكر المؤرخون النصارى أسماء فرق كثيرة أنكرت الصلب .ونقل علماؤنا أسماء هذه الفرق. و لم يعرفوا بأصحابها ولا زمان نشأتها .

وهذه الفرق هي : الباسيليديون والكورنثيون والكاربوكراتيون والساطرينوسية والماركيونية والبارديسيانية والسيرنثييون والبارسكاليونية والبولسية والماينسية ، والتايتانيسيون والدوسيتية والمارسيونية والفلنطانيائية والهرمسيون.[1]

وبعض هذه الفرق قريبة العهد بالمسيح ، إذ يرجع بعضها للقرن الميلادي الأول ففي كتابه " الأرطقات مع دحضها " ذكر القديس الفونسوس ماريا دي ليكوري أن من بدع القرن الأول قول فلوري : إن المسيح قوة غير هيولية ، وكان يتشح ما شاء من الهيئات ، ولذا لما أراد اليهود صلبه؛ أخذ صورة سمعان القروي ، وأعطاه صورته، فصلب سمعان ، بينما كان يسوع يسخر باليهود ، ثم عاد غير منظور، وصعد إلى السماء .[2]

ويبدو أن هذا القول استمر في القرن الثاني، حيث يقول فنتون شارح متى: " إن إحدى الطوائف الغنوسطية التي عاشت في القرن الثاني قالت بأن سمعان القيرواني قد صلب بدلا من يسوع " .[3]

وقد استمر إنكار صلب المسيح ،فكان من المنكرين الراهب تيودورس(٥٦٠م)والأسقف يوحنا ابن

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٥٦٥ ،محمد في الكتاب المقدس ، عبد الأحد داود ، ترجمة : فهمي شما ، مطابع الدوحة الحديثة ، ص ٢٢٧ قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٣ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٣٠ ، ٤٢ - ٤٣ ، ١٠١ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٤ ، وعيسى رسول الإسلام سليمان شاهد مفسر ص ٢٢ ، والنصرانية، مصطفى شاهين ص ٨١ - ٨٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣١٨ - ٣١٩،الأديان في القرآن ، محمود بن شريف،ص ٢٢١ .

(٢) انظر : أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ص ٧٥ .

(٣) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

حاكم قبرص(٦١٠م) وغيرهم.

ولعل أهم هذه الفرق الباسيليديون؛ الذين نقل عنهم سيوس في " عقيدة المسلمين في بعض مسائل النصرانية " والمفسر جورج سايل أنهم يقولون بنجاة المسيح، وأن المصلوب هو سمعان القيرواني ، وسماه بعضهم سيمون السيرناي ، ولعل الاسمين لواحد، وهذه الفرقة كانت تقول أيضا ببشرية المسيح .

ويقول باسيليوس الباسليدي " إن نفس حادثة القيامة المدعى بها بعد الصلب الموهوم هي من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذات المسيح " .

ويرى عبد الرحمن باجي زادة أن شهادة باسيليوس معتبرة وقوية ، لأنه من أهل سوريا ، وهم من أقرب الناس إلى الحدث ، فشهادتهم فيه قوية .[١] ولعل هؤلاء هم الذين عناهم جرجي زيدان حين قال: " الخياليون يقولون: إن المسيح لم يصلب ، وإنما صلب رجل آخر مكانه "[٢]

ومن هذه الفرق التي قالت بصلب غير المسيح بدلا عنه : الكورنثيون والكاربوكرايتون والسيرنثيون .

وقالوا بصلب يهوذا الذي يذكر المستشرق المفسر جورج سايل بأنه كان يشبه المسيح في خلقه .[٣] ومما يؤيد هؤلاء: الخلاف في كيفية موت يهوذا، وثمة فرق نصرانية قالت بأن المسيح نجا من الصلب ، وأنه رفع إلى السماء ، ومنهم الروسيتية والمرسيونية والفلنطنيائية . وهذه الفرق الثلاث تعتقد ألوهية المسيح ، ويرون القول بصلب المسيح وإهانته لايلائم البنوة والإلهية .[٤]

بينما يعتبر الباسيليديون والكورنثيون من الفرق الموحدة .[٥]

كما تناقل علماء النصارى ومحققوهم إنكار صلب المسيح في كتبهم وأهم من قال بذلك الحواري برنابا في إنجيله .[٦]

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٦٥ - ٤٦٦ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٣ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠١ ،الأديان في القرآن ، محمود بن شريف ، ص ٢٢١،النصرانية ، مصطفى سليمان شاهد مفسر ص ٢٢ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ٧٥ .

(٣) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٣ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٣٠ ، ٤٢ - ٤٣ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣١٨ .

(٤) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٦٥ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٣ ، والنصرانية ، مصطفى شاهين ص ٨١ - ٨٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ،ص ٣١٨

(٥) انظر : عيسى رسول الإسلام ، سليمان شاهد مفسر ص ٢٢ .

(٦) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٣ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٣٠، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٢ ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ص ٧٥ وغيرهم .

ويقول ارنست دي بوش الألماني في كتابه " الإسلام :أي النصرانية الحقة " ما معناه إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ، ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح ، لا في أصول النصرانية الأصلية .

ويقول ملمن في كتابه " تاريخ الديانة النصرانية " : " إن تنفيذ الحكم كان وقت الغلس ، وإسدال ثوب الظلام ، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم كما اعتقد بعض الطوائف، وصدقهم القرآن " .(١)

وينقل الجبهان ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية في موضوع روايات الصلب حيث جعلتها أوضح مثال للتزوير في الأناجيل .(٢)

وكان الألماني فنتيو ديني في بداية القرن التاسع عشر يكذب الأناجيل القائلة بموت المسيح على الصليب ، ويقول بإنزال المسيح عن الصليب حيا ، فيقول " يسوع قد أغمي عليه فقط ، ثم أفاق فيما بعد نتيجة لبرودة القبر المنحوت في الصخرة " .(٣)

ومن المنكرين أيضا صاحب كتاب " الدم المقدس ، وكأس المسيح المقدس " فقد ذكر في كتابه أن السيد المسيح لم يصلب ، وأنه غادر فلسطين ، وتزوج مريم المجدلية ، وأنهما أنجبا أولادا ، وأنه قد عثر على قبره في جنوب فرنسا ، وأن أولاده سيرثون أوربا، ويصبحون ملوكا عليها .

وذكر أيضا أن المصلوب هو الخائن يهوذا الأسخريوطي، الذي صلب بدلا من المسيح المرفوع .(٤)

وإذا كان هؤلاء جميعا من النصارى ، يتبين أن لا إجماع عند النصارى على صلب المسيح ، فتبطل دعواهم بذلك .

ويذكر معرب " الإنجيل والصليب " ما يقلل أهمية إجماع النصارى لوصح فيقول بأن أحد المبشرين قال له : كيف ينكر وقوع الصليب ، وعالم المسيحية مطبق على وقوعه ؟

فأجابه كم مضى على ظهور مذهب السبتيين ؟ فأجاب القس المبشر : نحو أربعين سنة .

فقال المعرب : إن العالم المسيحي العظيم الذي أطبق على ترك السبت خطأ ١٩٠٠ سنة ، هو الذي أطبق على الصلب .(٥)

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٦٦ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٣ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦١ - ٦٢ ، النصرانية ، مصطفى شاهين ص ٨٣ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣١٨ .

(٢) انظر : معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٢ .

(٣) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٤ .

(٤) انظر : دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٣٠ - ٥٣١ .

(٥) انظر : الإنجيل والصليب ، عبد الأحد داود ، ص ٦٩ .

وأما إجماع اليهود فهو أيضا لايصح القول به ، إذ أن المؤرخ اليهودي يوسيفوس المعاصر للمسيح والذي كتب تاريخه سنة ٧١م أمام طيطوس لم يذكر شيئا عن قتل المسيح وصلبه .

أما تلك السطور القليلة التي تحدثت عن قتل المسيح وصلبه ، فهي إلحاقات نصرانية كما جزم بذلك المحققون وقالوا : بأنها ترجع للقرن السادس عشر ، وأنها لم تكن في النسخ القديمة .

وكذلك خلا التلمود من الحديث عن الصلب ، ويبدو أ ن هذا الإغفال كان متعمدا كما قال إسرائيل ولفنون : تعمده اليهود خوفا من القلاقل .[1]

ونقول بأن تجاهل التلمود واليهود لرواية صلب المسيح لايمكن اعتباره إقرارا بذلك، إذ لاينسب لساكت قول .

ولو صح أنه كان في التلمود ذكر الصلب ، ثم حذف منه، فإن الخلاف بيننا وبين اليهود قائم في تحقيق شخصية المصلوب ، وليس في وقوع حادثة الصلب . ﴿ وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ﴾[2] وهذا حال اليهود والنصارى فيه . ولكن المؤرخ الوثني تاسيتوس كتب عام ١١٧م كتابا تحدث فيه عن المسيح المصلوب.

وعند دراسة ما كتبه تاسيتوس، يتبين ضعف الاحتجاج بكلامه، إذ هو ينقل إشاعات ترددت هنا وهناك ، ويشبه كلامه أقوال النصارى في محمد ﷺ في القرون الوسطى .

ومما يدل على ضعف مصادره، ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية، من أنه ذكرا أمورا مضحكة، فقد جعل حادثة الصلب حادثة أممية ، مع أنها لاتعدو أن تكون شأنا محليا خاصا باليهود ، ولاعلاقة لروما بذلك .

ومن الجهل الفاضح عند هذا المؤرخ، أنه كان يتحدث عن اليهود – ومقصده : النصارى. فذكر أن كلوديوس طردهم من رومية ، لأنهم كانوا يحدثون شغبا وقلاقل يحرضهم عليها " السامي " أو " الحسن " ويريد بذلك المسيح .

ومن الأمور المضحكة التي ذكرها تاسيتوس قوله عن اليهود والنصارى بأن لهم إلها، رأسه رأس حمار ، وهذا هو مدى علمه بالقوم وخبرته .

كما قد شكك المؤرخون بصحة نسبة العبارة إلى تاسيتوس ، ومنهم العلامة أندريسن وصاحبا كتابي " ملخص تاريخ الدين " و " شهود تاريخ يسوع " .

وقد تحدث أندريسن أن العبارة التي يحتج بها النصارى على صلب المسيح في كلامه مغايرة لما في النسخ القديمة التي تحدثت عن CHRESTIANOS بمعنى الطيبين ، فأبدلها النصارى ، وحوروها

---

(١) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٨٥ ، دين الله في كتب أنبيائه ، محمد توفيق صدقي أفندي ، ص ٧٩ ، المسيحية أحمد شلبي ص ٧٦ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٠٥ ، ومخطوطات البحر الميت . أحمد عثمان ص ١٤٤ .

(٢) انظر : سورة النساء ، آية : ١٥٧ .

إلى : CHRISTIANOS بمعنى المسيحيين .

وقد كانت الكلمة الأولى (الطيبين) تطلق على عباد إله المصريين "أوزيريس" ، وقد هاجر بعضهم من مصر، وعاشوا في روما ، وقد مقتهم أهلها وسموهم : اليهود ، لأنهم لم يميزوا بينهم وبين اليهود المهاجرين من الإسكندرية، فلما حصل حريق روما؛ ألصقوه بهم بسبب الكراهية ، واضطهدوهم في عهد نيرون .

وقد ظن بعض النصارى أن تاسيتوس يريد مسيحهم الذي صلبوه ، فحرف العبارة، وهو يظن أنه يصححها . ويرى العلامة أندريسن أن هذا التفسير هو الصحيح .

ويراه الأفندي معقولا ، وإلا كان هذا المؤرخ لايعرف الفرق بين اليهود والنصارى ، ويجهل أن ليس ثمة علاقة بين المسيح وروما .

فإن قال النصارى بأن تاسيتوس نقله من مصدر رسمي يصرح فيه بصلب المسيح ؛ فيقال بأن المصدر يعتمد على كلام بيلاطس ، وهو ممن لايعرف الحقيقة ، وشبه له كما شبه لرؤساء الكهنة والتلاميذ .[1]

كما لاحظ علماؤنا أن القصة بعمومها تشكل من الناحية التاريخية لليهود ، فمثلا كيف تنصاع الحكومة الرومانية المعروفة بتسلطها لليهود وتجيبهم لطلبهم قتل المسيح . وهم الذين قال عنهم المؤرخ أرنست رنان : " إن الحكومة الرومانية تجهد في نيل هذا المطلوب حتى كادت معالم اليهودية أن تمحى من صحيفة الوجود " ؟[2]

ويحاول إسرائيل ولفنون الإجابة عن هذا فيقول بأن المسيح كان من حزب مضاد للرومان ، فأغروا اليهود ليشتكوا عليه ، وصلبوه .[3]

ولكن هذا لادليل عليه ، بل إن الروايات مصرحة بدور اليهود الكامل في المؤامرة على المسيح ، وبراءة الوالي الروماني من ذلك .

والذين يقولون بأن حادثة الصلب بجملتها مركبة في أخيلة الإنجيليين، تناقلها بعضهم عن بعض: يستدلون لذلك بأن الصلب ليس شريعة لليهود؛ بل عقوبة من يدعي الإلهية — كما ادعوا عليه في المحاكمة — هي الرجم، فقد جاء في سفر التثنية " إذا وجد في وسطك في أحد أبوابك التي يعطيك الرب إلهك رجل أو امرأة يفعل شرا في عيني الرب إلهك بتجاوز عهده ، ويذهب ويعبد آلهة أخرى ... ارجمه بالحجارة حتى يموت " (التثنية ١٧/٢ – ٦) .

فصلب المسيح ليس شريعة يهودية ، فشريعتهم عند الصلب أن يكون التعليق بعد الموت " وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل ، وعلقته على خشبة؛ فلا تبت جثته على الخشبة ، بل تدفنه في ذلك

---

(١) انظر: عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٩٤ – ٩٧ .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٦٧ .

(٣) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٨٥ .

اليوم " (التثنية ٢١/٢٢ - ٢٣)

ثم إن الرومان لايصلبون على الجرائم الدنيئة ، فكيف صلب معه اللصان ؟ .[1]

وهنا يبرز سؤال: ما هي الجريمة التي ارتكبها المسيح حتى يحكموا عليه بالصلب ؟

الأناجيل تبرز إجابتين مختلفتين، ففي محاكمة المسيح أمام رئيس الكهنة كانت جريمته ادعاء الألوهية ففي متى أنه قال له: " أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟ " ولما قال المسيح: " من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة، وآتيا على سحاب السماء " اعتبروها دليلا على ادعائه الألوهية " فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا : قد جدف ، ما حاجتنا بعد إلى شهود ، ها قد سمعتم تجديفه . ماذا ترون ؟ فأجابوه وقالوا : إنه مستوجب الموت" . (متى ٢٦/٦٢ - ٦٦) وأما السبب الثاني فهو الذي ذكر في بلاط بيلاطس، وهو أن المسيح ادعى أنه ملك اليهود " فوقف يسوع أمام الوالي ، فسأله الوالي قائلا أأنت ملك اليهود ؟ (متى ٢٧/١١) وهو ما كتبه الوالي فوق المصلوب " وجعلوا فوق رأسه علته مكتوب هذا هو يسوع ملك اليهود " (متى ٢٧/ ٣٧) (وانظر : يوحنا ١٨/٢٩ - ٣٨) .

ويتعلق النصارى بالرأي الأول ويرونه السبب الحقيقي ، وأما الثاني فيبدو أنه كان لإجبار بيلاطس على الحكم بقتل المسيح (انظر : يوحنا ١٩/١٢) لكن "المجذوب" يقرر أن الذي ادعاه النصارى ليس بصحيح فقد كشف عام ١٨٢٠م أيام حملة نابليون على عكا أنه عثرت بعثة الجيش الفنية على صفحة برونزية ضمن وعاء من الرخام الأبيض ، وفيها صورة الحكم الجنائي الذي أصدره بيلاطس على المسيح . وصيغته كما أوردته مجلة "الإيمان" المسيحية الصادرة عن البطريركية الأرثوذكسية بدمشق : " نحن بيلاطس النبطي حاكم الجليل الأدنى ، المتسنم رئاسة مجلس الشيوخ نحكم على يسوع الناصري بالموت على الصليب بين لصين للأسباب التالية :

١) أن يسوع مضلل . ٢) أنه ضال .

٣) أنه عدو للقانون الروماني . ٤) أنه يدعي نبوة الله باطلا .

٥) أنه يدعي ملك إسرائيل باطلا ٦) أنه دخل الهيكل والجموع تتبعه بسعف النخل .....

وبناء عليه فإن بيلاطس يأمر كرنيوس كيو نيليوس قائد المائة أن يقود المجرم إلى مكان العقاب ، ويحظر على أي شخص أن يسترحم السلطة بشأن هذا العقاب " .[2]

فلو صح أن هذا هو قرار بيلاطس؛ فهو صفعة للقائلين بألوهيته ؛ إذ لايوجد من الناحية الدينية ما هو أكثر من ادعاء النبوة .

---

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٨٤ ، ٨٧ ، وانظر مخطوطات البحر الميت ، أحمد عثمان ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٢) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

ويلمس "المجذوب" أيضا قسوة في قرار بيلاطس، تتعارض مع تعاطفه مع المسيح ، وتفسيره كما يرى المجذوب أن بيلاطس أطلق باراباس لتتفرق الجموع ، وأقنعهم بقسوة القرار بجديته في تطبيقه ، فتفرقوا، فساق جنده غير المسيح وصلبوه .(1)

ولاشك أن كلام "المجذوب" هنا محتمل ، لكنه ضعيف .

والذي أراه أن الوثيقة برمتها ليست لها تلك الأهمية ، فهي لاتعدو أن تكون عملا قام به متـــأخرون، أرادوا تخليد هذا القرار ، ولايعلم وجه الدقة في نقلهم ، أو في مصادرهم ، ولو وقفنا على قرار بيلاطـــس في وثيقته الأصلية لكان للوثيقة ذلك الاهتمام .

ويورد "محمد المجذوب" كشفا أثريا مهما تناقلته وكالات الأنباء، وبثتـــه إذاعـــة لنـــدن في صبـــاح ١٣٩٠/١١/٨هـــ ، والخبر يذكر أنه اكتشف علماء الآثار الإسرائيليون ما يصفونه بأنه أول دليـــل مـــادي على صلب المسيح ، فقد اكتشف وجود عظام في إحدى المقابر القديمة، في الشمال الشـــرقي في القـــدس ، وهي بقايا لرجل تعرض للصلب ، وثبت بالمسامير قبل نحو ألفي عام ، ومـــع ذلـــك فـــإن علمـــاء الآثـــار الإسرائيليين يستبعدون أن تكون العظام عظام السيد المسيح نفسه .

ويلحظ "المجذوب" ما في الخبر من اضطراب، فقد اعتبر أول دليل على صلب المسيح، مع أن العظـــام ليست عظام المسيح .

لكن الخبر دليل واضح على مايقوله المسلمون من وقوع الصلب على آخر غير المسيح ، وأما المســيح : فقد سلم بجسده وروحه من الصلب ، ولايمكن الجزم بعلاقة هذا الكشف الأثري بالمسيح، لأنه كـــم مـــن رجل صلب في ذلك الزمان .(2)

وهكذا فإن التاريخ أيضا ناطق بالحقيقة ، مثبت لما ذكره القرآن عن نجاة المسيح وصلب غيره .

---

(١) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ١٨٣ .

(٢) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ١٧٩ - ١٨١ .

المطلب الثالث : إبطال الصلب بنبوءات التوراة

تحتل النبوءات في الفكر المسيحي مكانة سامقة ، جعلت بعض النصارى يشترطون لصحة النبوة أن يسبقها نبوءة [1]

وحادثة صلب المسيح – كما يعتبرها النصارى – أحد أهم أحداث المعمورة ، فكان لابد وأن يتحدث عنها الأنبياء في أسفارهم ، وأن يذكرها المسيح لتلاميذه .

فهل أخبرت الأنبياء بصلب المسيح وقيامته ؟ وهل أخبر المسيح تلاميذه بذلك ؟والإجابة النصرانية عن هذا التساؤل كانت بالإيجاب ، وأن ذلك في مواضع كثيرة من الأناجيل والرسائل والأسفار التوراتية .

ولعل من نافلة القول أن نذكر بأن النصارى يعتبرون أسفار التوراة جزء مقدسا كتابهم المقدس ، كيف لا والأناجيل ما فتئت تحيل إلى هذه الأسفار، تستمد منها تنبؤاتها المستقبلية، التي تحققت في شخص المسيح في حياته أو حين صلبه ؟.

وللأسفار التوراتية دور عظيم في مسألة صلب المسيح ، فقد أكثرت الأناجيل في هذه القصة من الإحالة إلى أسفار التوراة؛ التي يرونها تتنبأ بالمسيح المصلوب ، وكانت نصف هذه الإحالات إلى المزامير المنسوبة لداود وغيره وقد ذكر عيسى عليه السلام لتلاميذه ضرورة أن تتحقق فيه النبوءات التوراتية بقوله: "لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير" (لوقا ٢٦/٤٤) ويقول : " فتشوا الكتب .... وهي التي تشهد لي " (يوحنا ٥/٣٩) والنبوءات التي أحالت إليها الأناجيل بخصوص حادثة الصلب أربع عشرة نبوءة ، ذكر متى منها ستا ، ومرقس أربعا، ولوقا اثنتين، بينما ذكر منها يوحنا سبع نبوءات .

ونخلص من هذا إلى أهمية النبوءات التوراتية المتعلقة بصلب المسيح .

ويبالغ النصارى في التركيز على أهمية النبوءات التوراتية المتحدثة والمشيرة للمسيح وكثرتها، فيقول القمص سرجيوس في كتابه " هل تنبأت التوراة عن المسيح " : " فالمسيح ساطع في كل الكتاب المقدس في إشراق دائم ، وليس كالشمس التي تغيب عن نصف الأرض ليلا ، إذ ليس في التوراة أو كتب الأنبياء جزء تغرب عنه شمس المسيح ، بل يشع اسمه، وشخصه ، وصفاته ، وأعماله، وظروفه ، وأحواله في التوراة ، وكتب الأنبياء ، وفي ثنايا سطورها نجد المسيح في كل جملة ، وفي كل إصحاح ، وفي كل سفر من أسفارها . وما حروفها وكلماتها إلا خطوطا أو ظلالا لصورة المسيح المجيدة .... فنحن المسيحيين لانهتم أين نفتح التوراة وكتب الأنبياء لنجد الكلام عن المسيح .... " [2] ورغم ما في الكلام من مبالغة ،

---

(١) انظر : الدين والدولة في إثبات نبوة محمد ﷺ، على بن ربن الطبري ، ص ٤٨ .

(٢) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٧٢ – ٧٤ .

فإننا – كما يقول منصور حسين – نستشف منه أهمية النصوص التوارتية في الدلالة على المسيح .

ولسفر المزامير وموضوع الصلب شان خاص يصفه سرجيوس فيقول " أما سفر المزامير فكان الهالـــة ، التي أحاطت بكوكب يسوع، فتكلم حتى عن إحساساته العميقة، وآلامه المبرحة ناهيك عن صفاته وألقابـــه، أكثر من أي نبي آخر ، ويمكننا القول، أن سفر المزامير هو سفر "مسيا" الخاص ، بدليل أن الاقتباسات الـــتي اقتبسها كتبة العهد القديم من سفر المزامير هذا بلغت نصف الاقتباسات المأخوذة من العهد القديم كله " [1]

ويؤكد عبد الفادي القاهراني أهمية المزامير في كتابه " رب المجد " بقوله : " لم يوجد كتـــاب ملـــيء بالإشارات والرموز والنبوءات عن المسيح أكثر من كتاب المزامير هذا ، وعليه فأهميته في نظـــر اللاهوتيـــين تفوق الوصف " [2]

وحين استدل النصارى بما في المزامير فإن صاحب " الفارق " رفض اســـتدلالهم، وقـــال " إن هـــذا الإشكال لايرد علينا ، ولايصح أن يكون حجة ، لأن التحريف في هذه الكتب قد ثبت ثبوتا قطعيا بـــإقرار العلماء من سائر الفرق النصرانية " [3]

لكن منصور حسين ومن تابعه من العلماء ارتضوا محاكمة النصارى في هذه المسألة إلى أسفار التوراة.

ويبرر منصور حسين ذلك بأنه ليس من المقبول أن يتصور أحد أن اليهود يغيرون كتبهم لتتمشى مـــع معتقدات النصارى ، لذا فهو يرتضي هذه الكتب معيارا للكشف عن الحقيقة .

وكمقدمة لجهده الرائع، يمايز منصور حسين بين الرأي الإسلامي والنصراني ويحدد موضع الخلاف .

فيرى أن النصارى يقولون بصلب المسيح بينما يقول المسلمون بأنه لم يصلب، وأنه قـــد شـــبه غـــير المسيح به ، ولاينفون وقوع صلب لغيره ،كما لاينفون جملة ما ترويه الأنـــاجيل مـــن أحـــداث صـــاحبت الصلب أو سبقته ، فالخلاف إنما هو في حقيقة المأخوذ والمصلوب ، فيري منصور حسين أنه يـــهوذا، كمـــا سيتبين لنا تفصيله في حينه .

وللوصول إلى الحقيقة يقلب صفحات الأسفار التوراتية: مركزا على المزامير لأهميتها ، فقام بدراســـة ست وثلاثين مزمورا[4] ، يرى النصارى في كثير منها أنها تتحدث عن المسيح المصلوب .

ولسوف نستعرض منها في هذه الدراسة ستة مزامير فقط ، والمزامير الستة التي اختارها، يجمعها أنهـــا

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٧٤ و"مسيا" مشتقة من الكلمـــة اليونانيـــة "مسياس" وتعنى المسيح . انظر : قاموس الكتاب المقدس ص ٨٩٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٥ .

(٣) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٥٩ .

(٤) وقد تجاهل منصور حسين خمسة وعشرين مزمورا آخر تتكامل مع نظريته في أن المصلوب يهوذا ، ولعل تجاهله لها خشـــية الإطناب والتكرار . وهذه المزامير هـــي ١١ ، ١٣ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٧٥ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ .

مما يعتبره النصارى نبوءات تحدثت عن المسيح المصلوب .

أولا : المزمور الثاني وفيه: " لماذا ارتجت الأمم ، وتفكر الشعوب في الباطل ، قام ملوك الأرض ، وتآمر الرؤساء معا على الرب ، وعلى مسيحه، قائلين : لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما .

الساكن في السماوات يضحك ، الرب يستهزئ بهم ، حينئذ يتكلم عليهم[1] بغضبه ، ويرجفهم بغيظه " (المزمور ٢/١ - ٥) .

والمزمور : يراه النصارى نبوءة بالمسيح الموعود. يقول "د.هاني رزق" في كتابه " يسوع المسيح ناسوته وألوهيته "عن هذا المزمور: " وقد تحققت هذه النبوءة في أحداث العهد الجديد ، إن هذه النبوءة تشير إلى تآمر وقيام ملوك ورؤساء الشعب على يسوع المسيح لقتله وقطعه من الشعب ، وهذا ما تحقق في أحداث العهد الجديد في فترتين ، في زمان وجود يسوع المسيح له المجد في العالم " ويقصد تآمر هيرودس في طفولة المسيح ، ثم تآمر رؤساء الكهنة لصلب المسيح .

ووافقه "فخري عطية" في كتابه "دراسات في سفر المزامير" و"حبيب سعيد" في "من وحي القيثارة " وويفل ل كوبر في كتابه"مسيا عمله الفدائي" وياسين منصور في "الصليب في جميع الأديان "فيرى هؤلاء جميعا أن المزمور نبوءة بالمسيح المصلوب .

ولايرى منصور حسين مانعا في موافقتهم بأن المزمور نبوءة عن المسيح ، فالمزمور يتحدث عن مؤامرات اليهود عليه ، وهذا لا خلاف عليه بين المسلمين والنصارى ، وإنما الخلاف: هل نجحوا أم لا ؟ فبماذا يجيب النص ؟ يجيب بأن الله ضحك منهم واستهزأ بهم ، هل يكون ذلك لنجاحهم في صلب المسيح ، أم لنجاته من بين أيديهم ؟

ويبالغ منصور حسين في إنصافه العلمي ، فيرى أن النص لاينبئ تماما بنجاة المسيح وإن أومأ إليه لكنه في الحقيقة يستحيل أن يدل على صلب المسيح .[2]

ثانيا : المزمور السابع وفيه " يارب، إلهي عليك توكلت، خلصني من كل الذين يطردونني، ونجني لئلا يفترس كأسد نفسي، هاشما إياها، ولامنقذ .

يارب، إلهي، إن كنت قد فعلت هذا، إن وجد ظلم في يدي ، إن كافأت مسالمي شرا ، وسلبت مضايقي بلا سبب ، فليطارد عدو نفسي ، وليدركها، وليدس إلى الأرض حياتي ، وليحط إلى التراب مجدي ،سلاه، قم يارب بغضبك ، ارتفع على سخط مضايقي ، وانتبه لي. بالحق أوحيت، ومجمع القبائل يحيط بك ، فعد فوقها إلى العلا ، الرب يدين الشعوب ، اقض لي يارب كحقي ، ومثل كمالي الذي في ، لينته شر الأشرار، وثبت الصديق ، فإن فاحص القلوب والكلى : الله البار ، ترسي عند الله مخلص مستقيمي القلوب. الله قاض عادل، وإله يسخط كل يوم، إن لم يرجع يحدد سيفه: مد قوسه وهيأها، وسدد نحوه آلة

---

(١) كذا والصواب يتكلم عنهم .

(٢) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٨٧ - ٨٩ .

الموت ، يجعل سهامه ملتهبة . هو ذا يمخض بالإثم ، حمل تعبا ، وولد كذبا ، كرى جبا حفره ، فسقط في الهوة التي صنع ، يرجع تعبه على رأسه ، وعلى هامته يهبط ظلمه . أحمد الرب حسب بره ، وأرنم لاسم الرب العلي ". (مزمور ٧/١-١٧)

جاء في كتاب " دراسات في المزامير " لفخري عطية : " واضح أنه من مزامير البقية ، إذ يشير إلى زمن ضد المسيح ، وفيه نسمع صوت البقية ، ومرة أخرى نجد روح المسيح ينطق على فم داود بالأقوال التي تعبر عن مشاعر تلك البقية المتألمة، في أيام الضيق العظيمة " .

ويربط "منصور حسين " بين دعاء المزمور المستقبلي " يارب، إلهي، عليك توكلت، خلصني من كل الذين يطردونني ونجني .... " وبين دعاء المسيح ليلة أن جاءوا للقبض عليه. ثم يطلب الداعي من الله عونا؛ أن يرفعه إلى فوق، في لحظة ضيقه " فعد فوقها إلى العلا " ، ويشير إلى حصول ذلك في لحظة الإحاطة به " ومجمع القبائل – يحيط بك ، فعد فوقها إلى العلا " .

ثم يذكر المزمور بأن الله " قاض عادل " فهل من العدل أن يصلب المسيح أم يهوذا ؟ ثم يدعو الداعي أن يثبت الصديق ، وأن ينتهي شر الأشرار ، ويؤكد لجوءه إلى الله، مخلص القلوب المستقيمة .

ثم يتحدث المزمور عن خيانة يهوذا . وقد جاء " مد قوسه وهيأها وسدد نحوه آلة الموت "(القبلة)" ويجعل سهامه ملتهبة " .

ولكن حصل أمر عظيم ، لقد انقلب السحر على الساحر، " هو ذا يمخض بالإثم ، حمل تعبا ، وولد كذبا ، كرى جبا ، حفره فسقط في الهوة التي صنع ، يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه " لقد ذاق يهوذا ما كان حفره لسيده المسيح ، ونجا المسيح في مجمع القبائل إلى العلا .

ثم ينتهي المزمور بحمد الله على هذه العاقبة " أحمد الرب حسب بره ، وأرنم لاسم الرب العلي " وهكذا نرى في هذا المزمور مع منصور حسين صورة واضحة لما حصل في ذلك اليوم، حيث نجى الله عز وجل نبيه ، وأهلك يهوذا .[1]

ولامخرج للنصارى إزاء هذا النص إلا إنكاره ، أو التسليم له ، والقول بأن المسيح له ظلم ، وله إثم ، وأنه ذاق ماكان يستحقه ، وأن الله عادل؛ بقضائه بقتل المسيح .

وأن ذلك أعدل وأفضل من القول بنجاته؛ وصلب يهوذا الظالم الآثم ، جزاء لفعله وخيانته، وإلا فعليهم الرجوع إلى رأى المسلمين؛ بأن النص نبوءة عن يهوذا الخائن ، ولا رابع لهذه الخيارات الثلاثة .

ثالثا : المزمور العشرون وفيه: " ليستجب لك الرب في يوم الضيق . ليرفعك اسم إله يعقوب ، ليرسل لك عونا من قدسه ، ومن صهيون ليعضدك ، ليذكر كل تقدماتك ، وليستسمن محرقاتك ، سلاه ، ليعطك حسب قلبك ، ويتمم كل رأيك ، نترنم بخلاصك،وباسم إلهنا نرفع رايتنا ، ليكمل الرب كل سؤلك .

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٩٥ – ٩٧ .

الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه ، يستجيبه من سماء قدسه ، بجبروت خلاص يمينه ، هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل ، أما نحن: فاسم الرب إلهنا نذكره ، هم جثوا وسقطوا ، أما نحن: فقمنا وانتصبنا ، يارب: خلص ، ليستجيب لنا الملك في يوم دعائنا " (المزمور ٢٠/١ - ٩) .

يقول هاني رزق في كتابه " يسوع المسيح في ناسوته ولاهوته " : " تنبأ داود النبي (١٠٥٦ ق . م) ، و(حبقوق النبي ٧٢٦ ق . م) ، بأن الرب هو المسيح المخلص ، نبوءة داود النبي، مزمور ٢٠/٩ " الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه .... "

وفي كتاب " دراسات في سفر المزامير" "يؤكد فخري عطية" هذا، ويقول عن الفقرة التاسعة من هذا المزمور " في هذا العدد تعبير يشير في الكتب النبوية إلى ربنا يسوع المسيح نفسه ، تعبير يستخدمه الشعب الأرضي عن المخلص العتيد " .

ولكن منصور حسين في قراءته المتأنية لهذا المزمور يرى المزمور ناطقا بنجاة المسيح" حيث يبتهل صاحب المزمور طالبا النجاة له في يوم الضيق ، وليس من يوم مر على المسيح أضيق من ذلك اليوم الذي دعا فيه طويلا، طالبا من الله أن يصرف عنه هذا الكأس " وإذ كان في جهاد؛ كان يصلي بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض " (لوقا ٢٢/٤٤) .

ويذكر النص إجابة دعائه " الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه ، يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص " فالنص يذكر المسيح بالاسم، ويتحدث عن خلاصه ، ويتحدث أيضا عن لحظة الخلاص " هم جثوا وسقطوا ، أما نحن فقمنا وانتصبنا " فهو يتحدث عن لحظة وقوع الجند كما في يوحنا " فلما قال لهم : إني أنا هو ؛ رجعوا إلى الوراء ، وسقطوا على الأرض " (يوحنا ١٨/٦) كما تحدث النص عن طريق النجاة ألا وهو الرفع إلى السماء " ليرفعك اسم إله يعقوب ، ليرسل لك عونا من قدسه ، ومن صهيون ليعضدك " .

ورغم الردود الكثيرة التي صدرت للرد على الطبعة الأولى من كتاب " دعوة الحق " ، فإن أحدا منها لم يقدم إجابة عن مثل هذا الاستدلال من المؤلف ، ويعجب المؤلف من أصحاب هذه الردود ، ومنهم ياسين منصور ، فقد رد على الكتاب في أربعة كتب، و لم يذكر هذا المزمور بشيء .

وأما القمص باسيليوس فقد كان رده بأن المؤلف " جاهل بمعاني النصوص الكتابية، عندما ظن أن المسيح هنا هو عيسى ، بل المسيح هو داود الممسوح بالزيت " (١)

وهكذا لم يجد هؤلاء سوى الفرار من هذا النص ، وتعطيله ، وتكذيب ما ادعوه من أنه نبوءة صريحة بالمسيح عليه السلام .

رابعا : المزمور الحادي والعشرون يعتبره المؤلف متمما لما سبق في المزمور العشرين، وفيه : " يارب، بقوتك يفرح الملك ، وبخلاصك ، كيف لايبتهج جدا؟ شهوة قلبه أعطيته ، وملتمس شفتيه لم تمنعه، سلاه .

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ١١٢ - ١١٦ .

لأنك تتقدمه ببركات خير ، وضعت على رأسه تاجا من إبريز حياة ، سألك فأعطيته ، طول الأيام إلى الدهر والأبد عظيم ، مجده بخلاصك، جلالا وبهاء تضع عليه ، لأنك جعلته بركات إلى الأبد ، تفرحه ابتهاجا أمامك ، لأن الملك يتوكل على الرب، وبنعمة العلي لايتزعزع .

تصيب يدك جميع أعدائك ، يمينك تصيب كل مبغضيك ، تجعلهم مثل تنور نار في زمان حضورك ، الرب بسخطه يبتلعهم ، وتأكلهم النار ، تبيد ثمرهم من الأرض، وذريتهم من بين بني آدم ، لأنهم نصبوا عليك شرا ، تفكروا بمكيدة لم يستطيعوها ، لأنك تجعلهم يقولون ؛ تفوق السهم على أوتارك تلقاء وجوههم، ارتفع يارب بقوتك ، نرنم وتنغم بجبروتك " (المزمور ٢١/١ - ٣) .

يقول فخري عطية في كتابه ... "دراسات في سفر المزامير: " إن المسيح هو المقصود بهذا المزمور "ووافقه كتاب " تأملات في المزامير " لآباء الكنيسة الصادر عن كنيسة مار جرجس باسبورتنج .

ويوافقهم أيضا منصور حسين ، كما وافق فخري عطية الذي يرى بأن هذا المزمور مرتبط بالمزمور العشرين .

فقد حكى المزمور العشرون عن دعاء المسيح وعن استجابة الله له، ويحكي هذا المزمور (٢١) عن فرحه بهذه الاستجابة " يارب بقوتك يفرح الملك ، وبخلاصك كيف لايبتهج جدا ... نرنم وننغم بجبروتك ".

ويذكر المزمور أن الله أعطاه حياة جديدة " حياة سألك فأعطيته ، طول الأيام ، إلى الدهر ، والأبد ".

ويحكي المزمور عن أعداء المسيح الذين تآمروا عليه وفكروا في " مكيدة لم يستطيعوها " فهم لم يلحقوا الأذى به لأنه رفع " ارتفع يارب بقوتك " .

وأما هؤلاء الأعداء: فترجع مكيدتهم عليهم ، " تصيب يدك جميع أعدائك ، يمينك تصيب كل مبغضيك .. الرب بسخطه يبتلعهم، وتأكلهم النار ، تبيد ثمرهم من الأرض، وذريتهم من بين بني آدم .. تفوق السهام على أوتارك تلقاء وجوههم "[1] ثم تتكامل القصة في المزمور الثاني والعشرين .

خامسا : المزمور الثاني والعشرون وفيه :" إلهي إلهي لماذا تركتني بعيدا عن خلاصي؟ عن كلام زفيري؟ إلهي في النهار أدعو فلا تستجيب، في الليل أدعو فلا هدو لي . وأنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل ، عليك اتكل آباؤنا . اتكلوا فنجيتهم . إليك صرخوا فنجوا . عليك اتكلوا فلم يخزوا . أما أنا فدودة لا إنسان. عار عند البشر، ومحتقر الشعب . كل الذين يرونني يستهزئون بي . يفغرون الشفاه ، وينغضون الرأس قائلين: اتكل على الرب فلينجه .

لينقذه، لأنه سر به، لأنك أنت جذبتني من البطن . جعلتني مطمئنا على ثديي أمي . عليك ألقيت من الرحم . من بطن أمي، أنت إلهي . لاتتباعد عني لأن الضيق قريب . لأنه لا معين . أحاطت بي ثيران كثيرة ، أقوياء باشان اكتنفتني . فغروا على أفواههم ، كأسد مفترس مزمجر . كالماء انسكبت ، انفصلت كل عظامي.

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ١١٧ - ١٢٠ .

صار قلبي كالشمع . قد ذاب في وسط أمعائي . يبست مثل شقفة قوتي ، ولصق لساني بحنكي ، وإلى تراب الموت تضعني . لأنه قد أحاطت بي كلاب . جماعة من الأشرار اكتنفتني . ثقبوا يدي ورجلي . أحصى كل عظامي . وهم ينظرون ويتفرسون في . يقسمون ثيابي بينهم ، وعلى لباسي يقترعون" . (المزمور ٢٢/١-١٨).

ويجمع النصارى على أن هذا المزمور بنوءة عن المسيح ، فقد أحالت عليه الأناجيل يقول متى: " ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ، لكي يتم ما قيل بالنبي : اقتسموا ثيابي بينهم ، وعلى لباسي ألقوا قرعة " (متى ٢٧/٣٥) ومثله في (يوحنا ١٩/٢٤) والإحالة إلى هذا المزمور في قوله " يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون "

كما أن الرواية التي في المزمور توافق رواية الصلب في صراخ المصلوب : " إلهي إلهي لماذا تركتني " (متى ٢٧/٤٦) (مرقس ١٥/٣٤) .

ويوافق نص المزمور ما جاء في الأناجيل في بيان حال المصلوب " كان المجتازون يجدفون عليه ، وهم يهزون رؤوسهم قائلين : ياناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام ، خلص نفسك ، إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب ، قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده " (متى ٢٧/٣٩ - ٤٣). فهذا يشبه ماجاء في هذا المزمور " محتقر الشعب ، كل الذين يردونني يستهزءون بي .. وينغضون الرأس قائلين : اتكل على الرب ، فلينجه".

كما يوافق النص الأناجيل كرة أخرى في قوله " جماعة من الأشرار اكتنفتني ، ثقبوا يدي ورجلي ، أحصي على عظامي " فهي تدل على أخذ المصلوب يوم سمرت يداه ورجلاه على الصليب .

لهذا كله كان إجماع النصارى على أن هذا المزمور نبوءة عن الصلب ، خاصة أن داود لم يمت مصلوبا ، فهو إذن يتحدث عن غيره ، وهو برأيهم عيسى المصلوب، وهو جزع، يائس، يصرخ " إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" عن المصلوب اليائس الذي يدعو فلا يستجاب له " إلهي، في النهار أدعو فلا تستجيب ، في الليل أدعو فلا هدو لي .. عليك اتكل آباؤنا فنجيتهم ، عليك صرخوا فنجوا ، عليك اتكلوا فلم يخزوا . أما أنا فدودة لا إنسان ... "

ويصف المزمور المصلوب بأنه " دودة لاإنسان ، عار عند البشر ، محتقر الشعب " فمن هو هذا اليائس الموصوف بأنه دودة ، وأنه عار عند البشر، وأنه محتقر ، وأنه لايستجاب له ؟ ويجيب منصور حسين إنه يهوذا، حيث جعلته خسته وخيانته كالدودة، وأصبح عارا على البشر ، كل البشر ، يحتقره الشعب ، ولايستجيب الله دعاءه لكن النصارى يقولون: بل هو المسيح المصلوب ، ووصفه بالدودة دلالة على تواضعه، ويستدل لذلك "ياسين منصور" في كتابه " بيان الحق " بأن داود شبه نفسه ببرغوث في (صموئيل(٢) ٢٤/١٤) واعتبره من جنسه، وأنه من تواضع المسيح .

ولم يرد في الأناجيل وصف المسيح لنفسه بأنه دودة ، وأما التواضع الجم الذي ينسبه النصارى هنا للمسيح ، فهو في الحقيقة ذلة وحقارة ، ومثل هذا لايكون في العابد حين يتذلل لربه ، بل يكون في المذنب

الجافي الذي يتذلل لربه، ويحتقر نفسه لكثرة معاصيه وذنوبه، وقباحتها .

لكن منصور حسين يرفض أن يوصف المسيح بأنه دودة ، ويعجب من أولئك الذين يدعون ألوهيته كيف يستسيغون تسميته بدودة ، بل الدودة هو الخائن يهوذا .

ثم كيف يوصف المسيح بالعار ، وهو مجد وفخر للبشر ؛ بل العار هو يهوذا، ويلحظ المؤلف أن النص يصفه بالعار ليس فقط عند جلاديه وأعدائه ، بل عند البشر جميعا ، ولايمكن أن يكون المسيح كذلك.

كما يلحظ أن كلمة "عار" تلحق بالشخص نفسه ، لابالصلب الواقع عليه ، فهو العار ، وهو الدودة.

وكيف يكون المسيح عارا وهو الذي يفخر به بولس في قوله " وأما من جهتي فحاشا أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع " (غلاطية ٦/١٤) فلم الفخر به إن كان عارا ؟

وأما وصف المصلوب بأنه " محتقر الشعب" فهو وصف ينطبق على المصلوب كائنا من كان فكلمة "الشعب" ، تشير لقبيلة من الناس، أو جيل منهم ، أو أولئك الذين حضروا الصلب، وكانوا يحتقرون المصلوب .[1]

سادسا : المزمور المائة والتاسع وفيه: " ياإله تسبيحي، لاتسكت ؛ لأنه قد انفتح على فم الشرير، وفم الغش . تكلموا معي بلسان كذب . بكلام بغض ، أحاطوا بي وقاتلوني بلا سبب . بدل محبتي يخاصمونني . أما أنا فصلوة . وضعوا على شرا بدل خير، وبغضا بدل حبي .

فأقم أنت عليه شريرا ، وليقف شيطان عن يمينه . إذا حوكم فليخرج مذنبا، وصلاته فلتكن خطية . لتكن أيامه قليلة، ووظيفته ليأخذها آخر . ليكن بنوه أيتاما، وامرأته أرملة . ليته بنوه تيهانا ويستعطوا . ويلتمسوا خبزا من خربهم . ليصطد المرابي كل ما له، ولينهب الغرباء تعبه . لايكن له باسط رحمة، ولا يكن متر أف على يتاماه . لتنقرض ذريته . في الجيل القادم ليمح اسمهم . ليذكر إثم آبائه لدى الرب ولاتمح خطية أمه . لتكن أمام الرب دائما. وليقرض من الأرض ذكرهم . من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة، بل طرد إنسانا مسكينا وفقيرا، والمنسحق القلب ليميته . وأحب اللعنة، فأتته، ولم يسر بالبركة، فتباعدت عنه . ولبس اللعنة مثل ثوبه فدخلت، كمياه في حشاه، وكزيت في عظامه . لتكن له كثوب يتعطف به، وكمنطقة يتمنطق بها دائما . هذه أجرة مبغضي من عند الرب ، وأجرة المتكلمين شرا على نفسي .

أما أنت يارب السيد فاصنع معي من أجل اسمك . لأن رحمتك طيبة نجني . فإني فقير، ومسكين أنا، وقلبي مجروح في داخلي . كظل عند ميله ذهبت . انتفضت كجرادة . ركبتاي ارتعشتا من الصوم، ولحمي هزل عن سمن . وأنا صرت عارا عندهم . ينظرون إلى وينغضون رؤوسهم .

أعني يارب، إلهي . خلصني حسب رحمتك . وليعلموا أن هذه هي يدك، أنت يارب فعلت هذا . أما

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ١٢٠ - ١٢٨ ، ٢٥٢ - ٢٥٤ .

هم فيلعنون . وأما أنت فتبارك . قاموا وخزوا . أما عبدك فيفرح . ليلبس خصمائي خجلا وليتعطفوا بخزيهم كالرداء . أحمد الرب جدا بفمي، وفي وسط كثيرين أسبحه . لأنه يقوم عن يمين المسكين، ليخلصه من القاضين على نفسه . (مزمور ١٠٩/١ - ٣١)

وهذا المزمور أيضا يراه النصارى على علاقة بقصة الصلب ، وأن المقصود في بعضه يهوذا ، وهو قوله " ووظيفته ليأخذها آخر ، ليكن بنوه أيتاما، وامرأته أرملة " ويلتمسوا خبزا من خربهم " وقد أحال عليه كاتب "أعمال الرسل" وهو يتحدث على لسان بطرس حين قال متحدثا عن يهوذا:" لأنه مكتوب في سفر المزامير : لتصر داره خرابا ، ولا يكن فيها ساكن ، وليأخذ وظيفته آخر " (أعمال ١/١٥ - ٢٦) وقد انتخب الحواريون بدلا من يهوذا تنفيذا لهذا الأمر يوسف ومتياس ، وأقرعوا بينهما، فوقت القرعة على متياس ، فحسبوه مكملا للأحد عشر رسولا (انظر أعمال ١/٢٣ - ٢٦) .

إذن فالنص في هذا المزمور متحدث عن يهوذا ولا ريب ، وهذا كما يؤكد منصور حسين صحيح ، فهو يتحدث عن محاكمته " وإذا حوكم فليخرج مذنبا " فمتى حوكم يهوذا إذا لم يكن هو المصلوب .؟والنص يتحدث عن محاكمته ، وعن نتيجة محاكمته " لتكن أيامه قليلة ، ووظيفته ليأخذها آخر " .

ويرى منصور حسين أن النص يتحدث في شطرين على لسان المسيح .

ففي الشطر الأول : يتحدث عن الأشرار الذين قاتلوه بلا سبب ، ووضعوا عليه الشر بدل الخير .

وفي الشطر الثاني : يستمطر القائل نفسه اللعنات على هذا الشرير ، ويسأل الله الخلاص حسب رحمته " أعني يارب، إلهي ، خلصني حسب رحمتك .. " ويفرح المسيح لخلاصه " لأنه يقوم عن يمين المسكين ، ليخلصه من القاضين على نفسه".

وأيضا تجاهل ياسين منصور في كتبه الأربعة الرد على استشهاد المؤلف بهذا المزمور، بينما كان رد القمص باسيليوس أن قال : " استخلص أحد الكتاب من هذا أن الذي حوكم كان يهوذا ....ولكن من أين استدل الكاتب على أن هذا الكلام خاص بشخص معين؟ " (١)

فلم يجد سبيلا لنقض كلام المؤلف سوى التنكر للنص ، ونسي ما جاء في سفر أعمال الرسل من إحالة عليه كما سبق . وخلال ستة وثلاثين مزمورا تكاملت الصورة ، وتكررت مرارا من غير أي تناقض أو تخالف، لقد كانت نصوص المزامير الستة والثلاثين تتمحور حول ثلاثة موضوعات الأول : الآيات التي تشير إلى دعاء المسيح أن يخلصه الله من الصلب، وقد تكررت أربعا وعشرين مرة منها .

" عند دعائي استجبت لي يا إله بري ، في الضيق رحبت لي ، تراءف علي واسمع صلاتي " (المزمور ٤/١) .

"عد يارب، نج نفسي، خلصني من أجل رحمتك ، لأنه ليس في الموت ذكرك " (المزمور ٦/٤ - ٥).

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ١٧٢ - ١٧٤ .

" إليك يارب أصرخ ، وإلى السيد أتضرع ، ما الفائدة من دمي إذا نزلت إلى الحفرة ؛ هل يحمدك التراب ؟ ، هل يخبر بحقك؟ ، استمع يارب ، وارحمني يارب ، كن معينا لي " (المزمور ٣٠/٨ - ١٠).

" عليك يارب توكلت ، لاتدعني أخزى مدى الدهر ، بعدلك نجني ، أمل إلي أذنك ، وسريعا أنقذني ، كن لي صخرة حصن ، بيت ملجأ لتخليصي، لأن صخرتي ومعقلي أنت ، من أجل اسمك تهديني وتقودني ، أخرجني من الشبكة التي خبئوها لي ، لأنك أنت حصني (المزمور ٣١/١-٤) " الرحمن ياالله لأنه بك احتمت نفسي ، وبظل جناحيك أحتمي ، إلى أن تعبر المصائب ، أصرخ إلى الله العلي ، الله المحامي عني " (المزمور ٥٧/١ ٢) .[1]

الثاني : الآيات والفقرات التي أشارت إلى رفع المسيح ، وتخليصه من الصلب، ذكر منها المؤلف سبعة وثلاثين نصا. منها :

" ابعدوا عني ياجميع فاعلي الإثم ، لأن الرب قد سمع صوت بكائي ، سمع الرب تضرعي ، الرب يقبل صلاتي " (المزمور ٦/٨ - ٩) .

" الرب صخرتي وحصني ومنقذي .... خلصني لأنه سربي " (المزمور ١٨/٢ - ١٩) .

" حي هو الرب ، ومبارك صخرتي .... إلى الأبد " (المزمور ١٨/٤٦ - ٥٠) .

" إلهي فاتكل عليه ، لأنه ينجيك من فخ الصياد ، ومن الوباء الخطر ، بخوافيه يظللك ، وتحت أجنحته تحتمي ، ترس ومجن حقه ، لاتخشى من خوف الليل ، ولا من سهم يطير ... لأنك قلت: يارب، أنت ملجأي، جعلت العلا مسكنك ، لايلاقيك شر ، ولاتدنو ضربة من خيمتك ، لأنه يوصي ملائكته بك ليحفظوك في كل طرقك ، على الأيدي يحملونك ، لئلا تصدم بحجر رجلك ، على الأسد والصل تطأ ، الشبل والثعبان تدوس ، لأنه تعلق بي أنجيه ، أرفعه لأنه عرف اسمي ، يدعوني فأستجيب له ، معه أنا في الضيق، أنقذه وأمجده ، من طول الأيام أشبعه ، وأريه خلاصي " (المزمور ٩١/٢ - ١٦) .

ثالثا : الآيات والفقرات التي تشير إلى القبض على يهوذا ومحاكمته وصلبه بدلا من المسيح ، وذكر منها المؤلف أربعة وعشرين نصا منها :

" لأنك أقمت حقي ودعواي ، جلست على الكرسي قاضيا عادلا ، انتهرت الأمم ، أهلكت الشرير ، ..تورطت الأمم في الحفرة التي عملوها ، في الشبكة التي أخفوها انتشبت أرجلهم ، معروف هو الرب قضاء أمضى : الشرير يعلق بعمل يده " (المزمور ٩/٤ - ١٦)

" يؤخذون بالمؤامرة التي فكروا بها " (المزمور ١٠/٣) .

" الشرير يتفكر ضد الصديق ، ويحرق عليه أسنانه ، الرب يضحك به ، لأنه رأى أن يومه آت ، الأشرار قد سلوا السيوف ، ومدوا قوسهم لرمي المسكين والفقير ، لقتل المستقيم طريقهم ، سيفهم يدخل

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ١٨٠ - ١٨٢) .

في قلبهم وقسيهم تنكسر " (المزمور ٣٧/١٢ - ١٥) .

" يا الله أنت عرفت حماقتي وذنوبي عنك لم تخف ، غطى الخجل وجهي ، صرت أجنبيا عند إخـوتي ، وغريبا عند بني أمي ، .... أنت عرفت عاري وخزيي وخجلي ، قدامك جميع مضايقي ، العار قـد كسـر قلبي فمرضت ، انتظرت رقة فلم تكن ، ومعزين فلم أجد ، ويجعلون في طعـامي علقمـا ، وفي عطشـي يسقونني خلا" (المزمور ٦٩/٥ - ٢١) .

" خاصم يارب مخاصمي ، قاتل مقاتلي ، .. ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسي، ليرتد إلى الـوراء ، ويخجل المتفكرون بإساءتي .. لأنهم بلا سبب أخفوا لي هوة شبكتهم ، بلا سبب حفـروا لنفسـي ، لتأتـه التهلكة وهو لايعلم ، ولتنشب به الشبكة التي أخفاها ، وفي التهلكة نفسها ليقع " (المزمور ٣٥/١ -٨).[1]

ويخلص منصور حسين إلى نتيجة وهي: " من جماع ما تقدم لانخلص إلا بأن المزامير تنبأت بحق بـأن الله مخلص مسيحه ، يستجيبه من سماء قدسه ، يرفعه من أبواب الموت ، يرفعه فوق القائمين عليه ، يرسـل من العلا فيأخذه .

أما يهوذا الإسخريوطي الذي حفر له هذه الحفرة ، وأتى على رأس الجمع من جنود وخدام ليقبضـوا عليه ، على المسيح سيده ، فإنه في الحفرة نفسها يقع ، وبعمل يديه يعلق ، رجع تعبه على رأسـه ، وعلـى هامته هبط ظلمه ، صار عارا عند البشر ، فقبض عليه هو بدلا من المسيح ، وحوكم هو، وصلب بدلا منه .

وهكذا تستقيم النبوءة في المزامير ، وهكذا تتجلى النبـوءة في المزامـير، في أسـطع وأروع وأسمـى ما تكون النبوءة ، ليست آية نحرفها ، أو كلمة نحور معناها ، بل صـورة كاملـة ، عشـرات الآيـات ، عشرات المزامير ، كلها تنطق بصورة واحدة متكاملة ، تتكرر كثيرا ، ولكن أبدا لاتتغير .

هذه الحقيقة هي تلك التي نطق بها القرآن ، واعتقدها المسلمون ... ولمن يريد أن يزيد يقينا ، فها هـي المزامير كلها في الكتاب المقدس، الذي يؤمن به المسيحيون، ويتداولونه، وإليها فليرجع ، ولن يزيده هـذا إلا يقينا وتقديرا لهذه الحقيقة التي انتهينا إليها .. "[2]

ولسائل أن يتساءل هل هذه النصوص نبوءات حقا تنبأت بالمسيح ونجاته من الصلب ؟

فالمزمور الثاني والعشرون- وهو من أهم المزامير في هذا المبحث يعتبره- أحمد عبد الوهاب وصفا لمـا حصل بين داود والعمالقة، حيث سبوا نساء بني إسـرائيل وأبنـاءهم ، فلجـأ إلى الله، فنصـره عليـهم ، واستخلص ما كانوا قد أخذوه منه كما جاء في (صموئيل (١) ٣٠/١ — ١٩) [3] .

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ١٨٣ - ١٩٢ .

(٢) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٣) المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٢٤ ، ومثله يرى محمد توفيق الأفندي أن جميع ما ورد في المزامير وغيرها مما يصرفه النصارى للمسيح ، إنما هو خاص بأحداث حصلت لبني إسرائيل كحرب داود مـع العمـاليق وقصة يهوذا المكابي ، وأما التشابه بين هذه النصوص والأناجيل فمرده كما قال جمال الدين الأفغاني " إن النصارى فصلـوا

وفي الإجابة عن هذا السؤال يرى منصور حسين أن ليس للنصارى معيار معقول في استنباط النبوءات، بل إن كل نصوص التوراة من الممكن أن تتحول عندهم لفرط شططهم في تعسف النصوص ، فتتحول كل التوراة إلى نبوءات بالمسيح.

وكمثال لهذا الشطط يعرض لما جاء في يوحنا " ليتم الكتاب القائل : عظم لا يكسر منه " (يوحنا ٣٦/١٩) ومراده ما جاء في سفر الخروج " وقال الرب لموسى وهارون: هذه فريضة الفصح ، كل ابن غريب لايأكل منه ، ولكن كل عبد رجل مبتاع بفضة تختنه ، ثم يأكل منه ، التريل والأجير لايأكلان منه ، في بيت واحد يؤكل ، لاتخرج من اللحم من البيت إلى خارج ، وعظماً لاتكسروا منه " (الخروج ٤٣/١٢ – ٤٦) فلا يسلم منصور حسين: أن يكون مثل هذا نبوءة بالمسيح أو غيره ، ولو صحت أن توصف بأنها نبوءة،فمن الممكن أن نستخرج من كل قصة كانت ما كانت في بُعدها عن العهد القديم نبوءة ، فمثل هذا التعسف غير مقبول ، ولايرتضيه المؤلف وإن استخدمه الإنجيليون ، والنصارى بعدهم .[1]

والنبوءة التي يراها منصور حسين معتبرة، هي تلك التي ترد بمعنى الإخبار عن الغيب أو المستقبل ، وهي أقوى من النوع المعتبر الثاني ، وهو تلك الأقوال التي تصف أموراً معينة تحدث لقائليها، أو تقع أمام أبصارهم ، ولكنها لم تقع في حياقم ، وإنما حصلت بعد ذلك تماماً كما وردت على ألسنتهم ، ومثل هذه قد لايسلم الكثيرون بأنها نبوءة لكن منصور حسين لايرى مانعاً من التسليم بأنها نبوءة، على اعتبار أنها في الأصل وردت في وحي الله الذي لايكذب ، وعندما يرد وحي يتنبأ بأمور لم تحدث إلا مستقبلاً ؛ فليس ثمة ما يمنع من اعتبارها نبوءة .[2]

والاحتجاج بالمزامير كما نبّه دمشقية قديم، بل يرجع للمسيح إن صح إنجيل برنابا . فقد جاء فيه أن المسيح قال: " إن واحداً منكم سيسلمني فأباع كالخروف ، ولكن ويل له، لأنه سيتم ماقاله داود أبونا عنه ، أنه سيسقط في الهوة التي أعدها للآخرين (برنابا ٢٤/٢١٣ – ٢٦) .[3]

وقد سبق إلى الاستشهاد بنبوءات المزامير على نجاة المسيح محمد توفيق الأفندي ، واعتبر استشهاده ببعضها من باب إلزام الخصم بما يعتقده وليس من قبيل اقتناعه أنها نبوءات بالمسيح كما نبه بكر التميمي إلى شهادة المزمور السادس بنجاة المسيح .[4]

وإذا قلنا إن المزامير بشرت بنجاته، فللنصارى أن يقولوا: كيف لم يعرف المسيح ذلك من العهد القديم؛ لم قال عن نفسه بأنه سيصلب كما في الأناجيل ؟ والإجابة عن هذا التساؤل لاتلزمنا نحن المسلمين الذين

في العهد القديم قميصاً البسوه للمسيح " انظر دين الله في كتب أنبيائه محمد توفيق أفندي ص ٣٣ –٣٥ .

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٨٢ – ٨٣ .

(٢)دعوة الحق بين المسيحية والإسلام،منصور حسين،ص ٨٤ .

(٣) انظر : تعليقه على المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ص ١٥٥ – ١٥٨ .

(٤) انظر : السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل ، بكر التميمي ،ص ١٢٣ ، دين الله في كتب أنبيائه ،محمد توفيق أفندي ، ص ٣٢–٣٣، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٦٩ .

لانعتد بما جاء في هذه الكتب، إلا ما قام عليه دليل من ديننا .

لكن منصور حسين يجيب بأن القصة هي امتحان للمسيح عليه السلام ، كما كان الأمر بالذبح امتحانا لإبراهيم وابنه الوحيد ، ولو عرف المسيح نتيجة الامتحان مقدما لما كان له أي معنى ، كما لو عرفها إبراهيم ، فلذلك خفيت عليه ، وليس لقصور فهمه أو إدراكه، حاشاه، ولكن لتتحقق إرادة الله بامتحانه ، ونجاته في الامتحان .

ثم لايمكن القطع بأن المسيح لم يعرف المعنى الصحيح الذي تدل عليه النبوءات، بل قد يكون المسيح عرف ذلك فلجأ إلى الله يتضرع إليه ويسأله صرف هذه لكأس ، لأنه عرف أن الله يستجيب دعاءه وتضرعه ، بينا لو وافقنا الرواية الإنجيلية بأن المسيح علم أنه سيصلب ثم صلب، فما فائدة تضرعه ودعائه ؟

كما ثمة أمرا آخر وهو أن فهم النبوءات لايعني يقينا معرفة الساعة، وتحديد اليوم الذي سيسعى أعداؤه فيه للقبض عليه . [1]

لكن النصارى يرون أن ثمة نبوءة في غير المزامير قد وردت في صلب المسيح، ألا وهي ما جاء في إشعيا ٥٢ و ٥٣ وفيه: " هو ذا عبدي يعقل، ويتعالى، ويرتقي ويتسامى جدا، كما اندهش منه كثيرون ، كان منظره كذا مفسدة أكثر من الرجل ، وصورته أكثر من بني آدم، هكذا ينضح أمما كثيرين ، من أجله يسد ملوك أفواههم ، لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به ، وما لم يسمعوه فهموه .

من صدق خبرنا ، ولمن استعلنت ذراع الرب ، نبت قدامه كفرخ ، وكعرق من أرض يابسة ، لاصورة له ولاجمال فننظر إليه ، ولا منظر فنشتهيه ، محتقر ومخذول من الناس ، رجل أوجاع ، ومختبر الحزن، وكمستر عنه وهو هنا ، محتقر فلم نعتد به .

لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ، ونحن حسبناه مصلوبا، مضروبا من الله ومذلولا ، وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه ، وبجبره شفينا ، كلنا كغنم ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه ، والرب وضع عليه إثم جميعنا ، ظلم أما هو فتذلل ، و لم يفتح فاه ، كشاة تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامتة أمام جازيها ، فلم يفتح فاه .

من الضغطة ومن الدينونة أخذ ، وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء، أنه ضرب من أجل ذنب شعبي، وجعل مع الأشرار قبره ، ومع غني عند موته على أنه لم يعمل ظلما ، و لم يكن في فمه غش .

أما الرب فسر بأن يسحجه بالحزن، إن جعل نفسه ذبيحة إثم، يرى نسلا تطول أيامه ، ومسرة الرب بيده تنجح ، من تعب نفسه يرى ويشبع ، وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين ، وآثامهم هو يحملها ، لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء، يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه ، وأحصي مع أثمة ، وهو حمل خطية كثيرين ، وشفع في المذنبين " (إشعيا ١٣/٥٢ - ١٢/٥٣) .

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣١٧ -٣١٨ .

ويربط النصارى بينه وبين ما جاء في مرقس " فتم الكتاب القائل : وأحصي مع أثمة " (مرقس ٢٨/١٥) ومقصوده كما لايخفى ما جاء في إشعيا " سكب للموت نفسه ، وأحصى مع أثمة " ومثله في أعمال الرسل(أعمال ٢٢/٨ - ٢٣) .

وقد اهتم عدد من أصحاب الردود بهذه النبوءة .

أما ديدات فقد استغرب من الربط بين نص إشعيا وقصة الصلب في الأناجيل، فنص إشعيا يتحدث عن الذي " لم يفتح فاه ، كشاة تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامتة أمام جازيها، فلم يفتح فاه ".

بينما المسيح تكلم مرارا وتكرارا ، فلقد قال لبيلاطس أثناء محاكمته : " أنت تقول : إني ملك ، لهذا قد ولدت أنا ، ولهذا قد أتيت إلى العالم ، لأشهد للحق ، كل من هو في الحق يسمع صوتي " (يوحنا ٣٧/١٨) وكان قد قال له قبل " مملكتي ليست في هذا العالم ، لو كانت مملكتي في هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لاأسلم إلى اليهود ، ولكن الآن ليست مملكتي من هذا " (يوحنا ٣٦/١٨) .

كما تكلم في المحاكمة لما لطمه أحد الخدم فأجابه المسيح: " إن كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردي ، وإن حسنا فلماذا تضربني ؟ " (يوحنا ٢٢/١٨)

كما تكلم قبلها طويلا في البستان ، وهو يناجي، طالبا من الله أن يعبر عنه هذه الكأس ...

فإن أصر النصارى بعد ذلك على أن النبوءة تنطبق على المسيح ، فقد قالوا إذن بأن المسيح تكلم وهو مغلق الفم !!![١]

ويرى ممدوح جاد أن النص نبوءة بالنبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، مستشهدا بترجمة حديثة لإنجيل الملك جيمس ، وقد جاء فيها " انظر عبدي سوف يتعامل بالحكمة ، سيكون محمودا ومحمدا وعاليا كثيرا ، ومثلما اندهش منك الكثيرون ، لذا شوهت صورته أكثر من أي رجل ، وهيئته أكثر من بني البشر ، لذا سوف يستنفر أمما كثيرة، ملوك تسد أفواهها تجاهه، أنهم سيروا ما لم يخبروا به، وما لم يسمعوه سيراعونه " .

وهذه الترجمة تغير معنى النص تماما ، يلحظ ممدوح جاد خبث الترجمة المتداولة، وتلاعبها بالنص فأصبح " يتعالى ويرتقي ويتسامى جدا ". [٢]

كما أن هذه الترجمة الحديثة تفسر بعض غوامض الترجمة المتداولة. منها: أنه قد جاء في الترجمة المتداولة " كمستر عنا وجوهنا " ، وفي الحديثة: " وأخفينا كما قد أوجها منه " والمعنى عند التنزل مع النصارى بأنها نبوءة عن المسيح : أن الله أخفى أوجها من حياة المسيح عن الناس ، وهو عدم صلبه ونجاته من القتل . ومما تظهره الترجمة الحديثة قولها " بسيوره نشفى " ،وفي المتداولة: " بجبره شفينا " ، والمعنى أن الشفاء يكون بجزء من ثيابه. ويواصل النص الحديث وصف المسيح بأنه " كنبات نضير ، خارج من أرض جافة " فشبه اليهود

---

(١) انظر : مسألة صلب المسيح ، أحمد ديدات ، ص ٦٢ .

بالجاف ، والمسيح بالنبات الخارج فيها .

ثم يذكر النص شجاعة المسيح التي لاتتناسب وصراخ المصلوب، وجزعه، وقنوطه ، فالمسيح كشاة أمام جازيها صامتة ، "وهكذا لم يفتح فاه " ثم إنه " أخذ من السجن والمحاكمة ، ومن الذي يعلن إلى جيله أنه قد بتر في أرض الأحياء ، بسبب تعديات شعبي كان مبتلا ".

ويلحظ ممدوح جاد هنا أن المسيح بتر من الأرض الأحياء لا الأموات، أي أخذ حيا ، ولو أخذ بعد الموت لقال " أخذ بعد أن بعثناه " وقوله " من الذي يعلن إلى جيله ؟ استفهام، إجابته محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، كما سيأتي وصفهم . وبسبب تعدياتهم على المسيح ، تركهم يضلون، ويشتبهون في صلبه .

" وهم جعلوا قبره مع الشقي ، ولكن مع الغني عند موته " فالنص يعبر عن تناقضهم، فقد صيروا له قبرا، مع أنه رفع، وليس له قبر .

وقوله : " إلا أنه سر به الرب أن يسحجه ، وضعه للحزن عندما تجعلوا روحه قربانا للخطية " فالمسيح حزين جدا لقولهم بأنه صلب قربانا للخطية ، لكن الرب يبشره " سيرى بذرة ، وستطول أيام ، ومسرة الرب ستزدهر في يده ، سيرى ولادة روحه ، كن راضيا بمعرفته ، عبدي المستقيم ، سيقوم كثيرون ، لأنه سيحمل عنهم إصرهم ، لذا سأقسم له نصيبا مع العظيم ، وسيزهق الباطل بالقوي ، لأنه أهرق روحه حتى الموت وحسبوه مع المعتدين ، ووضع خطية الكثيرين ، وقام بشفاعة للمعتدين " .

ويرى ممدوح جاد أن معنى النص : ستطول أيام المسيح ، ويرى بذرة محمد المستقيم، الذي سيحمل عنهم إصرهم ، كما قال الله ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [(١)] [(٢)]

ونلحظ أن ممدوح جاد تجاهل بعض العبارات و لم يوجهها، مثل قوله " سر الرب أن يسحجه " ولايخفى ما في تفسيراته من إغراب وتعسف، لايختلف كثيرا عن تعسف من استشهد بهذا النص على صلب المسيح . لكن ممدوح جاد كشف لنا عن عظيم تلاعب القوم بما في أيديهم من الكتب، حتى أصبحت لاتجد تشابها بين ترجمتين، يفترض أن تكونا لنص واحد ، وهذا ولاشك يلقى بظلال الريبة، ليس على النصين المتنافرين فقط بل وعلى كل ماعبثت به أيدي أولئك ، مما يسمونه الكتاب المقدس .

وتجزم بهذا التلاعب عندما تقارن نص إشعيا مع ما جاء في أعمال الرسل عنه ، وفيه " وأما فصل الكتاب الذي كان يقرأه، فكان هذا : مثل شاة سيق إلى الذبح ، ومثل خروف صامت أمام الذي يجزه ، هكذا لم يفتح فاه ، في تواضعه انتزع قضاؤه ، وجيله من يخبر به ، لأن حياته تنتزع من الأرض " (أعمال ٨/ ٣٢- ٣٣) .

---

(١) الأعراف ، آية : ١٥٧ .

(٢) انظر : المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح جاد ص ١٩٦ ، ٢٠٥ .

لذا حق للأفندي أن يرى النص متأثرا بالوثنيات ، وأن النصارى حوروا في النص لينطبق على المسيح ، واستدل لكلامه بأن فيلبس الحواري قرأ النص و لم يفهم منه أنه نبوءة عن المسيح، حتى أطلعه عليه خصي حبشي كان وزيرا لملك كنداكة ملك الحبشة ، وبعد هذه القصة تنصر الرجل، وعمده فيلبس " ولما صعدا في الماء خطف روح الرب فيلبس، فلم يبصره الخصي أيضا ، وذهب في طريقه فرحا، وأما فيلبس فوجد في أشدود " (أعمال ٢٦/٨ - ٤٠) .

وينقل الأفندي عن جمال الدين الأفغاني قوله " إن النصارى فصلوا في العهد القديم قميصا ألبسوه للمسيح " [1]

ويرى منصور حسين في الترجمة المتداولة لإشعيا ما يؤكد فكرته بأن المصلوب هو يهوذا، ويقارن هذه الترجمة مع النص الإنجليزي، للخروج من غموض النص العربي .

وفيه: " لأنهم قد أبصروا ما لم يخبروا به ، وما لم يسمعوه فهموه " وفي النص الإنجليزي ما ترجمته: "ما لم يسمعوه اعتبروه " ، والفرق بين " فهموه " و " اعتبروه " واضح .

فكلمة " فهموه " تفيد علمهم ومعرفتهم وإدراكهم ، بينما كلمة " اعتبروه " لاتفيد إلا تقرير الحكم ، فكما أخبرت المزامير بنجاة المسيح قبل إشعيا بثلاثمائة سنة يخبر إشعيا بنجاته ، لكنهم يرون صلبه كما يتبادر لذهنهم ، فيروون ما لم يخبروا به ، بل عكسه ، ولذلك فهم اعتبروا : أن المصلوب هو المسيح "

وأما قوله " من صدق خبرنا ، ولمن استعلنت ذراع الرب " ، فهو سؤال يفهم منه أن الخبر المقصود هو نجاة المسيح الذي لم يصدقه أحد ، ويجيب النص بأن الذي صدق بنجاة المسيح شخص " محتقر مخذول من الناس ، رجل أوجاع ، ومختبر الحزن ، وكمستتر عنه وجوهنا ، محتقر فلم نعتد به " إنه الذي تحمل الأوجاع ، والذي احتقر، وباء بإثمه وإثم المتآمرين معه ، إنه يهوذا الخائن، الذي رأى عناية الله تحيط بالمسيح وهو يصعد وينجو فهو " مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا " فلقد تحمل يهوذا وزر المؤامرة "وضع عليه إثم جميعنا " ، لأنه التلميذ الخائن ، وكان هؤلاء اليهود كالغنم الضالة " فكلهم كغنم ضلوا " .

وقوله " من أجل ذنب شعبي " يدل على أنه ليس المراد غفران الخطية ، إذ لو أرادها لقال غفران ذنب جميع العالم .

وقد ظن الناس أنه قطع في أرض الأحياء ، وأنه ضرب من أجل ذنبي ، " وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء ، أنه ضرب من أجل ذنبي " ، لكن الحقيقة غير ذلك، وفي النص الإنجليزي " من سيعلن لجيله ؟ " أي هذه الحقيقة الخافية ؛ إنه محمد صلى الله عليه وسلم .

ويكمل النص واصفا يهوذا في لحظة محاكمته " على أنه لم يعمل ظلما ، و لم يكن في فمه غش " ولقد يعجب القارئ أن يقال مثل هذا في حق يهوذا ، ولاعجب، فلقد كان يهوذا لحظة المحاكمة صادقا حين قال: " من الآن فإنهم يرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة " ، وهو لم يعمل ظلما بحق محاكميه

---

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ، ١٩٦ .

الذين لو علموا حقيقة شخصيته لأفرجوا عنه .

لكن الرب جل وعلا سر بما صنع به " وأما الرب فسر بأن يسحجه بالحزن " ، وهل يسر لما فعل بالمصلوب لو كان هو المسيح ؟ إنما سر بعاقبة مكر يهوذا، فتكامل نص إشعيا مع نبوءات المزامير .[1]

ويتجاهل منصور حسين الإشكال في حديثه عن فادي الخطيئة الغير والشافع فيهم " هو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين " ، ولكن أيا كان ، فإن دلالة النص وهو في هذا الوضع يورد من الأسئلة والإشكالات على من قال بصلب المسيح أكثر مما يورد على من قال بنجاته وصلب يهوذا .

ويرى محمد الأفندي أن لاعلاقة بين هذا الإصحاح في إشعيا، وبين حادثة الصلب ، فالإصحاح يتحدث عن قصة بني إسرائيل، وذلهم في بابل بسبب معاصيهم ومعاصي سلفهم، فحاق بهم عقوبة الله التي عمت صالحيهم وفجارهم، ويوضح ذلك في أن قوله " هو ذا عبدي .. كما اندهش منك كثيرون كان منظره كذا مفسدا أكثر من الرجل ، وصورته أكثر من بني آدم " فالمقصود بالعبد شعب إسرائيل، فقد عهد في التوراة إطلاق الفرد والمراد الشعب كما في إشعيا: " يقول الرب، خالقك يايعقوب ، وجابلك يا إسرائيل ..... وإذا اجتزت في المياه فأنا معك ، وفي الأنهار فلا تغمرك ، لأني أنا الرب إلهك ، قدوس إسرائيل، مخلصك، جعلت مصر فديتك " (إشعيا ٤٣/١ – ٣) ومثله في (إشعيا ٤١/٨) .

فيصف إشعيا ٥٢ و ٥٣ غربة بني إسرائيل وذلتهم ، ثم يتحدث عن عودة أبنائهم من أرض السبي "نبت قدامه كفرخ ، وكعرق في أرض يابسة " فقد عادوا للأرض المقدسة ، ونبتوا فيها ، كما وصفهم إرميا النبي في مراثيه .

ولايصح حمله على المسيح، لقوله: " لاصورة ولاجمال " بل الحديث عنهم ، وقد تغيرت صورتهم بسبب الذل فكان الشعب " محتقر مخذول .. الرب وضع عليه إثم جميعنا " ويفسره قول إرميا وقد شاهد الأسر البابلي: " آباؤنا أخطأوا ، وليسوا بموجودين، ونحن نحمل آثامهم ، عبيد حكموا علينا ، ليس من يخلص من أيديهم ، جلودنا اسودت من جري نيران الجوع " (مراثي ٥/٧ – ١٠) .

وقوله " ظلم " كقوله " ثم ظلمه آشور بلا سبب " (إشعيا ٥٢/٤)

وكقوله " إن بني إسرائيل وبني يهوذا معا مظلومون " (ارميا ٥٠/٣٣)

وأما قوله " كشاة تساق إلى الذبح .... "فهو حديث عن ملك بابل ، وقد ساق بني إسرائيل ، كما تساق الشياه إلى الذبح ، كما في (إرميا ٥١/٤٠)" أنزلهم كخراف للذبح ، وككباش مع أعتدة " فمات أكثرهم جوعا .

وقوله " وجعل مع الأشرار قبره ، ومع غني عند موته " أي أن دفنهم في بابل كان مع الوثنيين ، ولا يمكن حمله على المسيح المدفون وحده في بستان ، في قبر جديد، لم يدفن فيه معه لا شرير ولاغني .

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٥٥ – ٢٦٢ .

"فسر أن يسحقه بالحزن" وفي نسخة كاثوليكية: "رضي أن يسحقه بالعاهات، أن جعل نفسه ذبيحة إثم. " وفي الأصل العبري: " أراد الرب أن يضربه بالحزن ، لأنه جعل نفسه آثما. " ومثله في قول إشعيا لأورشليم :" اثنان هما ملاقياك ، من يرثي لك الخراب، والانسحاق، والجوع ، والسيف ، بمن أعزيك ، بنوك قد أعيوا ، واضطجعوا في رأس كل زقاق " .

وقوله :" يرى نسلا تطول أيامه " فهو إشارة لرجوعهم إلى وطنهم، بينا المسيح ليس له نسل .

وأما قوله: " عبدي البار بمعرفته يبرر كثيرون ، وآثامهم هو يحملها " يتحدث كيف شمل البؤس بررة بني إسرائيل وعصاتهم ، كما قال الله ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ (1) وإكراما للبررة من بني إسرائيل، طهرهم الله من ذنبهم ، ورفع عنهم هذه العقوبة ، كما في ارميا: " وأراد سبي يهوذا .

ومثله " في تلك الأيام يطلب إثم إسرائيل فلا يكون ، وخطية يهوذا فلا توجد ، لأني أغفر لمن أبقيه " (إرميا ٥٠/٢٠) فأسرهم وقد حملوا خطيئة آبائهم ، ثم غفرت ذنوبهم .

وقوله: " هو حمل خطية كثيرين، وشفع في المذنبين "والترجمة الصحيحة يراها الأفندي" وللعصاة يدعو " بالتوبة والهداية .

وينوه بتحريفهم في قولهم: " ضرب من أجل ذنب شعبي " ، وهي في الأصل العبري " ضربوا " فحرفوها لتنطبق على المسيح .

وقوله " أحصي مع أثمة " يحكى عن وجود بني إسرائيل مع الوثنيين في بابل، ولايصح أن تصرف للمسيح ، وأن الأثمة هما اللصان ، إذ قد وعد أحدهما الفردوس، فكيف يوصف بعد ذلك بالآثم ؟!

ويسجل المؤلف هنا استغرابه لصلب اللصوص ، إذ ليس هذا من مقتضى شرائع الرومان ، ولا اليهود.(2)

ولسائل أن يسأل عن سر هذا الاختلاف الكبير في تأويل النص عند علمائنا ، فمن قائل: إنه نبوءة بيهوذا، وآخر: بالمسيح ، وآخر: بنبي آخر الزمان محمد صلى الله عليه وسلم ، وآخر: بل قصة تتعلق بشعب إسرائيل . ونقول إن ذلك نتيجة طبيعية ، لأن البحث في نص غامض العبارات ، متباين الترجمات ، تناولته أيدي التحريف ، فما عاد يصلح لغموضه. أن يدل على أي مسألة من المسائل ، أو أي أحد من الناس.

وقد قصد علماؤنا الوعر، وحاولوا توجيه النص، وفهمه حسب المسائل المتيقنة عندهم، فكان هذا التباين في التفسير . ولعل أقرب هذه الأقوال وأصحها، ما ذهب إليه الأفندي في أن الإصحاح يتحدث عن شعب إسرائيل، وسببه، وذلته، ثم نجاته . ويدل عليه أن هذا هو فهم النص عند اليهود وهم أصحاب الكتاب.

وأخيرا، فإن في أسفار العهد القديم حديثا عن ملك اليهود الظافر ، والنصارى يقولون هي نبوءات

---

(1) سورة الأنفال ، من آية : ١٢٥ .

(2) انظر : دين الله في كتب أنبيائه ، محمد توفيق صدقي أفندي ، ص ٢٨ – ٣١ .

عن المسيح ، وهذه النبوءات ستحقق عند عودة المسيح الثانية .

لكن الأفندي يرى أن القول بالصلب يتعارض مع هذه النبوءات ، ويرى أن اعتقاد اليهود بصلب المسيح كان أحد الموانع التي منعتهم من الإيمان به، لعدم تحقق النبوءات فيه .[1]

كما ثمة نبوءات أو نصوص. تمنع أن يكون المسيح قد صلب فداء عن البشرية منها ماجاء في سفر الأمثال: " الأشرار يكونون كفارة لخطايا الأبرار " (أمثال ٢١/١٨)[2]

ويورد التميمي ومحمد أفندي نصا توراتيا آخر يدل على نجاة المسيح وصلب غيره ، فقد جاء في سفر الأمثال " بر الكامل يقوم طريقه ، أما الشرير فيسقط بشره بر المستقيمين، ينجيهم ، وأما الغادرون فيؤخذون بفسادهم ، الصديق ينجو من الضيق ، ويأتي الشرير مكانه " (الأمثال ١١/٥ - ٨) .[3]

---

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠٦ ، والنبوءات كثيرة منها زكريا ٩/٩ - ١٧ ، ملاخي ١/٣- ٦ ، ملاخي ٤/٥ ، إشعيا ١١/١-٦ ، حجي ٢/٦ - ٩ وغيرها .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٧٨ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٦٩ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧٧ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٥ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٣) انظر : السيف الصقيل في الرد على رسالة البرهان الجليل، بكر التميمي، ص ١٢٢ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٦٩ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٦٥ - ٦٦ .

المطلب الرابع: إبطال الصلب بنبوءات وأخبار الأناجيل والرسائل

تتحدث الأناجيل الأربعة عن صلب المسيح، كخاتمة لوجوده على الأرض ، ولكن: هل تنبأ المسيح بأنه سيصلب ؟ وهل عرف بذلك تلاميذه ؟ لاريب أن إجابة النصارى تتلخص في أن المسيح عرف أنه سيصلب وسيسلم لأعدائه، وأنه أخبر تلاميذه بذلك . وحجتهم في ذلك قول متى: " تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح، وابن الإنسان يسلم ليصلب " (متى ١/٢٦) لكن الناظر في الأناجيل، يرى أيضا أن المسيح تنبأ بنجاته، بل أعلنها على ملأ اليهود ، وتحداهم ، وأخبر بأنه غلبهم ، وغلب العالم .

فكما تشهد الأناجيل بصلب المسيح ، فإنها تنقل عن المسيح شهادته بنجاته، وقد تجاهل النصارى هذه الروايات ، و لم يلتفتوا إليها ، بيد أن علماءنا حال نقدهم لفكرة صلب المسيح تنبهوا لهذه الروايات ، وقبل أن نشرع في بيان ذلك، نتوقف مع "عبد الرحمن البغدادي" وهو يرفض زعم النصارى بأن المسيح عرف بأنه سيصلب ، وأنه أخبر تلاميذه بذلك ، فإن التنبؤ بالصلب ذكره متى في (١/٢٦) بينما لايذكر الثلاثة الآخرون مسألة الصلب ، وإن ذكروا بأن المسيح تنبأ بأنه سيضرب وسيقتل .(انظر مرقس ٣١/٩ - ٣٢ ، ولوقا ٤٤/٩ - ٤٥) ويرى أنه لو كان المسيح تنبأ بصلبه وقتله ، لما كان هناك داع لترقبه وحذره ، بل إن ذلك فرار من قضاء الله الحتمي، لايليق بحاله سواء قلنا بربوبيته أو رسالته .

ولو كان صحيحا، لما صح أن يناضل بطرس عنه ، ويقطع أذن العبد .[1]

ولا أجد العلامة "البغدادي" محقا فيما ذكره ، فمعرفة الإنسان المؤمن لقدر الله، لاتجيز له تسليم نفسه لعدوه ، والامتناع عن الدفاع عن نفسه ، والأخذ بأسباب الحياة .

ولكن الحقيقة تكمن في أن خبر تنبؤ المسيح بقتله أو صلبه، قول دخيل على الأناجيل، ملحق بها ، ويقيم محمد أبو الغيط الفرت الأدلة على ذلك ، ومنها :

- أن لوكان المسيح قد نزل إلها متجسدا من أجل أن يصلب فقط، لكان لابد لهذا الأمر من كثير بيان واهتمام في الأناجيل والتوارة ، لكنك لاتجد شيئا من هذا ، مع وجود بعض البشارات به في التوراة ، لكنها لاتذكر صلبه ، ولاتتعرض له ، ولايصح ذلك لقوله " يرسل الرب يسوع المسيح المبشر به لكم قبل الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء ، التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين " (أعمال ٢٠/٣ - ٢١) .

ومن النصوص التوارتية التي تقول النصارى إنها بشرت به، و لم تذكر وظيفة الصلب؛ بل ذكرت ما سوى ذلك من نجاته ومجده وقوتهما جاء في إشعيا: " قال الرب جابلي من البطن عبد إله لإرجاع يعقوب إليه، فينضم إليه إسرائيل ، فأتمجد في عيني الرب ، وإلهي يصير قوتي "(إشعيا ٥/٤٩)

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ٤٠١ .

ومثله أيضا: النصوص الإنجيلية التي وردت على لسان يحيى المعمدان ، فقد بشر بقدوم المسيح ، ولم يشر البتة إلى هذه الوظيفة العظيمة لو صحت .

فقد قال عنه: " فإن هذا هو الذي قيل عنه بإشعيا النبي، القائل : صوت صارخ في البرية، أعدوا طريق الرب ، اصنعوا سبله مستقيمة " (متى ٣/٣) ، وقوله في مرقس: " وكان يكرز قائلا: يأتي بعدي من هو أقوى مني ، الذي لست أهلا أن أنحني وأحل سيور حذائه ، أنا عمدتكم بالماء ، وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس " (مرقس ٧/١ - ٨) ، ومثله (يوحنا ٢٦/١ - ٢٧) .

●ومنها: أن العبارة في متى وردت بلا مقدمة، ولا مناسبة، ولا تعليق عليها من قبل الحواريين، حتى وكأنها تتحدث عن حدث عادي ، فلئن صحت، دل ذلك على أن ابن الإنسان المصلوب المسلم لأيدي الخطاة، هو غير المسيح .

● ذكر الإنجيليون الثلاثة الذين ذكروا الخبر بأن المسيح سيقوم في اليوم الثالث (انظر متى ٢٣/١٧ ، مرقس ٣٢/٩ ، لوقا ٣٣/١٨) ، وهذا لم يحصل ، بل مكث مالايزيد بحال عن ليلتين ويوم .

● يقترن وصف الأناجيل الثلاثة لردة فعل التلاميذ حيال هذا الخبر بكثير من الغرابة ، ففي متى (١/٢٦ - ٢) لم يذكر لهم حسا ولا خبرا ، بيد أنه في (متى ٢٣/٢٦) ذكر بأنهم " حزنوا جدا " ويفهم منه أنهم فهموا مراده فحزنوا ، لكن مرقس يقول " وأما هم فلم يفهموا القول ، وخافوا أن يسألوه " (مرقس ٣٢/٩) ، ويؤكد لوقا هذا بقوله " وأما هم فلم يفهموا من ذلك شيئا ، وكان هذا الأمر مخفيا عنهم ، ولم يعلموا ما قيل "

●وإضافة إلى تناقض النصوص ، فإن في خوف التلاميذ من المسيح ما يدعو للعجب ، فقد عرف بدماثة خلقه ، وبتحببه لهم، حتى إنه غسل أرجلهم ، وكثيرا ما كانوا يسألوه ، فلم لم يسألونه في هذا الأمر الخطير ؟

● تتحدث المواضع الأربعة — السابق ذكرها- عن تسليم ابن الإنسان، وقتله أو صلبه ، ولاتنص على عيسى، لكن اللفظ — وإن تبادر في الذهن إلى المسيح — فإنه يصح أن يطلق على غيره ، بدليل أنهم سألوه عن ابن الإنسان من هو بقولهم " من هو هذا ابن الإنسان؟ " (يوحنا ٣٤/١٢) ولو كان خاصا هذا اللقب بالمسيح، لما كان في سؤالهم وجه .

●ومما يدل على عدم صحة التنبؤ بالصلب والقتل: فرار التلاميذ ، وفيهم بطرس الذي قال له المسيح: "طلبت من أجلك لكي لايفنى إيمانك ، وأنت متى رجعت ثبت إخوتك ، فقال له : يارب، إني مستعد أن أمضي معك، حتى إلى السجن، وإلى الموت " (لوقا ٣٢/٢٢ - ٣٤)

فدل هذا على معرفتهم بأن المأخوذ غيره ، كما قد عرفوا ذلك فهربوا ، وقد قال عنهم المسيح:" الذين أعطيتني حفظتهم ، ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك " (يوحنا ١٢/١٧) ثم بعد ذلك ولأن أمر

المصلوب لايهمهم وقد عرفوا بنجاة سيدهم لم يهتموا بمتابعة المصلوب وهو علـــى الصليـــب، أو في أثنـــاء المحاكمة، إلا ما جاء عن بطرس ويوحنا وبعض النسوة .[1]

ثم إن خبر تنبؤ المسيح بقتله وصلبه، معارض بنصوص كثيرة، أخبر المسيح فيها بنجاته ، ومنـــها قولـــه حسبما جاء في يوحنا: " فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليمسكوه ، فقال لهم يسوع : أنا معكـــم زمانا يسيرا بعد ثم أمضي إلى الذي أرسلني ، ستطلبونني ولاتجدونني وحيث أكون أنـــا لاتقـــدرون أنتـــم أن تأتوا " وقد فهم منه البوح أنه أراد نجاته منهم " فقال اليهود فيما بينهم : إلى أين هذا مزمع أن يذهب حـــتى لانجده نحن ؛ ألعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ، ويعلم اليونانيين ، ماهذا القـــول الـــذي قـــال : ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لاتقدرون أنتم أن تأتوا ؛" (يوحنا ٣٢/٧ – ٣٦) .

ومرة أخرى، جاهر المسيح بنجاته منهم قائلا " أعلم من أين أتيت ، وإلى أين أذهب ، وأما أنتم، فـــلا تعلمون من أين آتي ، ولا إلى أين أذهب .... قال لهم يسوع أيضا : أنا أمضى، وســـتطلبونني وتموتـــون في خطيتكم ، حيث أمضى أنا لاتقدرون أنتم أن تأتوا . فقال اليهود : ألعله يقتل نفسه حتى يقـــول : حيـــث أمضي أنا لاتقدرون أنتم أن تأتوا . فقال لهم : أنتم من أسفل . أما أنا فمن فوق . أنتم من هذا العـــالم ... فقال لهم يسوع: متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون إني أنا هو، ولست أفعل شيئا من نفســـي ، بـــل أتكلم بهذا كما علمني أبي ، والذي أرسلني هو معي، و لم يتركني الأب وحدي، لأني في كل حين أفعل مـــا يرضيه " (يوحنا ٢١/٨ – ٢٩) .

ثم مرة أخرى، لما أعطى يهوذا اللقمة قال لتلاميذه " يا أولادي أنا معكم زمانا قليلا بعد ، ستطلبونني ، وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لاتقدرون أنتم أن تأتوا، أقول لكم أنتم الآن ..... قال له سمعان بطـــرس : يا سيد، إلى أين تذهب ، أجابه يسوع : حيث أذهب لاتقدر الآن أن تتبعني ، ولكنـــك ســـتتبعني أخـــيرا " (يوحنا ٣٢/١٣ - ٣٦) .

ومنها أيضا قول المصلوب (يهوذا) وهو في المحاكمة " من الآن يكون ابن الإنسان جالسا عن يمـــين قوة الله " (لوقا ٦٩/٢٢) فقد رأى يهوذا نجاة المسيح بما رآه أو سمعه من المسيح عن نجاته، وما شاهده مـــن نجاة المسيح لحظة ألقي الشبه عليه .[2]

وقد رأى أصحاب الردود الإسلامية في هذه النصوص نبوءة واضحة بنجاة المسيح عليه الســـلام مـــن يد أعدائه ، وأنه سيرفع للسماء، فهو المكان الذي لايقدرون عليه ، ولو كان مقصده الموت ، فإن ذلك أمـــر يطيقه كل أحد ، كما أن أحدا لايتحدى بأنه سيموت وهم لن يستطيعوه . لقد كـــان المســـيح يتحـــدى أعداءه وهو يقول :" هو ذا بيتكم ، يترك لكم خرابا ، لأني أقول لكم : إنكم لاترونـــني مـــن الآن، حـــتى

---

(١) انظر : قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفـــرت ، ص ٤٥ – ٥٦ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٠٠ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيـــب ، ص ٤١٣ .

(٢) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٣٩ .

تقولوا مبارك الآتي باسم الرب " (متى ٢٣/٢٨ – ٢٩) .[١]

ويرى "عبد الرحمن باجي زادة البغدادي" بأن قوله " وأما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني " (يوحنا ١٦/٥) وقوله " إنكم لاترونني من الآن " يدلان على أن وقت الرفع كان بعد قوله هذا مباشرة أي قبل أيام من وقوع حادثة الصلب ويرى أيضا أن إنكار النصارى لذلك، يعني تكذيبهم للمسيح .[٢]

ومن النصوص التي تحدثت أيضا عن نجاة المسيح قوله: "هو ذا تأتي ساعة وقد أتت الآن ، تتفرقون فيها، كل واحد إلى خاصته ، وتتركونني وحدي ، وأنا لست وحدي ، لأن الآب معي ، قد كلمتكم بهذا ليكون لكم في سلام ، في العالم سيكون لكم ضيق ، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم " (يوحنا ١٦/٣٢ – ٣٣) فأين هذا من القول بصفع المسيح وصلبه وضربه ؟[٣]

ومن النصوص الدالة أيضا على نجاة المسيح قول يوحنا " من عند الله خرج، وإلى الله يمضي " (يوحنا ١٣/٣) ولو كان المقصود الموت ، فكل الناس إلى الله تمضي ، والقول بأن مضيه إنما يكون بعد الدفن ثلاثا، يحتاج لدليل يثبت ذلك .

ومن الأدلة على نجاة المسيح قول يوحنا " وكما رفع موسى الحية في البرية ، هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان، لكي لايهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية " (يوحنا ٣/١٤) .

وترى "مديحة خميس" أن معنى النص " لو قتل لهلك كل من آمن به واتبعه ، وبذلك تضيع الحياة الأبدية التي هي الجنة "[٤] وتفسيرها للرفع : الرفع إلى السماء قبل القتل والصلب . بينما يفسر النصارى الرفع بالرفع على الصليب ، وهو أقرب .

ولكن هذا الرفع يصعب حمله على ماجاء في متى " فقال لهم يسوع : هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا مادام العريس معهم ؛ ولكن ستأتي أيام، حين يرفع العريس عنهم ، فحينئذ يصومون "

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٠٠ ، ٤١٥ – ٤١٦ ، ٤٧٢ ، ٤٧٧ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٩٩ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧٣ – ١٧٤ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٠٧ – ٢٠٩ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٥٥ – ١٦٣ ، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١١٣ – ١١٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢١ – ٢٢ ، ٢٠٨ ، ٢٦٨ – ٢٦٩ ، الاختلاف والاتفاق بين إنجيل برنابا و الأناجيل الأربعة ، محمد عبد الرحمن عوض ، ص ١١٦ ، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٢٣ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١١٤ – ١١٥ .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٥١٥ – ٥١٦ .

(٣) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٩٣ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٩٩ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٦٢ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ١١٥.

(٤) رحلة في أرجاء الكتاب المقدس ، مديحة خميس ، ص ٢٦ .

(متى ٩/١٥) [١]

ويرى النجار في "المنارات الساطعة" أن مما يدل على رفع المسيح: تنبؤ زكريا عنه، يقول لوقا: " ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته " (لوقا ١/١٧) ، والمعنى كما يراه النجار: أن المسيح سيأتي قبل محمد صلى الله عليه وسلم بمثل معجزة إيليا ، الذي ذكر عنه سفر الملوك الثاني أنه رفع إلى السماء (انظر ملوك (٢) ٢/١١) [٢]

ولكن النجار لم يتنبه إلى أن نص لوقا ليس نبوءة عن المسيح، بل هو بشارة الله لزكريا. فقد قال له الملاك: " لاتخف يا زكريا، لأن طلبتك قد سمعت ، وامرأتك أليصابات ستلد لك ابنا، ونسميه يوحنا.... ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته " (لوقا ١/١٣ – ١٧) .

ولئن كان بولس قد تولى كبر القول بصلب المسيح، فإن الحق يراه المتبصر في فلتات لسانه ، فيجد ما يدله على نجاة المسيح من الصلب . ومن ذلك قوله في وصف ملكي صادق: " لأن ملكي صادق هذا ملك ساليم، كاهن الله العلي ، .. بلا أب ، وبلا أم ، بلا نسب ، لابداءة أيام له، ولانهاية حياة ، بل هو مشبه بابن الله، هذا يبقى إلى الأبد " (عبرانيين ٧/١ –٣) فيفهم علاء أبو بكر من قوله بولس هذا: أن ليس للمسيح نهاية أرضية سابقة، كما هو الحال في ملكي صادق .[٣]

ومن ذلك أيضا : أن في أقوال بولس ما يجعل الصلب قضية مجازية حصلت للمسيح ، ويرى ذلك بالإمعان في هذه الأقوال ، ومنها قوله: " أيها الغلاطيون الأغبياء ، من رقاكم حتى لاتذعنوا للحق ؟ أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوبا " (غلاطية ٣/١) وقوله: " لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضا بقيامته ، عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه، ليبطل جسد الخطيئة فإن كنا قد متنا مع المسيح، نؤمن أننا سنحيا أيضا معه .. كذلك أنتم أيضا ، احسبوا أنفسكم أمواتا عن الخطية " (رومية ٦/٥ — ١١) . ويرى هاشم جودة أنه يفهم من العبارتين أن المسيح لم يصلب جسده ، و لم يذق الموت، بل كاد .[٤] ويقول عبد الرحمن باجة بأن المصلوب رسم هيكله، لاذاته الحقيقية [٥] ومن المعلوم أن الغلاطيين لم يشاهدوا صلب المسيح ، والمقصود من رؤيتهم المسيح مصلوبا: الرؤية المجازية .ويقول بولس: "أما نحن فنكرز بالمسيح مصلوبا ، شكا لليهود ، وجهالة للأمم " (كورنثوس (١) ١/ ٢٣) ، وقد قال قبلها :" فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة ، وأما عندنا نحن المخلصين – فهي قوة الله " (كورنثوس (١) ١/١٨) .[٦]

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨ .

(٢) انظر : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، رؤوف شلبي ، ص ٢٩٩ .

(٣) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ١٧٣ – ١٧٤ .

(٤) انظر : العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٤٨ .

(٥) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٧٥ .

(٦) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠٦ ، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن

ولعل أقوى ما نقل عن بولس في هذا الباب، قوله " في أيام بشريته قرب تضرعــــات واســتغاثات ، وصراخ شديد ، ودموع ذوارف للقادر، الذي بوسعه أن يخلصه من الموت ، فاستجاب له من أجل تقـــواه " (عبرانيين ٥/٧) . فقد رأى أصحاب الردود الإسلامية في النص، شهادة ناطقة، بأن الله استجاب للمســيح تضرعه في تلك الليلة ، وصرف عنه ما كان يحذره ويخافه من الصلب .[(١)]

وأرى أن النص لايتحدث عن المسيح مباشرة ، بل جاء في سياق تشبيه المسيح بملكي صادق، حيـــث جاء في أوله:" أنت كاهن إلى الأبد ، على رتبة ملكي صادق ؛ الذي في أيام جســـده ... " وقــد تجــاهل علماؤنا هذا فأقاموا المشبه مقام المشبه به ، لاستوائهما في الحكم ، وبذلك تكون دلالته صحيحة .

وتساءل عبد الرحمن باجي زادة عن تضرع المسيح ودعائه وطلبه صرف الصلب عنه هل كان المســيح يجهل أنه سيصلب ، وإذا كان يعلم أنه سيصلب فما فائدة هذا الدعاء والتضرع . فقيام المسيح بالدعاء دليــل على ثقته بأن الله سيستجيب له. ثم لايليق أن يقال بأن الله رد المسيح خائبا بعد هـــذا التضـــرع والدعـــاء ، فمثل هذا لايحصل إلا مع عصاة العباد [(٢)] .

ومما يؤكد استجابة الله للمسيح: ظهور ملاك له ليقويه (انظر لوقا ٤٣/٢٢) فهل كان ذلك المـــلاك يضحك عليه ؟ أم يعينه فينجيه [(٣)]

ويرى الخولي أن هذا هو ما يليق بعدل الله ورحمته ، وأن الله استجاب للمسيح فأنجاه ، وصلب يــهوذا الخائن ، فهذا أليق بعدل الله وكرمه من القول بعدم استجابته للمسيح، وصلبه .[(٤)]

فاستجابة الله للأنبياء والصالحين حال دعائهم أمر مشهود ، فقد وعد رسله بالنجاة ؛ كما وعد دواد،

"لا أموت، بل أحيا ، وأحدث بأعمال الرب .. إلى الموت لم يسلمني "(مزمور ١١٨/١٧ – ١٨) ، ومثله كثير (مزمور ٩/١٦) ، (مزمور ٢١/٨ – ١١) وفي رسالة يعقـــوب " صـــلاة الإيمـــان تشـــفي المريض ، والرب يقيمه..." طلبة البار تقتدر كثيرا في فعلها ، كان إيليا إنسانا تحت الآلام ، ومثلنـــا صلـــى صلاة أن لاتمطر فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر ، ثم صلى أيضا فــأعطت الســماء مطـــرا ، وأخرجت الأرض ثمرها " (يعقوب ٥/١٥ – ١٨) [(٥)]

عبد الرحمن ، ص ١-٦ .

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٧٢ ، براهين تحتاج إلى تـــأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١١٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢١ ، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ص ٧٤ ، المسيحية ، أحمد شلبي ، ص ١٤٤ .

(٢) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٠٢ ، ٥١٤ ، براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهيـة المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١١٠ – ١١١ .

(٤) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٠٦ .

(٥) انظر : مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديدات ، ص ٧٤ .

وقد استجاب الله عز وجل لإبراهيم لما أمره بذبح ابنه ، فامتثل لأمر الله، فأنجى الله ابنه واستجاب له طلبه .[1]

ويجلي منصور حسين هذه الفكرة ، فالنصارى يعتبرون قصة إبراهيم، وهمه بذبح ابنه؛ رمزا للمسيح المصلوب. فيقول هودجكن في كتابه " المسيح في جميع الكتب " : " تقدمة إسحاق [2] هي أحد أكمل الرموز الكتابية المشيرة إلى الذبيحة العظيمة التي قدمت في الجلجثة ، ولنتأمل ذلك بتورع ودقة ، ونسير خطوة بعد أخرى بخشوع، لأننا نسير في أرض مقدسة .. " وقد تلخص عرضه المسهب بأن الله طلب من إبراهيم ذبح ابنه الوحيد الذي يحبه – كما أن المسيح هو ابن الله الوحيد الحبيب – ، في أرض المريا – أورشليم – ، وعلى أحد جبالها ، – كالمسيح تماما حيث ذهب به إلى جبل الجلجثة – وأضجع إبراهيم ابنه للذبح، وناداه ملاك من الرب في المساء ، فتوقف عن ذبحه ، وذبح بدلا منه الكبش.

وينقل منصور حسين أيضا عن حبيب إسماعيل في كتابه " خليل الله في اليهودية والمسيحية " قوله: "على أن للقصة وجها آخر ، إذ هي توحي من بعيد إلى ذبيحة أعظم من الأجيال اللاحقة .. كان إسحاق الذبيح " ابن الموعد " ،إذ ولد بطريقة خارقة للطبيعة ، وكان يسوع أيضا النسل الموعود به ، وكإسحاق أعطى اسما قبل أن يحبل به في بطن العذراء " حمل إسحاق الحطب الذي وضع عليه واستسلم عندما ربط، و لم يفتح فاه واثقا أن أباه يعرف ما هو خير ، وكذلك حمل المسيح صليبه الذي علق عليه ، ورضي تقديم نفسه عن اختيار"

وممن وافق القائلين بأن قصة المسيح رمز لها من قبل بقصة إبراهيم وابنه المفتدى من الذبح – صاحب كتاب " يسوع المسيح في ناسوته وألوهيته " ويرى منصور حسين أن ثمة تكلفا وتعسفا واضحا وقع فيه النصارى ، وهم يبحثون عن نبوءات تتحدث عن المسيح ، وهو يرفض هذه الكيفية في استنباط النبوءات ، فلا ريب أن حادثة ذبح إبراهيم لابنه لاعلاقة لها البتة بموضوع صلب المسيح المزعوم .

ثم يتنزل منصور حسين مع النصارى في رمزية قصة إبراهيم وابنه، ويعجب لم لم يكمل الرمز؟ فلقد دعا إبراهيم ودعا المسيح ، ولقد سمع نداء إبراهيم ودعاؤه ففدي ولده بكبش ، أما المسيح فلم يسمع لندائه !!.[3]

ثم إن الرمز ينقض عند أهم نقاط القصة ، فقد نجا إسحاق – كما زعموا – من الذبح ، وذبح بدلا عنه الكبش ، و لم ينج المسيح من الصلب .

لذا يتحول النصارى في فهمهم للرمز فيجعلون الكبش لاإسحاق رمزا للمسيح، وقد كان قبل إسحاق.

ولو سلم منصور حسين بأن حادثة الذبح رمز للمسيح ، فإن الرمز تام وكامل ، ويكمل بأن يسمع

---

(١) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٠ – ٣٢١ .

(٢) والصحيح أنه إسماعيل خلافا لما في سفر التكوين ٩/٢٢ – ١٣ .

(٣) لم يرد في سياق القصة التوراتية أن إبراهيم دعا طالبا صرف الأمر بالذبح (انظر التكوين ١/٢٢ – ١١) .

دعاء المسيح ،كما أجيب دعاء إبراهيم ، وأن ينجو المسيح كما نجا إسحاق ، وأن يفدى المسيح بالخائن يهوذا، كما فدي إسحاق بالكبش . ومن غير ذلك، فإن الرمز قد انعكس بدلا من أن يتم ويكمل. ويستشهد لما ذهب إليه بأن الله واحد ، ونستدل على وحدته بأمور منها وحدة الكون وتناسقه .. ومنها أيضا وحدة أفعاله جل وعلا ، فقد امتحن الله إبراهيم وابنه، فاستسلما لله ، وظهر منهما الإيمان ، فخلص الله الابن ، وفداه بالكبش ، ووحدة أفعال الله تقضي بنجاة وفداء المسيح الذي استسلم لإرادة الله وليكن لا ما أريد أنا ، بل ما تريد أنت " (مرقس ١٤/٣٧) .

أما أن يخلص هذا ويفدى ، ولايخلص هذا فهذا لايليق نسبته لله عز وجل .(١)

وهروبا من هذه النتيجة الطبيعية لرمزية قصة إبراهيم وابنه ، فإن القمص إسحاق باسيليوس يقول : لايسوغ لنا أن نعتبر إسحاق رمزا إلى المسيح. كما ظن بعض المفسرين وهو خطأ منهم " (٢)

ويؤكد العلامة ديدات على قرينة وحدة أفعال الله، لإبطال صلب المسيح والحكم بنجاته ، فقد نجى الله ابني دانيال، وإبراهيم، والفتية الثلاثة الذين ألقوا في النار .

أما نجاة إبراهيم، فقد ذكرت في قوله تعالى ﴿ قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم * فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ﴾(٣) .

وأما دانيال، فقد ألقاه الملك في جب مع الأسود ، وختم الجب بخاتمه ، ثم لما فتحه ناداه " يادانيال عبد الله الحي . هل إلهك الذي تعبده دائما قدر على أن ينجيك من الأسود ؟ فتكلم دانيال مع الملك : يا أيها الملك، عش إلى الأبد ، إلهي أرسل ملاكه ، وسد أفواه الأسود ، فلم تضرني، لأني وجدت بريئا قدامه وقدامك أيضا .. فأمر الملك، فأحضروا أولئك الرجال الذين اشتكوا على دانيال ، وطرحوهم في جب الأسود هم وأولادهم ، و لم يصلوا إلى أسفل الجب حتى بطشت بهم الأسود ، وسحقت كل عظامهم " (دانيال ٦/١٥ - ٢٤)

وأما الفتية الثلاثة فقد ألقوا في النار، ولكن " لم تكن للنار قوة على أجسامهم ، وشعرة من رؤوسهم لم تحترق ، وسراويلهم لم تتغير ، ورائحة النار لم تأت عليهم " (دانيال ٣/٢٧)

وهكذا ومن خلال هذه الأمثلة، يرى ديدات أن رعاية الله قد أحاطت بالمسيح ، وأنجته من يدي أعدائه، فتحقق ما كان قد تنبأ به بقوله " والذي أرسلني هو معي ، و لم يتركني الأب وحدي ، لأني في كل حين أفعل ما يرضيه " (يوحنا ٨/٩) (٤)

ويقول إبراهيم خليل وقد ذكر الأمثلة الثلاثة إنها " قرائن للتدليل على عناية الله ورعايته للأنبياء

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٦٤ - ٢٧٦ .

(٢) انظر " دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٧٧ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٦٨ - ٧٠ .

(٤) انظر : من دحرج الحجر ، أحمد ديدات ، ص ٢٣ - ٢٤ .

والصديقين ، وهي برهان حي قائم لئلا يكون لأهل الكتاب من النصارى على الله حجة بعد هذه القرائـــن من التوراة والقرآن الكريم " .[1]

ومما يؤكد ما ذهب إليه علماؤنا من نجاة المسيح وصلب غيره: ما جاء في إنجيل برنابا، وما وجـــد في مخطوطات نجع حمادي في مصر؛ حيث كشف بعد الحرب العالمية الثانية عن ثلاثة وخمسين نصـــا ، تقـــع في ألف ومائة وثلاثة وخمسين صفحة ، ومن هذه النصوص ما تحدث عن نجاة المسيح، وأنه لم يصلب .[2]

و لم يرد في هذه المخطوطات أي ذكر لمحاكمة المسيح وصلبه ، بل جاء في إنجيل بطرس علـــى لســـان بطرس : "رأيته يبدو كأنهم يمسكون به ، وقلت : ما هذا الذي أراه ياسيد ؟ هل هو أنت حقا من يـأخذون ؟ .. أم أنهم يدقون قدمي ويدي شخص آخر ؟ .. قال لي المخلص .. من يدخلون المسامير في يديـــه وقدميـــه هو البديل ، فهم يضعون الذي بقي في شبهة في العار ! انظر إليه ، وانظر إليه " .

وفي مخطوطة أخرى من هذه المخطوطات وهي كتاب " سيت الأكبر " جاء على لسان المسيح " كـــان شخص آخر ، هو الذي شرب المرارة والخل ، لم أكن أنا " كان آخر الذي حمل الصليب فوق كتفيه ، كـــان آخر هو الذي وضعوا تاج الشوك على رأسه . وكنت أنا مبتهجا في العلا .. أضحك لجهلهم " .

وفي مخطوطة " مقالة القيامة " : ما يدل على أن المسيح مات موتا طبيعيا ، وأن روحه المقدسة لايمكـــن أن تموت . وقد وجد على المجلدات رسم الصليب ، بيد أنه ليس الصليب اليوناني، بل الصليب المعهود عنـــد قدماء المصريين والذي يكثر وجوده على شواهد قبورهم ، ويعتبرونه مفتاح الحياة ، أي أنـــه يشـــير لنجـــاة عيسى عليه السلام .

ومن المعلوم أن الكنائس الغربية لم تستخدم الصليب الروماني بالمعنى الكنسي المعروف إلا في منتصـــف القرن الرابع ، حين ادعوا العثور على خشبة صلب عيسى .

وأما قبل ذلك، فقد كان شعار الحواريين وقدماء النصارى: السمكة. وقد وجدت بكثرة على شـواهد قبورهم .[3]

أما إنجيل برنابا: فيذكر قصة مقاربة لتلك القصة الموجودة في الأناجيل، ومن التشابه فيها: أن المســـيح دعا وتضرع في البستان ، وكان معه تلاميذه الأحد عشر ، وأن يهوذا جاء مع الجند ليدلهـــم علـــى مكـــان المسيح، مقابل ثلاثين من الفضة ، وأن التلاميذ كانوا نياما ، وأنهم هربوا لما استيقظوا ورأوا الجند . وكـــذا يذكر برنابا أن المأخوذ (يهوذا) قد أخذ إلى رئيس الكهنة الذي سأله إن كان هو المسيح، وعرضـــه علـــى

---

(١) محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ص ١١١ - ١١٢ ، وانظر : قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ٢/١٣٩ .

(٢) انظر : مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ١٥ .

(٣) المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ١٤-١٦ ، مخطوطات البحر الميت ، أحمد عثمـان ،ص ١٣٧ - ١٣٩ ، النصرانية ، مصطفى شاهين ، ص ٢٨٢ .

الوالي الذي كان يريد إطلاق سراحه، لقناعته ببراءة المقبوض عليه .

لكن الجموع رفضت ذلك . وقد ذكر برنابا أيضا تحويل بيلاطس – المقبوض عليه – إلى هيردوس، وسخرية هيردوس منه بعد أن كان يتمنى لقياه ، وأنه ألبسه إكليلا من الشوك، وثوبا من الأرجوان ، ثم أخرج فصلب .

وثمة نقاط صغيرة كثيرة تتشابه فيها رواية برنابا والروايات الإنجيلية ، لكن رواية برنابا تفترق في نقاط . أهمها : أن المقبوض عليه هو يهوذا، الذي ألقي عليه شبه المسيح. ويذكر أن المسيح أخرجته الملائكة سالما ، وصعدت به إلى السماء ، وأنه عاد بعد ذلك واجتمع بتلاميذه ، وأخبرهم بحقيقة ما حصل ، وبأنه نجا ، وأن الذي دفنوه وصلبوه وسرقوه هو يهوذا الإسخريوطي كما يذكر برنابا أن الجسد المصلوب قد سرقه بعض التلاميذ من القبر ، وأشاعوا قيامة المسيح من القبر ، ثم يختم بذكر صعوده إلى السماء ، بعد وداعه لتلاميذه ولأمه .[1] ومما ذكره برنابا في قصته :

" فاعلم يا برنابا أنه لأجل هذا يجب علي التحفظ ، وسيبيعني أحد تلاميذي بثلاثين قطعة نقود ، وعليه فأنا على يقين من أن من يبيعني يقتل باسمي ، لأن الله يصعدني في الأرض ، وسيغير منظر الخائن ، حتى يظنه كل أحد إياي ، ومع ذلك لما يموت شر ميتة؛ أمكث في ذلك العار زمنا طويلا في العالم ، ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس، تزال عني هذه الوصمة ، وسيفعل الله هذا لأني اعترفت بحقيقة مسيا ، الذي سيعطيني هذا الجزاء ، أي أن أعرف أني حي، وأني بريء من وصمة تلك الميتة .

فأجاب من يكتب : يا معلم . قل لي من هو ذلك التعيس ؟ لأني وددت لو أميته خنقا . أجابه يسوع: صه ، فإن الله هكذا يريد ، فهو لايقدر أن يفعل غير ذلك ، ولكني متى حلت هذه النازلة بأمي ، فقل لها الحق ، لكي تتعزى " " وخرج يسوع من البيت، ومال إلى البستان ليصلي ، فجثا على ركبتيه مائة مرة معفرا وجهه كعادته في الصلاة ... ولما دنت الجنود مع يهوذا في المحل الذي كان فيه يسوع سمع دنو جم غفير ، فلذلك انسحب إلى البيت خائفا ، وكان الأحد عشر نياما ، فلما رأى الله الخطر على عبده ، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم ، فجاء الملائكة الأطهار، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب ، فحملوه ، ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد."

"ودخل يهوذا إلى الغرفة . دخل يهوذا مندفعا أمام جميع من كانوا معه إلى الحجرة التي كان فيها عيسى، ثم رفع منها إلى السماء بينما كان التلاميذ نياما على أن الله العظيم القادر على كل شيء ، تصرف تصرفا عجيبا ، فحول يهوذا إلى صورة عيسى وهيئته وصوته وأسلوب حديثه تماما حتى اعتقدنا أنه عيسى

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٧٦ ، ما هي النصرانية ، محمد تقي العثماني ص ٧٣ ، الاختلاف والاتقان بين إنجيل برنابا ، والأناجيل الأربعة ، محمد عبد الرحمن عوض ، ص ١١٦ ، ١٢٠ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٩٤ – ٩٨ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٥٢ – ٣٥٦ .

ولما استيقظنا من النوم كان يدور ليعرف مكان المعلم، أما نحن فعجبنا للأمر، فقلنا له: إنك أنت معلمنا ومولانا ، هل نسيتنا ؟

فضحك يهوذا، وقال : إنكم لحمقى ألا تعرفوني؟ أنا يهوذا الأسخريوطي، وفي هذه اللحظة دخل الجنود، ووضعوا أيديهم على يهوذا فقد كان صورة طبق الأصل لعيسى .

ولما سمعنا نحن قول يهوذا ورأينا كتائب الجنود هربنا واختفينا ، كان يوحنا يلتف بقماش من التيل، فاستيقظ وهرب، ولما أمسك أحد الجنود بقطعة القماش، تركها له، وفر هاربا عاري الجسد ، إذ كان الله قد سمع دعوة عيسى، وبالفعل نجا التلاميذ الأحد عشر من كل شر" . (برنابا ٢١٤/١ - ٢١٦/١٣)

ثم لما رجع يسوع من السماء لوداع أمه " وبخ كثيرين من الذين اعتقدوا أنه مات، وقام قائلا : أتحسبونني أنا والله كاذبين ، لأن الله وهبني أن أعيش حتى قبيل انقضاء العالم ، كما قد قلت لكم ، الحق أقول لكم : إني لم أمت، بل يهوذا الخائن . احذروا، لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم ... وبعد أن انطلق يسوع تفرق التلاميذ في أنحاء إسرائيل والعالم المختلفة . أما الحق المكروه في الشيطان فقد اضطهده الباطل كما هي الحال دائما فإن فريقا من الأشرار المدعين أنهم تلاميذ بشروا بأن يسوع مات ولن يقوم ، وآخرون بشروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام ، وآخرون بشروا ولايزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله ، وقد خدع في عدادهم بولص .

أما نحن فإنما نبشر - بما كتبت - الذين يخافون الله ، ليخلصوا في اليوم الأخير لدينونية الله . آمين "
(برنابا ٢٢١/١٥ - ٢٢٢/٦)

وهكذا نجد الأدلة الإنجيلية تتوالى، وهي تصرح بوضوح تام بنجاة المسيح من كيد أعدائه ، فما على النصارى إلا الإذعان لهذه النصوص والقول بنجاة المسيح من الصلب .

الشك في شخص المصلوب:

ومن النصوص الدالة أيضا على نجاة المسيح، وأن المصلوب غيره النصوص التي ذكرت أن ثمة شك في شخص المصلوب، قد حصل عند اليهود والتلاميذ ، وهو ماذكره مرقس في إنجيله، من أن المسيح قال لتلاميذه: " كلكم تشكون في في هذه الليلة " (مرقس ١٤/٢٧) .

وقد وقعت يومذاك عدة صور للشك :

أولها : أن من جاءوا للقبض عليه أنكروا وجهه وصوته ، و لم يعرفوه حيث خرج إليهم وقال : من تطلبون ؟ فأجابوه : يسوع الناصري ، فأخبرهم بأنه هو، بيد أنهم لم يسارعوا للقبض عليه فأعاد عليهم السؤال، فأعادوا الجواب . (انظر يوحنا ١٨/٣ - ٨)

فهذا يدل على شكهم في شخصه ، والسؤال المثير للاستغراب: كيف وقعوا بهذا الشك والمسيح قد عاش بين أظهرهم وهو أشهر من علم ؟ .[1]

ويرى عبد الوهاب النجار أنه لايمكن الجزم بحقيقة المأخوذ ، وأنه المسيح، لأن يهوذا الذي استأجروه للدلالة عليه لم يقبل المسيح ، و لم ينطق بكلمة واحدة عندما وقف القائل وقال لهم من تطلبون ... أنا هو .[2]

ثانيها : شك رئيس الكهنة في شخصية المأخوذ ، وهو أمر جد مستغرب، إذ المسيح كان يجلس في الهيكل ، ويتحدث مع الكهنة ورؤسائهم ، ورأوه وهو يقلب موائد الصيارفة في الهيكل (انظر متى ٢١/١٢ - ١٥ ، ٢٣ - ٤٦)

وقد قال لهم حين جاءوا لأخذه: " كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني، كل يوم كنت أجلس معكم أعلم في الهيكل ، و لم تمسكوني " (متى ٢٦/٥٥)

ويرى محمد أبو الغيط الشك جليا في قول رئيس الكهنة له أثناء المحاكمة " أستحلفك بالله الحي، أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟ " (متى ٢٦/٦٢ — ٦٤) .

ويجلي لوقا ذلك فيقول " ولما كان النهار، اجتمعت مشيخة الشعب، ورؤساء الكهنة والكتبة ، وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين : إن كنت المسيح فقل لنا فقال لهم : إن قلت لاتصدقون ، وإن سألت لاتجيبونني ولاتطلقونني ، منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسا عن يمين قوة الله ، فقال الجميع : أفأنت ابن الله ؟فقال لهم

---

(١) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ١/٥٨٤ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٧٢ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ١٠١ - ١٠٣ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٣ ، حول موثوقية الأناجيل والتوراة ، محمد السعدي ، ص ٥٢ .

(٢) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٩٣ .

: أنتم تقولون إني أنا هو " (لوقا ٦٦/٢٢ - ٧٠) .

ويلاحظ محمد الفرت أن الجميع كان منشغلا بتحقيق شخص المأخوذ ، حتى في محاكمته .

ويلاحظ أيضا أن إجابة المأخوذ كانت :" أنت قلت " وقال لبيلاطس " أنت تقول " ثم ما هي الإجابة التي لن يصدقها رؤساء الكهنة ؟ ولو صدقوها لأطلقوه ؟ هي بلا شك: أنه ليس المسيح ، بل يهوذا ، وأما عيسى فقد أخبرهم يهوذا عن مكانه " جالسا عن يمين قوة الله " أو كما قال متى: " جالسا عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء " (متى ٦٤/٢٦) .

وقد يسأل سائل: كيف عرف يهوذا مكان المسيح ؟ والجواب بسيط، لقد رأى يهوذا المسيح وهو ينجو ويصعد به إلى السماء، يوم أن القي القبض عليه، بعد وقوع الجند .

فلماذا شكوا في شخصية المأخوذ ؟ لقد كانوا يعهدون في المسيح معالم معنوية، في كلامه، وذكائه وشجاعته، وعلمه ، وهم اليوم لايرون شيئا من ذلك، [1] وهو ما حصل مع هيردوس: " وأما هيردوس فلما رأي يسوع فرح جدا ، لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة ، وترجى أن يرى آية تصنع منه ، وسأله بكلام كثير ، فلم يجبه بشيء ... فاحتقره هيرودس مع عسكره ، واستهزأ به " (لوقا ٨/٢٣ - ١١)

وقد ركز أصحاب الردود على ثالث الشكوك وأهمها .

فثالثها : شك بطرس والتلاميذ ، وهو ما ينطبق عليه تماما قول يسوع " كلكم تشكون في " ولكن هل شك التلاميذ ؟

لاتذكر الأناجيل شيئا عن شك التلاميذ، سوى ماذكرته عن بطرس، وأما الآخرون فصمت مطبق ، فكيف شك التلاميذ ؟

يجيب أحمد عبد الوهاب بأن الشك هو تراجع داخل النفس، ويستشهد لتفسيره بما جاء في غير الترجمة العربية ، فالنص في التراجم الأخرى تعريبه هكذا :" كلكم ترتدون عن عقيدتكم وتزلون " ، ويفرق بين الإنكار والشك ، فالشك عمل قلبي ، والإنكار : قد ينكر الإنسان بلسانه ما يعتقده في قلبه ، والذي وقع من التلاميذ شك لا إنكار . فلقد آمن التلاميذ بالمسيح ، وصدقوه فيما تنبأ به ، فإذا رأوا ما اعتبروه مخالفا لنبوءاته، فسوف يحصل منهم الشك، والردة عن العقيدة .

ويورد هنا أحمد عبد الوهاب احتمالين :

---

(١) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٨٤/١ ، ٥٩٢ ،قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيظ الفرت ، ص ١٠٣ - ١٠٤ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧٦ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٧٢ ، ٧٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، مسيحية بلا مسيح ، كامل سعفان ، ص ٨٠ ، ونقله عن المنارات الساطعة للنجار في " يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء " رؤوف شلبي ، ص ٢٩٨ .

الأول : أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده ، وستحدث له آلمــا ومعانـــاة، إلا أنها ستفشل، وسينقذه الله من القتل ، كما في قوله: " ستطلبونني ولاتجدونني " . وهذا الــــذي حصـــل و لم يشاهدوه، بل شاهدوا ما حسبوه وظنوه نقيضه.

والثاني : أن المسيح تنبأ بأن المؤامرة ستنتهي بقتله، ولدى العودة إلى لحظة القبض على المسيح نجـــد أن التلاميذ جميعا قد هربوا، وتركوا المسيح وحده . ويبدو هنا شكهم واضحا ، لقد حصل ما لم يتوقعوه ، ومـــا لم يتنبأ به المسيح .

فلئن كان أخبرهم بأن سيقبض عليه وسيقتل، فليس ثمة ما يثير الشك ، وإن كان الاحتمال الأول بأنه سينجو، وأن المؤامرة ستفشل ، ولكنهم يجدونه قد قبض عليه ، و لم تتحقق نبوءته، فحينئذ وقعوا في الشك .

ويضع أحمد عبد الوهاب النصارى أمام خيارين :

الأول : نفي الشك عن التلاميذ وتكذيب المسيح .

الثاني : التسليم بأن الأناجيل تذكر نبوءات غير صحيحة تنسبها للمسيح .

فإن رفضوهما فليس لهم إلا أن يصدقوا بفشل المؤامرة ، ونجاة المسيح من الصلب .[1]

ويعجب محمد توفيق الأفندي ، كيف يشك التلاميذ في نجاة المسيح، وهم يرون ما لديه من قـــدرات خارقة كالتي تحكيها عنه الأناجيل ؟ مثل قدرته على الاختفاء عن أعدائه ، وقدرته على تغيير شكله ؟.[2]

إذن فلقد تحقق الشك، حين حسبوا المسيح هو المأخوذ والمصلوب، وقد كان أخبرهم بنجاته ، كمـــا قد سمعوا منه مرارا (انظر يوحنا ٣/٧) ومواضع أخرى .[3]

وأما سيء الذكر في الأناجيل - بطرس- ، فإنه الوحيد من بين التلاميذ الذي ذكر أصحاب الأنـاجيل شكه ، ويتمثل شكه عند النصارى في تنكره للمسيح، قبل أن يصيح الديك صباح تلك الليلة مرة أو مرتـــين على خلاف بين متى ومرقس .

لكن أحمد عبد الوهاب يفرق مرة أخرى بين الشك والإنكار ، فما حصل من بطرس هـــو إنكـــار ، وليس بشك ، فقد ينكر الإنسان بلسانه ما يعتقده بقلبه .

وأما الشك: فهو تراجع وتردد في القلب ، حقيقته شك في حقيقة المأخوذ والمصلوب أنـــه المســـيح،

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٣٨ - ١٣٩ ، ١٤٧ - ١٤٨ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٢) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٣) انظر : براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح ، محمد حسن عبد الرحمن ، ص ١١٢ ، العقائد المسيحية بـــين القـــرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٤٨ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧٣ ، حوار صريـــح بين عبد الله وعبد المسيح ، عبد الودود شلبي ، ص ١٠٤ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ،علاء أبو بكر، ص ٣٢٤ .

بخلاف ما أخبرهم به من نجاته ، وهو في الحقيقة غيره .[٤]

وهذا الشك في المصلوب، هو ما تؤكده وثيقة إبراء اليهود من دم المسيح والصادرة عن الفاتيكان ١٩٦٥ م فقد جاء فيها إن صحت النسبة إليها: " اليهود لم يصلبوا السيد المسيح إطلاقا ، وإنما صلبوا شخصا لم يعرفوه ، ولو عرفوا أنه المسيح: لم يفعلوا ذلك ... أقرب الناس إلى المسيح لم يعرفه ، فكيف يعرفه اليهود؟ " .[١]

ويرى علماؤنا في ذلك كله تصديقا لما أخبر عنه القرآن الكريم، قبل قرون طويلة من الشك في شخصية المصلوب . قال الله تعالى ﴿ وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ﴾[٢]

إمكانية نجاة المسيح:

كما تحوي النصوص التوراتية والإنجيلية أمورا تجعل نجاة المسيح ممكنة ، منها :

*أن المسيح – حسب ما ذكرت الأناجيل – قد أعطاه الله عز وجل قدرة على النجاة، والهروب من بين يدي أعدائه ، فقد اختفى منهم أكثر من مرة لما أرادوا به شرا ، فمن الطبيعي والمنطقي أن يهرب منهم يوم جاءوا للقبض عليه، وأمثلة هذه القدرة الباهرة كثيرة منها: قول لوقا " فامتلأ غضبا جميع الذين في المجمع حين سمعوا هذا ، فقاموا وأخرجوه خارج المدينة ، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كان مدينتهم مبنية عليه ، حتى يطرحوه إلى أسفل ، أما هو فجاز في وسطهم ، وانحدر إلى كفر ناحوم "(لوقا ٢٨/٤ – ٣١) .

ولما كان في الهيكل، وكثر الجدال بينه وبين اليهود، هموا بقتله " فرفعوا حجارة ليرجموه . أما يسوع فاختفى ، وخرج من الهيكل مجتازا في وسطهم ومضى " (يوحنا ٥٩/٨) .

وفي مرة أخرى جادلهم " فطلبوا أن يمسكوه ، و لم يلق أحد يدا عليه، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد، فآمن به كثيرون في الجمع ، وقالوا : ألعل المسيح متى جاء يعمل أكثر من هذه التي عملها هذا " (يوحنا ٣٠/٧ – ٣١) وقول يوحنا :" لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد " قول لا يلزمنا فإنه بصلب المسيح ، ويحاول أن يبرر اختفاء هذه الخاصية عند القبض على المسيح .

---

(٤) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٣٨ – ١٣٩ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧٥ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ١١٠ .

(١) دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٢٨ نقلا عن " التبرئة قضية سياسية" ، لبشير كعدان .

(٢) سورة النساء ، آية : ١٥٧ ، وانظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٨٥/١ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ١٠١ – ١٠٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٣ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٤٨ .

وفي يوم العيد حصل مثله " فحدث انشقاق في الجمع لسببه ، وكان قوم منهم يريدون أن يمسكوه ، ولكن لم يلق أحد عليه الأيادي " (يوحنا ٧/٤٣ - ٤٤) .

ولما تمشى في رواق سليمان، وأسمعهم دعوته " فطلبوا أن يمسكوه فخرج من أيديهم، ومضى أيضا إلى عبر الأردن " (يوحنا ١٠/٣٩ - ٤٠) .

ولما كان في الخزانة في الهيكل، حاولوا إمساكه " و لم يمسكه أحد، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد " (يوحنا ٨/٢٠) .

ويبقى السؤال أين اختفت هذه الخاصية للمسيح يوم المؤامرة العظمى؟ فلئن استعملها في الهرب من عامة اليهود ، فاستعمالها في الهرب من الجند أولى .[1]

ويرى علماؤنا في هذه النصوص تصديقا لما أخبر الله عز وجل عنه في شأن المسيح، حيث قال وهو يعدد نعمه على المسيح: ﴿ وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين ﴾ [2]

ويرى محمد أبو الغيط هذه الحماية مشابهة لحال نبينا صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة عندما خرج من بين الكفار الرابضين على بابه ، فستره الله عنهم ، ثم ستره مرة أخرى في الغار فكان ذلك مصداقا لوعد الله ﴿وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ [3]

ويعجب الخولي لإصرار النصارى على تكذيب المسيح وقد أخبر بنجاته ، وقد أمكن الله له سبل النجاة المتنوعة ، كما يسرها لكثيرين دونه في الفضل، منهم بطرس الذي دخل ملاك الرب إلى سجنه ، وحطم سلاسله وهو نائم، وأمره بالخروج (أعمال ١٢/٧) وكذلك بولس في زعمهم فقد تزلزلت الأرض ، وتصدع السجن ، وتحطمت القيود . وانفتحت الأبواب ، فهرب وصاحبه سيلا من سجنهما (انظر أعمال ١٦/٢٦) .

فلم أمكن هذا لبطرس وبولس ، و لم يمكن للمسيح وهو أولى منهما برعاية الله وحفظه ؟[4]

ويشبه ذلك ما تذكره الأناجيل ، ويفهم منه قدرة المسيح على اختراق الحجب، يقول يوحنا " ولما

---

(١) انظر : المنارات الساطعة للنجار نقلا عن يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، رؤوف شلبي ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٧٠ ، المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٥٦ - ١٥٨ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٤٠ - ١٥٨ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٦٧ - ٧٥ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ١١٠ ، انظر : المسيح إنسان أم إله ، محمد مجدي مرجان ، ص ١٥٨ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٦٧ - ٧٥ .

(٣) سورة الحج ، آية : ٢٩ ، وانظر : قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٧٥ .

(٤) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٨٥ .

كان عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود ، جاء يسوع، ووقف في الوسط ، وقال لهم سلام لكم " (يوحنا ١٩/٢٠) ، وفي لوقا لم يذكر إغلاق الأبواب ، وإن ذكر ما يشعر بوجود أعجوبة " وفيما هم يتكلمون بهذا، وقف يسوع نفسه في وسطهم ، وقال لهم: سلام لكم ، فجزعوا وخافوا ، وظنوا أنهم نظروا روحا " (لوقا ٣٦/٢٤ - ٣٧) .

*كما ثمة أعجوبة أخرى، تجعل نجاة المسيح وخلاصه من أيدي كائديه ممكنا، ألا وهي ماتذكره الأناجيل من قدرة المسيح على تغيير هيئته وشكله ، حتى يعجز المقربون منه عن معرفته ، وقد صنع ذلك مرارا.

فقد خفي بعد القيامة على تلاميذه مرات عديدة ، فخفي على مريم المجدلية التي هي من أقرب الناس إليه ، وظنته البستاني ، و لم تعرفه إلا بعد برهة (انظر يوحنا ١٤/٢٠ - ١٥) .

وكذلك خفي على التلميذين المنطلقين لعمواس ، و لم يعرفاه إلا بعد أن بارك لهما طعامهما . (انظر لوقا ١٣/٢٤ - ١٩) .

وخفي أيضا على التلاميذ مجتمعين ، وهم يصيدون في بحيرة طبريا ، وكان أول من عرفه بعد وقت طويل هو يوحنا (انظر يوحنا ١/٢١ - ٧) [١]

كما تقرر الأناجيل تغير شكله في أحداث قبل الصلب ، ومن ذلك: ما ذكره لوقا " وفيما هو يصلي صارت هيئة وجهه متغيرة ، ولباسه مبيضا لامعا ، وإذا رجلان يتكلمان معه، وهما موسى وإيلياء " (لوقا ٢٩/٩) .

ويذكر متى أنه أخذ بطرس ويعقوب ويوحنا " وصعد بهم إلى جبل عال منفردين ، وتغيرت هيئته قدامهم " (متى ١/١٧ - ٢) .[٢]

ويرى عبد الرحمن باجي زادة أن الخبر الأخير الذي رواه لوقا والذي تجعل الأناجيل حصوله قبل حادثة الصلب بأيام معدودة هو لحظة نجاة المسيح ، وأن الحدث كان حقيقة يوم حادثة الصلب، لكنهم لقلة ضبطهم وتناقضهم وقصورهم المعهود عنهم جعلوه قبل حادثة الصلب بأيام .[٣]

فلئن صح أن المسيح يقدر على ذلك، فهو دليل على قدرته على الخلاص والنجاة من أيدي أعدائه ،

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٥٠٦ ، قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرات ، ص ٧٦ - ٨٥ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٢٩ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٨٥/١ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٩ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٨٠ .

(٣) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .

وهذا لاريب يلجأ إليه في الشدائد ، والمؤامرة الأخيرة عليه من أشدها .

وقد رأينا مما سبق اتفاق القرآن مع النصوص التوراتية والإنجيلية ، التي تقول وتتنبأ بنجاة المسيح ، ورفعة إلى السماء ، وهذا الأمر ممكن ، وليس غريبا على قدرة الله العظيم .

كما أن توراة القوم وإنجيلهم، يتحدث عن معونة الله لعدد من القديسين رفعوا إلى السماء ، منهم: أخنوخ " وسار أخنوخ مع الله ، و لم يوجد لأن الله أخذه " (التكوين ٥/٢٤) . ومثله إيليا " وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار ، وخيل من نار ففصلت بينهما ، فصعد إيليا من العاصفة إلى السماء " (ملوك (٢) ٢/١١) .[1]

وهكذا رأى علماؤنا الحقيقة بادية وضوح الشمس في رابعة النهار، نطقت بها النبوات نبيا بعد نبي في جلاء ووضوح عجيب .

ويتساءل المرء: لم لم يتوصل النصارى إلى هذه الحقيقة الجلية ؟ وفي الإجابة من هذا السؤال يرى منصور حسين أن الطريقة الخاطئة والمغلوطة التي يفكر بها النصارى، هي التي حجبت شمس الحقيقة عنهم . وكمثال لطريقتهم في التفكير ، ينقل عن الدكتور ر.أ . ترى في كتابه " كيف تدرس الكتاب المقدس " .

فقد وضع الدكتور النصراني شروطا ينبغي أن يتحلى بها قارئ الكتاب المقدس، ليحصل على أكبر قدر من الفائدة فمن هذه الشروط: أن يكون القارئ مولودا ولادة ثانية (مسيحيا) ، وأن يكون محبا للكتاب المقدس، وعنده استعداد للكد والجد في دراسته ....

ويتوقف منصور حسين مع شرطين مهمين:

أولهما : أن يكون عند الدارس " إرادة مسلمة تسليما كاملا .... "

وثانيهما : " أن ندرسه باعتباره كلمة الله "

فيرى منصور حسين أن هذين الشرطين يفرضان على قارئ الكتاب المقدس التسليم والإيمان بأن ما يقرأه هو وحي الله، الذي لاشك فيه ولا لبس ، مهما ظهر فيه من التناقض، والخطأ، والتعارض مع المعتقدات النصرانية .

فمثلا: عندما يقرأ النصراني في المزمور قوله " أما أنا فدودة لا إنسان، عار عند البشر " (المزمور ٢٢/٦) يجد أنه من غير المنطقي أن يكون هذا عن المسيح ، لكنه يسلم لمشيئة مؤلفي العهد الجديد، فيقول بأنه نبوءة عن المسيح رغم استحالتها بحقه .

ويفعل الشيء نفسه ، وهو يقرأ " الرب مخلص مسيحه " (المزمور ٢٠/٦) وهكذا فهم يضعون

---

(١) انظر : المنارات الساطعة للنجار نقلا عن "يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء "، رؤوف شلبي ، ص ٢٩٩ ، ومحاضرات في مقارنة الأديان ،إبراهيم خليل أحمد ص ١١١ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢١ - ٢٢ ، المناظرة الإسلامية النصرانية ، ص ٩١ .

النتائج أولا، ثم يقرؤون الكتاب المقدس .

وهكذا، فإن المتأمل لهذين الشرطين " ليكاد يقطع بأن واضعهما يعرف بيقين أن لو أطلقت للباحث حرية البحث عن الحقيقة وحدها، فإنه سينتهي من العهد القديم إلى ما يخالف ما جاء به العهد الجديد (من حديث عن صلب المسيح) فيصل إلى أن الله مخلص مسيحه، ورافعه إليه ، وأن الذي سيقبض عليه ويحاكم ويصلب هو يهوذا " [1]

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٨١ - ٢٨٩ .

المطلب الخامس : مصادر قصة صلب المسيح

ويبقى السؤال موجها لعلمائنا المنكرين لصلب المسيح من أين وردت على النصارى مقالة صلب المسيح؛ وهل خفي عليهم حقيقة المصلوب ؟ أم خفي عليهم وقت الصلب ، ثم كشف لهم بعد ذلك لكنهم استمرءوا الباطل ؟

وفي الإجابة عن هذا التساؤل يعتبر منصور حسين الأناجيل الأربعة مخطوطات قديمة، كتبها أشخاص في أوقات مختلفة ، حسب ما تناهى إلى مسامعهم من الروايات الشفهية المتناقلة ، وهم لم يدعوا لها الإلهام ولا القدسية، فكتب كل حسب ما سمع، مناقضا الآخرين ، أو موافقا لهم .

ونجاة المسيح ورفعه أمر خفي على الكثيرين من معاصري المسيح ، فظنوا أن المصلوب هو المسيح، إذ لم يشاهد معجزة رفع المسيح إلا يهوذا الخائن ، عندما أخذوه في لحظة التسليم، وقد شبه عليهم وهم في شك منه كما تبين لنا قبل .(1)

ويرى أحمد عبد الوهاب وغيره أن فكرة صلب المسيح هي بعض مبتدعات بولس، الذي وجد في قصة الصلب القلب النابض للمسيحية الجديدة التي أنشأها ، والتي يؤكد عليها بولس في رسائله ومنها قوله: " لأني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا " (كورنثوس (1) ٢/٢) (2)

وقد امتلأت رسائله بالتأكيد على صلب المسيح، مما حدا بأرنست دي بوش الألماني للقول في كتابه: " الإسلام : أي المسيحية الحقة " : " إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه، من الذين لم يروا المسيح ، وليست من أصول النصرانية الحقة " (3)

وقد استغل بولس الاضطراب الذي حصل في حقيقة ما جرى للمسيح، بين قائل بأنه صلب، أو أن المصلوب غيره، أو سوى ذلك مما أشيع في تلك الأيام .. ووظفه، وجعله قاعدة لضلالته المسماة "الفداء" .

وبولس عندما ادعى صلب المسيح فداء للخطيئة فإنه إنما يكرر عقيدة قديمة، تناقلتها الوثنيات قبل المسيح بزمن طويل ، وقد نسج الإنجيليون أحداث صلب المسيح، على نحو ما قرره بولس ، وعلى صورة ماورد عن الأمم الوثنية القديمة ، حتى أضحت قصة الصلب في الأناجيل قصة منحولة من عقائد الأمم الوثنية ، ولعل أوضحها شبها بقصة المسيح أسطورة إله بابل " بعل. " فقد كشفت لوحتان أثريتان تعودان

---

(1) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٨٣ - ٣٨٥ .

(2) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٦٦ ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٤ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٠٦ .

(3) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٦٦ ، والنصرانية ، مصطفى شاهين ص ٨٢ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣١٨ - ٣١٩ .

للقرن التاسع قبل الميلاد عن قصة تشابه تماما ما قاله النصارى في صلب المسيح ومحاكمته، ونقل علماؤنا عن "فندلاي" وغيره المقارنة بين ما قيل عن بعل قبل المسيحية وما قيل عن المسيح في المسيحية .ويوضح ذلك الجدول التالي :

محاكمة بعل	محاكمة عيسى عليه السلام
١ — أخذ بعل أسيرا .	١ - أخذ عيسى أسيرا .
٢ — حوكم بعل علنا .	٢ - وكذلك حوكم عيسى .
٣ — جرح بعل بعد المحاكمة .	٣ - اعتدي على عيسى بعد المحاكمة .
٤ — اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل .	٤ - اقتيد عيسى لصلبه على الجبل .
٥ — كان مع بعل مذنب حكم عليه بالإعدام وجرت العادة أن يعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت . وقد طلب الشعب إعدام بعل ، والعفو عن المذنب الآخر .	٥ - وكان مع عيسى قاتل اسمه : "باراباس" محكوم عليه بالإعدام، ورشح بيلاطس عيسى ليعفو عنه كالعادة كل عام . ولكن اليهود طلبوا العفو عن "باراباس" وإعدام عيسى .
٦ — بعد تنفيذ الحكم على بعل عم الظلام وانطلق الرعد ، واضطرب الناس .	٦ - عقب تنفيذ الحكم على عيسى زلزلت الأرض وغامت السماء .
٧ — حرس بعل في قبره حتى لايسرق أتباعه جثمانه	٧ - وحرس الجنود مقبرة عيسى حتى لايسرق حواريوه جثمانه .
٨ — الأمهات جلست حول مقبرة بعل يبكينه .	٨ - مريم المجدلية ، ومريم أخرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه .
٩ — قام بعل من الموت وعاد للحياة مع مطلع الربيع وصعد إلى السماء .	٩ - قام عيسى من مقبرته في يوم أحد ، وفي مطلع الربيع أيضا، وصعد إلى السماء .[1]

وقد انتقلت هذه الأسطورة البابلية، عن طريق الأسرى اليهود الذين عادوا من بابل .[2]

وينقل أحمد عبد الوهاب عن العالمين " فريزر " و " ويش " أن قصة الصلب لها مثل أيضا عند الرومان ، فقد كانت تجري عندهم قبل الميلاد تمثيلية تشبه كثيرا ما جاء في الروايات الإنجيلية ، فقد أقامت

(١) أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ٩٦ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ ، منهجية جمع الأناجيل وجمع السنة ،عزية طه، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٢) منهجية جمع الأناجيل وجمع السنة ،عزية طه،ص ٢٣٥ .

جماهير الإسكندرية مسرحا قدمت عليه تمثيلية للسخرية من أجريبا الأول الذي كان يزور مدينتهم في طريق عودته من روما بعد أن عينه كاليجولا ٤١م ملكا على اليهودية ، ويقول أحمد عبد الوهاب " فأمسكوا بيهودي أبله وألبسوه تاجا من الورق ، وثوبا من الحصير ، ووضعوا قصبة من البردي في يده ، كما زودوه بحراس خصوصين ، وبعد ذلك أعلنوا مبايعته ، وتظاهروا باستشارته في أمور الدولة .

ومن المثير حقا أن اسم الضحية كان " باراباس " ونظرا لأن بعض العلماء قد رأوا هنا صلة "بباراباس" اللص ،وبناء على مارأوه من أمثلة متنوعة من عقائد العالم ، فإنهم وجدوا في هذه القصة دليلا على شيوع أحد طقوس العالم القديم ، الذي كان يعامل فيه أحد الرجال كأنه مزيف، بينما يذبح رجل آخر .

لقد كان المتهمون الذين أدانتهم المحاكم في العالم القديم كثيرا ما يجبرون على القيام بالأدوار الرئيسية في مثل تلك الطقوس ، وبناء على هذا، فإن الباب مفتوح لتأويل قصة آلام يسوع ، وإطلاق سراح باراباس على أنها حدثت في محيط مثل تلك الطقوس " .

وينبه المؤلف إلى أن معنى "باراباس" كما قال "فنتون" مفسر مرقس: ابن الأب (السماوي) .[1]

ومما يؤكد وصول هذه القصة إلى الفكر اليهودي ثم المسيحي أن التوراة ذكرت ما يدل على شهرة مثل هذه القصة ففي حزقيال " فجاء بي إلى مدخل باب بيت الرب – الذي من جهة الشمال – وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز " (حزقيال ٨/١٤) وتموز هو الإله البابلي الذي قتل لأجل خلاص البشر، ثم قام من بين الموتى . ويؤيد هذا: ميل اليهود للوثنية وتقليد الأمم التي جاورتهم ، فقد تركوا عبادة الله وعبدوا آلهة الوثنيين سنين طويلة، وبذلك يرى محمد الأفندي أنه قد صدق فيهم قول الله عز وجل﴿ ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [2]

وتتشابه كثير من تفاصيل قصة الصلب مع تفاصيل واردة في قصص وثنية مشابهة .فقد ذكر متى أحداثا غريبة عدة، صاحبت موت المسيح حيث يقول: " وفي الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض، إلى الساعة التاسعة ... وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل ، والأرض تزلزلت ، والصخور تشققت، والقبور تفتحت ... " (متى ٢٧/٤٥ – ٥٣) .

وهذا نقله النصارى من الوثنيات القديمة، فقد نقل العلامة التنير عن عدد من المؤرخين إجماعهم على انتشار هذه الغرائب حال موت المخلصين لهذه الأمم . من ذلك: أن الهنود يقولون: " لما مات "كرشنا" مخلصهم على الصليب ، حدثت في الكون مصائب جمة، وعلامات متنوعة، وأحاطت بالقمر دائرة سوداء ، وأظلمت الشمس عند منتصف النهار ، وأمطرت السماء نارا ورمادا ..... "

ويقول عباد بروسيوس " إنه لما صلب على جبل قوقاس، اهتزت الكائنات ، وزلزلت الأرض و .... "والاعتقاد بحدوث أحداث سماوية عظيمة عند موت أحد العظماء أو ولادته، معروف عند الرومان

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦٤ – ١٦٥ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ٣٠ . وانظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠٦ .

واليونان، كما ينقل المؤرخ "كنون فرار" في كتابه "حياة المسيح" وينقل جيبون في تاريخه أن عددا من الشعراء والمؤرخين الوثنيين كان يقول " لما قتل المخلص اسكولابيوس ، أظلمت الشمس ، واختبأت الطيور في أوكارها ... لأن شافي أمراضهم وأوجاعهم فارق هذه الدنيا " والقول بظلمة الشمس عند موت أحد المخلصين قيل عند مقتل هيركلوس وبيوس وكوتز لكوتل وكيبير ينوس إله الرومان ، وعليه، فهو أسطورة قديمة تداولتها الأمم، ونقلها أصحاب الأناجيل من تلك الوثنيات .(١)

وقد كان عباد الشمس يقدمون الضحايا لها، خاصة عند حلول الكسوف ، فإذا زال الكسوف اعتقدوا أنه بسبب فداء أحد زعمائهم ، حيث خلصهم وحمل عنهم العذاب ، ومنه أخذ متى قوله " ومن الساعة السادسة، كانت ظلمة على الأرض إلى الساعة التاسعة " (متى ٢٧/٤٥) (٢)

ومن أوجه الشبه بين الوثنيات القديمة والنصرانية القول بقيامة الآلهة من الأموات، فقد أجمعت الأناجيل على قيامة عيسى من الموت ، ولكن هذا قد سبقهم إليه الهنود، حيث قالوا في كرشنا: " هوذا كرشنا صاعد إلى وطنه في السماوات " وكذا يقول عباد بوذا بأنه حزن عليه بعد موته أهل السماوات والأرض " حتى إن مهاويو (الإله العظيم) حزن ونادى : قم أيها المحب المقدس فقام كام (أي بوذا) حيا ، وبدلت الأحزان والأتراح بالأفراح ، وهاجت السماء ، ونادت فرحة : عاد الإله الذي ظن أنه مات وفقد ... " ومثله يعتقده الصينيون في إلههم (لأوكيون) ، والمجوس في (زورستر) .

ويقول عابدو (سكولابيوس) في القصيدة التي حكت عن حياته " أيها الطفل القادر على شفاء الأمم في السنين القادمة حينما يهب من في القبور .... وأنت من المسكن المظلم ستقوم ظافرا وتصير إلها " وعن تموز يقول البابليون:" ثقوا أيها القديسون برجوع إلهكم،واتكلوا على ربكم الذي قام من الأموات ".

ومثل هذا الاعتقاد، سرى في كثير من الوثنيات قبل المسيحية فقد قيل بقيام أوزوريس، وحورس، "ومتراس" وباخوس، وهرقل، وكوتزلكوتل، ويلدور، وغيرهم، فكل هؤلاء قال عبادهم بقيامتهم من الموت. ولعل أهم هؤلاء أوزوريس معبود المصريين القريب من مهد المسيحية ، وقد انتشرت أسطورته في القرن الثالث قبل الميلاد. ويقول المؤرخ (مهامي) " إن محور التعليم الديني عند الوثنيين في مصر في القرون الخالية هو الإيمان بقيام الإله " .(٣)

ونعود لبولس لنتساءل عن موقف النصارى الأوائل من دعواه صلب المسيح، التي كتبها الإنجيليون بعد وفاته .

وبالتأمل في رسائل بولس التي أكدت صلب المسيح وأهمية هذا الحدث كمعتقد، نجد في طياتها موقف الحواريين والأتباع الأوائل الرافض لبدع بولس ومن ضمنها. ولاريب عقيدة الصلب.

---

(١) انظر : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ٤١ - ٤٣ .

(٢) انظر : المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ١٦ .

(٣) انظر : تفصيل هذا التشابه بين الوثنيات والنصرانية في: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ، ص ١٠٥ - ١١٠ ، وانظر منهجية جمع الأناجيل وجمع السنة ،عزية طه، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

فيرى أحمد عبد الوهاب هذا الموقف في قول بولس وشكواه في رسالته لتيموثاوس " أنت تعلم هذا ، أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني " (تيموثاوس (٢) ١/١٥) ، وفي رسالته لأهل غلاطية يشكو من أولئك الذين كذبوه " إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح، إلى إنجيل آخر ، ليس هو آخر ، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم، ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح ، ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما " (غلاطية ١/٦ - ٨) [١]

ويقول بولس " ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة أموات ؟ فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام ، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل كرازتنا ، وباطل أيضا إيمانكم " (كورنثوس (١) ١٥/١٣) ويرى ممدوح جاد أن النص يتحدث عن إنكار بعض التلاميذ لصلب المسيح فيقول " وواضح أنه كان هناك تلاميذ يقولون برفع المسيح مباشرة ، وعدم قتله، أو صلبه، أو دفنه، كرأي الإسلام " [٢]

والذي أراه في النص: أنه يتحدث عن منكرين للقيامة فقط ، ويبقى مارآه المؤلف مجرد احتمال، لم يقم له دليل من النص، لكن يشهد له مجموعة النصوص الأخرى .

ويرى النجار في " المنارات الساطعة " أن الحواريين ما كانوا يعرفون شيئا عن صلب المسيح، بدليل خلو رسائلهم الموجودة في العهد الجديد من الحديث عن المسيح المصلوب .[٣]

ويقول المؤرخ فوتيوس : إنه قرأ كتابا يسمى "رحلة الرسل" في أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وتوما وبولس ، ومما قرأ فيه " إن المسيح لم يصلب ، ولكن صلب غيره ، وقد ضحك بذلك من صالبيه " [٤]

وتظهر المعارضة الصريحة لدعوى بولس صلب المسيح من الحواري "برنابا" في إنجيله الذي تتنكر له الكنيسة ، وقد ذكر في مقدمته سبب تأليفه لهذا الإنجيل فيقول: " الذين ضل في عدادهم أيضا بولس ، الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى ، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق، الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ، ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله ، وعليه، فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه ، لتخلصوا خلاصا أبديا " (برنابا مقدمة /٧ - ٩) .

وكانت الفرق المسيحية المنكرة للصلب صدى لإنكار الحواريين على بولس كما قد سبق تفصيله .

كما تكشف لنا الكشوف الأثرية عن إنجيل اكتشف حديثا في نجع حمادي منسوبا للحواري المقرب بطرس، ينكر فيه صلب المسيح، ويقول برفعه قبل إجراء الصلب .

ويحاول النصارى الالتفاف على هذا المعنى المهم فيقول " بلمان استراتر " في كتابه " الأناجيل الأربعة "

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٢) المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح جاد ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣) نقل ذلك عنه شلبي في كتابه" يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء" ، رؤوف شلبي ، ص ٣٠١ .

(٤) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٣٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح، علاء أبو بكر،ص ٣١٨

بأن المراد بالرفع هنا: رفع شخصيته الإلهية .

ويرد عليه العثماني بأن النص يتحدث عن المسيح ، وقد رفع إلى السماء بصيغة المجهول ، ولو كان المراد منه الشخصية الإلهية لقال بصيغة المعلوم : " ارتفع إلى السماء " لأن الإله لايرفعه أحد .[1] كما أن أحدا من النصارى لايقول بهذا الرأي ، ولو قال به لما بقي للفداء أي معنى، إذ يصبح الفادي مجرد بشر .

ويعترف النصارى من مفسري الأناجيل بحدة الخلاف لبولس وتلاميذه، في مسألة صلب المسيح ، وأن هذا الخلاف دعا الإنجيليين إلى التأكيد على أن المسيح قد صلب كما قال بولس الذي سبقت رسائله الأناجيل الأربعة في تاريخ كتابتها فنقل أصحاب الأناجيل فيما بين سطور الأناجيل الإنكار على بولس وتكذيب صلب المسيح ، يقول مرقس: " ثم خرجوا به ليصلبوه، فسخروا رجلا مجتازا كان آتيا من الحقل، هو سمعان القيرواني أبو الكسندروس وروفس ليحمل صليبه " (مرقس ١٥/٢٠ - ٢٣) .

يقول المفسر نينهام في تفسيره لمرقس كما نقل عنه أحمد عبد الوهاب : " يبدو أن الغرض من هذه الفقرة هو ضمان صحة القصة؛ التي تقول بأن سمعان قد حمل الصليب ، وما من شك في أن أحد الأسباب في الحفاظ على هذه التفاصيل الشخصية في الإنجيل ؛ كان الغرض منه تذكير القراء بأن لديهم مصدرا للمعلومات عن الصلب، جديرا بالثقة .. ولعل السبب في حذف هذه الرواية والخاصة بحمل سمعان القيرواني للصليب - من إنجيل يوحنا ، هو الادعاء : بأن سمعان قد حل محل يسوع ، وصلب بدلا منه، ولايزال ساريا في الدوائر الغنوسطية، التي كانت لها الشهرة فيما بعد " .

وهكذا نفهم سبب مخالفة يوحنا للأناجيل الثلاثة في مسألة " من حمل الصليب " فيقرر أنه المسيح، حمل صليبه بنفسه فيقول " فأخذوا يسوع، ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة .. حيث صلبوه " (يوحنا ١٩/١٦ - ١٨) وينبه فنتون شارح إنجيل متى إلى مثل هذا الفعل من متى،عندما عدل ألفاظ مرقس وهو ينقل عنه في أحداث اللحظة التي بعد اقتسام الثياب والاقتراع عليها،حيث يقول مرقس:" وكانت الساعة الثالثة فصلبوه " (مرقس ١٥/٢٥) لكن متى يغير، فيقول بعدها: ." ثم جلسوا يحرسونه هناك " (متى ٢٧/٣٦) ، فتكلم متى عن حراسة يسوع أثناء الصلب وبعده . ويرى فنتون أن ذلك " إنما يرجع إلى وجود أناس قالوا بأن يسوع قد أنزل من على الصليب، قبل أن يموت . كذلك فإن إحدى الطوائف الغنوسطية التي عاشت في القرن الثاني قالت بأن سمعان القيرواني قد صلب بدلا من يسوع . فلعل متى كان يرد على هذه الأقوال " .[1]

---

(١) انظر : ماهي النصرانية ، تقي الدين العثماني ، ص ٧٣ - ٧٤ .

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٢ - ٢٧٤ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٣٨ .

المطلب السادس: كيفية نجاة المسيح من المؤامرة

وإذا كانت الأدلة قد شهدت للمسيح بالنجاة ، وأن مؤامرة الأشرار لن تلحق به الأذى ، فنجا المسيح من الموت على الصليب الذي أراده له أعداؤه .

فإن هناك سؤالا يطرح نفسه: كيف نجا المسيح ؟

وكما أسلفنا فإن القرآن والسنة لايذكران كيفية نجاة المسيح، لذا عاد علماؤنا إلى قصة الأناجيل وهي تتحدث عن الصلب المزعوم، ليروا كيف نجا المسيح ؛ وكن لابد من قراءة ما بين السطور الإنجيلية وقد جاءت قراءهم لكيفية نجاة المسيح على ضربين :

الأول : نجاة المسيح من الصلب ، بصلب غيره بدلا عنه .

والثاني : نجاة المسيح من الصلب، بإنزال المسيح عن الصليب حيا .

نظرية القائلين بصلب غير المسيح

منذ فجر الردود الإسلامية، تناقل علماؤنا نظرية نجاة المسيح وصلب غيره ، واختلفت التفاسير القرآنية في تحديد هذا الغير ، فقال بعضهم : هو حواري كريم افتدى المسيح ، فصلب عنه، بعد أن ألقى عليه شبه المسيح .

وقال آخرون؛ بل هو يهوذا الخائن، أوقعه الله بشر عمله وكيده ، فوقع عليه شبه المسيح فصلب بدلا عنه .

ولما كانت النصوص الإسلامية المقدسة لاتبين كيفية تحقق هذا الأمر ، فقد تلمسه علماؤنا في سطور الأناجيل ، وهي تتحدث عن صلب المسيح، فوجدوه ، وأقاموا الدليل عليه ، وعلى صحة ما ذهبوا إليه من نبوءات التوراة والأناجيل وشهادة التاريخ، وغير ذلك .

واستمرت هذه النظرية قوية في الردود المعاصرة ، وقد اكتفى أكثر أصحابها بالإشارة العابرة إلى صلب يهوذا الذي ظنه آخذيه المسيح بعد أن شبه لهم في لحظة أن جاءوا للقبض على المسيح فوقعوا على الأرض .[1]

---

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٧٤ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٠ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٤٢ - ٤٤ ، وقراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ٢/١٣٣ - ١٣٩ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٢٥١ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

لكن منصور حسين تناول هذا النظرية بكثير من التفصيل والدراسة المتميزة ، لذلك نكتفـــي بـــإيراد نظريته لأنه أشملها .

يعتبر منصور حسين ما سبق عرضه في نبوءات التوراة والأناجيل كافيا في إقامة الدليل علـــى نجـــاة المسيح، وصلب غيره كائنا من كان هذا الغير ورغم تناقض الروايات الإنجيلية، مع نبوءات المزامير وغيرهـا ، فإن المؤلف يتترل مع النصارى، فيقبل جملة روايات الأناجيل في موضوع الصلب إلا ما قـــام الدليـــل علـــى مجانبته للحقيقة ، فيعتبر الدليل مبطلا للجزء ، ولاينبغي أن نقول بسريانه على الكتاب كله ، حـــتى لانغلـــق باب الجدل بيننا وبين النصارى .

ويؤكد منصور حسين على صحة هذا المنهج الذي يعتبر أن نظرة المسلم للكتاب المقدس هو أنه كتـاب سماوي أصلا ، وطرأ عليه التحريف والتبديل، والمسلمون يقبلون من الأناجيل، ما يتوافـــق مـــع معتقدهـــم بنجاة المسيح ، وصلب آخر بدلا عنه ، وهو سيحاول البحث عن إجابة للسؤال ، الـــذي أجمـــل القـــرآن الحديث عنه، ألا وهو: كيف نجا المطكج-٠سيح ؟

ولذا فإن منصور حسين لايرى ضيرا من القول بكثير من التفصيلات التي أوردها الأناجيل ، ومنها :

١) أن المسيح خرج إلى البستان برفقة تلاميذه ، وأنه أخبرهم بأنه سيتعرض لمؤامرة من أحد التلاميـــذ مع اليهود الذين يريدون صلبه .

٢) أن المسيح دعا في تلك الليلة طويلا ، وبإلحاح كبير طالبا من الله أن يصرف عنه كأس الموت .

٣) أن المسيح استسلم لقضاء الله وقدره ، فقال: " ليس كما أريد أنه بل كما تريد أنـــت " (مـــتى ٣٩/٢٦) وقال: " فلتكن مشيئتك (متى ٤١/٢٦) .

٤) المسيح يصلى ، والتلاميذ نيام ، ويحاول إيقاظهم مرة بعد مرة .

٥) وصل يهوذا الأسخريوطي الخائن ، ومعه الجند، يحملون مشاعل وسيوفا وعصيا، للقبـــض علـــى المسيح ، وقد جعل يهوذا علامة للجند أن يقبل المسيح .

٦) وصلت الجموع؛ فخرج إليهم ا

لمسيح ، وقال: من تطلبون ؟ فأجابوه : يسوع الناصري . فقال المسيح " أنا هو " فلما قال لهـــم: إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء ، وسقطوا على الأرض " (يوحنا ٦/١٨) [1] -+\.

٧) حاول بطرس الدفاع، لكنه كان أعجز من ذلك ، فهرب وجميع التلاميذ .

٨٧٦) اقتيد المأخوذ للمحاكمة عند رئيس الكهنة، ثم بيلاطس ، وبطرس يتابعه في بعض ذلك ، وقـــد أنكره تلك الليلة ثلاث مرات .

---

(١) يرى منصور حسين أنه في لحظة سقوط الجند استبدل المسيح بيهوذا، فأضحى يهوذا هو المأخوذ .

٩) في المحاكمة سأله رئيس الكهنة، واستحلف المأخوذ إن كان هو المسيح، فأجابه : " أنت قلت ، وأيضا أقول لكم : من الآن، تبصرون ابن الإنسان جالسا يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء " (متى ٢٦/٦٤)

١٠) حكمت عليه المحكمة بالقتل ، واقتيد إلى بلاط بيلاطس الذي سأله : إن كان هو ملك اليهود ، فأجابه: " أنت تقول " ثم لم يجبه بكلمة واحدة ، حتى تعجب بيلاطس منه .

١١) لم يجد الوالي للمأخوذ علة يستحق عليها القتل ، فأراد أن يطلقه ، لكن الجموع أصرت على صلبه ، وإطلاق باراباس ، فأعلن براءته من دم هذا البار ، وأسلمه لهم .

١٢) اقتيد المأخوذ إلى موضع الصلب ، وصلب بجوار لصين .

١٣) صرخ على الصليب، فسقوه خلا ، ثم أسلم الروح .

ويفترق منصور حسين عن الأناجيل في مسألة مهمة وهي من هو المأخوذ؟ فيراه يهوذا ، ويلزمه إقامة الدليل على ذلك ، إذ هي موضع النزاع .

كما ينكر منصور حسين قيامة المصلوب من القبر ، وظهور المسيح للتلاميذ، ويقيم الأدلة على كذب روايات القيامة – كما سيتبين في حينه – ويستدل لموضع النزاع الأول بعشرات المزامير التي – كما مر معنا – شهدت بنجاة المسيح ، وهو في محاولته هنا يحاول التوفيق بين الأناجيل، وبين ما قام الدليل عليه في المزامير والأناجيل .

ولتصور القول بأن يهوذا هو المأخوذ ، وأنه حصل التباس عند آخذيه ، يرى منصور حسين الجموع الكثيرة والتي تقارب الألف وهي تسير، تحمل المشاعل والسيوف والعصي ، وتتكون من جنود وغوغاء يتقدمهم يهوذا، يخفي وجهه قدر استطاعته، إذ هو يعرف دناءة جريمته وقبحها عند الأصدقاء والأعداء .

ولاريب أن الذي يشاهده من هذه الجموع هم القريبون منه، ممن يمشون في الصدارة .

وحتى هؤلاء فإنهم لايستطيعون حفظ معالم وجهه، بسبب اهتزاز المشاعل بيد حامليها أثناء المسير ، وهي تحجب الرؤية عن البعيد، لأن حدقة العين تكون ضيقة ، والرؤية في الظلام تحتاج لحدقة واسعة، وعليه فإن الجموع لم تكن تعرف صورة يهوذا على التأكيد . إن هذه الجموع التي احتاجت إلى من يدلها على المسيح رغم شهرته التي اكتسبها وهو يشفي الآلاف ، وهو يدخل أورشليم دخول الفاتحين ، وهو يعلم في الهيكل كل يوم ، ويقلب موائد الصيارفة .

إن هؤلاء الذين جهلوا المسيح واحتاجوا إلى من يدلهم عليه ، ولما وصلوا إليه لم يعرفوه، وسألهم من تريدون ؟.....هؤلاء حري بهم من باب أولى أن لايعرفوا صورة يهوذا، في ظل تلك الظروف .

وقد نقل بعض علمائنا عن المفسر (سايل) قوله: بأن يهوذا يشبه المسيح [1] ونلحظ هنا تنزل

---

(١) انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٨١ .

منصور حسين مع النصارى، في تجاهله إمكان أن يقع الشبه على وجه المعجزة الخارقة ، وهو ما يراه الألوسي وهاشم جودة. جائزا ، ويمنعه النصارى ، ويرونه يفضي لأن يشك الإنسان بكل شيء ، بزوجه وولده ..

ويرد الألوسي وهاشم جودة بأن إلقاء شبه عيسى على غيره، ليس أمرا عاديا يحدث كل يوم ، بل هو معجزة إلهية من جنس قلب العصاحية ، وتغير لون يد موسى ، وتحول النار بردا وسلاما على إبراهيم . فمن جوز هذا كله، حرى به أن يجوز إلقاء الشبه .[1] ولما وصل الجمع إلى المسيح كان التلاميذ نياما ، وقد حاول المسيح إيقاظهم مرارا فلم يستطع، برغم أن الموقف كان صعبا ، فقد كانت عيونهم ثقيلة ، واقتربت الجموع من المسيح يتقدمهم يهوذا ، والتلاميذ نيام " فلما قال لهم : إني أنـا هو، رجعوا إلى الوراء ، وسقطوا على الأرض " (يوحنا ٦/١٨) .

وهنا يتوقف منصور حسين وأصحاب الردود مليا، ليقرأوا ما غفلت عن ذكره السطور .

فما فائدة سقوطهم على الأرض ؟ وماالذي أسقطهم ؟ وماذا أفاد المسيح سقوطهم، إذا كانوا سيقبضون عليه بعدها ؛ و لم لم يتكرر السقوط عندما أرادوا أخذه بعدها ؟

للإجابة عن هذه الأسئلة يتصور منصور حسين أن ما حدث في تلك اللحظة أنه اقترب يهوذا لتقبيل المسيح كعلامة للجند على أنه المطلوب وفي تلك اللحظة اقترب الجند. حملة المشاعل والسيوف. للقبض على المسيح، فتدخلت قدرة الله العظيم ، فسقطوا على الأرض، بعد أن رجعوا للوراء . ولك أن تتخيل ما حصل، من هرج، وتدافع، من جراء سقوط مقدمة هذه الجموع .

ولاريب أن تدافع الجموع وسقوط المقدمة دفع إلى المقدمة بجند آخرين ، رأوا يهوذا وحده مبهوتا أصابه الذهول ، وقد رأى المسيح يرفع للسماء ، ولكن من سيتوقع أن هذا المذهول هو يهوذا ، ومن الذي يعرفه وقتذاك؟ فكانت لحظة وقوع الجند: لحظة الخلاص كما وصفتها المزامير " الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه .... هم جثوا وسقطوا ، أما نحن فقمنا وانتصبنا " (مزمور ٨/٢٠) وفي مزمور آخر: " أما أنت فتبارك ، قاموا وخزوا (مزمور ٢٨/١٠٩) و "حينئذ ترتد أعدائي إلى الوراء " (مزمور ٩/٥٦) و "ليرتد إلى خلف، ويخجل المشتهون لي شرا " (مزمور ٢/٧٠) . " عندما اقترب إلي الأشرار ليأكلوا لحمي ، ومضايقي وأعدائي عثروا وسقطوا(مزمور ٢/٢٧) وغيرها، حمل يهوذا إلى المحاكمة وإلى ديوان بيلاطس ، والشك يلاحقه في كل هذه الخطوات ، فقد شك فيه رئيس الكهنة ، وكانت إجاباته لبيلاطس وهيرودس تنبئ عن الذهول الذي أصابه، وعن عجزه عن بيان الحقيقة، التي لن يقنع أحدا إن ذكرها ، فكان يجيبهم : " أنت تقول " (متى ١١/٢٧) .

ولما اجتمع في النهار مشيخة الشعب، ورؤساء الكهنة، " وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين : إن كنت

---

(١) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٧٩/١ - ٥٨١ ، العقائد المسيحية بين القرآن والعقل ، هاشم جودة ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

أنت المسيح، فقل لنا . فقال لهم : إن قلت لكم لاتصدقون ، وإن سألت لاتجيبوني ولاتطلقونني . منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسا عن يمين قوة الله . فقال الجميع : أفأنت ابن الله؟ فقال لهم : أنتم تقولون إني أنا هو "(يوحنا ٢٢/٦٦ - ٧٠) .

ويفسر منصور حسين موقف يهوذا بهذه الإجابات الغريبة، بأنه عرف أن لا فائدة لإنكاره ، إذ لن يصدقه أحد ، ولربما أنه لفرط ندمه قد استسلم لرداه ، ورضي بعقوبة الله له ، أن يصلب عن المسيح ، لعله بذلك أن يفديه ، لذلك تكرر سكوته .

وهذا الموقف ليس بعيدا عمن ذكرت الأناجيل أنه لفرط ندمه خنق نفسه، وانتحر بذلك .

لقد تحققت فيه نبوءات المزامير " وإذا حوكم فليخرج مذنبا ... ووظيفته ليأخذها آخر " (المزمور ١٠٩/٦ - ٨) .

لقد أتى ليخطف المسيح، فلم يستطع .. "حينئذ رددت الذي لم أخطفه " (المزمور ٦٩/٤)[١]

ولكن هذا الذي انتهى إليه منصور حسين تعترضه أمور ذكرها النصارى في ردهم على الطبعة الأولى من كتابه ، ويستغرب المؤلف بادئ ذي بدء توجه الردود للرد على تصور منصور حسين لنجاة المسيح ، وقد غفل هؤلاء من أنه إنما يقوم بإثبات مادلت عليه الأناجيل والمزامير ، فهو يبرهن لما قام الدليل على صحته.

ومن هذه الاعتراضات :

١) أن نظرية منصور حسين تتعارض مع ماذكره يوحنا من وقوف أم المسيح ويوحنا التلميذ الحبيب بجوار الصليب (انظر يوحنا ١٩/٢٥ - ٢٧) ، ومثل هؤلاء لايمكن أن يضلوا عن المسيح ، ولا أن يشتبه يهوذا عليهم .

ويدفع منصور حسين هذا الاعتراض وأمثاله ، بأن يعقد فصلا لإثبات أن في الأناجيل ماهو غير صحيح ، كالخلاف الذي لايمكن رفعه في نهاية يهوذا . ثم إن هذا الأمر من الأهمية بمكان ، وقد أغفله الإنجيليون الثلاثة ، فلو كان صحيحا لما أغفلوه أبدا .

ويرى منصور حسين أن سبب هذا الخطأ من يوحنا، هو تأخر زمن كتابة الإنجيل إلى نهاية القرن الأول ، والذي أراه: أن السبب أكبر من ذلك ، فهو يتعلق بالزيادات والتحريفات التي طرأت على إنجيل يوحنا، بعد أن ألفه مجهول لإثبات نتائج معينة .[٢]

٢) ومنها: أن الأناجيل تحدثت عن ظهور المسيح، وقيامته من الموت ، وعن فقد جسده من القبر ، فكيف يتفق هذا؛ مع القول بأن يهوذا هو المصلوب ؟

---

(١) انظر : نظرية منصور حسين وتصوره لما حدث في دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ص ٢٠٠ - ٢٢٦ .

(٢) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

ويبدأ منصور حسين في الحديث عن إشاعة فقد الجسد، التي انتشرت بين الناس كما ذكر متى بقوله " أن الرؤساء أعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين : قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً، وسرقوه ونحن نيام ، وإذا سمع ذلك الوالي، فنحن نستعطفه ، ونجعلكم مطمئنين . فأخذوا الفضة ، وفعلوا كما علموهم، فشاع هذا القول عند اليهود إلى اليوم " (متى ٢٨/١١ - ١٥) .

فيتساءل منصور حسين مادام خبر سرقة الجسد قد شاع إلى زمن كتابة الأناجيل؛ فكيف عرف متى الحقيقة ؟ فمتى والتلاميذ هم بلاشك أبعد الناس عن العسكر والجند .

ولايستبعد منصور حسين سرقة الجسد ، ولايهم إن كان سارقوه ممن اعتقدوا أنه المسيح فأرادوا بركته أم من أعدائه الذين أرادوا التخلص من الجسد، الذي علق أتباعه عليه آمالا كبيرة ؟

وهذا هو الذي كان يخشاه رؤساء الكهنة (انظر متى ٢٧/٦٣ - ٦٤) ، وهو ما تبادر إلى ذهن مريم المجدلية، عندما وجدت القبر فارغا (انظر يوحنا ٢٠/١٣) .

فذلك كله: يدل على وجود هذه الإشاعة في زمن الصلب ، ثم بعده إلى كتابة الأناجيل ، وسواء كان ذلك إشاعة أو حقيقة ، فإن ذلك لن يؤثر في حقيقة المصلوب بشيء .[١]

وأما قيامة المسيح التي تحدثت عنها الأناجيل بإسهاب فإن منصور حسين وهو يعتبر لحظة النجاة هي ذاتها لحظة الرفع، فإنه يعتبرها من الكذب والخطأ الموجود في الأناجيل، ويستند في ذلك إلى كثرة التناقضات بين الأناجيل الأربعة في هذه المسألة خصوصا، كما بينا بعضه من قبل .

ولما كان الترجيح بين هذه الروايات المتناقضة غير ممكن ، فإن إسقاطها هو الأولى كما يرى محمد رشيد رضا وفقا للقاعدة التي تقول: " إذا تعادلا تساقطا " .

كما تميزت روايات الظهور بالكثير من الغموض، فقد ظهر للتلاميذ مرة بعد مرة ، وهم لايعرفونه ، وهم أيضا لم يعرفوا شيئا عن قيامته ، لذا فقد كذبوا من قال بها ، واستغربوا ذلك .

ويرى منصور حسين أن القيامة إشاعة بنيت على مسألة الجسد المسروق ،[٢] ويضيف محمد رشيد رضا: بأنه من الممكن أن تكون رؤيتهم للمسيح مبنية على الخيال والتوهم .

فبعد أن شاع أن يسوع قام من قبره ، وأن بعض النسوة قد رأينه، بدأ الكثيرون يتخيلون ظهوره لهم . وهذا النوع من تعدد الخيالات، يقع إذا اتحدت الظروف .

وينقل عن العالم الفرنسي جوستاف لوبون في كتبه " روح الاجتماع " ملخصا قوله وهو يتحدث عن قابلية الجماعات للتأثر والتصديق ، وانخداع الحواس والفكر فيقول :" إن سرعة تصديق الجماعة ليست هي

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٣٠ .

(٢) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٣٣ - ٢٥٠ ، عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٤٤ - ٤٧ .

السبب الوحيد في اختراع الأقاصيص، التي تنتشر بين الناس بسرعة ، بل لذلك سبب آخر هو التشويه الذي يعتور الحوادث، في مخيلة المجتمعين ، إذ تكون الواقعة بسيطة للغاية ، فتنقلب صورها في خيال الجماعة بلا إبطاء ، لأن الجماعة تفكر بواسطة التخيلات ، وكل تخيل يجر إلى تخيلات ... يرى جمع الصليبيين (القديس جورج) فوق أسوار بيت المقدس ، كان بالطبع قد تخيله أحدهم أولا ، فما لبث التأثر والعدوى أن مثلاه للبقية جسما مرئيا " .

ويذكر محمد رشيد رضا أمثلة من الواقع لمثل هذه التخيلات ، منها ماورواه ربان السفينة " جوليان فيليكس " في كتاب له، ونشرته المجلة العلمية فقال " كانت المدرعة (لابيل بول) تبحث في البحر عن الباخرة " بيرسو " ، حيث كانت قد انقطعت عنها بعاصفة شديدة ، وكان النهار طالعا ، والشمس صافية ، وبينما هي سائرة، إذا بالرائد يشير إلى زورق يساوره الغرق ، فشخص رجال السفينة إلى الجهة التي أشير إليها ، ورأوا جميعا من عساكر وضباط زورقا مشحونا بالقوم، تجره سفن، تخفق عليها أعلام اليأس ، وكل ذلك كان خيالا ...وجدوه أغصان أشجار، مغطاة بأوراق، قطعت من الشاطئ القريب ، وإذا تجلت الحقيقة، غاب الخيال .[1]

كما ذكر أمثلة كثيرة، مدعمة بأقوال لعلماء في النفس، تؤكد حصول هذه الظاهرة .

ولعل من الأمثلة المشهورة ذلك ، ما ذكر عن ظهور المتبولي الذي كان قد مات منذ مدة في شوارع القاهرة ، ورؤية كثيرين له . ومثله ماقيل عن ظهور العذراء مريم فوق كنيسة حي الزيتون بالقاهرة – بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧م – ورؤية الكثيرين لها .

ولئن كان منصور حسين وغيره يرون في قيامة المسيح المزعومة، وظهوره للتلاميذ، ما يستوجب الرد عليه ، لأنه مناقض لتصورهم عن نجاة المسيح، فإن الخولي يرى في ظهور المسيح للتلاميذ، دليلا على أنه لم يصلب .. لكن ظهوره لم يكن بعد موت أو صلب ، أو قيام من قبر .

عندما أراد الجنود الإمساك به، رفعه الله أي أنقذه منهم ثم عاد المسيح ، إذ أظهره الله؛ ليثبت للناس أنه ليس هو الذي صلب، وأنه ليس هو الذي كفن ودفن ، أظهره الله لدحض الزعم بصلبه " .[2]

وعن القيامة المزعومة يقول شارل جنيبر :"وهنا نصل إلى أكثر مشاكل التاريخ المسيحي غموضا وإبهاما ، فقد تلاقى هؤلاء الحواريون بالجليل، بين أحضان ذلك الإقليم الذي يعرفونه ، والذي عاشوا فيه مع أستاذهم ، وظنوا أنهم رأوه هناك ، ثم أيقنوا أنه بعث من بين الأموات ، تلك هي الوقائع ، أما تفاصيلها فليس لدينا بها علم ، و لم يكن للأساطير بد من أن تحاول تفسير الوقائع ، فصنعت منها نسيجا بالغ التعقيد . وعن القيامة المزعومة يقول الأسقف ترتليان (ق٣) وبوضوح صارخ :" لقد مات ابن الله !ذلك شيء غير

---

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٥٠ – ٥١ ، ص ٧٤ .

(٢) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٩٢ .

معقول، لالشيء ،إلا لأنه مما لايقبله العقل وقد دفن من بين الموتى ، وذلك أمر محقق ،لأنه مستحيل "!![٣]

ومن الاعتراضات التي أثيرت في وجه منصور حسين: تناقض الصورة التي ذكرها، مع ما جاء في متى عن مصرع يهوذا ، وفيه: ... لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين، ندم ، ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا : قد أخطأت إذ سلمت دما بريئا ، فقالوا ماذا علينا ؛ أنت أبصر ، فطرح الفضة في الهيكل ، وانصرف ، ثم مضى وخنق نفسه " (متى ٢/٢٧ - ٥) .

ففي الرواية يشكل أمران : أولهما : عودة يهوذا إلى رؤساء الكهنة ، والمفروض أنه عند بيلاطس وقتئذ. والثاني : أن له نهاية غير الموت على الصليب .

ويرد محمد الفرت على الاعتراض الأول بأنه، من المفترض أن يكون رؤساء الكهنة وقت رد الفضة في موقع الحدث والصلب ، لا أن يتواجدوا في الهيكل .[١] فهو إذن يكذب الرواية.

ويدل على صحة قوله: أن هذا هو ما يفهم من كلام متى نفسه " ولما كان الصباح، تشاور جميع رؤساء الكهنة، وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه فأوثقوه ، ومضوا به ، ودفعوا به إلى بيلاطس النبطي الوالي ، حينئذ لما رأي يهوذا ... " (متى ١/٢٧ - ٢) .

وقد كانوا عند بيلاطس " بينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه، فلم يجب بشيء، فقال له بيلاطس ... " (متى ١٢/٢٧)

وأما الاعتراض الثاني : فيرده ما جاء في أعمال الرسل، فقد ذكر فيه نهاية أخرى ليهوذا ، وفيه قال بطرس: " يهوذا الذي صار دليلا للذين قبضوا على يسوع .. فإن هذا اقتنى حقلا من أجرة الظلم ، وإذ سقط على وجهه ، انشق من الوسط ، فانسكبت أحشاؤه كلها، وصار ذلك معلوما عند جميع سكان أورشليم ، حتى دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما أي حقل دم لأنه مكتوب في سفر المزامير : لتصير داره خرابا ، ولا يكن فيها ساكن " (أعمال ١٦/١ - ٢٠) .

فهذه الرواية أيضا مناقضة لما جاء في متى ، وعليه يسقط الاعتراض بما جاء في متى .

وهذا التناقض بين الروايتين الإنجيليتين، مشعر بوجود نهاية حقيقية، خفيت على الكاتبين ودفعتهما لاختلاق روايتيهما، وأصح منهما وأكثر قبولا وانسجاما رواية برنابا، التي تقول بصلب يهوذا لو كانت رواية برنابا خاطئة لكان من المنطقي أن نرى يهوذا الخائن يحيا بعد المسيح لقبض ثمن الخيانة ،ولكن كاتب الأناجيل ظهر كعاجز عن أن يجد له مكانا في الرواية ، فقرر التخلص منه بأسهل طريقة، وهي الموت السريع .[٢]

---

(٣) انظر : " يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء "، رؤوف شلبي ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٤٣ .

(١) انظر :قصة موت المسيح وقيامته في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٢) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٢٢٦ - ٢٣٠ ، قصة موت المسيح وقيامته

والقول بصلب يهوذا قول قديم: فكما ذكره برنابا في إنجيله ، ذكرته فرق مسيحية قديمة قبل الإسلام، منها: السيرنثيون والكربوكرانيون .[1]

كما ثمة اعتراضات ترد على هذه النظرية، لم يذكرها الذين ردوا على منصور حسين ، لكنها تقفز إلى ذهن القارئ، في ثنايا قصة الصلب في الأناجيل . ومنها : - أن الأناجيل ذكرت أن بطرس حمل السيف ، وضرب أذن العبد فأمره المسيح برد السيف ، لأن من ضرب بالسيف يؤخذ به ، فهرب بطرس والتلاميذ (انظر يوحنا ١٠/١٨ - ١٩) فهذه يجعلها يوحنا بعد حادثة تراجع الجند، ووقوعهم على الأرض ، ومثل هذا يغرب مع القول بأن يهوذا هو الماثل، وأن المسيح قد رفع .

كما ذكر يوحنا أيضا بعد سقطتهم، أن المسيح سألهم: " من تريدون ؟ فقالوا : يسوع الناصري . أجاب يسوع : قد قلت لكم إني أنا هو ... ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع ،وأوثقوه " (يوحنا ٧/١٨ - ١٢) لكن أمثال هذه النصوص، لاتنهض في الرد على نبوءات المزامير والأناجيل ، بل إلحاقها بتناقضات الأناجيل وأخطائها أولى .

كما يرد تساؤل كيف لم يعرف المصلوب بأنه ليس المسيح ،وقد مكث على الصليب بضع ساعات ، كما تنقل مع اليهود، ما بين قيافا وبيلاطس وفي بيان هذا التساؤل، ذكر علماؤنا أن القبض على يهوذا كان ليلا، فيكتنفه ما يكتنف الظلام من ستر ، وأما خفاؤه فيما بعد ذلك، فمرده لظروف رافقت محاكمته وصلبه، منها: أن المسيح غير معروف لديهم على وجه التأكيد، لأنه جليلي ، وليس من سكان أورشليم وكذلك يهوذا، الذي لربما لم يره رؤساء الكهنة، إلا عندما جاءهم يفاوضهم على الخيانة ، ثم لما جاءهم لأخذهم إلى المسيح . وهؤلاء الذين حفي عليهم المسيح على شهرته الكبيرة لاعجب إذا خفي عليهم يهوذا .

وقد رأينا منهم شكا في شخصية المأخوذ ، فدل ذلك كله على أن في شخصية المأخوذ ما أشكل عليهم ، وهو ولاريب يشكل على من رآه مصلوبا عريانا . ثم قد ألبس يهوذا في محاكمة بيلاطس وهيرودس ملابس غريبة فتغير شكله ، ثم لما صلب كان عريانا ، وصلب في بستان معزول ، و لم يمكث على الصليب فترة طويلة .[2]

فكل ذلك يجعل نظرية منصور حسين مقبولة ، إذ مثل هذه الاعتراضات التي يسهل ردها لاتقوم في وجه هذه النظرية وأدلتها .

وذكر بعض أصحاب الردود الإسلامية، نظرية قريبة من النظرية السابقة ، وترتكز على أن لبسا حصل لأولئك الذين اقتادوا المسيح للصلب ، وأن المصلوب هو سمعان القيرواني ، الذي ذكرت الأناجيل أنه حمل

في ميزان النقد العلمي والكتب المقدسة ، محمد أبو الغيط الفرت ، ص ٥٨ - ٥٩ ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد ، ص ١٣٤/٢ - ١٣٦ .

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٩٧ ، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٨٤ .

صليب المسيح، ومشى معهم .

ويرى القائلون بهذه النظرية، أن اللبس حصل عند وصول المسيح وسمعان يحمل الصليب إلى ساحة الصلب ، حيث أخذ جند الساحة دورهم بأخذ حامل الصليب ، وتعليقه عليه . ذلك أن عادة المصلوبين دائما أن يحملوا صليبهم إلى موضع الصلب ، وقد ألقي شبه المسيح على سمعان ، وقد استسلم لهم سمعان القيرواني ، ليفدي المسيح بنفسه .[١]

وهذا القول ليس بجديد ، بل هو قديم جدا، قالته بعض فرق النصارى في فجر المسيحية ، إذ يقول القديس "الفونسوس ماريا دي ليكوري" عند حديثه عن بدع القرن الأول : " لما أراد اليهود صلبه، أخذ صورة سمعان القيرواني ، وأعطاه صورته ، فصلب سمعان لايسوع الذي كان يسخر باليهود " .[٢]

وهذه الفرقة كما سماها الأفندي هي الباسيليديين .[٣]

كما أورد علماؤنا احتمالات أخرى، لم يقدموها في إطار صورة كاملة، بل بدائل للقول بأن يهوذا المصلوب ، منها أنه لعل المصلوب شيطان، أو شبح فدى الله به نبيه ، أو لعله أن يكون أحد العامة ، أو أحد المحكومين في سجن بيلاطس الذي لم يصلب المسيح لتعاطفه معه ، وشعوره ببراءته، فصلب مجرما بدلا عنه . ومثل هذه الأقوال لاتعتمد على الدراسة الجادة التي رأيناها عند منصور حسين ،والتي سنراها عند ديدات ، بل مجرد احتمالات . وهذا باب لا آخر له .[٤]

---

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠١ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) انظر : أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ٧٥ ،الأديان في القرآن،محمود بن شريف،ص٢١٢ .

(٣) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠١ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٤) انظر : الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ، نعمان الألوسي ، ص ٥٨٥ ، الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجي البغدادي ، ص ٤٧٨ ، المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام ، محمد وصفي ، ص ١٦٦ - ١٦٧ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٠ ، المسيحية الحقة التي جاء بها المسيح ، علاء أبو بكر ، ص ٣٢٥ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٨٥ .

نظرية القائلين بإنزال المسيح عن الصليب حيا

تتخلص نظرية ديدات ومن وافقه وتستند على المعطيات الإنجيلية التي يجملـها : أن المسيح تعـرض للمؤامرة التي تحدثت عنها الأناجيل حسدا من اليهود ، للمترلة الرفيعة التي تحصلت للمسيح، من معجزاته وسيرته الحسنة فقالوا : " انظروا ، إنكم لا تنفعون شيئا ، هو ذا العالم قد ذهب وراءه " (يوحنا ١٢/١٩).

لذا عزم اليهود على اعتقال المسيح سرا ، ووجدوا في الخائن يهوذا بغيتهم ، وعلم المسيح بخيانة يهوذا وما عزم عليه ، و لم يمنعه ذلك من أن يقول له: " ما أنت تعمله فاعمله بسرعة أكثر " (يوحنا ١٣/٢٧)

وبالفعل أتت الجموع ، وساقت المسيح إلى محاكمة قد صدر فيها الحكم سلفا . ولما لم يكن من حق اليهود تنفيذ الأحكام، لجئوا إلى الرومان، فوافقهم بيلاطس. بعد تردد شديد. على تنفيذ الحكم بالمسيح البريء.

واقتيد المسيح ليصلب في يوم الجمعة ، والصلب طريقة للموت البطيء، يعلق فيها المحكوم عليه حتى يموت .

وعلق على الصليب في الساعة السادسة (وتساوي ١٢ ظهرا) وبجواره مذنبان ، وفي نحو الساعة السادسة، قال لليهود : "هو ذا ملككم . فصرخوا: خذه، خذه ، اصلبه ... فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب " (يوحنا ١٩/١٤ - ١٥) .

" ونحو الساعة التاسعة، صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلي إيلي لما شبقتني... " فأسلم الروح " (متى ٢٧/٤٦ - ٥٠) .

فكيف مات المسيح بهذه السرعة ؛ وماذا عن مصير صاحبيه ؛ هل ماتا مثله ؟ وكيف عرف العسكر موته ؟ وهنا-كما يقولون- مربط الفرس .

يقول يوحنا : " فلكي لاتبقى الأجساد على الصليب في السبت ، لأن يوم ذلك السبت كان عظيما ، سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا ، فأتى الجند ، وكسروا ساقي الأول، والآخر المصلوب معه ، وأما يسوع: فلما جاءوا إليه، لم يكسروا ساقيه، لأنهم رأوه قد مات ، لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربه ، وللوقت خرج دم وماء ". (يوحنا ١٩/٢١ - ٢٤) .

إذن رأى الجند أن المسيح قد مات ، واستوثقوا من ذلك لماطعن بالحربة ، فخرج منه ماء ودم ، فكان ذلك دليلا على موته .

والذي دعا اليهود إلى قطع ساق اللصين: استعجالهم لموت المصلوبين قبل دخول السبت، بدخول ليله، ولأن التوراة تقول: " وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل، وعلقته على خشبة ، فلا تبت جثته ، بل تدفنه في ذلك اليوم ، لأن المعلق ملعون من الله ، فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب إلهك

نصيبا " (التثنية ٢١/٢٣).

وكان تكسير ساق المصلوب، وسيلة سريعة لإزهاق حياته ، فيترل عن الصليب قبل غروب الشمس.

وساعات محدودة يعلق فيها المرء غيركافية لموته ، لذا لما جاء العسكر ووجدوا اللصين حين قطعوا أرجلهما ليسرع موقمما، ، وكفوا عن المسيح ، لأنهم رأوه ميتا ، وتأكدوا بطعنه بالحربة. وقد عجب بيلاطس لما جاءه خبر موت المسيح السريع إذ مثل هذا لايعهد فقد جاءه اثنان من تلاميذ المسيح يطلبان الإذن بإنزال الجثة ، ودفنها .. "فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعا، فدعا قائد المائة وسأله هل له زمان قد مات؟ ولما عرف من قائد المائة ، وهب الجسد ليوسف ، فاشترى كتانا ، فأنزله وكفنه بالكتان ، ووضعه في قبر كان منحوتا في صخرة، ودحرج حجرا على باب القبر ، وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسي تنظران أين وضع " (مرقس ١٥/٤٤ – ٤٧) .

ويذكر يوحنا تفصيلات أوسع، فيقول: " وجاء أيضا ينقوديموس ... وهو حامل مزيج مر وعود نحو مائة منا [1] ، فأخذا جسد يسوع ، ولفاه بأكفان مع الأطياب ، كما لليهود عادة أن يكفنوا ، وكان في الموضع الذي صلب فيه بستان ، وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط ، فهناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود ، لأن القبر كان قريبا " (يوحنا ١٩/٣٩ – ٤٢) .

تترك الأناجيل المسيح في قبره يوم السبت وليلة الأحد ، ثم في فجر: الأحد تقدم بعض النسوة اللاتي شهدن صلب المسيح ودفنه ، " وأتين إلى القبر حاملات الحنوط .. فوجدن الحجر مدحرجا عن القبر ، فدخلن، و لم يجدن جسد الرب يسوع .

وفيما هن محتارات في ذلك، إذا رجلان .. قالا لهن : لماذا تطلبن الحي بين الأموات ؟ ليس هو ههنا ، لكنه قام . (لوقا ٢٤/١ – ٦) .

ثم تتحدث الأناجيل عن ظهور المسيح لأصحابه مرة بعد مرة وهم لايعرفونه، فقد ظنته مريم المجدلية البستاني (يوحنا ٢٠/١٥) ، و لم يعرفه التلميذان المنطلقان لعمواس، إلا بعد طول حديث ومسير (انظر لوقا ٢٤/١٢ – ٣٤)

ثم ظهر لتلاميذه وهم على بحيرة طبريا يصيدون السمك ، فلم يعرفوه (انظر يوحنا ٢١/١ – ٨). تلك هي أبرز المعطيات، التي انطلق منها ديدات في تفسيره لما حصل في ذلك اليوم. وأما بقية المعطيات التي أهملنا ذكرها، فإن ديدات لايرى مانعا من التسليم بما جاء فيها .

ونستطيع أن نقول إن الخلاف بين ديدات والنصارى، ينحصر في الإجابة عن هذا السؤال: هل أنزل المسيح عن الصليب وهو حي ؟

---

(١) ويعدل ذلك (٥٥.٨٥) كغ . أو (٦١) كغ ويراه أحمد عبد الوهاب من الغرائب إذ يكثر مثل هذا على ميت واحد . انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٣٠٥ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٥٥

والإجابة النصرانية : لا ، أما ديدات فيقول: نعم .ويلزمه أن يقيم الحجة على ذلك، فما هي أدلة ديدات على أن المسيح أنزل عن الصليب وهو حي ؟

يتبصر ديدات في القصة الإنجيلية، فيرى فيها أمورا لاتصح ولا تصدق إلا مع القول بأن المسيح أنزل عن الصليب وهو حي .

ونبدأ بقراءة القصة مع ديدات ابتداء من تعليق المسيح على الصليب، حيث صلب المسيح في يوم الجمعة في الساعة السادسة أي في الظهيرة ، وعند الساعة التاسعة يزعم النصارى أنه كان قد أسلم الروح .

ولقد كسر الحراس ساقي اللصين، و " لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات " (يوحنا ١٩/٣٣) فيرى العلامة أن "رأوه " يعني " قدروه " فإن الأناجيل لم تذكر أبدا أن أحدا لمسه أو قاس ضغط دمه، وبالطبع " لم يكن لديهم جهاز " استيرزوسكوب " حديث للتحقق من الوفاة ،" ، وكم من أناس حررت لهم شهادات وفاة طبية من أطباء معتمدين ، ثم ثبت أنهم كانوا أحياء . ويذكر المؤلف إحدى عشرة قصة موثقة من الصحف الغربية مدعمة بالصور لأناس أعلنت وفاتهم ، وحررت لهم شهادات وفاة ، ثم اكتشف أنهم أحياء ، كان آخرهم السيد "بارناباس" الذي أعلنت وفاته إكلينيكيا ، وحمل إلى مستودع الجثث ، لكنه عاد واهتز وتحرك ، واعتبرت الصحف قصته " صدمة عام ٨٤ " .

ولئن كان "بارناباس" فقط قد تحرك بعد إعلان موته ، فإن في بقية القائمة من عاش بعد ذلك ، ولعل بعضهم لازال على قيد الحياة ، ويورد المؤلف صورة لسبعة منهم، وقد شكلوا ناديا للعائدين من بين الموتى .

ولئن حصل هذا في زمن العلم فحصوله في ذلك اليوم الذي ادعي فيه وفاة المسيح أولى . ومما يؤكد نجاة المسيح، وأنه لم يمت ، أن الله قذف في قلب الجندي أن المسيح قد مات ، حتى لاتقطع رجلاه ، والحي هو الذي يستفيد من الرجلين .

وجاء جندي آخر يريد التأكد من وفاة المسيح، فأتى بدليل حياته " لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة ، وللوقت خرج دم وماء " (يوحنا ١٩/٣٤) .

ويرى ديدات في غزة الرمح دليلا على حياة المسيح، ويستشهد لما يقول بما جاء في دائرة معارف الإنجيل، حيث تقول: " يسوع كان حيا عندما وجه إليه الرمح " ويقول علماء ألمان: بأن قلب يسوع لم يكن قد توقف ، ويستدلون لذلك بنزول الدم والماء .

وفي عام ١٩٤٩ م قال (د. و. ب بريمروز) بأن ذلك كان " ناتجا عن الإرهاق العصبي، الواقع على الأوعية الدموية ، الذي كان يرجع تحديدا إلى التاثير فوق الطاقة، للضرب بالهراوات " ، فقد كانت غزة الرمح دليل الحياة ، بل كانت وسيلة لإنقاذ المسيح ، إذ الدورة الدموية تبطئ في مثل هذه الحال ، وخروج الدم يجعلها تستعيد مسارها وعملها .

ثم كيف يموت رجل لمجرد أنه علق ثلاث ساعات ؛ إنه لأمر غريب استغرب له بيلاطس ، وحق

له ، فهو موت سريع غير معهود في مثل هذه الحال.

وسلم المسيح للتلميذين يوسف ونيقوديموس، والنسوة اللاتي تابعنه، ومنهم: مريم المجدلية ، فبدأوا بتجهيزه (انظر يوحنا ١٩/٣٨ - ٤٠) و (لوقا ١٣/٥٠ - ٥٥) ولكن: " لو كانت هناك أية آثار للحياة في أي عضو من أعضاء الجسد الملفوف ، فلم يكن أحد من المحيطين به من الحماقة، بحيث يصيح في الجموع المتطفلة : إنه حي . إنه حي .

لقد كانوا يعرفون أن اليهود سيعاودون التأكد من أن روحه قد انتزعت من جسده "

ودفن المسيح ، لكن قبره لم يكن كسائر القبور ، بل دفن في " قبر كان منحوتا في صخرة ، ودحرج حجرا على باب القبر " (مرقس ١٥/٤٦)

ويصف جيم بيشوب أحد أكبر علماء المسيحية في كتابه " يوم مات المسيح " يصف قبر المسيح بأن اتساعه خمسة أقدام، وارتفاعه سبعة أقدام، وعمقه خمسة عشر قدما، مع نتوء بالداخل أو نتوءات .

ومما يشهد بصحة وصف (بيشوب): دخول النسوة إلى القبر، لما وجدن الحجر مدحرجا (انظر لوقا ٢٤/٢ - ٣) .

ويعلق العلامة ديدات على وصف هذا القبر بأن " مأوى بهذه المواصفات يسعد أي واحد من سكان الأحياء الشعبية للإقامة فيه ، كمسكن له " فقد كان القبر حجرة جيدة التهوية منحوتة في الصخر حفظت للمسيح حياته وهو في داخله .

لكن اليهود راعهم الموت السريع المزعوم للمسيح ، ثم التصريح الذي منحه بيلاطس ليوسف لينزل الجسد ، فارتابوا في الأمر ، وخشوا أن يكونوا قد خدعوا، فمضوا في الغد إلى بيلاطس " قائلين : ياسيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال: ... فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث " (متى ٢٧/٦٢ - ٦٤) .

لكن بيلاطس طفح به الكيل منهم ، فقال : " عندكم حراس . اذهبوا واضبطوه " (متى ٢٧/٦٥) لكنهم كانوا قد تأخروا ، فلقد فاقهم ليلة كاملة .

وفي صباح الأحد، حضرت مريم والنسوة ، وهن يحملن الزيت (وفي لوقا: الحنوط) ، وهدف الزيارة كما قال مرقس :" اشترت مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب، وسالومة ، حنوطا، ليأتين ويدهنه " (مرقس ١٦/١) .

فلم يدهن المسيح لو كان ميتا ، وقد شهدت النسوة تلميذيه ، وهما يكفنانه بمائة من . هل من عادة اليهود دهن الموتى بعد ثلاثة أيام ؟ وهل من الممكن دهن ميت بعد ثلاثة أيام من دفنه ؟

لا إجابة سوى أن المسيح كان حيا ، وعادت النسوة للعناية به ، ودهنه، وتضميد جروحه لقد عرفن ذلك ، لأنهن ممن رأى كفنه ، وستره في القبر .

لكن النسوة لم يجدن المسيح في قبره ، ووجدن باب القبر مدحرجا (أي الحجر الذي سد به القبر) ،

واللفائف موضوعة في جانب القبر .

إذن فقد خرج المسيح من قبره ، خرج بجسده وروحه وليس بروحه فقط ، فلو خرج بروحه كالأشباح لما احتاج إلى زحزحة الحجر ، وإزاحة اللفائف، وتكويمها ، فهذه دلائل تحرير جسد مادي ، ولو كان روحا لما احتاج لذلك كله .

وتجلس المجدلية عند القبر تبكي ، ويسوع يراقبها ، ثم يسألها: " يا امرأة: لماذا تبكين ؛ من تطلبين؟ " فلماذا يسألها ؟ أولا يعلم ما تبحث عنه ؟ بلى ، ولكنه يريد أن ينقلها من صدمتها إلى حال من الاعتدال.

لكن مريم " اعتقدت أنه البستاني، فقالت له : يا سيد: إن كنت أنت حملته، فقل لي أين وضعته ؛ وأنا آخذه " (يوحنا ٢٠/١٦ - ١٨) ويلحظ هنا أنها لاتبحث عن جثة ، فهي لم تستخدم ضمير غير العاقل IT ، بل استخدمت ضمير العاقل HIM ، وتسأل: (أين وضعته) ؟ لا أين دفنته ؟ وقالت له : أنا آخذه .

لماذا أتت تلك المرأة ؟ وهل تستطيع وحدها حمل جسد المسيح وهو ميت ؟ وهل تستطيع أن تحفر له قبرا ؟

لا . إنها تطلبه حيا ، لكي تساعده ، وتضمد جراحه .

ثم كيف لم تعرفه مريم ، وظنته البستاني ؟ والجواب سهل . لأنه كان متنكرا . ولم التنكر ؟ لأنه خائف من اليهود . وهل يخاف من الموت من مات وقهر الموت ؟ لا فالذي يموت لايموت ثانية، وهو ما يقوله الكتاب المقدس " وكما وضع للناس أن يموتوا مرة ، ثم بعد ذلك الدينوية " (عبرانيين ٩/٢٧) ، وفي رسالته إلى أهل رومية يقول بولس: " نؤمن أننا سنحيا أيضا معه، عالمين أن المسيح بعد ما أقيم من الأموات لايموت أيضا ، لايسود عليه الموت بعد " (رومية ٦/٨ - ٩) .

فالمسيح خائف على نفسه من أن يكتشف اليهود نجاته ، فيعودون لقتله وصلبه ، ثم كشف المسيح لمريم عن شخصيته ، فتقدمت إليه وقد أطار الفرح صوابها لتمسك بسيدها ، وتقبل يديه . لكنه قال لها: " لاتلمسيني ." لماذا ؟ لأن جروحه لم تشف بعد . فقد قال لها : "لأني لم أصعد إلى أبي بعد " (يوحنا ٢٠/١٧) فما فائدة هذه الجملة وهي تراه أمامها ، وهو يقول لها " لم أصعد إلى أبي بعد "؟ معناها : أنا لم أمت حتى الآن ، وأنا حي، وجسدي ما تزال به آثار جروحي ، ولو كنت مت ، فإن بعثي سيكون روحانيا، ، فلا يهمني ما كان قد أصاب جسدي. " وذهبت فأخبرت التلاميذ .. فلما سمع أولئك أنه حي وقد نظرته لم يصدقوا " (مرقس ١٦/١١) .

ويطرح ديدت سؤالا يراه السؤال الذي أعجز الفكر النصراني : من الذي أتى بملابس البستاني للمسيح ؟ والإجابة عند ديدات : أنهما التلميذان اللذان علما بنجاة معلمهما ، فأعاناه ليلة سبت اليهود ، وأخرجاه من قبره، وعملا على مداواة جراحه .

ثم رافق التلميذين الذاهبين إلى عمواس، وصحبهما خمسة أميال، فلم يعرفاه " فقد أمسكت عيونهما

عن معرفته " (يوحنا ٢٤/١٦) فهل كانا مغمضي العيون ؛ أم أن تنكر المسيح بسبب خوفه من اليهود جعلهما لايعرفانه ؟

ثم مرة أخرى ظهر للتلاميذ وهم مجتمعون " فجزعوا، وخافوا، وظنوا أنهم نظروا روحا " (لوقا ٢٤/٣٧) .

فلم خاف هؤلاء وجزعوا . و لم تخف مريم المجدلية وفرحت يوم رأته ؟ لسبب بسيط أنهم لم يشهدوا الصلب ، فظنوه مات ، وأن ما يرونه شبح أو روح ، فخافوا منه . أما مريم المجدلية فكانت ممن دفنه ، وتعرف أنه حي ، لذا فقد فرحت بلقياه سالما يمشي على الأرض .

ومما يؤكد حياة المسيح ، وعدم موته: شهادة الرجلين الجالسين بجوار القبر. فقد قالا للنسوة : " لماذا تبحثن عن الحي بين الموتى " (لوقا ٢٤/٤ – ٥) وبشهادة الملائكة " إنهن رأين منظر ملائكة قالوا إنه حي " (لوقا ٢٤/٢٣) والنصوص تؤكد أنه حي، وأن وجوده مادي حقيقي ، وأنه ليس روحا أي لم يمت ، فقد قال لتلاميذه: " جسوني، فإن الروح ليس له لحم وعظام ، كما ترون لي " (لوقا ٢٤/٣٩) ، ثم أكل وشرب " وأراهم يديه وجنبه " (يوحنا ٢٠/٢٠) ليؤكد ذلك. ثم لما بقي تشكك (توما) التلميذ قال له: " هات إصبعك إلى هنا، وأبصر يدي ، وهات يدك، وضعها في جنبي ، ولاتكن غير مؤمن " (يوحنا ٢٠/٢٧) .

وهنا يطرح ديدات اعتراضا قد يعترض به نصراني فيقول: سيقول الصليبي المجادل : من الذي يقول إن الأشخاص الذين يبعثون من الموت سيكونون أرواحا ؟ وأنا أقول له : يسوع .

فيسأل: أين ؟ وأنا أقول له: في إنجيل لوقا (٢٠/٢٧ – ٣٦) حيث سأله اليهود عن المرأة التي توفي عنها زوجها، فتزوجها أخوه ، حتى تعاقب عليها سبعة إخوة . وكان سؤال اليهود ففي القيامة لمن منهم تكون زوجة ؟ فأجابهم " أبناء هذا الدهر يزوجون ويزوجون ، ولكن الذين حسبوا أهلا للحصول على ذلك الدهر ، والقيامة من الأموات لايزوجون ولايزوجون، لأنهم مثل الملائكة " (لوقا ٢٠/٢٤ – ٢٦) أي كائنات روحية .

ولايفهم أن هذا معتقد لديدات ، إنما هو في سياق الرد على الخصم بكتابه وحجته .

ومن هذا كله ثبت أن المسيح أنزل عن الصليب وهو حي ، ودفن حيا ، ثم أخرج من قبره ، وعليه فلا خلاص ، ولا موت، فداء عن الخطيئة ، ولافائدة من القول بألوهية رجل ، وأنه تجسد فيه اللاهوت ليموت تكفيرا للخطايا .

ويخير ديدات النصارى: بين قبول ما ذهب إليه من إنزال المسيح عن الصليب حيا، أو تكذيب المسيح في نبوءاته ، إذ أن اليهود عرضوا للمسيح وقالوا له: " يامعلم، نريد أن نرى منك آية . فأجاب ، وقال لهم: جيل شرير وفاسق يطلب آية ، ولا تعطى له إلا آية يونان النبي ، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال (متى ١٢/٣٨ – ٤٠)

ويسأل ديدات: هل تحققت هذه النبوءة ؟ وإجابة النصارى : نعم ، عندما دخل القبر فجلس فيه ثلاثة أيام وثلاث ليال ، كما كان يونان النبي في بطن الحوت .

لكن بالرجوع إلى الأناجيل التي تتحدث عن دفن المسيح قبيل دخول السبت ، ثم تتحدث عن القبر الخالي فجر الأحد ، نرى أن لو مكث المسيح طوال هذه الفترة في القبر، لكانت مدة مكثه ليلة السبت ونهاره وليلة الأحد . إذن فلم تتحقق النبوءة ، والمسيح لايكذب . فيبحث العلامة ديدات عن تفسير لما قاله المسيح وبالرجوع إلى سفر يونان النبي (يونس): نقف على معجزة يونان ، التي يعد المسيح بأن يحقق معجزة مثلها .

أمر الرب يونان أن يذهب لدعوة أهل نينوى ، فهرب ، وركب البحر من يافا قاصدا ترشيش ، وبينما السفينة في البحر ، إذ هاجت الريح ، حتى كادت أن تحطم السفينة ، فأجرى الركاب قرعة ، ليعرفوا سبب هذه البلية ، فوقعت القرعة على يونان ، الذي أخبرهم بأنه هارب من أمر الرب ، وقال لهم : "خذوني واطرحوني ، في البحر فيسكن البحر عنكم ، لأنني عالم أنه بسببي هذا النوء العظيم عليكم " .

ففعلوا بعد تردد ، فسكن البحر ، فجاء حوت عظيم ، وابتلع يونان، الذي بقي في بطنه ثلاثة أيام ، وثلاث ليال يصلي لله: " فصلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت، وقال: ... " ثم استجاب الله له .. "وأمر الرب الحوت، فقذف يونان إلى البر " (انظر يونان ١/١ - ١٠/٢) .

إذن كانت معجزة يونان بقاؤه حيا في بطن الحوت، وخروجه من بطنه حيا، وكذلك كانت معجزة المسيح أن ينزل عن الصليب حيا كما ألقي يونان في البحر حيا وأن يمكث في بطنها برهة من الوقت حيا ، ثم يخرج منها حيا . وهكذا تتحقق النبوءة " لأنه كما كان يونان .. يكون ابن الإنسان " فإن قال النصارى : أنزل ميتا ودفن ميتا ، فقد أضحى ابن الإنسان عكس يونان ، وليس مثله .

لقد كانت معجزة يونان أنه ألقي في بحر هائج و لم يمت ، ثم ابتلعه الحوت ، و لم يمت ، والمفروض أن يموت بتأثير الحرارة والاختناق ، لكنه لم يمت ، وهذه معجزة يونان، التي أشبهتها معجزة المسيح .

أما أولئك الذين يصرون على أن وجه الشبه هو الثلاثة الأيام والثلاث الليال فهم " رجال غرقوا ، ويحاولون التعلق بالقش ...." لا إعجاز هنالك فيما يتعلق بعامل الوقت .

كان اليهود يطلبون من يسوع معجزة ، وليس ثمة شيء يجعل من ثلاثة أيام ، أو ثلاث ليال، أو ثلاثة أسابيع ، أو ثلاثة شهور معجزة بأي حال ".

ونقل الأفندي عن بعض النصارى تأولهم للفقرة بأن آية المسيح هي مثل آية يونان النبي، وهي: أن يؤمن الناس به من غير آية . (١)

وقد تجاهل هؤلاء، عشرات المعجزات التي أتى بها المسيح ، وتجاهلوا أن ما حصل ليونان، هو آية

---

(١) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .

باهرة، لايمكن إنكارها .

ويجزم ديدات بأن المسيح أخرج من قبره في الليلة الأولى ، كما يجزم أن أحــــدا لايســـتطيع حســـب المعطيات الإنجيلية أن يقول إن المسيح مكث ثلاثة أيام وثلاث ليال " حتى اينشتاين أكبر أساتذة الرياضيــــات لايجدي نفعا في هذا " .

وقد تنبه النصارى أخيرا لهذا الخطأ الرياضي الكبير ، مما جعل روبرت فاهاي يطالب في مجلته "الحقيقـــة الناصعة" التي توزع ستة ملايين نسخة مجانية ، يطـــالب بـــأن يســـتبدل النصـــارى عيـــد يـــوم الجمعـــة الطيبة (المباركة) بالأربعاء الطيب (المبارك) .

ويهنئ ديدات فاهاي عقب محاضرة -للأخير-على عبقريته في اكتشاف الخطأ الـــذي انطلـــى علـــى المسيحية طوال هذه القرون ، وسأله عن مصدره، فأجاب فاهاي : " الشيطان " فرد ديـــدات : " إذا كـــان الشيطان يستطيع أن يضلل المسيحيين ، وأن يبقيهم في ضلالهم لمدة ألفي عام في أبســـط مظـــاهر الإيمـــان ، فكم يكون الأمر أسهل على الشيطان ليضللهم فيما يتعلق بطبيعة الله "!! .[1]

وهذه الفكرة التي أشبعها ديدات دراسة واستدلالا سبقه إلى القول بأصلها: العلامة الألماني فنتيوريـــــي في بداية القرن التاسع عشر ، كما نقل ذلك أحمد عبد الوهاب عن فرانك موريسون في كتابه " من دحـــرج الحجر " [2]

وذكر صابر طعيمة أن ممن قال بهذا أيضا درمنغم في محاولته للتوفيق بين الإسلام والنصرانية .[3]

ويعرض سليم الجابي نفس نظرية ديدات ، ويضيف عليها بعض الإضافات التي لاتغير شيئا في جوهـــر القصة ، ومنها ما يسلم، له ومنها ما لايسلم .

ومن الأمور التي ذكرها الجابي :

* أن المسيح سقي على الصليب شيئا اختلفت الأناجيل فيه، بين قائل بأنه خمـــر ممزوجـــة بمـــرارة أو خل ، وهذا يدل على جهلهم بحقيقة ما شربه المسيح، ويرى الجابي أنه سقي خلا ممزوجة بمرارة ، وأن هــــذا ما كانوا يستخدمونه في التخدير في العمليات الجراحية ، ونقل أحمد عبد الوهاب عن المفســـر (فنتـــون) أن هذا المشروب يستخدم لتخفيف الآلام ، ولهذا السبب سجل الإنجيليون أن يسوع لم يشرب .[4]

---

(١) وردت نظرية ديدات في الصلب مفصلة في كتابه مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، أحمد ديـــدات ، ص ٧٨ – ١٥٢ ، ومختصرة في كتابه " من دحرج الحجر " . وانظر : النصرانية مصطفى شاهين ص ٨٥ – ٩٦ ،هل بشر المســـيح بمحمد؟نبيل الفضل،ص ٦٠-١٠٥ .

(٢) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ٢٧٢ – ٢٧٤ .

(٣) الأسفار المقدسة ، صابر طعيمة ص ٢٠٢ – ٢٠٧ .

وذكر عبد الوهاب النجار في بدايات القرن الرابع عشر أنه يوجد بين المسلمين من يقول بهذا الرأي ، ووصفهم بأنهم قلـــه ، ولم يسم أحدا منهم . انظر : قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٨٣ – ٤٨٤ .

(٤) انظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص ١٦٧ .

ويعجب لتوفره في تلك اللحظة مع الجند ، ويراه جزء من خطة بيلاطس لإنقاذ المسيح، بعد أن اقتنع ببراءته ، وبسبب حلم زوجه ، ولأنه علم أنهم أسلموه حسدا " (متى ١٨/٢٧) . ولوى اليهود ذراعه حين هم بإطلاق المسيح فقالوا :" إن أطلقت هذا فلست محبا ، كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر " (يوحنا ١٢/١٩) .

ويستدل لدور بيلاطس في إنقاذ المسيح بتجرؤ الجند على سقاية المسيح ، والمفروض أن يترك حتى يموت عطشا .

ويدعي الجابي– ولا دليل – أن التلميذ يوسف الذي تسلم جثة المسيح كان مستشارا عند بيلاطس ، فكان جزءا من الخطة .

ويرى أيضا أن قول المسيح: " أنا عطشان " هو بمثابة كلمة سر لبدء تنفيذ خطة الإنقاذ ، والتي تقضي بتنويم المسيح ، ثم إنزاله حيا من فوق صليبه. ودليله: قول يوحنا: " فلكي يتم الكتاب قال : أنا عطشان " (يوحنا ٢٨/١٩) كما استشهد بالمزمور (٢١/٣٤) وفيه: " البار المتألم محمي في المحنة " فيراه في اللحظة التي طعن فيها المسيح بالحربة .

ويرى في جهل التلاميذ لموضوع قيامة المسيح ، واستنكارهم له دليلا على عدم حدوثه ، وأن المسيح رجع إليهم قبل الموت ، وإلا لكان أخبرهم بذلك. ويضيف الجابي وبإسهاب مطول أن المسيح بعد نجاته هرب وأمه إلى كشمير، وأن ذلك هو معنى قول الله ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية و ءاويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾[(١)]

الجابي ممن يرفض القول برفع عيسى ، ويعتبره مما لادليل عليه ، وأنه تمحل للآيات بسبب دسيسة أهل الكتاب، وتأثر المسلمين بهم [(٢)]

ويرى الجابي أن سفره لكشمير إنما هو لدعوة الخراف الضالة من بيت إسرائيل، أي التي تفرقت بعد السبي في مناطق الهند وأفغانستان ، وأن هذا هو معنى قوله: " ولي خراف أخر ليست في هذه الحظيرة ، فتلك أيضا لابد لي أن أقودها ، وستصغي إلى صوتي ، فيكون هناك رعية واحدة، وراع واحد "(يوحنا ١٠/١٦) ولذا أمر تلاميذه: " اذهبوا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل " (متى ١٠/٦) ويقرر الجابي أنه لم يرجع بعد السبي البابلي إلى فلسطين سوى سبطين فقط .

ويستدل لذلك بنقول عن عدد من المؤرخين، تربط بين أسباط بني إسرائيل، وأهل تلك المناطق .

ويؤكد الجابي على أن المسيح مات في كشمير ، ودفن فيها ، ويقول: " ولشد ما أدهشني وجود جبل في هضبة كشمير مسمى باسم (مريم) (كوه مري) وعلى ذروته ترقد مريم المذكورة في قبرها والدة المسيح الناصري يقينا ، كما أن المسافر إلى (سري نكر) .. سيدله أهل تلك المحلة على ضريح عظيم محاط بسور

---

(١) سورة المؤمنون ، آية : ٥٠ .

(٢) انظر في الرد عليه " التصريح فيما تواتر في نزول المسيح " العلامة المحدث محمد أنور شاه الكشميري .

من الحجر ، ومنحوت على واجهته " يوز آصف " وترجمته " يسوع المسيح " ويقول الدليل لهذا المسافر : هذا ضريح نبي قديم أتى إلى منطقتنا .. " .

وهكذا تصبح روايات العجائز والمرشدين السياحيين مصدرا نعرف منه نهاية المسيح ومكان قبره ، وتصبح الأحاديث الصحيحة تراثا تسرب إلينا من أيد كتابية غادرة !!.

ويختم كتابه بالحديث عن مرهم يعرفه أطباء الأمم ، ويذكرونه في كتبهم يسمى " مرهم عيسى " فقد ذكره ابن سينا في " القانون " ، والشيرازي في (شرحه) وعلي بن عباس في " كامل الصناعة " ، وداود الضرير الأنطاكي في " تذكرة أولي الألباب " ، وأحمد رشيد الحكيم في " عمدة المحتاج " وغيرهم .

ويربط بين هذا كله، والعلاج الذي تلقاه المسيح على يد حوارييه، بعد إنزاله عن الصليب ، فيعتبر هذا دليلا تاريخيا قائما على صحة إنزال المسيح حيا من على الصليب .[١]

وفكرة نجاة المسيح وذهابه للهند ، وتفسير آية سورة (المؤمنون) بها ، فكرة نقلها الجابي عن كتاب " الهدى والتبصرة لمن يرى " للمتنبي الكذاب (القادياني غلام أحمد) ، وقد نقل العقاد رأي القادياني ، واعتبره من الأخبار التاريخية التي لايصح إغفالها ، ووافقه أحمد حجازي السقا على ذلك .

وقد أحسن العلامة محمد رشيد رضا حين نبه بأن غلام القادياني لا يوثق بنقله وعقله ، لضلاله وكفره .[٢]

---

(١) انظر : تفصيل ما أجملته في كتاب " هل مات المسيح على الصليب " . سليم الجابي ص ٨٠ - ١٦٠ .

(٢) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ٤٠ - ٤٢ ، قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٤٨١ - ٤٨٢ ، اليهودية والمسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص ٢٦٠،حقيقة النصرانية في الكتب المقدسة ، أحمد حجازي السقا ، ص ٨٨ - ٩٠.

اعتراضات النصارى

ويورد النصارى اعتراضا على الصيغ الإسلامية التي جزمت بنجاة المسيح. منها :

- ما فائدة القول بنجاة المسيح التي يؤكد عليها المسلمون ؟

ولا ريب أن الحقيقة. وظهورها هي الفائدة ، وثمة فوائد ذكرها محمد توفيق أفندي ، منها : إثبات لقدرة الله في حماية أنبيائه ، وكيد أعدائه ، فهي معجزة إلهية. وامتحان لنبيه ، وما يقوله النصارى في الحكمة من قصة إبراهيم وابنه الذبيح، نقوله نحن في نجاة المسيح ، فلعل في ذلك ردا على تساؤل القمص (سرجيوس) عما يريده الله من معجزة " الفطيس" حين رفع المسيح وصلب غيره .

ويتساءل النصارى : و لم تأخر بيان هذه الحقيقة قرونا عديدة ؟

وما مصير من مات قبل ظهور نبي الإسلام ، وهو يعتقد أن المصلوب هو المسيح ؟ ولماذا لم يذكر المسيح ذلك ؟

فيجيب الأفندي أن لشيوع فكرة موت المسيح أهمية بالغة ، فقد كانت دليلا قويا على عدم ألوهيته، واستدلت به الفرق النصرانية القديمة المنكرة لألوهية المسيح .

ولعل شيوع هذا القول، هو الذي ألزم القائلين بألوهيته بالقول بأن له ناسوتا ولاهوتا . وإلا لأجمعوا على أنه لاهوت محض. ويقول برنابا: " يا معلم: إذا كان الله رحيما، فلماذا عذبنا بهذا المقدار بما جعلنا نعتقد أنك كنت ميتا ؟ ولقد بكتك أمك حتى أشرفت على الموت .. أجاب يسوع: ... فلما كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت بريئا في العالم ، أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا ، معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب ، لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة ، وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله ، الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله " (برنابا ٢٢٠/ ١٤-٢٠).[١]

أما لماذا تأخر بيان هذه الحقيقة قرونا ؟ فيرد الأفندي بأن هذه المسألة لا أهمية لها لو لم تقترن بدعوى ألوهية المسيح ودعوى الفداء ، فليس الخلل في خفائها ، إنما فيما أحدثه الناس من الضلالة . ثم إن البشر يختلفون، وهذا أمر طبيعي ، ولو أرسل الله رسولا يخبرهم بنجاة المسيح لصدق وكذب ، ولعل من أمثلة الاختلاف الناصع: اختلاف النصارى ، وهم الذين يترل روح القدس عليهم، ويؤيدهم ، وهم مع ذلك أكثر الأمم اختلافا. لكن شاءت إرادة الله أن يتأخر بيان الحقيقة ، إلى أن يعم الفساد ، ثم ظهر النور العميم، الذي كان من جملته: إبطال ضلالات النصارى ، التي بنيت على مقدمة غير صحيحة ؛ وهي صلب المسيح .[٢]

---

(١) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠٨ ، دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٢١ - ٣٢٤ .

(٢) انظر : عقيدة الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، ص ١٠٨ - ١١٠ .

وهذا الاعتراض لايقبل من النصارى، الذين لايجدون جوابا فيما لو سألناهم: لماذا تأخر نزول المسيح كفارة ذنب البشرية تلك السنين الطويلة ؟ لم لم يكن فداؤه في زمن آدم ؟ فقد تأخر فداؤه مع الحاجة الماسة إليه ، بينما تأخر بيان الحقيقة هنا وليس من أحد تتعلق نجاته أو هلاكه بها .

وأما أولئك الذين ماتوا، وهم يؤمنون بالمسيح المصلوب ، فيتساءل القمص سرجيوس عن ذنبهم حتى يوصموا بالكفر ، لأنهم لم يطلعوا على هذه الحقيقة .

ويجيب منصور حسين بأن القرآن الكريم لم يكفر النصارى لقولهم بصلب المسيح، فهو ليس كفرا في ذاته ، وإنما الكفر في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر عن ربه نجاة المسيح من الصلب ، فتكذيب هذه الحقيقة: تكذيب للقرآن الكريم .

وعليه، فإن المسلمين لايقولون بهلاك من هلك من النصارى لقوله بأن المسيح صلب ، وإنما يقولون بهلاكه لقوله بألوهية المسيح ، ولتكذيبه للنبي صلى الله عليه وسلم ، إن كان قد أدركه .[1]

---

(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٢٤ ، معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير ، إبراهيم الجبهان ، ص ٦٠ - ٦١ .

المطلب السابع :وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح :

في مؤتمر الفاتيكان الثاني المنعقد عام ١٩٦٣م : انعقد المجمع لبحث موضوعات عديدة، تدور حول تقوية الوحدة المسيحية .

وفي الدورة الثانية منه: قدّم الألماني (الكاردينال بيا) وثيقة تعتبر الصورة التمهيدية للوثيقة التي صدرت فيما بعد ، وتبرئ اليهود من دم المسيح .

وتنادي الوثيقة التمهيدية: باعتبار الشعب اليهودي جزءًا من الأمل المسيحي ، وأنه لايجوز أن ننسب إلى يهودِ عصرِنا ما ارتُكب من أعمال أيام المسيح . واحتج الكاردينال لكلامه بأن كثيرين من الشعب لم يكونوا يعرفون شيئاً عما حدث ، و لم يوافق بعض قادة الشعب على فعل سائر الكهنة .

وقد عورضت الوثيقة داخل المجمع، لما فيها من اعتبارات سياسية ، وطلب المطران الهندي (كوتنهو) حذفَها ، وإضافة فصول عن الديانة الهندية والإسلامية، وكذلك عارض الوثيقةَ بعضُ كرادلة الشرق ، كما عارضها الشبابُ الكاثوليك بالقدس ، وأوضحوا أن ذلك ليس حقاً للمجمع ولاغيره ، وطالبوا بتطبيق ما جاء في سِفر الخروج: " أنا الرب إلهك، إله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء " (الخروج ٢٠/١٥) .

واستشهد القس إبراهيم سعيد – رئيس طائفة الأقباط الإنجيليين – بنصوص الإنجيل، التي تقرر أن اليهود طلبوا صلبه ، ورفضوا إطلاق المسيح ، وطلبوا إطلاق باراباس ، وتولى رئيس الكهنة (قيافا) بعض الوِزر في ذلك .

ثم إنهم قالوا " دمه علينا وعلى أولادنا " (متى ٢٧/٢٥) وقد قال بطرس لثلاثة آلاف من اليهود : " إن يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم " . وتم تشكيل لجنة لتعديل الوثيقة ، وعدّلت، وصدرت في أكتوبر ١٩٦٥م وثيقة تبرئة اليهود .[١] ونقل علماؤنا بعض ما تضمنته هذه الوثيقة ومنه " فإن ما ارتكب أثناء آلامه: لايمكن أن يعزى إلى جميع اليهود الذين كانوا عائشين إذ ذاك ، ولا إلى يهود أيامنا " . ويقول الكاردينال " بيا " عن هذه الوثيقة : " ليست هذه الوثيقة ثمرة يوم أو ليلة ، إنها خلاصة دراسة " وقد وقع البابا يوحنا الثالث والعشرون عليها قبل وفاته بخمسة أشهر ، لتصبح وثيقة دينية معتبرة ، ومعتمدة من أهم المراجع النصرانية .[٢]

وقد أراد " بيا " من وثيقته التمهيدية تبرئة العنصر اليهودي من صلب المسيح ، وعليه فلا إجابة على السؤال من صلب المسيح ؟ إلا أن يقال بأنهم الرومان ، ولكن الوثيقة النهائية الرسمية أقرت بدور اليهود وبراءة الرومان وبرأت الأجيال اليهودية اللاحقة من تولي وزر هذه الجريمة ، كما أنها حاولت حصر الجريمة

---

(١) انظر : إسرائيل حرفت الأناجيل ، أحمد عبد الوهاب ،ط١،مكتبة وهبة،القاهرة،١٩٧٢م، ص ٢٠ – ٣٥ .

(٢) انظر : دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٢٨ .

في اقل عدد ممكن من الكهنة ورؤساء الشعب اليهودي ، ومنه ما نقله أحمد عبد الوهاب : " فإن ما ارتكب أثناء آلامه ، لايمكن أن يعزى إلى جميع اليهود الذين كانوا عائشين إذ ذاك ، ولا إلى يهود أيامنا " (١)

وينقل محمد عبد الحليم عن كتاب " التبرئة قضية سياسية " (لبشير كعدان) بعض نصوص للوثيقة، ولو صحت هذه النصوص لارتفع الخلاف بيننا وبين النصارى في مسألة صلب المسيح، إذ تعتبر تراجعا عن القول بصلب المسيح، ومن ذلك: "اليهود لم يصلبوا السيد المسيح إطلاقا ، وإنما صلبوا شخصا لم يعرفوه ، ولو عرفوا أنه المسيح لم يفعلوا ذلك ، فالرسول (بطرس) عندما نودي عليه ، وسئل إذا كان يعرف المسيح، قال : "ليس هو" ثلاث مرات ، وقال: "إنه ليس من تلاميذه" ، وهذا يعني أن أقرب الناس إلى المسيح لم يعرفه ، فكيف يعرفه اليهود ؟

" ربما كان بطرس قد أنكر المسيح إنقاذا له ، وربما الرجل الذي قرروا صلبه هو شخص آخر ، لا أحد يعرف ، ليس من المؤكد أنه هو المسيح .. إذ اليهود صلبوا رجلا، ليس من المؤكد أنه هو المسيح " .

وتعود الوثيقة للحديث عن آلام المسيح المصلوب، فتقول: "ما حصل للمسيح من عذابه لايمكن أن يعزى لجميع الشعب اليهودي .. فإن الكنيسة كانت ولاتزال تعتقد بأن المسيح قد مر بعذابه وقتله بحربة بسبب ذنوب جميع البشر ، ونتيجة حب لاحد له " (٢)

ويلحظ علماؤنا في هذه الوثيقة تعارضا صريحا مع النصوص الإنجيلية، المصرحة بدور اليهود بقتل المسيح على الصليب ، ومنها قول بولس: " اليهود الذين قتلوا الرب يسوع، وأنبياءهم، واضطهدونا نحن" (تسالونيكي (١) ٢/١٥) (٣) ، وتذكر الأناجيل دورهم، فهم الذين تآمر رؤساء كهنتهم ، وهم الذين قدموا الرشوة ليهوذا ، وأصروا وأصرت الجموع على صلب المسيح رغم براءته التي ظهرت لبيلاطس ؛ الذي قبل نصيحة زوجته، فتبرأ من دم هذا البار ، كيف يبرأ اليهود من دمه؛ ويوحنا يقول على لسان قيافا رئيس الكهنة: " أنتم لستم تعرفون شيئاً ، ولاتنكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلها .. فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه " (يوحنا ١١/٤٧ - ٥٣) واليهود هم الذين أتوا بشهود الزور . ولما وجد بيلاطس أن لاجرم عليه، قال : " إني بريء من دم هذا البار. أبصروا أنتم " فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا " (متى ٢٧/٢٤ - ٢٥)(٤)

ثم كيف للكنيسة أن تبرئ اليهود وذراريهم من دم المسيح ، وهم قد قالوا لبيلاطس: " دمه علينا وعلى أولادنا ؟" (متى ٢٧/٢٥) والمفروض أن النصارى يؤمنون بوراثة الذنب الذي أعلن أصحابه مسئوليتهم وأبناءهم عنه .

---

(١) إسرائيل حرفت الأناجيل ، أحمد عبد الوهاب ص ٣٥ .

(٢) انظر : دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس ، محمد عبد الحليم أبو السعد ، ص ٥٢٨ .

(٣) انظر : مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٢٤٨ ، المسيح في الإنجيل بشر ، ممدوح حاد ، ص ١٢٣ .

(٤) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ، ص ٣٩٣ - ٣٩٥ ، مقارنة بين الأناجيل الأربعة ، محمد الخولي ، ص ٧٥ ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٤٧٦ .

ويرى منصور حسين أنه من الممكن تصور وراثة ذنب اليهود دون ذنب آدم، أما العكس " فلا، وألف لا " .

ويتساءل عما يغسل خطيئة اليهود وقد صلبوا الرب-كما زعموا -، إذا علمنا أن خطيئة آدم لم يغسلها إلا دم المسيح ؟

وعندما يسجل علماؤنا هذا الاعتراض على النصرانية، فإنهم يعلمون براءة اليهود من دم المسيح ، فقد أنجاه الله منهم، ولكن ذلك وكما يؤكد منصور حسين لايبرئهم من الجريمة، ألا وهي سعيهم لقتل المسيح ، فقد خططوا لصلبه، وتآمروا عليه، ومضوا في التنفيذ ، فأخذوا من ظنوه المسيح، وصلبوه، وقتلوه، وهي في كل القوانين جريمة ، والخطأ في شخص المجني عليه لايغير من بشاعة جريمتهم كثيرا ، من حيث نيتهم وما أرادوا فعله .[1]



(١) انظر : دعوة الحق بين المسيحية والإسلام ، منصور حسين عبد العزيز ص ٣٩٧ - ٤٠١ .